

2020

8.1.2020

عَافٍ بِحَاوِي



آخِرُ الشَّعْرِ

رَحَلَتِ النَّهْيَةُ لِلشَّعْرِ الْعَبْدِي
فِي الْقَرْنِ الْعَشِيرِ

المشرق



آخِرُ الشَّعْر

رحلة النهاية للشعر العمودي في القرن العشرين

عارف حجاوي



آخِرُ الشَّعْرِ

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف
آخر الشعر: رحلة النهاية للشعر العمودي في القرن العشرين/
عارف حجاوي.
٥٥٩ ص.
١. شعر. أ. العنوان.
892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة
١٧	بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
٤١	رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)
١٣٩	إيليا أبو ماضي
٢٤٥	إلياس فرحات
٢٩٩	مصطفى وهبي التل (عرار)
٣٢٧	إبراهيم طوقان
٣٦١	عبد الكريم الكزبي (أبو سلمى)
٣٨٣	محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤١٧	عمر أبو ريشة
٤٤٥	إبراهيم ناجي
٤٧١	أبو القاسم الشابي
٤٩٥	فهد العسكر
٥١٥	عبد الله البردوني
٥٤٣	فهرس القوافي العام

مقدمة

أشعر بارتعاش وأنا أشرع للمرة العاشرة بتعريش هذا الكتاب بمقدمة، فلعلي في هذه المرة أفلح في المضي بها حتى نهايتها لتُظَلَّل ثمانمئة (٨٠٠) قطعة وقصيدة تضمها صفحات هذا الكتاب. وهو خامس خمسة كتب عرضتُ فيها للشعر العربي العمودي.

أحس بالإحساس الذي أحست به سيارة لي عتيقة، كان يسقط منها الجناح بعد الجناح، والغماز بعد الغماز، والطاسة بعد الطاسة. حرنت بي مرة في طريق فجئت لها بمن أصلحها، وسارت قليلاً. ثم سقط منها عضو، فمشيت غير عابئ به. كل ما كنت أريده منها أن توصلني إلى مأمني، ولتذهب بعد ذلك إلى مدفن السيارات.

ووصلتُ، وذهبتُ.

وعاملت نفسي وأنا أكتب هذا الكتاب بالطريقة نفسها. كل ما كان يهمني أن أنتهي منه. وما قد أوشكت. كنت أفقد مع كل جزء من الأجزاء الخمسة ضرساً، و٢٣٠٩٧٨ شعرة؛ وكنت أكسب مع كل جزء خمسة كيلوغرامات، وخمس ملاعق من السكر في الدم.

قبل عامين قلت لسيدة مهذبة، وتلقائية، إنني أكتب كتاباً من ثلاثة آلاف صفحة، فسألتنني: ألم تتأخر؟ قلت لها معابثاً: أنا بعدُ شاب. فقالت ما يجب أن يقوله كل عاقل، وكاذب: بل شيخ الشباب.

يصلح هذا الكتاب بأجزائه الخمسة أن يكون تاريخاً للنفس العربية مروحياً بلسان الشعراء. وأكثر هذه الأجزاء التصاقاً بالأحداث هذا الجزء الذي بين يديك. أقبلت على «آخر الشعر» متدمراً مما لحق اللغة من ارتباك. فالشعراء ما فتئوا يطمحون إلى أن تكون لهم فصاحة المتنبّي، ولكن زمنهم يجبرهم على أن

يقولوا أشياء كثيرة لا تسعها لغة المتنبي، وأن يعبروا عن مشاعر لم يكن يشعر بها أحد في زمن المتنبي.

تعودت أن أكتب المقدمات الطوال لكل فصل، ولكل كتاب من كتب الشعر هذه. والسبب الخفي، ولا أظنني صرحت به في أي مقدمة سابقة، هو أن الكتاب يضم إبداعات ليس لي فيها من نصيب سوى الانتقاء والشرح، وإنني لأدق كل شيء على الحاسوب ثم أضع علامات التشكيل، ثم أصنع الفهارس. فأين أنا من كل هذا؟ أين ذاتي؟ صحيح أنني موجود في الاختيارات نفسها، فأنا من يختار. لكن أنا أنيتي تأبى عليّ إلا أن أطل برأسي في هذه المقدمات، كي أقول للناس: اسمعوا، هذا صوتي أنا. أنا الآن أحكي. هذا ما سماه الناس في زمننا «شهوة الحكي». هي شهوة موجودة عند كل من لم يضر بهم الفصام وإخوته ضربات موجعة.

وبمناسبة الفصام، أي الشيزوفرنيا، فبين يدي الآن كتاب لرجل ضربت ألوان من الفصام ثلاثة أرباع أعمامه وأولاد أعمامه في مراحل مختلفة من أعمارهم، وهو ينتظر. الطبيب البرفسور سيدهارتا موخيرجي البنغالي الهندي بلغ السابعة والأربعين الآن. ونرجو له السلامة.

يعرف من يعرفني أنني مثل المراهقين لا أمضي في قراءة كتاب إلا وأزعج كل من حولي بالحديث عنه، وأبالغ في امتداحه كأنني لم أقرأ سواه. وهذا ما سأفعله الآن.

اسم الكتاب «الجين». وهو يتحدث عما تفعله جيناتنا، التي ورثناها عن آبائنا، في جسامنا وعقولنا. صدر الكتاب في العام الماضي، أي عام ٢٠١٦، عن دار سكريبتر.

اهتمامي في الوقت الحاضر بالجينات ليس كاهتمامي بها وأنا في السادسة عشرة من عمري عندما كتبت للأستاذ محمد سليم اشتية، أبهج الله أيامه فقد كان أستاذاً وعالماً جليلاً، بحثاً في علم الوراثة. أيامئذ لم أكن سمعت بالجينات.

اختار صديقي نزار أن يكتب عن التطور، واخترت الوراثة. لا أدري إن كان أستاذنا الجليل، لم يكن جليلاً في السن أيامها بل شاباً حديث تخرج، أدرك القدر العظيم من الفائدة التي نلناها بسبب هذه البدعة التي ابتدعها. قد

أرادنا أن نكتب بحثاً فكتبنا. لم أترك كتاباً في الموضوع أو فيما يقاربه في مكتبة نابلس العامة، العامرة بثلاثين ألف مجلد على أرففها، إلا نظرت فيه. ونالني ما ينال التلميذ من إطراء. وطويت الصفحة.

ستفتح لي الآن محضراً كي تحاكمني على قول كثيراً ما ردّدته بأن المدارس لا تعلم المرء شيئاً. لكنني أدافع عن نفسي: المدرسة لم تعلمني شيئاً. الذي علمني هو فقط أن أستاذاً امتلك سعة العلم والقدرة على الخروج عن المنهاج، فطلب مني أن أذهب وأبحث بنفسي. هذا هو التعلّم لا التعليم.

فهل أنا قلق لحال العرب؟

ولماذا هذا الاستطراء البعيد؟

هذا لأن الهند تسير، وأميركا تسير، والصين ونصف الدنيا تسير، ونحن أيضاً نسير.. لا ليس للخلف.. لكننا نسير ببطء شديد.

هل أنا قلق لحال العرب؟ ومن هم العرب؟ أيقض مضجعي أن أربعمئة مليون خامل يتعرضون للتجويع والتعطيش؟ وتسبق ذلك عملية تبدو عشوائية، وهي ككل عملية عشوائية تملك في أحشائها نظاماً خفياً، عملية عشوائية للتطهير.. يريد العالم قبل أن يأكلنا لقمة سائغة أن يسحب من عالمنا العربي النوايغ والعلماء، ثم لا بأس بتطهير ديني، فالكنائس العالمية تسحب، بطريقة غير مقصودة أبداً، ولكن لها نظامها الخفي، العرب المسيحيين لكي يلتحقوا بدول أخرى.

فلماذا لا نصنع شيئاً؟ الحكومة العربية في بلد من البلدان تمسك بزمامها عصابة من النهابين، الذين يرتعون في المال القادم عن طريق الاتجار بموجودات الوطن. إنهم مثل ذلك الشاب الذي تبدو عليه النعمة لأنه يبيع أساور أمه.

دول الغرب ليست شديدة التوق إلى نوابغنا فعندها من النوايغ ما يكفي، فقط هو شيء من الطمع. فإذا نبغ غندنا شاب بعد أن علمناه وكبرناه، وحرمان إخوته من ثياب العيد لكي يدرس في الجامعة، فلا بأس من سرقة لكي يعمل في مختبرات لندن وباريس ونيويورك، ويتجّ علماً.

وبعد عقود من سرقة العقول دخل الغرب في مرحلة صناعة النبوغ. والوسيلة «الجينوم». ذلك المخطط العجيب للتركيب الجينية للإنسان.

ما زال هذا العلم جنيئاً، يرقد عليه العلماء في مختبراتهم، وهم أعلم الناس بأنهم يرقدون على بيضة سيخرج منها فرخ تمساح. لكن العلم شيق.

بدأ العلماء يعيشون بالجينات. والنتائج تظهر بالتدريج. في كل يوم هناك أخبار عن فتوح جديدة. والهندسة الوراثية لا سقف لها. سيكون في مقدورهم أن يجهزوا على عديد من الأمراض الوراثية في مهدها، مثلما أجهزوا على كثير من الأمراض الجرثومية بالمضادات الحيوية، وشتى الأدوية. هذه ليست خرافات.. قبل مئة سنة كان متوسط عمر الفرد خمسين سنة، وهو الآن ثمانون. وبعد مئة سنة سيكون في البلدان المتقدمة أفراد كثر في عمر يقرب من مئة وخمسين سنة. وسيكون لديهم، بسبب الهندسة الجينية، ذاكرة جيدة وجسم صحيح. فتخيل ما سيكون عليه هؤلاء من الخبرة وسعة العلم. مثل هؤلاء الأفراد سيحكمون العالم. وبهم ستحكم دولهم العالم وتستعبده. هذه المرة الاستعباد سيكون بيولوجياً علمياً.

هذا الفرع من فروع العلم خطر بحق. ألم يكن علم الذرة في بداياته بريئاً؟ الويل للشعوب المتخلفة من الغد المظلم. ولا نركنْ على الأخلاق. فبلدان أوروبا حرّمت الرقيق قبل مئتي سنة، وبدا للناس السطحي أنها تندفع في هذا الاتجاه بقوة أخلاقية عظيمة. ثم في أواخر القرن العشرين رأينا الشركات الأوروبية تؤجج نار الفتن في الكونغو لكي تحصل على المعادن النادرة بثمن بخس. والنتيجة.. مقتل خمسة ملايين إنسان. فاين أخلاق الأسلاف الذين «حرروا» العبيد؟

وانظر إلى أبراهام لنكولن «محرر العبيد»، واعلم أن مطلبه كان تحرير الأفراد ليشغلوا عبيداً في مصانع الشمال، بدل أن يكونوا عبيداً في مزارع الجنوب. هذا تحليل قرأته، وليس عندي اقتباس. ولكنني أقتبس لك من كتاب بين يدي عن الحرب الأهلية الأميركية: «دخل لنكولن الحرب بادئاً للحفاظ على تماسك الاتحاد، وليس لتحرير العبيد، ولكن معارضي العبودية في الشمال، وانخرط العبيد الهاربين في جيش (الاتحاد) جعلاه يغير رأيه».

لا اختيار لنا في مسقط الرأس، ولو اخترنا لولّدنا كلنا في سويسرا وكفى الله المؤمنين القتال. على أننا نحاول الفرار، ونرضى أن نعيش في البلدان المتقدمة ونظرات الكراهية تسلق وجوهنا السمرء. هذا لو لم يغرق المركب.

في الزمن القديم كان يأتي على الإمبراطورية وقت تشعر فيه أنها خالدة، ثم إذا هي تنهار وتسلم الراية إلى إمبراطورية أخرى. واليوم ثمة تغيير أساسي يطرأ على قواعد اللعبة. فالإمبراطوريات الغلبة ستؤسس قاعدة قوتها على نوعية الفرد. هذا المستوى البيولوجي من الهيمنة غير مسبوق في التاريخ. وهنا لا تصدق مقولة «التاريخ يعيد نفسه».

العالم العربي يتلقى المياه النهرية من تركيا، وقليلاً من إيران، ومن إثيوبيا. وقد بدأ يعاني النقص. وهو يتلقى المياه السماوية من الغيوم. والذي حبس مياه الأنهار عنا قادر بعد حين أن يسوق الغيوم بعيداً عنا. وإذا كانوا يرسلون إلينا شحنات القمح اليوم فهذا لأنهم يأخذون مقابلها ولاء ومكاسب سياسية بعضها ظاهر وبعضها سيظهر. ولا قمح لمن لا يعود يملك ما يقايض به.

سأعود إلى مقولة كتاب «لماذا تفشل الدول»، وأظن أنني تطرقت إليه سابقاً، وكنت هجوته لما فيه من تكرار وتطويل بغير داع. لكن نظريته الأساسية مفيدة، وفيها قدر كبير من الصحة. يقول المؤلفان إن هناك طرازين من الحكومات: طراز تشاركي وطراز امتصاصي.

في الطراز التشاركي يشترك عدد كبير من الناس في تسيير البلد. ويتاح لمجموع الناس أن يختاروا مجموعة تدير البلد مدة من الزمن. فإذا لم تعجبهم طريقة إدارتها للبلد اختاروا غيرها. وتحدث أخطاء وربما كوارث، ويكون هناك مجال لتجاوزها.

في الطراز الامتصاصي تتولى أمر البلد عصابة يهتمها امتصاص المال، والاحتفاظ بالسلطة. ومن مصلحة هذه العصابة ألا يحدث تطور كبير بعيداً عنها. هي تشجع فتح المصانع وتشجع التجارة والزراعة، لكن في حدود ضيقة. فلو أنها شجعت جموع الشعب على المشاركة فهذا سيجعل الشعب يملك القوة وسيجعله يغير الحكام. قد تكون العصابة مجموعة جنرالات، تقوم برشوة الجيش ببعض الامتيازات، فيكون الجيش قاعدة قوتها. وقد تكون العصابة زعماء العشائر، وقد تكون طائفة مذهبية. ولكنها في جميع أشكالها محتاجة إلى قوة قمع مسلحة، تكون في الغالب جيش البلاد الذي تقول العصابة إنه لحماية الوطن من أعداء الخارج، ويكون المطلوب منه في الغالب أن يحمي العصابة من الشعب.

في النمط الامتصاصي لا يسهل امتصاص الثروات من البلد مع وجود قوى روحية وأدبية وعلمية كثيرة. تفضل العصابة أن يتلهى الناس بتسلية رخيصة وتهريج إعلامي لا يرقّي العقل. وتحرص على أن يكون العلم محصوراً في العصابة نفسها، وهو خطر أيضاً، إذ يمكن أن يتسرب إلى الجموع، الأفضل قليل جداً من العلم. يكفي أن يكون في البلد بضعة أطباء حقيقيين ماهرين لاستئصال الزائدة، وإجراء العمليات السريعة الضرورية، فأما إذا احتاج أحد أفراد العصابة إلى علاج معقد فهو يحمل علته إلى مستشفى كرومويل في لندن، أو مايو كلينيك في أميركا. العلم الواسع المنتشر بين أفراد الشعب ستنج عنه بقاء مضيئة لا يمكن للعصابة أن تتحكم بها.

ويمكن للنمط التشاركي أن يكون رأسمالياً منفلاً كأمركا، أو رأسمالياً تكافلياً كالألمانيا، أو قريباً من الاشتراكية كالسويد. وهذا النمط لا يحل، ولا يسعى لحل، التفاوت في الدخل بين الناس.

سهل على المرء أن يحدد بناء على هذه النظرية الهلامية طبيعة الحكم في بلده. وبلدان العرب متفاوتة، ولكنها في العموم لم تسر سيرة تشاركية بما يؤهلها لبدء إنتاج المعرفة.

ليس للشعر في هذا المقام الدور الريادي. لكنه يصرخ - وأحياناً يهمس - بالشكوى. ولأن الشاعر الجيد صادق وحر فهو يحفز. انظر إلى التونسيين: كم شتم الشابي الشعب، وكم عبر عن فكرة عميقة هي أن المهم ليس فقط التخلص من الاستعمار الفرنسي بل أن ننال الجدارة بهذا الاستقلال، وأن نكف عن العيش في الماضي. صرخة عزيزة وبديعة من شاب تخرج من الزيتونة، وكان مؤهلاً لمنصب القضاء الشرعي. (انظر باب الشابي في هذا الكتاب).

ومن الشعراء من يرقص ويغني، ويتغنى بالعروبة، وبجمال المرأة. لم لا. ومنهم من يمدح المناضلين، ومنهم من يمدح الوزير مدحاً جميلاً (إبراهيم ناجي). ومنهم من يرى زهرة في البستان فينظم لها قصيدة، فإذا القصيدة تتغلغل في عمق مشكلة المرأة في بلادنا، ذاك إلياس فرحات (القصيدة رقم ٢٢). وهذا شاعر يقول للعساكر إن ما قمتم بها ليس ثورات بل انقلابات تافهة (أبو سلمى ٢٧). وهذا شاعر يتغنى بالخمير، ويسأل نفسه عن علة الوجود (فهد العسكر، وعرار في كثير من قصائدهما). وهذا شاعر يحب المرأة حباً جماً، ويتألم للجدران التي أقامها في وجهه فقد البصر (البرثوني)، وآخر يصب لعناته على

رجال الدين الأثرياء الذين لم يتصدقوا في زمن المجاعة (إلياس فرحات مرة أخرى).

لا يجتمع الشعراء الثلاثة عشر في هذا الكتاب على موضوع بعينه، ولا على أسلوب. لكن في مقدوري أن أقول لك: الـ ٨٠٠ قصيدة في هذا الكتاب تؤرخ أجمل تأريخ لمشاعر العرب في القرن العشرين. لكنها اختيرت لسبب آخر كل الآخرى؛ اختيرت لأنها من أجمل الشعر. لم أختَر بيتاً واحداً كي يؤرخ لحقبة أو يفسر حالة نفسية، لم أرد من هذه المختارات أن تكون تأريخاً لشيء، لكنها كانت رغم أنفي. واختياراتي هذه واقعة تحت شرط قاسٍ هو أنها من الشعر العمودي فحسب. فأما الشعر التفعيلي فتركته حتى يحكم عليه الزمن. وفيه من الروائع ما فيه.

لو كنت أختار الشعر كي يروي قصة البلدان العربية لجعلت لكل بلد نصيباً. ولست أنكر أن في كل بلد عربي شعراً جميلاً. لكن الكتاب كتاب شعراء. فإذا كان لشاعر وسط قصيدة بديعة فهي لا ترد لأن صاحبها لم يرد. والشعراء الوسط بضعة آلاف، وما كان يمكنني أن أتعبهم جميعاً. فاخترت كبارهم، ثم اخترت من شعر كبارهم. ولو كنت أنتمي إلى بلد غير بلدي لاختلف عملي. فأنا أسير بيتي، أسير متحرراً من قيودي حيناً، وأرسف أحياناً. لماذا لم أختَر شاعراً أندلسياً؟ لم أر أحداً من شعراء الأندلس تخلص من تقليد المشاركة.

جعلنا سلسلة «الزبد» هذه أنطولوجيا للشعر العربي من بداياته إلى أن غيّر طريقه وفكك البيت الخالد ذا الشطرين. وقد قرأت لإسماعيل أدهم، وللمستشرق الروسي كراتشكوفسكي كلاماً طيباً في عشرينيات القرن العشرين فحواه أنه آن لبيت الشعر العربي أن ينصرف عن هذا القلب الجامد.

وقد تفتح وعبي على رنة شعر التفعيلة، فقرأت نزاراً وفدوى طوقان وسميح القاسم ومحمود درويش ونازك الملائكة والسياب يافعاً. وأنا متحمس لشعر التفعيلة. لكن قلبي لا يطاوعني على الجزم بأن الشعر العمودي مات. أرجح، ترجيحاً فقط، أنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. لقد ماتت بعض أوزانه كمخلع البسيط والمنسرح والمديد (هذا الأخير كان ميتاً منذ ألف سنة)، وخرج الوزن من الأذن العربية.

عموماً، هل للشعر مستقبل؟ لا أدري. الرواية هي الأدب الآن. حتى

الأغاني بدأت تتخلص من الشعر وصارت عبارة عن خواطر ملحنة.

فهل تشغلني «قضية الشعر»؟ لا، ولا أحب تسمية هذا الشيء «قضية». إذا غرد البلبيل فهذا شأنه، وإذا سكوت فلن آتي له بلبلة تثير أشجانه لكي يغرد. صحيح أنني لن أخرج من قفصه لكي أطبخه وأتعشى به. لكنني لست منشغلاً بتغريده. فإذا سكوت فعندي اليوتيوب وعليه من الأغاني والموسيقى ما يمتعني.

ألا تشغلني «قضية اللغة» إذن؟ بلى، تشغلني جداً. ولكن ليس على طريقة من يشغلهم الشعر ويترنمون بجمال اللغة وأصالتها. تشغلني اللغة لأنه يشغلني العلم الذي أسلفت كلاماً كثيراً عنه. واللغة هي الحنفية التي سنشرب منها العلم.

ولو كنت رأيت أمة كبيرة تنهض علمياً بتبديل جلدتها اللغوي، لرأيت في دعوات التخلي عن اللغة العربية في الجامعة وفي المدرسة ما يمكن أن يكون موضع نظر.

وضعت كتب هذه السلسلة منجمة على بضع سنين، فإن رأيتني أكرر بعض الآراء والمواقف فيها قد بسطت عذري، ثم إن الذاكرة تتراجع، وكل شيء يتراجع.

عرفان

رافقني في نشر هذا الكتاب، وفي الكتب الأربعة التي سبقتها من سلسلة «الزبدة» الصديق الأديب محمد عبد العزيز الهجين، تبرع أن يكون الوسيط بيني وبين الناشر. كأنه أدرك بحدس صائب، عندما قابلني أول مرة، أنني من أولئك القوم الذين يفرشون ملاءة الحديث في المجالس عن أمور يصنعونها، ثم لا يكونون «قادرين على التمام». كأنه عرف أنني أكتب الكتب لفقط أتحدث عنها أمام أصحابي، فإذا ما تمت تأليفاً فمكانها ملف أصفر في دهليز من دهاليز الحاسوب. فمد محمد يداً قوية وانتشل الكتاب من بين يدي جزءاً فجزءاً، ودفع به إلى الناشر. فله الشكر.

ورافقني في هذا الكتاب، وفي معظم ما سبقه من السلسلة، الصديق الشاعر عمران القفيني مصححاً أخطائي في الإملاء والنحو، ومعلقاً على اختياراتي، ومناقشاً شرحي. ولعله تنبه إلى أن أخطائي كانت تقل في الباب بعد الباب من أبواب هذا الجزء! هذا بسبب موالاته التدقيق والتقريع، وكثيراً

أيضاً.. التشجيع. على أنه لم يفلت باب من الأبواب من جريدة تصحيحات تأتيني من عمران على جناح الإيميل فأفزع إلى نسختي أنزهها عن الخطأ. فما بقي من أخطاء فهو رائحة الطين البشري التي ليس منها بد. قالوا: قد شاء ربك ألا يكون كاملاً إلا كتابه العزيز. وقالوا: من أَلَفَ فقد استهدف، أي نصب نفسه هدفاً. وكنت أَرْضَى أن أنصب نفسي هدفاً للنقد وللقدح، لو وجدت القارئ، لكنني أتيت في ذيل الزمن.

كل الذي يمكن أن آخذه أخذته، وكل ما يمكن أن أعطيه أعطيته، لقد وصلت قمة العمر وما كرهته، ولست خلفي ناظراً أرى الذي خَلَفْتُهُ، من صاد ظيئة كفته غيرَها ظيئته، غرست رمحي فوق قمتي وما تركته، لا ريح لا شمس بل البرد المخيف صمته، نزعَت رمحي ثم إني كالعصا اتخذته، أريده يندق في صدري لو استطعته، ما يصنع الشيخ إذا الهبوط حان وقته؟ عمّا قليل سوف يخذل السراج زيتَه، وحينها يستبطئ الشيخ ابنه وبنته، يضيق ثوبه به يمل منه. بيته، لم أر ذاك إنما كأني رأيتَه، دعاؤهم «حسن الختام» لي وقد سمعته، يا سعد من في قمة العمر أتاه موته.

الدوحة ٢٨ نيسان/ أبريل ٢٠١٧

غرة شعبان ١٤٣٨

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) (١٨٨٥ - ١٩٦٨).

كدت أفتح النار على أديب ميت. كنت مشحوناً عليه، غاضباً، وفتحت صفحة جديدة على الحاسوب، ولم أنقر حرفاً. تبيست أصابعي.
ما أشد فرحي أنني ارعويت.

ذهبت إلى كتاب من كتب ذلك الأديب. فتحتة وقرأت فيه قليلاً، وقلت لنفسني جملة ظلت تتردد بين حيطان كتبي هذه التي أسميها «الزبدة»، والتي يختتمها الكتاب الذي بين يديك، وهذه الجملة هي: الشاعر بجيده لا برديته.

لعلك تظن أنني بدأت أفكر في الاعتذار عما سلف مني في حق الأكاديميين؟ لا، وما، وليس، وكلاً. وقد ينالهم مني بعد حين ما كان نالهم في مقدمات سابقة. على أنني أخبئ مديحاً لسيدة أكاديمية في ذيل هذه المقدمة.

تذكرت أنني قرأت لسعيد عقل نثراً حلواً، وشعراً حلواً. تذكرت قصائده العامية اللطيفة، وبعض شعره الفصيح، وكثيراً من نثره الرائق، ورجعت إلى بعض ذلك متصفحاً، فأمسكت عن الوقوع فيه. أمسكت وفي نفسي بعض من ذلك الغضب الأول.

لقد كتب سعيد عقل مقدمة لديوان الأخطل الصغير تصلح أن تُفرض فرضاً على كل متأدب وصحفي وبذيلها عبارة (لا تكتب هكذا). كان يجامل، ويتلوى في عباراته تلويحاً تأباه كل لغة، ويأباه كل منطق. ولا نبخس الناس أشياءهم، فللرجل كتابة جميلة، بعضها يحلق عالياً في سماء الفن. ولا نؤاخذه في مواقفه

السياسية ولا في حملاته الساذجة، كحملته على الحرف العربي، فقد أخذنا أنفسنا بالأنا نقرع الحجة إلا بالحجة. فأما الشتم المحض فنقدمه إلى الدجالين.

في مكتبي بضعة كتب تتناول الأدب الحديث، فهل هي المصادفة وحدها التي جعلت هذه الكتب جميعاً تتفق على أن تكون فارغة؟ كنت أريد أن أشبهها بأرانب الشوكولاتة التي يشترونها للأطفال في عيد الميلاد، يفرح بها الطفل، ويزيل عنها ورقة السلوفان ويحطمها، فإذا هي فارغة من الداخل، وليس بها من الشوكولاتة إلا هيكلها الخارجي الرقيق. ثم قلت في نفسي: لا والله، تلك الكتب ليس فيها أي نفع لا رقيق ولا سميك.

قدم الخوري ميخائيل إلى بيروت وسكن في ضاحية من ضواحيها، كان طبيباً عربياً. وعلم ابنه عبد الله الطب العربي، ففاق الابن أباه، وأخذ يجتهد ويطلع الكتب العربية والسريانية، وأخذ يطبب الناس، وأخذ الله يشفيهم. فكان الناس يحمدون الله ويشكرون الطبيب. وتملك عبد الله أملاكاً، وصار له من عقبة ستة: ثلاث بنات وثلاثة صبيان. وجاء السابع عام ١٨٨٥ فكان شاعرنا: بشارة ابن الطبيب عبد الله ابن الخوري ميخائيل. وعاش الطبيب العربي حتى الخامسة والتسعين، وتوفي قبل الحرب العالمية الأولى ببضع سنين، فلم يشهد ويلات المجاعة. بل ترك أولاده في حال حسنة في ظل الدولة العثمانية التي كانت لها في بيروت الكلمة العليا، بخلاف جبل لبنان الذي نال بعض استقلال تحت حماية الدول الأوروبية.

دخل بشارة الخوري الكتاب عند المعلم ضومط، وما كان هذا الكتاب سوى دكان على قارعة الطريق. لكنه كان يعلم الصبية العربية، ويحبهم في هذه اللغة العنيدة التي لم ينفع فيها تترك ولا فرنسة في العهد العثماني ثم الانتدائي، فلما جاء الاستقلال الناجز نفع فيها كل شيء.

تربى بشارة على العربية. أصيب بفيروسها في سن طرية. ثم دخل المدرسة الأرثوذكسية الإكليريكية، ثم مدرسة الحكمة، وفيهما درس العربية من كتب قادة النهضة اللغوية العربية في لبنان: ناصيف اليازجي وعبد الله البستاني، وغيرهما. قال إنه التقى في مدرسة الحكمة جبران خليل جبران «بشعره الخنفي وقمبازه البلدي». ولك أن تتخيل جبران باللباس العربي.. ليس أمراً سهلاً. ودرس بشارة الخوري في مدرسة المزار في غزير، وكان ينال الجوائز في موضوعات اللغة العربية ولم ينل جوائز في موضوعات اللغة الفرنسية.

ثم درس في الفريز، فتعلم الفرنسية وبلغ بها مبلغ من يقرأ ويفهم. وغادر المدارس وهو في سن العشرين، فيمكننا القول إن بشارة الخوري، من بين الشعراء، نال دراسة شبه جامعية.

بعد المدارس بثلاث سنوات فتح جريدة «البرق». كان الدستور العثماني قد أُقِرَّ وتحررت الصحف وزال العهد الحميدي. لكن بيروت ابتليت بوالٍ عثماني صعب، قارعه بشارة فضيق الوالي عليه بعض التضييق ومنع جريدته من دخول المتصرفية. وعزل الوالي، وتنفس بشارة الصعداء. وكان يكتب الافتتاحية لكل عدد، وكان ينشر أشعاره في جريدته. أدخله أخوه الأكبر يوسف في الماسونية، ثم خرج منها سريعاً. ومع بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ حل بلبنان زمن الجوع والخوف. الجوع لأن الدولة العثمانية أخذت المحاصيل لإطعام جيوشها، والخوف لأن السلطات التركية صبت على كثيرين في بلاد العرب سوط عذاب لأنهم تعاطفوا مع حركة التمرد على الدولة العثمانية بقيادة شريف مكة. وفي لبنان كان شُنق أحرار العرب على يد جمال باشا السفاح.

أغلق بشارة «البرق» مع بدايات الحرب، وتوارى في قرية بعيدة خوف الاعتقال، وما قد يكون أسوأ من الاعتقال، وغير اسمه وسمته. ولم يعد إلى بيته إلا بعد عامين. وباع في سني الحرب أملاكاً كي يعيل أهله. في هذه الفترة لقب نفسه الأخطل الصغير، وظل يكتب الشعر، بل كتب شعراً كثيراً. وعمل سنة موظفاً في شركة قمح.

وما انتهت الحرب عام ١٩١٨ حتى أعاد إصدار «البرق»، وراح ينشر فيها ما تجمع لديه من شعر. رحب بشارة بالانتداب الفرنسي، ١٩٢٠، ولبنان الكبير الذي ضم إليه الفرنسيون البقاع. وتزوج في هذه السنة. ونال في السنة التي تلتها وسام المعارف من الفرنسيين. وكتب في السياسة وفي الاجتماع، وترشح للنيابة عام ١٩٢٥ مفرداً فسقط سقوطاً مدوياً لم يمنعه بعد بضع سنين من أن يصبح رئيس بلدية في برج حمود ببيروت. وتصادعت انتقاداته للانتداب الفرنسي فأغلقت البرق سنة ١٩٣٢. وجاء الاستقلال عام ١٩٤٣، ولم تساعده الحكومة حتى يعيد فتح جريدته. فاعتزل السياسة واكتفى بتلبية الدعوات لتكريم الأحياء وتأيين الأموات والمشاركة في المهرجانات الألفية. زار سوريا ومصر وفلسطين والعراق والسعودية. وفي عام ١٩٥٤ كرموه مرة في بيروت وأخرى في مصر، ثم كرموه تكريماً أكبر في بيروت عام ١٩٦١، وفي العام نفسه اشترك ابنه

عبد الله مع الشاعر سعيد عقل في تشذيب أشعاره ونشرها في ديوان لقبوه على غلافه أمير الشعراء. لكن اللقب لم يقنع أحداً، فبشارة الخوري لم يقل شعراً مهماً منذ أكثر من ثلاثين سنة. وفي هذه السنين العجاف واجه بشارة الخوري حملة نقدية من مارون عبود وأمين الريحاني وشبلي الملاط وإلياس أبو شبكة وحتى من سعيد عقل الذي عاد وصالحه.

كان من سوء حظّه أنه عاش طويلاً بعد أن خمدت جذوة الشعر في قلبه. وكان من حسن حظّه أن فيروز ومحمد عبد الوهاب وفريد الأطرش غنوا عدة قصائد له. فظل في البال، مشهوراً يعيش على قديمه، ولعل هذا بعض ما أثار حسد من لم ينالوا مثل شهرته.

عاش سنيه الأخيرة معزلاً في بيته مع أولاده وأحفاده، فإن خرج فإلى مقهى بساحة الشهداء يجالس فيه المتأدبين والكأس. ومات عن ثلاث وثمانين سنة في عام ١٩٦٨.

كثير من هذه المعلومات أخذتها عن رسالة ماجستير جامعية للسيدة سهام أبو جودة قدمتها للجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٧٠ بعد وفاة الشاعر بسنتين. وقد استندت الباحثة إلى أسرته ومعارفه وأوراقه. وكانت قد زارته مراراً، منذ ما قبل وفاته بثلاث سنين، زيارات تضمنت البحث في سيرته. ومما تذكره أنه قال لها، عندما سألتها عن الطبعة الأخيرة «المعتمدة» لديوانه التي نسقها ابنه عبد الله وسعيد عقل: الله يسامحك يا عبد الله، الله يسامحك يا سعيد. غير أن الباحثة أشارت في موضع آخر من رسالتها، التي بلغت أربعمئة صفحة، إلى أن الشاعر لم يكن غير راضٍ عن هذه الطبعة.

وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها.

باحث يريد أن «يصنع» ديوان بشارة الخوري صنعة علمية دون تشذيب فإن رسالة سهام أبو جودة تتضمن رصداً للقصائد ومظانها، هذا إن لم تكن قد صنعت مثل هذا الديوان ولم ندر به.

لا عذر لي في محافل العلم والنشر الأكاديمي الرصين في أنني اقتصرت على طبعة «مشذبة» في اختياراتاتي من شعر بشارة الخوري. لكنني لا أجد القاعدة البحثية المتينة التي تعينني، ولم أطالب نفسي بأن أرتحل في طلب العلم. وكان من حسن حظي أن وجدت رسالة جامعية محترمة توفر لي معلومات طيبة ومدققة عن حياة الشاعر.

بشارة الخوري شاعر حقيقي، توهج سنوات قلائل، ثم خبا.. وظل عائشاً. فإن قرأت مقالات مارون عبود الكثيرة، الموزعة في أكثر من كتاب من كتبه، التي ينقد فيها بلسانه الساخر المعروف شاعرنا المجبل فاعلم أنها نقد لشعر شاعر أجبل أي أنزف أي انقطع ماؤه. ولكننا اليوم نسمع «جفنه علم الغزل» ونتنظر الشطر الثاني «ومن العلم ما قتل» ونقول الله!

١ سنو وايت

نَمَ إِنَّ قَلْبِي فَوْقَ مَهْدِكَ، كَلَّمَا ذَكَرَ الْهَوَى صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمَا
لَوْ أَنَّ بَعْضَ هَوَاكَ كَانَ تَعَبُداً وَحَيَاةَ عَيْنِكَ مَا دَخَلْتُ جَهَنَّمَا

٢ الموت الشهي

شَعْرُهَا قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ؛ وَالْحَدَّ قَبَّلَتْهُ شَمْسُ الضُّحَى فَتَوَرَّدَ
وَعَلَى صَدْرِهَا، مَتَى تَتَنَهَّدُ مَوْجَةٌ هَزَّتِ الصَّغِيرَيْنِ فِي الْمَهْدِ
فَاشْرَآبَا كَمَنْ تَخَوَّفَ شَيْئاً
إِنَّ مَشَتْ، فَالْقُلُوبُ تَحْتَ خُطَاها لَا تُبَالِي نَعِيمِهَا مِنْ شَقَاها
إِنَّ قَلْباً تَدُوسُهُ قَدَمَاها وَدِمَاءُ تَبُلُّ ذَيْلَ رِذَاها
ذَلِكَ الْقَلْبُ مَاتَ مَوْتاً شَهِيّاً

٣ التلغم

وَرَشَفْنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا فَبَاخَتْ بِالَّذِي فِي الصَّدُورِ مِنَّا الْوُجُوهُ
رَشَفْنَا كَأْسَ الْحُمَيَّا، الْخَمْرُ، فَبَدَا عَلَى وَجُوهِنَا مَا نَكْتُمُهُ فِي صُدُورِنَا مِنْ عَشَقٍ
قُلْتُ: أَهْوَاكَ يَا مَلَائِكِي فَرَدَّتْ مُقْلَتَاهُ، لَكِنْ تَلْعَنُ قُوَّةُ

٤ بعض القلوب

إِنَّ بَعْضَ الْقُلُوبِ لَا يُنْبِتُ الشُّكَّ رَانَ، مَهْمَا زَرَعَتْهُ إِحْسَانَا

٥ المسلول

عَبْنَاهُ عَالِقَتَانِ فِي نَفَقِ كِسْرَاجِ كُوخٍ نَصِفِ مَتَّقِدِ

وَيَمُحُّ أَحْيَاناً دَمًا، فَعَلَى مَسَدٍ قَطَعَ مِنَ الْكَبِدِ

٦ اسأل فمك

أَتَحَلَّتَنِي بِالْهَجْرِ مَا أَظْلَمَكَ ! فَارْحَمْ عَسَى الرَّحْمَنُ أَنْ يَرْحَمَكَ
مَا كَانَ أَحْلَى قُبَلَاتِ الْهَوَى إِنْ كُنْتَ لَا تَذْكُرُ فَاسْأَلْ فَمَكَ
مَوْلَايَ إِنْ وَاصَلْتَنِي بِالْجَفَا فَمَتُّ فِي شَرْخِ الصَّبَا مُفْرَمَكَ
قُلْ لِلدُّجَى مَاتَ شَهِيدَ الْهَوَى فَانْزُرْ عَلَى أَكْفَانِهِ أَنْجُمَكَ
يريدها الديوان المطبوع، وفريد الأطرش «شهير» بالضم، لكن الشاعر قالها شهيد فيما نسب

٧ الفقير

وَبَحَّ الْفَقِيرُ فَمَا تَرَاهُ يُلَاقِي سُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَافِذُ الْأَرْزَاقِ
عَلَقُ الْمَجَاعَةِ مَصَّ بَعْضِ دِمَائِهِ وَتَعَسَّفُ الْحُكَّامُ مَصَّ الْبَاقِي
العلق: دود يمس الدم

٨ الغواصة

لَبِئْنَا فِي الْكَهْفِ، حَتَّى يَنْقَضِي، لَا شِفَاءَ لِلَّهِ، جَهْلُ الدُّوَلِ
سَعَرُوهَا، لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا رَاسِخًا، لَانْهَدَّ رُكْنُ الْجَبَلِ
يَا لِعَيْنَيْكَ تَرَى غَوَاصَةً نَزَلْتُ مِنْ لُجَّةٍ فِي الْأَسْفَلِ
اللجة: البحر العميق

وَلَقَدْ تُلَمَّحُ فِي الْمَاءِ، كَمَا يُلَمَّحُ الْمَعْنَى خِلَالَ الْجُمَلِ
عَجَبًا لِلْحُوتِ فِي أَحْشَائِهِ بَشَرٌ مَا يَأْمُرُوا يَمْتَثِلِ
حُوتٌ يُوَنَّانَ حَوَاهُ رَجُلًا وَيَخُوتِ الْيَوْمِ كَمِ مِنْ رَجُلٍ
حوت يونان: حوت النبي يونس، فقد احتوى رجلاً واحداً، فأما الغواصة ففيها رجال كثير

وُجِدَتْ كَيْ تَصِلَ السُّبُلَ، وَقَدْ صَارَتْ الْيَوْمَ لِقَطْعِ السُّبُلِ
السفينة صنعت لتصل الطرق ما بين البلاد، والغواصة التي تفرق السفن تقطع الطرق. وهذا الكلام
قليل وقد شهدت الحرب العالمية الأولى استعمال الغواصات في إغراق السفن

٩ ذات الموجتين

أَلَمَهَا أَهَدَتْ إِلَيْهَا الْمُقْلَتَيْنِ وَالظُّبَا أَهَدَتْ إِلَيْهَا الْعُنُقَا
المها: بقر الوحش ذو العيون الواسعة، الظبا: الظباء، الغزلان

فَهُمَا فِي الْحَسَنِ أَسْنَى جَلِيَّتَيْنِ لِلْعَذَارَى، جَلٌّ مَنْ قَدْ خَلَقَا
وَدَرَى الرُّوْضُ بِتَيْنِ الْمُنْحَتَيْنِ وَقَدِيمًا يَعَشَقُ الرُّوْضُ الْحِسانُ
بتين: بهاتين

فَكَسَا بِالْوَرْدِ مِنْهَا الْوَجْنَتَيْنِ وَكَسَا مَبْسِمَهَا بِالْأَفْحُوَانِ
وَرَمَى فِي صَدْرِهَا رُمَاتَيْنِ مَنْ رَأَى الرُّمَانَ فَوْقَ الْخَيْزُرَانِ
يشبه قدها التحيل بالخيزران

فَهُمَا فِي صَدْرِهَا كَالْمَوْجَتَيْنِ أَيُّ صَبٍّ مَا تَمَنَّى الْفَرْقَا؟
أَوْ هُما - وَلَيْسَلَمَا - كَالْتَّوَامَيْنِ كُلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرٍ قَلِقَا
وَرَأَاهَا اللَّيْلُ فَاخْتَارَ الْمُقَامَ - وَلَقَدْ طَابَ لَهُ - فِي شَعْرِهَا
أي أن شعرها أسود كالليل

وَصَبَا الْفَجْرُ فَأُضْحَى حِينَ هَامَ بِهَوَاهَا دُرَّةً فِي نَعْرِهَا
صبا: عثق

فَإِذَا مَيُّ كَمَا شَاءَ الْغَرَامَ مَا نَجَا ذُو صَبُوءَةٍ مِنْ أَسْرِهَا

١٠ المعتذر

قَدْ أَتَاكَ يَمَعَزْدُرُ لَا تَسَلُّهُ مَا الْخَبَرُ
كُلَّمَا أَطْلَلْتَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ يَخْتَصِرُ
فِي عُيُونِهِ خَبَرٌ لَيْسَ يَكْذِبُ النَّظَرُ
قَدْ وَهَبْتُهُ عُمُرِي ضَاعَ عِنْدَهُ الْعُمُرُ
حُبُّنَا الَّذِي نَشَرُوا مِنْ شَذَاهُ مَا نَشَرُوا
صُوِّحَتْ أَزَاهِرُهُ قَبْلَ يَغْقَدُ الثَّمَرُ

صوحت: جفت، يَغْقَدُ الثمر: يتحول من براعم إلى ثمار.. ونحن نقول الثمر يَغْقَدُ، لا يُعْقَدُ..
لكن فيروز أرادت تفصيحتها فجعلتها من باب ما لم يُسَمِّ فاعله

عُدْ، فَعَنَّاكَ يُؤْنِسُنِي فِي سَمَائِهِ الْقَمَرُ
يؤنسي عنك، بدلاً منك، القمر

قَدْ وَقَى بِمَوْعِدِهِ حِينَ خَانَتِ الْبَشَرُ

١١ جفته علم الغزل

جَفْنُهُ عَلَّمَ الْقَرْلَ وَمِنَ الْعِلْمِ مَا قَتَلَ
فَحَرَقْنَا نَفُوسَنَا فِي جَحِيمٍ مِنَ الْقُبَلِ
وَنَشَدْنَا، وَلَمْ نَزَلْ حُلْمَ الْحُبِّ وَالشَّبَابِ
حُلْمَ الزَّهْرِ وَالنَّدَى حُلْمَ اللَّهْوِ وَالشَّرَابِ
هَاتِيهَا مِنْ يَدِ الرِّضَا جُرْعَةً تَبْعُثُ الْجُنُونَ
اسمع عبد الوهاب يغنيها، وفي الإعادة يقول «هاهاهاها» وهذه خفة روح حلوة كالعسل من
عبد الوهاب

كَيْفَ يَشْكُو مِنَ الظُّمَأْ مَنْ لَهُ هَذِهِ الْعُيُونُ
يَا حَبِيبِي، أَكُلَّمَا ضَمَّنَا لِلْهَوَى مَكَانُ
أَشْعَلُوا النَّارَ حَوْلَنَا فَعَدُونَا لَهَا دُخَانَ
قُلْ لِمَنْ لَمْ فِي الْهَوَى هَكَذَا الْحَسَنُ قَدْ أَمَرَ
إِنْ عَشِيقُنَا، فَعُدْنَا أَنْ فِي وَجْهِهَا نَظَرُ

١٢ عش أنت

عِشْ أَنْتَ، إِنِّي مُتُّ بَعْدَكَ وَأُطِلُّ إِلَى مَا شِئْتَ صَدَّكَ
كَانَتْ بَقَايَا لِلْغُرَا مِ بِمُهْجَتِي فَحَتَمْتُ بَعْدَكَ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ عَدَلْتُ تَ أَمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ قَدَّكَ
كَانَ حَرِيًّا بِكَ أَنْ تَعْدِلَ لِأَنَّ قَدَّكَ مَعْتَدِلٌ رَشِيقُ

وَجَعَلْتَ مِنْ جَفْنِي مُتًّا - كَأَ وَمِنْ عَيْنِي مَهْدَكَ
وَحَيَاةَ عَيْنِكَ وَهِيَ عِنْدِي مِثْلَمَا الْقِرَانُ عِنْدَكَ

يغنيها فريد الأطرش «مثلما الإيمان»، وهي هكذا في الطبعة الثانية من الديوان، غير أن الطبعة الأولى كانت في زمن أكثر استرخاء فجاءت بها كما الشاعر قالها

مَا قَلْبُ أُمِّكَ إِنْ تُفَا رِقْهَا وَلَمْ تَبْلُغْ أَشَدَّكَ ..
فَهَوْتُ عَلَيْكَ بِصَدْرِهَا يَوْمَ الْفِرَاقِ لِتَسْتَرِدَّكَ ..
بِأَشَدِّ مِنْ خَفَقَانِ قَلْبٍ بِي يَوْمَ قِيلِ خَفَرْتُ عَنْكَ

١٣ تبعات الهوى

يَا حَبِيبِي لِأَجْلِ عَيْنَيْكَ مَا أَل قَى وَمَا أَوَّلَ الْوُشَاةِ عَلَبًا
أَوَّلَ: نَسْر وتجاوز الحقيقة

أَنَا الْعَاشِقُ الْوَحِيدُ لِتُلْقَى تَبِعَاتُ الْهَوَى عَلَى كَتِفَيَا

١٤ يا نسيم الدجى

يَا نَسِيمَ الدُّجَى اللَّطِيفَ احْتَمِلْنِي لِيْ عَهْدٌ عِنْدَ النَّسِيمِ لِرَآمٍ
احتملني: احملني واذهب بي إلى الحبيب، اللزام: الملازم دوماً
كُلْنَا نَاجِلٌ: فَأَنْتَ بَرَاكُ اللَّـهِ هُ، لَكُنْ أَنَا بَرَانِي السَّقَامُ
براك الله: براك وخلقك، براني السقام: أهزلي وأنحلي

١٥ احتضار الشعر

حَفِظَ اللَّهُ مُهَجَةَ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ قِي وَوَقَّاهُ عَادِيَاتِ زَمَانِهِ
عاديات: مصائب

كَانَ رِيحَانَةَ الْمَنَاذِرَةِ الْغُرِّ - وَرَاحَ الْأَرْوَاحِ فِي غَسَّانِهِ
كان الشعر ريحانة يشمها المناذرة الغر، السادة الكرام، في الحيرة؟ وكان راح الأرواح، أي خمر الأرواح، عند الغساسة في الشام

مَا زَهَا مَفْرُقٌ بِتَاجٍ إِذَا لَمْ يَزُهُ بِالْخَالِدَاتِ مِنْ تِجَاجَانِهِ
لم يكن مفرق رأس ملك ليزهو، ويفتخر، بالتاج ما لم يكن مفتخراً بالأشعار الخالدة التي قبلت في الملك

يَتَمَنَّى الْمَلُوكُ لَوْ أَنْعَمَ اللَّـهُ هُ عَلَيْهِمْ بِسَكْرَةٍ فِي حَايِهِ
ليت شعري ماذا أساء إلى الأيّ - م حَتَّى أَمْعَنَ فِي عُدْوَانِهِ؟
ماذا أساء الشعر إلى الزمن حتى أسرف الزمن في التعدي عليه؟

فَهَوَى مِنْ سَمَائِهِ كَاسِفَ اللَّوْ نِ إِلَى هُوَّةِ الشَّقَا وَهَوَايَهْ
كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يُطَاطَى لِلدَّهْ رِ رَنَاهُ الْعَرِيقُ مِنْ عُنْفَوَانِهْ
كلما نوى الشعر أن يخفض رأسه أبى له عنفوانه العريق ذلك

مُؤَثِّرٌ أَنْ يَمُوتَ فِي كُوجِهِ الْفَا نِي عَلَى الْبَاقِيَاتِ مِنْ دِيَوَانِهْ
يَحْمِلُ الْإِبْتِسَامَ فِي شَفَتَيْهِ وَالْمَنَايَا تَسِيلُ مِنْ أَرْدَانِهْ
أردانه : أكمامه

كَسِرَاجٍ فِي جَوْفِ دَيْرٍ قَدِيمٍ هُرِقَتْ رُوحُهُ عَلَى جُذْرَانِهْ
يشبه اضمحلَّال الشعر بسراج في دير وقد بدأ يخبو نوره فكانه يهرق روحه ويسكبها على جذران
الدير . .

يَشْهَقُ الشَّهَقَةَ الْخَفِيفَةَ فِي الْقَجْ رِ وَيُفْنِي أَنْفَاسَهُ بِدُخَانِهْ
كَعَلِيلٍ عَلَى فِرَاشٍ مِنَ السَّلِّ - بَعِيدِ الْمَزَارِ عَنْ إِخْوَانِهْ
كُلَّمَا أَلْحَفَ السُّعَالُ عَلَيْهِ أَطْعَمَ الْمَوْتَ قِطْعَةً مِنْ جَنَانِهْ

١٦ رسائل فموية

فَرُخَانٍ فِي وَكْرِ تَلَاقَى جَانِجٌ وَجَانِجٌ، وَمِنْقَرٌ وَمِنْقَرٌ
يَخْتَلِسُ الْقُبْلَةَ مِنْ مَبْسِمِهَا هَلْ تَعْرِفُ الْعُصْفُورُ كَيْفَ يَنْقَرُ؟
'وَهُوَ إِذَا أَمْعَنَ فِي ارْتِشَافِهَا عَلَّمْنَا كَيْفَ يَذُوبُ السُّكَّرُ
رِسَالَةٌ مِنْ فَمِهِ لِقَمِهَا كَذَا رِسَالَاتُ الْهَوَى تُخْتَصِرُ
مَا الْحَسَنُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا زَهْرَةٌ يَلْهُو بِهَا فِي لِحْظَتَيْنِ النَّظَرُ
لَكِنَّهَا إِنْ أَذْرَكَتْهَا رِقَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ دَمْعَةٍ تَنْحَدِرُ
لكنها : أي لكن الزهرة

سَالَتْ دِمَاءُ الْخُلْدِ مِنْ أَوْرَاقِهَا وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا الْقَدَرُ

١٧ العمر لحظة

فَانْهَبِ الْعَيْشَ لَا أَبَالَكَ نَهْبًا وَاطْرَحْ عَنْكَ وَجْهَكَ الْمُسْتَعَارَا
لَسْتَ مَهْمَا عُمِرْتَ غَيْرَ جَنَاحٍ حَطَّ فِي الدَّوْحِ لِحْظَةٌ ثُمَّ طَارَا
جناح : طائر، الدوح : الشجرة الوارفة

١٨ يا عاقد الحاجبين

يا عاقدَ الحاجِبَيْنِ على الجَبِينِ اللَّجِينِ
اللجين : الفضة . الجين اللجين : الجين الذي من فضة ، كقولك «الخاتم الذهب» و«السكة الحديد»

إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ قَتْلِي قَتَلْتَنِي مَرَّتَيْنِ
ولماذا مرتين؟ هي القافية . . أو لعل كل حاجب يقتله مرة

تَبَدُّوْكَأَنْ لَا تَرَانِي وَمِلْءُ عَيْنِكَ عَيْنِي
وَمِثْلُ فِعْلِكَ فِعْلِي وَيْلِي مِنَ الْأَحْمَقَيْنِ
أنا وأنت أحقان في هذا التجاهل المتبادل

مَوْلَايَ لَمْ تُبْقِ مِنِّي حَيًّا سِوَى رَمَقَيْنِ
سَتَحْرِمُ الشُّعْرَ مِنِّي وَلَيْسَ هَذَا بِهَيْنِ
أَخَافُ تَدْعُو الْقَوَافِي عَلَيْكَ فِي الْمَشْرِقَيْنِ
المشرقين : الشرق والغرب

١٩ رثاء شوقي

شوقي! أَتَذْكُرُ إِذْ عَالِيَهُ مَوْعِدُنَا نِمْنَا وَمَا نَهْمٌ عَنْ مَقَادِرِهِ
عاليه : بلدة في لبنان كان ينزلها شوقي مصطافاً

وَأَنْتَ تَحْتَ يَدِ الْآسِي وَرَأْفَتِهِ وَبَيْنَ كُلِّ ضَعِيفِ الْقَلْبِ خَائِرِهِ
كنت تحت يد الآسي، أي الطبيب، وبين أصحابك ذوي القلوب الضعيفة الخائفة عليك

وَلَا بَتَّاسَامَتِكَ الصُّفْرَاءُ رَجَفَتْهَا كَالنَّجْمِ خَلْفَ رَقِيقٍ مِنْ سَتَائِرِهِ
كانت ابتسامتك الصفراء الراجفة ووجهك المخطوف اللون كالنجم خلف ستار من الغيوم

وَنَحْنُ حَوْلَكَ عُكَّافٌ عَلَى صَنْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا ضِيَ الْبَطْشُ قَاهِرِهِ
سَأَلْتَنِيهِ رِثَاءً . . خُذْهُ مِنْ كَيْدِي لَا يُؤْخَذُ الشَّيْءُ إِلَّا مِنْ مَصَادِرِهِ

٢٠ شقيقة النجوم

تَعَجَّبَ اللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ تُسَلِّسُ النُّورَ فِي عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا
كانت عيناها ترسل نوراً يضيء ظلام الليل

وَتَمَتَّتْ نَجْمَةً فِي أُذُنِ جَارَتِهَا لَمَّا رَأَتْهَا، وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرَاها
أَنْظُرْنَ، يَا إِخْوَتَا، هَذِي شَقِيقَتُنَا فَمَنْ تُرَاهُ عَلَى الْعَبْرَاءِ أَلْقَاهَا؟
وَكُنَ بِالقُرْبِ مِنْهَا كَوَكَبٌ غَزَلُ يُضْغِي فَلَمَّا رَأَاهَا، سَبَّحَ اللّٰهَ
وَرَاحَ يُفَسِّمُ أَنْ لَا بَاتَ لَيْلَتُهُ إِلَّا عَلَى شَفَتَيْهَا لَاثِمًا فَأَاهَا

٢١ ثمن الهداية

لَوْ لَمْ يُخَضَّبْ بِالدِّمَاءِ صَلَيبُهُ عِيسَى لَمَّا كَانَ الْمَسِيحَ الْفَادِي
وَمُحَمَّدٌ لَوْلَا اضْطِهَادُ مَعَاشِرِهِ خُشِنَ لَمَّا كَانَ الرُّسُولَ الْهَادِي
أَلَى الْهُدَى أَلَّا يُطْلَّ عَلَى الْوَرَى إِلَّا عَلَى جَبَلٍ مِنَ الْأَجْسَادِ
أَلَى: حَلْف

٢٢ إسقنيها

إِسْقِنِيهَا، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا لِنَجْلُو الْهَمَّ عَنِّي، أَنْتَ هَمِّي

٢٣ رثاء حافظ إبراهيم

شَاعَرَ النَّيْلَ خُذْ بِنَاصِيَةِ النَّجْدِ مِمْ، وَدَاعِبْ جَبِينَهُ الْبَرَّاقَا
أَوْ فَعُدْ لِلْحُقُولِ دَغْدَغُ بِهَا الرِّهْدُ رِ، وَنَبْهُ فِي صَدْرِهَا الْأَشْوَا
أَنْتَ وَالنَّيْلُ صَفَّتَانِ لِمَضِرٍ تُنْبِتَانِ الْأَذْوَاقَ وَالْأَرْزَاقَا

٢٤ الصبا والجمال

هنا بها غيتا كفوري حين فازت بلقب ملكة جمال عام ١٩٣٤، واسمها من عبد الوهاب

الْصَّبَا وَالْجَمَالُ مِلْكُ يَدَيْكَ أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجِيكَ
نَصَبَ الْحُسْنُ عَرْشَهُ فَسَأَلْنَا مَنْ تُرَاهَا لَهُ؟ قَدَلَّ عَلَيْكَ
فَاسْكُبِي رُوحَكَ الْحَنُونَ عَلَيْهِ كَانِسِكَابِ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ
سَكِرَ الرُّوْضُ سَكْرَةً صَرَعَتْهُ عِنْدَ مَجْرَى الْعَبِيرِ مِنْ نَهْدَيْكَ
قَتَلَ الْوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْ كِ، وَالْقَى دِمَاهُ فِي وَجْنَتَيْكَ

التسويد للشاعر عمران القفيني

وَالْفَرَاشَاتُ مَلَّتِ الرَّهْرَ لَمَّا حَدَّثَتْهَا الْأَنْسَامُ عَنْ شَفْتَيْكِ

٢٥ لبنان في سنة ١٩٣٤

لُبْنَانُ يَا جَنَّةَ الْأَرْوَاحِ، مَا فَعَلْتُ بِكَ اللَّيَالِي؟ فَعَادَ الْغُرْسُ مَاسَاتَا
قَدْ كَبَّرُوكَ، لِأَمْرِ صَعْرُوكَ بِهِ، قَدْ فَحَّمُوا الْأَسْمَ، لَكِنْ حَقَّرُوا الذَّاتَا
فِي كُلِّ طَرْفَةٍ عَيْنٍ: أَنْظِمُ جُدُّ مِنْ سَوْءِ حَظِّكَ قَدْ ظَنُّوكَ مَلْهَاتَا
أَنْظِمُ: أَنْظِمَةُ وَقَوَانِينِ، ذَلِكَ فِي عَهْدِ الْإِتْدَابِ الْفَرَنْسِيِّ

كَأَنَّمَا كُنْتَ لَوْحًا فِي مَكَاتِبِهِمْ تَمْضِي الْأَكْفُفُ بِهِ مَحْوًا وَإِثْبَاتَا
اللَّوْحُ فِي الْمَكَاتِبِ، أَيْ الْكَتَاتِبِ، يَكُونُ صَغِيرًا بِيَدِ التَّلْمِذِ يَكْتُبُ فِيهِ الدَّرْسَ، وَعِنْدَمَا يَحْفَظُهُ
يَمْحُوهُ

فَتِيَانُ لُبْنَانَ! هُبُوا مِنْ رُقَادِكُمْ سَيَّانٍ مَنْ نَامَ عَنْ حَقٍّ وَمَنْ مَاتَا

٢٦ مولد المتنبي

تَكَشَّفَ الصُّبْحُ عَنْ طِفْلِ وَمَارِدَةٍ لَهُ عَلَى صَدْرِهَا زَأْرٌ إِذَا غَضِبَا
الَّتِي وَلَدَتْ الْمَتَنَبِيَّ لَيْسَتْ امْرَأَةً عَادِيَةً بَلْ مَارِدَةٌ مِنَ الْمَرَدَةِ، وَهُوَ لَا يَبْكِي عَلَى صَدْرِهَا بَلْ يَزَارُ
كَأَنَّهُ الرُّبُوبُ الرَّجْرَاجُ فِي يَدِهَا أَوْ خَفَقَةُ الْبَرَقِ إِمَّا اهْتَزَّ وَاضْطَرَبَا
نَادَى أَبُوهُ - عَظِيمُ الْجِنِّ - عَثَرَتْهُ فَأَقْبَلُوا يَنْظُرُونَ الْبِدْعَةَ الْعَجَبَا
عَثَرَتْهُ: قَوْمُهُ

مَاذَا نُسَمِّيهِ؟ قَالَ الْبَعْضُ صَاعِقَةً فَقَالَ كَلَّا، فَقَالُوا: عَاصِفًا، فَأَبَى
فَقَامَ كَالطَّوْدِ مِنْهُمْ مَارِدٌ لَيْسَ وَقَالَ: لَمْ تُنْصِفُوهُ اسْمًا وَلَا لَقَبًا
الطَّوْدُ: الْجَبَلُ

سَنَبَعْتُ الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى عَلَى يَدِهِ فَشَغَلَ النَّاسَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكَتُبَا
وَنَجَعَلُ الشَّعْرَ رَبًّا يَسْجُدُونَ لَهُ، فَإِنْ غَوَوْا فَلَقَدْ نَلْنَا بِهِ الْأَرْبَا
وَإِخْتَالَ غَيْرَ قَلِيلٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: سَمِيَّتُهُ الْمَتَنَبِيُّ، فَانْتَشَوْا طَرَبَا
هَلِ النَّبُوءَةُ إِلَّا ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ عَلَى التَّقَالِيدِ حَتَّى تَسْتَحِيلُ هَبَا؟
هَبَا: هَبَاءٌ

مَا ضَرَّ مُوقِدَهَا، وَالْخُلْدُ مَنْزِلُهُ، إِذَا رَمَى نَفْسَهُ فِي نَارِهَا حَطْبَا؟

طَلَبْتَ بِالشَّعْرِ دُونَ الشَّعْرِ مَرْتَبَةً فِشَاءِ رَبُّكَ أَلَّا تُدْرِكَ الطَّلَبَا

يخاطب شاعرنا المتنبّي: لقد طلبت مرتبة أدنى من الشعر، هي الإمارة، فشاء الله ألا تنال طلبك

لَوْلَا طِمَاحُكَ مَا عَنَيْتُ قَافِيَةً بَوَّأَتَهَا الشَّمْسُ، أَوْ قَلَّدَتَهَا الْحَقَبَا

لكن طموحك هو الذي جعلك تغني بالقصائد التي وضعتها في عين الشمس، وجعلتها عقوداً وقلائد في أعناق الدرر

أَضْرَمْتَ ثَوْرَتَكَ الْهُوجَاءَ فَالْتَهَمَتْ مِنْ الْقَرِيضِ الْهَشِيمِ الْغَتَّ وَالْحَشْبَا

وَعَالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الْكَائِدِينَ لَهُ لِنَفْسِهِمْ حَفَرَتْ أَيْدِيهِمُ الثُّرْبَا

الذين حسدوك ونصبوا لك المكائد قتلهم شعرك، فقد حفروا حفرة لأنفسهم بأيديهم

مَنَعَتْ عَنْهُمْ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فَانْحَجَبُوا فَهَلْ تَلُومُهُمْ إِنْ مَرَّقُوا الْحُجْبَا

لَمْ أَلَقْ كَالشَّعْرِ مَظْلُومًا، فَقَدْ حَشَدُوا لِحَرْبِهِ حَسَدَ الْحُسَّادِ وَالنُّوبَا

عَفَوُا نَيْبِي الْقَوَافِي، أَيُّ نَابِغَةٍ لَمْ يَزْرَعُوا حَوْلَهُ الْبُهْتَانَ وَالْكَذِبَا؟

يُرْمَى بِكُلِّ قَبِيحٍ مِنْ مَنَالِبِهِمْ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الْأَنْصَابَ إِنْ ذَهَبَا

يرمى النابغة في حياته بالمناقب، المعائب، فإذا مات رفعوا له الأنصاب، التماثيل، لتخليده

مِثْلَ الْمَسِيحِ تَعَالَوْا فِي أَذْيَتِهِ، وَالْهُوَّةُ، وَلَكِنْ بَعْدَمَا صُلِبَا

٢٧ الفردوسي

في حفل جامعة الحكمة ببلقان في ذكرى شاعر الفرس الفردوسي، ١٩٣٥

هَلْ لِلْأَزَاهِرِ عَنْ أَمَانِيهَا خَبَرٌ عَنْ شَاعِرٍ سَكَبَ الْأَطْيَابَ فِي فِيهَا؟

هل جاء الأزهار خبرٌ منقول عن أمهاتها يحدث عن شاعر منح الأزهار غيرها؟

فِي جَنْبِ إِيوَانَ كِسْرَى مِنْ مَوَاهِبِهِ إِيوَانُ شِعْرِ بِهِ كِسْرَى زَهَا تِيهَا

شعر الفردوسي، الذي جاء بعد كسرى بمئات السنين، كان مفخرة للفرس فكأنه إيوان ثان بعد إيوان كسرى، وإيوان كسرى يفتخر بشعر الفردوسي

كَأَنَّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ قِصَائِدِهِ رُوحًا تَغْلَغُلُ فِي الْمَوْتَى فَتُحْيِيهَا

أَشْرَفُ أَبَا قَاسِمٍ كَالشَّمْسِ مُرْتَجِلًا أَنْشُودَةُ النُّورِ، إِنَّ اللَّهَ مُوَحِّيهَا

مَا أَلْفُ عَامٍ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهَا مِنْ سَاعَةٍ عَشَّتْهَا إِلَّا ثَوَانِيهَا

الأعوام الألف التي مرت على ميلادك ليست سوى بضع ثوان بالقياس إلى ساعة واحدة مملوءة بالإبداع من عمرك

أَهْدَيْتَ مِيراثَ كِسْرَى كُلَّ قَافِيَةٍ إِنَّ مَاتَ قَائِلُهَا مَا مَاتَ رَاوِيهَا
فَرُحْتَ تَبَعْتُهَا مِنْ عَبَقَرٍ شَرَّارٍ مَوْضُوعَةً بِأَوَالِيهَا تَوَالِيهَا
عَبَقَرُ: المكان الذي تعيش فيه شياطين الشعر الوهمية في تراث العرب، أواليها: أوائلها، تواليها: لواحقتها

يَا لِلْعُقُوقِ، أَيَبْنِي مَجْدَ أُمَّتِي حَتَّى إِذَا سَاوَرَتْ نَفْسًا أَمَانِيهَا .
ثمة حكايات عن تعرض الفردوسي للعقوق من السلطان بعد أن كتب ملحمة الشاهنامه

حَتَّى إِذَا مَدَّ لِإِلَآءٍ رَاحَتَهُ نَحْوَ الْأَرِيكََةِ عَصْنَتُهُ أَقَاعِيهَا
الآلاء: النعم، الجواثر، نحو الأريكة: نحو السلطان الجالس على سرير الملك

إِنْ وَقَتَ أُمَّةٌ يَوْمًا لِشَاعِرِهَا رَمَاهُ سَافِلُهَا عَنْ قَوْسٍ وَاشِيهَا
إِذَا أَسَاءَتْ إِلَى الْآدَابِ مَمْلُكَةٌ فَاصْبِرْ عَلَيْهَا، فَقَدْ قَامَتْ نَوَاعِيهَا

٢٨ رثاء الكاظمي، ١٩٣٥

هَلْ أَذْنَبَ الشَّيْخُ حَيًّا حَتَّى إِذَا مَاتَ تَابَا
كنتم تهملون الشيخ الشاعر عبد المحسن الكاظمي في حياته، فهل كان مذنباً؟ وصرتم تمجدونه بعد موته، فهل تراه تاب ميتاً؟

وَحِينَ أَمْسَى غَنِيًّا عَنْكُمْ عَدَوْتُمْ صَحَابَا
عندما استغنى عنكم، بالموت، صرتم أصحاباً له

لَوْ رُدَّتِ الرُّوحُ فِيهِ لَا زُورَ عَنْكُمْ عِيَابَا
لازور: لأشاح بوجهه عنكم

أَهْمَلْتُمُوهُ حُسَامًا وَضُنْتُموهُ قِرَابَا
الحسام السيف، والقرباب غمده

٢٩ العنف والعنفوان

في ثورة ١٩٣٦ بفلسطين

سَائِلِ الْعَلِيَاءِ عَنَّا وَالزَّمَانَا هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةً مُذْ عَرَفَانَا
أسأل العلياء، المجد، وأسأل الزمان: هل خفرتنا ذمة، تحنناً عهداً، منذ أن عرفنا المجد والزمنا؟

الْمُرُوءَاتُ الَّتِي عَاشَتْ بِنَا لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرًا فِي دِمَانَا

يَا جِهَاداً صَفَّقَ الْمَجْدُ لَهُ لَيْسَ الْغَارُ عَلَيْهِ الْأَرْجُونَا
أيها الجهاد الذي انتشى له المجد، لقد اكتسى الغار، إكليل المجد، بسبب هذا الجهاد بالدم
الأرجواني، الأحمر

شَرَفَ بَاهَتْ فَلَسْطِينُ بِهِ وَبِنَاءٍ لِلْمَعَالِي لَا يُدَانِي
شَرَفَ لِلْمَوْتِ أَنْ نُظْعِمَهُ أَنْفُساً جَبَّارَةً تَأْبَى الْهَوَانَا
وَرَدَّةٌ مِنْ دَمِنَا فِي يَدِهِ لَوْ أَتَى النَّارَ بِهَا حَالَتْ جِنَانَا
أنفسنا الجبارة هي وردة من دمنا في يد الموت، ولو أتى بها إلى الجحيم لتحولت إلى جنة
أنشروا الهولَ وضُوبوا نارَكُم كيفما شئْتُم فلنَ تَلْقُوا جَبَانَا
يخاطب المحتلين الإنجليز

عَذَّتِ الْأَحْدَاثُ مِنَّا أَنْفُساً لَمْ يَزِدْهَا الْعُنْفُ إِلَّا عُنْفُونَا

٣٠ ضامن الخلود

نَجِيُّ الْعُلَى حَزَبٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ حَيِّي كَمِنْدِيلٍ بِصَدْرِ فِتَاةٍ

الشاب الشامخ الذي يناجي العلى، ويكلم المجد، معاد لشهواته مترفع عنها، وهو يمتلك الحياة
فكأنه مندبل في صدر فتاة لا يكاد يبرز. هذا المندبل مجاز بعيد وحلو، ويفتح لك باباً للخيال أيها
الشهواني، وينسبك الشطر الأول

وَلَكِنْ إِذَا الْأَوْطَانُ نَادَتْ، أَجَابَهَا وَقَاحَ كَنَابِ اللَّيْثِ عَضَّ بِشَاةٍ

وقاح: صلب

مِنَ الْجَهْلِ أَنْ تَلْقَى الْمُهَنْدَ بِالْعَصَا وَأَنْ تَدْفَعَ الْأَعْدَاءَ بِالصَّلَوَاتِ

أَبَى لَكَ طَبْعُ الصَّاعِقَاتِ إِذَا هَوَتْ عَلَى قُضْبِ الْمَادِي مُنْجَذِبَاتِ

أبى لك الاكتفاء بالصَّلوات طبعك الذي يشبه طبع الصواعق عندما تنزل في المعركة رابكة قضب
المادي، قضبان الحديد أي السيوف، ومنجذبة إليها

وَخِفَّتْ فُجَاءَاتِ الرَّدَى، فَسَبَقَتْهَا بِوُثْبَةٍ جَبَارٍ إِلَى الدُّرُورَاتِ

خفت أن يفاجئك موت على فراشك فسبقتها إلى المعركة لتقفز إلى ذرى المجد وتموت في المعركة

إِذَا ضَمِنَ الْمَرْءُ الْخُلُودَ عَلَى الصَّبَا، فَمَا عَمْرُهُ الْبَاقِي سِوَى فَضْلَاتِ

٣١ بغداد

قولي لِشَمْسِكِ لَا تَغِيبي وَتَكْبِدِي فَلَكَ الْقُلُوبِ
يا بغداد قولي لشمسك: لا تغيبى وتكيدى، توَسَّطِي، فلَكَ ليس من أفلاك السماء بل هو فلِكَ
قلوبنا المحبة لك

بَغْدَادُ، يَا وَطَنَ الْجِهَا دِ وَمُرْضِعَ الْأَدبِ الْحَصْبِ
عَنَّاكِ دِجْلَةُ وَالْفُرَا تُ قَصَائِدَ الزَّمَنِ الْعَجِيبِ
حَتَّى إِذَا طَلَعَ الرَّشِيدُ دُ وَمَا جَ فِي الْأَفْقِ الرَّحِيبِ
صَهَرَ الْقُرُونِ وَصَاغَهَا تَاجاً لِمَفْرِقِكَ الْحَبِيبِ
بَغْدَادُ، مَا حَمَلَ السُّرَى مِئْنِي، سَوَى شَبَحٍ مُرِيبِ
السرى: سير الليل... وقد حملني إليك وأنا التحيل ذو اللباس المريب

جَفَلْتُ لَهُ الصَّحْرَاءَ وَالـ تَفَّتَ الْكَثِيبُ إِلَى الْكَثِيبِ
وَتَنَصَّتْ زُمَرُ الْجَنَّا دِ مِنْ فُؤِيَهَاتِ الثُّقُوبِ
فؤيهات: تصغير فؤهات

يَتَسَاءَلُونَ، وَقَدْ رَأَوْا قَيْسَ الْمُلُوحِ فِي شُحُوبِي
وَالْتَمَّتْ عَلَى الشُّفَا هِ مُضَرَّجَاتِ بِالنَّسِيبِ
يَتَسَاءَلُونَ: مَنْ الْفَتَى الـ عَرَبِيُّ فِي الرِّزْيِ الْعَرِيبِ؟
أَلَيْتُ أَفْتَحِمُ الْجَحِيبَ سَمَ عَلَى جَوَادٍ مِنْ ذُنُوبِي
حلفت أن أخاطر بالتفكير في المحرمات مما سيفضي بي إلى جهنم

فَأَغُوصُ فِي الْأَبْدِيَّةِ الـ خَرَسَاءِ وَالْأَزَلِ الْقَطُوبِ
الأبدية: منتهى المستقبل، والأزل: منتهى الماضي، القطوب: المتجهم المكسر

أَلَيْتُ: لِكِنِّي ارْعَوَيْتُ تَ وَقَلْتُ: يَا نَفْسِي اهْدئي بي
ارعويت: تراجعت

مَهْمَا سَمَا عَقْلُ الْحَكِيمِ سَمَ يَزِلُّ عَنْ حُجْبِ الْغُيُوبِ

٣٢ سكرة الحزن

سَكْرَةُ الْحَزَنِ سَكْرَةٌ لَيْسَ يَضْحَوُ الـ مَرَّةً مِنْهَا مَا دَامَ فَوْقَ الثَّرَابِ

تَتَغَذَّى بِالذِّكْرِيَّاتِ، وَتَنُمُو بِمَآسِي الْأَوْطَانِ وَالْأَخْبَابِ

٣٣ زمن الغوغاء

يَا أُمَّةً عَدَتِ الذَّنَابُ تَسُوسُهَا
تَعْساً لَهَا مِنْ أُمَّةٍ، فزَعِيمُهَا
رُشِيَّتْ مَا ذِنُّهَا، فلم تَغْضَبْ لَهَا
إِلَّا شَبَاباً كَالرَّبِيعِ، تَهْزُهُمْ
لَيْسَتْ مِنَ الْأَشْبَالِ فِتْيَةُ أُمَّةٍ
أَيَحْكُمُ الْغَوْغَاءُ فِي أَدْبَائِهَا
وَمَنْ تُوَيِّدُ بِالرَّعَاعِ حُكُومَةً:
هَبَطُوا الْجَحِيمَ، فَرَدَّاهُمْ بَوَائِبُهَا
غَرِقَتْ سَفِينَتُهَا، فَأَيْنَ رَئِيسُهَا؟
جَلَادُهَا، وَأَمِينُهَا جَاسُوسُهَا
غَضَبَ الْكِرَامِ، وَبَاعَهَا نَافُوسُهَا
نَسَمَاتُهَا، وَيَصُدُّهُمْ كَابُوسُهَا
إِنْ سَادَ أَحَمَقُهَا وَعَزَّ خَسِيسُهَا
وَيَذُودُ عَنْ سُفَهَايِهَا بُولِيسُهَا
كَانَتْ أَحَطَّ مِنَ الرَّعَاعِ نُفُوسُهَا
إِذَا خَافَ مِنْ إِبْلِيسِهِمْ إِبْلِيسُهَا

٣٤ أنا الثريا

وَرُبُّ أَخٍ رَأَى فَرَجاً بِذِمِّي
فَقُلْتُ رَضِيْتُ ذَمَّكَ لَوْ شَفَاكَ
أَنْظَمْعُ أَنْ تُحَلِّقَ لِلثَّرِيَّا
فَتُظْفِفُهَا، عَدِمْتُ إِذَنْ حِجَاكَ

حجارك: عقلك

٣٥ أبو العلاء المعري

يَا لَهَا ثَوْرَةٌ تَأَجَّجُ فِي صَدِّ
رِكَ، تُرْدِي الظُّنُونُ فِيهَا الظُّنُونَا
بَسْمَةُ الْهُزْءِ، أَيْنَ مِنْهَا أَبُو بَحْرٍ
مِرٍ وَقُولْتِيرُ سَيِّدَا الْهَازِرِينَا
أَبُو بَحْرٍ: لعله يقصد أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ومن كان أبوه بحراً فلا بأس بتكنيته بأبيه
فَأَحَايِينَ لَا أَرَى لَكَ دُنْيَا
وَأَحَايِينَ لَا أَرَى لَكَ دِينَا
لَسْتُ أَدْرِي أَأَنْتَ فِي وَصْفِكَ النَّفْ
سَ مُصِيبٌ، أَمْ الْحَكِيمُ ابْنُ سِينَا
أَيَرَاهَا وَرَقَاءٌ مِنْ رَفَرَفِ الْخُلْدِ
بِدٍ، وَتَبَقَّى لَدَيْكَ مَاءٌ وَطِينَا؟

شبه ابن سينا الروح بورقاء، أي بحمامة، جاءت من رفرف جنة الخلد، أي رياضها. قال ابن سينا: هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ/ورقاء ذات تعزُّز وتمتع. وأبو العلاء ينقل في بعض شعره أن الروح قد تفتى بفناء الجسد: وَالرُّوحُ أَرْضِيَّةٌ فِي رَأْيِ طَائِفَةٍ/وعند قوم ترقى في السماوات

سِرُّ ذِي النَّفْسِ، لَا مَدَارَهُ رُومًا أَدْرَكْتَهُ، وَلَا شَيْخُ أَثِينَا
مداره: جمع مِذْرَه وهو الحكيم الشريف

رُبَّ شَاكٍ فَقَدَ الْعَيُونَ، وَلَا يَنْتَ فَكَّ يَهْدِي الْعُيُونَ لِلْمُبْصِرِينَ
أبو العلاء يشكو فقد البصر، لكنه يهدي إلى المبصرين عيوناً

٣٦ أدب الشراب

وُلِدَ الْهَوَى وَالْخَمْرُ لَبِلَةً مَوْلِدِي وَسَبَّخْمَلَانٍ مَعِي عَلَى أَلْوَا حِي
أَدَبُ الشَّرَابِ إِذَا الْمُدَامَةُ عَرَبَدَتْ فِي كَأْسِهَا أَلَّا تَكُونَ الصَّاحِي

٣٧ عيد الجهاد

في ذكرى اعتقال المفوض الفرنسي رئيس الجمهورية وصحبه
في قلعة راشيا عام ١٩٤٣

قُمْ نَقْبِلْ نَغَرَ الْجِهَادِ وَجِيدَهُ أَشْرَقَ الْكَوْنُ يَوْمَ جَدَّدَ عِيدَهُ
والقصيدة قيلت في ذكرى حبس الرئيس وهو الحدث الذي أرهص باستقلال لبنان عن فرنسا
نحنُ والموتُ صَاحِبَانِ عَلَى الدَّهْرِ مَرَحَشْدُنَا أَرْوَاحَنَا وَبُنُودَهُ
بنوده: راياته

نَحْنُ لَا نَحْسَبُ الْحَيَاةَ حَيَاةً أَوْ نُقَدِّدِي أَوْطَانَنَا الْمَغْبُودَةَ
قُلْ لِمَنْ حَدَّدَ الْقُيُودَ: رُؤِيداً يَعْرِفُ الْحَقُّ أَنْ يَفُكَّ قُيُودَهُ
حدد القيود: جعلها من حديد

لَنْ نَرَاهَا، إِنْ لَمْ نَمُتْ فِي هَوَاهَا، أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَدُنْيَا جَدِيدَةٌ

٣٨ ظلم في التشارين الماضية

في ذكرى الاستقلال في تشرين الثاني ١٩٤٣

نَصَحْتُهُ بَعْدَ طُولِ الْغَيِّ فَانْتَصَحَا وَنَهْنَهَ الْعَدْلُ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى فَصَحَا
نهنه: خَفَّفَ

قَلْبٌ تَمَرَّسَ بِاللَّذَاتِ وَهُوَ فَتَى كَبُرْغُمَ لَمَسْنَهُ الرِّيحُ فَانْفَتَحَا
يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزناً وَلَا فَرْحاً كَعَاثِقٍ خَطَّ سَطْراً فِي الْهَوَى وَمَحَا

مَا لِلْأَفَاجِيَةِ السَّمَرَاءِ قَدْ صَرَفَتْ عَنَّا هَوَاهَا، أَرَقُّ الْحُسْنِ مَا سَمَحَا

أفحوانة شاعرنا سمراء.. على عكس الطبيعة، ولتكن من أي لون ما دامت قد صرفت عنه نظرها.. عموماً: أرق الحسن ما سمح، على عكس ما قال الشعراء في طول تاريخ الشعر العربي وعرضه. لا بأس، هي مقدمة غزلية لقصيدة وطنية

تَشْرِينُ، قُلْ لِلتَّشَارِينِ الَّتِي سَلَفَتْ لَنَا عِتَابٌ، وَلَا نَرْضَاهُ إِنْ جَرَحَا..

يا شهر تشرين الثاني، شهر المناسبة الوطنية، قل للتشارين التي مضت في سالف الدهر إن لنا عتاباً ولا نرضى أن يكون جارحاً..

أَسْمَى وَأَكْرَمُ عَفْوٍ أَنْتَ مَا نَحُهُ عَفْوُ الذَّبِيحِ عَنِ السَّيْفِ الَّذِي ذَبَحَا..

يطلب العفو من شهر المناسبة، وخير العفو عفو الذبيح عن سيف ذبحه..

مَا ضَرَّنِي، وَلِسَانُ الشَّعْرِ يَهْتَفُ بِي إِذَا تَبَسَّسَ وَجْهُ الدَّهْرِ أَوْ كَلَحَا

ولا يهمني، وقد هتف بي هائف الشعر ونزل علي وجهه، أكان الدهر ابتسم أم كبح، أي كشر.. لا شيء يهمني وأريد أن أقول الحق..

لَكِنَّهُ وَطَنٌ قَدْ دَيْتُ مَهْجَتَهُ بِمَهْجَتِي، نَبَذَ الْأَحْرَارَ وَاطَّرَحَا

الوطن قد طرح الأحرار جانباً ونبذهم

سَلَى الْبَحَارَ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِفَيْتِيَّتِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ لَمْ يُطِقْ كَذْحًا وَمَنْ كَذَحَا

اللبنانيون هاجروا وملأوا البحار سواء منهم من كان يطيق العمل الشاق أم من لا يطيقه

شَطْرَانِ قَلْبِي، شَطْرُ لِمُقِيمٍ بِهِ عَلَى الْوَفَاءِ، وَشَطْرُ لِّلَّذِي نَزَحَا

٣٩ مدح الملك عبد العزيز آل سعود

عَبْدَ الْعَزِيزِ! أَصَابَ الْعُرْبُ بُغْيَتَهُمْ لَمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَنْتَ وَالْأَمَلُ

عبد العزيز! وما أومت أكفهم إلا إليك، إذا قالوا: من الرجل؟

٤٠ المصير

لَسْتَ تَدْرِي، وَلَا أَنَا مِنْكَ أَدْرَى فَعَلَامَ الْخِصَامُ؟ فَالَسَّلُمُ أُخْرَى

يخاطب صاحباً: كلانا لا يدري سر هذا الكون، فعلام الاختلاف والخصام

أَجْهَلُ النَّاسِ مُدَّعٍ يَحْسَبُ الْعُدَّ سَمَ كِتَاباً، وَيَحْسَبُ الْفَنَّ سَطْرَا

ويَحْ هَٰذَا الْعُقُولِ لَمْ تُصِبِ الرَّمْدُ يَمَةً يَوْمًا إِلَّا لِتُخْطِئَ عَشْرَا

دُونَ مَا تَبْتَغِيهِ، مِنْ كُنْهِ هَذَا الـ كَوْنٍ سِرٌّ فِيهِ الْجَوَابُ اسْتَقَرَّ

الجواب بشأن كنه الكون، حقيقته، موجود داخل سر

سَمِّهِ الضَّفَّةَ الَّتِي يَعْبُرُ الْأَخـ بِيَاءٌ مِنْهَا، أَوْ سَمِّ ذَلِكَ جِسْرًا

ليكن هذا العالم ضفة نعب منها إلى ضفة الآخرة، أو ليكن جسراً

سَمِّهِ الْمَصْنَعَ الَّذِي يَفْعَلُ التَّحـ لَيْلٌ فِي جَوْفِهِ عَجَائِبُ كُبْرَى

يَتَلَقَّى الْأَجْسَامَ وَهِيَ جَمَادٌ ثُمَّ يُعْطِيْكَهَا حَيَاةً وَفِكْرًا

سَمِّهِ الْهَازِئَ الْعَظِيمَ إِذَا رَا فَكٌ، أَوْ سَمِّهِ، إِذَا شِئْتَ، قَبْرًا

أو ليكن اسم الكون الهازئ العظيم الذي يهزأ بالبشر، أو ليكن اسمه قبراً... فهو بهذا الاسم
النهاية التي ليس بعدها بعث

٤١ منتهى الذل

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْكَلْبَ يَعْوِي، وَرُبَّمَا تَقَحَّمْ مُؤْذِيَهُ وَعَضَّ بِنَابِهِ

تقحم: هاجم

وَفِي الشَّرْقِ نَاسٌ لَوْ سَخَقْتَ رُؤُوسَهُمْ لَمَّا تَبَسُّوا فَلْيَخْجَلُوا مِنْ كِلَابِهِ

بشارة الخوري (الأخطل الصغير) فهرس القوافي

١٦	وَمِنْقَرُ	٢٨	تابا
١٩	مَقَادِرِهِ	٢٦	عَضِبَا
٣٣	رَئِيسُهَا	٣٢	الثُّرَابِ
٢٣	الْبِرِّاقَا	٣١	الْقُلُوبِ
٩	الْعُنُقَا	٤١	بِنَايِهِ
٧	الْأَرْزَاقِ	٢٥	مَآسَاتَا
٣٤	شَفَاكََا	٣٠	فَتَاةِ
٢٤	تَاجِيكَ	٣٨	فَصَحَا
٣٩	وَالْأَمَلُ	٣٦	أَلْوَاحِي
٨	الدُّوَلِ	٢١	الفادي
١١	قَتْلُ	٥	الكَبِدِ
١	وَسَلْمَا	٢	فَتَوَرَّدَ
١٤	لِزَامُ	١٢	صَدِّكَ
٢٢	هَمِّي	٣٧	عِيَدَه
٦	يَرْحَمُكَ	٤٠	أَحْرَى
٤	إِحْسَانَا	١٧	المُسْتَعَارَا
٣٥	الطُّنُونَا	١٠	الخَبْرُ

٣	الْوُجُوهُ	٢٩	عَرَفَانَا
١٣	عَلَيَّا	١٨	اللُّجَيْنِ
٢٧	فِيهَا	١٥	زَمَانِهِ
		٢٠	عَيْنَاهَا

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) (١٨٨٧ - ١٩٨٤)

قرأت أشعار رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) واخترت لك أطايبها.
وشرحت بعض الألفاظ والمعاني.

القروي أكثر المهجريين محافظة على سلامة اللغة وروح الشعر العربي العمودي. وفي هذه المقدمة المفككة بعض ما قد تَطَلَّبُ معرفته من معلومات عن هذا الشاعر، وعن طريقة ترتيبه لهذه الباقة من شعره. وباقتي ليست أزهاراً منتقاة كيفما اتفق: هي أجمل ما في الحقل من أزهار. نعم، نخلت الديوان نخلاً، ومخضته مخضاً، ولم أغادر فيه بيتاً رائعاً إلا ضمته إلى هذه الباقة التي أقدمها إليك.

وصف طبعة الديوان التي منها أخذت

جمع الديوان وبوبه وقَدِّمَ له «مكتب التدقيق اللغوي»، منشورات جروس برس/طرابلس لبنان، ١٩٩٢.

الديوان في هذه الطبعة ينقل عن الطبعة السادسة من ديوان القروي التي صدرت بإشرافه قبل وفاته بعام. ثم زيد في هذه الطبعة الكثير من أوراقه الخاصة.

الطبعة مضبوطة ضبطاً ممتازاً. وفيها مقدمات بقلم الشاعر والمحقق تستغرق خمسين صفحة. وهي مرتبة على أحرف الهجاء خلافاً للطبعة السادسة المرتبة على أبواب ثمانية.

وفهرسها قليل الفائدة لأنه مرتب على الروي أيضاً. ولا ندري لم لا يفتن الناشرون إلى أن فهرسهم هو مجرد تكرار لمتن الكتاب. نفتح ديوان الشعر فنراه مرتباً على القوافي: الهمزيات ثم البائيات ثم التائيات إلى آخر قصائد الديوان. ثم يأتي الفهرس علة على القلب: يأتي وهو يفهرس لك القصائد بحسب ترتيبها في صفحات الديوان. فما نفع فهرس كهذا؟ هلا فهرستم على المعاني والأغراض؟ هلا صنعتهم فهرساً تاريخياً يرتب القصائد بحسب تسلسلها الزمني؟ هلا استغنيتهم عن الفهرس ووفرتم بضع صفحات؟

على أن ديوان القروي الذي اعتمدناه يتميز بأن مناسبات القصائد وملاساتها مكتوبة بقلم القروي، حتى وإن ساقها أحياناً بضمير الغائب. وهذا ثمين. والرجل ناثر ذو قلم جميل.

توفي الشاعر القروي في ٢٧ آب/أغسطس ١٩٨٤.

معلومات من مقدمة القروي لديوان من دواوينه، وكتبها عام ١٩٥٢

ولد في ١٨٨٧/٤/٥. أمه تقلا بنت أسعد بشارة الرحباني. وأبوه سليم بن طنوس الخوري. نزح جده من الشوير إلى البربارة، واشتغلت العائلة بالحدادة. أبوه درس في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية اليوم) ومارس التعليم، ثم تجارة التبغ والحرير فأصاب ثروة معتدلة. وخلف جده على مشيخة القرية، وكان له بعض النظم والنثر.

قيصر (الشاعر المدني) أخوه، ويصغره بأربع سنوات ونصف. وهاجر إلى صنبول (وهكذا يسمي القروي ساو باولو في البرازيل) وفتح محلاً. فكتوريا، هاجرت إلى الولايات المتحدة. فيليب: تغرب أيضاً. فؤاد: خطاط، مات إبان الحرب العالمية الأولى. أديب: هاجر إلى البرازيل. ونديم، ودعد.

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) بكر أبويه.

تعلم في مدارس القرية. كان ذا صوت جهير جميل. أنهى «الاستعدادية» في الكلية السورية الإنجيلية ببيروت. وعلم سبع سنوات. وتنقل في التعليم كثيراً سعياً وراء «أفضل الشروط».

طوله ١٧٨. ووزنه ٦٧ كيلو. لم يدخن قط. وكان قليل احتساء الخمر. شره إلى البرتقال، وسائر الفاكهة. أنيق؛ لبس الجوخة الإنجليزية حتى وعد

بلفور، ثم قاطعها. يغني ويعزف على العود، ويلحن. يطالع الأخبار العلمية. وقرأ كثيراً من القصص الروسية مترجمة إلى العربية.

عرف كلمات إنجليزية قليلة، وكلمات برتغالية أقل (رغم العقود التي عاشها في البرازيل الناطقة بالبرتغالية). ولم يكمل قط مطالعة كتاب غير عربي. ويغترف من العربية اغترافاً.

أحب وبكى كثيراً، وأحب وأبكى أكثر، هكذا يزعم. ولم يكن مستهتراً. وكثيراً ما انتقل من مكان إقامته في سبيل خنق حب في مهده، إشفاقاً على صاحبه وعلى نفسه. كذا زعم.

وكان عشقه يتجدد في كل سنة دراسية، ومع كل انتقال. وابتلي بالمعاصي كسائر الشباب. واستتر ما وسعه الاستتار. ولم يُخلّ في غرامياته بالآداب العامة. لم يتزوج قط.

توفي أبوه سنة ١٩١٠. وهاجر هو في سنة ١٩١٣ إلى البرازيل، إلى مدينة مريانا. ولبث عند عمه سنة، ثم حمل الكشة (صندوق من الزنك يملأونه بمختلف السلع، أو بسطات من الأقمشة يشدونها رزماً ويعلقونها بأكتافهم بسيور جلدية ويجولون بها في القرى) وانطلق. ثم ذهب إلى ريو دي جانيرو. وصار يعلم العزف على العود ارتفاقاً. وعلم سنة في مدرسة جمعية «زهرة الإحسان» في الريو، ثم انتقل إلى صنبول (ساو باولو) عام ١٩١٥، وعلم في مدارس عربية وأجنبية، وفي البيوت. وتجول في الولايات البرازيلية معتمداً لبعض المحلات التجارية.

أصبح شاعر صنبول. وتولى رئاسة تحرير جريدة «الرابطة» ثلاث سنوات عقب وفاة الرئيس الأول خليل سعادة سنة ١٩٣٤.

هاجرت أمه وإخوته إلى البرازيل في سنة ١٩٢٤، مما قلب موازينه المالية.

فتح مصنعاً لربطات العنق، ثم باعه بعد ثلاث سنوات.

عرف معلومات أكثر عن الإسلام عام ١٩٢٧ من كتاب نظيرة زين الدين «الحجاب والسفور»، وكان شاكراً لها.

لقب نفسه الشاعر القروي عقب مقال لصحفي في المهجر قال فيه مستخفاً: (من هو هذا القروي؟ شاعر جرن الكبة؟)

معلومات أخرى عن الشاعر

ولد في الثقافة العربية، وعرف عن قرب الأجانب الذين فتحوا المدارس في بلاد الشرق، فقد كان معلماً بضع سنوات. وكره سعيهم لصبغ ثقافة البلاد بصبغة غربية، وكانت له معهم مناوشات. وظل، إلى النهاية، عربياً يكره الغرب.

قال القروي - فيما نقله جورج طراد في كتابه (الشاعر القروي: آخر الأوراق) -: «يكهربني الجمال، وأضحك للنكتة البكر ضحكة ذات جلاجل وأجراس». هذه روح شاعر يحب الفقشة البلاغية.

هاجمه ميخائيل نعيمة في كتابه النقدي «الغربال» في العشرينات، واستمرت العداوة بينهما حتى النهاية. وانتهيا معاً، فهما لدتان تقريباً والقروي أسنُّ بستين. القروي عاش سبعاً وتسعين، ونعيمة عاش تسعاً وتسعين.

يصف جورج طراد في كتابه الممتاز عن الشاعر القروي قصصاً عن محاولات جرت لإصلاح ما بين الشيخين نعيمة والقروي، وكيف أخفقت كلها، ومات كل منهما عن عمر يقارب القرن ولما تُنِتِ العداوة القديمة. وقد التقيت المؤلف في بيروت واستضافته في برنامج سأكحي لكم بعد فقرات قلائل، وميزة كتابه أن المؤلف التقى بالقروي كثيراً وكان زائراً دائماً في بيته بقريته البربارة أو في بيت ابنة خالته ببيروت، واطلع على كثير من أوراقه ونشر بعضها مصوراً في كتابه.

رجع القروي إلى بلاده في عام ١٩٥٨. وأيد جمال عبد الناصر بقوة، ذلك أيام الوحدة بين مصر وسورية. وظل يقبض مرتباً من الحكومة السورية زمناً. ثم عاش في قريته البربارة بلبنان حتى مات. وككل من هاجروا قبل تقسيم البلاد على يد المستعمر الأوروبي، لم يستطع القروي أن يفهم أبداً أن لبنان بلد وسورية بلد آخر. ظل يرى البلدين بلداً واحداً مثلما كان الأمر قبل هجرته.

كلام عن شعره

القروي فحل، وشعره جزل. لغته سليمة، وساعده اشتغاله بالتعليم. هو ذو بصر باللغة، وذو اطلاع على شعر القدماء. يبرز القروي في هذا كله رفيقه فرحات. ولكنه يشبه زميل مهجره فرحات في شغفه بالمعاني الغربية، وفي أنه نشأ على حب الزجل، الشعر العامي اللبناني، القريب من شعر الفصحى في

عهوده المتأخرة من حيث وفرة ما فيه من نكت بلاغية ومعان مصنوعة.

يحب القروي أن يقص قصة في قصيدته، مثل إيليا أبو ماضي.

والقروي متأنق يشذب شعره، ولا كذلك فرحات. والقروي يمعن في اقتناص المعاني، يعرض له المعنى فيُريغه إلى أن يتفق له وضعه في صورة حسنة.

قد فرقت كلامي عن شعر القروي في أثناء شرحي للأبيات. وهو شعر سهل على جزالته، ولا يحتاج إلى كثير شرح. وأخاف إن أنا وضعت مقالاً ضافياً في المقدمة عن صفات شعر القروي أن يقرأ كلامي شاب ناشئ من محبي الأدب فيأخذ منه عبارات يضمنها بحثاً مدرسياً. وهذا سخف. أنصح أن يقرأ شعر الرجل ويحس به.

لم أشرح كثيراً. ربما لأنني مللت شرح الشعر.

طبعَت بعض الأبيات بخط مشدد حتى يجدها القارئ بسهولة، وحتى يتلمظ بها. هذه الأبيات المسوَّدة تسويداً تصلح للمذاكرة. وفيها إيجاز، أو طرافة، أو قوة، أو كل ذلك معاً. إنها فرائد الأبيات. وقد تجد قصيدة عامرة رائعة وليس بها بيت مشدد، ذلك لأن القصيدة جميلة بمجموعها، وفيها تماسك يمنع نزع بيت منها.

أكتب لك عن القروي بعد أن أضجرتني التدقيق الكثير.

قد رتبت أبياته ترتيباً زمنياً بقدر ما أسعفتني المصادر. ولكنني لا أزعم الدقة في هذا الأمر. وعلى الدارس المحقق، إن أراد ترتيب ديوان القروي، أن يرجع إلى الدواوين في طبعاتها المختلفة، ولا سيما الأصلية، وإلى الجرائد.

وبالله عليكم! لماذا تشغلون أنفسكم في الجامعات بأشعار القدماء، وتلقفون رسائل دكتوراة لا ترقى في قيمتها العلمية إلى أخمص ما صنعه المستشرقون، عجزاً منكم وجهلاً وقلة فهم، وكسلاً؛ وتركون أشعاراً أنتم أقدر على فهمها. أنتظرون أن تصبح عتيقة، وأن تضع مصادرها حتى تنهضوا لتحقيقها؟ الآن، اذهبوا واجمعوا شعر القروي من مصادره الأصلية في البرازيل وسورية ولبنان. وحققوه كاملاً وفهرسوه فهرسة علمية منظمة. وادرسوه إن شئتم، وإن كنت لا أثق بأي درس أو تعمق منكم أيها المتنطِّحون إلى حرف الدال. هذا بعيد عنكم. لتفهرسوا الأشياء ولتطبعوا الشعر طباعة سليمة،

ولتدققوا في تشكيكه ومعانيه. وهذا شيء غير قليل. ولا أقول إن هذا قصاراكم، بل هذا ما لن تبلغوه إلا أن تُساطوا، إنه قصارى قصاراكم.

مجموعتي هذه من أشعار رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) هي مختارات وحسب. وقد سميتُ كل قصيدة أو قطعة باسم من عندي. ولم أعدد رقيباً على الرجل. قد أُحِبُّ بعض آرائه وأكره بعضها. لكنني اخترت ما أعجبنى بما هو شعر.

كنت أكتشفُ في التدقيق بعد التدقيق على نسختي هذه أغلاطاً وأوهاماً فأصلحها. ولا أزعم أنني نزهت المجموعة عن كل غلط ووهم. لكنني بذلت وسعي. وبذل وسعه معي الشاعر عمران القفيني، فقد أصلح لي أغلاط هذا الفصل، وكل فصل من فصول هذا الكتاب، متفضلاً عليّ مطوقاً عنقي بجميله.

كلمة أخيرة

مضت على الأسطر السابقة في هذه المقدمة ثماني سنوات. فقد كنت فرغت من اختيار وشرح الشاعر القروي باكراً. وفي هذه السنوات الثماني حدثت في بلاد العرب ثورات وحروب أهلية، ولما كان «القروي» شاعر «القومية العربية» فإنني سأعيد قراءة ما قلته عنه وعن شعره في ديول الأبيات، وقد يكون لي تعليق من وحي الأحداث، وقد لا يكون. وحدث في هذه السنوات، وقبل أن تنفجر المنطقة العربية بقليل، أن قصدتُ لبنان كي أصنع فلماً وثائقياً عن حال اللغة العربية في ذلك البلد. وصنعت. وسميته «عظام العربية في لبنان»، وهو ككل شيء في هذه الدنيا موجود على اليوتيوب، إلا أن ينفجر اليوتيوب فيما بين يومي هذا الذي أكتب فيه هذا الذيل على المقدمة، وهو تاسع أبريل/نيسان ٢٠١٧، وبين خروج الكتاب من بين تروس المطبعة إن كان سيقبض له أن يخرج.

سقت فريق التصوير إلى البربرة قرية الشاعر القروي، وبحثنا سويعة عن بيته. فوجدناه خالياً عليه سيماء الهجر. فجسنا في الحديقة المهجورة بين الأعشاب والأشواك. وهناك بين أشجار السرو وجدنا قبر القروي. فصورناه. ولكن، أين الصليب والهِلال اللذين أوصى شاعرنا أن يوضعاً على القبر؟ بعد طول البحث وجدنا قائماً من حديد صدئ في رأسه صليب يحتضنه هلال، وجدناه مخفياً وراء جدار، فصورناه.

وكان القروي أوصى أن تتلى على قبره الفاتحة والصلاة الربانية. فصاحبنا قال إنه عاش مسيحياً أرثوذكسياً ويموت مسيحياً أرثوذكسياً، لكن الإسلام كان متغلغلاً في ضميره من باب العروبة. وكنت قرأت أن الخوري رفض يوم الدفن أن يقرأ الصلاة الربانية على جثمان القروي. فتصدت للأمر، وقرأت منها على قبره ما أحفظ: أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، لأن لك الملك والقدرة والمجد إلى أبد الدهور، آمين. وأردفت بالفاتحة.. مجرد احتياط، فقد يكون الشيخ رفض قراءتها أيضاً.

شاعرنا القروي شاعر غضوب. يحب الغزل ويسيل رقة، ثم يغضب غضبة مضرية في مسائل السياسة.

١ الدستور

كفى! يكفي! لقد طَفَحَ الإناءُ وضجَّ لهذه الفوضى الفضاءُ
أتى في عصره الدستورُ، لكنْ كما طَلَعَتْ على الأعمى دُكَاءُ
دُكَاءُ: الشمس (الدستور العثماني صدر عام ١٩٠٨، وقَّده السلطان عبد الحميد)

فسادٌ في الدَّوائرِ، واختلالٌ وظلم في المحاكمِ، والتَّواءُ

٢ بلاد فوق الماء

قال الشاعر القروي بمناسبة غرق التينانك (وغرقت سنة ١٩١٢):

جالاً بمُعْتَرِكِ الصَّدَامِ، فلم يُطَقْ جَبَلُ الحَديدِ مَعَ الجَلِيدِ جَلاداً
جلاداً: عراقاً

فَهَوَى إلى الأعماقِ يَلْبَسُ لُجَّهَا كَفَنًا، وَيَفْتَرِشُ القَرَارَ وَسَادَا
ضاقَتْ بلادُ الإنجليزِ بأهلِها فَبَنَوْا لَهُمْ فَوْقَ البَحَارِ بلاداً

٣ شبيبة

قال الشاعر القروي، وكان يقيم في بلدة «سوق الغرب» سنة ١٩١٣:

تَبَدَّثْ، وميعادُ المشيبِ بَعِيدُ وجيشُ أمانِي الشَّبابِ عَدِيدُ
ظهرت الشعرة البيضاء مبكرة، وما زال الشباب في عفوانه وأماني الشباب جيش كبير

وَلَا عَجَبُ أَنْ وَلَدَ الْفَحْمُ مَاسَةً بِرَأْسِي، وَضَغَطَ الْحَادِثَاتِ شَدِيدُ

تشبيه مبتكر، ومصنوع بجذق

يَلُوحُ خِلَالِ الشَّعْرِ نُورٌ بَيَاضِهَا كَمَا لَاحَ فِي لَيْلِ الْخُطُوبِ رَشِيدُ
وهذه الشعرة البيضاء تبدو بين أخواتها السود كما يبدو متبراً الشخص الرشيد (العاقل) وسط ليل
الخطوب (سواد المصائب)، ورشيد اسم الشاعر

تَجَلَّثْتُ عَلَى عَرْشِ الشَّبَابِ كَسَيِّدٍ حَوَالِيهِ مِنْ سُودِ الشُّعُورِ عَبِيدُ

الشعور: الشرعات

يَخَاطِبُنَا مِنْ قِمَةِ الرَّأْسِ قَائِلًا: أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّشَادَ يَسْوُدُ

الشعرة البيضاء التي هي كالسيد تقول: الشيب وما يرمز إليه من رصانة سوف يسود

هِيَ الشَّعَرَاتُ الْبَيْضُ مِنْ دَوْلَةِ الْهُدَى مَنَادِيْبٌ، تَدْعُو لِلْهُدَى، وَوُفُودُ

مناديب: جمع مندوب، فالشرعات البيض موفدة من دولة الهدى (العقل) لتدعو الشاب إلى ترك
الحماقات

لَهُنَّ اشْتِعَالٌ فِي النَّوَاصِي كَأَلْسِنٍ مِنَ النَّارِ، لَكِنْ مَا لَهُنَّ خُمُودُ

النواصي: جوانب الرأس

سَائِرُكُهَا تُعْغِي بِهِ أَخَوَاتِهَا عَلَى مَهَلٍ، فَالْنَزْعُ لَيْسَ يُفِيدُ

وَفِي نَزْعِهَا أَغْدُو كَقَاضِبِ كَرْمَةٍ يُشْدَبُّ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَتَزِيدُ

قاضب الكرم: الشخص الذي يشذب أغصان شجرة العنب لتنمو وتشتد

٤ دُمِّلَ الرُّوحُ

قال الشاعر القروي على ضريح والد صديقه شكري زيدان الدمشقي:

أَيُّهَا اللَّابِسُ الْجَدِيدَ هَنِيئًا مَا تُلَاقِي مِنْ رَاحَةٍ وَحُبُورٍ

قَدْ يُمَلُّ الْمَلْبُوسُ عَامًا فَعَامًا وَلَئِنْ كَانَ مِنْ نَفِيسِ الْحَرِيرِ

إِنَّمَا الْجِسْمُ دُمِّلَ الرُّوحَ، يَسْتَأْ صِلُهُ الْمَوْتُ عِنْدَ بَابِ الْحَفِيرِ

٥ غَزْوَةُ فَرَزْدَقِيَّةٍ

لَيْسْتُ إِلَى الْعِذْرَاءِ جُبَّةً رَاهِبٍ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا كَفُّ نَاسِجٍ

جعل الليل ستاره، فالليل جبة لم ينسجها ناسج

وَبِثَّ حَيَالَ الْقَصْرِ أَرْغَى إِشَارَةً بِأَبْيَضَ: يَعْنِي جِيءَ، وَأَحْمَرَ: لَا تَحْجِي
حيال: قرب، أرعى: أراقب

تَطَوَّقُنِي أَغْصَانُ دَوْحٍ، كَأَنَّهَا مَعَاصِمُ مِنْ نُوَارِهَا فِي دَمَالِجٍ
دَوْحٌ: شَجَرٌ مُلْتَفٌ، الْأَغْصَانُ كَأَنَّهَا الْأَيْدِي، وَنَوَارُهَا (زَهْرُهَا) كَالدَّمَالِجِ (الْأَسَاوِرِ)

إِذَا دَاعَبَتْهَا الرِّيحُ مَادَتْ، فَخَلَّتْنِي أُطِلُّ عَلَى عُجْمَدَانَ بَيْنَ الْهُوَادِجِ
تَمَائِلُ الْغُصُونِ فَأَحْسَبُ نَفْسِي أُطِلُّ عَلَى قَصْرِ عُجْمَدَانَ (قَصْرِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ) مِنْ بَيْنِ الْهُوَادِجِ
المتمايلة فوق الجمال

وَمَا زِلْتُ، حَتَّى اخْدَعَشَرَ اللَّيْلُ، أَتَّقِي بِأَفْيَائِهَا رَيْبَ الْعَيُونِ الْحَوَادِجِ
اخْدَعَشَرَ اللَّيْلُ: صَارَتْ السَّاعَةُ ١١؛ ظَلَلْتُ حَتَّى الْحَادِيَةِ عَشْرَةٍ أَسْتَرُ بِأَفْيَاءِ (ظِلَالِ) الْغُصُونِ مِنْ
خطر العيون الحوارج (المحدقة)

فَلَمَّا أَزْيَحَ السَّجْفُ أَوْرَقَ طَالِعِي وَأَزْهَرَ فِي مِنْدِيلِهَا الْمَتَمَاجِ
السجف: الستر، أورق طالعي: ابتسم لي الحظ

وَرَاخَ فُؤَادِي وَائِبًا فِي أَضَالِعِي كَوْتُبِي فِي أَعْطَافِ تِلْكَ الْمَدَارِجِ
فؤادي يشب بين ضلوعي، مثل وثبي أنا فوق درجات القصر متوجهاً إلى الحبيبة

وَقَعْتُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي رِعْدَةِ الْهُوَى فَلَاذَتْ بِصَدْرِي، تَضْطَلِّي بِلَوَاعِجِي
وقعت عليها (لقيتها) وهي في رعدة الهوى (ارتجافة اللقاء الغرامي). فلاذت بصدري (التجأت
لصدري)، تندفأ بلواعجي (حُرْفِي)

وَرُخْتُ بِرَوْضِ التَّهْدِ وَالْخَدِّ عَابِثًا أَنْقَلُ كَفِّي بَيْسَنَ فِجٍّ وَنَاضِجِ
وعينُ الهوى، تحت الظلام، بصيرةً بِمَا عَنْهُ تَغْمَى تَحْتَ نَوْرِ الْمَسَارِجِ
المسارج: المنصايح

وَكَمْ فَازَ فِي دُنْيَا الْهُوَى عُذْمُ شَاعِرٍ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ كُنُوزُ الْمَهَارِجِ
عدم الشاعر (فقره) كثيراً ما فاز في الحب بأمور تعجز عن تحقيقها كنوز المهارج (جمع مهرجا):
وهو الأمير عند الهنود

فَقَالَتْ، وَقَدْ أَحْرَجْتُهَا بِدُعَابَتِي: لَكَ اللَّهُ، فَانْهَجْ غَيْرَ هَذِي الْمَنَاهِجِ
فقلتُ: دَرِينِي، أَنْتَهَبُ فُرْصَةَ الْهُوَى وَأَقْضِي مِنَ الْعَمْرِ الْقَصِيرِ حَوَائِجِي
بِصَدْرِي كُنُوزَ لِلْغَرَامِ حَبِيبَةً وَهَذَا الَّذِي شَاهَدْتِ بَعْضَ نَمَازِجِي

فَتَنَّتُ الغواني قبلما طرَّ شاربِي قَدَائِي داءُ مزمنٌ، لا تُعالِجي
طرَّ شاربِي: طلع

فما أنا مِنَّ يعيشُ الحبَّ ساذجاً وإن كنتُ مُغرَى بالعَذاري السَّواذِجِ
مغرى: مولع، السواذج: الساذجات. هذه القصيدة جواب لمن قال إن الشعر المهجري ليس فيه مجون. واختار القروي الجيم، والجزالة ترافق قافية الجيم كظلمها، عندما يصبح لها ظل؛ ويليجاز وقوة عبارة وتحليق خيال جاء بقصيدة بدعية. ومن كان قرأ رائية الفرزدق الذي تدلَّى فيها ليزني سيعرف أن القروي ضارعه وعارضه أحلى معارضة بقصيدة بُرهانٍ على أن بعض الشعر العربي الذي انبعث في النصف الأول من القرن العشرين وقف جزلاً شامخاً مكاتفاً الشعر القديم (تجد قصيدة الفرزدق في كتابنا «أول الشعر» في فصل الفرزدق، القصيدة رقم ٣٤)

٦ ممالك ظمأى للدماء

قال الشاعر القروي ونظمها سنة ١٩١٣ وكان يعلم في مدرسة سوق الغرب الأميركية. وامتنعت بعض الصحف عن نشرها، فنشرها في البرازيل عندما هاجر إليها في السنة نفسها:

تَفِرُّ مِنَ الموتِ النفوسُ جَوَازِعاً مَحَيَّرَةً، فالنَّفْسُ بالنَّفْسِ تَعُثِّرُ
فَمِنْ مُلْتَقَى الأجسادِ في الأرضِ مَحْشَرٌ وَمِنْ مُلْتَقَى الأرواحِ في الجَوِّ مَحْشَرٌ
مَمَالِكُ ظَمَأَى لِلدَّمَاءِ، ودَوْلَةٌ لها مِنْ شكاوى العَجْزِ سَيْفٌ ومَغْفَرٌ
المغفر: زرد من حديد لحماية رقبة المحارب.. والدولة الضعيفة: الدولة العثمانية

بَكَتْ واشتكتْ، كالطِّفْلِ يُولِمُ نَفْسَهُ فَكانَ البَلاءُ مِنْها، وَمِنْها التَّدْمُرُ
ولو ذَكَرْتَ عبدَ الحميدِ لأَذْرَكَتْ مَثارَ الشَّقَا، لو يُسْتَطاعُ التَّدْكَرُ
مثار الشقا: أصل الشقاء. وكان عبد الحميد قد عزل عن السلطنة في عام ١٩٠٩. وكان عهده شديداً ومخابراته مخيفة. ولكن العهد الذي تلاه كان يكره العرب ويكرهونه

يَكَادُ يَفِرُّ الطُّرسُ دُغْراً لِذِكْرِهِ وَيُحْجِمُ في الكَفِّ اليراعُ المُسْطَرُّ
اليراع: القلم، الطرس: الورقة

إذا لَاحَ، لَاحَ الموتُ فيه مُجَسِّماً وإنْ غابَ يَسْتَدِنِي أذاهُ التَّصَوُّرُ
يستدني: يُدْنِي

فَيَبْلُغُ مِنْ أجسامِنَا، وهو ظَاهِرٌ وَيَبْلُغُ مِنْ أرواحِنَا، وهو مُضْمَرٌ
زَمَانٌ مُنَاجاةُ الضَّمِيرِ شِجَاعَةٌ بِهِ، وَمُنَاجاةُ السَّمِيرِ تَهَوُّرٌ

لَدُنْ كَانَ مَوْتُ النَّاسِ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ يُعَدُّ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً لَيْسَ تُكْفَرُ

لَدُنْ (عندما) كَانَ مَوْتُ النَّاسِ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ (في أَسْرَتِهِمْ) يُعَدُّ نِعْمَةً لَا تَجُودُ. قصيدة مبكرة للشاعر
قبل أن يغترب، وفيها برهان على فصاحة رشيد سليم الخوري «الشاعر القروي». . . شاب في
السادسة والعشرين ويملك هذه الجزالة!

٧ سفر نهايته سفر

قال القروي في مدينة مريانا بالبرازيل ١٩١٣ :

سَفَرٌ نَهَائِيَّةٌ سَفَرٌ مِثْلُ النَّسِيمِ بِلا مَقَرٍّ
ضَجِرَ الشُّرَى وَالسَّيْرُ مِنْـ فِي الْبَوَاخِرِ وَالْقُطْرُ
السرى: سير الليل، القطر: القطارات

حَتَّامٌ أَبْقَى دَائِرًا حَوْلَ الْبَسِيطَةِ كَالْقَمَرِ
أَصْطَادُ أَطْيَارِ السَّعَا دَهْ وَهْيَ مِنْ وَجْهِي تَفَرٍّ
عَبَثًا تَدُومُ سَعَادَةٌ إِنْ لَمْ يَسَاعِدْكَ الْقَدَرُ
أَيُّوبُ سَلَّمَ صَوْلَجَا نَكَ، لَسْتَ أَعْظَمَ مَنْ صَبَرَ
لَوْ دُفِّتَ يَوْمًا مَا أَدُو قُ، لَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ

٨ الشاربان

قال في مدينة مريانا بالبرازيل سنة ١٩١٣ :

قَالُوا خَلَقْتَ الشَّارِبَيْنِ نِ، وَيَا ضَيَاعَ الشَّارِبَيْنِ
فَأَجَبْتُهُمْ: بَلْ بِئْسَ ذَا نِ، وَلَا رَأَتْ عَيْنَايَ ذَيْنِ
الشَّاغِلَيْنِ الْمُرْعَجَيْنِ نِ الطَّالِعَيْنِ النَّازِلَيْنِ
وَيْلِي إِذَا مَا أَرْهَفَا دَنَبَيْهِمَا، كَالْعَفْرَبَيْنِ
إِنْ يَنْزِلَا لَجَمًا قَمِي، أَوْ يَضَعَدَا التَّطْمَا بَعَيْنِي
وَإِذَا هُمَا بِسِطِّ الْخَوَا نُ، تَرَاهُمَا بَسَطَا الْيَدَيْنِ

الخوان: المائدة

فَإِذَا أَرَدْتُ الشُّرْبَ يَمُ تَصَّانِ كَالِإِسْفَنْجَتَيْنِ
فَكَأَنَّيَ بِهِمَا وَقَدْ وَقَفَا بِبَابِ الْمُنْخَرَيْنِ

عَبْدَانِ مِنْ أَشَقَى الْعَبِيدِ دِ تَقَاضِيَا مَلِكًا بِدَيْنِ

٩ الكاسر والمكسور

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

العصفور:

يا باشقُ اَرْحَمْنِي، وَرِقِّ لِحَالَتِي دَغْنِي لِأَفْرَاخِي الصَّغَارِ أَطِيرُ
الباشق: طير كاسر كالصقر

ما في حياتي لِلسَّوَى ضَرَرٌ، وَلَا ظُلْمٌ، وَيَكْفِي أَنْنِي عُصْفُورُ
للسوى: للآخرين

فَأَمُنْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ السَّامِي، وَلَا تَسْلُبْ حَيَاتِي، فَالْكَبِيرُ عَفُورُ

الباشق:

خَلَّ الْبُكَاءُ، فَلَيْسَ دَمْعُكَ مُرَوِيًّا جَوْفِي، وَنَارُ الْجُوعِ فِيهِ سَعِيرُ
أَنَا إِنْ رَتَيْتُ لَأَتَّةً، أَوْ زَفَرَةً أَيْسُدُّ جُوعِي أَنَّةٌ وَزَفِيرُ؟
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ الطُّيُورِ فَرَائِسًا أَنَّى تَعِيشُ بَوَاشِقُ وَنُسُورُ
أَنْتَ الْكَبِيرُ عَلَى الْبُعُوضِ لِضَعْفِهِ وَأَنَا عَلَى هَذَا الْكَبِيرِ كَبِيرُ
فَاصْبِرْ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّمَا كَأْسُ الْقَضَاءِ عَلَى الْجَمِيعِ تَدُورُ

الإنسان:

شَاءَ الْقَدِيرُ وَحَتَّمَ الْمَقْدُورُ يَا بَاشِقُ اخْكُمْ، وَارْضَ يَا عُصْفُورُ
تِلْكَ الطَّبِيعَةُ، مَنْ يُغَيِّرُ حُكْمَهَا؟ هِيَهَاتَ! لَيْسَ لِحُكْمِهَا تَغْيِيرُ
النُّورُ يَقْنَعُ بِالْحَشِيشِ، وَإِنْ يَكُنْ طَوَّلَ النَّهَارِ عَلَيْهِ جَارَ النَّيْرِ
النير: الخشبة توضع على رقبة ثور الحراثة

وَالنَّحْلُ مِنْ أَرِي الْأَزَاهِرِ يَغْتَذِي وَيَقُوتُ أَنْوَاعَ الدَّوَابِ شَعِيرُ
الأري: العسل

وَالْوَحْشُ قَدْ عَافَ النَّبَاتَ، وَلَمْ يَكُنْ أَبَدًا عَلَى غَيْرِ اللَّحُومِ يُغَيِّرُ

فَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ طَعَامٌ وَاحِدٌ يُرْضِيهِ، مَعَ أَنَّ الطَّعَامَ كَثِيرٌ
أَمَّا ابْنُ آدَمَ فَهُوَ أَشْرَهُ كَائِنٍ فَوْقَ الثَّرَى، وَعَلَى الْجَمِيعِ يَجُورُ
فَالْمَرْءُ مُلْتَحِفٌ رِذَاءَ رِيَائِهِ لَا يَخْدَعَنَّكَ شَكْلُهُ الْمَنْظُورُ
مَهْمَا بَدَأَ حَمَلًا وَدَيْعًا طَاهِرًا لَا شَكَّ يَكْمُنُ ضِمْنَهُ حِنْزِيرُ

١٠ يسيء ويغضب

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

تَعَجَّبْتُ مِنْ غَدَرَاتِ الصَّدِيقِ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ أَنْ أَتَعَجَّبُ
وَبَعْضُ الْقُلُوبِ كَطَقْسِ الْبِرَازِيلِ لِي، فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ يَتَقَلَّبُ
يَسِيءُ إِلَيْكَ، وَيَغْضَبُ مِنْكَ وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ يَسِيءُ وَيَغْضَبُ

١١ في رعاية الله

قال في الربو دي جانيرو بالبرازيل ١٩١٤ :

أَنَا فِي غُرْبَةٍ عَنِ الْأَهْلِ، لَكِنْ عَنْكَ، يَا رَبِّ، يَسْتَحِيلُ اغْتِرَابُ
أَنَا طِفْلٌ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ مَهْدِي فَلْتَكْشُرْ عَنِ الثُّيُوبِ الذَّنَابُ

١٢ انعب تريح التعب

إِذَا اللَّصُوصُ أَضَاعُوا مِنْ مُرْوَةٍ يَهُمُّ ضِعْفَ الْغَنِيمَةِ، فَالْمَسْلُوبُ مِنْ سَلْبَا
الْمَسْلُوبُ: خَبَرِ مَقْدَمِ. الشَّرْحُ: اللَّصُّ يَفْقِدُ شَرْفَهُ، وَهُوَ أَهْمُ مِمَّا يَغْنَمُهُ فِي السَّرَقَةِ، لِذَا فَالَّذِي
يَسْلُبُ هُوَ فِي الْوَاقِعِ الْمَسْلُوبُ

وَقَدْ تَعَوَّدُ لَكَ الْأَمْوَالُ إِنْ ذَهَبْتَ وَلَا يَعُودُ حَمِيدُ الصَّيْتِ إِنْ ذَهَبَا
حَمِيدُ الصَّيْتِ: الصَّيْتُ الْحَمِيدُ، كَقَوْلِكَ (جَزِيلُ الشُّكْرِ) بِمَعْنَى (الشُّكْرُ الْجَزِيلُ)

فِي الْمَالِ هَمٌّ، وَفِي تَحْصِيلِهِ تَعَبٌ، فَالْمَرْءُ يَتَعَبُ حَتَّى يَرْبَحَ التَّعْبَا

١٣ جرأة الحلمتين

جُرْأَةُ الْحَلْمَتَيْنِ تَحْتَ الصُّدَارِ عَلِمْنَا فِي الْحَبِّ خَلَعَ الْعِذَارِ
الْصُّدَارُ: الصَّدْرِيَّةُ، خَلَعَ الْعِذَارُ: التَّهَوَّرَ

خَبَّئِي هَذِهِ الْمَفَاتِنَ عَنَّا إِنَّمَا الصُّدْرُ مَخْبَأُ الْأَسْرَارِ

كيف لا نطمع الأكف بكنزٍ دافع نفسه إلى النظار؟

١٤ عاد الرشيد

قال حين خرج الحسين بن علي وأبناؤه على الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى:

عاد الرشيد وعاد باهرُ عصره سبحان من بعث الحسين لنشره
نشره: بعثه من القبر

الليل خيظ من جداد مغيبه والصبح سهم من أشعة فجره
ملك على الإسلام أبدى غيرَ قرّت بها عين الرسول بقبره
نصر المروءة، فالمسيح وأحمد يتبادلان التهنئات بنصره

١٥ طوباك

قال في جولة تجارية له في البرازيل، والقطار يشق السهول الواسعة، وقد رأى الشاعر البقر في الحقول:

طوباك سارحة في القفر، طوباك إن كنت أحسد مخلوقاً فليأك
طوباك: طوبى لك، أدعو لك بالسعادة

الزهر مثلك، في الآفاق تنتشر تغشى مروج العلى، والليل معتكر
الزهر: النجوم، مروج العلى: سهول السماء، يتخيل سهولاً في السماء، معتكر: مظلم.
تالله! كم يتمنى عيشك البشر ماذا تخافين في البيداء يا بقر؟
إن كنت تخشين من أنياب فتاك طوباك، فالجلد غير العرض، طوباك
تمزيق المفترس الفتاك جلدك أهون من تمزق العرض

* * *

طوباك في الصيف، والرمضاء تتقد والحر منه يذوب الجلد، والجلد
الرمضاء: الحر الشديد، الجلد: الصبر

هذا اللهيب الذي يشوى به الجسد أشد منه على أكبادنا الحسد
إن كان منه الذي سواك نجاك طوباك في لفحة الرمضاء، طوباك

* * *

تشكينَ فصلَ الشتاءِ الباردِ القاسي ماذا أقولُ أنا في عشرةِ الناسِ
نامي على الثلجِ، نامي ليسَ مِنْ بَاسِ فالثلجُ غيرُ فؤادٍ دونَ إحساسِ
وإن تكنَ هاطلاتُ الغيثِ تغشاكِ طوباكِ فالقطرُ غيرُ الدمعِ، طوباكِ
تغشاكِ: تحلُّ بكِ

١٦ ذل الحفيد

قال إثر صدور وعد بلفور، وكان الناس بالبرازيل وقتئذ يحتفلون في أحد أعيادهم:
ذَرُوا الأفرَاحَ للشعبِ السعيدِ وخَلُّونا لَهُمُ مُسْتَزِيدِ
وعن عيدِ المَسَاحِرِ أَبْعِدُونَا فنحنُ مَسَاحِرٌ، مِنْ غيرِ عيدِ
عيد المَسَاحِر: عيد جميع القديسين (الهالوين)، ومن لوازمه ارتداء الملابس التنكرية

نرومُ تَنَكُّراً فيه، كأنا عُرِفْنَا قَبْلَ ذَلِكَ في الوُجُودِ
وهلْ هذي الوجوهُ إذا انتَسَبْنَا تُزَكِّي أصلنا عندَ الجُودِ
هل الوجوه التنكرية تزكي (تؤيد) لدى أجدادنا انتسابنا إليهم؟

مضتْ شُمُ الأنوفِ، فليسَ فينا سوى بِيضٍ لَهُمُ شَيْمُ العبيدِ
شم الأنوف: الأنوف الشامِ المرتفعة، يقصد الأجداد الكرام

ألا رَحِمَ المَهِيمُنُ كُلَّ جَدٍّ سعيدِ الجَدِّ، في المَثْوَى السَّعيدِ
رحم الله كل جد من أجدادنا سعيد الجد (الحظ) في مثواه لأنه مات قبل أن يرى ما حل بنا
كَأَنَّ لَمْ يُغْمِضِ العَيْنينِ إلَّا كَرَاهَةً أَنْ يَرَى ذُلَّ الحَفِيدِ

١٧ برازيلية

قال في إحدى جولاته التجارية في ولاية بارانا بالبرازيل سنة ١٩١٩:

وفاتنة! كَأَنَّ اللّهَ لَمَّا حَبَّأَهَا الحُسْنَ ما رَاعَى الحِسَابَا
برازيلية وَطَنًا؛ ولكنْ، إلى الأعرابِ تَنَسَّبُ انتَسَابَا
كَأَنَّ الوردَ خَضِبَ وَجَنَّتَيْهَا وَغَيْرَ الحُسَنِ لَمْ تَعْرِفْ خِضَابَا
ليالٍ أَزْبَعَ مَرَّتْ عَلَيْنَا نَهَبْنَاهَا مِنَ الدهرِ انتَهَابَا

١٨ الحمار والعلف والغربة

قال وكتبها في البحر بين ريو غرندي دو سول وسنطس سنة ١٩٢٠ :

دَفَنْتَ رَبِيعَ عَمْرِكَ فِي بِلَادٍ بِهَا طَالَتْ لِيَالِيكَ الْقِصَارُ
يُبَارِكُهَا الَّذِي قَدْ حَازَ مَالاً وَقِيمَةً مَالِيَهُ ذُلٌّ وَعَارُ
يَقُولُ لِي: الْمَعَزَّةُ فِي حِمَاها، وَبِئْسَ الْعِزُّ يَفْهَمُهُ التَّجَارُ
وَلَا يَنْسَى لَهَيْبِ السَّوْطِ إِلَّا، إِذَا مَا شَاهَدَ الْعَلْفَ، الْحِمَارُ
تَرَوْمُ بِمِهْنَةِ التَّجْوَالِ مَالاً وَحِطْلُكَ وَالْغِنَى: مَاءٌ وَنَارُ
يَخَاطَبُ نَفْسَهُ الْآنَ: تَطْلُبُ بِمِهْنَةِ الْبَائِعِ الْمَتَجُولِ أَنْ تَصْبِحَ غَنِيًّا؛ وَلَكِنْ، أَنْتَ وَالْغِنَى مَتَافِرَانِ
كَالْمَاءِ وَالنَّارِ

وَفِي أُذُنِكَ صَوْتُ مُسْتَمِرٍّ: رَشِيدُ أَفْقٍ لَقَدْ صَفَرَ الْقِطَارُ
أُرُومٌ إِلَى رُبَى لَبْنَانَ عَوْدًا وَيُمَسِّكُنِي عَنِ الْعَوْدِ افْتِقَارُ
وَلَوْ خُيِّرْتُ لَمْ أَهْجُرْ بِلَادِي وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْعَيْشِ اخْتِيَارُ

١٩ بطل ميسلون

إِنَّ بِالْعَظْمَةِ أَعْلَى مَثَلٍ لِفِدَى تَنْشُدُهُ النَّفْسُ الْأَبِيَّةُ
يُوسُفُ الْعَظْمَةُ: وَزِيرُ الْحَرَبِيَّةِ فِي حُكُومَةِ فِصْل بِدَمَشَق. خَرَجَ إِلَى مَيْسَلُونِ لِيُوَاجِهَ الْفَرَنْسِيِّينَ
الْمُحْتَلِينَ بِقِيَادَةِ هَنْرِي غُورُو، وَاسْتَشْهَدَ ١٩٢٠

وَدَعَّ الْغُوطَةَ يَبْغِي جَنَّةً غَيْرَهَا، تَحْتَ ظِلَالِ الْمَشْرِفِيَّةِ
يَا مُعِيدًا مَجْدَنَا الضَّائِعَ! نَمْ مُسْتَرِيحًا فِي ظِلَالِ الْأَبْدِيَّةِ

٢٠ نسي الصليبيون ما علمتهم

الْحَقُّ مِنْكَ، وَمِنْ وُعُودِكَ أَكْبَرُ فَاحْسُبْ حَسَابَ الْحَقِّ يَا مُتَجَبِّرُ
تَعِدُ الْوُعُودَ، وَتَقْتَضِي إِنْجَازَهَا مُهَجِّ الْعِبَادِ، خَسِئْتُ يَا مُسْتَعْمِرُ
تَقْتَضِي (تَطْلُبُ) لِإِنْجَازِ وَعُودِكَ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ أَرْوَاحَ النَّاسِ

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَكَارِمِ لَمْ تَكُنْ مِنْ جَنِبِ غَيْرِكَ مُحْسِنًا، يَا بَلْفُورُ
يَدْعُوكَ شَعْبُكَ يَا صِلَاحَ الدِّينِ، قُمْ تَأَبَّى الْمَرْوَةَ أَنْ تَنَامَ، وَيَسْهَرُوا
نَسِيَ الصَّلِيبِيُّونَ مَا عَلَّمَتْهُمْ قَبْلَ الرِّحِيلِ، فَعُدْ إِلَيْهِمْ يَذْكُرُوا

أُمْنِيَّةُ الدُّنْيَا السَّلَامُ، وَإِنَّمَا تَحْقِيقُهَا فَرَضٌ عَلَى مَنْ يَقْدِرُ
هِيَهَاتَ! وَالتَّسْلِيحُ أَكْبَرُ هَمِّكُمْ وَالْوَحْشُ خَلْفَ جُلُودِكُمْ مُتَنَكِّرُ
مَا رَوَّضَ التَّمْسَاحَ صَقْلُ أَدِيمِهِ مَهْمَا تَمَدَّنْتُمْ فَأَنْتُمْ بَرَبَرُ
بربر: يقصد «برابرة»، وهم الأمم البدوية التي خربت المدن في أوروبا قبل النهضة

٢١ الموت شرط التكريم

قال في تأبين فرح أنطون، صنبول ١٩٢٢:

يَا أَيُّهَا الْأَدَبَا! مُوتُوا لِنُكْرِمَكُم إِنَّ يَحْبُثَ الْعِيشُ، قَدْ تَحَلُّو الْمَيِّتَاتِ
الميتات: الميتات

مَنْ لَا يُكْرِمُنِي إِلَّا عَلَى جَدَثِي فَمَا تَكَارِيْمُهُ إِلَّا إِهَانَاتُ
جدثي: قبري

لَوْ بَعْضُ إِكْرَامِنَا لِلتَّابِغِينَ بَدَا مِنَّا لَهُمْ قَبْلَ أَنْ مَاتُوا، لَمَا مَاتُوا
التسويد للشاعر عمران الففيني، شكر الله له بيض أياده، وسود وجوه أعاديته، وأناله من الكرامة ما يرضينا ويرضيه

٢٢ فائدة الأعداء

قال سنة ١٩٢٢:

تَبَارَكَ مَنْ رَأَى شَرًّا فَأَغْضَى وَمَنْ فِي الْحُبِّ تُغْضِبُهُ فَيَرْضَى
أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ يَا قَوْمُ بَعْضًا فَقَدْ مَلَأَ الْفَسَادُ الْأَرْضَ بُغْضًا
وكادَ الْحُبُّ بَيْنَ النَّاسِ يَخْفَى

عَدُوِّي! أَنْتَ عَوَسَجَةُ الْحَدِيقَةِ وَأَنْتَ الشُّوكُ فِي وَرْدِ الْحَقِيقَةِ
العوسج: نبات شوكي

وَأَنْتَ مَرَارَةُ الْخَمْرِ الْعَتِيقَةِ وَأَنْتَ سَوَادُ سَوْدَاءِ الشَّقِيقَةِ
السواد الذي في زهرة شقائق النعمان

تَزِيدُ جَمَالَهَا لُطْفًا وَظَرْفًا

عَدُوِّي! لَيْتَ عَيْنُكَ فِي فُؤَادِي لِيُضْلِحَ فِيهِ مُسْتَتِرَ الْفَسَادِ
أَمَّا سَحَّرْتَ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ رَقِيبًا لَا يَنَامُ عَنِ انْتِقَادِ
وَلَا يُغْضِي عَنِ الْهَفَوَاتِ طَرَفًا

٢٣ لا فضل للشعراء

لَا فَضْلَ لِلشَّعْرَاءِ فِي وَثَبَاتِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَوْقَ الْمَجَرَّةِ سَاحُوا
فَالشَّعْرُ مِنْ نَفَحَاتِ وَادِي عَبْقَرٍ مِنَّا الْكُؤُوسُ، وَمِنْ هُنَاكَ الرَّاحُ
لَا نَسْتَجِزُّ ثَنَاءَكُمُ، إِلَّا إِذَا شُكِرْتُ عَلَى زُحَلِيَّةِ أَفْدَاحِ

زحلية: خمر مصنوعة في زحلة، البلدة اللبنانية المشهورة بالعرق. والعرق شراب قوي، قال فيه
الشارح: قالوا الأفاويل في البيرا وما اتفقوا/ وفضلوا الجن والويسكي وما صدقوا// وقال أبو أحمد
والسكر تمتعه/ للخمر مملكة سلطانها العرق

دَعَوَى الْمُدِلُّ عَلَى الْأَنَامِ بِشَعْرِهِ دَعَوَى الرُّجَاجَةِ أَنَّهَا الْمِصْبَاحُ
المدل: المفتخر

٢٤ نجمة من الشرق

ظَلَعْتُ عَبْقَرِيَّةَ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ - تَهَادَى بِبَنَدِهَا الْخَفَاقِ
تهادى: تتهادى، البند: الراية

وَتُبَاهِي مَجْدَ الْمُلُوكِ بِمَجْدٍ مُتَرَامٍ، عَلَى الْمَمَالِكِ بَاقٍ
العبقريّة تباهي الملوك بمجدها المترامي (الواسع) الذي يبقى على تبدل الممالك وزوالها

وَإِذَا نَجْمَةٌ مِنَ الشَّرْقِ، لَاحَتْ تَبْهَرُ الْعَالَمِينَ بِالْإِشْرَاقِ
فَتَهَاوَى الْوَرَى عَلَى قَدَمَيْهَا سُجَّدًا بِالْخُشُوعِ وَالْإِطْرَاقِ
وَتَوَارَتْ عِبَاقِرُ الْعِلْمِ وَالْفَنِّ وَرَاءَ السُّطُورِ وَالْأَوْرَاقِ
قِيلَ: مَنْ هَذِهِ الْمَلِكَةُ؟ قَالُوا: إِنَّهَا عَبْقَرِيَّةُ الْأَخْلَاقِ

٢٥ آمنت بالأخرى

قال عام ١٩٢٣:

آمَنْتُ بِالْأُخْرَى، فَلَيْسَ وَجُودُنَا عَبَثًا، وَلَيْسَ مَصِيرُنَا لِفَنَاءِ

ضَلَّ الَّذِي حَسِبَ الشَّتَاءَ نَهَايَةً إِنَّ الرَّبِيعَ مُوَكَّلٌ بِشَتَاءِ
موكل: مرهون، أي أن الربيع مشروط بأن يجيء قبله الشتاء

٢٦ رثاء المنفلوطي

قال في تأبين المنفلوطي، وألقاها في النادي الحمصي في صنبول ١٩٢٤:

يا مُضْطَفَى! نَحْكِي، وَمِثْلُكَ سَاكِتٌ؟ صَبْرًا عَلَى هَذَايُنَا، يَا مُضْطَفَى
إِنَّ الْجَهْلَ لَكَالْمَنِيَّةِ، إِنَّ يَقْلُ يُعْيِي الْفَصِيحَ، وَيُبْكِ الْمُتَفَلِّسَ
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَلْفَ الرُّثَاءِ لِشَاعِرٍ عِظَةً، فَيَا شُعْرَاءَ خَلُّوا الْمَوْقِفَا
وَالْحُرَّ، إِنَّ قَطَعَ الْحِمَامَ خِطَابَهُ، فَعَلَى أَخِيهِ الْحُرِّ أَنْ يَسْتَأْنِفَا
وَالشَّعْرَ، إِنَّ فَسَدَ الرِّمَانُ، فَخَيْرُهُ مَا عَتَفَ الْأَسْمَاعَ، لَا مَا شَنَّفَا
حَتَّامٌ، يَا ابْنَ الطِّينِ، تَرَكَبْ لِلْهَوَى طِرْفًا، وَتَسَحَّبْ لِلْفَوَايِةِ مُطْرَفَا
طرفًا: حصانًا، مطرفًا: رداء

وَعَدًا سَتَرَكَبُ مَرَكَبًا تَبْكِي إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ، وَتَشْتَهِي مَشْيَ الْحَفَا
أَنْفِقْ، إِذَا أَوْلَاكَ رَبُّكَ نِعْمَةً، وَانْعَمْ، فَمَا أُولِيَتْ كَيْ تَتَقَشَّفَا
أُولِيَتْ: مُنِحَتْ نِعْمَةً

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الْفَقِيرِ، فَلَا تُشِخْ مُتَأَفِّفًا، وَالْحَقُّ أَنْ يَتَأَفَّفَا
لَمْ تَشْكُ إِذْ أُسْرِفَتْ فِي إِزْهَاقِهِ وَشَكَوْتَ حِينَ اضْطُرَّ أَنْ يَتَبَلَّشَفَا
يتبلشف: يتبع الحزب البلشفي، الحزب الشيوعي

مَاتَ الْكِرَامُ، فَلَا تَرَى بَيْنَ الْوَرَى إِلَّا شَجِيحًا، فِي الْخَلَاعَةِ مُسْرِفَا
أَمَّا الْأَدِيبُ، فَإِنَّهُ كَخَيَالِهِ مَعْنَى مِنَ الْأَعْضَاءِ يَسْكُنُ أَحْرَفَا
الأديب مهزول الجسم فكأنه ليس جسمًا بل معنى من المعاني، وهذا المعنى لا يسكن جسمًا بل يسكن أحرفًا هي كلماته. والتسويد لعمران القفيني

عَبَسْنَا يُنْزَلُ كُلَّ يَوْمٍ لِلْوَرَى سِفْرًا، وَيُلْهِمُ كُلَّ يَوْمٍ مُضْخَفَا
نَبَتْ الرُّبَى وَنَدَى السَّمَاءِ كِفَافُهُ وَعَفِيفُهُمْ هَضَمَ الْبِلَادَ، وَمَا اكْتَفَى
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ، غَيْرَ طَعَامِهِمْ، غَرَضٌ، فَقَدْ سَاوَى الْخَوَانَ الْمِعْلَفَا
الخوان: منضدة الأكل، المعلف: المذود تأكل منه البهائم

٢٧ منتهى اليأس

هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ رَاحِمٍ قَاتِلٍ يُرْخِزُ الْأَيَّامَ عَنْ كَاهِلِي
يريد قاتلاً يزيع الأيام (العمر) عن كاهله (ظهره)

يَقْذِفُ بِي فِي دَرَكِ اللَّجِّ، لَا يَلْفُظُنِي مَوْجٌ إِلَى سَاحِلٍ
يريد أن يقذفه هذا القاتل في درك (قاع) اللج (البحر)

يَا لِأَشْتِهَائِي جَنَّةً مِنْ لَظَى آكُلُ مِنْ يَانِعِهَا الْآكِلُ
يريد جنة ولكن من اللظى (الجمر)، لكي يأكل من يانعها (ثمرها الطري) الآكل للبشر

فِي شَجَرٍ مِنْ لَهَبٍ ثَائِرٍ عَلَى ضِفَافِ اللَّهَبِ السَّائِلِ
مَأْدِبَةٌ تَنْحَرُ ضِيفَانَهَا أَمِنَّةُ الْوَارِثِ وَالْوَاغِلِ
يريد مأدبة تذبح ضيفانها (ضيوفها)، وهي تأمن من الوارث (المتطفل على مائدة قوم) والواغل (المتطفل على مجلس الشراب)

وَأَبْرَدَهَا عِنْدِي إِذَا اجْحَوْحَمْتُ كَأُخْتِهَا فِي قَفْصِي النَّاحِلِ
ما أبردها على قلبي إذا اشتد جحيمها، فهذا جحيم يشبه الجحيم الذي في قفصي الصدري الناحل (الهزيل)

لَا قِفَّةَ فُلْكَ هُمُومِي مَعِي ذَاهِبَةً بِالْحِمْلِ وَالْحَامِلِ
يريد من هذه الجهنم أن تتلف فلك (سفينة) همومه، فتذهب بها وبراكبها

يَا مَنْ يُذَرِّبُنِي طَحِيناً عَلَى وَجْهِ يَبَابٍ مُخْرِقٍ قَاجِلٍ
مَا رَشَحْتُ مِنْ جَوْهٍ قَطْرَةً يَوْمًا عَلَى نَضْرٍ وَلَا ذَابِلٍ
لَا شَيْءَ حَيَاتِي يَا إِلَهِي، وَلَوْ حَقَّقْتُ رَغَمَ الْمَلْحِدِ الْجَاهِلِ
يدعو ربه إلى أن يجعل حياته تتلاشى، حتى وإن كان بذلك يوافق ما يزعمه الملحد من تلاشي الروح

جِسْمِي وَرُوحِي وَأَغَانِي. لَا تُبْقِ عَلَى بَاقٍ، وَلَا زَائِلٍ
إِنِّي أَبْغِي عَدَمًا مُظْلَقًا يُعْيِي عَلَى النَّافِخِ وَالْجَابِلِ
يريد عدما يعي (يعجز) النافخ في الصور يوم القيامة، ويعجز الجابل الذي جبل النفوس من طين

أَقْسَى مِنَ الْمَوْتِ عَلَى النَّفْسِ أَنْ تَسْعَى إِلَى الْمَوْتِ بِلا طَائِلٍ
مُتَّ يَا أَخِي الْعَامِلَ، مُتَّ جَائِعًا وَلَا تَسَلْ عَنْ لُقْمَةِ الْعَامِلِ

إِنْ فَاتَكَ الْخُبْرُ، فَلُكَ آيَةٌ وَانْعَمَ بِمَوْتِ الْمُؤْمِنِ الْآمِلِ
 إن عدمت الخبز أيها العامل فعليك أن تلوك الآيات المقدسة، وأن تموت ميتة مؤمن يملؤه الأمل
 بحياة أخرى

غَدَاً لَكَ الْخُلْدُ، فَمَا ضَرَّ أَنْ لَمْ تَأْكُلِ الْيَوْمَ مَعَ الْآكِلِ
 قَبْلَ يَدِ الظَّالِمِ قَسْرًا، وَلَا تَعْتَبَ عَلَى خَالِقِهِ الْعَادِلِ
 هَلْ كَانَتْ الْآلَامُ مُذْ قُدِّرَتْ إِلَّا نَصِيبَ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ
 فَلْنَحْمَدِ الْمَوْلَى عَلَى نِعْمَةٍ خُصَّتْ بِنَا مِنْ فَضْلِهِ الشَّامِلِ
 يَا سَائِلِي عَنْ سِرِّ هَذَا الْوَرَى أَقْصِرْ، وَقَاكَ اللَّهُ يَا سَائِلِي
 أقصر: كُفْ

مَا أَبْعَدَ الشُّكُوى، عَلَى هَوْلِهَا، عَنْ بَعْضِ مَا يَنْهَشُ فِي دَاخِلِي

٢٨ الجنة الموعودة

قال في صنبول ١٩٢٤:

قَدْ كُنْتُ مِنْ لُبْنَانَ فِي جَنَّةٍ نَاضِرَةٍ، لَمْ أَلْفِهَا نَاضِرَةً
 وَلَمْ أَرْلُ أَصْبُو إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى رَكِبْتُ اللَّجَّةَ الرَّاحِرَةَ
 اللجة الزاخرة: البحر المرتفع الموج

فَلَمْ أَشَاهِدْ بَلَدًا عَامِرًا أَطِيبَ مِنْ مَرْزَعَةٍ عَامِرَةٍ
 مهما كان البلد عامراً وكبيراً فحاجتي منه لا تتعدى حاجتي إلى مزرعة، هذا المعنى الذي لمحتة
 لَكِنْ هِيَ الْآمَالُ طَوَّاحَةٌ بِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ ثَائِرَةٍ
 تَسْتَظْلِعُ الْأَسْرَارَ مَفْتُونَةً بِكُلِّ مَا يَغْدُو مَدَى الْبَاصِرَةِ
 يعدو مدى الباصرة (العين): يتجاوز مدى الرؤية

يَا نَفْسُ! خَفْضًا مِنْ جَنَاحِ الْمَنَى لِأَيِّ رَبِّعٍ أَنْتِ بِي طَائِرَةٍ
 دُنْيَاكِ هَذِي لَنْ تَرِيَّ غَيْرَهَا كُونِي مَلَاكَاً تَكُنِ الْآخِرَةَ

٢٩ سمو عن الشكوى

قال في صنبول ١٩٢٤:

أَنْتِ حُرٌّ فَاسْتَوْطِنِ الْبَلَدَ الْحُرَّ وَصَاحِبٌ مِنْ أَهْلِهِ إِخْوَانَا

وَأَسْمُ عَنْ أَنْ تَشْكُو إِلَى النَّاسِ فَقْرًا وَلَكِنْ بِتَّ جَائِعًا ظَمْآنًا
بَسْمَةً تُظْهِرُ الْفَقِيرَ غَنِيًّا، دَمْعَةً تَمْسَحُ الشُّجَاعَ جَبَانًا
كُنْ إِلَهَ النُّضَارِ، إِنَّكَ عِنْدِي لَسْتَ شَيْئًا مَا لَمْ تَكُنْ إِنْسَانًا

النضار: الذهب

٣٠ فيض من حنان

تَحَيَّرَ بِي عَدُوِّي إِذْ تَجَنَّى عَلَيَّ، فَمَا سَأَلْتُ عَنِ التَّجَنِّي
وَقَابَلَ بَيْنَ مَا أَلْقَاهُ مِنْهُ وَمَا يَلْقَى مِنَ الْإِحْسَانِ مِنِّي
إِلَى أَنْ ضَاقَ بِالْبَغْضَاءِ دَرْعًا وَحَسَّنَ ظَنَّهُ بِي حُسْنُ ظَنِّي
عَدُوِّي! لَيْسَ هَذَا الشَّهْدُ شَهْدِي وَلَا الْمَنُْ الَّذِي اسْتَحْلَيْتَ مِنِّي
المن: طعام حلو، وهو أخو السلوى

فَلِي أُمُّ حَنُونٌ، أَرْضَعْتَنِي لِبَانَ الْحُبِّ مِنْ صَدْرِ أَحْنُ
لبان: حليب

عَلَى بَسَمَاتِهَا فَتَحْتُ عَيْنِي وَمِنْ لَثَمَاتِهَا رَوَيْتُ سِنِّي
لثامات: قلات

كَمَا كَانَتْ تُنَاغِينِي أَنَاغِي وَمَا كَانَتْ تُغَنِّنِي أَعْنِي
سَقَانِي حُبُّهَا فَوْقَ احْتِيَاجِي فَفَاضَ عَلَى الْوَرَى مَا فَاضَ عَنِّي

٣١ يا أم... يا حنونة

قال ونظمها بين ١٩٢٤ و ١٩٢٥. وكانت أمه وصلت حديثاً إلى صنبول:

أَتَذْكُرُ كَيْفَ كَانَ إِلَهُ مُوسَى إِلَهًا قَاسِيًا يَلْتَذُّ بِالدَّمِ
إِذْ فَلَإِيكَ كَيْفَ غَدَا إِلَهًا رَحِيماً، إِنْ تَأَلَّمْنَا تَأَلَّمْ
رَوَى الرَّاوُونَ أَنْ عَثَرُوا بِمُضِرٍ عَلَى دَرْجٍ غَرِيبٍ الْخَطِّ مُبْهِمٍ
درج: رقعة

فَقَالُوا إِنَّهُ، مِنْ قَبْلِ عَيْسَى، ثَوَّقِي شَاعِرٌ فِي الشَّرْقِ مُلْهِمٍ
أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمَعَاصِي يُحْلَلُ مَا كِتَابُ اللَّهِ حَرَمٌ

ولكن، برُّه الأبوين غطى مساوئهُ، فخلصَ من جهنم
فَنَامَ بِحُضْنِ إِبْرَاهِيمَ، لَكِنْ قُبِيلَ الْفَجْرِ شَاعِرُنَا تَبَرَّمَ
في إنجيل لوقا قصة نوم لِعَاذِرَ الْفَقِيرِ بعد موته في حضن إبراهيم النبي

وَقَامَ لِربِّهِ يَشْكُو وَيَبْكِي بُكَاءَ صَيَّرَ الْفِرْدَوْسَ مَأْتَمَ
فَهَذَا رَوْعُهُ، وَحَنَا عَلَيْهِ وَطِيبَ قَلْبِهِ بِحَنَانِهِ الْجَمِّ
وَوَسَدَهُ يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَمَالَ عَلَيْهِ بِالتَّقْبِيلِ وَالضَّمِّ
وَقَالَ لِعَبْدِهِ دَاوُدَ رَنَّمْ لِهَذَا الْبُلْبُلِ الْبَاكِي، فَرَنَّمْ
ونبي الله داود هو صاحب الصوت الجميل والأغاني المشهورة

فَنَامَ بِحُضْنِهِ الْأَبَوِيَّ حِينًا وَعَادَ يُسَاقِطُ الْعَبْرَاتِ عِنْدَمَ
العندم: نبت أحمر

إِلَى أَنْ صَجَّ أَهْلُ الْخُلْدِ غَيْظًا وَصَاحَ اللَّهُ مِنْ غَضَبٍ: إِلَى كَمْ..
أَطِيقُ تَذْمُرًا مِنْ عَبْدٍ سَوْءٍ يُجَرِّعُ كَوْثَرًا، فَيَقُولُ: عَلَقَمُ؟
حتى متى أحتمل التذمر من هذا الذي يشرب ماء نهر الجنة الكوثر ويقول إنه مرء؟

أَرَى الشُّعْرَاءَ جَارُوا الْحَدَّ، إِنِّي أَكَادُ لِخَلْقِي الشُّعْرَاءَ أَنْدَمَ
عَلَامَ بُكَاءِكَ يَا هَذَا؟ وَمَاذَا دَهَاكَ، فَلَا بُنْيَ تَشْكُو؟ تَكَلَّمْ
لا تاتي تشكو: لا تنقطع عن الشكوى

فَصَاحَ: الْعَفُو يَا مَوْلَايَ، مَنْ لِي سِوَاكَ، وَمَنْ سِوَى الرَّحْمَنِ يَرْحَمُ
أَتَيْتُكَ رَاجِيًا نَقْلِي لِحُضْنِ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا وَأَكْرَمِ
لِحُضْنِ طَالَمَا قَدْ نِمْتُ فِيهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ، بَيْنَ الضَّمِّ وَالشَّمِّ
أَمَّا أَلْقَيْتَ رَأْسَكَ فَوْقَ صَدْرِي حَنُونٍ خَافِقٍ بِمَحَبَّةِ الْأُمِّ؟
فَأَضَعَى سَيْدُ الْأَكْوَانِ لُطْفًا لَشُكْوَى شَاعِرِ الْعَبْرَاءِ وَاهْتَمَّ
وَقَالَ لِنَفْسِهِ: هَذَا مُحَالٌ أَيْعَلُمُ شَاعِرٌ مَا لَسْتُ أَغْلَمُ
أَيْنَعُمُ خَاطِئِي فِي الْأَرْضِ قَبْلِي بِمَا أَنَا لَسْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ أَنْعَمُ
لَأَكْتَشِفَنَّ هَذَا السَّرَّ يَوْمًا وَلَوْ كُُلِّفْتُ أَنْ أَشْقَى وَأُعْدَمُ

وكانت لَيْلَةً؛ وإِذا صَبِيٌّ صَغِيرٌ نَائِمٌ في حِضْنِ مَرِيَمَ

هذه ترجمة شعرية للمفهوم المسيحي بالوهية المسيح، وقد لمعت فكرة القصيدة للقروي وهو ينظر في وجه أمه، يقول: «قلت لها بريك يا أمي، لا تحولي نظرك عني، لكنني أرى رؤيا شعرية غريبة لا عهد لي بمثلها قط. قالت: اسم الله حورك يا بني. يا أولاد لا «تعبطوا» - أي لا تصخبوا - عمكم ينظم. روحوا من هنا. وليث في ذهولي وموكب الإلهام يدنو مني وثيلاً، أو أدنو منه، لا أدري، حتى شرعت أتبين معالمه وأستجلي شخصوه، فصحت وقد ملكتني نشوة الفن، وبدني يقشعر، والعرق يتصبب من جبيني: أماء بشارك، لقد جئتكم بما لم يجي به شاعر لأم».

٣٢ زهرة الحق

قال في تأبين سليمان البستاني في صنبول ١٩٢٥:

لا مِنْ تُغُورِ الْغَيْدِ فِي لَبْنانٍ أو مِنْ تُحْدُودِ الْحُورِ وَالْوِلْدانِ
بل مِنْ ضُلُوعِ الْمَجْدِ، مِنْ قَلْبِ الْهُدَى مِنْ مُهْجَةِ الثَّقَوَى، مِنْ الْإِيْمانِ
قد صاعَها الرَّحْمَنُ أَكْمَلَ زَهْرَةً رَقَصَتْ لَهَا الْأرواحُ فِي الْأبدانِ
فإذا قَضَى بَظُلٍّ مَجِيدٌ، أو مَضَى حرٌّ، شَهِيدَ مَحَبَّةِ الْأوطانِ
تَكْشُو النَّصارَةُ عودَها، فَيَجِيسُ فِي أَبْهَى الْعُقُودِ، وَأَبْهَجِ الْأَلوانِ
وإذا خلا وَجْهُ الثَّرَى مِنْ نائِرِ لِحَقٍّ مُشْتَعِلٍ بِهِ مُتَفانِ
يَعْرِو الْبُتَيْلاتِ الدُّبُولُ كَأَنَّها أَهْدابُ طَرْفِ الْعَادَةِ الْوَسْنانِ

البتلات: أوراق الزهرة، الوسنان: النعسان

وتَظَلُّ مُطَبَّقَةً الْجُفُونِ عَلِيلَةً حتَّى يُتَاحَ لَها شَهِيدٌ ثانٍ
يحدثنا عن زهرة تذبل، ولا تعود لها النضارة إلا إذا نزل دم شهيد جديد

وَلَرُبَّ عَهْدٍ طالَ فِيهِ دُبُولُها واشتَدَّ خَوْفُ الْواحِدِ الدِّيَّانِ
دَرَسَتْ رُبُوعُ الْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْهُدَى وَظَمَتْ سَيُولُ الظُّلَمِ وَالطُّغْيانِ
وَتَظَلَّعَ الرَّحْمَنُ مُلْتَمِساً لَها بَظُلًّا يَقيها طارِقَ الْحَدَثانِ

طارق الحدثنان: مصائب الزمن

ما زالَ رَبُّ الْخَلْقِ فِي تَجْواهِهِ في الْأَرْضِ، يَعْقِدُ قاصِياً بِالْأَداني
حَتَّى أَفاءَ عَلى الشَّامِ بِساطُهُ فَطَواهُ فِي إِحْدى فُرى لَبْنانِ

أفاء: أنعم

ورأى هناك فتى تَوَقَّدَ ذِفْنُهُ فَسَرَى تَوَقُّدُهُ إِلَى الْأَذْهَانِ
خَلَعَ الزَّمَانُ عَلَيْهِ طَوْلَ أَنَاتِهِ فَالْدَهْرُ فِي عَيْنَيْهِ بَضْعُ ثَوَانٍ
خَدَمَ السِّيَاسَةَ مُلْبِسًا أَغْرَاضَهَا تَاجَ النِّزَاهَةِ، أَشْرَفَ التَّيْجَانِ
مَا بَاعَ مِنْ أَجْلِ الْوَسَامِ بِلَادَهُ لِلْأَجْنَبِيِّ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ
أَهْدَى إِلَى الشُّعْرَاءِ فِي أَوْطَانِهِ نَفَثَاتِ أَشْعَرِ شَاعِرِ يُونَانِي
وكان المراثي قد ترجم إلياذة هوميروس شعراً إلى العربية

مَا زَالَ يَمْنَحُ مِنْ أَشْعَةِ فَضْلِهِ لِلنَّاسِ حَتَّى صَارَ فِي الْعُمَيَّانِ
ظَلَّ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ حَتَّى ضَعُفَ بَصَرُهُ

وَإِذَا عَرُوسُ الْخُلْدِ فِي بُرْدِ الصَّبَا تَسْبِي النُّهَى بِجَمَالِهَا الْفَتَّانِ
هذه الزهرة عادت للانعاش لو شك سقوط شهيد

فَتَهَلَّلَ الرَّحْمَنُ مِنْ فَرَحٍ، وَقَدْ فَاضَتْ أَشْعَةُ وَجْهِهِ النُّورَانِي
وَحَنَّا عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّكَ خَيْرٌ مَنْ يَتَعَهَّدُ الْأَزْهَارَ يَا بُسْتَانِي
تعليق عمران القفيني: (طريف شطره الأخير أيتما طرافة.. البستاني هو الذي يهتم بالحدائق وهو.. سليمان البستاني معاً)

فِإِلَيْكَ فِرْدَوْسِي، تَوَلَّ وَرُودَهُ وَاعْمَلْ مَدَى الْأَذْهَارِ فِي بُسْتَانِي

٣٣ ذَنْبُ الْأَجْنَبِي

قال وقد أهبني صحفي قضى عمره في خدمة الاستعمار من جانب موظف فرنسي في حفلة عامة، وقالها في صنبول (ساو باولو بحسب تعريب القروي) ١٩٢٥:

جَادَ الْعَزِيزُ عَلَى الدَّلِيلِ بِصَفْعَةٍ تَرَكْتُ بِصَحْنِ الْخَدِّ طَائِعَ خَمْسِهِ
وَمَضَى الْعَزِيزُ يَحْكُ رَاحَةَ كَفِّهِ وَمَضَى الدَّلِيلُ يَحْكُ جِلْدَةَ رَأْسِهِ
فَظَنَنْتُهُ احْتَمَلَ الْهَوَانَ لِحِكْمَةٍ حَتَّى يَعُودَ بِسَيْفِهِ وَبِثُرْسِهِ
حَتَّى عَثَرْتُ بِهِ الْعَدَاةَ، كَأَنَّهُ نَسِيَ الَّذِي قَدْ ذَاقَهُ فِي أُمْسِهِ
فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مَنْ سَعَى لِيُحَكِّمَ الْجِنْسَ الْغَرِيبَ بِجِنْسِهِ
مَنْ كَانَ يَرْضَى بِالْهَوَانِ لِشَعْبِهِ لَا يَدْعُ أَنْ يَرْضَى الْهَوَانَ لِنَفْسِهِ
لا يَدْعُ: لَا عَجَبَ

٣٤ وثباً إلى سنام التنك

قال وقد وصفت الصحف الغربية سنة ١٩٢٥ بإعجاب عظيم زحف سلطان الأطرش
برجاله على السويداء لإنقاذ الأسير الذي قبضت عليه السلطات الفرنسية في بيت
سلطان متهكة حرمة الضيافة العربية، والتقاء سلطان والدبابة (التنك) وهجومه عليها
تحت وابل من النيران، وتعطيلها بعد هير قبطانها ومعاونته بحد السيف هيراً:

خَفَفْتَ لِنَجْدَةِ الْعَانِي سَرِيعاً غَضُوباً، لَوْ رَأَى الْبَلِيَّةُ رِيحاً
الْعَانِي: الأسير، ريح: أخيف

وَحَوْلَكَ مِنْ بَنِي مَعْرُوفَ جَمْعٌ بِهِمْ، وَبِدُونِهِمْ، تُفْنِي الْجُمُوعَا
بنو معروف: الدروز

كَأَنَّكَ قَائِدٌ مِنْهُمْ هِضَاباً تَبِغْنَ إِلَى الْوَعَى جَبلاً مَنِيعَا
كأنك تقودهم وهم الهضاب، وأنت أمامهم كالجبل

تَخَذْتَهُمْ لَدَى الْجَلَى سُيُوفاً لَهَا لَعَنَ الْفَرَنْسِيُّ الدُّرُوعَا
اتخذتهم في الجلى (الخطب العظيم) سيوفاً لم تفلح في صدها دروع الفرنسي فلعن دروعه
وَأَيُّ دَرِيَّةٍ تَغْصِي حُسَاماً تَعَوَّدَ، فِي يَمِينِكَ، أَنْ يُطِيعَا
دريئة: الترس

أَلَمْ يَلْبَسْ عِدَاكَ التَّنْكَ دِرْعاً فَسَلَّهُمْ: هَلْ وَقَى لَهُمْ ضُلُوعَا
التنك: الدبابة

أَعْرَتْ عَلَيْهِ تَلْقَى النَّارَ بَرْدَاً وَيَرْزِمِيهَا الَّذِي يَرْمِي هَلُوعَا
شنت عليه الغارة وأنت تلقى (تواجه) نيرانه وكأنها برد وسلام عليك، ولكنه يطلق هذه النيران من
يطلقها هَلُوعاً (خائفاً)

وَلَمَّا صِرْتَ مِنْ مُهَجِ الْأَعَادِي بِحَيْثُ تُذِيقُهَا السُّمَّ النَّقِيعَا
وَوَثَبْتَ إِلَى سَنَامِ التَّنْكِ وَثَباً عَجِيباً، عَلِمَ النَّسْرُ الْوُقُوعَا
وَكَهَرَنْتَ الْبِطَاحَ بِحَدِّ عَضْبٍ بَهَرْتَ بِهِ الْعِدَى، فَهَوَّوْا رُكُوعَا
عضب: سيف

كَأَنَّ بِهِ إِلَى الْإِفْرَنْكِ جُنُوعَا وَسَيْفُكَ، مِثْلُ ضَيْفِكَ، لَنْ يَجُوعَا
فَخَرَّ الْجَنْدُ فَوْقَ التَّنْكِ صَرَعَى وَخَرَّ التَّنْكَ تَحْتَهُمْ صَرِيعَا

فيا لك غارة، لو لم تُذغها
ويا لك أطرشاً، لما دُعينا
إذا حاولت رفع الضيم، فاضرب
«أجِبُوا بعضُكم بعضاً» وعظنا
ألا أنزلت إنجيلاً جديداً
شفعت بنا أمام أب رحيم
شفعت بنا أيها المسيح لدى الأب (الله، في تعبير مسيحي)، والأب لا يحتاج شفيعاً

أجرنا من عذاب النّير، لا من عذاب النار، إن تك مُستطيعاً
النير: القهر، وأصله الخشبة توضع على رقبة ثور الحراثة

ويا لبنان! مات بنوك موتاً وكنت أظنهم هجعوا هجوعاً
الهجوع: النوم

بدت لك فرصة لتعيش حرّاً فحاذر أن تكون لها مضيقاً
ومأ لك بعد هذا اليوم يوم فإن لم تستطع.. لن تستطيعاً

٣٥ أم الضباع في حوران

قال ونظمها أثناء احتدام الثورة الدرزية وقد راجت إشاعة تدليل فرنسا على سورية وتخليها عنها لإيطاليا:

بدت ولهي، ممزقة القناع فدثت لها: فدثتك! لا تراعي
فدون جمالك أبطال العوالي مؤزرة بأبطال اليراع
العوالي: الرماح، مؤزرة: مؤيدة، اليراع: القلم

رماح كالأفاعي مشرعات وأقلام كأنياب الأفاعي
أطلني واشهدي منهم هجوماً ترري وثب القلاع على القلاع
وهل عريّة هذا أخوها تُراع إذا دعا للحرب داع
فرنسة! ليس في حوران لحم يسر بنيك، يا أم الضباع
وهل لاقيت في حوران إلا مأسد، خلّتها جهلاً مراعي
المأسد: مراض الأسود (مفردها مأسدة)

فَيَا بَارِيْسُ! عُودِيْ عَنْ جِمَانَا وَجُودِيْ جُودَ رُومَةَ بِالْوَدَاعِ
فقد حكمت روما سورية قبل الفتح الإسلامي

لَقَدْ لَاقَتْ قَدِيْمًا مَا كَفَّاهَا عَنَاءَ الْبَحْثِ عَنْ مُلْكٍ مُضَاعِ

٣٦ الحق الثاني

إِنْ ضَاعَ حَقُّكَ لَمْ يَضِعْ حَقَّانِ لَكَ فِي نِجَادِ السَّيْفِ حَقٌّ ثَانٍ
نِجَادِ السَّيْفِ: حمائله التي بها يشد في وسط الرجل وكتفه

مَا مَاتَ حَقٌّ فَتَى لَهُ زَنْدٌ، لَهُ كَفٌّ، لَهَا سَيْفٌ، لَهُ حَدَّانِ
فَابْعَثْ سِوْفَ الْهِنْدِ مِنْ أَعْمَادِهَا تَبْعَثْ بِهَا الْمَوْتَى مِنَ الْأَكْفَانِ
بِعَجَائِبِ الْهِنْدِيِّ حَارَ الثُّرْكُ مَا حَارُوهُ، لَا بِعَجَائِبِ الْعِبْرَانِي
الهندي: السيف، العبراني: المسيح

وَالسَّيْفُ، لَا عَيْسَى وَلَا أَضْرَابُهُ، خُلِقَ «الْكَمَالُ» لَهُمْ مِنَ الثَّقْصَانِ
الكمال: في الكلمة معناها، وفيها إيماء إلى مصطفى كمال أتاتورك

لَمَّا شَكُونَا جُوفَنْبِيلَ إِلَى الطَّبْيِ فَشَكَا إِلَى جَمْعِيَّةِ الْقُرْصَانِ..

شكونا دي جوفنيل القائد الفرنسي إلى الطبي (شفرات السيوف) ودعوناها أن تؤدبه، فراح يشكونا إلى جمعية القرصان (عصبة الأمم)، وهي التي منحت الدول الأوروبية الوصاية على بلاد العرب

صَاحَ: الْمَرْوَةَ يَا فِرْنَجُ! فَلَيْسَ لِي فِي صَدِّ غَارَاتِ الدُّرُوزِ يَدَانِ
ليس لي يدان: لا قدرة لي

عَهْدِي بِهِمْ فِي السَّلْمِ حُمْلَانًا، قَوَا رُغْبَاهُ بَعْدَهُمْ مِنَ الْحُمْلَانِ
كنت أظن الدروز حملاناً، خرافاً، وادعة.. فمن الآن فصاعداً الويل لي من الحملان إن كانوا كهؤلاء الأشاوس

لِلَّهِ مَنَظَرُهُمْ إِذَا هَزَجُوا، وَقَدْ هَزَّوْا الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ وَطَعَانِ
هزجوا: غنوا أهازيج الحرب

وَنِسَاؤُهُمْ! لَوْ تَشْهَدُونَ نِسَاءَهُمْ فِي الْحَرْبِ حَامِلَةً عَلَى الشُّجْعَانِ
يَنْفُخْنَ فِي أَشْبَالِهِنَّ حِمَاسَةً تَثْبُتُ الصُّدُورُ لَهَا مِنَ الْعَلْيَانِ
فَكَأَنَّهُمْ لَبَسُوا بِهِنَّ جَوَانِحًا طَارَوْا بِهَا لِلْحَرْبِ كَالْعِقْبَانِ

وَلَيْنَ نَسِيتُ، فَلَسْتُ أَنْسَى بَيْنَهُمْ رَجُلَ الرِّجَالِ، وفارسَ الفرسانِ
يُفْنِي الرِّجَالَ بِأَحَدٍ وَمُقَوِّمُ ضِدِّيْنِ فِي اللَّبَّاتِ يَلْتَقِيَانِ
الأحدب: السيف، المقوم: الرمح، اللبات: أعالي الصدور

وَيَكَاذُ يَفْتَرِسُ الْعَدُوَّ جَوَادُهُ فَكَأَنَّهُ أَسَدٌ عَلَى سِرْحَانِ
سرحان: ذئب

فَذُكُفِيَتْ بِهِ سُؤَالَ النَّاسِ: مَنْ تَغْنِي؟ وَهَلْ أَعْنِي سِوَى سُلْطَانِ
لِبْنَانُ، يَا لِبْنَانُ! بَلْ مَا ضَرَّنِي لَوْ قُلْتُ: يَا بَلَدًا بِلا سُكَّانِ
إِنْ كَانَ لِلدِّينِ الدُّرُورُ تَعَصَّبُوا أَرْنَا التَّعَصَّبَ أَنْتَ لِلْأَوْطَانِ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ فِي الْوَرَى مُسْتَعْبَدًا لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ أَيُّهَا اللَّبْنَانِي
أَوَلَيْسَ فِي لِبْنَانَ عِرْقٌ نَابِضٌ أَوَلَيْسَ فِي لِبْنَانَ مِنْ مُتَفَانِ
أَيْنَ الثَّرَاثُ، ثُرَاثُ أَبْطَالِ الْحِمَى أَيْنَ الْبَقِيَّةُ مِنْ بَنِي عَسَّانِ
لَا تُنْكِرُوهَا، قَالَدُمُ الْعَرَبِيُّ قَدْ جَلَّتْ أَصَالَتُهُ عَنِ النُّكْرَانِ

٣٧ الدوران والمدارة

لَا تَخْذَعَنَّكَ مِنْ ضِدِّ مُسَايَرَةٍ فَاَلْمَاءُ، وَهُوَ حَمِيمٌ، يُظْفِئُ النَّارَ
الماء حتى وهو حميم (ساخن) يطفئ النار، فهو لا يغير طبعه، وكذا العدو

وَدُرُّ، وَدَارِ الْوَرَى تَأْمَنُ غَوَائِلَهُمْ مَا أَخْطَأَ الْحَزْمَ مَنْ دَارَى، وَمَنْ دَارَا
الورى: الناس، غوائلهم: دواهيهم، دارى: فهو يداري ويكاتم الخصوم، ودار: فهو يدور مع
الأمور كما تدور

٣٨ رأيي من رأيك، ولكن..

يَا مَنْ إِذَا مَدَحَ امِرُّؤُ شِغْرِي، تَوَلَّاهُ الْكَمَدُ
الكمد: الغم

عُذْرًا، أَخِي، فَلَيْسَ لِي فِيمَا يَقُولُ النَّاسُ يَذُ
ليس لي فيما يقولون يد: لا دخل لي فيما يقولون

رَأْيِي كَرَأْيِكَ، إِنَّنِي فِي الشَّعْرِ أَجْهَلُ مِنْ وَلَدُ
لكن، أقول كما تقو ل، فلا يصدفني أحد

٣٩ عيد السادة

قال في عيد استقلال البرازيل، بينما جرح النكبة السورية، ١٩٢٥، ما زال دامياً:
 دغني، فقرعُ طبولهم صرَبَ على أضلاعِ هذا اليائس المنكود
 دغني فهذا يومهم، لا شأن لي فيه، وعيدي غيرُ هذا العيد
 أنا لا أشاركُ سادةً في عيدهم ما دمتُ عبداً ينتمي لِعبيد

٤٠ ليسقط المتفرنس

قال، وألقاها في ١٩٢٦ بحضور شاعر برازيلي كان زار سورية أثناء الثورة الدرزية:
 ما في أوربة دولة مأمونة الكل أعداء الشأم، فكُنسُوا
 وابكُوا معي لبنان؛ إن بُكاءه فرض على أهل الوفاء مقدس
 وطن تحيرت العبيد لذلّه وأذل منه رئيسه والمجلس
 في كل كُرسيّ تسند نائب مُتكتف أعمى أصم آخرس
 فكأن ذاك البرلمان خريبة منبوشة، وهم الرؤوم الدرُس
 وليخي كل مدافع عن قومه وبلاده، وليسقط المتفرنس

٤١ الدمعة المحرقة المفرقة

قال، وقد غرست أمه في فناء الدار حبة سمنها حبة رشيد. وكانت تتفأل إن
 اخضرت، وتتشاءم إن ذبلت. وأبصرها يوماً مخضرة نضرة، فقال:

قد كنتُ مثلك أيها الحبُّ لي منظرٌ خلوّ، ولي عبقُّ
 الحب: نبات عطري ينبت بكثرة في أغاني فيروز. و«المنجد» يقول: هو الريحان

تَهْفُو إِلَيَّ عَيُونُ مَنْ نَظَرُوا وَتَهَيَّمُ بِي أَرْوَاحُ مَنْ نَشَقُّوا
 بَلْ كُنْتُ كَالْحَسُونِ مَسْرُحُهُ بَيْنَ النَجُومِ، وَعُشَّةُ الْأَفَقِ

الحسون: عصفور مغرد، دون الكناري سعراً لأن الكناري أشقر أصفر، والحسون بني موج، وقد
 تجلّل رأسه حمرةً تزيد في سعره

واليوم زَقَزَقَتْنِي الْأَنْبِيْنُ، وَأَجَبَ خِيَحَتِي الْحَنِينُ، وَمَهْدِي الْأَرْقُ
 مَلَّ الْأَحِبَّةُ رُؤْيَتِي، وَنَبَتْ عَنِّي الْعَيُونُ، وَمَالَتِ الْعُنُقُ
 نَبَتْ: أشاحت

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُشْفَعُنِي فِي الْحَبِّ إِلَّا الدَّمْعُ وَالْحُرْقُ
أَطْلَقْتُهَا فِي إِثْرِ مَنْ هَجَرُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَنْظَلِقُ
فَلَوْ أَنَّهُمْ خَلَفَ السَّهَى غَرِقُوا وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ اخْتَرَقُوا

السهي: مجموعة نجوم. يقول: حتى لو كان الذين هجروني بعيدين خلف السهي فسيغرقون في سيل دموعي؛ ولو كانوا في الجنة، وهي برد وسلام، لاحترقوا من حرارة دموعي. وهذا من قول صاحب الموشح: لو صادف نوح دمع عيني غرقاً/ أو جرب لوعتي الخليل احترقاً// أو حُمِلَتِ الجبال ما أحمله/ صارت دُكًا وخرَّ موسى ضِعْقًا. والقروي عازف عود من شبابه الباكر، أتقن العود ولما يكن هناك عبد وهاب ولا أم كلثوم، وكانت بضاعة العازف في ذلك الزمن الغابر أغاني الناس والموشحات. ومطلع هذا الموشح «يا غصن نقا مكللاً بالذهب» وهو من الدوبيت، وعلى بحر مبتدع. وللشعر العربي المتأخر على هذا البحر أبيات كثيرة جُلُّها في الغزل. ولابن الفارض دوبيت (أي رباعية) يقول فيها: أهوى رَشَأُ رُشَيْقٍ الْقَدْ حُلِّيَ/ قد حَكَّمَهُ الْغَرَامُ وَالْوَجْدُ عَلَيَّ// إِنْ قَلْتُ: خُذِ الرُّوحَ يَقُلْ لِي: عَجَباً/الرُّوحُ لَنَا، فَهَاتِ مِنْ عِنْدِكَ شَيْءً. وقد تحير القدماء في «تفعيل» هذا البحر. وأدنى ما أراه إلى الأبيات المغناة «فَعِلْنِ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلْنِ». وابتحث عن زحاف لتصلقه بالتفعيلة الثالثة في الشطر الثالث. وقد دَوَّنَ سليم الحلواني «يا غصن نقا» على ميزان الأقسام الخماسي بلا لازمة (شيء يحوج المغني إلى رثتين كمفتاح البشرجي)، وغنته فيروز على السربند، وغناه صباح فخري على السماعي الدارج، وغناه الشيخ إمام وإيقاع «الوحدة السائرة» في ذهنه (ولم يصاحبه رق). وكل هذه الإيقاعات يقيس موازير النغم قياساً طبياً مع مراعاة مواطن النبر في اللحن. ولا أكاد أجد موشحاً تحير الإيقاع فيه هذه الحيرة.

أتكئى على هذا الكلام المملوكي عن ثقافتنا العربية كي أخوض قليلاً في ثقافتنا الجديدة. في مواقع الإنترنت المتخصصة في الموسيقى، وفي تلك المتخصصة في الشعر - وقد شاء ربك أن يكون ذائقو الشعر العربي على جهل كثيف بالموسيقى، والعكس بالعكس - كلام كثير عن إيقاع «يا غصن نقا» وعن الدوبيت، ونقاش طيب الطيب كله في التفاصيل. وهو كلام هواة ولا شك. لكنهم ذواقون محبوبون لهذه المفردات الثقافية حدَّ الهوس. وهم قلة قليلة. هذه الثقافة كلها يرعاها أولئك الهواة ويحفظونها للمستقبل. ولكن الشباب في مجتمعاتنا العربية ذهب بعيداً. قل لي: من يسمع محمد عبد الوهاب اليوم؟ قمنا بعملية استبدال. ألغينا الشعر العمودي، ثم شعر التفعيلة، واكتفينا بأسطرثرية يسميها أهلها «قصيدة الشر»، وألغينا مقاماتنا وإيقاعاتنا، وطهرنا آذاننا من طريقة الغناء القديمة، حتى عبد الحليم حافظ صار عتيقاً. وصار غناؤنا اليوم أقل تعقيداً من ناحية اللحن في اللحن، ومستنداً إلى توزيع بدائي. ليس لأن البساطة أفضل، ولا لأن الألحان البسيطة تعبر عن النفس الجديدة «للإنسان العربي الجديد» أحسن، ولكن لأن قديمنا المادي المحسوس انهزم - قديمنا في السياسة وفي خَلْقِ الثروة وفي الحرب - فكان لا بد من أن ينهزم قديمنا المعنوي غير المحسوس.. أي قديمنا في الثقافة. عدنا إلى حال طفولة ثقافية. حتى في كلمات

اللغة، صار معجم المتعلم العربي المتخرج لتوه من كلية الإعلام أو كلية علم الاجتماع محدوداً كمعجم الطفل. فإن شاء أن يتعلم علماً حقيقياً بالطريقة الوحيدة أن يذهب إلى جامعة خارج الوطن العربي، وأن يستبدل بلغته الأم لغة حية.. «أحيى» من العربية. ولست أدعو إلى العودة إلى مفردات الثقافة المملوكية في أدب أو في موسيقى، ولا أدعو إلى أي رجوع أو «إحياء». بل لا أدعو إلى شيء؛ لأنني لا أرى أفق المستقبل، فلو رأيته لبدأت أحنن كيف سيكون شكل ثقافته. على أنني - مثل كل الجماعين المدّخرين، المشبهين موظفي الأرشيف في امتلاك غريزة الفهرسة - أحب لو احتفظنا بترائنا. ومثل موظفي الأرشيف أيضاً لا أنظر كثيراً في فائدة المادة التي أفهرسها، أكتفي بأن أحفظها. لعلها تلزم

٤٢ ويل للذي لا يستعد

قال للمفوض الفرنسي، وقد أثار طغيانه كثيرين من اللبنانيين ممن أيدوا الانتداب في البداية:

أَلَا قُلْ لِلْمَفْوضِ قَدْ هَزَلْنَا وَإِنَّ الْهَزْلَ قَدْ يَثْلُوهُ جِدُّ
إِذَا مَا الظُّلَمِ جَاوَزَ كُلَّ حَدٍّ فَلِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَلَيْهِ حَدُّ
فَلَا تَلَمْ الْمَحِبَّ عَلَى جَفَاءٍ لَقَدْ أَخْرَجَتْهُ يَا مُسْتَبِدُّ
لا تلم من كانوا يحبونك في لبنان، فاستبدادك أخرجهم

سَنُسَمِعُكَ الزَّمَا زَمَ عَنْ قَرِيبٍ فَمَا مِنْ ثَوْرَةِ الْأَحْرَارِ بُدُّ
الزمازم: همهمات وصخب الجيش

تُخَوِّفُنَا الْمُنُونُ، وَأَنْتَ أَذْهَى لَقَدْ خَوَّفَتْنَا مِمَّا نَوَدُّ
المنون: الموت. أنت أدهى من أن يغيب عنك أننا نود لقاء الموت.. المعنى الذي لمحتة
وَمَنْ أَنْبَاكَ أَنَّ الْمَجْدَ سَهْلٌ وَأَنَّ طَرِيقَ الْإِسْتِقْلَالِ وَرْدُ
أنباك: أنباك، أي أخبرك

أَيُظْمَعُ بِالسِّيَادَةِ كُلُّ قُطْرٍ وَلُبْنَانُ، أَبُو الْأَحْرَارِ، عَبْدُ؟
شعوب الأرض لِلنُّوبِ اسْتَعَدَّتْ فَنُوِّلُ لِلَّذِي لَا يَسْتَعِيدُ

٤٣ أدين بدين الحب

قال في صنبول ١٩٢٧:

لَطَمْتَ جِدَارَ الْأَفْقِ حَتَّى تَصَدَّعَا وَعَاذَرْتَ بَابَ اللَّانِيَهَايَةِ مُشْرَعَا

وَأُظْلِفَتْ وَرَقَاءُ ابْنِ سَيْنَا، فَحَلَّقَتْ تَرُودُ مَحَلًّا فِي السَّمَاوَاتِ أَرْفَعَا

ورقاء: حمامة. وكان ابن سينا في قصيدة عينية شبه الروح بالحمامة، ترود: تبحث عن

ولم تَرِ مِنْ خُلْدٍ وَلَا مِنْ مُحَلَّدٍ وَلَمْ تَرِ لَا عَرْشًا، وَلَا مُتْرَبَعًا

مترع: مكان

* * *

تَزَعَزَعَ إِيْمَانِي، وَحَاقَ بِي الْأَسَى وَوَدَّعْتُ عَهْدًا لِلصَّلَاةِ تَكْرَسَا

وَصِرْتُ، إِذَا لِلدِّينِ يُعْقَدُ مَجْلِسٌ، عَقَدْتُ، وَأَهْلَ الْكُفْرِ، لِلْكَفْرِ مَجْلِسًا

وَإِذْ نَالَ مِنِّي الْعُجْبُ يَوْمًا مَنَالُهُ وَفَارَتْ دِمَائِي فِي عُرُوقِي تَحْمَسَا

العجب: التكبر

تَذَكَّرْتُ تَهْدِيدَ الْوَلِيدِ لِرَبِّهِ وَأَلْقَيْتُ فِي النَّارِ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَا

الوليد بن يزيد خليفة أموي قيل إنه مزق المصحف، ونسب إليه أنه خاطب ربه قائلاً: أتوعد كل

جبار عنيد// فهذا أنا ذاك جبار عنيد

* * *

أَلَا كُلُّ دِينٍ، مَا خَلَا الْحُبَّ، بِدْعَةٌ أَلَا كُلُّ عِلْمٍ، مَا عَدَاهُ، تَوْهُمٌ

وَلَا عَجَبٌ أَنْ يُنْكِرَ اللَّهُ كَافِرٌ فَمَاذَا تَرَى مَنْ يَجْهَلُ الْحُبَّ يَغْلُمُ!

* * *

كَشَفْتُ ضَمِيرَ الدِّينِ يَوْمَ كَشَفْتُهُ وَلَمْ أَعْتَرِفْ بِاللَّهِ حَتَّى عَرَفْتُهُ

كشفت ضمير الدين يوم كشفت الحب

فَمَا أَنَا فِي الْأَكْوَانِ بَعْدُ بِبَاحِثٍ وَفِي كَيْدِي أَلْفَيْتُهُ، وَأَلْفَيْتُهُ

غَسَلْتُ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَقْدِ أَضْلُعِي بِبَعْضِ الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ قَدْ رَشَفْتُهُ

من كأس الحب

* * *

أَرَى اللَّهَ لَفْظًا بِالْمَكَارِمِ يَنْطِقُ وَدِينًا بِمَحْمُودِ الْفَعَالِ يُصَدِّقُ

كَفَاكُمُ كَلَامًا أَنْ تَلَوْثُمْ كَلَامَهُ، وَمَا زَادَ عَنْهُ فَالَّذِي زَادَ أَحْمَقُ

وَلَمْ يُوصِكُمْ رَبِّي بِأَنْ تَتَشَدَّقُوا وَلَكِنَّهُ أَوْصَى بِأَنْ تَتَصَدَّقُوا

* * *

فَبَا مَن تَمَنَّى أَنَّهُ كَانَ رَائِيَا كَرُؤِيَايَ؛ نَقَّ الْقَلْبَ، وَامْشِ وَرَائِيَا
فَقَدْ شِمْتُ وَجْهَ اللَّهِ فِي قَلْبٍ مُّخْلِصٍ صَرِيحٍ، وَلَوْ فِي الْكُفْرِ، لَيْسَ مُرَائِيَا
شمت: رأيت بعد تفحص

مَضَى كُلُّ مَا أَبْقَى الْغَنِيُّ لآلِهِ وَظَلَّ الَّذِي أَفْنَى عَلَى الْفَضْلِ بَاقِيَا
ضاع كل ما خلفه الغني من المال لآله (لأهله)، وظل ما أنفق على الخير باقياً

٤٤ الجيل الفاسد

خَيْرُ الْمَطَالِعِ تَسْلِيمٌ عَلَى الشَّهِدَا أَزَكَّى الصَّلَاةِ عَلَى أُرْوَاجِهِمْ أَبَدَا
ما في حياتك يا لبنان من أملٍ حتى يغادرَكَ الجيلُ الذي فَسَدَا
يا مَنْ يَرُومُ كُؤُوسَ الْعَرْزِ صَافِيَةً جَفَّتْ يَنَابِيعُ لِبْنَانٍ، فَرَدَّ بَرَدَى
رد بردى: عليك أن تَرَدَّ نهر بردى بدمشق

لَا سَلَمَ إِنْ لَمْ نَعُدْ لِلْأَرْزِ نَضْرَتَهُ وَلَا انتِصَارَ بَغِيرِ الشَّعْبِ مُتَّحِدَا

٤٥ قل للمحنّط

قال عام ١٩٣٠ في حفل تأبين أقيم لجبر دُومَط في صنبول:

يَا صَوْلَةَ الْجُوعِ! كَمْ ذَلَّلَتْ مِنْ أَسَدٍ يَا دَوْلَةَ الْجَهْلِ! كَمْ رَأَسَتْ مِنْ ذَنْبٍ
صولة: هجمة

كَمْ فَازَ بِالْمَالِ دُونِي عَاجِزٌ وَكِلٌ وَكَمْ تَعَبْتُ، فَلَمْ أَرْبُحْ سِوَى التَّعَبِ
وكل: متواكل كسول

كَمْ عَيَّبَ الْقَبْرُ ذَا مَالٍ، فَمَا اكْتَرَثَ لَهُ الْمَحَافِلُ فِي بُعْدٍ وَلَا قُرْبٍ
لَا يَكْسِبُ الْعِلْمُ إِلَّا كُلُّ مُجْتَهِدٍ وَكَمْ ثَرَاءٍ بَغِيرِ الْجِدِّ مَكْتَسَبٍ
قُلْ لِلْمَحْنِطِ: مَاذَا قَدْ حَفِظْتَ لَنَا مِنْ نَاضِرِ الْعُودِ، إِلَّا يَابَسَ الْحَطَبُ
لَيْسَ الْمُلُوكُ إِلَّا أَلَى خَلْفَتِ غَيْرِ دُمَى أَبَقَتْ عَلَيْهَا بَنَاتُ الدَّهْرِ لِلْعِبِ
الألى: الذين، بنات الدهر: المصائب

دَافَعَتْ دُودَ الْبِلَى عَنْهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ تِلْكَ الْعِظَامُ لِصَاحَتِ صِيحَةِ الْغَضَبِ:
دود البلى: الدود الذي يساعد في تحلل الأجسام

ذَرْنِي لِأُمِّي تَبْلَى فِي عَنَاصِرِهَا عَنَاصِرِي، وَتُصَفِّي نَارَهَا ذَهَبِي
عظام الموتى تريد من خبير التحنيط أن يتركها لأمها الأرض لتحلل فيها، ولكي يذهب الجسم
وتبقى الروح، كما تصفي النار الذهب الخالص من خامه

إِنَّ الْمُلُوكَ لَمَنْ تَلَقَى مَوَائِبُهُمْ مخبوءةً فِي بَطُونِ الْكُتُبِ لَا التُّرَبِ

يقول: إن الملوك الحقيقيون لهم الذين يتركون أثراً في التاريخ، فمومياءاتهم هي آثارهم في
الكتب، لا من تحفظ أجسادهم تحنيطاً. التراب: جمع تربة = مقبرة. التسويد لعمران القفني

٤٦ نقاء الضمير

قال عندما تعرف إلى الشاعر عقل الجر:

سِرْ عَلَى الْإِنْصِلِ الْجَدَادِ، وَحَازِرْ شَوْكَةً تَنْخَسُ الضَّمِيرَ الْحَيَّا

فَلَوِ الْأَرْضُ فَحْمَةً، لَمْ تُلَوِّثْ لَكَ يَوْمَ الْحِسَابِ طَرَسًا نَقِيًّا

الطرس: الورقة

٤٧ ترحيب بشاعر

قال ترحيباً بالشاعر عقل الجر في صنبول سنة ١٩٣٠:

لَا تَلْمَنِي يَا عَقْلُ إِنَّ أَنَا قَصَّرُ تَ، فَهَذَا يَا عَقْلُ شِعْرٌ بِدِيهِي

إِنَّهُ لَمَحَّةٌ مِنَ الْحُبِّ فِي الْقَلْبِ بَ، وَجُزْءٌ مِنْ بَعْضِ مَا لَكَ فِيهِ

إِنَّهُ كَالسَّمَاءِ تُبْدِي لَكَ الزُّهْرَ رَ، وَتُخْفِي أَضْعَافَ مَا تُبْدِيهِ

الزهر: النجوم، وما نراه من نجوم السماء قليل من كثير

٤٨ رثاء فوزي المعلوف

قال في تأبين فوزي المعلوف بصنبول ١٩٣٠:

يَخْلَعُ الشَّاعِرُ الْعَظِيمُ عَلَى الدُّنَى يَا بُرُوداً كَانَتْ لَهَا أَكْفَانَا

فَيُرِيكَ الْأَشْيَاءَ مَا شَاءَ: أَشْحَا صَاً تُحَاكِيهَ خَاطِرَاً، وَلِسَانَا

تحاكيه: تشبهه

فَيَنَاقِي الْأَطْيَارَ حِينَاً، وَأَخْبَا نَاً يُنَاجِي الرِّيَاضَ وَالْغُدْرَانَا

وَيَفِيضُ الْحَنَانَ مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى - حَى يَظُنُّ الْوُجُودَ فَاضَ حَنَانَا

وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ تَرْتِي لِمَا يَلْ - قَاءَ مِنْهَا طُولَ الْحَيَاةِ هَوَانَا

فَقَرَّبَهُ فِي الْوَحْشِ إِنْسَاءً، وَفِي الْأَشْدِّ بَاحٍ أَهْلًا، وَفِي السُّهَى أَوْطَانًا
السُّهَى: نجم في السماء

أَجْنَبِيٌّ عَنْ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ وَغَرِيبٌ بَيْنَ الْوَرَى أَيْنَ كَانَا

٤٩ أدباء مغربون

قال في ماتم جرجس إسكندر المملوك سنة ١٩٣٠:

كَمْ خَامِلٍ، لَوْلَا التُّجَا رُهُ كَانَ أَنْبَةَ مَنْ كَتَبَ
خامل: غير مشهور، أنه: أشهر

وَمُضَيِّعٍ بَيْنَ الْبِضَا عَةٍ، وَهُوَ نَابِغَةُ الْأَدَبِ
وَأَرْخَمَتَا لِلنَّازِحِيهِ نَ عَنْ الشَّامِ بِلا سَبَبِ
دَهَبَ الزَّمَانُ بِهِمْ، وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ عَلَى الذَّهَبِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي أَرْضِهِمْ كَدَحُوا، لَفَارُوا بِالْأَرْبِ
وَلَأَخْرَزُوا أَضْعَافَ هَذَا الْوَفْرِ، مَعَ نِصْفِ التَّعَبِ

٥٠ المريض

قال عام ١٩٣١:

سَاهِرٌ، لَا تَمْتُعًا، بَلْ عَذَابًا نَائِمٌ، لَا اسْتِرَاحَةً، بَلْ عِيَاءٌ
فِي مَكَانٍ، هَبَّةُ السَّمَاءِ جَمَالًا، أَيْرَى الْمُدْنَفُ السَّمَاءَ سَمَاءً؟

المدنف: المريض، السماء: الاسم المفضل للجنة عند المسيحيين

يَسْمَعُ النَّاسَ يَسْرَحُونَ إِلَى الْأَعْدِ سَمَالٍ صُبْحًا، وَيَمْرَحُونَ مَسَاءً
وَهُوَ عَنْهُمْ فِي قَبْضَةِ الدَّاءِ، لَا يَمْلِكُ إِلَّا الْإِضْغَاءَ وَالْإِغْضَاءَ
إِنْ يَشَاهِدُ مِنْهُمْ، فَوْجَةً طَبِيبٍ عَادَةً، ثُمَّ عَادَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ
أَوْ نَسِيبٍ، إِنْ زَارَهُ، فَكَمَا زَا رَ مُحِبِّ قَبْرًا، وَمَلَّ الْبَقَاءَ
يَسْتَحِي حِينَ يَسْأَلُ الشَّيْءَ مُضْطَرًّا أ، وَيَحْتَاجُ غَيْرَهُ أَشْيَاءَ
وَإِذَا حَاوَلَ الْكَلَامَ، فَهَمْسًا يَتَلَاشَى، فِي كَفِّهِ، إِيمَاءَ

في هذا البيت الأخير تصوير دقيق وموجز إيجازاً حلولاً للمريض الذي يطلب حاجته هامساً، لشدة المرض؛ وحتى همسته فهي تتلاشى على هيئة إيماءة من يده

٥١ بلغوه سلامي

عيدُ البريّةِ عيدُ المولِدِ النَّبويِّ في المشرقينِ لَهُ، والمغربينِ دَويِّ
بدا مِنَ القَفْرِ نُورًا لِلوَرَى وهُدًى يا لِلتَّمَذُنِ! عَمَّ الكونَ مِنْ بدَويِّ
يا صاحِبَ السِّيفِ لم تُفَلِّ مَضارِبُهُ اليومَ يَقْطُرُ دُلًّا سَيْفُكَ الدِّمَويِّ
يا صاحِبَ السِّيفِ - الذي - لم تفلل (تثلم) مضاربه (شفراته)

يا فَاتِحَ الأَرْضِ مَبْدَانًا لِقُوَّتِهِ صَارَتْ بِلاذُكَ مَبْدَانًا لِكُلِّ قَويِّ
يا قَوْمُ! هذا مَسِيحِي يُذَكِّرُكُمْ: لا يُنْهَضُ الشَّرْقُ إِلَّا حُبُّنَا الأَخَويِّ
فإنْ ذَكَرْتُمْ رَسولَ اللَّهِ تَكْرِمَةً فَبَلِّغُوهُ سَلامَ الشَّاعِرِ القَرَوِيِّ

٥٢ جبل نحو المجد

أليسَ في العَمْرِ يومٌ أَسْتريحُ بِهِ مِنْ شَرِّ مُنْتَقِمٍ، أو لَوْمٍ مُنْتَقِدٍ
مَنْ كَانَ يَطْمَعُ فيما نِلْتُ مِنْ شَرَفٍ فَلْيَشُدْ، وَلْيَعْتَقِدْ شُدُويِّ وَمُعْتَقِدِي
لو كَانَ بِدَرِي حَسُودِي ما أَكْابِدُهُ في الحَقِّ، ما أَكَلْتُهُ جَمْرَةُ الحَسَدِ
إِنِّي صَعِدْتُ إلى مَجْدِي على جَبَلٍ مِمَّا تَهْدَمُ مِنْ رُوحِي وَمِنْ جَسَدِي

٥٣ فرحان بلا سبب

قال في إيتاكيرا ١٩٣٢:

قُمْتُ قَبْلَ الطَّيُورِ أَشَدُّ حُبُورًا لا أرى عِلَّةً لِفَرَطِ حُبُوري
مُؤْنَسًا وَخَشَّةَ الفُضَاءِ، كَأَنِّي نَبَأٌ طَيِّبٌ سَرَى في الأَثِيرِ
وعلى وَجَنَتِي لِلوَرْدِ ظِلٌّ عَائِمٌ فَوْقَ مَوْجَةٍ مِنْ نُورِ
أَتَهَادَى بَيْنَ الغُصُونِ كَغُضَنِ وَأَنَاغِي الغُضْفُورَ كَالغُضْفُورِ
قُلْتُ: رَبِّي! أَزَالَ عَهْدَ شَقَائِي؟ أَمْ أَرَانِي في عَالَمِ مَسْحُورٍ؟
وَإِذَا زَهْرَةٌ كَوَجَنَةٍ طِفْلِ جَنَّبَهَا شَوْكَةً كَنَابِ هَظُورِ

ناب حضور: ناب أسد

فَتَذَكَّرْتُ لَيْلَةَ الأَمْسِ حُلْمًا مِنْهُ أَذْرَكْتُ سِرَّ هَذَا السُّرُورِ
أَنَّ كَفَّ الرِّحْمَنِ، تَحْتَ سُكُونِ اللَّـهِ يَلِي، بِالْعَفْوِ غَلْغَلْتُ في سَرِيرِي

غلغلت: أي تغلغلت (هكذا يقولها اللبانيون)

فَرَمَتْ نَفْحَةً مِنَ الْعِطْرِ فِي قَلْبِ جِي، وَعَادَتْ بِشَوْكَةٍ مِنْ ضَمِيرِي
 أَيَّ أَنْ كَفَّ الرَّحْمَنُ أَوْدَعَتْ قَلْبِي نَفْحَةَ عَطْرِ وَعَادَتْ مِنْ قَلْبِي مَنْصَرَفَةً آخِذَةً شَوْكَةً خَلَّصَتْ مِنْ أَذَاهَا
 ضَمِيرِي

٥٤ نضحية البخيل

يَا مَنْ يَلُومُ بِخِيلًا، قَدْ حَكَمْتُ لَهُ عَلَيْكَ: أَنَّكَ تَسْتَجِدِّي، وَيَمْتَنِعُ
 إِنَّ الْأَشِحَّاءَ أَسْحَى النَّاسِ تَضْحِيَةً إِذْ طَالَمَا نَفَعُوا الدُّنْيَا، وَمَا انْتَفَعُوا
 لَمْ يَمْنَعُوا النَّاسَ يَوْمًا بَعْضُ مَا جَمَعُوا إِلَّا لِكَيْ يَمْنَحُوهُمْ كُلَّ مَا جَمَعُوا
 قَالُوا: النَّوَائِبُ لِلْأَضْدَادِ جَامِعَةٌ حَلَّتْ بِهِمْ نَوْبُ الدُّنْيَا، وَمَا اجْتَمَعُوا

يتحدث الآن عن قومه المتفرقين المتنازعين

قَوْمٌ إِذَا قَعَدُوا فِي مَنْصِبٍ شَمَخُوا نَاسِينَ كَمْ قَرَعُوا بَابًا، وَكَمْ رَكَعُوا
 مَنْ لَا يُحَرِّكُهُمْ ظُلْمٌ يُجَوِّعُهُمْ أَنَّى يُحَرِّكُهُمْ ظُلْمٌ إِذَا شَبِعُوا

٥٥ تحية للعصامي

قال، وأنشدت بالنيابة عنه في تكريم موسى كريم بصنول لمرور خمسين عاماً على
 احترافه الصحافة:

أَدِيبٌ عِصَامِيٌّ مَضَى فِي سَبِيلِهِ إِلَى النَّصْرِ، لَمْ يُلْقِ السَّلَاحَ وَيَسْتَلْقِ
 طَوَى الْعُمُرُ يَغْدُو الضَّادَ مِنْ دَوْبٍ قَلْبِهِ وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ الْحَلَالِ مِنَ الرُّزْقِ

٥٦ يا حبذا وطني على حالاته

قال، وكان عدد من اللبنانيين يحتفلون في أيلول من كل سنة باستقلال لبنان مع بقاء
 الانتداب الفرنسي:

أُرْوِي بِدَجَلَةٍ مَذْمُوعِي وَفُرَاتِهِ وَطَنًا، وَلَمَّا يَبْقَ غَيْرُ رُفَاتِهِ
 خَلَّتِ الْمَحَافِلُ مِنْ بِلَابِلِهِ، فَلَا تَقَعُ الْعَيُونُ عَلَى سَوَى حَشَرَاتِهِ
 حَسِبُ الْحَزِينِ عَلَيْكَ أَنَّكَ مَائْتُ قَدْ عَيَّدَتْ أَحِبَّائُهُ لِمَمَاتِهِ
 يكفي الذي يحزن عليك أيها الوطن أنك ميت يعيد أحبابه لموته، فهذه مصيبة بحد ذاتها

شَقُّوا لَهُ الْأَعْلَامَ مِنْ أَكْفَانِهِ وَتَبَادَلُوا الْأَنْخَابَ مِنْ عَبَرَاتِهِ
 أَعْلَامٌ إِذْلَالٍ، كَأَنَّ خُفُوفَهَا فِي جَوِّهِ لَطَمٌ عَلَى وَجَنَاتِهِ

أَمْدُونُ التَّارِيخِ ا مَرْحَمَةً، وَلَا تَذَكَّرْ لَهُمْ لَبْنَانُ فِي صَفْحَاتِهِ
لَا تُخَيِّرِ الْأَحْفَادَ أَنَّ جُدُودَهُمْ لَمْ يَشْهَرُوا سِيفاً بِوَجْهِ عُذَاتِهِ
قَالُوا: أَتَغَشَّقُهُ، وَهَذِي حَالُهُ؟ يَا حَبَّذَا وَطَنِي عَلَى حَالَاتِهِ
الْعَبِشُ خُلُوْ فِي سَبِيلِ رُقِيِّهِ وَالْمَوْتُ أَحْلَى فِي سَبِيلِ حَيَاتِهِ

٥٧ سلام على كفر يوحد بيننا

قال، سنة ١٩٣٣ في صنبول، في حفل الجمعية الخيرية الإسلامية بعيد الفطر:
صَيَّاماً إِلَى أَنْ يُفْطَرَ السَّيْفُ بِالدَّمِ وَصَمْتاً إِلَى أَنْ يَضْدَحَ الْحَقُّ يَا فَمِي
لَقَدْ صَامَ هِنْدِي فَجُوعَ دَوْلَةٍ فَهَلْ ضَارَ عَلَجاً صَوْمُ مَلِيونِ مُسْلِمِ
الهندي الذي أضرب عن الطعام فأربك بريطانيا هو غاندي

أَكْرَمُ هَذَا الْعِيدَ تَكْرِيمَ شَاعِرٍ يَتِيَهُ بِآيَاتِ النَّبِيِّ الْمَعْظَمِ
وَلَكِنِّي أَضْبُو إِلَى عِيدِ أُمَّةٍ مُحَرَّرَةِ الْأَعْنَاقِ مِنْ رِقِّ أَعْجَمِي
هَبُونِي عِيداً يَجْعَلُ الْعُرْبَ أُمَّةً وَسَيَرُوا بِجُثْمَانِي عَلَى دِينِ بَرَّهِمْ
هبوني: امحنوني، برهم: البراهما وهو إله الخلق عند الهندوس

فَقَدْ مَرَّقَتْ هَذِي الْمَذَاهِبُ شَمْلَنَا وَقَدْ حَطَّمْتَنَا بَيْنَ نَابٍ وَمَنْسِمِ
النسم: ظفر الجمل

سَلَامٌ عَلَى كُفْرٍ يُوَحِّدُ بَيْنَنَا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّمِ

٥٨ ظهور وصدور

الْعَبْقَرِيُّ يَعَافُ شُهْرَتَهُ فَتَجِيثُهُ عَفْواً بِلَا تَعَبِ
وَالْمَدْعَى يُنْسِي وَيَصْبِحُ مِنْ دَعْوَاهُ فِي هَمٍّ وَفِي نَصَبِ
نصب: تعب

يَعْشَى الْمَحَافِلَ لِلظُّهُورِ، وَلَوْ قَرَأَ الصُّدُورَ لَجَدَّ فِي الْهَرَبِ
لَا يَفْتُكُ أَنْ (الظهور) و(الصدور) فيهما لعبة لفظية: إيهام بالطباق

٥٩ الشهرة والافتضاح

حَلَمْتُمْ أَنْكُمْ أَمْرَاءَ شِعْرِ فَمَا دَنْبِي إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ

خمولُ الذِّكْرِ لِلجُهَّالِ سِتْرٌ وشُهْرَةُ مُدَّعِيِ الأَدبِ افْتِضَاحُ
وَكَمْ فِي الشَّعْرِ مِنْ كُثْبَانٍ رَمِلٍ نُكَّوْهُهَا، وَتَسْفِيهَا الرِّيحُ

٦٠ فرار مع المحبوبة

قال، ونظمها في إيتاكيرا على بعد ٢٠ كم من صنبول. وعاش هناك سبعة أشهر مع أمه وشقيقته في بيت وسط بستان جميل. وأنشدها في حفل بصنبول أقيم لرفيقه إلياس فرحات سنة ١٩٣٢:

لمياء! هذا جَبِينُ الفَجْرِ قد سَفَرَا وموسمُ الحَبِّ عَنَّا مُزْمِعٌ سَفَرَا
وأَضْيَعُ النَّاسِ مَنْ يَمْضِي الشَّبَابُ، ولا يَقْضِي مِنَ الحَبِّ فِي أَيَّامِهِ وَطَرَا
يقضي وطراً: يلبي رغبته

طِيرِي نُتَقَّرْ مَعَ الأَسْرَابِ فِي فُرْصِ إِنَّ طَرْنَ لَنْ تَجِدِي حَبًّا وَلَا ثَمَرَا
غداً نَذُوبُ إِلَى الأَعْنَابِ مِنْ ظَمًا وَنَهِيْطُ الكَرَمِ لَا نَلْقَى لَهَا أَثَرَا
عَيْبٌ عَلَيْنَا نَكُونُ البُلْبُلَيْنِ، ولا نَشَارِكُ الطَّيْرَ فِي أَعْيَادِهَا سَحَرَا
أَمَا تَرَيْنِ الدُّجَى لُمْتُ غَدَائِرُهُ سُودًا، فَتَشَرُّهَا رَأْدُ الضُّحَى شُفَرَا
غداؤه: خصلات شعره، رآد الضحى: عز الضحى واكتمال شمس

والغَابُ أَلْفَ جَوْقًا مِنْ عَشِيرَتِهِ: الرِّيحَ والنَّهْرَ والأَطْيَارَ والشَّجَرَا
والْبَدْرُ كَالنَّاشِئِ العَصْرِيِّ، عَادَ ضَحَى مِنْ مَرْقَصِ النِّجْمِ يَشْكُو الضَّعْفَ والخَوْرَا
الناشئ العصري: الشاب في أيامنا هذه؛ يشبه البدر مع زوال الليل بالشاب العائد من المرقص بعد سهرة امتدت حتى الصباح، فهو خائر القوى

يَمْشِي إِلَى السَّاحِلِ الغَرْبِيِّ مُتَّيِّدًا كَالشَّيْخِ فِي سَفْحِ تَلِّ الأفُقِ مُنْخَدِرَا
يعود فيشبه القمر وهو يسير متتداً (متمهلاً) بالشيخ الذي يهبط سفح جبل

وَالْأَرْضُ حَارَتْ: أَتَلَقَّى الفَجَرَ ضَاحِكَةً لِأُمِّهَا الشَّمْسِ، أَمْ تَبْكِي ابْنَتَهَا القَمَرَا
وَالصَّبْحُ أَرْخَى نِقَاباً مِنْ أَشْعَتِهِ أَخْفَى بِهِ الزُّهْرَ لَمَّا أَعْلَنَ الزُّهْرَا
الزهر: النجوم، الزهر: الورود

سَبْحَانِ مَنْ أَبْدَعَ الأَنْوَارَ مُعْجِزَةً إِنَّ شَاءَ أَبَدَى بِهَا الأَشْيَاءَ، أَوْ سَتَرَا
وَلِلْجَدَاوِلِ أُنَاتٌ مُرَجَّعَةٌ كَأَنَّهَا فُجِّرَتْ مِنْ أَكْبَدِ الشُّعْرَا

وَلِلسَّحَابِ ثَنِيَّاتٌ مُصَفَّفَةٌ بَيضٌ، كَأَنَّ عَجُوزًا جَعَدَتْ شَعْرًا

ثنيات: يقصد بها خصلات شعر

تُذْهِبُ الشَّمْسُ أَطْرَافَ اللَّجَيْنِ بِهَا كَمَا تُوشِي يَدُ الرُّوقِيَّةِ الْجَبْرَا

اللجين: الفضة، الروقية: بنت «الزوق»، القرية اللبانية المشتهرة بالتطريز، الجبر: الأثواب

هَيَّا إِلَى الْغَابِ، إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَنَا مِنَ الرِّيَاحِينَ عُشًّا لَيْنًا عَطِرَا

تَحْنُو عَلَيْنَا ظِلَالُ الْأَيْكِ، رَقَطَهَا مِنَ الْأَشْعَةِ كَفَّ تَرْسُ النَّمِرَا

نحنو علينا ظلال الأيك (الشجر)، وترقط أشعة الشمس الأماكن المظلمة ببقع ضوء، تجعلها تشبه جلد النمر

إِذَا سَيَّمْنَا ذُرَى أَفْنَانِهَا سُورًا مَدَّتْ لَنَا الْأَرْضُ مِنْ أَعْشَابِهَا حُصْرَا

ذرى أفنانها: قمم غصونها، سوراً: تخوتاً، الحصر: بسط القش

فِرِّي إِلَيْهِ مَعِيَ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَلَا تَرَوِي إِلَى بَشَرٍ مِنْ أَمْرِنَا خَبْرَا

إِنِّي كَرِيمٌ، أَحِبُّ الْمَالَ مُشْتَرَكَا لَكِنْ غَيُورٌ: أُرِيدُ الْحَسَنَ مُحْتَكِرَا

خَلَّ الْهَيَامَ بِجَنَّاتٍ مُزْخَرَفَةٍ لِشَاعِرٍ يَعَشُقُ الْأَوْهَامَ وَالصُّورَا

اترك يا هذا الشغف بالجنت المزدانة للشعراء

نَحْنُ، الْفَلَاسِفَةُ الْحَمَقَى، لَنَا وَلَعَّ بِالْغَابِ، حَتَّى عَدَدْنَا نَكْرَهُ الْبَشْرَا

لَا يُنَبِّتُ الدِّينُ بُغْضًا فِي مَزَارِعِنَا مَهْمَا أَخُو الْجَهْلِ مِنْ أَشْوَائِهِ بَدَّرَا

الكلُّ فِينَا جُنُودٌ لِلْإِخَاءِ، فَمَا فِي دَوْلَةِ الشَّعْرِ نَوَابٌ، وَلَا وَرَرَا

نَسْتَعْذِبُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاةِ، فَمَا يَجْنِي الْوَرَى الشَّهْدَ حَتَّى نَجْنِي الْإِبْرَا

يشدد الشاعر عمران القفيني النكير على القروي قائلاً: «يا قروي هذا من: ولا بد دون الشهد من إير النحل»، ونقول: هذه سرقة ليست بسرقة، فلهجرة بيت المتنبي نعلها من التضمين

عَفْنَا الْقَشُورَ، وَهَمْنَا بِاللُّبَابِ، فَلَا يُزْرِي الْجَهْلُ عَلَيْنَا أَنَّنا فُقْرَا

يزري علينا: يعيب علينا

لَا نَقْدُرُ النَّاسَ إِلَّا بِالْعُقُولِ، وَلَا نُقِيمُ لِلْمَالِ وَزْنَ، قَلَّ أَوْ كَثُرَا

نقدر: نُقِيمُ (ألا دع عنك الصرفيين المتجملدين الذين يقولون إنها «نقوم»، وكأنهم لم يسمعوا بتقويم الاعوجاج وتقويم الأسنان. «نقيم» معناها نحدد القيمة، ومنها التقويم، وهذه حيلة صرفية بارة للعربية المعاصرة لتفريع اللفظ حتى يغطي معاني جديدة مع أمن اللبس. وأحسن مجمع القاهرة إذ أجازها)

نُورُ الْمَسِيحِ تَجَلَّى مِنْ مَدَاوِينَا وَسَيْفُ أَحْمَدَ مِنْ صَحْرَائِنَا شَهْرًا

المداود: المعالف، وقد وُضع عيسى الوليد في مذود

وَهَلْ سَمِعْتَ بِغَنَدِي؟ إِنَّهُ حَمَلٌ فِي الْهِنْدِ ثَارَ عَلَى الضَّرْعَامِ وَانْتَصَرَ

غندي: غاندي

إِنْ كَانَ عَابَ عَلَيْهِ الْعُرْيُ مُسْتَتِرٌ فَإِنَّ آدَمَ لَوْلَا الْإِثْمُ مَا اسْتَتَرَ

ذاع أن البابا اعتذر عن لقاء غاندي لأن ثوبه لا يغطي ساقه

هَزُّوا الْحَسَامَ فَلَمْ يَحْفَلْ، وَهَزَّ لَهُمْ عُصْنُ السَّلَامِ، فَهَزَّ الْبَحْرَ وَالْجُزُرَا

الجزر: يعني الجزر البريطانية التي هزها غاندي بدعوته اللاعنفية

وَعَادَرَ السَّيْفَ يَحْكِي غِمْدَهُ فَلَلَا فَاعْجَبَ لِعُصْنٍ يَقُلُّ الصَّارِمَ الذِّكْرَا

غادر(جعل) غاندي السيف يحكي غمده فللاً (يشبه) غمده فللاً (تثلاً)، فما أعجب غصن السلام وهو يثلم

الصارم (السيف) الذكر (القاسي)

٦١ ومن نحن عند العد كي نتعددا

قال عام ١٩٣٣ في بيونس آيرس ويذكر الملك فيصل ملك العراق وهو في أوروبا
بفاوض، هذا قبيل وفاته في سويسرا. وألقيت في حفل كبير، حضره رئيس الأرجنتين:

يَمْدُونُ، لِلتَّسْلِيمِ، فِي لَنْدَنِ يَدَا وَيُخْفُونَ لِلتَّسْلِيمِ فِي نَيْنَوَى يَدَا

وقالوا: عليك العرب في الغرب مُكْرَمٌ فقلت: إذن بات المليك مُهْدَدًا

نَصَحْتُكَ، لَا تَمْدُدْ إِلَى أَبْرَصٍ يَدَا وَلَوْ مَطَّرَتْ كَفَّاهُ دُرًّا مُنْضَدًا

الأبرص: الذي به بياض من بهاق أو نحوه، ويعني البيض الأوروبيين، الدر المنضد: اللؤلؤ

المنظوم في عقد

لَأَمْرِ يُلَاقِيكَ الْفِرَنْجِي بِأَيْمًا فَزِدْ حَذَرًا مَا زَادَ ذَنْبٌ تَوَدُّدَا

تراه صحيح الود، وهو سقيمه كما تُكْسِبُ الْحَمَى الْخُدُودَ تَوَرُّدَا

وإن الذي أخنى على عاد قبلكم لِيُخْنِي عَلَى أَوْرَبَةِ الْيَوْمِ أَوْ عَدَا

أخنى على عاد: أهلك قوم عاد

وَأَنْكَى الْعِدَى كَلْبٌ طَلِيقٌ مُسَلَّحٌ يَهْدُدُ فِي الْأَقْفَاصِ لَيْثًا مَقِيدَا

ومرّقنا الإرشاد عشرين دولة ومن نحن، عند العد، كي نتعددا

الإرشاد: الوصاية الأوروبية

لَنَنْ وَعَدُونَا بِالْجَلَاءِ عَنِ الْحَمَى فَقَدْ ضَرَبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْعِدًا

٦٢ رثاء فيصل بن الحسين

قال، وألقاها في الحفلة التأيينية للملك فيصل بن الحسين، ملك العراق، سنة ١٩٣٣ :

لَنْ يَفِيكَ الرَّثَاءُ يَا سَيِّدَ الْعُرَى يَا سَبْطَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

سبط: حفيد

وَلَوْ أَنَّ السَّحَابَ كَانَ دُشُوعًا وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ كُنَّ عُيُونًا
يَا حَاجِبًا يَطْوِي إِلَى الْكَفَّةِ الْبَطْ حِجَاءَ طَيًّا، وَيَسْتَحِثُّ الظُّعُونَا

البطحاء: مكان في مكة، يستحث الظعون: يحث الإبل على السير

كُنْ جَلِيدًا عَلَى الشَّدَائِدِ، وَاسْمَعْ نَبَأَ رَنٍّ فِي الْحِجَارِ رَيْنَا
وَطَا الرَّمْلَ عِنْدَ مَكَّةَ وَطَيًّا كَانُطْبَاقِ الْجُفُونِ رِفْقًا وَلِينَا
لَيْسَ هَذَا رَمْلُ الْحِجَارِ، وَلَكِنْ هُوَ قَلْبُ الْحِجَارِ أَمْسَى طَحِينَا

طحين: مطحون

٦٣ أفاعيل ذات الأساطيل

قال في رثاء الملك فيصل بن الحسين ١٩٣٣ :

يَهَيْئُكَ! لَمْ تَرَ عَيْنَاكَ الَّذِي فَعَلْتَ ذَاتُ الْأَسَاطِيلِ مِنْ أَهْوَالِهَا فِينَا

ذات الأساطيل: بريطانيا

أَجْرَتْ مَرَاكِبَهَا مَشْحُونَةً قَدْرًا وَأَفْرَعَتْهَا يَهُودًا فِي فِلَسْطِينَا
قَدْ أَنْزَلَتْهُمْ بِوَادِينَا عَلَى سَعَةٍ وَشَرَّدَتْنَا حَيَارَى فِي بَوَادِينَا
وَأَكْبَرُ النَّائِبَاتِ السُّودِ نَائِبَةٌ أَخْبَابُنَا شَارَكُوا فِيهَا أَعَادِينَا

وقد أفنى البطريق عريضة في ذلك الوقت بوجود معاملة اليهود بشريعة المسيح وإيوائهم والانتفاع برساميلهم

لَمْ يَكْفِ لُبْنَانَ مَا كَادُوا لَهُ قَعْدًا، وَهُوَ اللَّبْنَانُ، مَقْسُومًا لَبَانِينَا
يَا سَيِّدَ الدِّينِ! هَلْ يُدْعَى مُعَلِّمُكُمْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَمْ مُوسَى وَهَارُونَا
لَقَدْ رَجِمَتْ ثَعَابِينَ الْيَهُودِ، أَلَا فَارَحِمْ خِرَافَكَ، وَاحْسَبْهُمْ ثَعَابِينَا

شبه المسيح رعاياه بالخراف: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف»

يوحنا أصحاح ١٠ - ١١

قَالَ الْمَسِيحُ لَنَا: حَبُّوا أَعَادِيَكُمْ لِكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ: حَبُّوا الشَّيَاطِينَ

تسويد عمران القفيني

الدِّينُ قَبْلَتُنَا، لَكِنْ تَجَارَتْكُمْ بِالدِّينِ تُكْرِهُنَا أَنْ نَكْرَهُ الدِّينَا

متاجرتكم بالدين تجبرنا على أن نكرهه

أَمَلْتُمْ الرِّزْقَ مِنْ أَرْزَى الْأَنَامِ يَدَا يَا لِلْمَصِيبَةِ! هَلْ صِرْتُمْ مَجَانِينَا

هَبَّكُمْ أَصَبْتُمْ، فَإِنَّا لَا نُرِيدُ غِنَى مِنَ اللُّصُوصِ الْمَرَابِيعِ الْمَرَائِنَا

وَاللَّهِ لَوْ دَاسَ فِي بَيْرُوتَ أَطْهَرُهُمْ لَسَمَّمْتُ قَدَمَاهُ نَبَعَ صَنِينَا

٦٤ وطن يحتاج إلى صفة

قال سنة ١٩٣٤ :

لَكُمْ تَحْمِيكَ يَا وَطَنِي لُصُوصُ! وَكَمْ، يَا قَوْمَ، تَرْعَاكُمْ ذُنَابُ

سَنَقَتْلُكُمْ، وَنُحْيِيكُمْ، إِلَى أَنْ يُمَرِّقَ عَنْ عُيُونِكُمُ الْحِجَابُ

وَكَمْ كَفَّ يَاطِيرُ بِهَا صَوَابُ وَأُخْرَى يُسْتَعَادُ بِهَا الصَّوَابُ

كف: صفة

٦٥ لِمَنِ الْمَادِبُ

قال وقد أَدَبَتِ الْجَالِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي بِيونس آيرس سنة ١٩٣٤ مَادِبَةً سَخِيَّةً لَهُ وَلِرَفِيقِهِ

إِلْيَاسُ فَرَحَاتُ:

لِمَنِ الْمَادِبُ حَوْلَهَا الْأَضْيَافُ وَعِلَامَ هَذَا الْبَذَلُ وَالْإِسْرَافُ

حَسْبُ الْبَلَابِلِ حَبَّتَانِ وَقَطْرَةٌ وَتَعُودُ لِلتَّغْرِيدِ، وَهِيَ خِفَافُ

وَاللَّهِ مَا ظَفِرَتْ يَدَايَ بِلُفْمَةٍ إِلَّا عَرَانِي خَاطِرٌ رَجَّافُ

وَتَمَثَّلْتُ لِي فِي الْمَضَارِبِ صَبِيَّةٌ خُمُصُ الْبُطُونِ، كَأَنَّهُمْ أَطْيَافُ

خمص البطون: ضامرو البطون جوعاً

لَهُمُ الصَّحَارَى وَالْمَجَاعَةُ وَالصَّدَى وَلَنَا التَّنْدَى، وَالْحَمْرُ، وَالْأَرْيَافُ

الصدى: العطش

أَشْبَالُ مَنْ نَشَرَ الْكَتَائِبَ سَيْفُهُ وَسَقَى السَّبَاسِبَ رُمْحُهُ الرَّعَافُ

السباسب: الصحارى، الرعاف: الذي يسيل منه الدم

أُنَجَّالٌ مَنْ كَانَتْ تَرْوُحٌ وَتَغْتَدِي كَالنَّمْلِ، حَوْلَ جَوَانِهِ، الْأَضْيَافُ
أَطْفَالُ سُلْطَانٍ تَجُوعٌ، وَطَالَمَا شَبِعَتْ، بِفَضْلِ فَطُورِهِ، الْآلَافُ
أَتَى تَطِيبُ لِدِي الشُّعُورِ لُمَاطَةً وَتَسُوعٌ فِي حَلَقِ الْأَبِيِّ سُلَافُ
لماطة: لقمة، سلاف: خمر

وَالشَّهْدُ، إِنَّ ذِكْرَ الْمُقِيمِ عَلَى الطَّوَى، سُمٌّ بِأَحْشَاءِ الْكَرِيمِ زُعَافُ
الطوى: الجوع، سم زعاف: سم سريع القتل. تسويد عمران القفيني

٦٦ كلا أحمديها

قال سنة ١٩٣٥ في المهرجان التذكاري الذي أحبته العصبة الأندلسية لمرور ألف سنة
على وفاة المتنبّي:

نَبِيٌّ وَلَوْ ضَجَّتْ شُبُوحُ وَرُهْبَانُ وَهَلْ بَعْدَ إِعْجَازِ ابْنِ كِنْدَةَ بُرْهَانُ
ابن كندة: المتنبّي أحمد بن الحسين الكِنْدِي

وَكُلُّ كَلَامٍ يَرْفَعُ النَّفْسَ مُنْزَلٌ وَكُلُّ مَقَالٍ يُفْسِدُ الْعَقْلَ بُهْتَانُ
وَإِذَا افْتَحَرَتْ أُمُّ اللُّغَاتِ عَلَى اللُّغَى وَأَذَلَّتْ بِفُرْقَانٍ، تَعَرَّضَ دِيْوَانُ
إذا افتخرت العربية على اللغات بالقرآن، فديوان المتنبّي يزيد بها فخراً

كَلَا أَحْمَدِيهَا جَاءَ فِيهَا بِمُعْجَزٍ فَلِلشَّرْعِ قُرْآنٌ، وَلِلشُّعْرِ قُرْآنُ
ظل النقاد يقولون «الأحمدين» يعنون المتنبّي وأحمد شوقي، حتى جاء القروي فقرن
المتنبّي بالرسول، وجعل ديوان المتنبّي قرآن الشعر. لافَتْ ما في الشعر من الصنعة:
هذه المزاجية بين برهان ورهبان في البيت الأول، وأختها هنا بين «الشرع»
و«الشعر». ومن محاسن شعر القروي أنه استعمل المحسنات البديعية بدون إفراط
فجاءت حلوة سائغة، وكان المسلمون يحتملون منه جرأته لاستمساكه بالثقافة العربية
الإسلامية، ولو كان بيننا اليوم في عام ٢٠٠٩، لكفروه تكفيراً

فِيَا لَكَ مِنْ نَسْرِ لَهُ زَارٌ ضَيِّعٌ زَمَازِمُهُ فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ أَلْحَانُ
الزمازم: الأصوات المختلفة، وصاحب الكلمة المتنبّي إذ يقول عن الجيش «وفي أذن الجوزاء منه
زمازم»

تَحَطَّى سَمَاءَ الْعَبَقَرِيِّينَ، وَانْجَلَّتْ لَهُ خَلْفَ أَكْوَانِ الْأَنَاسِيِّ أَكْوَانُ
وَنَزَلَتْهَا لِلنَّاسِ آيَاتٌ حِكْمَةٌ جَوَاهِرُهَا فِي مَفْرِقِ الشُّعْرِ تَبِيجَانُ
الآن يخاطب المتنبّي. المفرق: الرأس

بِكَ اشْتَهَرَ الْعَصْرُ الَّذِي أَنْتَ فَخْرُهُ وَأَنْتَ لَهُ التَّارِيخُ وَالْمَجْدُ وَالشَّانُ
عِيَالٌ عَلَى ذِكْرِكَ ذِكْرَى مُلُوكِهِ وَأَسْمَاؤُهُمْ فِيهِ عَلَى اسْمِكَ ضَيْفَانُ
الملوك الذين نذكرهم اليوم إنما يذكرون بسبك، فشهرتهم متطفلة على شهرتك أنت، وأسماءهم
بمثابة الضيفان، الضيوف، على اسمك

خَلَدْتَ، فَخَلَّدْتَ الزَّمَانَ، وَهَكَذَا تَمُوتُ وَتَحْيَا بِالنَّوَابِغِ أَرْمَانَ
بِشَاعِرِهَا فَلْتَفْتَحْ كُلُّ أُمَةٍ يُهَدِّدُهَا بِالْمَوْتِ وَالْعَارِ طُغْيَانُ
إِذَا طُويَتْ أَعْلَامُهَا فَهَوَ بَيْرَقُ وَإِنْ أُخْمِدَتْ أَنْفَاسُهَا فَهَوَ بُرْكَانُ
أَبَا الشُّعْرِ! هَذَا مَحْفِلٌ مِنْ مَحَافِلِ تَهْزُ بِهَا الدُّنْيَا، بِذِكْرِكَ، فَحُطَّانُ
والمتنبى كندي قحطاني يمانى

صَحَا الدَّهْرُ فَاسْتَسْقَاكَ كَأْسًا جَدِيدَةً طَوَى أَلْفَ عَامٍ قَبْلَهَا وَهُوَ سَكْرَانُ
الآن بعد ألف عام على موت المتنبى يصحو العالم فيستقي المتنبى (يطلب منه أن يسقيه) كأساً
جديدة، وكان العالم قد ظل سكران ألف عام بخمرة المتنبى الشعرية

خَلَا الْعَرْشُ بَعْدَ ابْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى الْمَدَى وَعُطِّلَ مِنْ كِسْرَى الْبَلَاغَةُ إِيوَانُ

٦٧ الأم الحنون والإسلام

قال في الذكرى السنوية الأولى لوفاة الدكتور خليل سعادة ١٩٣٥ :

لِبْنَانُ! يَا وَطَنَ الْجَمَالِ، وَمُنْجِبَ الدِّ... أَبْطَالِ، وَالصُّيَّابَةِ الْأَعْلَامِ
الصيابة: السادة

أُسْلِمْتَ لِلْأُمِّ الْحَنُونِ، فَقُلْ لَنَا: أَوْجَدْتَهَا خَيْرًا مِنَ الْإِسْلَامِ؟
الأم الحنون: ساخراً... يعني فرنسا

٦٨ أمة مستريحة

قال وتليت في صنبول في سنة ١٩٣٥ في حفلة جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية
لمرور خمسة أعوام على إعدام الشهداء فؤاد حجازي، وعطا الزير، ومحمد جمجوم في
فلسطين:

أَنْجَبْتُنَا أُمَّةً، مَا بَرِحَتْ تُنْجِبُ الْأَبْطَالَ مِنْ عَهْدِ ثُمُودٍ

رَقَّصُوا الْخَيْلَ عَلَى الطَّعْنِ، كَمَا رَقَّصُوا الطَّيْرَ عَلَى خَفَقِ الْبُنُودِ
 رَقَّصُوا الْخَيْلَ تَحْتَهُمْ وَهُمْ يَطْعَنُونَ أَعْدَاءَهُمْ، وَرَقَّصُوا الطَّيْرَ الْجَارِحَةَ عَلَى خَفَقِ الْبُنُودِ (الرايات)؛
 بينما هذه الجوارح تنتظر سقوط الأعداء لتنهش جثثهم، وهذا معنى قديم، ولكن ترقص الخيل
 والطير جديد كل الجدة

لَمْ تَضِرْنَا رَاحَةً بَعْدَ الْعَنَا فَالْكَرَى يُغْمِضُ أَجْفَانَ الْأَسْوَدِ

٦٩ والأفاعي بنات عم العقارب

قال زمن الاعتداء الإيطالي على الحبشة ١٩٣٥:

مَا لِعَيْنِيكَ تَرَعِيَانِ الْكَوَاكِبُ! أَيَّ خَطْبٍ وَرَاءَهُنَّ تُرَاقِبُ

خطب: مصيبة، تراقب: تخذر (هذا هو المعنى القديم لكلمة تراقب، وبه نفهم قول
 الشاعر: من راقب الناس مات هماً/ وفاز باللذة الجسور، ومعناه: من كان يحذر
 منهم أصابه الهم، ويفوز باللذة الجسور الجريء. وسترى عند القروي كثيراً من
 الكلمات السهلة البريئة التي تشي - رغم بساطتها - بثقافته العربية الراسخة)

أَنْتَ، وَاللَّهِ، شَاعِرٌ عَرَبِيٌّ ضَائِعٌ بَيْنَ قَوْمِهِ وَالْأَجَانِبِ
 حَامِلٌ فَوْقَ هَمِّهِ هَمٌّ شَعْبٍ سَاوَرْتَهُ الْخُطُوبُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

ساورته: هاجمته، الخطوب: المصائب

بَلَبَلْتُ عَقْلَهُ الْمَذَاهِبُ وَالْأَحْزَابُ، حَتَّى سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ

المذاهب: العقائد، المذاهب الثانية: الطرق

كُلُّ مَنْ يَدَّعِي الْكِرَامَةَ مِنَّا فَيْكَ يَا غَرْبُ كَاذِبٌ ثُمَّ كَاذِبٌ
 رَبَّمَا كَانَ مَنْ تُوَالِي مِنَ الْإِفْدِ رَنْجٍ أَذْهَى عَلَيْكَ مِمَّنْ تُحَارِبُ
 لَنْ يُعَادِيَ مِنْ أَجْلِكَ الْعِلْجُ عِلْجاً وَالْأَفَاعِي بَنَاتُ عَمِّ الْعَقَارِبِ
 عَبَثاً، وَالْعَتَادُ سَيْفٌ وَرَمَحٌ، تَتَنَادَوْنَ لِلْوَعَى يَا أَعَارِبُ

تتنادون: ينادي بعضهم بعضاً، للوعى: للحرب

ذَهَبَتْ دَوْلَةُ الْجَحَافِلِ وَالرَّايَاتِ وَالْخَيْلِ، وَالْقَنَا وَالْقَوَاضِبِ

القنا: الرماح، القواضب: السيوف

وَأَتَتْ دَوْلَةُ الْقَنَابِلِ، وَالْغَاوَاتِ وَالسُّمِّ، وَالشُّهَابِ الثَّاقِبِ

الثاقب: المشتعل

لَمْ يَعُدْ يَنْفَعُ الْأَسْوَدُ وَثُوبٌ بَعْدَ أَنْ طَارَ بِالْجَنَاحِ الثَّعَالِبُ
لَا تَنْفَعُنَا الْأَسْلِحَةُ، وَكُلَّ الْوَسَائِلِ، الْعَتِيقَةُ بَعْدَ أَنْ اخْتَرَعَ الْغَرْبُ الْمَاكِرَ الطَّائِرَاتِ وَصَارَ يَحَارِبُ بِهَا

وَثَبَاتُ الْأَقْدَامِ فِي الثَّرْبِ، لَكِنْ وَثَبَاتُ الْعُقُولِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ

وثبة قدم الإنسان ببقية على التراب، ولكن وثبة العقل ترفع المرء فوق الكواكب. يرى
عمران القفيني في البيت جناساً لم نره، فهذا شرحه للبيت: (وثبات الأولى من
الثبات والاستقرار والرسوخ، وهو يسخر من شعارات عربية مثل: لنا قدم راسخة
ثابتة في هذه الأرض. أما الثانية فهي القفزة العلمية. . يسخر من ثبات قدم العربي
وعقول الغرب وصلت الفضاء. واستغل - على ما أظن - الجناس بين وثبات
ووثبات. هذا ما لمحتة)

فَاضْرِبِ الْبَازَ بِالْعُقَابِ، وَحَارِبِ بِسِلَاحِ الْعُقُولِ، أَوْ لَا تُحَارِبِ

الباز والعقاب: من الطيور الجارحة

٧٠ سؤال خبيث

قال، ونشرت في مجلة «العصبة» سنة ١٩٣٥:

يَا رَبِّ عَفْوِكَ إِنْ جَسَرْتُ فَقُمْتُ مُعَدَّ تَرَضَّأَ عَلَى الْحُكْمِ الَّذِي أَبْرَمْتُهُ
أَغْرَيْتَ قَائِمِينَ بِهَابِيلَ: إِذَا قَائِمِينَ لَمْ يَذْبَحْهُ، أَنْتَ ذَبَحْتَهُ
قائمين: قابيل

هَبْ كَانَ قَائِمِينَ بِشَرْعِكَ ظَالِمًا أَفَكُنْتُ أَرْحَمَ مِنْهُ حِينَ لَعَنْتُهُ؟

٧١ عش للعروبة

قال سنة ١٩٣٦ في صنيول:

عِشْ لِلْعُرُوبَةِ هَاتِفًا بِحَيَاتِهَا، وَدَوَامِهَا
وَأَمْدُ يَمِينِ الْحُبِّ يَا لُبْنَانَهَا لِشَامِهَا
أَنْظُرْ إِلَى أَثَارِهَا تُنْبِئُكَ عَنْ أَيَّامِهَا
هَذَا الثَّرَاتُ يَمُتُّ مُعَدَّ ظَمُّهُ إِلَى إِسْلَامِهَا
مَا لِي أَرَاكَ بَرِئْتَ مِنْ دَمِهَا، وَمِنْ أَوْطَانِهَا
أَنْسَيْتَ أَنَّكَ لَيْتُ نَهْ ضَمَّتْهَا، وَنَسْرُ بَيَانِهَا

اللبناني كان في طليعة من أنهضوا اللغة العربية بعد عصور مظلمة من الجهل

أَتَقُولُ: لَسْتُ مِنَ الشَّا م، وَأَنْتَ فِي أَخْضَانِهَا
أَتَهْدُ نَاطِحَةَ النُّجُومِ م، وَأَنْتَ مِنْ أَرْكَانِهَا

٧٢ «الأم الحنون»

قال احتفالاً برفع العلم السوري بجانب العلم البرازيلي فوق بناية جمعية الاتحاد السوري في «برتس» عام ١٩٣٦ :

إِنْ كُنْتُ لِلْحَقِّ، فَلْتَخْضَعْ لَكَ الْأُمُّ أَوْ كُنْتُ لِلظُّلْمِ، لَا حُيَّيْتَ يَا عِلْمُ
حَدَّثَ أَخَاكَ عَنِ الْأُمِّ الْحَنُونِ، وَعَنْ نَاسٍ عَلَى نَاسِهِمْ، فِي حُبِّهَا، انْقَسَمُوا
الأم الحنون: لقب فرنسا عند محيبيها في لبنان، ويستعمله كارهاها ساخرين

عَدُّوا وَصَايَتَهَا مِنْ رَبِّهِمْ هِبَةً حَتَّى مَحَا الْفَجْرُ مَا قَدْ زَخَرَفَ الْحُلْمُ
كَمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهَا الْفَضْلَ مِنْ قَدَمٍ وَالْفَضْلُ، لَوْ فَهَّقُوا تَارِيخَهُمْ، لَهُمْ
أَيْنَ الْعُلُوجُ الْأَلَى أَقْسَامُهُمْ خِدَعٌ مِنْ مَاجِدِ عَرَبِيٍّ وَعَدُهُ قَسَمُ؟
أين الأجانب، الذين أيمانهم حين يحلفون مجرد خداع، من العربي الماجد الذي يعدُّ وعداً فيكون وعده بمنزلة القسم؟

٧٣ حسب الورود تعطر بالماء

أَحَبَبْتُ فِيكَ بَسَاطَةً شَرْقِيَّةً فِيهَا الْجَمَالُ الْأَنْثَوِيُّ مُجَسِّمُ
لَيْسَ التَّمَدُّنُ، يَا لُمِيَّةُ، غَيْرَ مَا حُكَمَاءُ شَعْبِكَ مِنْ قَدِيمٍ عَلِمُوا
وَحَضَارَةُ الْعَرَبِيِّ بُرْجُ حَمَاقَةٍ كَفَّ تَعَمُّرُهُ، وَكَفَّ تَهْدِيمُ

* * *

فِي بُرْدَتَيْكَ مَحَاسِنٌ خَلَّابَةٌ لَمْ يَذَرِ قِيَمَتَهَا سِوَى الشَّعْرَاءِ
قَرَوِيَّةٌ وَحَبِيَّةٌ وَنَدِيَّةٌ وَنَقِيَّةٌ كَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ
لَا تَعْرِفِينَ مِنَ الطُّيُوبِ سِوَى النَّدَى حَسْبُ الْوُرُودِ تَعَطَّرُ بِالْمَاءِ

٧٤ غيرة

بِعَيْنَيْكَ آيَاتُ الْكَأَبَةِ وَالْحُزَنِ أَمِنْ صَاحِبِي هَذَا الَّذِي بِكَ، أَمْ مِنْي؟
تَقُولِينَ: مَنْ تَعْنِي؟ وَوَاللَّهِ، إِنَّمَا لِكُنِّي تَسْتَعِيدِي ذِكْرَهُ، قَلْتِ: مَنْ تَعْنِي
إِذَا حَدَّثُوا عَنْهُ تَوَلَّيْتُكَ سَكْرَةً كَحَوَاءَ عَادَتْ بِالْخَيَالِ إِلَى عَذَنِ

وَأَغْمَضْتُ لِلتَّذْكَارِ عَيْنِيكَ لَذَّةً وَأَصْفَيْتِ إِصْفَاءَ الضَّرِيرِ إِلَى لَحْنٍ

تعليق عمران القفيني: (ألا لا يفوتنا التسويد.. يا سلام!)

وَأَيُّ دَلِيلٍ تَقْتَضِيَنَّ عَلَى الْهَوَى
فَلَا تَسْأَلِيْنِي: مَا رَأَيْتَ؟ فَإِنَّ لِي
وَلَا تَحْلِفِي لِي بِالَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
لُمِيَّةً! مَا فِي حُبِّ مِثْلِي رَاحَةً
تَجَاوَزْتُ عَنْ جَهْلِ الصَّبَا وَغُرُورِهِ
وَلِي خَمْرَةٌ غَيْرُ الَّتِي تَعْهَدِينَهَا
وَمَاذَا تَبَقَّى لِي إِذَا حَدَّثُوا عَنِّي
مِنْ الْقَلْبِ مَا يُغْنِي عَنِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
عَشِيَّةً مِنْ سَطْحٍ نَفَرُ إِلَى غُضَنِ
وَيَغْدُو كَثِيرَ الظَّنِّ مَنْ كَانَ فِي سِنِّي
وَفِي الْعَقْلِ مَا يُغْنِي الرَّشِيدَ عَنِ الْحُسْنِ
إِلَى أَذْبِي مَنْسُوبَةً، وَإِلَى فَنِّي

٧٥ الحبيبة الغيور

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى رِضَا حَسُونَتِي إِلَّا بِكُمْ فَمَيِّ، وَقَصُّ جَنَاحِي

الحسون: طائر مفرد

لَمْ تَهَوِّنِي إِلَّا لِأَنِّي بُلْبُلٌ، وَتَمُوتُ إِنْ سَمِعَ الطَّيُورُ صُدَاحِي

* * *

هَلَا سَمِعْتَ، إِذَا اسْتَكَنَّ الطَّيْرُ فِي
أَعَصَرْتُ إِلَّا فِيكَ مِنْدِيلِي، وَهَلْ
أَغْشَاشِهِنَّ، تَنْهَدِي وَنَجِيبِي
حَايَرْتُ إِلَّا فِي هَوَاكِ طَبِيبِي

عصره منديله في محبوبته كناية طريفة يفهم البريء منها أن صاحبنا بلبل منديله بالدمع ثم عصره. وكان القروي عاشقاً عرف نساء كثيرات، وإن خص لمياء بالذكر. ومات أعزب، ولكنه صرح بأنه عرف العشق في كل صورة

* * *

يَا مَنْ يُحَوِّلُنِي غُرَاباً نَاعِباً
هِيَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ إِنْ فَتَنَ الْوَرَى
كَئِنْ لَا تَمُوتَ لُمِيَّتِي وَأُمُوتَا
شَدُوِي، وَلَا أَنَا أَسْتَطِيعُ سُكُوتَا

٧٦ ولكنها تسلي العيون

أَنْتَ فَرَّةُ الْعَيْنِ فِي الزَّمْهَرِيرِ
تَصُبُّ الْجَحِيمَ عَلَى صَبَّهَا

صبيها: عاشقها

تَسُبُّ، فَأَسْمَعُ شَكْوَى الْغَرَامِ يُذِيبُ الْجَلَامِيدَ فِي سَبِّهَا
الجلاميد: الصخور. يقول: في سبابها أسمع رنة شكوى الغرام الذي يذيب الصخور

* * *

: إِلَى كَمْ تَحُونُ وَأَضْفَحُ عَنْكَ لَقَدْ طَفَحَ الْكِيلُ يَا غَادِرُ
هذا ما تقوله هي له

خِدَاعُكَ لَيْسَ لَهُ آخِرٌ وَلَكِنَّ صَبْرِي لَهُ آخِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَّقَ النَّاصِحُونَ فَأَكْذَبُ أَهْلَ الْهَوَى شَاعِرُ

* * *

: لُمِيَّةٌ لَمْ يَسْلُكِ الْقَلْبُ قُطْ وَلَا حَالَتِ الرُّوحُ عَنْ عَهْدِهَا
لم يسلك: لم يعرف السلوان، والسيان، عنك

وَلَكِنَّهَا تَتَسَلَّى الْعُيُونُ وَتَبْقَى الْقُلُوبُ عَلَى وَدَّهَا

* * *

فَسَكَّنَ إِعْصَارَهَا نَفْحَةً مِنْ السَّحْرِ نَمَتْ بِهَا شَفَتَايَا
وَأَخْمَدَ بُرْكَانَهَا قَظْرَةً مِنْ الشَّعْرِ هَمَّتْ بِهَا مُقْلَتَايَا
وَرُخْتُ مِنَ الْوَجْدِ أَلْتِمُ قَاهَا فَكَادَتْ مِنَ الْوَجْدِ تَأْكُلُ قَايَا
التم: أقبل. فايا قبيحة، وأكل الفم قبيح

وَأَخْلِفْتُ لَسْتُ أَجِبُ سِوَاهَا فَتَخْلِفُ: لَيْسَتْ تُطَبِّقُ سِوَايَا
فَلَمْ أَرِ فِي الْحُبِّ مِثْلِي كَهَلَا سَعِيدَا، تَمُوتُ عَلَيْهِ الصَّبَايَا

تعليق عمران القفيني: (جاء بكل القوافي أعلاه كي يقول لنا «الصبايا».. يخرب بيتك يا قروي يا شيطان!)

٧٧ ضجر من الحبيبة

لُمِيَّةُ! هَذَا الْحُبُّ طَالَ عَنَاوُهُ وَنَاءَ كِلَانَا بِالَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
نَاء: تَعَبَ

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَنْتِ بَعْدُ حَبِيبَةٌ أَغَارِلُهَا، أَمْ أَنْتِ خَضَمٌ أَجَادِلُهُ
أَلَا أَيْنَ عَهْدُ الْأَنْسِ، أَيْنَ رِيَاضُهُ وَأَيْنَ أَغَانِيهِ، وَأَيْنَ بَلَابِلُهُ

وَأَيْنَ تَنَاعَيْنَا عَلَى الْمَرْجِ، كُلَّمَا مَشَيْنَا عَلَيْهِ اخْضَرَّ، وَاهْتَزَّ ذَابِلُهُ
 وَقَدْ نَصَبَ الصَّفْصَافُ خَيْمَةً شَاعِرٍ عَلَيْنَا، وَعَظَّتْ مَنَكِبَيْنَا جَدَائِلُهُ
 تُشَيِّعُنَا عِنْدَ الْوَدَاعِ طَيُورُهُ وَتُبْكِي لِجِرْمَانِ الْجَنَاحِ جَدَائِلُهُ
 خريز الجداول بكاؤها، تبكي لأنه ليس لها أجنحة تطير بها مثل الطيور

تَبَخَّرَ حُلُمٌ رَاوَدَ الْجَفْنَ لَيْلَةً وَطَارَ، مَعَ الرِّيحِ، الَّذِي كُنْتُ أَمْلُهُ
 تَوَهَّمْتُ أَنِّي نَاعِمٌ بِرَفِيقَةٍ لِشَيْبِي، وَقَدْ غَالَتْ شَبَابِي غَوَائِلُهُ
 ناعم برفيقة: مستمتع برفيقة، غالته غوائله: قتلته قواته

إِلَى أَنْ تَبْدَى لِي الَّذِي كُنْتُ جَاهِلًا وَيَا لَيْتَ أَنِّي آخِرَ الدَّهْرِ جَاهِلُهُ
 آخِر الدهر: حتى آخر الدهر

وَكُلُّ أَبِي النَّفْسِ يَهْدِيهِ طَبْعُهُ إِلَى أَيِّ حَدٍّ يُسْتَحَبُّ تَسَاهُلُهُ
 وَبِئْسَ قِرَانٌ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لَدَائِلُهُ تَمْضِي، وَتَبْقَى سَلَاسِلُهُ
 قران: زواج

سَأَبْقَى وَحِيدًا فِي سَمَائِي مُشَرَّدًا كَأَنِّي بَدْرٌ أَنْكَرْتُهُ مَنَازِلُهُ
 منازل القمر: بروج، وأماكن نزوله في بحر السماء

وَلَمْ تَخْسِرْنِي لَوْ تَكُونِي حَكِيمَةً وَلَكِنَّنِي طَيْرٌ عَزِيزٌ مُشَاكِلُهُ
 عزيز مشاكله: نادر نظيره

وَصَالِكٌ حُلُوٌّ، بَيْدَ أَنِّي أَعَافُهُ وَهَجْرُكَ صَعْبٌ، غَيْرَ أَنِّي أَحَاوِلُهُ

٧٨ فردوسنا نحن

دَعَيْنِي مِنْ فِرْدَوْسِ عِيسَى وَأَحْمَدٍ وَقُومِي إِلَى فِرْدَوْسِنَا نَتَنَعَّمُ
 فَجَنَّتْهُمْ رُؤْيَا رَأَوْهَا؛ وَجَنَّتِي، بِحُبِّكَ، مِلْءُ الْعَيْنِ وَالْكَفِّ وَالْقَمِّ

٧٩ ندم على جرح الحبيب

أَلْقَيْتُ فِي سَمْعِ الْحَبِيبِ كَلِمَةً جَرَحَتْ عَوَاطِفَهُ، فَمَا أَقْسَانِي
 قَطَعَ الْحَدِيثَ، وَرَاحَ يَمْسَحُ جَفْنَهُ فَوَدِدْتُ لَوْ أُجْزَى بِقَطْعِ لِسَانِي
 وَمَضَى، وَلِي قَلْبٌ عَلَى آثَارِهِ، وَيَدَانِ بِالْأَذْيَالِ عَالِقَتَانِ

فَطَفِفْتُ مِنَ أَلْمِي أَكْفِكِفْ أَدْمُعِي وَرَجَعْتُ مِنْ نَدْمِي أَعْضُ بَنَانِي
وَأَقُولُ: وَاحْجَلِي إِذَا لَاقَيْتُهُ، قَبَائِي وَجْهِ عَابِسٍ يَلْقَانِي
حَتَّى ظَفِرْتُ بِهِ، فَمَدَّ يَمِينَهُ وَرَنَا إِلَى بِرْقَةٍ وَحَنَانِ
وَبَكَى وَعَانَقَنِي، وَقَالَ: عَدِمْتُنِي إِنْ كَانَ لِي جَلْدٌ عَلَى الْهَجْرَانِ
قال لي الحبيب: عدمت نفسي إن كنت أقوى على الهجران

قُلْ مَا تَشَاءُ، وَلَا تَغِبْ عَن نَّازِرِي وَفِدَاكَ ذُلِّي فِي الْهَوَى وَهَوَانِي

٨٠ تجديد العشق

قال في لقاء بعد فراق مع حبيته لمياء:

أَنَانِي رَسُولٌ مِنْ لُمَيَّةَ، بَعْدَمَا حَسِبْتُ طَوَالَ الْعُمْرِ لَنْ نَتَحَاكَي
فَوَلَّيْتُ وَجْهِي شَطْرَ صَرْحٍ مُمَرَّدٍ يُطَاوِلُ بِالْبُرْجِ الرَفِيعِ سَمَاكَا
صرح ممرد: قصر عالٍ، السماك: اسم نجم

تَقُولُ: أَمَا مِنْ سَالِفِ الْعَهْدِ لَمَحَةٌ تَرَانَا بِهَا قَبْلَ الرَّدَى، وَنَرَاكَ
وَقَالَتْ، وَبِي مِنْ حُبِّهَا كَالَّذِي بِهَا: لِيَهْنُثُكَ مَا دُقْنَاهُ بَعْدَ نَوَاكَ
هنيئاً لك عذابنا الذي دقناه بعد فراقك

وَرَعِيًّا لِمَنْ أَغْرَتَكَ بِالْهَجْرِ بَعْدَنَا فَقَدْ عَلِمْتُنَا كَمْ يَدُومُ هَوَاكَ
رعاها الله تلك التي أغرتك، فقد عرفتي كيف أن هواك قصير العمر

فَأَكْنَنْتُ وَجْهِي فَرَعَهَا كُمُرُوعٍ مِنْ الطَّيْرِ، لَأَقَى فِي الصَّعِيدِ أَرَاكَ
أكنت: خبأت، فرعها: شعرها، الصعيد: التراب، الأراك: نوع من الشجر

وَرُحْتُ، كَطْفَلٍ يَلْتَقِي الْأُمَّ، بَاكِئاً وَعِنْدَ لُمَيَّيْ أَتْنِي أَتْبَاكِي
فَأَجْفَلَهَا دَمْعِي كَوَرْدٍ بِصَدْرِهَا تَنْشَرُ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ، وَشَاكَ
شاك: صار شائكاً

وَقَالَتْ: فِدَى عَيْنِيكَ أَلْفَ لُمَيَّةٍ لَتَبِكِ عَيُونُ الْعَالَمِينَ، عَدَاكَ
أَمِثْلُكَ يَبْكِي؟ قُلْتُ: لَوْ يُسَعِدُ الْبُكََا فَقَالَتْ: حَبِيبِي، مُرْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ
يسعد: يساعد

عيونِي تَبْغِي أَمْ خَدُودِي أَمْ قَمِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: هَذِي، وَتِلْكَ، وَذَاكَ
على ما في البيت من صوغ طريف في شطره الثاني، فإن شطره الأول ناتئ عن الموقف. الحبيبة
قد تقول «أتبغي عيوني»، هذا وارد؛ ولكنها لا تخير حبيبها بين خدودها وفمها إلا لسبب واحد..
أن يصنع الشاعر نكتة في الشطر الثاني.. نكتة سمجة، صبت على الموقف الغرامي ماء بارداً

وَكَبَّلْتُهَا بِالسَّاعِدَيْنِ، فَأَسْلَمْتُ أَسِيرَةً وَجَدٍ، مَا تُطِيقُ حَرَكَاتَا
وَبِتُّ أَعْلُ الْخَمَرِ وَالشَّهْدِ وَالنَّدَى أَقُولُ لَهَا: هَاتِي، فَتُرْدِفُ: هَاكَ
أعل: أشرب

إِلَى أَنْ تَوَلَّانَا الَّذِي يَسْلُبُ الْحِجَا وَيَنْصِبُ لِلْخُلُقِ الْمَتِينِ شِبَاكَ
فَلَمَّا هَضَرْتُ الْقَدَّ، صَاحَتْ: قَتَلْتَنِي لِأَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْعَدَاءِ هَوَاكَ
هضرت: جذبت

أَتَلَبَّثُ لَا نَدْعُوكَ، إِلَّا زَرَيْتَنَا وَلَا نَخْتَلِي، إِلَّا أَضَعْتَ هَذَاكَ
زريتنا: استهنت بنا، ازدرتنا

إِذَا غَبْتَ تَسْلُونَا، وَتَلْهُو بِغَيْرِنَا وَإِنْ أُبْتُ تُغْرِينَا بِطُولِ بُكََاكَ
إِلَيْكَ، وَإِلَّا لَنْ تَرَانِي بَعْدَهَا وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْوَى الْحَيَاةَ بِلَاكَ
إليك: ابتعد، بلاكا: بدونك

فَنَبْهَنِي الْإِنْدَارُ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى وَعُدْتُ، كَمَا شَاءَ الْمَلَاكُ، مَلَاكَ

٨١ المن والسلوى

وَلِي كَيْدٌ تَهْوَى، وَنَفْسٌ كَبِيرَةٌ فَلَا تَعْجَبُوا مِنِّي إِذَا بْتُ لَا أَهْوَى
قلي يحب، ولكن بسبب كبريائي ونفسي الكبيرة فلا تعجبوا إن كنت لا أظهر هذا الحب

أَضَلَّ حَبِيبِي «التَّيَّةُ» لَمَّا لَثِمْتُهُ وَأَشْبَعْنِي «مَنَّا»، فَأَشْبَعْتُهُ «سَلْوَى»

التية: التكبر، والتية أيضاً الصحراء التي ضل فيها بنو إسرائيل، و«المن»: التذكير
بالجميل، وهو كذلك الطعام الذي أنزله الله على بني إسرائيل، والسلوى: الهجران،
وهو أيضاً طعام أنزله الله على بني إسرائيل. فالمعنى الظاهر: ضاع حبيبي في صحراء
بني إسرائيل فأطعمني بعض طعامهم، وأطعمته بعضه. والمعنى المقصود: الكبرياء
جعلت حبيبي يضل، فكان يتيه علي ويذكرني بجماثله، فصرت أهجره. هذه طريقة في
الشعر أسرف فيها شعراء العصور النائمة، والقروي يستطرفها في الحين بعد الحين،
وهنا صاغ منها عقداً براقاً

٨٢ الشيخ العباس

ألقاها في ١٩٣٧ في «غواشوبه» في حفل خيرى نسائي، وكان الإنجليز في فلسطين قد أعدموا الشيخ فرحان السعدي عامئذ:

ماذا هناك؟ هناك شعبٌ كاملٌ للموتِ رهنَ أوامرِ الجلاذِ
ماذا هناك؟ هناك شيخٌ عابسٌ كالليلِ مِنْ مَهْدِ الضَّيَاءِ يُنادي
تَبًّا لكلِّ صَليبٍ عودٍ لم يُفَرِّ دُمُهُ لإعدامي ولاستِشهادي
صليب عود: رجل قوي عوده صُلب

الشيخ فرحانُ ينادُكُم: أَمَا مِنْ مُحْسِنٍ؟ إِنْ لم يكنِ مِنْ فادٍ

٨٣ جهاد فلسطين

قال في صنبول (تعريب ساو باولو على طريقة القروي) ١٩٣٨، وثورة فلسطين لَمَّا تَهْدَأُ:

لنا كلَّ يومٍ غَضَبَةٌ مُضَرِّبَةٌ تُبْرِهِنُ أَنَّ الحقَّ كَاللهِ أَكْبَرُ
قال بشار: إذا ما غَضَبْنَا غَضَبَةً مُضَرِّبَةً // هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما؛ فمن هنا جاءت الغضبة المضربة، ومضر هي «الشعب» الذي تنتسب إليه قبائل كثيرة منها قريش، ومنها عُقيل التي كان ولاء بشار فيها

وَمَنْ كَانَ فِي أَجْدَادِهِ مِثْلُ خَالِدٍ فَمِنْ آيِهِ مَا تُبْصِرُونَ وَأَكْثَرُ
آيه: آياته أي علاماته وبراهينه

فَكُلُّ فتاةٍ فِي فَلَسْطِينِ خَوْلَةٌ وكلُّ غُلامٍ فِي فَلَسْطِينِ عَنَتَرُ

٨٤ وعد بلفور

قال ونظمت عام ١٩٣٩ في أواخر أيام ثورة فلسطين:

وَعْدُ بَلْفُورِ حُجَّةٌ لِلْمَمَارِيِّ المَمَادِقِ
المماري: المجادل، المماذق: المخادع

أَوْتَنَفِي وَثِيقَةً عَشْرَاتِ الوَثَائِقِ؟
كَرَّةِ العَدْلِ أَنْ يَرَى صَاهِلًا خَلْفَ نَاهِي
هَامِيَامِينَ خَالِدٍ هَامَغَاوِيرُ طَارِقِ

ها هم ميامين خالد (جنود خالد بن الوليد المباركون)، ومغاوير (الذين يشنون الغارات) طارق بن زياد

هَاهِرَقْلُ مُشَرِّدًا لَا حِقًّا بِالْبَطَارِقِ

هرقل قائد الروم الذي انسحب من بلاد الشام أمام جيش خالد، والبطارق قادة الروم

إِنَّهَا شَمْسٌ مَجْدُكُمْ غَرَبَتْ فِي الْمَشَارِقِ

أيها المحتلون الإنجليز، ها هي شمس عزتكم تغرب... ولكن في المشرق عندنا

كَمْ خَنَقْتُمْ بَرِيئَةً فَاثْلِيْتُمْ بِخَائِنِي

دُخِرِجَتْ كَبْرِيَاؤُكُمْ تَحَتَّ أَقْدَامِ سَاحِقِي

وَعْدَا اللَّيْثُ هُزًّا لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ

الليث: يعني بريطانيا، فشعارها الأسد

٨٥ جاهر بين الهامسين

وَكَمْ لِي بِمَيِّدَانِ الْحَوَادِثِ جَوْلَةً مُقَلَّلَةُ الْأَصْحَابِ، مُكْثِرَةُ الْعِدَى

جَهْرُثٌ، غَدَاةَ الْهَمْسِ بِالْحَقِّ لَعْنَةً يَجْرُ عَلَى مَنْ قَالَهُ الْفَقْرَ وَالرَّدَى

جهرت بالقول يوم كان الهمس بكلمة الحق لعنة على صاحبه

سَيُعْرِفُ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَمَنْ أَدْعَى وَمَنْ سَلَخَ الرُّثْبَالَ مِمَّنْ تَصَبَّدَا

الرثبال: الأسد. هذا أبين من بيت المتنبي: (إذا اشتبهت دموع في خدود/ تبين من بكى ممن نباكى)، وإن اتكأ عليه. هذه هي السرقة الحلال، فبيت القروي أدل على المعنى وأكثر انسجاماً مع السياق. ونقول لأبي الطيب: إذا اشتبهت دموع الباكى والمتباكي فكيف ستبين هذا من هذا؟ لم تقل لنا، بل قلت إن الاشتباه وقع، وحتى رواية «اشتكت» الضعيفة فهي لا تقيم البيت بأحسن مما أقامته «اشتبهت»

٨٦ صاحين نفرك عيوننا

قال في عيد المولد النبوي في صنبول ١٩٤٠:

نَحْنُ الْأَلَى سُدْنَا الشُّعُو بَ، وَنَحْنُ مَدَّنَا الْأُمَمَ

أَعْطَاهُمُ اللَّهُ اللَّسَا نَ، وَنَحْنُ أَعْطَيْنَا الْقَلَمَ

هذا القلم قلم «ن والقلم وما يسطرون»، فسياق المولد النبوي يطلبها، ولم يكن غاب عن القروي أن الفينقيين علموا الناس الكتابة، وفي البيت التالي إيماءة إلى أن هذا المعنى كان في باله

خُضْنَا الْبَحَارَ زَمَانَ لَمْ يَكْ ظِلُّ سَابِحَةِ بَيْمَ

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ شَطٌّ - لَمْ تَطَّأْهُ لَنَا قَدَمُ

نامت عيونُ المَشْعَبِ نَ؛ وأَيُّ عَيْنٍ لَمْ تَنَمْ؟
 واستيقظتْ مَشْحُورَةٌ تستقبلُ العهدَ الأَهمَّ
 نورُ النبوءَةِ فاضَ مِنْ مهدِ المروءَةِ والكِرمِ
 وإذا العروبةُ في أَقَا صبي الأرضِ خافقَةُ العَلَمِ

٨٧ نقول المسلمون المسلمونا

رَأَيْتَكَ قَدْ وَقَفْتَ عَلَى الْحَيَادِ أَأَنْتَ مِنَ الصَّحَابِ أَمْ الْأَعَادِي؟
 يخاطب اللبناني الواقف على الحياذ إذ فرنسا المحتلة تضطهد الشعب في سوريا ولبنان
 وَكُنْتَ إِذَا عَدْتُ أَذْنَى الْعَوَادِي عَلَى لُبْنَانَ أَقْلَفْتَ النَّوَادِي
 وَأَزْعَجْتَ الْحَوَاضِرَ وَالْبَوَادِي

* * *

رَضِينَا لِلتَّعَصُّبِ أَنْ تَهُونَا فَأَغْمَضْنَا عَلَى الضَّيْمِ الْعُيُونَا
 نقول: المسلمون المسلمونا فَتَرْمِيهِمْ، وَنَحْنُ الْخَائِنُونَ
 نَبِيعُ بِلَدِهِمْ مَجْدَ الْبِلَادِ

* * *

بِرَبِّكَ قُلْ: مَتَى لَبْنَانُ ثَارَا لِيُذْرِكَ مِنْ عُلُوجِ الْعَرَبِ ثَارَا
 مَتَى نَفَرَتْ إِلَى السَّيْفِ النَّصَارَى لِيَتَغَسَّلَ بِالدِّمِّ الْمَسْفُوكِ عَارَا
 وَتُسَحَّرَ مَرَّةً شَرَفَ الْجِهَادِ

٨٨ الناخلة

هذه القصيدة تسمى الناخلة. في سنة ١٩٣٤ سمع الشاعر أن أنطون سعادة، ابن صديقه الراحل الدكتور خليل سعادة، أنشأ حزباً في لبنان. واضطهده الفرنسيون. وجاء سعادة إلى صنبول راجياً ضم القروي لحزبه القومي السوري الذي ينادي بقومية سورية لا عربية شاملة. وتناقشا ثماني عشرة ساعة، من التاسعة صباحاً حتى الثالثة فجراً. وبقي القروي عربياً. وأخذ سعادة يعمل ضده في المهجر الأميركي الجنوبي من خلال جريدة «سورية الجديدة» التي أنشأها في صنبول، وجريدة «الزوبعة» في بيونس آيرس. وخاب أمل القروي في شاب ذكي يضيّع ذكائه في محاربته كأنه دولة استعمارية. وضاعت أحوال «سورية الجديدة» فأخذت إعلانات تجارية من تجار ميولهم استعمارية. وألقيت هذه القصيدة «الناخلة» في بيونس آيرس عام ١٩٤١:

مِنْ كُلِّ قَاصٍ فِي الْبِلَادِ وَدَانِ يَتْرَاسِلُ النَّجْوَى بَنُو عَدْنَانِ
أَيَّخُونُ عَهْدَ الْعُرْبِ لِبْنَانُ، وَمِنْ شُعْرَائِهِ قَرَحَاتُ وَالرَّيْحَانِي
إِنِّي أُعِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مُهْدَمًا وَأَبُو «الْمَحِيْطِ»، أَبُوكَ، أَوَّلُ بَانِ

يوجه خطاباً خفياً إلى رجل من أسرة البستاني - ومنها بطرس البستاني مؤلف قاموس
«محيط المحيط» الصادر عام ١٨٧٠، وصاحب الفضل في تنشيط اللغة العربية - وكان
ذلك الرجل المقصود بالبيت عدواً سياسياً للشاعر وفكرة العروبة، لكن القصيدة
الناخلة هذه جعلته يعتذر للشاعر (كما قال الشاعر في الحاشية)

لِبْنَانُ أَكْبَرُ أَنْ يُعَابَ بِزُمَرَةٍ نَشَأْتُ عَلَى التَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ
زَعَمُوا بَلَاءَ الشَّرْقِ مِنْ أَدْيَانِهِ وَمُرَادُهُمْ دِينَ مِنَ الْأَدْيَانِ
يشير إلى حلفاء فرنسا بلبنان الذين غمز بعضهم في الدين الإسلامي

حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ حُجَّتِي وَانْشَقَّ لِلْمُرْتَابِ فَجْرُ بَيَانِي
فَزِعُوا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ لِكِرَامَتِي فَوَجَدْتُهُمْ لِهَوَانِي
حِزْبَانِ، حِينَ قَضَى عَلَى رَعْمَيْهِمَا فَصَلُّ الْخِطَابِ، تَحَالَفَ الْحِزْبَانِ
يَسْتَنْصِرَانِ عَلَى أَدِيبِ شَاعِرٍ مَا يَعْبُدَانِ مِنَ الْحُطَامِ الْفَانِي
وَإِذَا شَهَرَتْ عَلَى النَّعِيبِ عَدَاوَةٌ أَلْفَتْ بَيْنَ الْبُومِ وَالْغُرْبَانِ
قُلْ لِلْيَهُودِ، وَعَابِدِي أَصْنَامِهِمْ مِنْ كُلِّ هَضَامِ الْحَقُوقِ أَنَانِي
وَلِمَنْ يُتَاجِرُ بِالْعِلَا مَعْقُودَةٌ بِسَلَاسِلِ كَتَمَائِمِ الصُّبْيَانِ..
قل لمن يعتبر المعالي مجرد أوسمة معلقة في الصدور بسلاسل كأنها التماثيل التي توضع على
الأطفال لرد عين الحسود..

مِنْ طَالِبِ النِّيشَانِ، حَتَّى صَاحِبِ النَّدَى يَشَانِ، حَتَّى وَاهِبِ النِّيشَانِ..
أَمْوَالُكُمْ وَضِيَاعُكُمْ وَقُصُورُكُمْ عِنْدِي، وَحَبَّةُ خَرْدَلٍ، سَيَّانِ
الزُّهْرُ تَعْرِفُنِي، وَأَعْرِفُهَا، فَمَا هَمِّي إِذَا جَهَلَ الضُّفَادُ شَانِي
الزهر: النجوم

وَالشَّمْسُ يُخْفِيهَا الْقَتَامُ عَنِ الثَّرَى لَا عَنْ عَيُونِ «النَّسْرِ» وَ«الدَّبْرَانِ»
القتام: الغبار، النسر: اسم نجم، والدبران: من منازل القمر
قالوا: سَكَتْ، فَقُلْتُ: أَيُّ عَجِيبَةٍ فِي فُحْشِ فَاجِرَةٍ، وَصَمْتِ حَصَانِ
حصان: امرأة طاهرة

أُبْرِجُ قَاطِرَةَ الْحَدِيدِ مُدَلَّلٌ عَذَّبَ الْهَرِيرُ يَعْيشُ فِي الْأَحْضَانِ
الهريز: صوت القطة سوى المواء

وَتُخِيفُ قُبْعَةَ الْحَرِيرِ سَمِيدَعَا صَالَتْ يَرَاعَتْهُ عَلَى التَّيْجَانِ
السميدع: السيد الشريف

الْحَقُّ سُلْطَانِي، وَلَسْتُ بِحَاذِرٍ فِي الْحَقِّ سُلْطَانَا سِوَى سُلْطَانِي
أَنَا مَا عَنَيْتُ الْأَبْرِيَاءَ، فَمَا تُرَى ذَنْبِي إِذَا صَاحَ الْمَرِيبُ: عَنَانِي
أَلَامٌ فِي مُتَطَفِّلِينَ تَعَرَّضُوا فَأَصْبَتْهُمْ، عَرَضًا، بِكَغَبِ سِنَانِي
مَا طَابَ لِي وَاللَّهِ جَرَحُ أَعْرَءَ طَابَ النُّزُولُ لَهُمْ إِلَى الْمِيدَانِ
وَالْوَرْدُ يَذْمِي الْكَفَّ، لَا يَغْنِيهِ إِنْ كَانَ الصَّدِيقُ، أَمْ الْعَدُوُّ، الْجَانِي
أَنَا ذَلِكَ الْإِعْصَارُ، نَسَّافُ الدُّرَى وَأَنَا النَّسِيمُ، مُدَاعِبُ الْأَفْتَانِ
أُظْوِي سَمَاوَاتِ الْخِيَالِ، وَأَنْثَنِي عِظْرُ الْجِنَانِ يَفُوحُ مِنْ أَرْدَانِي
أرداني: أكمامي

وَلَقَدْ تَحَرَّكْنِي أَغَارِيدُ الْهَوَى مِنْ بُلْبُلٍ، فَأَعِفَّ عَنْ ثُعْبَانِ
كَمْتُ فَمِي ذِكْرَى الْجَبِيلِ، وَزَحَزَحْتُ جَبَلَ الْإِسَاءَةِ دُرَّةَ الْإِحْسَانِ
فَلَيْتَنِي نَقَدْتُ، فَمَا فَقَدْتُ مَرْوَتِي عِنْدَ الْجِدَالِ، وَلَا جَهَلْتُ مَكَانِي
أَدَبُ يَرْوَعُكَ، رَاضِيًا أَوْ سَاخِطًا وَلَقَى الْهَزَارَ جَمِيعُهُنَّ أَهَانَ
يروع: يكون رائعاً، الهزار: الغتليب

لَا يُخْزِنُكَ إِنْ وَجَدْتَ مِنَ الْعِدَى مَنْ كُنْتَ تَحْسِبُهُمْ مِنَ الْإِخْوَانِ
أَرَفَ الدَّرَاسُ، وَأَيُّ بَيِّنَةٍ جَنَظَةٍ لَمْ يُلَفَّ مَخْتَلِطًا بِكُلِّ زَوَانٍ
الدراس: فصل حبات القمح عن سنابلها، الزوان: حبوب تثبت بين القمح

أَغْنَيْكَ تَنْقِيَةَ الدَّقِيقِ، فَسَخَّرْتَ الطَّافَ رِيكَ مُنْخَلِ الْخَوَانِ
الخوان: الخائن

لَمْ يَعْزِ هَذَا الشَّعْبَ أَنِّي شَاعِرٌ حَرًّا، بِحَبِّ بِلَادِهِ مُتَفَانٍ
بَلْ كُلُّ مَا يَغْنِيهِ: هَلْ أَنَا مُسْلَمٌ لِلَّهِ، أَمْ أَنَا لَمْ أَزَلْ نَضْرَانِي
مَنْ يُنْبِئُ الْمَلَأَ الَّذِينَ أُجِبُّهُمْ فَيُكَافِتُونَ الْحَبَّ بِالْعُدْوَانِ:

أَنْتِي عَلَى دِينِ الْعَرُوبِيَّةِ، وَاقِفْتُ قَلْبِي عَلَى سُبُحَاتِهَا، وَلِسَانِي
سبحاتها : أنوارها

إِنْجِيلِي الْحُبِّ الْمَقِيمُ لِأَهْلِهَا، وَالذُّودُ عَنْ حُرْمَاتِهَا فُرْقَانِي
أَرْضَيْتُ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحَ بِثَوْرَتِي وَحَمَاسَتِي وَتَسَامُحِي وَحَنَانِي
يَا مُسْلِمُونَ، وَيَا نَصَارَى، دِينُكُمْ دِينُ الْعَرُوبِيَّةِ، وَاحِدٌ، لَا اِثْنَانِ
سَتَجِدُّونَ الْمَلِكَ مِنْ يَمَنِ إِلَى مِصْرٍ إِلَى شَامٍ إِلَى بَغْدَادٍ
لَا تَكْفُرُوا، أَقْمَا بُعِثْتُمْ مَرَّةً؟ لَمْ لَا يَكُونُ لِمُؤْمِنٍ بَعَثَانِ
بُعِثَ مِنَ الْخُمُولِ بِالْإِسْلَامِ، وَلَا بَدَ مِنْ بَعَثَ آخَرَ يَعِدُ إِلَيْكُمْ الْعِزَّةَ

إِنْ كَانَ قَدْ سَكَتَ الْعِرَاقُ، فَمَوْقِفْتُ مُتَبَدِّلٌ بِتَبَدُّلِ الْأَزْمَانِ
وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ كُلُّ غِرٍّ جَاهِلٍ مَاذَا تَخْبِي هِدَاةُ الْبُرْكَانِ
الْعُرْبُ شَاخِصَةً إِلَى أَهْدَافِهَا مَرْصُوعَةُ الْعَزَمَاتِ كَالْبُنْيَانِ
لَسْنَا، وَإِنْ زَعَمَ الْأَذَلَّةُ، نَخْلَعُ النَّـ جِرَ الْقَدِيمَ، لِأَجْلِ نِيرِ ثَانٍ
النير: الظلم. خلعنا ظلم العثمانيين ولا نريد ظلم الفرنسيين

ثُرْنَا لِبَغْيِ الْإِنْجِيلِيزِ، فَإِنْ بَغَى الْـ جِرْمَانُ، قُلْ: ثُرْنَا عَلَى الْجِرْمَانِ
وَنَظْلُ نَخْلُوقُ كُلَّ يَوْمٍ «طَارِقًا» حَتَّى تَكْفَ طَوَارِقُ الْحَدَثَانِ
طارق: طارق بن زياد، طوارق الحدثنان: مصائب الزمن

٨٩ وقفة في الميناء

قال في سَنَطُسْ إِبَانِ الْاِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِي لِسُورِيَّةِ وَلِبْنَانِ:

جَمَالُكَ يَا مِينَاءَ سَنَطُسْ أَشْجَانِي وَحَرَكَ بِالذُّكْرِى سَوَاكِىنَ أَشْجَانِي
أَتَيْتُكَ أَبْغِي فِيكَ تَفْرِيجَ كُرْبَتِي فَعُدْتُ، وَقَدْ أَرَبْتُ عَلَى الرَّمْلِ أَحْزَانِي
أَرَبْتُ عَلَى الرَّمْلِ: زَادَتْ، فَصَارَتْ أَكْثَرَ مِنْ حَبَاتِ الرَّمْلِ

فَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ فِيكَ سَفِينَةً عَلَى سَفَرٍ، إِلَّا تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي

٩٠ يا برازيل

قال وقالها على شاطئ باراناغوا منشوقاً إلى ساحل لبنان:

يا نسيمَ البحرِ البَلِيلِ سَلامٌ زَارَكَ اليَومَ صَبُّكَ المِستَهَامَ
البَلِيلِ: الهَوَاءُ المَبْتَلِ بالندى، صَبُّكَ المِستَهَامَ: مَجَبَّكَ العَاشِقِ

إِنْ تَكُنْ مَا عَرَفْتَنِي، فَلَكَ العُذُّ رُ، فَقَدْ غَيَّرَ المَجَبَّ السَّقَامُ
أَوَلَا تَذْكُرُ الغَلَامَ رَشِيدًا؟ إِنَّنِي يَا نَسِيمُ ذَاكَ الغَلَامُ
طالما زُرْتَنِي إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ لُ بِلَبْنَانَ، وَالْأَنَامُ نِيَامُ
وَرَفَعْتَ الغِطَاءَ عَنِّي قَلِيلًا فَأَحْسَسْتُ بِمَزْجِكَ الْأَقْدَامُ
وَتَنَبَّهْتُ فَاتِحًا لَكَ صَدْرًا شَبَّ فِيهِ إِلَى لِقَاكَ ضِرَامُ
ضِرَامُ: جَمْرٌ، كِتَابَةٌ عَنِ شِدَّةِ الشَّوْقِ

فَتَغْلَغَلْتُ فِي الْأَصَالِجِ أَنْفَا سَاءَ لِي طَافًا تَهْفُو إِلَيْهَا الْعِظَامُ
يَا نَسِيمَ الْمُحِيطِ! مَا هَكَذَا فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَنَا الْأَنَسَامُ
يَقَارَنُ بَيْنَ نَسِيمِ الْبَحْرِ فِي لَبْنَانَ وَنَسِيمِ الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ عَلَى شَاطِئِ الْبِرَازِيلِ

أَنْتَ إِنْ زُرْتَ فِي الْمَنَامِ صَاحِبًا غَلَّغَلْتُ فِي عِظَامِهِ الْأَسْقَامُ
غَلَّغَلْتُ: تَغْلَغَلْتُ

ذَاكَ أَزْكَى شَمًّا، وَالْطَفْ ضَمًّا ذَاكَ تَشْفَى بِلَمِيهِ الْأَجْسَامُ
أَسْبَقُ الْفَجْرَ فِي الْهُبُوطِ إِلَى الْبَحْرِ رِ، وَكَمْ طَابَ لِي بِهِ اسْتِحْمَامُ
ظَاهِرَ الْقَلْبِ، لَسْتُ أَوْجِسُ شَرًّا جَاهِلًا مَا تُخَبِّئُ الْأَيَّامُ
شَادِيًا فِي النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، حَتَّى أَذْهَشَ النَّاسَ بُلْبُلًا لَا يَنَامُ
عُرْفَتِي السُّطْحُ، زَيْنَتْهَا سَمَاءُ تَتَدَلَّى مِنْ سَفْفِهَا الْأَجْرَامُ

الْأَجْرَامُ: النُّجُومُ، وَجَعَلَهَا تَتَدَلَّى مِنَ السَّمَاءِ بَعْدَ أَنْ جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ

وَكَأَنَّ النُّجُومَ شِعْرٌ بَدِيعٌ لَا غُمُوضَ فِيهِ، وَلَا إِنْهَامُ
رَسَمَتْهُ كَفَّ الْعَلِيِّ عُقُودًا إِنَّمَا اللَّهُ شَاعِرٌ رَسَّامُ
يَا بَرَازِيلُ! لَوْ أَفْضَتِ عَلَيَّ الـ حَالُ فَيَضًا مَا طَابَ فِيكَ الْمَقَامُ
أَجْمِيعُ الشُّهُورِ فِيكَ شَبَاطُ أَوْ مَا لِلشِّتَاءِ عَنْكَ انْصِرَامُ؟

شباط: فبراير، انصرام: انصراف

مِثْلَمَا تَنْقُضِي اللَّيَالِي سِرَاعاً هَكَذَا فِيكَ تَنْقُضِي الْأَعْوَامَ
وَإِذَا بِالْفَتَى مِنَ الْهَمِّ شَيْخٌ نَعْتَرِيهِ الْأَوْصَابُ وَالْآلَامُ
الأوصاب: الأوجاع

وَكَأَنَّ الْوَرَى وَخُوشٌ بِآجَا م، وَتِلْكَ الشَّوَارِعَ الْآجَامُ
الورى: الناس، آجام: غابات

مَنْكِبٌ حَكٌّ مَنَكِبًا، وَجَبِينُ شَجٌّ رَأْسًا، عَلَامَ هَذَا الزَّحَامُ؟
بَا لَشَوْقِي إِلَى مَحَاسِنِ قُطْرِ هَبَطَ الْوَحْيُ فِيهِ وَالْإِلَهَامُ
وَكُرُومٌ إِنْ مَرَّ فِيهَا غَرِيبٌ يَتَوَارَى مِنْ وَجْهِهِ الْكَرَامُ
يتذكر بلوعة كروم بلاده التي يمر فيها الرجل الغريب ويأكل منها، فيتوارى صاحب الكرم منه حتى
يتيح له حرية القطف والأكل بلا حرج

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الشَّامِ سَيَمُضِي حِينَ يَقْضِي، إِنَّ السَّمَاءَ الشَّامُ
يقضي: يموت، السماء: الجنة

٩١ زغاليل تعيش على سبي

قال في صنبول (كذا يعرّب القروي ساو باولو) ١٩٤١:

وَكَمْ نَشْرَاتٍ دَأْبُهَا أَنْ تُهَيِّنَنِي وَأَنْ أَتَغَاضَى عَنْ إِهَانَاتِهَا دَأْبِي
نشرات: مجلات وجرائد

صَبِرْتُ عَلَيْهَا رِبْعَ قَرْنٍ، فَلَمْ أَجِبْ بِسُوءٍ، وَلَمْ أَشْهَرُ عَلَى شَاتِمِ حَزْبِي
وَهَوْنٌ عِنْدِي السَّبُّ أَنَّ لِبَعْضِهِمْ زَغَالِيلَ أَطْفَالًا تَعِيشُ عَلَى سَبِّي
الزغاليل: أفراخ الحمام، ويذكرها الناس مثلاً على المخلوق الضعيف المحتاج للحماية؛ وهم
يذكرونها دون غيرها لأنهم يرونها كثيراً.. على موائدهم

٩٢ وداعة

لَطَفَ حَدِيثُكَ، فَالْتَفُوسُ مَرِيضَةٌ وَمِنْ الْكَلَامِ مُحَنَّنٌ وَمُجَنَّنٌ
كَمْ هَادئٍ بِالْعُنْفِ نَارَ، وَآبِدٍ كَالْوَحْشِ رَوْضَهُ الدُّعَاءِ اللَّيِّنُ
الدعاء: المخاطبة

وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِجَاهِلٍ كُنْ عَاقِلًا حَتَّى يَقُولَ الْعَقْلُ: وَيَحَكَ تَجِبُنْ؟

٩٣ حتى تكف رياءها الشعراء

واهاً على الأدب الرفيع وأهله! ضاع القياس، وضاعت الأدباء
سكت الطيور عن الغناء، فقام في ذهن الدجى أن النقيق غناء
في غياب الأدب الرفيع ظن الدجى (الليل) أن نقيق الضفادع، التي تبدأ النقيق عادة في الليل، غناء
(المعنى: ظن العامة أن النظامين شعراء)

والله! لست أكف عن قرع العصا حتى تكف رياءها الشعراء

قرع العصا: تعبير عتيق معناه «تنبيه الغافلين»، وليس معناه الضرب بالعصا. خَرَفَ أحد السادة من
قدامى العرب فأوصى بأن يقرعوا له العصا، لتنبيهه، كلما خرج في كلامه عن العقل

شكوى ولا ألم، وتشبيب ولا حب، وتأليه ولا عظماء
يتبجحون بكل مجد غابر والظلم يشهد أنهم جبناء
للعدل قسطاس بكفي قائم؛ العرب والإفرنج فيه سواء

قسطاس: ميزان

٩٤ لست شيئاً..

قال في عرس ابنة أخيه في صنبول ١٩٤٣:

عللاني بالكأس إثر الكاس واسقياني حتى تطير حواسي
لست شيئاً إن لم أدع عمر الخيّ - م خلفي، في شربها، والنواصي

٩٥ التعنيف

قال في نابين ميشال المعلوف في العصابة الأندلسية ١٩٤٣:

قالوا تَمَادَيْتَ فِي تَغْنِيفِهِ؛ صَدَقُوا لَمْتُ الْحَبِيبَ عَلَى وَقْدَارِ حُبِّهِ
مقدار حبه: مقدار حبي إياه

سَيُذْرِكُ الطِفْلُ أَنَّ الْحُبَّ أَنْفَعُهُ لَا مِنْ مُدْلِلِهِ بَلْ مِنْ مُرَبِّهِ
هُمْ يَغْضَبُونَ إِذَا نَبَهْتُهُمْ؛ وَأَنَا مَا لِي سِلَاحٌ يَقِيهِمْ غَيْرُ تَنْبِيهِ

٩٦ محاسن الموت

قال في تأبين مؤسس العصبة الأندلسية ميشال معلوف في صنبول ١٩٤٣ :

يا حَبَّذا مُتَعُ الشَّبَابِ، وَحَبَّذا يَوْمٌ يُطْلَى عَلَى التُّفُوسِ حِمَامُهَا
أَهْوَى المِيتَةَ والحياةَ؛ جَمَالُ ذِي عِنْدِي لَدَائِذُهَا، وَتِلْكَ سَلَامُهَا
لَمْ يُغْنِ حُبَّ العَيْشِ عَنْ حُبِّ الرَّدَى والعينُ، ما سَهَرَتْ، يَطِيبُ مَنَامُهَا
فَاخْتَرَ لِنَفْسِكَ مِيتَةً مَحْمُودَةً حُسْنُ القَصِيدَةِ بِذُؤِهَا وَخِتَامُهَا

٩٧ هَبُوا كالألغام

القاهيا في ١٩٤٤ في حفل وضع حجر الأساس للمصحح السوري في هضاب جردون بالبرازيل :

لِلَّهِ دَمْعٌ سُروري يَوْمَ هَبَّتِهِمْ مِنْ ضَجَعَةِ الذَّلِّ كالألْغَامِ تَنْفَجِرُ
والحمدُ لِلظُّلَمِ، إِنْ الظُّلَمِ عِلْمُهُمْ أَنَّ العُروبةَ فِيهَا العُزُّ وَالظُّفَرُ
تَجَهَّمِي، وَاكْفَهْرِي يا سماءَ لَنَا؛ لَا يُسْتَقَى مِنْ سَحَابٍ أبيضٍ مَطَرُ

٩٨ المرضع والوليد

قال سنة ١٩٤٥، وعاتب فئة كانت نهكت به لقصيدة سابقة :

شَمْسَ العُروبةَ! عَيْلَ صَبْرُ الْمُجْتَلِي شُقِّي حِجَابِكَ قَبْلَ شَقِّ الرَّمْسِ لِي
نفد صبر المجتلي (المرتقب) المنتظر بزوغ شمس العروبة، فشقِّي حجاب الغيوم واطهري قبل أن
يُشَقَّ لِي الرَّمْسُ (القبر)

وَتَذَارَكِي مُسْتَعِجِلًا، لو لم يَخَفْ سَبَقَ الحِمَامِ إِلَيْهِ، لَمْ يَسْتَعِجِلْ
أدركيني فأنا مستعجل، ولولا خوفي أن يسبق الموت ويأخذني لما استعجلت

أَأَرَى نَهَارَكَ قَبْلَ إِغْمَاضِ الرَّدَى جَفْنِيَّ فِي لَيْلِ الحَفِيرِ الأَلِيلِ
الحفير: القبر، الأليل: الشديد الظلمة، يقولون «هذا ليل أليل»

فَلَقَدْ يَرَى بِالرُّوحِ شَاعِرُ أُمَّةٍ مَا لَا يَرَى غَيْرُ النَّبِيِّ المُرْسَلِ
مَنْ هَامَ فِي حُبِّ الغَرِيبِ، فَلَسْتُ عَنْ حُبِّ الأَخِ العَرَبِيِّ بِالمُتَحَوِّلِ
من هام بحب الغرباء فهو وشأنه، أما أنا فلا أتحوّل عن حب الأخ العربي

يا مَنْ يَعُدُّونَ الدِّفَاعَ تَهْجُمًا وَيُؤَوِّلُونَ النِّقْدَ شَرًّا مُؤَوَّلِ

وحياة لبنان وأرزته، وما أقسمت إلا بالحبيب الأول
لولا أذراعي بالمحبة لا عتدت كيدي لوقع نبالكُم كالمنخل
لولا ادراعي المحبة (لبي المحبة درعا) لرميتوني بنالكُم (بسهامكم) حتى يصير كيدي مخرقاً
مثل المنخل

أبكى وأضحك للعذاب كمرضع شد الوليد يشغرها المسترسل
أما الألى شمتوا بمنكوب الحمى والبائعون بلادهم من ديفل
الشامتون بالوطن المنكوب، والذين باعوا بلادهم لديغول (زعيم الفرنسيين) ..

والطالبون حماية الباغي، وهما دهمهم على قدميه، لما يغسل
فهم الألى بين الإباء وبينهم ما بين أعلى الكائنات، وأسفل
لم يهتف الحر الكريم بمخفل إلا تلاه طنينهم في المخفل

٩٩ لم يطق صحبة الليوث

قال عن شخص عاشه في صنبول وحاول تقليد القروي في الشعر القومي، ثم يش.
فراح يدعو للمحبة والسلام مع إبداء نقمة هستيرية على صديقه ومعلمه القديم:
حلم الدب بالسيادة يوماً واشتهى أن يكون ليثاً أغلب
أغلب: غليظ العنق

غير أن الزئير أعياه، فارتد مغيظاً، يبرد الغيظ بالسب
أعياه: أعجزه، مغيظاً: مغتاظاً

ومضى يستشير دُباً حكيماً طالما جرب الذي هو جرب
قال: إن الخمول يا صاح صعب، بيد أن الذي أحاول أصعب
الخمول: عدم الشهرة

فأفدني كيف السبيل إلى الشهرة رة قال: «السبيل أن تترهب
هكذا يدرك الحكيم الأماني راكباً للخلود أنعم مركب
والذي لا يكون ليثاً خطيراً فليكن في الأقل دُباً مهذباً
ومضى دُبنا التقى مُذيعاً نبأ كاذباً ببوق أكذب
زاعماً أنه نبي جديد يا له مُرسلاً بناب ومخلّب!

لَمْ يُطَقْ صَحْبَةُ اللَّيْثِ، فَأَمْسَى ذَاهِباً فِي زَفَاقِهِ أَلْفَ مَذْهَبٍ
فَهُوَ حِيناً ذُئِبٌ، وَحِيناً خَرُوفٌ وَهُوَ، فِي أَغْلِبِ الْأَحْيَانِ، ثَعْلَبٌ

يرى الطلبة في كلياتهم وجامعاتهم واتحادات الطلبة التي ينتمون إليها الكثير من مثل هذه المواقف. كل طالب نشط نقابياً أو سياسياً يريد أن يكون له طابع مميز. يريد أن يكون مناضلاً شرساً يجتمع حوله الآخرون، فإذا عجز عن ذلك سعى إلى أن يكون داعية سلام ووافق، أو فيلسوفاً. كل طالب نشط يريد أن يكون صاحب دور محدد. والطالب الذي يختار دوراً ينسجم مع وضعه الطبقي، ومع طريقة تفكيره يصيب نجاحاً أكثر. والطالب الذي يركب الموجة ويتبع الحزب المناسب في الوقت المناسب يجد وظيفة بعد التخرج. ولعبة اتحادات الطلبة هي مجسم مصغر للحياة السياسية في البلد. وهي من أهم ما تمنحه الجامعة للطالب. . . بالتأكيد أهم من الشهادة. في الجامعة ينفرد الطلبة، ويعرف القيادي نفسه، ويعرف الآخرون. والطالب المتذبذب بين الفرق والأحزاب نموذج معروف، ووصف القروي أعلاه ينطبق على أكثر من مستوى في المجتمع

١٠٠ الانشطار في عهد الاستقلال

قال في مرور ٢٥ سنة على وفاة المعلم نعمة يافث. قبلت سنة ١٩٤٥ :

عُدْ يَا مَعْلَمُ، أَوْ فَابِعْثْ لَنَا أَحَدًا طَالَ السَّرَى، وَأَضْعُنَا بَعْدَكَ الرَّشْدَا
السرى: سير الليل

هَا رُبُعُ قَرْنٍ تَقْضَى مُذْ رَحَلْتَ، وَمَا زَالَتْ سَفِينَتُنَا تَجْرِي بِغَيْرِ هُدَى
قَبَاتٍ فِي عَهْدِ الْاِسْتِقْلَالِ مُنْطَرَأً مَنْ كَانَ فِي عَهْدِ الْاِسْتِعْمَارِ مُتَّحِدًا
كان السوريون في المهجر متحدين، ومع الاستقلال أصبحت لبنان وسورية كيانين فانشطر الناس في المهجر فريقين

رُوحُ الْمَعْلَمِ تَابَى أَنْ تُطِلَّ إِذَا حَيَّاهُ فِي عَيْدِهِ لِبْنَانُ مُنْفَرِدًا
وَلَيْسَ يُسَعِدُهَا شَيْءٌ كَحَيِّينَ تَرَى يُؤْمِنُ فِتَى الْأَرْضِ فِي يُسْرَى فِتَى بَرْدَى

١٠١ في ذم السياسة

قال في مجلس طرب بين البساتين ١٩٤٥ :

لَعَنَ اللَّهُ السِّيَاسَةَ إِنَّهَا أَصْلُ التَّعَاسَةِ
خُلِقَ الْجَاهِلُ مَعْنِيًّا - بَأِ بِمَا يُوجِعُ رَأْسَهُ
مَفْعَدٌ بَيْنَ الْبَسَاتِي - نِ، وَلَا دَسْتُ الرِّيَاسَةَ

دست الرياسة: مجلسها

فَدَعَوْهَا لِذَوِيهَا واجلسوا: كُلاً وكأسه
كُلُّ مَالِ الْأَرْضِ، لَوْلَا الـ كَيْفُ، لَا يَسْوَى نُحَاسَةً
وَالْحَيَاةُ الْحُبُّ وَالْمَتـ عَةً، وَالْبَاقِي كُنَاسَةً

١٠٢ رقصة الموت حول الرحي

مِنْ حَبَّةِ الْقَمْحِ اتَّخِذْ مَثَلَ النَّدَى يَا مَنْ قَبِضْتَ عَنِ النَّدَى يُمْنَاكَ
هِيَ حَبَّةٌ أَعْطَيْتُكَ عَشْرَ سَنَابِلٍ لِتَجُودَ أَنْتَ بِحَبَّةٍ لِسِوَاكَ
حَلَمْتُ بِأَنْ سَتَعِيشُ فِي خُبْرِ الْقَرَى فَتَرَاقَصْتَ لِلْمَوْتِ حَوْلَ رَحَاكَ
القرى: طعام الضيف، رحاك: حجر طاحونك

وَكُنَّا نَمَا الشَّقُّ الَّذِي فِي وَسْطِهَا لَكَ قَائِلٌ: نِصْفِي يَخْصُ أَخَاكَ

١٠٣ الباقي بعد الطرح

أُيْهِهَا الْجَانُوعُ مِمَّا فِي ظِلَامِ الرَّمْسِ يَلْقَى
الرمس: القبر

أَنْتَ، لَا بِالْمَوْتِ، بَلْ بِالـ عَيْشٍ، يَا مَغْرُورُ، تَشْقَى
اطْرَحِ الْخُوفَ مِنَ الْمـ مَوْتٍ، فَمَاذَا مِنْهُ يَبْقَى؟
إذا قتت بعملية طرح، فطرحت الخوف من الموت لم يبق منه شيء

١٠٤ غرقوا به ولم نتبلل

قال في ١٩٤٦:

إِنِّي لَصَدَّاحُ الْعَرُوبَةِ، طَابَ لِي شَدْوِي عَلَى سَرَوَاتِهَا، وَتَنَقَّلِي
سروات: شجرات السرو

سَنُعِيدُ صَرْحَ الْعِزِّ طَوْدًا شَامِخًا مَا أَحْقَرَ الْمَاضِي لَدَى الْمُسْتَقْبَلِ
صرح: بناء فخم، طود: جبل

مَا بَالُ مَنْ زَعَمَ الْجَلَاءَ تَقَلَّقَ الـ هَرَمُ الْكَبِيرِ بِهِ، وَلَمْ يَتَقَلَّقَلِ
ما لي أرى هؤلاء يقولون إن اتفاقية الجلاء، وجلا الفرنسيون عن سورية في هذا العام، أمر خطير
اهتز له الهرم الكبير؟ لا، لم يهتز، فاتفاقية الجلاء خدعة (كذا فهمت المعنى)

لَا تُخَدَّعُوا بِرَحِيلِهِ عَنْ جِلْقٍ وَأَخُوهُ عَنْ بَغْدَادَ لَمَّا يَرْحَلِ
لَا فَرْقَ إِنْ نَزَفَ الْعَدُوُّ دِمَاءَكُمْ مِنْ إِشْجَعٍ أَوْ أَخْدَعَ أَوْ أَكْهَلَ
الإشجع: عرق من عروق الكف، الأخدع: عرق في العنق، الأكل: عرق في الذراع

يَا لِلْبِزَاةِ! عَلَيْهِ تَحْمِيلُ حَمَلَةٍ، يَوْمَ «الْمَصَانِعِ» مِثْلُهَا لَمْ يُحْمَلِ
ألا يا أيها البيزة (النسور)! شنوا حملة على المحتل لم يشن مثلاً في يوم (معركة) المصانع (التي
خاضها عنترة بن شداد)

لَوْ كَانَ يُمَكِّنُهُ رَمَى أَعْضَاءُهُ عِنْدَ الْهَزِيمَةِ، وَاكْتَفَى بِالْأَرْجُلِ
العدو من شدة بأسكم كان يتمنى لو يستطيع أن يتخلص من كل أعضاء جسمه، ويُقي على الأرجل
لكي يهرب منكم بسرعة. خيال طيب من شاعرنا

طَارَتْ شَوَاهِينُ الْعُقُولِ، وَحَلَقَتْ وَالصَّقْرُ، صَقْرُ قَرِيشَ، لَمْ يَتَمَلَّمِ
في الغرب طارت شواهين (جوارح) العقول وحلقت في الجو، وأما صقر قريش (كناية عن العرب)
فهو لم يتململ بعد من نومه

كَمْ سَبَبٍ مُتَفَجِّرٍ عَنْ ثَرْوَةٍ غَرِقَ الْعُلُوجُ بِهَا، وَلَمْ نَتَبَلَّلِ
كم يوجد من سبب (صحراء) يتفجر بثروة النفط، ويفرق العلوج (الأجانب) في نطفنا، ونحن لا
نكاد نتبلل به، لا يصينا شيء من خيره

لَوْلا جَمُودُ الشَّرْقِ مَا نَعِمُوا بِهَا وَالطَّيِّبَاتُ نَصِيبُ مَنْ لَمْ يَكْسَلِ

١٠٥ شعراء رمل الشاطئي

قال في حفل تكريم الشاعر شكر الله الجري:

أَيْنَ الْبَلَابِلُ فِي إِنْشَادِهَا سَحَرَا مِنْ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ، إِنْ شَدَا سَحَرَا
كَمْ يَدَّعِي الشَّعْرَ مَنْ لَا يَشْعُرُونَ بِهِ وَلَا يُعَادُونَ إِلَّا كُلٌّ مَنْ شَعَرَا
يَلْهُونَ مِنْهُ بِأَوْزَانِ مُسَجَّعَةٍ وَالشَّعْرُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَوْزَانِهِمْ سَخَرَا
دَعَاهُمْ عَلَى الشَّاطِئِ الرَّمْلِيِّ فِي لَعِبٍ إِذَا طَغَى الْمَوْجُ لَمْ يَتْرُكْ لَهُمْ أَثَرَا
يَا نَافِثاً ذُرَّراً، يَا بَاعِثاً شَرَّراً يَا جَالِياً غُرَّراً، يَا مُلْهِماً سُورَا
كَمْ خَامِلٍ يَبْتَغِي ذِكْرًا، فَيُعْجِزُهُ يَوَدُّ لَوْ أَنَّهُ بِالسُّوءِ قَدْ ذُكِرَا

١٠٦ يا قريتي

وَاهَا عَلَى عَهْدِكَ يَا قَرَّتِي أَيَّامٌ إِلَّا فِيكَ لَمْ أُعْرِفِ

فِي ضَعَةِ الْمَرْءِ وَقَاءٍ مِنَ الْهَمِّ، وَمِنْ يَسْتَعْلِي يَسْتَهْدِفُ
 يستعلي: يطلب العلو، يستهدف: ينصب نفسه هدفاً. وقد قال القديم: «من أَلَفَ،
 فقد استهدف»، ونحن أَلَفْنَا بضعة كتب، بعضها كهذا الكتاب لا يخرج عن كونه
 اجتراراً لإبداع ناسٍ آخرين، وبعضها غايته نقل الخبرة إلى الناشئة، ولم نر أحداً
 استهدفنا. لا بل قد كتبت كتاباً في سنة ٢٠٠٣ في السياسة، ونشرته في بلدٍ نقدت فيه
 رئيسه نقداً حاداً، فبعت ثمانين نسخة، ولم يَأْبِهِ بي أحد. وبعد ذلك كتبت شيئاً يسيراً
 مما كنت قلته في ذلك الكتاب في مقال بجريدة مغمورة فقامت علي القيامة. ساء ظني
 بالكتاب، كل كتاب، ولكنه ظل الهدف الأسمى. فقد نشأت، ونشأ جيلي على أن
 غاية الإنجاز أن يكون لك كتب في السوق. وصار هذا خلقاً من أخلاقي، وهاجساً
 من هواجسي. فمهما انهارت سمعة الكتاب وخبا أثره لا يفقد هالة أظل أراها تطوقه

١٠٧ مدارس دوارس

قال وألقاها في صنبول (ساو باولو كما يعربها القروي) في زيارة فيليب جيتي:
 أَصْبَحَ الشَّرْقُ مَعْرِضاً لِلْمَدَارِسِ وَصَرُوحُ الْعُمَرَانِ فِيهِ دَوَارِسُ
 دوارس: مهذمة

كُلُّهَا تُنْشِئُ الرِّجَالَ، وَلَكِنْ لَا لِقَرْعِ الْخُطُوبِ، بَلْ لِلْمَجَالِسِ
 قرع الخطوب: مواجهة المصائب

نَصْرِفُ الْعَمَرَ بَيْنَ صَرْفٍ وَنَحْوٍ وَنُبَاهِي بِعِلْمِنَا، وَنُنَافِسُ
 كُلَّنَا مُقْعَدٌ إِذَا اسْتَصْرَخَ الْحَقُّ - وَلَكِنْ فِي حَلَبَةِ الْقَوْلِ فَارِسُ
 استصرخ الحق: نادى مستنجداً

كَلِمٌ كُلُّ قَلْبٍ لِبَنَانٍ مِنْهَا وَجَبِينُ الشَّامِ مِنْهَا عَابِسُ
 كلم: كلام، كل: تعب

إِنَّ عِلْماً لَا يَكْفُلُ الرِّزْقَ خَيْرٌ مِنْهُ، عِنْدَ الْعَرَبِيِّ، صُنْعُ الْمَكَانِسِ

ثمة حالة من الهوس لا بد أن تصيب كل عاقل في بلدان متخلفة كبلداننا العربية.
 وسأشرحها قليلاً: من يقرأ شعر القروي وصحبه من شعراء النصف الأول من القرن
 العشرين يفهم أن الشعور بأننا متخلفون وقاعدون عن مسايرة البلدان المتطورة كان
 عارماً. شوقي مثلاً يردد هذه اللازمة في كثير من أشعاره. ثم جاء عبد الناصر، وشعر
 العرب أنهم أمة لها وزن. مجرد شعور. وانقضى زمن عبد الناصر ورجعنا إلى
 شعورنا الأول، ولعله الأقرب إلى الواقع. وعلى هذا فكل ما في خلق المواطن
 العربي اليوم (وأنا أكتب في أبريل/نيسان عام ٢٠٠٩) من مرارة ليس جديداً. إن ما
 يجعل هذا الشعور جارفاً لدى العربي، وزائداً عما يعتدل في أذهان شعوب أخرى

متخلفة هو أننا ندرّس أولادنا في المدارس أن تاريخنا كان مجيداً وناصباً. والواقع أن تاريخنا، كتاريخ شعوب كثيرة، مزيج من النقاط المضيئة والمساحات المظلمة. نحن ناس عاديون، والمجد العربي شبيه بالمجد المكسيكي الذي عرف حضارة بائدة، وبالمجد الهندي، وبالمجد القديم لكل شعب. ولأننا في حالة نواح على الذات نمر بفترات كفر: نكفر بكل شيء لا يوصلنا إلى القنبلة الهيدروجينية، وتصنع السيارة والطيارة. نكفر بكل معرفة سوى المعرفة التي تجعلنا نصبح شعباً متطوراً مادياً. لعل هذا الكفر خير من الإيمان بماض مجيد، والنوم على هذا الإيمان

١٠٨ الجحود

تَبَيَّنْتُ أَسْبَابَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى فَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْجَهْلِ فَارِقًا
أَلَمْ يُضْهِجِ الْمَخْلُوقُ بِالْعِلْمِ خَالِقًا وَمَا زَالَ يَنْفِي أَنْ لِلْكَوْنِ خَالِقًا
هُمُ النَّاسُ، إِنْ لَمْ يَعْشَقُوا الْحَقَّ أَنْكَرُوا وَلَوْ لَمَسُوا بِالرَّاحَتَيْنِ الْحَقَائِقًا

الشرح من عمران القفني: (يتساوى العلم والجهل ولا يصبح بينهما أي فارق، عندما يبدع العالم خلقاً جديداً باختراعاته ومع ذلك يظل ينكر أن الكون مخلوق لخالق. والناس بطبيعتهم - يقول القروي - يجب أن يتوفر لديهم عشق الحقيقة وحبها كي لا يصلوا درجة الإنكار. ولو لم يتوفر ذلك العشق أنكروا، حتى وإن صارت الحقيقة في متناول أيديهم.. لا بد من توفر حب الحقيقة أولاً.. كذا فهمت المعنى)

١٠٩ قناعة

قال ونظمها في مدينة كلدس سنة ١٩٤٦:

بَلَّغْتُ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ كِفَايَتِي فَيَا أَرْضُ جُودِي بِالْمَلَائِكِينَ، أَوْ ضِنِّي
ضَنِي: ابخلي

وَرَبِّ قَلِيلٍ، فِي فَمِ الشُّكْرِ، مُشْبِعٌ وَرَبِّ كَثِيرٍ، فِي يَدِ الْكُفْرِ، لَا يُغْنِي
الكفر: جحود النعمة، وعدم الرضا بالرزق

وَأَتَيْ لَيْدَعُونِي الْغِنَى، فَأَجِيبُهُ وَبِعِزِّي النُّجْمَ الْبَعِيدُ، فَأَسْتَعْنِي
الشاعر متحير بين التجارة وما فيها من مال وبين الشعر وأضواء الشهرة

١١٠ إلى غير رجعة

قال علي ضريح والدة صديقه إلياس عاصي ١٩٤٧:

نَضَبَ الْعُمْرُ دَمْعَةً إِثْرَ دَمْعَةٍ قُوتِلَ الدَّهْرُ! لَا يُغَيِّرُ طَبْعَةَ

نَشْتَكِي وَجْعَةً مِنَ الْمَوْتِ، لَكِنْ نَشْتَكِي مِنْ حَيَاتِنَا أَلْفَ وَجْعَةٍ
رَحْلَةُ الْقَبْرِ لَا قَوَائِلَ فِيهَا كُلُّنَا ذَاهِبٌ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ
قوافل: إبل قافلة (راجعة) من السفر

١١١ رثاء حسني غراب

قال في تأبين الشاعر حسني غراب بصبول عام ١٩٥٠:

وَلِلَّهِ يَوْمَ بَدَدَ الشُّؤْمُ قَالَهُ وَلِلَّهِ قَلْبِي مَا أَشَدَّ اخْتِمَالَهُ
نَعَاكَ لِي النَّاعِي، فَحَدَقْتُ ذَاهِلًا إِلَيْهِ، كَأَنِّي مَا وَعَيْتُ مَقَالَهُ
وَأَثَبْتُ مَا عَلَلْتُ نَفْسِي بِتَفْهِهِ فَلَمْ يُجِدْنِي أَنِّي أَعَدْتُ سَوَالَهُ
وَأَحْسَسْتُ أَنَّ الْقَبْرَ هَيْلُ ثُرَابُهُ عَلَيَّ، وَأَنَّ الْكَوْنَ أَلْقَى جِبَالَهُ

١١٢ دمنة الأيام

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَجْنِ مِنْ رَوْضِ الصَّبَا زَهْرًا فَلَيْسَ فِي دِمْنَةِ الْأَيَّامِ أَزْهَارُ
دمنة الأيام: مزيلة العمر، يقصد الشيخوخة

وَقِيَمَةُ الشَّيْءِ مِقْدَارُ الْهَيَامِ بِهِ، فَإِنْ زَهَدْتَ، فَمَا لِلْمَاسِ مِقْدَارُ
لَا تَعْقِدَنَّ عَلَى ذِي ثَرْوَةٍ أَمَلًا فَمَا تَصَاحَبَ ثَجَارٌ وَشُعَارُ
وَالْمَاءُ وَالنَّارُ شَيْءٌ إِنْ فَصَلْتُهُمَا، فَإِنْ وَصَلْتَ فَلَا مَاءٌ وَلَا نَارُ

١١٣ وماذا يغني الحب؟

قال يرثي الشاعر حسني غراب ١٩٥٠:

فِيذَاكَ رَفِيقٌ يَنْزِفُ الْهَمَّ قَلْبَهُ وَيَأْخُذُ مِنْهُ الشُّعْرُ مَا تَرَكَ الْهَمُّ
وَلَوْ كَانَ يُغْنِي الْحُبُّ، أَوْ يَذْفَعُ الرَّدَى لَمَا نَامَ تَحْتَ الثَّرْبِ حَيٌّ لَهُ أُمُّ

١١٤ التطهير بالنار

قال في صنبول عام ١٩٥٠، في تأبين الأديب جميل صفدي:

إِهْتِفْ بِكُلِّ فَتَى حُرٍّ: هَلُمَّ أَخِي! وَلَنَمُحْ مَا سَطَّرَ الْأَنْدَالُ مِنْ عَارِ
عَلَيْكَ بِالْمَاءِ فَاغْسِلْ مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنْ لَمْ يَنْفَعِ الْغَسْلُ، فَالْتَّطْهِيرُ بِالنَّارِ

١١٥ تاج الشعر وتاج الوزارة

قال القروي في حفل تكريم بصنيول لعمر أبو ريشة الوزير المفوض لسورية في
البرازيل، وأبو ريشة شاعر مهم، ١٩٥٠:

طُفَّ يَا رَسُولَ الْفَنِّ فِي مِعْرَاجِهِ مَتَنَقِّلاً كَالشَّمْسِ فِي أَبْرَاجِهِ
يَا عَمْرُ أَبُو رِيشَةَ، يَا رَسُولَ الْفَنِّ، طِفْ طَوَافاً فِي مِعْرَاجِ الْفَنِّ (سمائه)
لَكَ فِي سَمَاءِ الْعَبْقَرِيَّةِ مَنْزِلٌ يَتَهَاوَتْ الشُّعْرَاءُ دُونَ رِتَاجِهِ
رتاجه: بوابته

الْفَجْرُ مِنْ أَبْوَابِهِ، وَالْدَهْرُ مِنْ حُجَابِهِ، وَالزُّهْرُ مِنْ حُجَّاجِهِ
الزهر: النجوم
مَنْ ذَا يُهْنِي بِالْوِزَارَةِ شَاعِراً التَّاجُ أَرْخَصُ دَرَّةً فِي تَاجِهِ!

١١٦ إنزاف

قال سنة ١٩٥٣ ترحيباً بصديقه الشاعر سليمان داود الذي قدم من هيوستن بالولايات
المتحدة:

مَا بَالُ شَيْطَانِي الثَّرَّارِ أَنْكَرَنِي كَأَنَّهُ مُذْ عَلَانِي الشَّيْبُ لَمْ يَرْنِي
تَزَوَّرْ عَنِّي بَنَاتُ الْوَحْيِ عَابِسَةً كَأَنَّنِي مَا نَظَّمْتُ الشُّعْرَ فِي زَمَنِي
تزوّر عني: تنفر عني، بنات الوحي: أبيات الشعر

عَهْدِي بِهِ كُلَّمَا اسْتَوْحَيْتُ نَزَلَ لِي آيَ الْبَيَانِ كَصُوبِ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
عهدي بشيطاني الملهم أنني كلما استوحيت (طلبت الوحي الشعري) نزل لي الآيات الشعرية
كصوب العارض الهتن (كانصاب السحاب الممطر)

قَرِيبَحْتِي، بَعْدَ ذَاكَ الْفَيْضِ، جَامِدةً جُمُودَ عَقْلِيَّةِ الرَّجْعِيِّ فِي وَطَنِي
يَا دَهْرُ! لَمْ تُبْقِ لِي شَيْئاً أُسْرُ بِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا رُوحِي وَلَا بَدَنِي
دَرَنِي مَعَ الشُّعْرِ فِي صَحْرَاءَ قَاجِلَةٍ وَلَا تَذَرَنِي جَدِيبَ الْفِكْرِ فِي عَدَنٍ
عَدَن: يقصد جنات عدن

١١٧ صمصام بكف علي

ألقاها في النادي الحمصي بصنيول ١٩٥٦:

إِنْ لَمْ يَفِضْ مِنْ يَدَيْكَ الْقَوْلُ، لَا تَقُلْ لَا مِنْبَرُ الْيَوْمِ، إِلَّا مِنْبَرُ الْعَمَلِ

بُنْتُ الْحِمَى لَيْسَ يَحْمِيهَا الْقَرِيضُ، وَلَا تَرْضَى عَنِ السَّيْفِ، يَوْمَ الثَّأْرِ، مِنْ بَدَلٍ

القرىض: الشعر

عَارٌ إِذَا لَمْ نَسِرْ، وَالنَّاسُ قَدْ وَصَلُوا وَلَيْسَ عَاراً إِذَا سِرْنَا، وَلَمْ نَصِلْ
أَمَّا تَرَوْنَ جُنُودَ الْوَحْدَةِ انْتَضَمُوا فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ نَاءٍ وَمُفْتَتَلٍ

مضطرب: مكان، مقتل: ميدان

وَنَاصِرٌ يَتَجَلَّى بَيْنَهُمْ قَمَرًا لِلْهَذِي وَالْحُسْنِ؛ مَهْمَا شِئَتْ فِيهِ قُلٍ
رَأَيْ أَصِيلٌ، وَعَزَمَ غَيْرُ ذِي قَلِيلٍ كَأَنَّمَا هُوَ صَمَصَامٌ يَكْفُ عَلِيٍّ

صمصام: سيف، علي: ابن أبي طالب

١١٨ رثاء أبو ماضي

قال في حفل تأبين إيليا أبو ماضي بصنبول في آذار/مارس ١٩٥٨ وبعدها بشهرين غادر القروي إلى لبنان. ويقول القروي إن قنصل لبنان بصنبول (ساو باولو) أبرق للسلطات باعتقاله فور وصوله:

أَعِدِ الْبَشَاشَةَ لِلَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ رَهْنَ الْكَابَةِ فِي ظِلَامٍ كَالْعَمَى
وَأَغِثْ جَدَاوِلَكَ الَّتِي تَرَوِي الظُّمَأَ وَيَكَادُ يَقْتُلُهَا، لِرُؤْيَيْكَ، الظُّمَأَ
«الجداول»: ديوان من دواوين إيليا أبو ماضي. يكاد يقتل الجداول العطش والشوق لرؤيتك

تَجْرِي زُلَالاً فِي الطُّرُوسِ، وَإِنْ جَرَتْ لِنَوَاكٍ مِنْ مُقَلِّ الْأَحِبَّةِ عِنْدَمَا
الطروس: الأوراق، نواك: فراقك، مقل: عيون، العندم: نبات أحمر كالدم، أما سموه أيضاً «دم الأخوين»؟

وَقَلَائِدًا يُعْجِزُنَ أَبْرَعَ نَاطِمٍ حَتَّى لَيَحْلِفَ أَنَّهُ لَنْ يَنْظِمَا
القلائد: العقود، يعني قصائد إيليا

وَحَمَائِلًا، كُلُّ الْخَمَائِلِ بَعْدَهَا عُشْبٌ عَلَى أَقْدَامِ جَنَّتِهَا نَمَا
«الخمائل»: من دواوين إيليا

تُنَمَّى إِلَى وَطَنِ الْجَمَالِ، وَهَلْ لِمَنْ عَبَدُوا الْجَمَالَ سِوَاكَ يَا وَطَنِي حِمَى
تنمى: تنتسب

أَنْكَرْتُ نَفْسِي بَعْدَ طَوْلِ فِرَاقِهِ فَكَأَنَّنِي دِيوَانُ شِعْرِ تَرْجَمَا
 بارعة جداً هذه الديوان شعر ترجماء، فديوان الشعر المترجم بعيد كل البعد عن الأصل ويكاد
 لا يعرف نفسه. وأن يأتي القروي بتشبيه عن ديوان شعر في رثائه لشاعر يعني أنه منغمس في
 موضوعه انغماساً

يَا فِيلَسُوفَ الشُّعْرِ، يَا ابْنَ الشَّمْسِ يَا قَمَرًا رَمَاهُ الْأَرْزُ أَبْعَدَ مَنْ رَمَى
 سِرٌّ وَحِيدٌ فِي الْحَيَاةِ فَهَيْمَتُهُ وَسِوَاهُ لَيْسَ يَهْمُنِي أَنْ أَفْهَمَا
 أَنَّ الْعُرُوبَةَ حَقَّقَتْ أَحْلَامَهَا مَاذَا يَشُوقُكَ بَعْدَهَا أَنْ تَحْلُمَا
 أَنْتَسِيرُ فِي رَكْبِ الْحُسَيْنِ وَفَيَصِلُ وَنَحْنُ نُنَاصِرُنَا الْأَبْرَّ الْأَكْرَمَا

تعريض بملكي الأردن والعراق، وتنويه برئيس مصر. كان فيصل الثاني في العراق وحسين بن
 طلال في الأردن قد عقدا وحدة بين البلدين قبل إلقاء القصيدة بشهر ناظرين إلى الخطوات
 التمهيدية للوحدة بين مصر وسورية

عَرَشَيْنِ: هَذَا لَا يُسَاوِي دِرْهَمًا وَعَلَيْهِ مَلِكٌ لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا
 كان الأردن فقيراً، وكان ملكه قليل الموارد

وَقِيَادُ ذَا فِي كَفِّ قَاتِلِ جَدِّهِ وَأَبِيهِ، يَا لِلْعَاجِزَيْنِ كُلَيْهِمَا
 فيصل الثاني ملك العراق كان واقعاً تحت سيطرة خاله عبد الإله الذي يتهمه الشاعر بتدبير قتل جده
 فيصل الأول (قيل بحقنة مسمومة)، وأبيه غازي في حادث سيارة (قيل بل ضرب على أم رأسه،
 ولا حادث في الأمر)

١١٩ عائد لأموت في وطني

قال وهو في البحر عائداً لوطنه:

بُنْتُ الْعُرُوبَةَ هَيْئِي كَفَنِي أَنَا عَائِدٌ لَأَمُوتَ فِي وَطَنِي
 أَأَجُودُ مِنْ خَلْفِ الْبَحَارِ لَهُ بِالرُّوحِ، ثُمَّ أَضِنُّ بِالْبَدَنِ؟

١٢٠ بطل الجزائر

قال وهو يحضر احتفال مكتب تحرير الجزائر بدمشق في سنة ١٩٥٨:

لَبَّيْكَ يَا بَطْلَ الْجَزَائِرِ عُقِدَتْ عَلَى الثَّارِ الْخَنَاصِرُ
 عُقِدَتْ الْخَنَاصِرُ: عُقِدَ الْعَزْمُ

نَضَرُّ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَتْب لَوْ النُّصْرَ، فَالْدُّنْيَا بِشَائِرُ

وَجَبَائِرُ الطُّغْيَانِ كَالـ حَشَرَاتٍ تَحْتَ حِذَاءِ نَاصِرٍ

وكانت مصر في زمن عبد الناصر تساعد ثوار الجزائر

الشُعْبُ كَالْإِعْصَارِ يَسـ حَقُّ غَادِرًا، وَيَجُرُّ غَادِرُ

الحَرْبُ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، فَمَا شَأْنُ الْمَنَابِرِ

وَالنَّصْرُ يُؤْتَاهُ الْمُجَا هِدُّ بِالْخَنَاجِرِ، لَا الْحَنَاجِرِ

١٢١ سُبْحَ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ أَنْتَ فِي الشَّامِ

ألّفها على مدرج الجامعة السورية في ١٩٥٩ في مهرجان أحبته دمشق تكريماً للشاعر.
وكان عائدًا للوطن العربي بعد اغترابه ٤٥ عاماً. وقد حاول رجال الأمن اللبنانيون
اعتقاله فور وصوله، لكنه تخلص منهم وبلغ اللاذقية فدمشق:

حَتَّامٌ تَخَسَّبُهَا أَضْغَاتُ أَحْلَامِ سَبِّحْ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ، أَنْتَ فِي الشَّامِ

لَمْ يَأْذِنْ لِّلَّهِ يَا بُوقَ الْعُرُوبَةِ أَنْ تَقْضِيَ الْحَيَاةَ غَرِيباً بَيْنَ أَغْجَامِ

الشام تخاطبه وتقول يا بوق العروبة (يا ناشر فضائلها) لم يشأ الله أن تقضي كل حياتك بين
الأعاجم في المهجر

وَكُنْتَ فِي أَبْعَدِ الْأَمْصَارِ أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِي إِلَيَّ وَأَخْوَالِي وَأَعْمَامِي

وتقول له الشام: حتى وأنت بعيد كنت أقرب إلي من كل أهلي

أَضْنَاكَ طَوْلُ السَّرَى وَالسَّيْرِ يَا وَلَدِي فَاطْرَحْ رِدَاءَكَ، وَامْسَحْ جُرْحَكَ الدَّامِي

السرى: السير ليلاً

هَذَا غَيْوْنِي وَجَنَاتِي وَفَاكِهَتِي فَاْمَلْأْ يَدَيْكَ، وَبَرِّدْ قَلْبَكَ الظَّامِي

يَا يَوْمَ جَدَّدَ فِيَّ الْخِضْرُ آيَتَهُ لَمَّا أَطْلَلْتُ عَلَى بَيْرُوتِ أَغْلَامِي

الخضر: النبي المعروف بكثرة الأسفار

وَالْوَحْشُ مُنْفَعِرُ الشُّدْقَيْنِ يَرْصُدُنِي وَالْبَغْيُ، أَسْطُولُهُ خَلْفِي وَقُدَّامِي

الوحش الفرنسي كان فاعراً فاه يرصدني، وكان أسطول الظلم يحيط بي عند وصولي إلى بيروت

فَأَذْبَرَ الْبَغْيَ مَذْخُورًا، وَعُدْتُ إِلَى سِرْبِي، وَقُلْتُ لَهَا: يَا مُقْلَتِي نَامِي

وَبْتُ لَيْلِي، وَعَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُنِي حَتَّى وَضَعْتُ بِأَعْلَى التُّرْبِ أَقْدَامِي

أَنَا الْعُرُوبَةُ لِي فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ إِنْجِيلُ حُبٍّ، وَلِي قُرْآنُ إِنْعَامِ

وَابْنِي فَتَى النَّيْلِ حَلَّانِي بِجَوْهَرَةٍ عَزَّتْ عَلَى كُلِّ عَوَاصٍ وَعَوَامِ

مَنْ يَتْلِكَ عَهْدَ المَوَامِي وَالذَّمَى قَانَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَدْ حَطَّمْتُ أَصْنَامِي

الموامي: الموميات، ويذكرها كثيراً دعاة الفرعونية بمصر

شَغَلْتُ قَلْبِي بِحُبِّ المِصْطَفَى، وَغَدَتْ عُرْوَتِي مِثْلِي الْأَعْلَى وَإِسْلَامِي

بِنَاصِرِي وَبِأَسْوَانِي فَحَزْتُ، إِذَا بَاهَى الدَّعِي بِفِرْعَوْنَ، وَأَهْرَامِ

عبد الناصر كان قد شرع في بناء السد العالي قرب أسوان، الدعي: الفاسد النسب، والقروي هنا بغض ممن ذهبوا إلى أن مصر تنتسب إلى قدماء المصريين لا إلى العرب

عَاشَ الَّذِي أَدَّبَ الطَّاعِي وَكَبَّكَه عَنِ القَنَاةِ ذَلِيلًا، خَافِضَ الهَامِ

ليعيش عبد الناصر الذي أدب الظالم وكبكبه (شرده) عن قناة السويس ذليلاً خافض الهام (الرأس)

دَعِ ذِكْرَ كُلِّ عَظِيمٍ حِينَ تَذْكُرُهُ وَقِفْ دَقِيقَةَ إِجْلَالٍ وَإِعْظَامِ

فَمَا رَمَى رَمِيَةً إِلَّا مُسَدَّدَةً وَلَا خَطَا خُطْوَةً إِلَّا بِإِلْهَامِ

كَمْ خُطْبَةٍ كَالنَّدَى وَالْجَمْرِ مِنْهُ شَفَتْ أَكْبَادَنَا، وَشَوَتْ أَكْبَادَ ظُلَامِ

لَا يَسْتَبِينُ المِصْلِي فِي كِنَائِسِهِمْ إِنْ كَانَ يُضْغِي لِقَسٍّ أَوْ لِحَاخَامِ

يتهم رجال الدين في الغرب بممالة اليهود، فكان موعظة القس خطبة يلقها الحاخام

حَرِيَّةٌ لِمَلُوكِ المَالِ خَاضِعَةٌ تُسَاقُ فِيهَا الرِّعَايَا سَوَقَ أَنْعَامِ

الحرية التي يتغنى بها الغرب هي حرية ملوك المال، والشعب يقاد كالماشية

فَمَا الرِّئِيسُ، وَأَتْبَاعُ الرِّئِيسِ لَهُمْ إِلَّا الْأَرْقَاءُ، فِي أَزْيَاءِ حُكَّامِ

والرؤساء والوزراء في الغرب أرقاء (عبيد) لكبار الأغنياء

قُلْ لِلْأَلَى سَخِرُوا بِي، وَازْدَرَوْا أَدْبِي مِنْ خَائِنٍ وَشُعُوبِي وَنَظَّامِ

وَكُلِّ هَشَامٍ أَعْرَاضٍ لَهُ قَلَمٌ وَغَدٌ، وَلَيْسَ لَهُ عِرْضٌ لِهَشَامِ

قولوا لمن يهشم الأعراض بما يكتب، ولا يهشم شرفه أحد إذ ليس له شرف..

قُولُوا لَهُ «عَرَبًا» تَقْضُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ يَسْلَمُ فَتَنُّوا بِقُرْآنٍ وَإِسْلَامِ

قولوا له كلمة «عرب» يمت، وإن بقي حياً فقولوا له «قرآن» أو «إسلام» فهذا يقضي عليه. يسخر من مقت بعضهم للعروبة وللإسلام

مَا أَقْرَبَ الوَحْدَةَ الكُبْرَى مُبْحَرَةً أَحْلَامَ كُلِّ شُعُوبِي وَقَسَامِ

قسام: مؤيد تقسيم بلاد العرب إلى دول

سَيَّانٍ بَعْدَ التَّلَاقِي يَا بِلَادِي لَوْ خَلَدْتُ، أَوْ حَكَمَ الطَّاعِي بِإِعْدَامِي

أما رَجَعْتُ؟ ألمْ أَنْشَقْ هَوَاكِ؟ ألمْ أَلِثِمَ نَرَاكِ؟ ألمْ أَسْمِعَكَ أَنْغَامِي
أُحِسُّ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى، كَأَنِّي قَدْ طَرَحْتُ فِي الْبَحْرِ عَنِّي كُلَّ أَنَامِي

١٢٢ المصيبة هي القنوط

إِنْ شِئْتَ عِشْ، أَوْ شِئْتَ مِتْ إِنَّ الْحَيَاةَ لَهَا شُرُوطُ
نُوبٌ وَأَحْزَانٌ يُبَيِّـ ضُ هَوْلُهَا سَوْدُ الْخُيُوطِ
وَمَعَارِكُ الْأَطْمَاعِ نَا شَبَّةٌ عَلَى كُلِّ الْخُطُوطِ
عَمَّتْ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَا جُزْرٌ هُنَاكَ وَلَا شُطُوطِ
وَالْقَوُزُ بِالنَّفْسِ الْقَوِيَّةِ لَمْ، لَا بِهَيْكَلِهَا مَنُوطِ
فَلَطَالَمَا سَقَطَ الشَّجَا عٌ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِ السُّقُوطِ
لَيْسَتْ مُصِيبَتُكَ الْمَصِيبِ بَةً، بَلْ مُصِيبَتُكَ الْقُنُوطِ

١٢٣ التبرع بالتبرع

قال وأنشدها في نادي خريجي الجامعة الأميركية ١٩٥٩. وكان أمير الكويتي تبرع بمال
يدفع للقروي كل سنة، فتبرع القروي بالمال لخدمة العلم. واثارت في الصحف قصة
حول صديق للقروي أراد أن يتحكم في إنفاق هذا المال:

وَشَيْخٌ كَرِيمٌ أَطْرَبَتْهُ قِصَائِدِي وَهَزَّتْهُ هَزُّ الْعَضْبِ فِي كَفِّ فَارِسِ
العضب: السيف

فَأُسْنَهَنِي، مَا دُمْتُ حَيًّا، هَدِيَّةً تَلِيْقُ بِسُلْطَانٍ عَلَى الْعَرْشِ جَالِسِ
أسنهنى: رتب لي مالا سنوياً

عَلَى عِبْقَرِيَّاتِ الْبِلَادِ حَبَسَتْهَا وَأَعْظَمَ بِمَخْبُوسٍ عَلَيْهِ وَحَابِسِ
فَلَا هِيَ عِنْدِي فِي الْبُنُوكِ تَجَمَّدَتْ وَلَا ذَابَ مِنْهَا دَرَهَمٌ فِي الْخَسَائِسِ

١٢٤ اللقاء الحلم

قال وكتبها على نسخة من ديوانه أهداها لعبد الناصر عندما التقاه في عام ١٩٥٩ بدمشق:

مِنْ قَبْلِ أَنْ صِيغَ هَذَا الشُّعْرُ كُنْتُ بِهِ فِي كُلِّ قَافِيَةٍ عَذْرَاءَ مُرْتَسِمَا
لُفْيَاكَ فَرَحَةً عُرْسٍ لَا انْتِهَاءَ لَهَا أَثِمْتُ إِنْ كُنْتُ أَشْكُو بَعْدَهَا أَلْمَا
حُلْمٌ تَجَسَّدَ فِي عَيْنِي، وَمَا بَرَحْتُ عَيْنِي تُحْمَنُهُ، مِنْ حُسْنِهِ، حُلْمَا

١٢٥ الوهم المعين

قال عام ١٩٦٠ يرثي قريه الشاب البير ويصف حزن امه:

لا تَلُمَّ عَمَّكَ الْمَنكَدَ يَا أَلْ
بِيرُ وَاغْفِرْ لَهُ شَنَاعَةَ جُرْمِهِ
عَمَّكَ الشَّيْخُ حَامِلُ أَلْفِ هَمٍّ
وَهُوَ لَا يَمْلِكُ النَّهْوضَ بِهَمِّهِ
بُرْجُ مَجِيدِ أَحْبَابِهِ تَتَبَاهَى
أَنهَا تَسْبِقُ الْأَعَادِي لِهَذْمِهِ
كَمْ صَدِيقٍ يَحَارُ لُبُّكَ فِيهِ
لَسْتُ تَذَرِي تَرْيَاقَهُ مِنْ سُمِّهِ
الترياق: دواء السم

لَمْ أَفِذْ مِنْ مَدَارِسِ الْخُبْثِ إِلَّا
أَنْنِي أَعْجَزُ الْوَرَى عَنْ فَهْمِهِ
رَغَمَ عِلْمِي بِالنَّاسِ أَخْذَعُ، وَالْمَرْ
ءُ مَسْوُوقٌ بِطَبْعِهِ، لَا يَعْلَمُهُ
يَا لَتُكَلِّى تَخَاصُمُ الْقَدَرِ الْعَا
تِي، وَتَشْكُو لِرَبِّهَا مِنْ ظُلْمِهِ
غَابَ وَجْهُ الْحَبِيبِ، فَانْتَقَمَتْ مِنْ
وَجْهَهَا تُلْهِبُ الْقُلُوبَ بِلُظْمِهِ
تَتَسَلَّى بِوَهْمِ لُفْيَاهُ، مَا لِلْ
مَرءِ عَوْنٌ عَلَى الرَّدَى غَيْرُ وَهْمِهِ

١٢٦ الكهل المتلفت

رَعَى اللَّهُ عَهْدًا كُنْتُ لِلْغَيْدِ فِتْنَةً
إِذَا سِرْتُ، فِي الْفَتَيَانِ، سِرْنُ وَرَابِنَا
فَبِتُّ وَمَا لِي فِي هَوَاهُنَّ مَطْمَعُ
وَأِنْ كَانَ عِنْدِي لِلشَّبَابِ بَقَايَا
إِذَا عَطَفْتُ لَيْلَى عَلَيَّ بِبَسْمَةٍ
تَلَفْتُ خَوْفًا أَنَّهَا لِسِوَايَا

١٢٧ طيب النساء

سَمِئْتُ الْحَبَّ، حَتَّى لَا أَبَالِي
وَلَوْ هَبَّطَ الْجَمَالُ مِنَ السَّمَاءِ
أَرَى الْجَسَدَ الشَّهْوِيَّ بِعَيْنِ آسٍ
قَدِيمِ الْعَهْدِ فِي طَبِّ النِّسَاءِ
آس: طيب. ها قد عرفنا أن طيب النساء لا يشتبه أجساد مريضاته

١٢٨ ميني جوب.. وفتوى

لِحَدِّ الرُّكْبَتَيْنِ تُشَمِّرِينَا
بِرَّبِّكَ أَيَّ نَهْرٍ تَغْبُرِينَا
مَضَى الْخَلْخَالُ حِينَ السَّاقِ أَمْسَتْ
تُطَوِّقُهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَا
لا حاجة للخلخال فعيون الناس هي التي تطوق ساق الفتاة بدل أن يطوقها الخلخال

تَظُنِّينَ الرَّجَالَ بِلَا شُعُورٍ لَأَنْكَ رُبَّمَا لَا تَشْعُرِينَ
فَيَا لَيْتَ الْحِجَابَ هَوَى قَامَسَى يَرُدُّ السَّاقَ عَنَّا لَا الْجَبِينَ
فَإِنَّ السَّاقَ أَجْدَرُ أَنْ تُعْطَى وَإِنَّ الْوَجْهَ أَوْلَى أَنْ يَسِينَا

١٢٩ بدلة بقصيدة

قال وهي قصيدة وجدت ضمن مخطوطاته وأهداها لصديقه جبرائيل غرزوزي الخياط
عام ١٩٦١ :

خَبِطَ لِي مِنْ فَضْلِهِ بَذْلَةً صَيْفِيَّةً، أَجْمَلَ مِنْ شِعْرِي
لَمْ يَرْضَ أَجْرًا غَيْرَ عَظْرِ الثَّنَا وَلَمْ يُكَلِّفْنِي سِوَى الشُّكْرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حُرًّا لِمَا هَامَ بِي مَا هَامَ بِالْحُرِّ سِوَى الْحُرِّ
يَا أَسَرَ الْقَلْبَ بِمَعْرُوفِهِ ظَلَمْتَنِي وَاللَّهُ فِي السُّعْرِ
أَيُّ أَنْكَ مَنَحْتَنِي بَدْلَةً وَأَخَذْتَ قَلْبِي

١٣٠ طبيب يخيف الموت

قال وكتبها على نسخة من ديوانه الأعاصير أهداها إلى الدكتور فضلو حيدر:
إِلَى مُنْقِذِي مِنْ قَبْضَةِ الْمَوْتِ، بَعْدَمَا تَنَاهَشْنِي أَنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ
تَنَاهَشْنِي: تناهشني وتمزق لحمي (وتذكير الفعل في هذا الموضع فصيح، أما صيغة المضارع
فثقيلة)

لَمْ يَبْقَ مِنِّي غَيْرُ ظِلِّ ابْتِسَامَةٍ عَلَى الثَّغْرِ تُنْبِي أَنَّنِي، بِكَ، غَالِبُهُ
تنبي: تنبي، تشير

وَمَنْ تَكُ، يَا أُعْجُوبَةَ الطَّبِّ، سَاهِرًا بِجَانِبِهِ، لَا يَرْهَبُ الدَّاءَ جَانِبُهُ
كَفَى بِكَ أَنَّ الْمَوْتَ لَمْ يَزَعْ صَاحِبًا، وَيَجْتَازُ مَنْ يَدْرِي بِأَنَّكَ صَاحِبُهُ
بكفيك أن الموت، الذي لا يحايي صاحباً له بل يعصف بالجميع، يتجاوز عنم بأنك صديق له

١٣١ رثاء شاعر

قال في رثاء محمد علي الحوماني ١٩٦٤:

الشُّعْرُ يَشْكُو بَعْدَ بَيْنِكَ بَيْنَهُ يَا عَيْنَ عِزِّ الشُّعْرِ أَنْتَ، وَرَيْنَهُ
الشعر يشكو بعد بينك (رحيلك) بينه (رحيله) هو أيضاً فلم يبق شعر بعدك

والطيرُ نائحةٌ على الغرِدِ الذي نُعِيَ البَيَانُ الْفَدَى يَوْمَ نَعَيْنَهُ
والضَّادُ وَالْهَاءُ تُشَيِّعُ سَاحِرًا مِنْ جَنِّ عَبَقَرٍ، فِي الصَّرِيحِ طَوِينُهُ
وَلَكُمْ أَخٍ مُتَعَصِّبٍ، مِنْ كُرْهِهِ عَيْنَ الْعَرُوبَةِ كَادَ يَفْقَأُ عَيْنَهُ
وَمُغْلِظُ لَكَ بِالرَّسُولِ يَمِينُهُ، وَصَدَاقَةُ الْكُفَّارِ تَفْضَحُ مَيْنَهُ
يحلف لك بالرسول أنه وطني ولكن صداقاته مع الكافرين بالعروبة تفضح منه، أي كذبه

بَاعَ الْأُخُوَّةَ لِلْغَرِيبِ بِدَرَاهِمٍ؛ الْمَوُومَسَاتُ مِنَ الْحَيَا يَأْبِينُهُ
مَنْ كَانَتْ الْأَرْقَامُ خَمْرَةً وَخِيهِ شَتَّانَ بَيْنَكَ فِي الْجِهَادِ وَبَيْنَهُ
يهجو التجار

يَا شَاعِرًا غَنَى فَأَطْرَبَ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ، وَعَلِيَّهُ، وَحُسَيْنَهُ

١٣٢ الشهاب الساطع

قال في سبيل تجديد العهد للرئيس شهاب ١٩٦٤ :

أَمْنُقِذْ لُبْنَانَ! جِئْنَا نُبَايِعَ وَنَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلَّا تُمَانِعَ
أَنْحِيَا عَبِيداً لِدُسْتُورِنَا أَسْنَتُ لِقَتْلِ الْعِبَادِ الشَّرَائِعَ
مَحَرَّتْ بَزُورَقِنَا الْيَمَّ، وَهُوَ جِبَالٌ وَأَوْدِيَةٌ وَزَوَابِعُ
وَطَارَ الشَّرَاعُ، وَعَمَّ الظَّلَامُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَهَابُكَ سَاطِعُ
تَفُحُّ الشَّعَابِينُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عَلَيْنَا، وَتَعْوِي ذَنَابُ الْمَطَامِعِ
يَنَادِيكَ لِبْنَانُ مُسْتَنْجِداً فَإِنْ لَمْ تُلَبِّ، فَلِبْنَانُ ضَائِعُ
ولم يلبّ فؤاد شهاب، ولم يقبل التجديد

١٣٣ يوم السويس

قال، ووجدت بين أوراقه مؤرخة في سنة ١٩٦٥ :

حَلِيفُكَ رَبٌّ نَاصِرٌ أَنْتَ عَبْدُهُ وَجَنْدُكَ، إِنْ دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، جَنْدُهُ
وَحَسْبُكَ مِنْ يَوْمِ السُّوَيْسِ شَهَادَةٌ بِأَنَّكَ عَضْبٌ يَفْلُقُ الطَّوْدَ حَدَّهُ
عضب: سيف، الطود: الجبل

ولا عارَ في إغمارِ سيفِ شهرتَهُ على «البذر» إنْ كانَ «ابنُ غريونَ» غمُهُ
 يشير إلى عودة جيش عبد الناصر عن محاربة الإمام البدر في اليمن، فإغمار ذلك السيف
 لا بأس به خصوصاً أنه أغمد، ليس في جرابه بل . . . في «بن غوريون» رئيس وزراء
 إسرائيل أيام العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي الإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦

وهذا الرِّباطُ المالىُّ الجَوَّ رهبةً لِصُهيونَ لا لِلْمسلمينَ تُعدهُ
 الرباط: خيل المعركة، يعني التسلح

وأعظمُ مِنْ سَدٍّ على النيلِ، شِدَّتُهُ بأسوانَ، سَدٌّ عِنْدَ يافا تَهْدُهُ

١٣٤ يا طويل العمر

وجدت القصيدة بين مخطوطات الشاعر بعنوان «الثورة الليبية»:

يا طويلَ العُمُرِ! نَحْنُ اليَوْمَ في عصرِ عِلْمٍ يُنْكِرُ الجَزْيَ الوَثِيدَا
 الوئيد: البطيء

نَفَضَ الغربُ جناحِي قَشْعَمٍ نَوَوِيٍّ، جاوزَ النجمَ صُعُودَا
 قشعم: نسر

وَلَبِئْنَا بِالْأمانِي قُنْعَا حَسْبُنَا أَنْ نَذْكُرَ المجدَ التَّلِيدَا
 التليد: الموروث

أَنْتَ أَغْنَى مَلِكٍ فَوْقَ الثَّرَى قَدَرُ ما أَنْتَ غَنِيٍّ، كُنْ حَمِيدَا
 يخاطب أحد ملوك الدول النفطية

وخلودُ الذِّكْرِ نوعانِ لِمَنْ شاءَ، فانظُرْ كيفَ تختارُ الخلودَا
 إن في الظَّهرانِ شَمَشُونُ الأذى وعدوُّ الدينِ والدنيا اللدودَا
 الظهران: مدينة النفط السعودية، شمشون: بطل جبار هدم البناء على من فيه، وقال القولة
 المشهورة «عليّ وعلى أعدائي»، وشمشون الأذى: شركات النفط، فيما يبدو

أَمِنَ الإسلامُ أَنْ تَبْقَى لَهُ ذَلِكَ الصَّاحِبُ وَالخِلُّ الوُدُودَا؟
 وَتَظُنُّ اللّهُ يَرْضَى عَنْكَ إِنْ كُنْتَ خَوْفَ النَقْدِ تُعْطِينَا النُّقُودَا
 إِنَّ لِلنَّصْرِ سَبِيلًا قاصِداً إِنْ سَلَكناهُ عَدَا النَّصْرِ أَكِيدَا
 سبيلاً قاصداً: طريقاً مستويّاً

أَمِّمِ النفطَ، وَأَسْقِطْهُ نَدَى يُضَيِّحِ الرَّمْلُ سِلَاحاً وَجُنُودَا

أَوْ فَمَوِّتُهُمْ إِلَيْهِ عَظْشًا آخِذًا عَنْ دِيْعُلِ الدَّرْسِ الْمَفِيدِ

ديغل : شارل ديغول، رئيس فرنسا، وكان يقاوم الهيمنة الأميركية، وظل مشغول البال باستقلال القرار الفرنسي سياسياً واقتصادياً (سياسته القائمة على تدخل الدولة في الاقتصاد لقيت، ولا تزال، مديحاً)

تُرْجِعِ الْقُدْسَ إِلَى أَبْنَائِهَا وَتُعِذْ شَعْبَ فَلَسْطِينَ الشَّرِيدِ
وَتَذُكِّ الدَّوْلَةَ الْمَسِيخَ الَّتِي أَقْسَمْتَ، إِنَّ لَمْ تُبْذِهَا، أَنْ تُبِيدَ

الدولة المسخ: يقصد إسرائيل

حَرِّقُوا الْأَقْصَى، وَلَوْ أَمَكْنَهُمْ جَعَلُوا الْكَعْبَةَ لِلنَّارِ وَقُودًا
وَالْفِدَائِيُّونَ! هَلْ مِنْ أُمَّةٍ أَنْجَبَتْ أَطِيبَ أَوْ أَصْلَبَ عُودًا

١٣٥ فلسطين بكل مكان

قال على إثر تضحية طفلين فلسطينيين بنفسيهما وتفجيرهما الديناميت الذي تزنرا به
ففضى على عدد من ضباط العدو في ناد لهم عام ١٩٧٠ :

أَنَا لَوْ ثَمَانِيْنِي رَجَعْنَ ثَمَانِي لَحَزَمْتُ أُمْتِعَتِي إِلَى لَبْنَانِ
وَأَخَذْتُ عِنْدَ حُدُودِهِ دَرْسًا عَلَى الْ أَبْطَالِ أَطْفَالِ الْحِمَى إِخْوَانِي
وَجَعَلْتُ «تَلَّ أَبِيبَ» قِبْلَةً نِقْمَتِي وَدَكَّكْتُ قَلْعَتَهَا بِرُخْصِ بَنَانِي
هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الَّذِي إِنَّ شِئْتُ أَنْ تُكْسَى بِهِ فَاَنْزِلْ إِلَى الْمِيدَانِ
مَجْدُ الْفِدَائِيِّ الَّذِي فَتَكَاتُهُ خَلَقَتْ فَلَسْطِينًا بِكُلِّ مَكَانٍ
فَلْتَحِي ثُرْبَتُهَا الْمَقْدَّسَةَ الَّتِي وَلَدَتْ لَنَا هَذَا الْمَسِيحَ الثَّانِي
بَطْلًا يَحُضُّ عَلَى الْجِهَادِ مُمَرِّقًا بِيَدِ الْعَدَالَةِ بَيْرَقَ الطُّغْيَانِ
بَهَرَتْ شَجَاعَتُهُ الْوَرَى بِخَوَارِقِ لَمْ تُرَوْ عَنْ إِنْسٍ وَلَا عَنْ جَانِ

خوارق: معجزات

وَدَّ الصَّهَابِينَ كُلَّمَا سَمِعُوا بِهَا لَوْ أَنَّهُمْ خُلِقُوا بِلا آذَانِ
هَذَا هُوَ الْحُبُّ الْمَحَرَّرُ، لَا الَّذِي يَسْتَعِيدُ الْإِنْسَانَ لِلْإِنْسَانِ
هَذَا هُوَ الشَّرْفُ الْفِدَائِيِّ الَّذِي وَطَنِي يَتِيَهُ بِهِ عَلَى الْأُوطَانِ
شَرَفٌ أَنَاكَ عَلَى النُّجُومِ، وَجَاوَزَ السَّ - بَعَ الطَّبَاقَ، فَهَنْ مِنْهُ ثَمَانِي

أناف: جاوز

١٣٦ قبيل أكتوبر

قال قبل حرب ٧٣ بأسبوعين، وهي مهداة إلى روح غسان كنفاني:

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ! أَلَلَّهُ أَكْبَرُ أَوْ مَا حَانَ أَنْ نَشُورَ وَنَشْأُرَ
جُئْتُهُ السَّلَامُ أَنْتَنَتْ فاقْبُرُوهَا قَبْلَمَا هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ تُقْبِرُ
نَحْنُ أَضْعَافُ شَعْبٍ فِتْنَامَ عَدَا فَلِمَاذَا لَا نَدْفَعُ الشَّرَّ بِالشَّرِّ
دَمَّرَ الْبَغْيُ أَرْضَهُمْ، فَتَحَدَّا هُمُ مِنَ الْعِزِّمْ جَوْهَرٌ لَا يُدْمَرُ
كُلَّ يَوْمٍ يُلْقَى عَلَيْهَا جَحِيمٌ مِنْ لَظَى، وَهِيَ كُلَّ يَوْمٍ أَضْبَرُ
كل يوم يلقي على أرضهم جحيم من القنابل، وتزداد أرضهم صبراً

السَّلاحُ الْمَرْكُومُ مِنْ دُونِ حَرْبٍ لَيْتَهُ فِي يَدِ الْفِدَائِيِّ خُنْجَرٍ
لَوْ ضَمِنْتُمْ لَهُ الْكَفَاحَ طَلِيقاً حَرَّرَ الْأَرْضَ وَحَدَهُ وَتَحَرَّرَ

١٣٧ المنسي أعظم

قال في رثاء إلياس فرحات، وتوفي عام ١٩٧٦:

عَلَى قَدْرِ سِنِّي، لَا شُعُورِي، خُذْ مِنِّي قَضَى مَعَكَ الشَّعْرُ الْمَعْبَرُ عَنْ حُزْنِي
تَضَاعَفَ بَعْدَ الْفُرْقَةِ الْحُبُّ بَيْنَنَا وَفِي الْقُرْبِ مَا يَنْثِي، وَفِي الْبُعْدِ مَا يُذْنِي
حِمَاقَاتُ أَطْفَالٍ صِغَارٍ نَسِيَتْهَا وَلَمْ يَنْطَلِعْ غَيْرُ الصَّدَاقَةِ فِي ذَهْنِي
وكانت بين القروي وفرحات خلافا تظهر وتختفي، غير أنهما كانا متفقين كل الاتفاق على حب العروبة

لَنَا فِي مِيَادِينِ الْجِهَادِ مَلَاحِمٌ سَيَنْقُلُهَا التَّارِيخُ، قَرْنَا إِلَى قَرْنٍ
وَأَقْوَى جِبَالِ الْوُدِّ حَبْلُ عُرُوبَةٍ رَیْطُنَا بِهِ بَيْنَ الْعَقِيدَةِ، وَالْفَنِّ

١٣٨ لم يبق منهم شاعر يرثيني

قال، وأهداها إلى روح الشاعر ميشيل مغربي، وفيها رثاء لأخيه قيصر الخوري الملقب
بالشاعر المدني، ١٩٧٨:

ذَهَبَ الرَّفَاقُ جَمِيعُهُمْ مِنْ دُونِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَاعِرٌ يَرِثُنِي
وَعَدَتْ عَنَاوِينَ الْفُحُولِ قُبُورُهُمْ قَرَسَائِلِي قِطْعٌ مِنَ التَّأْبِينِ
وَقَفُّوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ أَعْمَارُهُمْ وَرَضُوا مِنَ الدُّنْيَا بِدُونِ الدُّوْنِ
مَا هَمَّهُمْ جُوعٌ إِذَا شَبَعَ الْجَمَى فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا بِغَيْرِ بَطُونِ

مِنْ كُلِّ مَنْ شَهِدَتْ أَيْمَةً يَغْرِبُ لِبَيَانِهِ السُّحْرِيَّ، وَالتَّبْيِينَ
 حَفِظَ الْوَرَى أَشْعَارَهُ، حَتَّى عَدَا دِيَوَانُهُ بِغَنَى عَنِ التَّدْوِينَ
 وَالشَّاعِرُ الْمَدَنِيَّ آخِرُ دُرَّةٍ فِي عِقْدِهِمْ، تُشْرَى بِكُلِّ ثَمِينِ
 قَلْبٌ كَقَلْبِ الطُّفْلِ أَوْ أَنْقَى، فَإِنْ مُسَّتْ كِرَامَتُهُ فَلَيْثُ عَرِينِ
 هَجَرَ النَّعِيمَ مَعِي، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ لَيْسَتْ تَطِيبُ لَهُ الْحَيَاءُ بِدُونِي
 وَرَجَعْتُ، وَهُوَ هُنَاكَ تَضْلِيهِ النَّوَى نَارًا، فَيُظْفِئُهَا بِكَأْسِ مَنْوِنِ
 مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدُ مِنْ عَيْشِي، وَهَذَا قَدَمَايَ غَارِقَتَانِ فِي التَّسْمِينِ
 لَوْلَا الْبُكَاءُ لَخَلْتُ أَنِّي مَيِّتٌ؛ حُصِرْتُ حَيَاتِي كُلُّهَا بِعُيُونِي
 بِدُمُوعِي الْحَرَى أَبْلُ تُرَابَهُمْ لِبُعِيدِ رَبِّي خَلَقَهُمْ مِنْ طِينِ

١٣٩ يا ابن أُمي

قال في البرbare ١٩٨٢، وقد وجدت القصيدة بين مخطوطاته وأوردها جورج طراد في كتابه عن القروي. والمعنى فيها شقيقه أديب:

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ، سِ، فَلَا تَظْلِمْنَهُمْ يَا رَبِّي
 قَالَ: بِغَنِي؛ فَبِعِثُّهُ كُلَّ مَا أُمِدَّ لِيكَ، لَمْ أَحْتَفِظْ بِحَبَّةِ تُرْبِ
 حَلَّ عِنْدِي، وَالْحَرْبُ نَارٌ وَعَارٌّ نَاعِمًا آمِنًا مَعِي فِي سِرِّي
 آمِنٌ فِي سِرِّهِ: مطمئن بين أهله (تعبير قديم له أكثر من معنى، وفسرناه كما عناه الشاعر، ومرجعنا «لسان العرب»)

ثُمَّ أَشْرَكْتُهُ بِدَفْتَرٍ وَفَرِي سَاحِبًا مِنْهُ مَا يَشَاءُ، كَسَخَبِي
 مَا دَعَانِي لِحَاجَةٍ قَطُّ إِلَّا، كُنْتُ فِي سُرْعَةِ الْبُرَاقِ أَلْبِي
 البراق: الدابة التي صعد بها النبي إلى السماء، وهي سريعة كالبرق، وأسرع. ولئن كان الوزن اقتضاها، وأبى البرق، فهي أحلى

يَتَعَشَّى عَلَى هَوَاهُ، وَيَمْضِي سَالِكًا فِي الظَّلَامِ أَخْطَرَ دَرْبِ
 وَأَنَا أَسْهَرُ اللَّيَالِي وَحِيدًا لَيْسَ إِلَّا رَبِّي وَسَلْوَى بِقُرْبِي
 سلوى: بنت خالته، وكانت ترعاه في شيخوخته

ثُمَّ جَاءَ الْوَكِيلُ يَقْرَعُ بَابِي مِنْذَرًا يَطْلُبُ الصُّكُوكَ بِعُجْبِ
 العجب: الزهو والافتخار

يا ابن أمي! بأيّ ذنبٍ أجازي منك هذا الجزاء، قل: أيّ ذنبٍ
أين أمضي؟ وأيّ بيتٍ ألاقي غير بيتي لمُتَحَفِي، ولِكُتْبِي
ولينثر كائنهُ فلنلقُ الصُّب ح ونظمٍ يُرَقِّصُ المتنبي
يا إلهي إليك وكُلتُ أمري حَسْبُ نفسي رِضاً بِأَنَّكَ حَسْبِي

١٤٠ سلوى

قال والقصيدة مؤرخة في ١٩٨٢:

لم تَمُتْ أمي، فَسَلَوِي بقيث نسخة، عَنْ أصلِها لم تَفِرُقِ
سلوى: بنت خالته، وقد رعته هي وأولادها في شيخوخته بالبرابرة

ضَمِنْتُ رَحْمَتُها عافِيَتِي وَشَفْتُ رُوحِي بِالحَبِّ النَّقِي
كلما جُنَّ وَرَيْدِي سَكَبْتُ دمعها القاني دماً في عُنُقِي
يقول عمران القفيني عن هذا البيت: يا إلهي! فهل هذا طلب بتسويده؟

رَبِّ! لِي أَمْنِيَّةٌ واحِدةٌ أَنّا عِنْدَكَ يَوماً نَلْتَقِي

١٤١ الغضب فضّاح

أَغْضِبْ صَدِيقَكَ تَسْتَطِيعُ سَرِيرَتَهُ للسرِّ نافذتان: السُّكْرُ والغضبُ
سريره: حقيقته الدفينة

ما صَرَخَ الحَوْضُ عَمّا في قَرارِهِ مِنْ راسِبِ الطينِ، إلّا وَهُوَ مضطَرِبُ
صرح: بين

١٤٢ اغفر لي ذنبك

مَنْ شاءَ إلّا يَنْشَنِي صَحْبُهُ عَنْ حُبِّهِ، فَلْيَحْتَمِلْ صَحْبَهُ
كَمْ صاحِبٍ، حِرْصاً على وَدِّهِ، طَلَبْتُ أَنْ يَغْفِرَ لِي ذَنْبَهُ

١٤٣ حسن الخلق

إذا فَرَطْتَ مِنْكَ الإِساءةُ، فاعترف بِها، واعتذر إن كنتَ حُرّاً مُهَذَّباً
فإن قَبِلَ المُستاءُ عُذْراً، شَكَرْتُهُ؛ وإن هُوَ لم يَقْبَلْ، بَرِئْتَ وأذنباً

١٤٤ الواجب

تَذَوَّقْتُ أَنْوَاعَ الشَّرَابِ، فَلَمْ يَسْغُ بِحَلْقِي أَشْهَى مِنْ حَلَالِ الْمَكَاسِبِ
وَنَمْتُ عَلَى رِيَشِ النَّعَامِ، فَلَمْ أَجِدْ فِرَاشاً وَثِيراً مِثْلَ إِنْثَامٍ وَاجِبِي

١٤٥ وقوف شحيح

إِلَهِي مِنْكَ أَنْتَظِرُ الْجَوَابَ فَلَسْتُ بِقَارِعِ لِسَوَاكَ بَاباً
وَقَفْتُ بِذِلَّةٍ فِيهِ كَأَنِّي أَبِيعُ، بِبَابِ سُورِيٍّ، كِتَاباً

١٤٦ التعامي والعمى

طَلَّقْتُ دُنْيَايَ عَلَى حُبِّهَا كَأَنَّنِي حَيٌّ بِهَا مَيِّتٌ
على حبها: رغم حيي لها (التعبير من الآية: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً»
الإنسان ٨)

مَا عُدْتُ أَسْتَصِيبُ فِيهَا الْعَمَى لِطُولِ مَا عَنْهَا نَعَامِيثُ

١٤٧ الجناة والزناة

إِذَا قَتَلَ الْفَقْرُ الْيَتِيمَ، وَلَمْ يَجِدْ مُغِيثاً، فَلِإِنَّ الْمَوْسِرِينَ جُنَاهُ
وَلِإِنْ وَقَرَ الْعِرْضَ الرَغِيفُ، وَلَمْ يُنَلِّ رَغِيفُ، فَلِإِنَّ الْبَاخِلِينَ زُنَاهُ

١٤٨ صاحب كالخاتم الجرج

كَمْ بَيْنَ صَخْبِكَ مِنْ غَالٍ تَضُنُّ بِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ عَوَجٍ فِيهِ وَمِنْ هَوَجٍ
تَمْشِي وَتَصْبِحُ مَغْنِيّاً بِهِ، حَذِراً مِنْ أَنْ تُضَيِّعَهُ، كَالْخَاتِمِ الْجَرْجِ
الخاتم الجرج: الواسع على الإصبع

١٤٩ عندما تتدحرج الأسماء

قَالَتْ: نَسِيتَ اسْمِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: اعْذِرِي ذَهَبَ الشَّبَابُ الْغَضُّ، وَانْقَطَعَ الرَّجَا
ذَهْنِي تَيَبَّسَ طِينُهُ، حَتَّى عَدْتُ تَتَدَحْرَجُ الْأَسْمَاءُ عَنْهُ تَدَحْرُجَا

١٥٠ فكان من شراحي

كَمْ شَاعِرٍ مِتْفَلْسِفٍ أَرَدَفْتُهُ خَلْفِي، فَطَارَ مُحَلِّقاً بِجَنَاحِي

وَمَضَى يُفْصِّلُ بَعْضَ مَا أَجْمَلْتُهُ لِدَوِي الْعَقُولِ، فَكَانَ مِنْ شَرَّاحِي

١٥١ لا تربية بالذل

لا تَرْضَ صَفْعاً، وَلَوْ مِنْ كَفِّ وَالِدَةٍ مَا قَالَ رُبُّكَ أَنْ يُسْتَعْبَدَ الْوَلَدُ
ما أبعد العزَّ عن بيتٍ، وعن وطنٍ بالذلِّ فيه تُرَبِّي الأمَّ مَنْ تَلِدُ

١٥٢ أمنيات الدود

يا عاقِذَ الْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَمَلٍ كَالْخَيْطِ، آخِرُهُ بِاللَّحْدِ مَعْقُودُ
الدُّودُ فِيكَ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِعَدٍ كَمَا تَعَلَّلَ بِالْمَوْجُودِ مَوْعُودُ
الدود الكامن (كموناً معنوياً) في جسم الإنسان يعلل نفسه (يصبر نفسه) بحالته الحاضرة، ولكنه موعود بوجبة شهية بعد موت الإنسان

١٥٣ ملتمسو الرحمة

وَلَوْ كَانَ عِنْدَ النَّاسِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ لَمَا التَّمَسُّوْهَا رُكْعاً فِي الْمَعَابِدِ

١٥٤ بيت القصيد

قال في عرس جاره إميل يمين:

مَسَاؤُكَ عَرَسٌ، وَفَجْرُكَ عَيْدٌ فَأَنْتَ، بِرَعْمِ اللَّيَالِي، سَعِيدُ
مَسَرَّاتُ هَذِي الْحَيَاةِ قَصِيدُ وَوَضَلُ الْحَبِيبَةِ بَيْتُ الْقَصِيدِ

١٥٥ القصيدة الخالدة

لَشُنْ لَمْ أَكُنْ أَشْعَرَ الشَّاعِرِينَ وَلَمْ أَجْنِ مِنْ أَدَبِي فَائِدَةً
فَحَسْبِي أَنْ صُنْتُ مَاءَ الْجَبِينِ وَتِلْكَ قَصِيدَتِي الْخَالِدَةُ

١٥٦ جرأة الإقرار

رُبَّ ذَنْبٍ مَحَوْتُهُ بِاعْتِزَالِي وَحَمَلْتُ الْوَرَى عَلَى إِكْبَارِي
وَإِذَا قِيسَتِ الْفَضَائِلُ، فَاثَتْ كَرَّمَ الْعَفْوَ جُرْأَةَ الْإِقْرَارِ

تعليق عمران القيني: يريد التوسيد جداً، قد فعلنا

١٥٧ طالب الشهرة

قُلْ لِلَّذِي يُعْلِنُ عَنْ نَفْسِهِ جَاءَكَ مَا تَهْوَى بِمَا تَكْفُرُ
ثَلَاثَةٌ تَهْرُبُ مِنْ لَاحِقٍ: الظِّلُّ، والمرأة، والشُّهْرَةُ

١٥٨ حد اللؤم

إِذَا اسْطَغَتْ كُنْ إِمَّا مَسِيحًا مُسَامِحًا عِدَاكَ، وَإِمَّا فَارِسَ الْحَرْبِ عَنَتَرًا
فَمَا اللَّؤْمُ إِلَّا إِنْ حَقَّدْتَ، فَلَمْ تَكُنْ كَرِيمًا فَتَغْفُرْ، أَوْ شُجَاعًا فَتَثَارَا

١٥٩ الأعشاب والأزهار

يَا مَنْ يَلُومُ ابْنَ التُّرَابِ لِشُغْلِهِ بِالْفَلَسِ عَنْ شِغْرِ وَعَنْ شُعَارِ
ابن التراب: الإنسان، لشغله: لانشغاله

أَرَأَيْتَ فِي الْمَرَعَى حِمَارًا عَاقِلًا يَلْهُو عَنِ الْأَعْشَابِ بِالْأَزْهَارِ؟

١٦٠ الملبسة

حَدِيثُكَ أَشْهَى مِنْ حَيْنِيبِ الصَّبَا إِذَا أَجَادَتْ يَدُ الْعَوَادِ فِي الضَّرْبِ مَلَمَسَهُ
الصبا: مقام موسيقي حزين، وإذا كان العَوَادِ خَائِبًا وزاد في «النوا يمول» أو نَقَصَ فَإِنَّ نَكْهَةَ الصَّبَا
تَضِيعُ لاقْتِرَابِهِ مِنْ مَقَامٍ أَشْهَرَ مِنْهُ هُوَ الْبَيَاتِي، لِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ إِنَّ عَلَى الْعَوَادِ أَنْ يَجِدَ «فِي الضَّرْبِ
مَلَمَسَهُ»، وَكَانَ الْخُورِيُّ عَازِفَ عُودٍ وَمَلْحَنًا هَاوِيًا

وَتُعْرُكُ مُبْبِضُ الشَّنَايَا، كَأَنَّمَا لِسَانُكَ فِيهِ لَوْزَةٌ فِي مُلَبَّسَةٍ
انتشى شاعرنا بهذا التشبيه الذي وقع له، وكتب باليتين إلى أخيه، منبهاً إلى طرافة التشبيه.
والملبسة: حلوى من حبة لوز جافة ألُبِسَتْ جِلْبَابًا مِنَ السَّكَّرِ

١٦١ قم للمعلم

قال في رثاء العلامة داود قربان:

مَلَأَتْ صُدُورُنَا أَدْبًا وَعِلْمًا وَلَمْ يَمَلَأْ لَكَ التَّعْلِيمُ كَيْسًا
وَأَنَّ مُعَلِّمِي تَارِيخٍ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَيْسَى وَمُوسَى

١٦٢ محنة الأديب

كَأَنِّي سِرْتُ مِنْ أَدَبِي بِقَفْرِ وَمَا لِي مَلَجًا مِنْ حَرِّ شَمْسِهِ

خِيَالِي جَنَّةً، لَكِنْ لِنَيْرِي وَمَنْ ذَا يَسْتَظِلُّ بِظِلِّ نَفْسِهِ

١٦٣ رق الصناديق

تَشْكُو خَزَائِنُكُمْ ضَيْقاً بِشُرُوتِكُمْ وَالنَّاسُ يَشْكُونَ مِنْ فَقْرٍ، وَمِنْ ضَيْقٍ
وَدَّتْ مَلَائِينُكُمْ لَوْ كُنْتُمْ سَيِّدَهَا، كَيْمَا تَحَرَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِقِ
تود أموالكم لو أنني مالكتها كيما تحرر (لكي تحرر) من رق (عبودية) الصناديق

١٦٤ مصدر الحكمة

اسْتَقِ الْحِكْمَةَ، لَا يَشْغَلُكَ مِنْ أَيِّ يَنْبُوعٍ جَرَتْ، يَا مُسْتَقِي
فَشِعَاغُ الشَّمْسِ يَمْتَصُّ النَّدَى مِنْ فَمِ الْوَرْدِ، وَوَحْلِ الطَّرْقِ

١٦٥ شكوى

عَلَيَّ حُقُوقٌ لَمْ أَنْمَ عَنْ أَدَائِهَا فَمَا بَالُ غَيْرِي يَسْتَبِيحُ حُقُوقِي
تَقَدَّمَنِي مَنْ كَانَ خَلْفِي، لِأَنَّنِي تَقُومُ عَلَى سَاقِ الْأَمَانَةِ سُوقِي

١٦٦ ثلاثة أسلحة

شَرُّ السَّلَاحِ ثَلَاثَةٌ يُخْشَى عَلَى أَصْحَابِهَا، وَعَلَى سِوَاهُمْ، فَاتَّقِ
مُوسَى بِكَفِّ الطِّفْلِ، أَوْ قَلَمَ بِكَفِّ - النَّذْلِ، أَوْ مَالَ بِكَفِّ الْأَحْمَقِ
موسى: شفرة

١٦٧ أسوأ مما تتصورون

لَا، لَسْتُ يَا نَفْسِي كَمَا وَصَفُوكَ فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ قَبْلَمَا عَرَفُوكَ
أَلَلَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي أَخْفَيْتُهُ تَحْتَ الْبَرَاقِعِ مِنْ قَبِيحِ سُلُوكِي

١٦٨ حمال وحمال

قُلْ لِلْغَنِيِّ الَّذِي بَاهَى بِشُرُوتِهِ وَلَمْ يُبَاهِ بِأَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ
لَا تَضْحَكَنَّ عَلَى حَمَالٍ أَمْتِعَةٍ فَلَسْتَ أَنْتَ سِوَى حَمَالٍ أَمْوَالٍ

١٦٩ فضل الاستعطاء

تَلَقَّطْ شُذُورَ الْعِلْمِ حَيْثُ وَجَدْتَهَا وَسَلِّهَا، وَلَا يُخْجِلْكَ أَنَّكَ تَسْأَلُ
شُذُورَ: فتافيت الذهب

إِذَا كُنْتَ، فِي إِعْطَائِكَ الْمَالَ، فَاضِلًا فَإِنَّكَ، فِي اسْتِعْطَائِكَ الْعِلْمِ، أَفْضَلُ

١٧٠ المتسقط

يَا مَنْ يَعُدُّ عَلَيَّ كُلَّ صَغِيرَةٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَسَاهِلًا، كُنْ عَادِلًا
إِنْ كُنْتَ مِثْلِي نَاقِصًا فَاغْذِرْ، وَإِنْ تَكُ كَامِلًا فَاغْذِرْ، لِيَتَبَقَى كَامِلًا
عمران القفيني يقول: يا أخي هذا بيت غير عادي!

١٧١ تبديل الأجسام

يَا حَاسِبَ الْأَعْمَارِ لَا تَعْجَبْ إِذَا هَذَا قَضَى شَيْخًا وَذَاكَ غُلَامًا
فَكَمَا تُبَدِّلُ غَادَةً أَنْوَابَهَا بَعْضُ النُّفُوسِ يُبَدِّلُ الْأَجْسَامَا
في البيتين إشارة إلى مذهب الحلول، فالذي يموت تذهب روحه إلى جسم آخر

١٧٢ لن تنالوا البر حتى

قُلْ لِمَنْ يُؤْتِي زَكَاةً لَيْسَ يَرْضَى اللَّهُ بِالذُّونِ
«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ، حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»

١٧٣ نحن أعداء السلام

أَمَّا السَّلَامُ فَإِنَّا أَعْدَاؤُهُ حَتَّى يَدِينَ بِحُبِّهِ أَقْوَانَا
لَمْ يَغْتَرِفْ حُرًّا بِإِنْسَانِيَّةٍ إِلَّا إِذَا اغْتَرَفَتْ بِهِ إِنْسَانَا

١٧٤ ثمن الحسد

يَا حَاسِدِي! وَاللَّهِ يُخْزِنُنِي أَنِّي جَلَبْتُ لِقَلْبِكَ الْحُزْنَ
أَعْطَانِي الْمَغْطِي بِلا ثَمَنِ فَأَبَيْتَ إِلَّا دَفَعَكَ الثَّمَنُ

١٧٥ الأسد حيث تكون كان عرينها

كُلُّ الْبِلَادِ لِكُلِّ نَفْسٍ حُرَّةٍ وَطَنٌ، وَلَكِنْ لِلْقُلُوبِ حَنِينُهَا
لَمْ تُكْسِبِ الْوُجُرُ الثَّعَالِبَ هَيْبَةً، وَالْأَسَدُ حَيْثُ تَكُونُ كَانَ عَرِينُهَا

الوجر: جمع «الوجار» وهو بيت الثعلب

١٧٦ دينها قانونها

لَا تَرْجُونَ مِنَ الطَّبِيعَةِ رَحْمَةً إِنَّ الطَّبِيعَةَ دِينُهَا قَانُونُهَا
سَقَطَ الرِّضِيعُ، فَمَا وَقْتُهُ سَمَاوُهَا تَلَفًا، وَلَا ذَرَقَتْ عَلَيْهِ عِيُونُهَا

١٧٧ للعداوة أصول

عَبَثًا تُحَاوِلُ، يَا فَلَانُ، إِثَارَتِي لِيَقُولَ عَنْكَ النَّاسُ: خَصْمُ فَلَانٍ
لَنْ يَسْتَحِجَّ عِدَاوَتِي إِلَّا الَّذِي عَادَيْتُهُ أَنَا، لَا الَّذِي عَادَانِي

١٧٨ زر الكهرباء

لَمْ أُنَسَ حِينَ غَشَوْتُ خِذْرَ لَمِيَّةٍ وَاللَّيْلُ يَغْمُرُنَا بِجِلْبَابَيْنِ
غَشَوْتُ: آتَيْتُ، الخدر: مكان المرأة من البيت. يقصد أن شخصيهما مختلفيان في جلبابين، فكل
منهما يلبس جلباباً من الظلمة

عَالَجْتُ زِرَّ الْكَهْرِبَاءِ بِصَدْرِهَا فَأَنْرْتُ فِي الْعَيْنَيْنِ مِضْبَاحَيْنِ

١٧٩ الباصق في مهب الرياح

أَيَا مَنْ تَعَوَّدَ سَبَّ الْأَكَارِ مِ نَزَّةٍ لِسَانَكَ عَنْ طَعْنِهِ
نزه لسانك عن طعنه (الطعن الذي يقوم به هذا اللسان)

وَبَضُقُ الْفَتَى فِي مَهَبِّ الرِّيحِ يُعِيدُ الْبُصَاقَ إِلَى ذَقْنِهِ

١٨٠ ليس بالخبز وحده يكون البرّ

تَذَكَّرْ حِينَ كُنْتَ عَلَى يَدَيْهَا تُقَطِّرُ فَيْكَ مُهَجَّتَهَا لِبَانَا
فَأَوْفِ جَزَاءَهَا، وَاعْطِفْ عَلَيْهَا وَلَقِّبْهَا مَعَ الْخُبْزِ الْحَنَانَا

١٨١ الأفكار المتجمدة

وَبَرْدِ تَجْمُدِ الْأَفْكَارِ مِنْهُ إِذَا هُنَّ انْفَصَلْنَ عَنِ الْجَنَانِ
تَكَادُ الْعَيْنُ تَقْرؤها حُرُوفاً مُعَلَّقَةً عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ

١٨٢ صاعداً على أعدائه

وَلَا تَحْفِلُوا بِفَجِيعِ أَفَاعِي الْـ جُحُورِ، وَأَنْتُمْ نُسُورُ السُّمُورِ
فَلِإِنَّ الْعِدَى دَرَجَاتُ الْعُلَى صَعِدَتْ عَلَيْهَا عِدُوّاً عَدُوّاً

١٨٣ الصديق سيف في يدي

إِنَّ الصَّدِيقَ لَيُشْبِهُ السَّـ يِفَ الْمَجْرَدَ فِي يَدَيَا
أَلْقَى بِهِ نُوبَ الزَّمَانِ إِذَا عَدَتْ يَوْماً عَلَيَا
وَالْحَبِيرُ أَنْ أَعْنَى عَنِ اسْمِ تَعْمَالِهِ، مَا دُمْتُ حَيّاً

١٨٤ اللذة والسعادة

اللَّذَةُ الْكُبْرَى مَشَا عَ لِّلْسَعِيدِ وَلِلشَّقِي
أَمَّا الْحُبُورُ فَلِإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى الْقَلْبِ النَّقِي

١٨٥ يريد أن يعانق المارة في الشارع

مَنْ لِنَفْسٍ نَوْدُ لَوْ تَغْمُرُ الْكَوْ نَ، هَيَاماً بِحُسْنِهِ الْمَغْبُودِ
مَثَلُوا لِي هَذَا الْوُجُودَ بِشَيْءٍ أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ ضَمَّ الْوُجُودِ

هذان البيتان فيهما تصوير لمتنهي الفرح. بيتان كهذين لا يقولهما إلا من كان قلبه يغلي شعراً. رحمك الله يا قروي.. ما في شعرك من سياسة صرف الناس عما فيه من درر ثمينة. ولك في شعر السياسة شعر هو من أحلى الشعر. لبدوي الجبل هجاء رائع في عبد الناصر، ولك يا قروي مديح رائع في عبد الناصر. كأنني سمعت بعض الحمقى يقولون إن الشعر السياسي يموت بانقضاء المرحلة! المرحلة تنقضي والشعر المضمخ بالعاطفة، حباً أو كرهاً، يبقى

١٨٦ غربة مضاعفة

مَا الْبَرَازِيلُ مَهْجَرِي لَيْسَ لُبْنَانُ لِي جَمَى

إِنَّ نَفْسِي غَرِيبَةٌ تَشْتَكَِي الْبُعْدَ فِيهِمَا

١٨٧ الاختيار

بَنَاتُ حَوَاءَ أَعْشَابٌ وَأَزْهَارُ فَاسْتَلَمَ الْعَقْلُ، وَانْظُرْ كَيْفَ تَخْتَارُ
وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْوَجْهُ الْجَمِيلُ، فَكَمْ فِي الزَّهْرِ سُمٌّ، وَكَمْ فِي الْعُشْبِ عَقَّارُ
«العقار» بمعنى الدواء مشددة، لذا فالجمع «عقاقير» بقاءين، و«العقار» بمعنى المباني، غير مشددة،
فجمعها «عقارات» بقاء واحدة

١٨٨ سوى شهوة..

صَرَفْتُ عَنَانَ النَّفْسِ عَنْ كُلِّ شَهْوَةٍ سَوَى شَهْوَةٍ قَدْ رُكِبَتْ فِي الطَّبَائِعِ
وَكَيْفَ بَغَضُ الطَّرْفِ عَنْ خَمْرَةٍ جَرَتْ دَمًا فِي عُروقي، أَوْ لَظَى فِي أَصَالِعِي

رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) فهرس القوافي

٤٩	كَتَبَ	٥٠	عَيَاءَ
٧٦	صَبَّهَا	٩٣	الأُدْبَاءُ
١٤٢	صَخْبَةً	١	الْفَضَاءُ
١٣٠	وَمَخَالِئُهُ	١٢٧	السَّمَاءِ
٢١	الْمَيَّاتِ	٢٥	لِفَنَاءِ
١٤٧	جُنَاهُ	١٧	الْحِسَابِ
١٤٦	مَيْتُ	١٤٥	بَابَا
٧٠	أَبْرَمَتْهُ	١٢	سَلْبَا
٥٦	رُقَاتِيهِ	١٤٣	مُهَذَّبَا
١٤٩	الرَّجَا	١١	اغْتِرَابُ
٥	نَاسِجِ	٦٤	ذِنَابُ
١٤٨	هَوَجِ	١٤١	وَالْغَضْبُ
١١٥	أَبْرَاجِهِ	١٤٤	الْمَكَاسِبِ
٥٩	الصَّبَاحُ	٥٨	تَعَبِ
٢٣	سَاحُوا	٩١	دُأْبِي
١٥٠	بِجَنَاحِي	٤٥	دَنْبِ
٧٥	جَنَاحِي	١٣٩	رَبِّي
٤٤	أَبْدَا	١٠	أَتَعَجَّبُ
١٠٠	الرَّشْدَا	٩٩	أَغْلَبُ
٨٥	الْعِدَى	٦٩	تُرَاقِبُ

٩٧	تَنْفَجِرُ	١٣٤	الْوَيْدَا
٢٠	مُتَجَبِّرُ	٢	جِلَادَا
١٥٦	إِكْبَارِي	٦١	يَدَا
١٣	الْعِدَارِ	١٥١	الْوَلْدُ
٥٣	حُبُورِي	٣	عَدِيدُ
١٥٩	شُعَارِ	١٥٢	مَعْقُودُ
١٢٩	شِعْرِي	٤٢	جِدُّ
١١٤	عَارِ	٨٧	الأَعَادِي؟
٤	وَحُبُورِ	٨٢	الْجِلَادِ
١٢٠	الْخَنَاصِرِ	١٥٣	الْمَعَادِ
٧	مَقَرَّ	١٨٥	الْمَعْبُودِ
١٣٦	وَنَنَازِ	٣٩	الْمَنْكُودِ
١٥٧	نَكْرَةَ	٦٨	ثَمُودِ
١٤	لِنَشْرِهْ	١٦	مُسْتَرِيدِ
٢٨	نَاضِرَةَ	٥٢	مَنْتَقِدِ
١٦١	كِيسَا	١٥٤	سَعِيدُ
٤٠	فَكَنَسُوا	٣٨	يَا الْكَمَدُ
٩٤	حَوَاسِي	١٣٣	جَنْدُهُ
١٢٣	فَارِسِ	١٥٥	فَائِدَةُ
١٠٧	دَوَارِسِ	٣٧	النَّارَا
١٠١	التَّعَاسَةُ	١٠٥	سَحْرَا
٣٣	خَمْسِيهِ	٦٠	سَفْرَا
١٦٢	شَمْسِيهِ	١٥٨	عَتَرَا
١٦٠	مَلْمَسَةُ	١١٢	أَزْهَارُ
٢٢	فَيْرَضِي	٩	أَطِيرُ
١٢٢	شُرُوطِ	٨٣	أَكْبَرُ
٣٤	رِيْعَا	١٨	الْقِصَارُ
٤٣	مُشْرَعَا	١٨٧	تَخْتَارُ
٥٤	وَيَمْتَنِعُ	٦	تَعَثُرُ

١١١	اِخْتِمَالَهُ	١٨٨	الطَّبَائِعِ
٧٧	حَامِلُهُ	٣٥	تُرَاعِي
١٨٦	حِمَى	١٣٢	تُمَانِغِ
١٧١	غُلَامًا	١١٠	طَبِيعَهُ
١١٨	كَالْعَمَى	٢٦	مُضْطَفَى
١٢٤	مُرْتَسِمًا	٦٥	وَالْإِسْرَافُ
٩٠	الْمُسْتَهَامُ	١٠٦	أُغْرِفَ
١١٣	الْهَمُّ	١٠٨	فَارِقًا
٧٢	عَلِمُ	١٠٣	يَلْقَى
٧٣	مُجَسِّمُ	٤١	عَبَقُ
٧٨	نَتَنَعَمُ	٢٤	الْخِفَاقِ
٦٧	الْأَعْلَامِ	٨٤	الْمَمَازِيقِ
١٢١	الشَّامِ	١٤٠	تَفْرُقِ
٥٧	فَمِي	١٦٥	حُقُوقِي
٨٦	الْأَمَمُ	١٦٣	ضَيْقِ
٣١	بِالدَّمِ	١٦٦	فَاتَّتِي
١٢٥	جُرْمُهُ	١٦٤	مُسْتَقِي
٩٦	حِمَامُهَا	٥٥	وَيَسْتَلْقِي
٧١	وَدَوَامِهَا	٨٠	نَتَحَاكِي
٢٩	إِخْوَانًا	١٠٢	يُمْنَاكَ
١٧٣	أَقْوَانًا	١٦٧	عَرَفُوكِ
٤٨	أَكْفَانًا	١٥	فِيَاكَ
١٧٤	الْحُرْنًا	١٧٠	عَادِلًا
٦٢	الْمَرْسَلِينَا	١٦٩	تَسْأَلُ
١٢٨	تَغْيِيرِنَا	٩٨	الرَّمْسِ لِي
٦٣	فِينَا	١١٧	الْعَمَلِ
١٨٠	لِيَانَا	٢٧	كَاهِلِي
٦٦	بُرْهَانُ	١٦٨	وَأَفْعَالِ
٩٢	وَمُجَنِّنُ	١٠٤	وَتَنَقُّلِي

١١٦	يَرَنِي	٨٩	أَشْجَانِي
١٧٢	بِالدُّونِ	٧٩	أَقْسَانِي
١٧٥	حَنِينُهَا	٣٠	التَّجَنِّي
١٧٩	طَلْعِهِ	١٨١	الْجَنَانِ
١٧٦	قَانُونُهَا	٨	الشَّارِبِينَ
١٣١	وَزَيْنُهُ	١٧٨	بِجَلْبَابَيْنِ
٤٧	بِيَدَيْهِ	٣٦	ثَانِ
٨١	أَهْوَى	١٣٧	حُزْنِي
٥١	دَوِي	١٠٩	ضُنِّي
١٨٢	السُّمُو	٨٨	عَدْنَانِ
٤٦	الْحَيَا	١٧٧	فُلَانِ
١٢٦	وَرَايَا	١٣٥	لِبْنَانِ
١٨٣	يَدَيَا	٧٤	مِنِّي؟
١٨٤	وَاللَّشَقِي	٣٢	وَالْوِلْدَانِ
١٩	الْأَبِيَّةُ	١١٩	وَطْنِي
٩٥	حُبِّيهِ	١٣٨	يَرُثِينِي

إيليا أبو ماضي

(١٨٨٩ - ١٩٥٧)

عن دراسة لجورج جحا فإن مولد إيليا أبو ماضي محقق من عدة مصادر على أنه في سنة ١٨٨٩. والأديب الإسكندري عبد العليم القباني وضع كتيباً عن إيليا أبو ماضي في فترته الإسكندرية خص قطعة صالحة منه بتحقيق عام مولده، وهو يقول إن أبو ماضي ولد قبل عام ١٨٨٩ ببضع سنوات، وقرائنه وجيهة. وثمة من قال، وأكد، أنه ولد في عام ١٨٩٥.

وقد شغلتنا حكاية تاريخ مولده، لأنها غدت مع اضطراب المصادر - وسبب الاضطراب أساساً شغف الناس بتقديم الفتوى السريعة الجازمة بغير علم.. وأنت تعرف طبعاً أن مأواهم الآن جهنم الحمراء - أقول غدت الحكاية لغزاً مسلياً. مختار قرية المحيدثة أكد أن المولد كان في عام ١٨٨٩، ولكن السجلات المدنية في بكفياً قالت: ١٨٩٢، وأشار الباحث جرجي إبراهيم نصر في مقال عام ١٩٦٦ إلى أن هذه السجلات تقريبية ولا تعويل عليها. فأما الكنيسة في المحيدثة نفسها فلا سجلات لديها تخص تلك الحقبة.

نعود إلى شهادتين لهما من القيمة فوق ما لكل المستندات المكتوبة: ميخائيل نعيمة قال للباحث جحا إنه وإيليا ولدا في السنة نفسها ١٨٨٩. وميخائيل رفيق إيليا في نيويورك، وزميله في الرابطة القلمية، فهو يعرفه عن قرب، ومنذ سن الشباب. وأنا وأنت نقيس أصدقاءنا في سن الشباب بأنفسنا، فالذي يكبرنا بسنة نعرف أنه يكبرنا بسنة، والذي يصغرنا بسنة نعرف أنه يصغرنا بسنة. فهذه السنة تصنع فرقاً في الوعي في السن الباكرة. وثمة شهادة أقوى.

تلك شهادة مراد أبو ماضي أخي إيليا الذي يكبره بسنتين. فقد نُشر في ديوان تبر وتراب، الذي أصدرته دار العلم للملايين بعد وفاة الشاعر، أن ميلاده

كان عام ١٨٩٠، فصصح مراد هذا الخطأ، في رسالة بعثها إلى سيدة من العائلة أرفق بها نسخة من الديوان، وجعله ١٨٨٩. ومن ذا يجهل عمر شقيقه المقارب له في السن؟ ثم إن مراداً صاحب إيليا في دروس تلقياها على شاعر القرية، وصحبه في الإسكندرية وفي نيويورك، وكان لمراد من الشعر نصيب، فهو حتى في هذه قريب من أخيه المشهور. ولو كان في نفس مراد أبو ماضي أخي الشاعر قليل من الشك فيما بين ١٨٩٠، و١٨٨٩.. لما بادر إلى التصحيح، فالفارق سنة واحدة، وتصحيحه يدل على أنه يعرف بثقة تاريخ ميلاد أخيه.

وننصح الباحثين الكرام أن يمضوا في استقاء الفتاوى بشأن ميلاد إيليا أبو ماضي كي تستمر هذه التسلية.

إيليا أبو ماضي شاعر المحبة والابتسام. وكنت أريد أن أبدأ الحديث عنه بفقرة عن التسامح، ولكنني الليلة منشغل بشيء آخر. ومن بعض مغارم من يقرأني أنه يجد نفسه كالجالس بجانب، ويرى نفسه مضطراً إلى أن ينشغل بما يشغلني. لكنّ لقارئ غنماً أرجو ألا ينساه، وهو فرحته إذ يقع على خطأ مطبعي أو لغوي. بعض معارفي يهايفونني ليقولوا بصوت ملؤه الجبور إنهم عثروا على الغلطة الفلانية في الصفحة الفلانية في السطر الفلاني. أحدهم يجلس القرفصاء في المكالمات الهاتفية ويأخذ بمناقشتي في كلمة، ويحتر ويتصب عرقه إذ يسمعي أقول له بين الدفقة والدفقة من كلامه: لا أدري، وربما، ولعلك على صواب، وسنصلحها في الطبعة المقبلة إن كانت ستكون طبعة مقبلة.

ولهؤلاء، أفرح الله قلوبهم، وملاً بالبهجة صدورهم، أقول: إنني أبحث بقدر ما لدي من وقت، وأكتب بقدر ما عندي من علم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

نعم، فتحت باب الحديث عن إيليا أبو ماضي وفي نفسي أن أتكلم عن المحبة والابتسام، لكنّ ما يشغلني إنما هو الترتيب.

أنا وأنت نعرف لماذا مساحة المربع مربّع ضلعه. ونعرف أن نرسم داخل المربع مربعات صغراً تثبت النظرية. ولكنني، أنا، لا أعرف لماذا يُرَبَّعون السرعة في الطاقة الحركية. ولعلك درست أن الشخص الذي يجري بسرعة أربعة أمتار في الثانية، ووزنه مئة كيلو، يعطي إذا اصطدم فجأة بجدار طاقة مقدارها نصف وزنه مضروباً في مربع سرعته، فهذه ٥٠ كيلو لنصف وزنه + ١٦ لمربع سرعته = ٨٠٠ جول.

فلماذا يربعون السرعة؟ ولماذا يربعها آينشتاين في معادلته المشهورة؟
ولماذا لا ينصف آينشتاين الكتلة في معادلته مثلما هي منصفة في قانون الطاقة
الحركية؟

يقول لك المعلم: احفظ القانون وطبقه، ولا تسأل لماذا؟

ومن نكد طالعي أنني أسأل بين الحين والحين بلماذا. لكنني عدلت منذ
زمن عن الإغراق في التمحيص، لأنني اكتشفت أن عقلي لا يحب التجريد ولا
يستطيعه إلا قليلاً. فأنا قانع من العلم بقراءات في كتب «العلم للجمهور». وقد
رأيت، في بعض من عرفت، قدرة طيبة على التجريد، وعناداً في تحصيل الفهم
العميق، وإلحاحاً على السؤال بلماذا. وشهدت إحيائهم لما وجدوه من عدم
ترحيب السوق المحلية بمواهبهم. فمنهم من هاجر، ومنهم من ارتضى حفظ
القوانين العلمية والاكتفاء بتطبيقها، وتحفيظها لطلابها، ومطالبتهم بالاكتفاء
بتطبيقها.

العقول العبقريّة تكتشف قوانين الكون: ابن سينا والفارابي وغاليليو ونيوتن
وآينشتاين؛ والعقول القويّة تفهم القوانين؛ والعقول الراضية تكتفي بالتطبيق.
هناك من يتتبع نظاماً حاسوبياً متكاملاً (نظام تمييز الوجوه مثلاً)، وهناك من
يبرمج، وهناك - في الدرجة الدنيا - محدثكم الذي ينقر على حاسوبه الهمزات
والحركات، فإذا أخطأ ملاً قلوب بعض الناس حبوراً وهم قاعدون يتسقطون.
أفرح الله قلوبهم.

لم يكن إيليا أبو ماضي عروبياً. فإن كنت متحمساً للعروبة فننصحك
بالتروي بدل أن تطلق في وجهه فحة شمسية من الكراهية. ولم يكن شديد
المجاملة للمسلمين، ككثير من الشعراء المسيحيين، فإن كنت مسلماً تطرب لما
يبيده بعض المسيحيين من هذا النوع من المجاملة، فحنانيك، لا تحكم على
الناس بخصلة واحدة؛ ولجهامة الصراحة أحب إلى قلب المؤمن من بشاشة
المجاملة. ولم يكن إيليا أبو ماضي موقناً بالنشور. ولم يكن واضحاً في معاداته
للاستعمار الغربي لبلادنا، ولم يكن متسامحاً مع أعدائه. لا بل كان له أعداء
وخاض الخصومات. ولم يكن رومانياً طول الوقت، كما قد تكون أوحث لك
القصائد التي اختارها مؤلفو كتب المدارس.

كان إيليا أبو ماضي يحسن استعمال المفردة القديمة والأسلوب القديم
عندما يريد، وكان فصيحاً في معظم الأحيان، غير أنه أسرف في التساهل في

النحو والصرف، كأنما كان يطرقه المعنى الفاتن فيذبح له مفردة؛ أو يستخفه ما يجد من تدفق قلمه على الورق فلا يريد أن يقف وقفة الباحث عن طريقة يؤدي بها المعنى ويرضي سيبويه في الوقت نفسه، فيستعجل، عارفاً أن ربة الشعر لا تمكث طويلاً على سن قلم يقضم الشاعر عقبه بين أسنانه.

لا حجة لمن يكثر التجوز وارتكاب أخطاء في النحو والصرف. هو يقول: أنا أعرف الوجه الصحيح، ولكنني مجترئ على اللغة؛ ونقول له: ونحن نعرف أنك كنت تعرف وجه الصواب، فوجه الصواب يعرفه التلامذة، ونعرف أنك اجتأت على اللغة. اجتري اجتراء من يبدع من جوف اللغة قلباً يحتضن معنى جديداً، لا اجتراء عاجز. وكان عند إيليا الاجتراء.

فإن كنت تظن شاعرنا ذلك المتسامح الكبير في غير النحو والصرف، فإنني أقول لك: بل أنت المطالب بأن تكون متسامحاً كبيراً وأنت تقرأه، حتى تستمتع بشعره. والذي انتقته لك من شعره باقة كبيرة فيها شيء من كل شيء. وسترى الشاعر فيها من جوانبه المختلفة. على أنها، بعد، باقة مختارة. فيها تلك القصص المدرسية الحلوة: قصة التينة التي رفضت أن تحمل ثماراً، وقصة الملك والشاعر، وقصة إيليا عندما فكر بهدايا العيد. ولم نكثر من التسويد في هذه القصص لأن قصيدة القصة تكون متماسكة. غير أننا، في الحين بعد الحين، كنا نجد البيت البديع فنسوده حتى نلفت نظرك إليه.

ولد إيليا أبو ماضي في قرية المحيدثة بלבنا في عام ١٨٨٩، فهو قد وعى العهد العثماني. وأمسك بذيل النهضة الكبيرة للغة العربية التي قادها الجيل الذي سبق جيله في لبنان. تعلم الحرف، وكان مقبلاً على التعلم منذ سن الخامسة. ثم التحق بمدرسة تابعة للكنيسة في قرية مجاورة.

لعل ما قد ذكره بعضهم من استراق إيليا أبو ماضي السمع وهو طفل إلى ما يلقى من دروس في مدرسة البستان، التي أسسها شاعر المحيدثة الشيخ إبراهيم ميخائيل المنذر، مجرد تلفيق أكاديمي من تلك التلفيقات الكثيرة. فقد رأى بعضهم أن في المحيدثة مدرسة فجعل شاعرنا يتلصص على دروسها وهو طفل. والواقع أن المدرسة تأسست وإيليا في أميركا، وقد جاوز العشرين.

لكن شاعرنا عرف شعر إبراهيم المنذر، وجلس إليه طفلاً، مع أخيه مراد وأطفال القرية، يستمعون إلى بعض الدروس. هذا مطلع قصيدة للمنذر:

من أنا واللّه أدري، ولا أحد في الكون يدري من أنا

وتسمع فيها أخت الـ«لست أدري» المشهورة في طلاس إيليا، وتكرر فيها عبارة «من أنا» لتختم فقرات متتابعة متنوعة القوافي، وهي على بحر الرمل أيضاً. وهذا يعيد إلى الذهن اقتباس إيليا فكرة قصيدته: (نسي الطين ساعة أنه طين حقير) من قصيدة شعبية، كما سيرد عليك في شرحنا لهذه القصيدة.

وثمة قصيدة أخرى للشيخ إبراهيم المنذر ظلت مشهورة حتى يومنا هذا لا يكاد يفلت من بين براثنها طفل، وفيها من الأسلوب القصصي وصوغ العبارة ما يشبه شعر إيليا، ولا نظن إيليا أفلت منها. ها هي قصيدة المنذر المشهورة، فلا نريد أن يخلو كتابنا منها:

أغرى امرؤ يوماً غلاماً جاهلاً ينقوده حتى ينال به الوطرُ
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ولك الدراهم والجواهر والذررُ
فمضى وأغمد خنجراً في صدرها والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من قرط سرعته هوى فتدخرج القلب المضرج إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفرٌ: ولدي حبيبي، هل أصابك من ضررُ؟

الولد يعرف شاعر قريته الذي يكبره بخمس عشرة سنة، ويسمع شعره. والمحيدة قرية من أصغر القرى، كانت وما زالت (كان عدد سكانها عند مولد إيليا ١٥٠ نسمة). وكل ولد في كل قرية يعرف شاعر قريته؛ فما بالك بولد يقول أبياتاً من الزجل، وما بالك بشاعر القرية يكون في مستوى المنذر؟

كان أولاد ضاهر إيليا طانيوس أبو ماضي ستة. وكان حاكماً فقيراً، وأخذ يبحث أبناءه على السفر لكسب الرزق. وأبناؤه خمسة ذكور وبنت هي جنى، وكانوا يدعونها «أوجيني» بمضاعفة عدد الحروف. أليس الفرنسيون قد بدأوا يفرضون ثقافتهم على لبنان؟ والإمبراطورة أوجيني زوجة نابليون الثالث اشتهرت في الشرق بحضورها حفل تدشين قناة السويس وبدورها الطاعني في القصر قبل الإذلال الكبير في الحرب مع بروسيا..

ما كاد إيليا يتجاوز العاشرة حتى بعثه أبوه إلى مصر ليقف في دكان السجائر الذي يملكه خاله قبالان إسكندر في الإسكندرية. وأخوه مراد هاجر قبله إلى الإسكندرية. وكان من نعمة الله على إيليا أبو ماضي أنه لم يتعلم في

المدارس بعد سن العاشرة. تعلم على نفسه، وقرأ دواوين القدماء وأشعار المعاصرين، وقرأ عن الدنيا في مجلة كانت أهم من كل جامعات العالم العربي على مدى عقود كثيرة. تلك هي المقتطف.

ولأنني، أنا، تعلمت على مجلة، فسوف أقف هنا وقفة، راجياً من القارئ أن يتذكر أننا وصلنا في قصتنا إلى أن الطفل إيليا أبو ماضي كان في نحو العاشرة وهو يقف في دكان السجائر بالإسكندرية.

مجلتي التي علمتني كانت «العربي» الكويتية. كانت مجلة علم وأدب، فرييس تحريرها ومؤسسها أحمد زكي عالم كيمياء، وهو أديب ذو قلم بليغ. علمتني «العربي» أن أحب العلم. والآن أتذكر تلك المقالات المتلاحقة التي كان يكتبها رئيس التحرير عن «العقل الإلكتروني». . . هكذا سمى الكمبيوتر بالعربية قبل أن يرى الناس أي كمبيوتر بسنين كثيرة، وقبل أن يخترعوا له كلمة الحاسوب. كان أحمد زكي في الستينات يكتب لنا عن التطور في تقنية الكمبيوتر خطوة خطوة، وهو، بعد، خريج بريطانيا أم الكمبيوتر. ومن مجلة العربي تعلمت الحرف نفسه. فقد أخفقت المدرسة في تعليمي حتى الألفباء، وتعلمتها من تلك الأسطر التي تحت الصور في مجلة العربي. وبعض كراهيتي للمدارس والجامعات أنها لم تعلمني بل حبستني عن التعلم قدر استطاعتها.

كانت مجلة المقتطف بستاناً للعلم والأدب، فصاحبها يعقوب صرُوف عالم وأديب وصحفي.

أعطيك مثلاً.

كنت في مصر ذات سنة، ووجدتني ذات صباح في ميدان طلعت حرب، وقد أنهيت جولتي على المكتبات، وشربت قهوتي في «جروبي». أوقفت سيارة كي تقلني إلى بيتي، وكان لي في تلك السنة بمصر بيت. ركب، وانطلقت السيارة بي. قلت في نفسي: أوليغ بك كره السياحة يا رجل ألا تجد في مصر سوى المكتبات؟ ثم وجدتني أقول للسائق: أتعرف الفيوم؟ سؤال غير لائق لسائق في الثمانين من عمره. قال لي: طبعاً، فقلت له: هيّا.

ولرحلة كهذه أن تستغرق ساعة ذهاباً، وساعة إياباً، وساعة أتناول فيها مع صاحبي الشيخ غداء على بحيرة قارون. فلماذا، إذن، عدت إلى بيتي في الساعة الثالثة من فجر اليوم التالي؟

ما كدنا نهم بالخروج من القاهرة حتى بدأت السيارة تصدر أصواتاً .
ووقف السائق بجانب بيت، وطلب ماء . وسقى المحرك . وبعد كيلومتر أو أقل
وقف ثانية . هل سأقول وقف ثالثة ورابعة؟ وماذا سأفعل حين أتعدى العشرة؟
هل سأقول وقف حادية عشر وثانية عشر؟ قد، والله وقف عشرات المرات .

على أطراف الفيوم، وفي شارع تكتنفه أشجار المانجا، وقفنا أمام مشغل
ميكانيك خرج منه رجل ضخم الجثة . طلب منه سائقي الشيخ أن يلقي نظرة .
فقال الرجل: هذا لا ينفع، أبداً أبداً، المحرك سيقفش منك . لكن سائقي هز
رأسه واكتفى بطلب دلو ماء، وسقى المحرك . وفي كل مرة كان يسقي فيها
المحرك كان يصدر عنه صوت غليان وتتصاعد الأبخرة .

ووصلنا بحيرة قارون في شبه معجزة . أقول شبه معجزة لأن المعجزة
الحقيقية ستكون في طريق العودة .

تغدينا على شاطئ البحيرة، وسألت أسئلة كثيرة عن هذه البحيرة العجيبة .
ولم أحظ بجواب .

قلت لشيخني: هيا بنا . فعرض عليّ أن يلتمس لي سيارة تعيدني إلى
القاهرة، فلا أعاني مشقة الركوب معه في سيارته العجيبة . لكن هيهات! قد
انعددت بيننا الصحبة، وكان لا بد من أن أعود معه .

اختار الطريق الصحراوي . كانت السيارة قد استراحت سوية في الفيوم،
فمضت بنا . وبعد بضعة كيلومترات بدأنا نسقي المحرك من ماء كثير حملناه من
الفيوم في أوعية بلاستيك . في هذه المرحلة كنت قد أصبحت خبيراً في السقي .
أصب الماء في فوهة خزان التبريد فأراه يغلي، ويتدفق منه رشاش يكاد يلسع
وجهي، ويتصاعد البخار فأميل بوجهي يمنة أو يسرة . ثم أسقي .

بدأت الشمس تسقط ونحن في وسط الصحراء، وسقط معها محرك
السيارة . وقفنا بجانب سيارتنا، تمر بنا الشاحنات، ولا يقف لنا أحد . واعتراني
ما يعترني تائه الصحراء من مخاوف . ولكنني تقويت بصاحبي الشيخ الذي كان
هادئ الأعصاب، واثقاً بمحرك سيارته ثقة لم أجد لها مسوغاً، فهي سيارة
عتيقة من طراز رخيص، ونظام التبريد فيها قافش، والمحرك على وشك
القفوش .

ظلت حارئة . وظلت ثقة صاحبي بسيارته غالية . القلق يأكل قلبي، ولا

يصدده بعض صد سوى ثقة شيخي بسيارته. ثم تحركت السيارة. تحركت ببركة الله وبثقة صاحبي فيها. كانت الشمس قد غربت، فلاح لنا من وراء الأفق أضواء القاهرة. وكان ماؤنا قد نفذ، وبالذعوات الصالحات وصلنا إلى مكان يبعد مئة متر أو مئتين عن محطة وقود، ثم حرنت السيارة. فنزل شيخي ومعه وعاءان فارغان يستقي من المحطة. وبقيت في السيارة أحرسها، حرسها الله.. وكأنَّ الجنون بلغ بلصوص السيارات أن يسرقوا هذه العروس!

كان في بطارية هاتفي شرطة واحدة، وأنهاها اتصال جاءني من زميلة تقوم بتصوير فلم وثائقي، قالت إن الأمن اعتقلها لعدم وجود إذن تصوير بحوزتها. فقلت لها إنني.. ولم تكتمل المكالمة. وعاد شيخي بالماء، وسقينا المحرك.

هذا ونحن قد تجاوزنا العشاء بقليل. فلماذا لم أصل إلى بيتي إلا في الثالثة فجراً؟ لن أطيل عليك.

عندما دخلنا مشارف القاهرة، وصار هناك بيوت، زيد في مهامي، بالإضافة إلى المساعدة في سقي المحرك، الزق. قضيت وقتاً لا يعلمه إلا الله وأنا وراء السيارة أدفعها بالكفين دفعاً. ثم قد يراني بعض الشبان فيهرعون إلى المساعدة، ويشغل المحرك، وأركب، وبعد أمتار أنزل وأزق، ونستقي من البيوت، ونسقي المحرك.. لم نتوقف عن السقي، ولا توقفت أنا عن الزق. وعلى مقربة من الأهرام، استقينا من كشك يبيع الشاي، وكلف الرجل نفسه فأعطانا ما عنده من ماء غسل الأكواب، وتكلف أن ذهب بعيداً لتزويدنا بماء أكثر. وجلست مع شيخي إلى مصطبة، وشرينا الشاي.

ومضينا.. يسوق وأزق. وهنا المعجزة: وصلت السيارة بعد بضع ساعات إلى ساحة تبعد عن بيتي أقل من خمسين متراً. وحرنت. ورغم أنني وصلت مأمني، فقد آليت لا أترك صاحبي إلا أن تتحرك سيارته. لكنها حرنت بطريقة جديدة، لقد أبى المحرك أن يعمل، وأبى حتى أن يصدر صوتاً. وكانت الساعة قد جاوزت الثانية ليلاً. وجاء شباب لديهم في السيارات خبرة. وفحصوا. هذه المرة كان المحرك قد قفش فعلاً. ولا فائدة. على بعد خمسين متراً من بيتي قرر المحرك أن يقفش. ليس في وسط الصحراء، ولا على مشارف القاهرة، بل على باب بيتي.

لم يعمل المحرك لا بماء ولا بغير ماء. فكان لا بد من ونش. وعز الأمر على شيخي، حتى مع استعدادي لدفع أجرة الونش. ثقته بسيارته منعه من قبول

العرض . وقعدنا وشربنا كوب شاي آخر، من كشك قريب . لعلك تعلم أن الناس في القاهرة لا ينامون!

لكنه لم يكن من الونش بد . وأرضيت الشيخ شاكر بما يقوم بكسبه طول نهاره، ودفعت للونش، وذهبت إلى فراشي .

عندما عاد الشيخ بعد يومين ليوصلني إلى المطار كانت معه سيارة ابنه : شيء عمره نحو أربعين سنة، وله على الجوانب أجنحة مدببة . طمأنني الشيخ إلى أن سيارته العتيقة، سيارة الفيوم تلك، بخير، وستقوم من علتها قريباً . ويدعوات الوالدين أوصلتني السيارة ذات الأجنحة المدببة إلى المطار في الموعد .

والشاهد في هذه القصة : بحيرة قارون . فإني عندما عدت إلى مستقري أخذت أبحث عن أمر هذه البحيرة، فلم أجد في الإنترنت ما يشفي الغليل . ثم إنني وقعت على عدد من مجلة المقتطف صادر عام ١٩٠٦ . نعم، قبل أكثر من مئة سنة نشرت المقتطف صفحتين دسمتين عن البحيرة ومصادر مياهها وعن أملاحها، وحتى عما يسكب فيها من مياه الصرف .

عود إلى إيليا أبو ماضي

وهو يعمل في دكان بيع السجائر بالإسكندرية قرأ إيليا أبو ماضي كثيراً، قرأ شعر شوقي وحافظ الذي كان يملأ الجرائد . فمن زعم أن إيليا أبو ماضي كان قليل حظ من الثقافة فهو أكاديمي يقيس الناس بمسطرة جامعته التي أخذ منها شهادته؛ رأى شاعرنا لا يحمل إعدادية ولا ثانوية فحكم عليه . ولكن إيليا أبو ماضي عاش بين العاشرة والعشرين في بلد تنيره مجلة المقتطف، ويعيش فيه شوقي وحافظ .

ونشر إيليا أبو ماضي شعراً في مجلة الزهور بالإسكندرية، وطبع بواكيره في ديوان . وظل يبيع السجائر ويدخن بعضها حتى قطع العشرين بسنتين أو ثلاث، ثم هاجر إلى أميركا . أقام في سنسنتي بأوهايو نحو أربع سنين يكسب الرزق بالتجارة، ثم توجه إلى نيويورك، وفيها التقى بجبران ومبخائيل نعيمة . وفيها فتح جريدة سماها السمر، وظل يحررها ربع قرن حتى مات .

عندما كان في نحو الستين من عمره زار الشام ولبنان وكرموه تكريماً، ثم عاد إلى الولايات المتحدة . مات إيليا أبو ماضي عام ١٩٥٧، وقد قارب

السبعين. يقول لك بعض الأفاقين من كتاب المقالات إن شاعرنا كان يتمنى العودة إلى لبنان ليموت فيها، لو كان هذا هكذا ما كان شاعرنا سمي أولاده ريتشارد وإدوارد وروبرت، وزوجته عربية تتحدث العربية. وقد نشأ أولاده لا يتكلمون العربية. لا نقول هذا في معرض انتقاد، بل في معرض وصف، ولكل إنسان أن يختار لأولاده ما يراه مناسباً في مسألة التربية والتعليم قبل بلوغهم، فهذا، لو فاتك، حق من حقوق الإنسان المنصوص عليها في شرعة حقوق الإنسان الأممية. وأنا بعد محب لشخصية إيليا أبو ماضي: كان دمث الخلق، فإن هجا فهو لا يسمي المهجو باسمه، وكان رقيقاً، وحسن المعشر، وكان صريحاً لا يداجي في آرائه الفكرية والسياسية.

لم أطل البحث في تفاصيل حياته في مهجره الأميركي، فلست أملك أدوات البحث، ولكن باحثاً جاداً يقضي بعض الوقت في مراجعة أعداد مجلة السمر، وفيها مقالات كثيرة لإيليا يحكي فيها عن نفسه، ويمعن في التنقيب على طريقة المستشرقين سيخرج ببحث حقيقي، لا كتلك الأوراق التافهة التي تعج بالعبارات المزعجة الخالية من المعنى من قبيل «روحه الإنسانية العميقة» و«قلبه النابض بحب الوطن».

كما أنني لم أكن كثير الاهتمام بحياة شاعرنا بعد أن تجاوز الطفولة.. انكبت فقط على سنوات طفولته، وسعدت أيما سعادة عندما عثرت، بعد يومين مضيين من البحث، على شاعر المحيثة إبراهيم المنذر. فالمؤثر الأكبر في حياة الشاعر، وحياة كل إنسان، هو ما مر به في طفولته البكرة. في الطفولة تمتد يد القدر إلى الإنسان وتدفعه في اتجاه.. ويظل يسير فيه. فإن كنت وزير معارف وأعطوك ميزانية ألف درهم للتعليم فاجعل منها، رعاك الله، سبعة للتعليم الابتدائي، واسرق الباقي. فإن كنت لا تسرق فلا أدري كيف صرت وزيراً!

١ ويغيب عنك فتشتهيه

إِنَّ الْكَرِيمَ لَكَالرَّيْبَ حِ، تُحِبُّهُ لِلْحُسْنِ فِيهِ
وَتَهَشُّ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَيَغِيبُ عَنْكَ فَتَشْتَهِيهِ
لَا يَرْضَى أَبَدًا لَصًا حِبِّهِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ

أي الذي لا يرتضيه.. لنفسه

وَإِذَا اللَّيَالِي سَاعَفَتْهُ هُ لَا يَضِلُّ، وَلَا يَتِيَهُ
إِذَا اغْتَنَى لَا يَصْبِحُ ضَالًّا وَلَا تِيَاهَا مُتَكَبِّرًا

وَتَرَاهُ يَبُوسِمُ هَازِنًا فِي غَمْرَةِ الْحَطَبِ الْكَرِيهِ
وَإِذَا تَحَرَّقَ حَاسِدُو هُ بَكَى، وَرَقَّ لِحَاسِدِيهِ
كَالْوَرْدِ يَنْفَحُ بِالشَّدَى حَتَّى أَتُوفَ السَّارِقِيهِ

٢ مصر وسيام والدستور

كَأَنِّي قَارِيٌّ، وَاللَّيْلُ سِفْرٌ لَهُ بَدْءٌ، وَلَيْسَ لَهُ خَتَامٌ
يقول: إن الليل طويل

كَذَاكَ الْهَمُّ: أَغْسَرَ مَا تَرَاهُ إِذَا سَكَتَ الدُّجَى، وَغَفَا الْأَنَامُ
وَلَوْلَا أَنَّ فِي مَصْرِ مُقَامِي لَعَمْرُ أَبِيكَ! مَا طَالَ الْمَقَامُ
مَضَى عَامٌ عَلَيَّ بِأَرْضٍ مِضْرٍ، وَذَا عَامٌ، وَسَوْفَ يَجِيءُ عَامُ
وَمَا مَصْرُ الَّتِي مَلَكَتْ فُؤَادِي وَلَكِنْ، أَهْلُهَا قَوْمٌ كَرَامُ
وَذَاذُهُمْ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقٍ وَجَارُهُمْ عَزِيزٌ لَا يُضَامُ
إِلَّا مَا تَمْنَعُ الدِّسْتُورَ مِضْرٌ وَقَدْ كَادَتْ تَفُوزُ بِهِ سِيَامُ؟
سيام: تايلاند

بَنِي مِضْرٍ! عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرًا فَقَبْلَ الصَّحْوِ، يَجْتَمِعُ الْغَمَامُ
الصحور: انقشاع الغيم وانقطاع المطر

وَلَا يَلْحَقُ بِكُمْ ضَجَرٌ، فَلْنِي رَأَيْتُ الظَّلَمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ
فَإِنَّ اللَّيْلَ يُعْقِبُهُ صَبَاحٌ وَإِنَّ الْحَرْبَ آخِرُهَا سَلَامُ

٣ مختكر المصائب

فَلَا تَحْسَبَانِي أَذْرَفُ الدَّمْعَ عَادَةً وَلَا تَحْسَبَانِي أُنْشِدُ الشَّعْرَ لَاهِيَا
عادة: أي من قبيل العادة

وَلَكِنَّهَا نَفْسِي إِذَا جَاشَ جَاشُهَا وَفَاضَ عَلَيْهَا الْهَمُّ فَاصَتْ قَوَافِيَا
رُمِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ رَمِيتَ بِهِ الْأَيَّامَ صَارَتْ لِبَالِيَا

فلا تشتكوا يا صَحْبُ بؤسًا، فَإِنِّي صَمِئْتُ الرِّزَايَا، واحْتَكِرْتُ الْعَوَادِيَا
العوادي: المصائب

تَبَدَّلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السَّلَامِ بِالْوَعَى وَصَارَ بَنُوهَا الْعَاقِلُونَ ضَوَارِيَا
فَمَا تُنَبِّتُ الْغُبْرَاءُ غَيْرَ مَصَائِبٍ وَمَا تُمِطُّ الْأَفْلَاكُ إِلَّا دَوَاهِيَا
الغبراء: الأرض، الأفلاك: يقصد السماء

٤ اتركني بحالي

رَأَيْتُ اللَّيَالِي مَا تَزَالُ تَرُوعُنِي بِأَحْدَاثِهَا، مَا لِلَّيَالِي وَمَا لِيَا؟
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي آسِيَا أَوْ مُؤَاسِيَا فَلَا تَكْ لَوَامًا، وَذَرْنِي وَمَا بِيَا
آسِيَا: مداوياً

أَلَا حَبْدًا مِنْ سَالِفِ الْعِيشِ مَا مَضَى وَيَا حَبْدًا لَوْ كَانَ يَرْجِعُ ثَانِيَا
زَمَانٌ كَقَلْبِ الْطِفْلِ صَافٍ، وَكَالْمَنَى لَذِيذٌ، وَلَكِنْ كَانَ كَالْحُلْمِ فَانِيَا

٥ دعص ترجرج

بَيْضُ تَرَائِبُهَا، سُودُ ذَوَائِبُهَا رُجٌّ حَوَاجِبُهَا، كُحْلٌ مَآقِبُهَا
الترايب: ما بين الصدر والعنق، الذوائب: خصلات الشعر، حواجب رُجٌّ: دقيقة، كُحْلٌ: مكحولة
نُهُودُهَا مِنْ ثَنَائِيَا الثَّوْبِ بَارِزَةً كَأَنَّهَا تَشْتَكِي مِمَّا يُوَارِيهَا
وَالثَّوْبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَائِهَا، فَتَبَا عَنْهَا، فَيَا لَيْتَنِي بُرْدٌ لِأَحْمِيهَا
برد: ثوب

وَتَحْتَ ذَلِكَ خَضَرٌ يَسْتَقِيلُ بِهِ دِعْصُ تَرْجَرَجٍ، حَتَّى كَادَ يُلْقِيهَا
دعص: كتيب رمل؛ كذا كانوا يصفون مؤخرة المرأة. لكن قبل ألف سنة يا إيليا

٦ ليتها دامت

يَا أَشْهُرًا مَرَّتْ سِرَاعًا كَالْمُنَى لَوْ أَسْتَطِيعُ جَعَلْتُكَ سِينِيَا
وَأَمَرْتُ أَنْ يَقِفَ الزَّمَانُ عَنِ السُّرَى كَيْلَا نَمُرَّ بِسَاعَةِ تُبْكِينَا

٧ إيليا الحزين على ترك الدين

قالوا: تَرَقَّى سَلِيلُ الطَّيْنِ، قَلَّتْ لَهُمْ: الْآنَ تَمَّ شَقَاءُ الْعَالَمِ الْآنَا

سَلِيلُ الطَّيْنِ: من سلالة أصلها طين، أي الإنسان

إِنَّ الْحَدِيدَ إِذَا مَا لَانَ صَارَ مُدًى فَكُنْ عَلَى حَدَرٍ مِنْهُ إِذَا لَانَا

مدى: سكاكين

وَالْمَرْءُ وَخَشْ، وَلَكِنْ حُسْنُ صَوْرَتِهِ أَنْسَى بَلَايَاهُ مَنْ سَمَاءُ إِنْسَانَا

قَدْ حَارَبَ الدِّينَ خَوْفًا مِنْ زَوَاجِرِهِ كَأَنَّ بَيْنَ الزُّورِ وَالدِّينِ عُذْوَانَا

زواجره: نواهيه

إِنِّي لَيَأْخُذْنِي مِنْ أَمْرِهِ عَجَبٌ أَكَلَّمَا زَادَ عِلْمًا، زَادَ كُفْرَانَا؟

إِذَا ارْتَدَّى الْمَرْءُ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بُرْدٍ وَعَاقَتْ لِلدِّينِ بُرْدًا عَادَ عُرْيَانَا

بُرد: أثواب

٨ لم تخلق لغير المحبة

رثى بها مصطفى كامل المتوفى عام ١٩٠٨:

تَنَادَيْكَ مِصْرُ الْآنَ يَا خَيْرَ رَاحِلٍ وَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِدَفْعِ الْمُلِمَةِ

رَفَعْتَ لِيَوَاءَ الْحَقِّ فَوْقَ رُبُوعِهَا فَضَمَّ إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَطَنِيَّةٍ

لَئِنْ تَكُ أَتْرَعْتَ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلُقْ لِعَْيَرِ الْمَحَبَّةِ

أترعت: ملأت

فَنَمَّ آمِنًا، وَفَيْتَ قَوْمَكَ قِسْطَهُمْ فَيَا طَالَمَا نَامُوا، وَأَنْتَ بِبِقِظَةٍ

سَيُبْقِي لَكَ التَّارِيخُ ذِكْرًا مُحَلَّدًا فَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ

عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ وَمِنْ أَرْضِ مِصْرٍ أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ

٩ أهلاً بالدستور

إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ، يَا زَمَانَ الْمَظَالِمِ وَلَا عُذْتُ، يَا عَهْدَ الشَّقَا الْمُتَقَادِمِ

إلى حيث ألفت (إلى الجحيم) يا زمن الظلم والشفاء المتقادم (الموجود منذ زمن

طويل). وتعير «لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم» من معلقة زهير، وقد فسر لسان

العرب خمسة تفسيرات، وكلها لا ينطبق هنا. على أن جيلاً بعد جيل من العرب

استخدم التعبير بمعنى «إلى جهنم الحمراء» وشايهم إيليا

صَحْبُنَاكَ، لَا خَوْفًا، ثَلَاثِينَ حِجَّةً، وَلَكِنَّهَا الدُّنْيَا، وَضَعُفُ الْعَرَائِمِ
فَلَا الْعِلْمُ مَرْمُوقٌ، وَلَا الْحَقُّ نَافِذٌ وَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى لِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ
وَيَا أَيُّهَا الدُّسْتُورُ! أَهْلًا وَمَرْحَبًا عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ، يَا خَيْرَ قَادِمٍ
أقر الدستور في إستانبول عام ١٩٠٨، فقيد يدي السلطان عبد الحميد. وكان إيليا بمصر، وكانت
تابعة بعض التبعية للدولة العثمانية

أَهَبْتَ فَفَرَّ الظُّلُمُ بِالْأَرْضِ هَارِبًا وَنَكَّسَ خِزْيًا رَأْسَهُ كُلُّ ظَالِمٍ
أَهَبْتَ: دَعَوْتُ صَارخًا

وفاضت على ثغر الحزين ابتسامة تُخَبِّرُ أَنَّ الْحَزْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ

١٠ عبد الحميد نم

ضَيْفَ سَالُونِيكَ! مَا لَكَ فِي سِجْنِهَا ضَيْفٌ سِوَى السَّأَمِ
ضيف سالونيك: السلطان المخلوع عبد الحميد الثاني؛ فقد عزل ١٩٠٩ بعد انقلابه على الدستور
الذي كان أقره في السنة الماضية، ونفي إلى سالونيك باليونان، وكانت تحت حكم العثمانيين

ذَاكَ ضَيْفٌ غَيْرُ مُحْتَشِمٍ إِنْ تُحَاوِلَ طَرْدَهُ يُقِمِ
جُرْتُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بِنَا غَيْرَ أَنَّ الْجَوْرَ لَمْ يَدُمِ
كُنْتَ كَالْأَيَّامِ، مَا قَصَدْتَ بِالرِّزَايَا غَيْرَ ذِي شَمِّمْ
كنت مثل الأيام (الزمن) لا توجه الرزايا (المصائب) إلا لصاحب الشمم (العزة)

كُنْتَ مَسْلُوبَ الْكَرَى حَذَرًا وَلَقَدْ أُعْطِيَتْهُ، فَنِمِ
كان عبد الحميد موسوساً دائم الخوف من الاغتيال، ومسلوب الكري، أي النوم، فالآن أعطي ما
شاء من نوم

وَدَعَ الدُّنْيَا، وَيَهْجَتْهَا مَا أَرَى الْحَسَنَاءَ لِلْهَرَمِ

١١ الراطنون الجهلة

يَا أَيُّهَا الشُّرْقُ التَّعِيسُ! انْظُرْ إِلَى الدِّ
وَرَجَوْتُ مَا يَرْجُوهُ كُلُّ أَبٍ لَدَى
وَلَطَّالَمَا شِدَّتْ الْقُصُورَ مِنَ الْمَنَى
أَلْهَثَهُمُ الدُّنْيَا فَهَذَا بِالْطَّلَا
قوم الذين شددت أزرَكَ فِيهِمْ
أبنائِهِ، إِنَّ الْعُقُوقَ مُذَمَّمُ
خَابَ الرَّجَاءُ وَسَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ
صَبٌّ، وَهَذَا بِالْحِسَانِ مُتَيَّمُ

الطلا: الخمر، صب: محب

فَتَنَنْتَهُمْ لُغَةَ الْأَعَاجِمِ، إِنَّمَا لُغَةُ الْأَعَاجِمِ مِنْهُمْ تَتَبَرَّمُ
 أَمْسَى الَّذِي تُهْدَى إِلَيْهِ لِأَلَى وَكَأَنَّمَا هُوَ بِالْحِجَارَةِ يُرْجَمُ
 لَا تَعْدِلِ الشَّعْرَاءُ إِنْ بَخِلُوا بِهِ إِنَّ الْقَرِيضَ عَلَى الْغَيْبِ مُحَرَّمُ
 بَيْتًا، وَبَاتَ الشَّرْقُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى، مَعَ ذَاكَ نَحْسَبُ أَنَّ نَتَقَدَّمُ

١٢ العاشقة

جَنَحَتْ ذُكَاءً إِلَى الْغُرُوبِ، كَأَنَّمَا تَبْغِي رُقَادًا، أَوْ تُرِيدُ مَقِيلًا
 ذكاء: الشمس، الم قيل: نوم القيلولة ظهرًا

وَتَنَاطَرَتْ قِطْعُ السَّحَابِ كَأَنَّهَا الْجَيْشُ اللَّهُامُ، إِذَا انْتَنَى مَفْلُولًا
 الجيش اللهم: الكبير الذي يلتهم كل شيء، مفلولاً: منهزماً

قَدْ بَاتَ كُلُّ مُسَهَّدٍ طَوَّعَ الرُّفَا دِ، وَكُلُّ جَفْنٍ بِالْكَرَى مَكْحُولًا
 إِلَّا مُهْفَهَفَةً بِهَا نَزَلَ الْهَوَى ضَيْفًا، وَلَكِنْ لَا يُرِيدُ رَحِيلًا
 مهفهفه: امرأة رشيقة

مَاءَ الْحَيَاءِ يَجُولُ فِي وَجَنَاتِهَا فَكَأَنَّ فِي تِلْكَ الْكُؤُوسِ شُمُولًا
 شمول: خمر

وَالْحَدُّ أَبْهَجُ مَا يَكُونُ مُورَدًا وَالطَّرْفُ أَفْتَنُ مَا يَكُونُ كَحِيلًا
 الطرف: العين

نَظَرَتْ؛ وَرُبَّ مَنِيةٍ مِنْ نَظَرَةٍ قَدْ كَانَ عَنْهَا رُبُّهَا مَشْغُولًا
 نظرت تلك الفتاة، ورُبَّ منية (منية) بالعشق كان رب النظرة (أي صاحبها) مشغولاً عما تحمله من
 عشق قاتل.

فَإِذَا عَشِقْتَ فَلَا تَلَمْ أَحَدًا سِوَى عَيْنَيْكَ، إِنَّ مِنَ الْعَيُونِ قَتُولًا
 وَإِذَا تَمَلَّكَ الصَّبَابَةُ فِي امْرِئٍ لَمْ يُجِدْ عَذْلَ الْعَازِلِينَ فَتِيلًا

١٣ السرور يُختلق

أَمْسَتْ ثِيَابِي، وَكُلُّهَا خِرْقٌ نُشِبُهُ رَوْضًا أَلْوَانُهُ فِرْقٌ
 ألوانه فرق: ألوانه متفرقة متعددة

مِنْ أَرْزَقِ كَالسَّمَاءِ، جَاوَزَهُ أَحْمَرُ قَانٍ كَأَنَّهُ الشَّفَقُ
كَأَنَّ قَوْسَ السَّحَابِ بَاتَ عَلَى جِسْمِي رَدَاءً، وَمَا أَنَا الْأَقْبُ
قوس السحاب: قوس قزح

هَذَا هُوَ الْكَرْتَفَالُ، فَاسْتَبِقُوا إِلَيْهِ، فَهُوَ السُّرُورُ يُخْتَلَقُ
اخترت القصيدة لعبارة: «فهو السرور يختلق». خالجنى مثل هذا الشعور في كرتفال في ألمانيا.
انفجر الناس بالفرح انفجاراً.. راحوا يختلقونه اختلاقاً؛ وكانوا أمس جادّين عابسين، وسيكونون
في الغد كذلك. الفرّح عندهم له مواسم، وله حساب دقيق

١٤ الناس مع الواقع

تَأْمَلْ فِي أَمْسِهِ الدَّائِرِ فَكَادَ يُجَنُّ مِنَ الْحَاضِرِ
الدابر: المنصرم

أَضَاعَ الْغِنَى، وَأَضَاعَ الصُّحَابَ وَرُبَّ مَرِيضٍ بِلَا زَائِرِ
وَيَا طَالَمَا أَخَذَقُوا بِالْفَتَى كَمَا تُخْدِقُ الْجُنْدُ بِالْظَّافِرِ
أخذتوا: أحاطوا

فَلَمَّا انْقَضَى مَجْدُهُ، أَعْرَضُوا وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الْقَادِرِ
أَشَدُّ مِنَ الدَّهْرِ مَكْرًا بَنُوهُ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَيْسَ بِالْمَاكِرِ
قَضَى لَيْلُهُ سَاهِيًا سَاهِرًا إِلَى كَوَكِبٍ مِثْلِهِ سَاهِرِ
بَكَى، ثُمَّ صَاخَ: أَحْتَى النُّجُومُ تَصُدُّ عَنِ الرَّجُلِ الْعَائِرِ
العائر: المتعرّ الفاشل

وَأَغْمَدَ فِي صَدْرِهِ مُذِيَّةً أَشَدَّ مَضَاءً مِنَ الْبَاتِرِ
مذية: سكين، الباتر: السيف

١٥ الإرهاب الفكري

قَالَتْ: سَكَتَ، وَمَا سَكَتَ سُدَى أَعْيَا الْكَلَامُ عَلَيْكَ، أَمْ نَفِدَا؟
سألته: أَسَكَتَ عَجْزاً عَنِ الْكَلَامِ؟

مَا خَانَنِي فِكْرِي، وَلَا قَلَمِي لَكِنْ، رَأَيْتُ الشُّعْرَ قَدْ كَسَدَا
يجيها

كَانَ الشَّبَابُ، وَكَانَ لِي أَمَلٌ كَالْبَحْرِ عُمَقًا، كَالزَّمَانِ مَدًى
وَصَحَابَةٌ مِثْلُ الرِّيَاضِ شَدًى وَصَوَاحِبٌ كَوُرُودِهَا عَدَدًا
لَكِنْنِي لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي وَأَدْرْتُ ظَرْفِي.. لَمْ أَجِدْ أَحَدًا
وَقَعُ الْخُطُوبِ عَلَيَّ أَخْرَسَنِي وَكَذَا الْعَوَاصِفُ، تُسَكِّتُ الْغَرْدَا

الغرد: المغرد

قَوْمِي، وَقَدْ أَطْرَبْتُهُمْ زَمَنًا، سَاقُوا إِلَيَّ الْخُزْنَ وَالْكَمَدَا
هُمْ هَدَّدُونِي حِينَ صِحْتُ بِهِمْ صَبِحَاتِي الشَّغْوَاءَ مُنْتَقِدَا
وَسَمِعْتُ صَائِحَهُمْ يَقُولُ لَهُمْ: هَيَّا اقْتُلُوهُ حَيْثُمَا وَجَدَا
أَزْنَاعُ إِنْ أَبْصَرْتُ وَاحِدَهُمْ ذُغَرِ الشَّوَيْهَةِ أَبْصَرْتُ أَسَدَا
وَإِذَا رَقَدْتُ، رَقَدْتُ مُضْطَرِبًا وَإِذَا صَحَوْتُ، صَحَوْتُ مُرْتَبِعَا
لَكِنْنِي لَمَّا مَدَدْتُ يَدِي وَأَدْرْتُ ظَرْفِي.. لَمْ أَجِدْ أَحَدَا

١٦ خير علاج

لَمَّا سَكَّتْ حَسِبْتُ أَنَّكَ نَاجٍ هَيْهَاتَ! إِنِّي كَالْمَنُونِ أَفَاجِي
أَفَاجِي: أَفَاجِي

تَاللَّهِ تَطْمَعُ بِالسَّلَامَةِ بَعْدَمَا أَلْفَاكَ جَهْلُكَ فِي يَدِ الْأَمْوَاجِ
إِنِّي أَنَا الْأَسَدُ الْهَضُورُ بَسَالَةً وَبِلْ لِقَوْمٍ حَاوَلُوا إِخْرَاجِي
حَاوَلْتَ أَنْ تَهْتَاجَنِي عَنْ مَرِيضِي لِيَتَنَالَ ذِكْرًا، خَبْتُ يَا ذَا الرَّاجِي
عَارٌ إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نِعَاجِ
وَالشَّعْرُ تَاجٌ لَوْ عَلِمْتَ، وَلَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَلْبِيقُ بِحَمَلِ هَذَا التَّاجِ
خُذْهَا مُثَقَّفَةً، إِذَا وَقَعْتَ عَلَى جَبَلٍ لِأَزْعِجَ أَيَّمَا إِزْعَاجِ

خذها مثقفة: خذها قصيدة مبرّية مقومة (مثل الرمح المثقف)

أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي مَادِحًا أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي هَاجِي
قَدْ كُنْتُ أَزْهَدَ فِي الْهَجَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ، يَا مَرِيضَ الْعُجْبِ، خَيْرَ عِلَاجِ

العجب: التكبر

١٧ أنا وصاحبي

إِنِّي إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ بِصَاحِبِي دَافَعْتُ عَنْهُ بِنَاجِذِي وَبِمُخْلِبي
الناجذ: الضرس

وَشَدَّدْتُ سَاعِدَهُ الضَّعِيفَ بِسَاعِدِي وَسَتَرْتُ مَنَكِبَهُ الْعَرِيَّ بِمَنَكِبِي
وَأَرَى مَسَاوِيَّهُ كَأَنِّي لَا أَرَى وَأَرَى مُحَاسِنَهُ، وَإِنْ لَمْ تُكْتَبِ

١٨ غصن وخطبة

نَظَمَهَا بِلِسَانِ فَتَاةٍ أَرْعَمَهَا ذُووَهَا عَلَى الْاِقْتِرَانِ بِرَجُلٍ طَاعَنٍ فِي السَّنِ:
لِي بَعْلٌ ظَنَّنُهُ النَّاسُ أَبِي صَدَّقُونِي إِنَّهُ... غَيْرُ أَبِي
أبي الأولى: أبي، أبي الثانية: من الإباء والعزة
وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا فَلَمَّاذَا فَرَّطَ الْأَهْلُونَ بِي
شرح الصبا: أول الشاب

لَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ مِنْ فُرْقَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَشْيَبِ
يَخْضِبُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ عَبَثًا لَيْسَ تَخْفَى لُغَةُ الْمُسْتَعْرِبِ
قُلْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ: لَا تَخْشَوْا الرَّدَى إِنَّهُ مُسْتَغْلٌ فِي طَلْبِي
إِنَّمَا الْغُصْنُ إِذَا هَبَّ الْهَوَا مَالَ لِلْأَغْصَانِ، لَا لِلْحَطَبِ

١٩ كذابات.. غدارات

إِنِّي بَلَوْتُ الْغَانِيَاتِ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ، قَطُّ، مَلِيحَةً لَا تَكْذِبُ
بلوت: اختبرت
وَحَبِرْتُهِنَّ، فَمَا لِبِكْرِ حُرْمَةٍ تُرْعَى، وَأَعْدَرُ مَنْ رَأَيْتُ الشَّيْبَ
الشب: التي سبق لها زواج

لَا يَخْذَعَنَّكَ ضَعْفُهُنَّ، فَإِنَّمَا بِالضَّعْفِ أَهْلَكْتَ الْهَزْبَ الْأَرْنبَ
فالأرنب جعلته يفرق في البركة عندما رأى فيها خياله في القصة المشهورة

٢٠ إني راحل

أَرِفَ الرَّحِيلُ، وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَا فَإِلَى اللَّقَا، يَا صَاحِبِي إِلَى اللَّقَا

ولقد ركبْتُ البحرَ يزَارُ هَانِجاً كالليثِ فَارَقَ شَيْبَلَهُ، بَلْ أَحْنَقَا
تتنازعُ الأمواجُ فيه بَعْضُهَا بَعْضاً، على جَهْلٍ تَنَارَعُنَا الْبَقَا

تنازع الأمواج مثلما يتنازع البشر في صراع البقاء

بَيْنَا بَرَاهَا الطَّرْفُ سُوراً قَائِماً فإذا بِهَا حَالَتْ فَصَارَتْ خُنْدَقَا
«تُوِيرُكُ!» يَا بِنْتَ الْبُخَارِ، بِنَا أَقْصِدِي فَلَعَلَّنَا بِالْغَرْبِ نَنْسَى الْمَشْرِقَا

نويرك: نيويورك اسم السفينة التي أخذته إلى أميركا، والباخرة هي بنت البخار الذي تسير به، فإن شئت أن تجعلها بنت البحار بالحاء فلا بأس

وَطَنْ أَرَدْنَاهُ عَلَى حُبِّ الْعُلَى فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
كَالْعَبْدِ يَخْشَى، بَعْدَمَا أَفْنَى الصَّبَا يَلْهُو بِهِ سَادَاتُهُ، أَنْ يُعْتَقَا
أَوْكَلَّمَا جَاءَ الزَّمَانُ بِمُضْلِحٍ فِي أَهْلِهِ قَالُوا: طَعَى وَتَرْنَدَقَا؟
فكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِ مَا قَدْ جَنَوْا وَكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ أَخْفَقَا
مَشَتْ الْجَهَالَةُ فِيهِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا تَيْهَأُ، وَرَاحَ الْعِلْمُ يَمْشِي مُطْرِقَا
فيه: أي في الوطن، تيهأ: تكبرأ

شَعْبٌ، كَمَا شَاءَ التَّخَاذُلُ وَالْهَوَى، مُتَفَرِّقٌ، وَيَكَادُ أَنْ يَتَمَرَّقَا
لَمْ يَعْتَقِدْ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ حَقَائِقُ لَكِنَّهُ اعْتَقَدَ التَّمَايَمَ وَالرُّقَى
التمايم: الخرز الذي يوضع في العنق لدرء الحسد، والرقى الحُجُب التي يكتبونها للغرض نفسه

وَحُكُومَةٌ، مَا إِنَّ تُزْخِرْخِرَ أَحْمَقَا عَنْ رَأْسِهَا، حَتَّى تُؤَلِّيَ أَحْمَقَا
بَغْدَادُ فِي خَطَرٍ، وَمِضْرُ رَهِينَةٍ وَعَدَا تَنَالُ يَدُ الْمَطَامِعِ جِلْقَا
جلق: دمشق

قِيلَ، اعشَقُوهَا، قُلْتُ: لَمْ يَبْقَ لَنَا مَعَهَا قُلُوبٌ، كَيْ نُحِبَّ وَنَعُشَقَا
نقد طه حسين إيليا أبو ماضي على مثل هذه «الم يبق» التي يقتضي الوزن قراءتها «لم يبق». ولو قال إيليا (قيل اعشَقُوهَا، قلت: ما بقيت لنا) لوفر على نفسه نقدة من نقدات طه الكثيرات المؤلمات له؟

إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ الْبَيْنِ شَفِيقَةً هَيْهَاتَ تَلْقَى، مِنْ بَيْنِهَا، مُشْفِقَا
شفيق وشفق: حنون

٢١ سكرانة بشبابها

هُوَ الْبَخْلُ طَبَعَ فِي الرِّجَالِ مُذَمَّمٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْغَيْدِ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ
كَلِفْتُ بِهَا بِيضَاءَ سُكَّرَى مِنَ الصَّبَا وَمَا شَرِبْتُ خَمِراً، وَلَا هِيَ تَشْرَبُ
كَلِفْتُ بِهَا: أَغْرَمْتُ بِهَا

وَلَوْ أَنَّ زُهَبَانَ الصَّوَامِعِ أَبْصَرُوا مَلَاَحَتَهَا، وَاللَّهِ لَمْ يَتَرَهَّبُوا

٢٢ إِنِّي لِأُصْحِبُهُ عَلَى عِلَاتِهِ

لِي صَاحِبٌ دَخَلَ الْغُرُورُ فَوَادَهُ إِنَّ الْغُرُورَ، أَخْيٌّ، مِنْ أَعْدَائِي
أَهْوَى اللَّقَاءَ بِهِ، وَيَهْوِي ضِدَّهُ فَكَأَنَّمَا الْمَوْتُ الزُّوَامُ لِقَائِي
الموت الزوَام: الموت السريع

إِنِّي لِأُصْحِبُهُ عَلَى عِلَاتِهِ وَالْبَدْرُ مِنْ قَدَمِ أَخِي الظُّلَمَاءِ
فَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَنَامِ تَقَرُّ بِهِمْ إِنَّ التَّوَاضَعَ شِيْمَةُ الْحُكَمَاءِ
لَوْ أَعْجَبَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ بِنَفْسِهِ لَرَأَيْتَهُ يَهْوِي إِلَى الْغُفَرَاءِ

الغفراء: الأرض. ما أقيح أن يضطر المرء إلى مجاملة عشرات الناس لأنه لا يريد أن يكون له أعداء. لم يكن المتنبي كذلك أبداً، ولا ابن الرومي. وكثير جداً من الشعراء، ومن عامة الناس، يملكون جرأة خلق الأعداء واحتمالهم. كثير من السادة والزعماء جريثون على الأعداء، وكثير من السادة ومن الزعماء مهروا أيضاً في السير بين قطرات المطر وحرصوا على عدم خلق الأعداء، أو الاكتفاء بالحد الأدنى منهم. فلا يفتخرون أحد بقلة، أو بكثرة أعدائه. على أنني وجدت الغرور أمراً كريهاً، ومعبراً عن نقص يجده المرء في نفسه، كما قال القديم. وأكثر ما وجدت الغرور مضحكاً وكريهاً في مذييعي التلفزيون الذين قلت بضاعتهم من العقل والثقافة، فهم مجرد أبواق. ويشعرون بخسة في نفوسهم لقلة ما عندهم من الفهم والعلم والاطلاع فيزدادون تيهاً. وأما المذيع المتمكن فتراه يزداد تواضعاً كلما ازداد شهرة

٢٣ النجدة الروسية للأرمن

أَعِذْ حَدِيثَكَ عِنْدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ وَقُلْ كَمَا قَالَتِ الْأَنْبَاءُ وَالرُّسُلُ
الرسول: المرسلون لجمع الأخبار أو لتبليغها

فاجمع رواياتهم، واملأ بها أذني حتى تراني كَأَنِّي شَارِبٌ نَمِلُ

يا ابنَ الملوكِ الألى قد شادَ واجدُهُم ما لم تُشَيِّدْهُ أَمَلَاكَ، ولا دَوْلَ
أَمَلَاكَ: ملوك، يخاطب القائد الروسي الدوق الأكبر تقولا الذي هزم الترك عن مدينة أرضروم شرق
تركيا في فبراير/شباط ١٩١٦

تَوَهَّمِ التُّرُكُ، لَمَّا حَانَ حَيْنُهُمْ، أَنَّ الألى وَتَرُوا آبَاءَهُمْ غَفَلُوا
توهم الأتراك لما حان حينهم (هلاكمهم) أن الذين وتر (ظلم) الأتراك آباءهم قد نسوا الوتر (الشار)

حَتَّى ظَلَعْتَ مِنَ الْقَوَازِ فِي لَجِبٍ تَضِيقُ عَنْهُ فِجَاجُ الأَرْضِ، وَالسُّبُلِ
لجب: ذو ضجيج، يقصد الجيش الكبير، فجاج: وديان، السبل: الطرق

بِكُلِّ أَرْوَعٍ، مَا فِي قَلْبِهِ خَوْرٌ عِنْدَ الصَّدَامِ، وَلَا فِي زَنْدِهِ شَلَلٌ
أروع: شجاع، خور: جبن

وَكُلُّ مُنْجَرِدٍ، فِي سَرَجِهِ أَسَدٌ فِي كَفِّهِ خَذِمٌ، فِي حَدِّهِ الْأَجَلُ
منجرد: حصان، في سرجه أسد: يركبه فارس شجاع، خذم: سيف

وَكُلُّ رَاعِفَةٍ، بِالْمَوْتِ هَادِرَةٍ كَأَنَّهَا الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ يَرْتَجِلُ
الراعية: الرمح يقطر دماً، وبما أنه سيجعلها في البيت التالي بندقية فقد صار الرعف بعيداً عنها

سَوَادٌ تَقْذِفُ مِنْ فَوَاهِئِهَا حُمَمًا هِيَ الصَّوَاعِقُ، إِلَّا أَنهَا شُعَلٌ
فَأَسْلَمُوا أَرْضُورُمًا، لَا طَوَاعِيَّةَ لَوْ كَانَ فِي وُسْعِهِمْ إِمْسَاكُهَا بِخُلُوعٍ
وَقَرَّ قَائِدُهُمْ، لَمَّا عَرَضَتْ لَهُ كَمَا يَفِرُّ، أَمَامَ الْقَشْعَمِ، الْحَجَلُ
القشعم: النسر، الحجل: من الطيور

لَمْ يَقْصُرِ الرُّمْحُ عَنْ إِدْرَاكِ مُهْجَتِهِ لَكِنْ حَمَى صَدْرُهُ، وَقَعَ الطَّبَا، الْكَفَلُ
لم يكن الرمح قصيراً عن الوصول إلى قلب قائدهم، ولكنه هرب فحمى كفله (مؤخرته) صدره من
وقع الطبا (السيف)، أي أنه تلقى الضربات بمؤخرته

تَعَلَّمَ الرِّكْضَ، حَتَّى لَيْسَ تَلَحُّفُهُ هُوجُ الرِّيَّاحِ، وَلَا خَيْلٌ، وَلَا إِبِلٌ
هوج الرياح: الريح الهوجاء الشديدة

وَبَاتَ أَنْوَرُ فِي يَلْدِيزَ مُخْتَبِئًا لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ الشُّكْلُ وَالْهَبَلُ
أنور باشا: وزير الحرية العثماني، يلديز: قصر يلدز في إستانبول، الشكل والهبل: فقد الولد

فِي وَجْهِهِ صُفْرَةٌ حَارَ الطَّبِيبُ بِهَا مَا يَصْنَعُ الطَّبُّ فَيَمْنُ دَاوُهُ الْخَبَلُ؟
لَمْ يَبْقَ فِيهِ دَمٌ كَيْمَا يُجْمَعُهُ فِي وَجْهِهِ، عِنْدَ ذِكْرِ الْخَبِيَّةِ، الْخَجَلُ
مصكوك صكاً حلواً هذا البيت، والمعنى جديد

يَزِيدُ وَخَشَتَهُ إِعْرَاضُ عُودِهِ وَيَنْكَأُ الْجُرْحَ فِي أَحْشَائِهِ الْعَذْلُ

عوده: زائرته وهو مريض، ينكأ الجرح: يفتحه، العذل: اللوم

إِذَا تَمَثَّلَ جَيْشُ التُّرْكِ مُنْدَجِرًا ضَاقَتْ بِهِ، مِثْلَمَا ضَاقَتْ بِذَا، الْحَيْلُ

عندما يتذكر هزيمة جيش الترك تضيق حيلته، أي لا يدري ما يصنع، مثلما ضاقت حيلة الجيش

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ عَمَّنْ طَالَ صَبْرُهُمْ عَلَى النَوَائِبِ، لَا مَرَّتْ بِكَ الْعِلَلُ

أيها الأمير الروسي، أَدْعُو أَلَا تَصِيكَ الْأَسْقَامُ

أَظْلَقْتَهُمْ مِنْ قُبُودِ الظُّلَمِ فَانْطَلَقُوا وَكُلُّهُمْ أَلْسُنٌ تَدْعُو وَتَبْتَهِلُ

لو كَانَ يُنْشِرُ مَيْتًا غَيْرَ بَارِيهِ أَنْشَرْتَ، بَعْدَ الرَّدَى، أَرْوَاحَ مَنْ قُتِلُوا

قَدْ جَاءَ مَنْ يَمْنَعُ الضَّعْفَى وَيُرْغِمُكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا عَنْهُمْ النَّيْرَ الَّذِي حَمَلُوا

يمنع: يحمي

أَمَنْتَ أَرَمِينِيَا مِمَّا تُحَاذِرُهُ فَلَنْ تَعِثَ بِهَا الْأَوْغَادُ وَالسَّفَلُ

نعيث: تخرب، وكان للترك قتل ذريع في الأرمن في سنة ١٩١٥

مَزَقْتَ جَمْعَهُمْ تَمْزِيقَ مُقْتَدِرٍ عَلَى الْمَهْتَدِ، بَعْدَ اللَّهِ، يَتَكَلَّ

أي أنه يتوكل على السيف، بعد توكله على الله

الْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ عَارٍ لَا تُظَهِّرُهُ نَارُ الْجَحِيمِ، وَلَوْ فِي حَرِّهَا اغْتَسَلُوا

جَاوَيْدُ فَوْقَ فِرَاشِ الذُّلِّ مُضْطَجِعٌ وَظَلَعْتُ بِرِدَاءِ الْخَوْفِ مُشْتَمِلٌ

جاويد باشا: وزير من جماعة الاتحاد والترقي، طلعت باشا: الصدر الأعظم، رئيس وزراء

لَا نَعْرِفُ الْأَمْنَ أَرْوَاحَ تُرَوْعَهَا ثَلَاثَةٌ: أَنْتَ وَالنَّيْرَانُ وَالْأَسْلُ؟

الأسل: الرماح

أَجْرَيْتَ خَوْفَ الْمَنَايَا فِي غُرُوقِهِمْ فَلَنْ يَعِيشَ لَهُمْ نَسْلٌ إِذَا نَسَلُوا

قَدْ مَاتَ كَهْلُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَيْتَتِهِ وَشَاخَ نَاشِئُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَكْتَهِلُ

قصيدة حلوة الرنين عتيقة الطراز، تطير بجناحي أبي الطيب وأبي تمام، ولكن أصالتها مستمدة من شعور أبو ماضي العميق بالحدث، فهو متالم للأرمن ومقتلتهم، وحاقدا على الأتراك، ولا سيما بعد اتباع جماعة الاتحاد والترقي سياسة التتريك، وتشددهم في معاملة العرب أثناء الحرب العالمية الأولى

٢٤ كلنا قابيل

استحر القتل في سنة ١٩١٦ في أتون الحرب العالمية الأولى:

كَمْ، قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، وَلَيَّ جِيلٌ هِيَهَاتَ، لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلُ
صَحِكَ الشَّبَابُ مِنَ الْكُهُولِ فَأَعْرَقُوا، وَاسْتَيْقَظُوا؛ فَإِذَا الشَّبَابُ كُهُولُ
نَأْتِي، وَنَمُضِي، وَالزَّمَانُ مَخْلَدٌ الصَّبِيحُ صَبِيحٌ، وَالْأَصِيلُ أَصِيلُ
يَا أَرْضَ أَوْرُبَّا! وَيَا أَبْنَاءَهَا! فِي عُنُقِ مَنْ هَذَا الدَّمُ الْمَظْلُوعُ؟
المطلول: المسفوك هدرًا

مَرْقُفْتُمْ أَقْسَامَكُمْ وَعُهْدَكُمْ وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّهَا التَّنْزِيلُ
قَابِيلُ، يَا جَدَّ الْوَرَى، نَمَّ هَانِيًا كُلُّ امْرِئٍ فِي ثَوْبِهِ قَابِيلُ

٢٥ ضد الحكم التركي

رَجَالَ الثُّرُكْ! مَا نَبْغِي انْتِقَاصًا لَعَمْرُكُمْ! وَلَا نَبْغِي انْتِقَامًا
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ وَنَكْرَهُ مَنْ يَرِيدُ لَنَا اهْتِضَامًا
اهتضام: ظلم

حَمَلْنَا نِيرَ ظُلْمِكُمْ قُرُونًا قَابِلَاهَا، وَأَبْلَانَا، وَدَامَا
ظلمكم أبلى قرونًا من الزمن، وأبلانا، واستمر

رَعَيْتُمْ أَرْضَنَا، فَتَرَكَتُمُوهَا إِذَا وَقَعَ الْجَرَادُ رَعَى الرُّغَامَا
الرغام: التراب

خَفِيَ الثُّرُكِيُّ بِخَلِيفٍ بِالمثاني وَخَفَهُ كُلَّمَا صَلَّى وَصَامَا
وقالوا: نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورٌ وَإِنَّ بِنَا الْخِلَافَةَ وَالْإِمَامَا
فَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ يَجُوزُوا وَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ نَضَامَا
سَنُوقِدُهَا تُعِيرُ الشَّمْسَ نَارًا وَيُعْغِي أَمْرُهَا الْجَيْشَ اللَّهُمَّا
الجيش اللهم: الجيش الكبير

وَعِلْمُ الْمَرءِ أَنَّ الْمَوْتَ آتٍ يُهَوِّنُ عِنْدَهُ الْمَوْتَ الرُّؤَامَا
الموت الزؤام: السريع

٢٦ عرب وأتراك

أَرْضَ آبَائِنَا! عَلَيْكَ سَلامٌ وَسَقَى اللّهُ أَنْفُسَ الْآبَاءِ
 مَا هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعاً لَا تَظَنِّي الْعُقُوقَ فِي الْأَبْنَاءِ
 وَاعْتَرَابُ الْقَوِيِّ عِزٌّ وَفَخْرٌ وَاعْتَرَابُ الضَّعِيفِ بَذْءُ الْفَنَاءِ
 نَحْنُ، فِي دَوْلَةٍ تَلَاشَتْ قُوَاهَا، كَالنُّصَارِ الْمَدْفُونِ فِي الْقَبْرِاءِ
 النصارى: الذمى، الغرباء: الأراض

أَوْ كَمِثْلِ الْجَنِينِ، مَاتَتْ بِهِ الْحَا مَلٌ حَيًّا، يَجُولُ فِي الْأَحْشَاءِ
 عَجَباً كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَصْلُ فَرَعاً وَالضُّحَى كَيْفَ حَلَّ فِي الظُّلُمَاءِ
 الأصل: يعنى العرب، فقد أصبحوا الآن فرعاً وصار الأتراك الحاكمون هم الأصل

مَا كَفَفْنَا مَظَالِمَ الثُّرُكِ حَتَّى زَحَفُوا كَالْجَرَادِ أَوْ كَالْوَبَاءِ
 سَوْفَ يَذْرَوْنَ أَنَّمَا الْعُرْبُ قَوْمٌ لَا يُبَالُونَ غَيْرَ رَبِّ السَّمَاءِ
 يَوْمَ لَا تُنْبِتُ السَّهْلُ سِوَى النَّا سِ، وَغَيْرَ الْأَسِنَّةِ السَّمَرَاءِ

أدب وتاريخ: الأدب أولاً: يرى إيليا أن العرب هم الأصل، وأن الدولة العثمانية ظلمتهم بجعلهم العنصر الثاني فيها. يرى العرب ذهاباً مدفوناً في بطن الدولة العثمانية، أو - وهذا التشبيه الأجمل - جينياً يتحرك في بطن أم ميتة. ويتوعد الأتراك بحرب شعواء عليهم بينما هم منشغلون في الحرب العالمية الأولى وقد أفقروا بلاد الشام وأخذوا خيراتها ورجالها للمجهود الحربي، وحكموها بالحديد والنار. وسيأتي يوم تنبت الأرض فيه ناساً وسلاحاً يحرر بلاد العرب من نير الأتراك. هذا التشبيه جميل أيضاً. الواقع أن العرب ثاروا على الأتراك والأتراك منهزمون في الحرب الأولى، وثاروا بسلاح أوروبي وبقرار أوروبي، فظلوا تابعين للمستعمر.

التاريخ: في أواخر أيام الدولة العثمانية كان العرب مرتاحي البال؛ نعم، مرتاحي البال. رغم مظالم جمال باشا السفاح، ورغم التجديد الإجباري. كانوا مرتاحي البال لأنهم كانوا يملكون سبباً خارجياً كبيراً لتخلفهم وانحسار مجدهم السياسي والثقافي: ذلك السبب هو أن دولة الأتراك تحكمهم. مثلهم في ذلك مثل موظف قليل المهارات، كسول، له مدير حمار. فكلما ليم على تقصيره قال انظروا إلى مديري. فيرون المدير أحمر من الموظف فيسكتون، ويحس الموظف براحة بال. ولو أطيح بذلك المدير فالموظف سينكشف. نعم، كان العرب والدولة العثمانية كشهاب الدين وأخيه.

كان العرب المسيحيون في بلاد الشام يكرهون الحكم العثماني أكثر مما يكرهه العرب المسلمون، فلإستانبول تعطل عليهم الانتفاع بعلاقاتهم بدول أوروبا، هذه العلاقات التي فرضتها قنصل أوروبا فرضاً على الدولة العثمانية الهرمة. كان المسيحيون العرب بوابة لأوروبا لدخول المنطقة دخولاً استعماريّاً. في تلك الحقبة

كان المسيحيون عروبيين جداً، فهم عرب قبل كل شيء، وهذا الانتماء العروبي يصب في مساعهم لإزالة الكابوس العثماني. كان منهم من اندفع وراء الحلم، وأراد أن يبنّي دولة عربية، وكان منهم من أراد التخلص من الحكم العثماني بأي ثمن، ثم لا يبالى إن تحققت مصالحه عن طريق ارتباط قوي بأوروبا أو عن طريق الاستقلال الحقيقي. وأنا أضع إيليا أبو ماضي في الخانة الثانية. إن العلاقة بين مسيحيي بلاد الشام وأوروبا علاقة مشحونة بالتعقيد، وهي بحاجة إلى كثير من الدرس والفحص، ولا عذر لباحث يقدم على مثل هذه الدراسة وهو متفوخ بالغرض (بالإيديولوجيا) كالطلّ. قد كان للمسلمين مصالح مع إستانبول، وكان لهم مصالح مع أوروبا، المحتل الجديد. وكل ما يميز المسيحيين أنهم مالوا إلى أوروبا أكثر لأن الدولة العثمانية لم تكن تعطيهم امتيازات، بينما الوحش الأوروبي المقبل كان يعدّهم بكثير منها، وكان قد بدأ بمنحهم الامتيازات قبل عقود من الحرب العالمية الأولى، حتى يكونوا بوابته إلى الشرق الأوسط. إيليا أبو ماضي لم يكن مفكراً سياسياً ولا مؤرخاً. وكان في تلك الفترة الفاصلة شاباً في أواسط العشرين، ومن مهجره المصري ثم الأميركي رأى الدنيا بعين العربي الذي أزعجته إستانبول عن وطنه، وراح يرحب بالغازي الأوروبي ترحيماً ساذجاً، لكنه ترحيب نابع من القلب، وقرأ القصيدة المقبلة..

٢٧ منقذ المسيح

أَلُنْبِي! لَوْ طَبَعْنَا الشَّمْسَ يَوْمًا وَقَلَّدْنَاكَهَا سَيْفًا صَفِيحًا
يريد أن يذيب الشمس ويطيع (يصك) منها سيفاً للجنرال أنبي، الجنرال البريطاني الذي احتل القدس من العثمانيين

وَرَصَّعْنَاهُ بِالشُّهُبِ الدَّرَارِي لَمَّا زِدْنَاكَ فُخْرًا، أَوْ مَدِيحًا
غَضِبْتَ عَلَى الْهِلَالِ، فُخْرًا دُعْرًا وَلُحِثَ لَهُ، فَحَادَرَ أَنْ يَلُوحًا
الهِلال: شعار الدولة العثمانية

مَشَتْ بِكَ هِمَّةٌ فَوْقَ الثَّرِيَا فَزَلَزْتَ الْمَعَاقِلَ وَالصُّرُوحَا
مِنَ الْوَادِي، إِلَى صَحْرَاءِ سِينَا إِلَى أَنْ زُرْتَ ذِيَاكَ الضَّرِيحَا
الوادي: مصر، ذياك الضريح: ذاك الضريح، أي (قبر المسيح) بكنيسة القيامة في القدس
فَكَانَ الْجُنْدُ كُلُّهُمْ يَشُوعَا وَكَانَتْ كُلُّ سُورِيَا أَرِيحَا
يشوع بن نون: القائد الذي أرسله موسى لحرب الجبارين، وقد هَدَمَ أسوار أريحا واحتلها
فَإِنْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدَى الْبَرَايَا فَإِنَّكَ أَنْتَ أَنْقَذْتَ الْمَسِيحَا

كان إيليا أبو ماضي قد انتقل في السنة الفاتنة إلى نيويورك، وفي قصيدته هذه تأثر - بالإضافة إلى ما يمكنه من مشاعر كراهية للترك - بما نشرته الصحف الأميركية، مثال ذلك مانشيت صحيفة «النيويورك هيرالد»: (البريطانيون ينقذون القدس بعد ٦٧٣ سنة

من الحكم الإسلامي). بل لقد كانت القدس تحت الحكم الإسلامي منذ عمر بن الخطاب، ولكن الصحيفة اعتبرت احتلال الصليبيين للقدس - وذبحهم سبعين ألفاً من المدنيين فيها - بدء التاريخ.

٢٨ الشاب المهموم وجارته

ما بال هذا الفتى في الدار مُعْتَزِلاً كما تَوَحَّدَ نُسَاكَ وَرُهْبَانُ
يمرُّ بالقربِ مِنَّا، لا يكلِّمُنَا وللحديثِ مَجَالٌ، وَهُوَ مِلْسَانُ
ملسان: أبو لسان

وإنْ نُكَلِّمُهُ لا يَفْقَهُ مَقَالَتَنَا إلَّا كما يَفْقَهُ التَّسْبِيحَ سَكْرَانُ
كأنما نِيْظَتِ الدُّنْيَا بِعَاتِقِهِ كأنما كُلُّ عُضْوٍ فِيهِ بُرْكَانُ
كأنه موَكَّل بشؤون الدنيا فهو يحملها على عاتقه (ظهره)

فلا ابتسَامُ ذَوَاتِ العُنُجِ يَطْرِبُهُ ولا ابْنَةُ الحَانَ تُصَيِّبُهُ وَلَا الحَانَ
ابنة الحان: الخمرة، تصيبه: تستميله

أما لَهُ جِيرَةٌ فِي الأَرْضِ يَأْلِفُهُمْ؟ يَا جَارَتِي، كَانَ لِي أَهْلٌ وَجِيرَانُ
فَبَتَّتِ الحَرْبُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، كما تَقَطَّعَ أُمْرَاسٌ وَخَيْطَانُ
بَتَّت: قطعت، تَقَطَّعَ: تنقطع، أمراس: حبال. ما كان أغناه عن هذه الخيطان، أَفَيَقَطُّعُ المراء
الخيطان بعد أن قَطَّعَ الحبال؟

فلا المِغَانِي التي أَشْتَأَقُ رُؤْيَها تِلْكَ المِغَانِي، وَلَا السَّكَّانُ سَكَّانُ
وَلَوْ يَبُثُّ بَنُو لُبْنَانَ لَوَعَتْهُمُ لَاهْتَزَّتِ الأَرْضُ لَمَّا اهْتَزَّ لُبْنَانُ
قَالَتْ: شَكُوتُ الَّذِي بِالْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَمَا كَذَبْتُكَ إِنَّ الحَرْبَ طُوفَانُ
وإنَّ قَوْمِي طَيُورٌ غَيْرُ كَاسِرَةٍ سَطَّتْ عَلَيْهَا شَوَاهِينُ وَعِقْبَانُ
الشواهين والعقبان: من الطيور الكواسر

لا تضحكوا، وبِأَرْضِ الشَّامِ نَائِحَةٌ وَلَا تَنَامُوا، وَفِي لُبْنَانَ سَهْرَانُ

٢٩ تحية لمصر

أَشَقَى البَرِّيَّةِ نَفْسًا، صَاحِبُ الهِمَمِ وَأَتَعَسُ الخَلْقِ حَظًّا، صَاحِبُ القَلَمِ
وَيْلَ اللَّيَالِي! لَقَدْ قَلَّدَنِي ذَرِبًا أَدْنَى إِلَى مُهْجَتِي مِنْ مُهْجَةِ الخَصِمِ
ويل للزمن فقد قلدني (منحني) ذريباً (لساناً حاداً) ضرره أقرب إلى قلبي من قلب الخصم

ما حَدَّثْتَنِي نَفْسِي أَنْ أَحْطَمَهُ إِلَّا خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي مِنَ النَّدَمِ
يَأْبَى الشَّقَاءُ، الَّذِي يَدْعُونَهُ أَدَبًا، أَنْ يَضْحَكَ الطَّرْسُ إِلَّا إِنْ سَفَكْتُ دَمِي
الطرس: الورقة

أَصْبَحْتُ أَنْحَلَ مِنْ طَيفٍ، وَأَخِيرَ مِنْ صَبٍّ، وَأَسْهَرَ مِنْ رَاعٍ عَلَى غَنَمٍ
قيل الضب (وهو من زواحف الصحراء) يفارق جحره ثم يحار ولا يهتدي إليه
ليس الوقوف على الأطلال مِنْ خُلُقِي ولا البكاء على ما فات مِنْ شَيْمِي
لَكِنَّ مِضْرًا، وَمَا نَفْسِي بِنَاسِيَةٍ، مَلِيكَهُ الشَّرْقِ ذَاتُ النَّيْلِ وَالْهَرَمِ
صَرَفْتُ شَطْرَ الصَّبَا فِيهَا، فَمَا خَشِيتُ نَفْسِي الْعِثَارَ، وَلَا نَفْسِي مِنَ الْوَصَمِ
الوصم: الإهانة

فِي فِتْيَةٍ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ أَوْجُهُهُمْ؛ مَا فِيهِمْ غَيْرُ مَطْبُوعٍ عَلَى الْكَرَمِ
جَادَ الْكِنَانَةَ عَنِّي وَابِلٌ غَدِيقٌ وَإِنْ يَكُ النَّيْلُ يُغْنِيهَا عَنِ الدَّيَمِ
وابل غدق: مطر كثير، الديم: السحب

الشَّرْقُ تَاجٌ، وَمِضْرٌ مِنْهُ دُرُّهُ والشَّرْقُ جَيْشٌ، وَمِضْرٌ حَامِلُ الْعَلَمِ
مَا زِلْتُ، وَالْدَّهْرُ تَنْبُو عَنْ يَدِي يَدُهُ، حَتَّى نَبَتْ ضِلَّةٌ عَنْ أَرْضِهَا قَدَمِي
ظَلَلْتُ والزمن تنبو (تنحرف) يده عن يدي (لا يواتيني السعد) حتى نبت ضلة (انحرفت)، ويا
للضلال) قدمي عن مصر ففارقها

أَصْبَحْتُ فِي مَعْشَرٍ تَقْدِى الْعِبُونَ بِهِمْ شَرٌّ مِنَ الدَّاءِ فِي الْأَحْشَاءِ وَالتَّخَمِ
مِنْ كُلِّ قَطْرٍ يُرِيكَ الْقَرْدَ، مُحْتَشِمًا وَيَضْحَكَ الْقَرْدُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
يهجو أهل زمنه، فالواحد منهم فظ تراه محتشمًا (متزنًا) فكانما يريك في شخصه صورة القرد،
وبراه القرد فيضحك منه غير محتشم (دون أن يخجل)

مِنَ الْأَعَارِبِ، لَكِنْ حِينَ أَنْشِدُهُ جَوَاهِرَ الشُّعْرِ أَلْقَاهُ مِنَ الْعَجَمِ
لَا عَيْبَ فِي مَنَظِقِي، لَكِنْ بِهِ صَمَمٌ إِنَّ الصَّوَادِحَ خُرْسٌ عِنْدَ ذِي الصَّمَمِ
الصوادح: البلايل

٣٠ الإنسان يغزو الجو

ما أَظُنُّ النِّعِيمَ فِيهِ الَّذِي فِي الْـ أَرْضٍ مِنْ بَهْجَةٍ، وَمِنْ لَأْلَاءِ
النِّعَمِ: الجنة، اللألاء: الفرح التام

كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ لِلْمَرْءِ عَبْدٌ وَهُوَ عَبْدُ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ
سَادَ فِي الْكَوْنِ مِثْلَمَا سَادَ فِيهِ خَالَقُ الْكَوْنِ مَبْدَعُ الْأَشْيَاءِ
فَهُوَ فِي الْمَاءِ سَابِغٌ، وَعَلَى الْعَبْدِ رَاءِ مَا شِئَ، وَطَائِرٌ فِي الْفَضَاءِ
وَهُوَ بَيْنَ النُّجُومِ يَسْتَرِقُّ السَّمْعَ، وَلَا يَتَّقِي رُجُومَ السَّمَاءِ
رجوم السماء: الشهب الهاوية

مَشْهَدٌ رَوَّعَ الدَّرَارِي، قَبَاتَتْ حَائِرَاتٍ فِي الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
الدَّرَارِي: النجوم، القبة الزرقاء: السماء
نَافِرَاتٍ كَأَنَّهَا ظَبَايَاتٌ رَأَتْ الْقَانِصِينَ فِي الْبِيدَاءِ

٣١ بطل الشام

حَيَّ الشَّامَ: مُهَنَّدًا وَكِتَابًا وَالْعُوطَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمُخْرَابَا
المحراب: لعله يقصد الجامع الأموي

لَيْسَتْ قِبَابًا مَا رَأَيْتُ، وَإِنَّمَا عَزُمَ تَمَرْدٌ، فَاسْتَطَالَ قِبَابَا
بِأَبِي وَأُمِّي فِي الْعَرَاءِ مُوسَّدٌ بَعَثَ الْحَيَاءَ مَطَامِعًا وَرِعَابَا
لَمَّا نَوَى فِي مَيْسَلُونِ تَرْتَنَحْتُ هَضْبَاتُهَا، وَتَنَفَّسْتُ أَطْيَابَا
هذا يوسف العظمة شهيد ميسلون الذي وقف أمام الفرنسيين الغزاة

مَا كَانَ يُوسُفٌ وَاحِدًا، بَلْ مَوْكِبًا لِلنُّورِ، غُلْغُلَ فِي الشَّمُوسِ فَعَابَا
غلغل: تغلغل

هَذَا الَّذِي اشْتَقَّ الْكَرَى نَحْتَ الثَّرَى كَيْ لَا يَرَى فِي جِلْقِ الْأَغْرَابَا
جلق: دمشق

٣٢ أرضٌ زجاجٌ وحذاءٌ زئبق

جَاءَ الشِّتَاءُ جِيئَةً الْمَفَاجِي الْمَفَاجِي: المفاجئ

وَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنِ اللَّجَاجِ اللَّجَاج: الجدل

وانقَبَضَ النهرُ عن الهِجَاجِ
إذا أَرَدْتُ السَّيْرَ فِي مِثْهَاجِي
منهاجي: طريقي

طَالَ عِثَارِي فِيهِ، وَأَنْزِلَاجِي
كَأَنَّني أَمْشِي عَلَى زُجَاجٍ
مُخْتَذِيًا بِالزُّبُقِ الرَّجْرَاجِ
كَأَنَّني أَلْبَسُ حِذَاءَ مَنْ زُبِقَ
إِنْ لَجَّ هَذَا الْقُرُّ فِي إِخْرَاجِي
لج: ألح، القر: البرد

لَأَزْفَعَنَّ لِلْسَّمَاءِ احْتِجَاجِي

٣٣ عتب يؤول إلى انتقاد

وَرُبَّتْ سَاهِرٌ فِي بَغْلَبَكْ يُشَاطِرُ جَفْنُهُ النَّجْمَ السُّهَادَا
ربت: رب، يتألم الشاعر لآلام أهله، فمنهم ساهر في بعلبك يشارك النجم السهر
يَزِيدُ اللَّيْلُ كَرِبَتَهُ اشْتِدَادًا وَقَرِطُ الْهَمِّ لَيْلَتَهُ سَوَادَا
إذا مَالَ النُّعَاسُ بِأَخْذَعَيْنِهِ ثَنَى الذُّغْرُ الْكَرَى عَنْهُ، وَذَاذَا
الأخدعان: عرقان في جانبي العنق، ذاد: منع

بِهِ الدَّاءُ إِنْ مِنْ سَغَبٍ وَخَوْفٍ فَمَا ذَاقَ الطَّعَامَ، وَلَا الرُّقَادَا
سغب: جوع

أَتَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَتَرْتَدِيهِ وَيَفْتَرِشُ الْجَنَادِلَ وَالْقَتَادَا
أيها الحاكم باسم المحتل الفرنسي إنك تفتش الحرير وابن البلد يفتش الجنادل (الصخور)،
والقتاد (الشوك)

أَتَدْفَعُ بِالْغَوِيِّ إِلَى التَّمَادِي وَتَعْجَبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ تَمَادَى
الغوي (الظالم) هو المحتل

سَكَّتْ فَقَامَ فِي الْأَذْهَانِ شُكٌّ وَقُلْتُ، فَأَصْبَحَ الشُّكُّ اعْتِقَادَا

تَجَهَّمَتِ الْقَرِيضَ فَفَاضَ عَتَبًا وَإِنْ أَخْرَجْتَهُ فَاضَ انْتِقَادًا

تجهمت القرية: تجاهلت الشعر. يقول: الحكام المحليون الذين أقامهم الفرنسي في سوريا ولبنان سكنوا عن أفاعيله فشك الناس في نواياهم، وعندما تكلموا مبررين هذه الأفاعيل زال الشك وتأكد الناس من أن الحكام أدوات بيد المحتل. وهؤلاء الحكام يتجاهلون تحذيرات الشعراء فينالهم من الشعراء العتب، وبعد العتب يأتي الانتقاد

٣٤ في اللاذقية ضجة

ما بال قومي ناثمين عن العلى ولقد تنبأ للعلى الثقلان

الثقلان: الإنس والجن، يقصد الجميع

تُبَاعُ أحمدَ والمسيحِ، هوادة! ما العهد أن يتنكر الأخوان

هوادة: تمهلوا

اللَّهُ رَبُّ الشَّرْعَيْنِ، وَرَبُّكُمْ فإلى متى في الدين تختصمان؟

مهما يكن من فارق؛ فكلاكما ينمى إلى قحطان أو عسان

ينمى: ينسب

فُخِّدُوا بِأَسْبَابِ الْوَفَاقِ، وَظَهَّروا أكبادكم من لؤة الأضغان

لؤة الأضغان: جنون الأحقاد

فِيمَا يُحِيقُ بِأَرْضِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ شُغْلٌ لِمُشْتَغِلٍ عَنِ الْأَدْيَانِ

يحيط: يحيط

لَا رَأْيَ يَجْمَعُكُمْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَا وَتَلَاقَتِ الْفُرْسَانُ بِالْفُرْسَانِ

اختلف القنا: تشابكت الرماح

لَا ذَنْبَ لِلْأَقْدَارِ فِي إِذْلَالِكُمْ هَذَا جَزَاءُ الْغَافِلِ الْمُتَوَانِي

٣٥ الحمى وتقويم الأضلاع

مَرَضْتُ، فَأَرْوَاخُ الصُّحَابِ كَثِيبَةٌ بِهَا مَا بِنَفْسِي، لَيْتَ نَفْسِي لَهَا فِدَى

تُرَفُّ حِيَالِي، كُلَّمَا أَعْمَضَ الْكَرَى جُفُونِي، جَمَاعَاتٌ وَمَشْنَى وَمَوْحَدَا

يتراءى له أن العواد يزورونه جماعات وأفراداً

تَرَأَى، فَأَنَا كَالْبُدُورِ سَوَافِرًا وَأَوْنَةً مِثْلَ الْجَمَانِ مُنْضَدًا

تراءى: تراءى، الجمال: اللؤلؤ

أَحِنُّ إِلَيْهَا رَائِحَاتٍ وَعُودًا سَلَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَاتٍ وَعُودًا

تَهَشُّ إِلَيْهَا مُقْبِلَاتٍ جَوَارِحِي كَمَا طَرِبَ السَّارِي رَأَى النُّورَ فَاهْتَدَى

وَأَلْقَى إِلَيْهَا السَّمْعَ، مَا طَالَ هَمُّهَا كَذَلِكَ يَسْتَرْعِي الْأَذَانُ الْمَوْحَدَا

وَيَغْلِبُ نَفْسِي الْحَزَنُ عِنْدَ رَحِيلِهَا كَمَا تَحْزَنُ الْأَزْهَارُ زَايِلَهَا النَّدَى

مَبِيتِي عَلَى مِثْلِ الْوَثِيرِ لِيَانَةً وَأَحْسَبُنِي فَوْقَ الْأَسِنَّةِ وَالْمُدَى

المدى: السكاكين. (مثل الوثير) لا معنى لها فالفراس وثير أي موطنًا مهمّد، وهذه من إهمالات الشاعر وتجاوزاته

لَقَدْ تَوَشَّكَ الْحُمَى، إِذَا جَدَّ جِدُّهَا نُقُومٌ مِنْ أَضْلَاعِي الْمُتَأَوِّدَا

المتأود: المعوج. المعنى قديم والصياغة حلوة موفقة

تُصَوِّرُ لِي طَبِيفَ الْخِيَالِ حَقِيقَةً وَأَحْسَبُ شَخْصًا وَاحِدًا مُتَعَدِّدًا

هذه هلوسات الحمى، يحسب أحلامه حقيقة ويرى الشخص شخصين

لَقَدْ ضَعُضَعْتَنِي، وَهِيَ سِرٌّ، وَلَمْ يَكُنْ يُضَعُضِعُنِي صَرَفُ الزَّمَانِ إِذَا عَدَا

إِذَا مَا أَنَا أَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى يَدِي رَمْتَنِي مِنْهَا بِالَّذِي يُوهِنُ الْيَدَا

يوهن: يتعب

تَغْلُغَلْ فِي جِسْمِي النَحِيلِ أَوَارِهَا فَلَوْ لَمْ أَقَدْ الثُّوبَ عَنْهُ تَوَقَّدَا

أوارها: حرّها

رَأَيْتُ الَّذِي لَمْ يُبْصِرِ النَّاسُ نَائِمًا وَطُقْتُ الدُّنَى، شَرْقًا وَغَرْبًا، مُوسَدَا

رأى في هلوسة الحمى الأعاجيب

فَمَا سَاءَنِي إِلَّا شَمَاتَةٌ مَعَشِرٍ رَجَوْتُ بِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ مُسْعِدَا

وَوَدَّ أَنَاسٌ لَوْ يُعَاجِلُنِي الْرَدَى كَأَنِّي أَرْجُو فِيهِمْ أَنْ أُخْلَدَا

وَمَا ضَمِنُوا أَنْ لَا يَمُوتُوا، وَإِنَّمَا يَوَدُّ زَوَالَ الشَّمْسِ مَنْ كَانَ أَرْمَدَا

وَلَكِنِّي أَعْفُو، وَلِلْغَيْظِ سَوْرَةٌ أَعْلَمُ أَعْدَائِي الْمَرْوَةَ وَالنَّدَى

سورة: شدّة

أَلَا رَبُّ غَرٍّ خَامَرَ الشُّكَّ نَفْسَهُ فلما رَأَيْتُ أَبْصَرَ الْبَحْرَ مُزِيدًا
 رب غر (أحمق) خامر (داخل) الشك نفسه بأني ضعيف، فلم رَأَيْتُ رَأَى كَيْفَ يَكُونُ الْبَحْرَ هَانِجًا
 يعلوه الزبد

فَأَصْبَحَ يَخْشَانِي، وَقَدْ بَثَّ سَاكِتًا كما كَانَ يَخْشَانِي وَقَدْ كُنْتُ مُنْشِدًا
 وَمَنْ نَالَ مِنْهُ السَّيْفُ، وَهُوَ مُجَرَّدٌ، تَهَيَّبَ أَنْ يَرُنُو إِلَى السَّيْفِ مُغْمَدًا

٣٦ وجعد جبهتي تجعيدا

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْعَيُونَ السُّودَا خَلَقَ الْقُلُوبَ الْخَافِقَاتِ حَدِيدًا
 عَوْدُ فُؤَادِكَ مِنْ نِبَالٍ لِحَاطِطِهَا أَوْ مُتْ، كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ، شَهِيدًا
 إِنْ أَنْتَ أَبْصَرْتَ الْجَمَالَ، وَلَمْ تَهْمُ كُنْتُ امْرَأَةً خَشِنَ الطَّبَاعِ، بَلِيدًا
 وَإِذَا طَلَبْتَ مَعَ الصَّبَابَةِ لَذَّةً فَلَقَدْ طَلَبْتَ الضَّائِعَ الْمَوْجُودَا
 هِيَ نَظْرَةٌ عَرَّضْتُ، فَصَارَتْ فِي الْحَشَا نَارًا، وَصَارَ لَهَا الْفُؤَادُ وَقُودَا
 إِنْ كُنْتُ تَدْرِي مَا الْغَرَامُ، فَدَاوِنِي أَوْ لَا، فَخَلَّ الْعَدْلُ وَالْثَّقْنِيدَا
 التفنيد: اللوم والتخطئة

يَا هَذَا! قَدْ أَفْتَى الْمِطَالُ تَصْبِيرِي وَفَنَيْتُ، حَتَّى مَا أَخَافُ مَزِيدًا
 مَا هَذَا الْبَيْضُ الَّتِي أَبْصَرْتَهَا فِي لِمْتِي إِلَّا اللَّيَالِي السُّودَا
 لِمْتِي: شعري

هَذَا الَّذِي أَبْلَى الشَّبَابَ، وَرَدَّهُ خَلَقًا، وَجَعَدَ جَبْهَتِي تَجْعِيدًا
 خلقًا: مهترئًا

٣٧ قصيدة الطين

نَسِيَ الطِّينُ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ مِنْ حَقِيرٍ، فَصَالَ تَيْهًا، وَعَرَبُدُ
 الطين: الإنسان المخلوق من طين، التيه: التكبر

وَكَسَا الْخَزُّ جِسْمَهُ فَتَبَاهَى، وَحَوَى الْمَالَ كَيْسُهُ فَتَمَرَّدُ
 الخز: الحرير

يَا أَخِي! لَا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنِّي، مَا أَنَا فَحْمَةٌ، وَلَا أَنْتَ فَرْقُدُ
 فرقد: اسم نجم في السماء

أَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ الْحَرِيرَ الَّذِي تَلْدُ بَسْ، وَاللُّؤْلُؤَ الَّذِي تَتَقَلَّدُ
 أَيُّهَا الْمَزْدَهِي، إِذَا مَسَّكَ السُّفْدُ مُمْ أَلَا تَشْتَكِي، أَلَا تَتَنَهَّذُ؟
 إِنَّ طَيْرَ الْأَرَاكِ لَيْسَ يُبَالِي أَنْتَ أَضْغَيْتِ، أَمْ أَنَا، إِنْ غَرَّدَ
 الأراك: نوع شجر

أَلَيْكَ الْحَقْلُ؟ هَذِهِ النَحْلُ تَجْبِي الشَّدَّ - هَدَّ مِنْ زَهْرِهِ، وَلَا تَتَرَدَّدُ
 وَأَرَى لِلنِّمَالِ مُلْكًا كَبِيرًا قَدْ بَنَتْهُ بِالْكَذْحِ فِيهِ، وَبِالْكَدِّ
 أَنْتَ فِي شَرْعِهَا دَخِيلٌ عَلَى الْحَقِّ لِي، وَلِصِّ جَنَى عَلَيْهَا، فَأَفْسَدُ
 لَوْ مَلَكَتِ الْحَقُولَ فِي الْأَرْضِ طُرًّا لَمْ تَكُنْ مِنْ فَرَاشَةِ الْحَقْلِ أَسْعَدُ
 طرأ: جميعاً

أَجْمِيلٌ؟ مَا أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْوَرْدِ دَوَّ ذَاتِ الشَّدَى، وَلَا أَنْتَ أَجْوَدُ
 أجود: أكثر جوداً وكرماً

أَمْ عَزِيزٌ؟ وَلِلْبَعُوضَةِ مِنْ خَدِّ - يَكُ قُوْتُ، وَفِي يَدَيْكَ الْمَهْنَدُ
 تمتص البعوضة دمك حتى والسيف بيدك

أَمْ قَوِيٌّ؟ إِذْنُ: مُرِ النَّوْمُ إِذْ يَغْفُ - شَاكَ وَاللَّيْلَ، عَنْ جُفُونِكَ يَرْتَدُّ
 فلأمر النوم إذ يغشاك والليل (يأتيك مع الليل) أن يرتد عن جفونك

وَامْنِعِ الشَّيْبَ أَنْ يُلِمَّ بِقَوْدَيْهِ كُ، وَمُرْ تَلَبَّثِ النَّضَارَةَ فِي الْخَدِّ
 الفودان: السالفان، ولأمر النضارة - أن - تلبث في خدك ولا تفارقه

أَيُّهَا الطِّينُ! لَسْتَ أَنْقَى وَأَسْمَى مِنْ تُرَابٍ تَدُوسُ، أَوْ تَتَوَسَّدُ
 سُدَّتْ أَوْ لَمْ تَسُدَّ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا حَيَوَانٌ مُسَيَّرٌ مُسْتَعْبَدُ
 إِنَّ قَضْرًا سَمَكْتَهُ سَوْفَ يَنْدُكُ - وَثَوْبًا حَبَكْتَهُ سَوْفَ يَنْقَدُ
 سمكته: رفعته، ينقد: يتقطع

لَا يَكُنْ لِلْخِصَامِ قَلْبُكَ مَأْوَى إِنَّ قَلْبِي لِلْحُبِّ أَصْبَحَ مَعْبَدُ
 سؤد الأديب الأردني روكس بن زائد العُزَيْزِي فصولاً في اتهام إيليا أبو ماضي بأنه نقل
 فكرة هذه القصيدة وقسطاً من كلامها من قصيدة بدوية أردنية. وفي المعركة التي قامت
 حول قصيدة الطين طرافة، ويورد روكس من البراهين ما هو جدير بالاستماع إليه

٣٨ بش المصير

كَانَتْ تُمَارِ حُنِي وَتَضَحُّكَ، فَانْتَهَى دَوْرُ الْمُزَاحِ، فَضَحَّكُهَا تَفْكِيرُ
قَالَتْ، وَقَدْ سَلَخَ ابْتِسَامَتَهَا الْأَسَى: صَدَقَ الَّذِي قَالَ، الْحَيَاةُ غُرُورُ
أَكْذَا نَمُوتُ، وَتَنْقُضِي أَحْلَامُنَا فِي لَحْظَةٍ، وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرُ؟
وَتَمُوجُ دِيدَانُ الثَّرَى فِي أَكْبُدِ كَانَتْ تَمُوجُ بِهَا الْمُنَى، وَتَمُورُ

تمور: تموج

خَيْرٌ، إِذَنْ، مِنَّا الْأَلَى لَمْ يُولَدُوا وَمِنْ الْأَنَامِ جَلَامِدٌ وَضُخُورُ
أَفْضَلُ مِنَّا مَنْ لَمْ يُولَدْ، وَأَفْضَلُ مِنَ الْبَشَرِ الْجَلَامِدُ، أَيِ الصُّخُورِ

فَأَجْبَتْهَا: لَتَكُنْ لِدِيدَانِ الثَّرَى أَجْسَامُنَا، إِنْ الْجُسُومَ قُشُورُ
لَا تَجْزَعِي! فَالْمَوْتُ لَيْسَ يَضِيرُنَا فَلَنَا إِيَابٌ بَعْدَهُ، وَنُشُورُ
فَإِذَا طَوَّئْنَا الْأَرْضَ عَنْ أَزْهَارِهَا وَخَلَا الدُّجَى مِنَّا، وَفِيهِ بُدُورُ
فَسْتَرْجِعِينَ خَمِيلَةَ مِغْطَارَةٍ أَنَا فِي ذَرَاهَا بُلْبُلٌ مَسْحُورُ
أَوْ نَسَمَةٍ، أَنَا هَمْسُهَا وَحَفِيفُهَا أَبْدَأُ تُطَوِّفُ فِي الرُّبَى، وَتَدُورُ
تَعْشَى الْخَمَائِلُ فِي الصَّبَاحِ بَلِيلَةَ وَتَوُوبُ، حِينَ تَوُوبُ، وَهِيَ عَبِيرُ
أَوْ نَلْتَقِي عِنْدَ الْكُثِيبِ، عَلَى رِضَا وَقِنَاعَةٍ، صَفْصَافَةٌ وَغَدِيرُ
تَمْتَدُّ فِيهِ، وَفِي ثَرَاهُ، عُرُوقُهَا وَيَسِيلُ تَحْتَ فُرُوعِهَا، وَيَسِيرُ

جذور الصفصافة تمتد في تراب الكثيب، والغدير ينساب تحت أغصانها

يَأْوِي إِذَا اشْتَدَّ الْهَجِيرُ إِلَيْهِمَا أَلِنَاسِكَانِ: الطَّبْيِيُّ وَالْعُضْفُورُ
الهجير: الحرّ

لَهُمَا سَكِينَتُهَا، وَوَارَفُ ظِلُّهَا وَالْمَاءُ، إِنْ عَطِشَا، لَدَيْهِ وَفِيرُ
فَتَبَسَّمتْ، وَبَدَا الرُّضَى فِي وَجْهِهَا إِذْ رَاقَهَا التَّمَثِيلُ وَالتَّضْوِيرُ
عَالِجَتُهَا بِالْوَهْمِ، فَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَكُمْ أَفَادَ الْمَوْجَعِ التَّخْدِيرُ

قريرة: سعيدة

ثُمَّ افْتَرَقْنَا ضَا حِكَيْنِ إِلَى غَدٍ وَالشُّهْبُ تَهْمِسُ فَوْقَنَا، وَتُشِيرُ

هِيَ كَالْمَسَافِرِ، أَبَ بَعْدَ مَشَقَّةٍ وَأَنَا كَأَنِّي قَائِدٌ مَنصُورٌ

صديقته كمسافر رجع بعد تعب، وهو مثل قائد منتصر بعد أن أقنعها بجدوى الحياة

لِكِنَّنِي، لَمَّا أَوْنِثُ لِمَضْجَعِي خَشَنَ الْفِرَاشُ عَلَيَّ، وَهُوَ وَثِيرٌ

حَامَتْ عَلَى رُوحِي الشُّكُوكُ، كَأَنهَا وَكَأَنَّهِنَّ: فَرِيَسَةٌ وَصُقُورٌ

كَانَ رُوحِي فَرِيَسَةً وَكَانَ الشُّكُوكُ صُقُورٌ

أَكْذَا نَمُوتُ، وَتَنْقُضِي أَحْلَامُنَا فِي لَحْظَةٍ، وَإِلَى التَّرَابِ نَصِيرُ؟

خَيْرٌ، إِذَنْ، مِنَّا الْأَلَى لَمْ يُوَلَّدُوا وَمِنْ الْأَنَامِ جَنَادِلٌ وَصُخُورٌ

٣٩ يا شهر أيار

أَيَّارُ يَا شَاعِرَ الشُّهُورِ وَبِسْمَةِ الْحَبِّ فِي الدُّهُورِ

وَخَالِقَ الزَّهْرِ فِي الرَّوَابِي وَخَالِقَ الْعِطْرِ فِي الزُّهُورِ

قَدْ كِدْتَ تُحْيِي الْمَوْتَى الْبَوَالِي وَتُنْثِي الْعُشْبَ فِي الصُّخُورِ

ألا قال: «قد كدت تحيي عظام موتى»، فسلم من زحاف غير مستحب في مخلع البسيط، ويفر من هذه البوالي التي تذكر المرء بالبول

وَتَجْعَلُ الشُّوكَ ذَا أَرِيحٍ وَتَجْعَلُ الصَّخَرَ ذَا شُعُورِ

تَشْكُو إِلَيْكَ الشُّتَاءَ نَفْسِي وَمَا جَنَاهُ مِنَ الشُّرُورِ

كَمْ لَدَعِ الزَّمْهَرِيرُ جِلْدِي وَدَبَّ حَتَّى إِلَى ضَمِيرِي

وَكَمْ لِبَالٍ جَلَسْتُ وَحْدِي مُنْقَبِضَ الصَّدْرِ كَالْأَسِيرِ

وَالشُّهُبُ مُزْنَاعَةٌ كَطَيْرٍ مُخْتَبِئَاتٍ مِنَ الصُّقُورِ

وَسَاعَةٌ وَجْهَهَا صَفِيْقٌ كَأَنَّهُ وَجْهُ مُسْتَعِيرِ

صفيق: صلب، قليل الحياء، والتشبيه طريف، والمستعير هو من يأتي ليستعير منك حاجة

أَبْطَأَ فِي السَّيْرِ عَقْرِبَاهَا فَأَبْطَأَ الْوَقْتُ فِي الْمَسِيرِ

الوقت يمر بطيئاً بنسب ببطء عقارب الساعة، طريف هذا

حَتَّى كَأَنَّ الزَّمَانَ أَعْمَى يَمْشِي عَلَى الشُّوكِ فِي الْوُغُورِ

لَقَدْ تَوَلَّى الشُّتَاءَ عَنَّا فَصَقَّقِي، يَا مُنَى، وَطَيَّرِي

لو عاش إيليا في العصر العباسي لمدح النقاد كثيراً شعره الباكر فهو شعر معانٍ، مليء بالتشبيهات الطريفة والمعاني المتقنة الصُّوغ كتشبيهات هذه القصيدة. ولكن شاعرا صار في شعره المتأخر رومنسياً أكثر، وإنسانياً تفاؤلياً أكثر، أحياناً بشيء من

السذاجة. على أن هذا المنحى ضمن لإيليا أبو ماضي شهرة عريضة لم تفقها في القرن العشرين سوى شهرة شوقي ونزار قباني. وأنه القارئ العزيز إلى أن الأكاديميين ألهبوا ظهر صاحبنا، بعضهم يريده أن يكتب الشعر الإنساني المحض ليس غير، ويعيب عليه تلك القصائد الباكورة التي كانت تتردد في جنباتها أساليب المتنبي. سلمى الخضراء الجيوسي جلدهته بقسوة في دراستها شعره، ولعل كونها كتبت الدراسة بالإنجليزية جعلها تقع أسيرة مفاهيم شعرية بعيدة عن أجواء الشعر العربي. لم ترضني طريقتها ألبتة فقد حاكت شعر إيليا محاكمة استشراقية. وأما جورج جحا، في أطروحته للجامعة الأميركية ١٩٦٠، فقد كان يقترب في بعض نقده من صورة المعلم الذي يحمل العصا ويشير بها. لم أرض عن تقريره لإيليا في أحد قصائده بـ: (عدم وضوح المفهوم الوطني عند أبي ماضي، فهو على الرغم من دعوته إلى الوحدة وإلى مقاومة الأتراك، عرباً لا طوائف، لم يخل من بعض الرواسب القديمة، رواسب الحنين إلى حماة الأقليات الدينية، ورواسب الخلط بين الشعور الوطني والإحساس الديني)، وأرى أن إيليا عبر أقوى وأجمل تعبير عن شعوره، ولا أطلب منه أكثر من ذلك

٤٠ فرعنوه فتفرعن

كان في ماضي الليالي أمةٌ خَلَعَ العزُّ عليها حَبْرَةَ
حبره: أثوابه

وَمَشَى الدهرُ إليها طائِعاً فَمَشَتْ تَائِهَةً مُفْتَجِرَةً
تائِهَة: فيها تيه وكبرياء

كان فيها مَلِكٌ ذو فِطْنَةٍ حازمٌ، يَصْفَحُ عِنْدَ المَقْدِرَةِ
ماتَ عنها. فأقامَتْ مَلِكاً طائشَ الرَّأْيِ، كَثِيرَ الشَّرْثَرَةِ
حولَهُ عُصْبَةٌ سُوءٍ، كلما جاءَ إِذَا، أَقْبَلَتْ مُغْتَذِرَةً
جاءَ إِذَا: ارتكب عملاً سيئاً

وتمادى القومُ في عَفَلَتِهِمْ فتمادى في الملاهِي المُنْكَرَةِ
كان فيها شاعرٌ مُشْتَهَرٌ ذو قَوَافٍ بَيْنَها مُشْتَهَرَةٌ
كان في الأمة شاعر مشهور له قصائد مشهورة بين أبناء هذه الأمة

تَعِسُ الحِطُّ، وهَلْ أتعسُ مِنْ شاعرٍ في أمةٍ مُحْتَضَرَةٍ
مَرَّ يوماً، فَرَأَى أَشْيَخَةً جَلَسُوا يَبْكُونَ عِنْدَ المَقْبَرَةِ
أشيخة: رجال عجائز

قال شيخٌ منهم مُخَدَّوِدُبْ ودموعُ اليأسِ تَغْشَى بَصَرَهُ:
هُوَ مَلِكٌ كَانَ فِيْنَا وَمَضَى، قَمَضْتُ أَيَّامُنَا الْمَزْدَهْرَةَ
فَانْتَهَى التَّاجُ إِلَى مُعْتَسِفٍ لَمْ يَزَلْ بِالتَّاجِ حَتَّى نَثَرَهُ
معتسف: متجبر، نثره: نثر جواهر التاج وأتلفه

كَلَمَا جَاءَ إِلَيْهِ خَائِنٌ وَاشِيَاءَ قَرَبَهُ، وَاسْتَوَزَرَهُ
فَإِذَا جَاءَ إِلَيْهِ نَاصِحٌ شَكٌّ فِي نِيَّتِهِ، فَاَنْتَهَرَهُ
هَزْأَ الشَّاعِرُ مِنْهُمْ قَائِلًا: بَلَغَ السُّوسُ أَصُولَ الشَّجَرَةِ
لَوْ فَعَلْتُمْ فِعْلَ أَجْدَادِكُمْ مَا قَضَى الظَّالِمُ مِنْكُمْ وَطَرَهُ
مَا لَكُمْ تَشْكُونُ مِنْ مُحْتَكِمٍ رُضْتُمْ أَلْسُنَكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ
محتكم: حاكم

كَيْفَ لَا يَبْغِي وَيَطْفَى أَمْرٌ يَتَّقِي أَشْجَمُكُمْ أَنْ يَنْظُرَهُ؟
مَا اسْتَحَالَ الْهَرُّ لَيْثًا، إِنَّمَا أُسِدُّ الْأَجَامِ صَارَتْ هِرَّةً
الأجام: الأدغال

٤١ تقدیس الراحلین

مِنَ الْمَرْمَرِ الْمُسْنُونِ صَاغُوا مِثَالَهُ وَطَافُوا بِهِ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، زُمِرَ
المسنون: الصقيل.. صنعوا له تمثالاً وطافوا حول التمثال جماعات.. وقوله «في كل ناحية»
يؤحي بأنه حملوا تمثال المرمَر وجالوا به، وهذا لا يكون مع تمثال مرمَر

وَقَالُوا: صَنَعْنَاهُ لِتَخْلِيدِ رَسْمِهِ، فَقُلْتُ: أَلَا يَفْنَى، كَمَا فَنِيَ الْأَثَرُ
وَقَالُوا: غَنِيٌّ كَانَ يَسْخُو بِمَالِهِ، فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَسْحَى مِنَ الْمَطَرِ؟
وَقَالُوا: قَوِيٌّ عَاشَ يَحْمِي ذِمَارَنَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَقْوَى مِنَ الْقَدَرِ؟
يحمي ذمارنا: يحمي شرفنا ومالنا

أَكَانَ غَنِيًّا أَمْ قَوِيًّا، فَإِنَّهُ بِمَالِكُمْ اسْتَغْنَى، وَقَوَّيْتُكُمْ ظَفِيرَ
فَلَمْ يَتَعَشَّفْكُمْ، وَلَا هِمَّتُمْ بِهِ كَمَا خِلْتُمْ، لَكِنَّهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَمْ تَرْفَعُوا التَّمثالَ لِلْبَاسِ وَالنَّدَى وَلَكِنْ لِيُضْعِفَ فِي نُفُوسِكُمْ اسْتَتَرُ
فَلَسْتُمْ تَحْبُونَ الْغَنَى إِذَا افْتَقَرُ وَلَسْتُمْ تَحْبُونَ الْقَوِيَّ إِذَا انْدَحَرَ

رَأَيْتُكُمْ: لَا تَعْرِجُونَ بِرَوْضَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الرُّوضِ فَيْءٌ وَلَا ثَمَرٌ
تعرجون بروضة: أي تُعرجون على روضة وتقصدونها

وَلَا تَعْلِفُونَ الشَّاةَ إِلَّا لِتُسَمِّنُوا، وَلَا تَقْتَنُونَ الْخَيْلَ إِلَّا عَلَى سَفَرٍ
إِذَا كَانَ حُبُّ الْفَضْلِ لِلْفَضْلِ شَأْنُكُمْ وَلَمْ تُحِطُوا فِي الْحِسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ .
فَمَا بِالْكُمِّ لَمْ تُكْرِمُوا اللَّيْلَ وَالضُّحَى وَلَمْ تَنْصِبُوا التَّمَنَالَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟

٤٢ مسيحيون ومسلمون

مَا كَانَ أَحْوَجَ سَوْرِيًّا إِلَى بَطْلٍ يَرُدُّ بِالسَّيْفِ عَنْهَا كُلَّ مُفْتَرِسٍ
وَيَجْعَلُ الْحُبَّ دِينَ الْقَاطِنِينَ بِهَا دِينَ يُقَرَّبُ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْقُدُسِ
البيت: الكعبة قبله المسلمين، والقدس مدينة مقدسة عند المسيحيين، وغير المسيحيين

حَتَّى أَرَى ضَارِبَ النَّاقُوسِ يُظَرِّبُهُ صَوْتُ الْأَذَانِ، وَهَذَا رَنَّةُ الْجَرَسِ

٤٣ مقام التفجع

رثاء المطران رفائيل هواويني:

هَذَا مَقَامٌ، لَا التَّفَجُّعُ سَبَّةٌ فِيهِ، وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلٌ
مَا أَحْمَقَ الْإِنْسَانُ! يَسْكُنُ لِلْمُنَى وَالْمَوْتُ يَحْطِرُ حَوْلَهُ وَيَجُولُ
يسكن للمنى: يطمئن للأمانى

يَهْوَى الْحَيَاةَ، كَأَنَّمَا هُوَ خَالِدٌ أَبَدًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَزُولُ

٤٤ المرأة وقهر الرجال

أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي فِي أَضْلَعِي إِنَّمَا اللَّذَّةُ جَهْلٌ فَاجْهَلِ
تَجْمَلُ الرَّقَّةُ فِي الْعَضْبِ، فَإِنْ كُنْتَ تَهَوَّاهَا، فَكُنْ كَالْمُنْصَلِ
العضب والمنصل: السيف

هِيَ فِي الْغَيْدِ الْغَوَانِي قُوَّةٌ وَهِيَ ضَعْفٌ فِي فَوَادِ الرَّجُلِ
تُقْتَلُ الشَّاةُ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا هِيَ، لَوْلَا ضَعْفُهَا، لَمْ تُقْتَلِ
كَلِمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا عَاقِنِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
سَجَّلَ الْعَارَ عَلَيْنَا مَعْشَرٌ سَجَّلُوا الْمَرَأَةَ بَيْنَ الْهَمَلِ

ولها في كلِّ بابٍ وقْفَةٌ كامريِّ القَيْسِ حِيَالِ الظَّلَلِ
تَتَقَيَّ قَوْلَ: اغْرُبِي، خَشِيَتْهَا قَوْلَةُ القَائِلِ: يا هذي ادْخُلِي
تتجنب أن يقول لها زوجها انصرفي، وتكره أيضاً أن يقول لها ادخلي البيت، لما تعاني معه من
هوان

فَهِيَ كَالْعُضْفُورِ وَاقَى، صَادِيًّا، فَرَأَى الصَّيَّادَ عِنْدَ الْمَنْهَلِ
وافى: أقبل، صادياً: عطشان، المنهل: مورد الماء

كَامِنًا، فَانْصَاعَ، يُذْنِبُهُ الظَّمَا ثُمَّ يُقْصِصُهُ اتِّقَاءُ الْأَجَلِ

٤٥ مديح النبي

لِلَّهِ مَا أَخْلَى الْبَشِيرَ وَقَوْلُهُ سَقَطَ الْهَلَالُ إِلَى الْحُضِيِّضِ، وَدَالَا
الهلal: شعار الدولة العثمانية، دال: انتهى زمنه

بِالْأَمْسِ قَطَعَتِ الْجَزِيرَةُ قَيْنَهَا وَرَمَتْ بِوَجْهِ الْغَاشِمِ الْأَغْلَا
الجزيرة: الجزيرة العربية التي ثارت بالعثمانيين في الحرب العالمية الأولى

أَبْنَاتِ أُورُشَلِيمَ! ضَمَّخْنَ الثَّرَى بِالطَّيِّبِ، وَأَمْلَأْنَ الدُّرُوبَ جَمَالَا
حتى يَمُرَّ الْفَاتِحُونَ، فَإِنَّهُمْ كَشَوْا الْأَذَى عَنْكُنَّ، وَالْإِذْلَا
كشوا: نفضوا، الفاتحون: يقصد جيوش الحلفاء

يَا قَائِدَ الصَّيْدِ الْغَطَارِفَةِ الْأَلَى تُخَنِّي الرُّؤُوسَ، لِذِكْرِهِمْ، إِجْلَالَا
الصيد: الأسياد، الغطارفة: الأسياد، وقائدهم الذي احتل القدس كان الإنجليزي إدmond النبي

ظَنَّ الْمَغُولَ جُنُودَهُمْ تَحْمِيَهُمْ وَالْقِرْدُ يَحْسَبُهُ أَبَوْهُ غَزَالَا
المغول: يقصد الأتراك

كَمْ جَحْفَلٍ بَعَثُوا إِلَيْكَ مَعَ الدَّجَى لِقَاءَهُ جَيْشُكَ، وَالصَّبَاحَ، فَرَالَا
والصباح: عند الصباح

طَارَدْتَهُمْ، فَوْقَ الْجِبَالِ وَتَحْتَهَا، كَاللَيْثِ يَطْرُدُ دُونَهُ الْأَوْعَالَا
فمَلَأَتْ هَاتِيكَ الْأَبَاطِخَ وَالرُّبَى بِجُسُومِهِمْ، وَمَلَأَتْهُمْ أَهْوَالَا
وَحَمَيْتِ، إِلَّا السُّهْدَ، عَنْ أَجْفَانِهِمْ وَمَنْعَتْ، إِلَّا عَنْهُمْ، الْأَوْجَالَا

وَصَنَعْتَ مِنْ أَشْيَافِهِمْ وَدُرُوعِهِمْ
 لو لم تُسَاقِظْهُمْ إِلَيْكَ جِبَالُهُمْ
 هُنْتُتْ بِالنَّضْرِ الْمَبِينِ، فَإِنَّهُ
 أَرْضَيْتَ مُوسَى وَالْمَسِيحَ وَأَحْمَدًا
 لِرِقَابِهِمْ وَزُنُودِهِمْ أَغْلَا
 عِنْدَ الضُّحَى زَلْزَلَتْهَا زِلْزَالَا
 نَضْرُ يَعِزُّ عَلَى سِوَاكَ مَنَالَا
 وَالنَّاسَ أَجْمَعَ، وَالْإِلَهَ تَعَالَى

٤٦ أيهذا الشاكي

أَيْهَذَا الشَّاكِي، وَمَا بِكَ دَاءٌ كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلاً؟
 تشكو وليس بك مرض، فكيف لو مرضت؟

إِنْ شَرَّ الْجَنَاحَ فِي الْأَرْضِ نَفْسٌ
 وَتَرَى الشُّوكَ فِي الْوَرُودِ، وَتَغْمَى
 هُوَ عِبَاءٌ عَلَى الْحَيَاةِ ثَقِيلٌ
 وَالَّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ
 لَيْسَ أَشْقَى مِمَّنْ يَرَى الْعَيْشَ مُرًّا
 أَحْكَمُ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنَا
 فَتَمَنَّعَ بِالصَّبْحِ مَا دَمَتْ فِيهِ
 وَإِذَا مَا أَظْلَلُ رَأْسَكَ هَمٌّ
 أَدْرَكَتْ كُنْهَهَا طَيُورُ الرُّوَابِي
 مَا تَرَاهَا؟ وَالْحَقْلُ مِلْكُ سِوَاهَا،
 تَتَغَنَّى، وَالصَّقْرُ قَدْ مَلَكَ الْجَوَّ-
 تَتَغَنَّى، وَقَدْ رَأَتْ بَعْضَهَا يُؤْ
 تَتَغَنَّى، وَعُمُرُهَا بَعْضُ عَامٍ،
 فَهِيَ فَوْقَ الْغُصُونِ فِي الْفَجْرِ تَتَلَوُ
 وَهِيَ طَوْرًا عَلَى الشَّرَى وَإِقَاعَاتُ
 كُلَّمَا أَمْسَكَ الْغُصُونُ سُكُونٌ
 فَإِذَا ذَهَبَ الْأَصِيلُ الرُّوَابِي
 فَاطْلُبِ اللَّهْوَ، مِثْلَمَا تَطْلُبُ الْأَظْ
 تَتَوَقَّى، قَبْلَ الرَّحِيلِ، الرَّحِيلَا
 أَنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيلَا
 مَنْ يَظُنُّ الْحَيَاةَ عِبْنًا ثَقِيلَا
 لَا يَرَى فِي الْوُجُودِ شَيْئًا جَمِيلَا
 وَيَظُنُّ اللَّذَاتِ فِيهِ فُضُولَا
 عَلَّلُوهَا، فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيلَا
 لَا تَخَفُ أَنْ يَزُولَ، حَتَّى يَزُولَا
 قَصَّرِ الْبَحْثَ فِيهِ، كَيْلَا يَطُولَا
 فَمِنْ الْعَارِ أَنْ تَظْلَلَ جَهُولَا
 تَخَذْتُ فِيهِ مَسْرَحًا وَمَقِيلَا
 عَلَيْهَا، وَالصَّائِدُونَ السَّيْلَا
 خَذُ حَيًّا، وَالْبَعْضُ يَقْضِي قَتِيلَا
 أَفْتَبْكِي، وَقَدْ تَعِيشُ طَوِيلَا؟
 سُورَ الْوُجْدِ وَالْهَوَى تَرْتِيلَا
 تَلْقُطُ الْحَبَّ، أَوْ تَجُرُّ الذُّيُولَا
 صَفَّقَتْ لِلْغُصُونِ حَتَّى تَمِيلَا
 وَقَفْتَ فَوْقَهَا تُنَاجِي الْأَصِيلَا
 يَارَ عِنْدَ الْهَجِيرِ ظِلًّا ظَلِيلَا

وَتَعَلَّمْ حُبَّ الطَّبِيعَةِ مِنْهَا وَاتْرُكِ الْقَالَ لِلْوَرَى، وَالْقِيَلَا
فَالَّذِي يَتَّقِي الْعَوَازِلَ يَلْقَى كُلَّ حَيْنٍ فِي كُلِّ شَخْصٍ عَذُولَا
أَنْتَ لِلْأَرْضِ أَوْلَا وَأَخِيرَا كُنْتَ مَلَكًا، أَوْ كُنْتَ عَبْدًا ذَلِيلَا
لَا خُلُودَ تَحْتَ السَّمَاءِ لِحَيٍّ فَلِمَاذَا تُرَاوِدُ الْمُسْتَحِيلَا؟
كُلُّ نَجْمٍ إِلَى الْأَفُولِ، وَلَكِنْ آفَةُ النَّجْمِ أَنْ يَخَافَ الْأَفُولَا
غَايَةُ الْوَرْدِ فِي الرِّيَاضِ دُبُولٌ، كَنْ حَكِيمًا، وَاسْتَقِ إِلَيْهِ الذُّبُولَا
وَإِذَا مَا وَجَدْتَ فِي الْأَرْضِ ظِلًّا فَتَقَيَّأْ بِهِ، إِلَى أَنْ يَحُولَا

يحول: يتحول ويتقل

وَتَوَقَّعْ، إِذَا السَّمَاءُ اكْتَفَهَرَتْ مَطَرًا فِي السَّهُولِ، يُخَيِّ السَّهُولَا
قُلْ لِقَوْمٍ يَسْتَنْزِفُونَ الْمَاقِي: هَلْ شَفِيتُمْ، مَعَ الْبُكَاءِ، غَلِيلَا؟
مَا أَتَيْنَا إِلَى الْحَبَاةِ لِنَشْقَى فَأَرِيحُوا، أَهْلَ الْعُقُولِ، الْعُقُولَا
كُلُّ مَنْ يَجْمَعُ الْهَمُومَ عَلَيْهِ أَخَذَتْهُ الْهَمُومُ أَخَذًا وَبِيلَا
كُنْ هَزَارًا فِي عُشِّهِ يَتَعَنَّى وَمَعَ الْكَبَلِ، لَا يُبَالِي الْكُبُولَا
يَتَغْنَى طَلِقًا فِي عَشِهِ، فَإِذَا كَبَلَهُ النَّاسُ أَيَّ حَبْسِهِ فِي قَفْصِ ظِلِّ يَتَغْنَى

لَا غُرَابًا يُطَارِدُ الدَّوْدَ فِي الْأَرْضِ ضِيءٌ، وَبُومًا فِي اللَّيْلِ يَبْكِي الظُّلُولَا
كُنْ غَدِيرًا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِ رَقْرَا قَا، فَيَسْقِي، مِنْ جَانِبَيْهِ الْحَقُولَا
تَسْتَحِمُّ النُّجُومُ فِيهِ، وَيَلْقَى كُلُّ شَخْصٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَثِيلَا
أَيُّ يَرَى الْمَرْءَ صُورَتَهُ فِي الْغَدِيرِ الصَّافِي

لَا وَعَاءٌ يُقَيِّدُ الْمَاءَ، حَتَّى تَسْتَحِيلَ الْمِيَاهُ فِيهِ وَحُولَا
كُنْ مَعَ الْفَجْرِ نَسْمَةً تُوسِعُ الْأَرْضَ هَارًا شَمًّا، وَنَارَةً تَقْبِلِيلَا
لَا سَمُومًا مَعَ السَّوَافِي اللَّوَاتِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ فِي الظَّلَامِ عَوِيلَا
السُّوم: رِيحٌ حَارَةٌ، السَّوَافِي: الرِّيَّاحُ ذَاتُ الْغُبَارِ

وَمَعَ اللَّيْلِ كَوْكَبًا يُؤْنِسُ الْغَا بَاتِ وَالنَّهْرَ وَالرُّبَى وَالسَّهُولَا
لَا دُجَى يَكْرَهُ الْعَوَالِمَ وَالنَّاسَ سَ، فَيُلْقِي عَلَى الْجَمِيعِ سُذُولَا
سُدُولًا: سَتُورًا

أَيْهَذَا الشَّاكِي! وَمَا بِكَ دَاءٌ كُنْ جَمِيلاً، تَرِ الْوُجُودَ جَمِيلاً

٤٧ اسقني ما حرّموا

حَمَلَ الشَّمْسَ إِلَيْنَا قَمَرٌ فِي سَمَاءٍ، نَحْنُ فِيهَا أَنْجُمُ

الشمس يقصد بها الكأس، والقمر الفتاة، والسماء مجلس الشراب

شَادِنٌ حَكَمَهُ الْحُسْنُ بِنَا وَسَوَى الْحُسْنِ بِنَا لَا يَحْكُمُ

شادن: غزال

أَسْبَلَ الشَّعْرَ، فَيَا عَيْنِي اشْهَرِي إِنَّهُ لَيْلٌ طَوِيلٌ مُظْلِمٌ

صَنَمٌ فِي خَدِّهِ النَّارُ، وَفِي كَفِّهِ ضَرْئُهَا تَضْطَرِمُ

هذا المحبوب صنم (فاتك الجمال) في خده احمرار كالنار، وفي كفه الخمر وهي ضرة النار لأنها محمرة كأنها تضطرم (تلتهب)

بِئْتُ كَرَمَ لَمْ يَهْمُ فِيهَا سِوَى كُلِّ صَبٍّ هَامٍ فِيهِ الْكَرَمُ

حَبِسْتُ فِي دَنِّهَا مِنْ قِدَمٍ مَا لَهَا ذَنْبٌ، وَلَكِنْ ظَلَمُوا

حَرَّمُوهَا حِينَما خَافُوا عَلَيَّ هَا سِوَاهُمْ، فَاسْقِنِي مَا حَرَّمُوا

إِنَّهَا سِرٌّ فَشَا بَيْنَ الْوَرَى وَإِذَا السِّرُّ فَشَا، لَا يُكْتَمُ

هذه خمرة يحسدك عليها النواصي يا إيليا

٤٨ خاطرتان

يَا سَيِّدَ الْمُنْشِدِينَ طُرّاً وَصَاحِبَ الْمُنْطِقِ الْمُبِينِ

يخاطب الليل

لَوْ كُنْتُ بُومًا، أَوْ كُنْتُ نَسْرًا مَا بَتَّ فِي أَسْرِكَ الْمُهِينِ

خُلِقْتُ لَمَّا خُلِقْتُ، حُرّاً فَزَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السَّجُونِ

* * *

أَعْجَبُ مَا فِي بَنِي الثُّرَابِ قَتَالُهُمْ فَوْقَهُ عَلَيْهِ

قَدْ صَيَّرُوا الْأَرْضَ كَالْكِتَابِ وَانْحَشَرُوا بَيْنَ دَفْنَيْهِ

وَاسْتَعْجَلُوا الْمَوْتَ بِالْعَذَابِ وَكُلُّهُمْ صَائِرٌ إِلَيْهِ

٤٩ الخامل

سَكَتَ خَوْفًا، وَقَلَّتِ الصَّفْحُ مِنْ خُلُقِي وَنَمَتَ جُبْنًا، وَقَلَّتِ الْجِلْمُ مِنْ شِيَمِي
وَإِنَّمَا أَنْتَ، وَالْأَقْوَامُ قَدْ عَلِمُوا، لَوْلَا خُمُولُكَ لَمْ تَسْكُتْ وَلَمْ تَنِمِ

٥٠ منع البوم أن يُصاد..

وَنَقِيلُ، كَأَنَّهُ بَرْدُ كَانُوا نَ، قَلِيلِ الْحَيَاءِ، جَمَّ الْكَلَامِ
كانون الأول: ديسمبر، كانون الثاني: يناير

لَيْسَ يَدْرِي بِأَنَّهُ لَيْسَ يَدْرِي إِنَّ بَعْضَ الْأَنَامِ كَالْأَنْعَامِ
يَتَمَنَّيْ، يَا بُعْدَ مَا يَتَمَنَّيْ لَوْ جَرَى ذِكْرُهُ عَلَى الْأَقْلَامِ
مَنْعَ الْبُومِ أَنْ يُصَادَ وَيُرْمَى كَوْنُهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلطَّعَامِ
يُرْمَى: يُرْمَى بِالسَّهْمِ لَصِيدِهِ

٥١ حُجَّةُ الْمَغْتَرِبِينَ

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين. قالها في حفلة:

لَبْنَانُ! لَا تَعْزِلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ رَكِبُوا إِلَى الْعِلْيَاءِ كُلِّ سَفِينِ
لَمْ يَهْجُرُوا مَلَالَةً، لَكِنَّهُمْ خَلِقُوا لَصِيدِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ
فَأَجَابَنِي وَالِدُكُمْ مَلَأَ جُفُونِهِ: كَمْ ذَا تُسَلِّينِي، وَلَا تُسَلِّينِي
تُسَلِّينِي: تَسِينِي

الْأَرْمَنِيُّ عَلَى سُفُوحِي وَالرَّبِّي يَبْنِي الْحَصُونَ لِنَفْسِهِ بِحُصُونِي
وَبَنُو يَهُودَا يَنْصَبُونَ خِيَامَهُمْ فِي ظِلِّ أَوْدِيَّتِي وَفَوْقَ حُزُونِي
حُزُونِي: هَضَابِي

وَبَنِي عَنِّي غَافِلُونَ كَأَنَّنِي قَدْ صَرْتُ فِي الْأَشْيَاءِ غَيْرَ نَجِيمِ
أَنْتُمْ دُيُونٌ لِي عَلَى آمِيرِكَا وَمِنْ الْمُرُوءَةِ أَنْ تُرَدَّ دُيُونِي
آميركا: أميركا، ومدها ليستقيم الوزن

أَوَّلَيْسَ مِنْ سُخْرِ الْقَضَاءِ وَهَزْؤِهِ أَنْ يَأْخُذَ الْمُثْرَى مِنَ الْمُسْكِينِ

٥٢ الثري العالة

إذا بنى رجل قَصْرًا وَزَخَرَفَهُ سَقْنَا إِلَيْهِ التَّهَانِي وَامْتَدَّخْنَاهُ
وما بنى قصره إِلَّا لِيَحْجُبَ عَنْ أَبْصَارِنَا فِي زَوَايَاهُ خَطَايَاهُ
وَنَمْدَحُ الْمَرْءَ مِنْ خَزٍّ مَلَابِسُهُ وَذَلِكَ الْخَزُّ لَمْ تَنْسُجْهُ كَفَّاهُ

الخز: الحرير

٥٣ نجاج نيويورك

أَحْسَنُ الْأَيَّامِ فِي الْعَصْرِ انْقَضَتْ أَوْ لَوْ يَنْشُرُهَا مَنْ قَدْ طَوَّاهَا
صَرْتُ فِي نِيُوتِرْكَ طَيِّفًا شَارِدًا مَعَ طُيُوفٍ حَائِرَاتٍ فِي سُرَاهَا
سراها: سيرها الليلي

طَرَحْتُ عَنْهَا رُؤَاهَا، وَمَضَتْ تَنْشُدُ الْمَجْدَ الَّذِي فِيهِ شَقَّاهَا
كِنَعَاكِ عَمِيَّتْ أَبْصَارُهَا وَوَهَتْ فِي طَلَبِ الْعُشْبِ قُوَاهَا
وهت: تعبت

كُلَّمَا جَدَّتْ لِكَيِّ تُدْرِكُهُ وَجَدْتُهُ صَارَ فِي الْأَرْضِ وَرَاهَا

٥٤ لبنان في حماية الله

إِنِّانٍ أَغْيَا الدَّهْرَ أَنْ يُبْلِيَهُمَا: لَبْنَانُ، وَالْأَمَلُ الَّذِي لِدَوِيهِ
نَشْتَاقُهُ وَالصِّيفُ فَوْقَ هِضَابِهِ وَنُحِيبُهُ وَالشَّلُجُ فِي وَادِيهِ
وَطَنِي سَتَبَقَى الْأَرْضُ عِنْدِي كُلُّهَا، حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ، أَرْضُ التِّيهِ
سَأَلُوا الْجَمَالَ، فَقَالَ: هَذَا هَيْكَلِي وَالشَّعْرَ، قَالَ: بَنَيْتُ عَرْشِي فِيهِ
غَيْرِي يَرَاهُ سِيَاسَةً وَطَوَائِفًا وَيَظَلُّ بِزَعْمٍ أَنَّهُ رَائِيهِ
لَا يُسْفِرُ الْحُسْنُ النَّزِيهَ لِنَاطِرٍ مَا دَامَ مِنْهُ الطَّرْفُ غَيْرَ نَزِيهِ

الطرف: النظر

وَلِمَنْ يَقُولُونَ: الْفِرْنَجُ حُمَاتُهُ، أَلَلَّهُ قَبْلَ سُيُوفِهِمْ حَامِيهِ

٥٥ طباخو السم في أوروبا

وَارْحَمَتَاهُ لِأَوْرَبَا! فَمَا فَتَكَتْ أَفْعَى بِأَفْعَى، كَأَهْلِهَا بِأَهْلِهَا

لم يَبْقَ غَيْرُ الصَّوَارِي فِي خَلَائِقِهَا وَمِنْ حَضَارَتِهَا إِلَّا مَحَازِيهَا

الضواري: الوحوش، خلائقها: ناسها

كَانَتْ تُعِدُّ الدَّوَاهِيَ فِي مَصَانِعِهَا لِعَغِيرِهَا، فَأَصَابَتْهَا دَوَاهِيهَا
وَكُلُّ طَائِفٍ سُمِّ سَوْفَ يَأْكُلُهُ وَكُلُّ حَافِرٍ بَشَرٍ وَاقِعٌ فِيهَا
لَوْ دَامَ إِيْمَانُهَا لَمْ تَنْطَلِقْ سَقَرٌ بِدُورِهَا، وَالْأَفَاعِي فِي مَغَانِيهَا
لَكِنْ أَكْبَتْ عَلَى الْآلَاتِ تَعْبُدُهَا وَتَسْتَعِينُ بِهَا مِنْ دُونِ بَارِيهَا

باريها: خالقها

٥٦ حنين إلى عصر الرشيد

كَمْ بَيْنَ طَيِّبَاتِ الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ عِظَّةٍ لِأَبْنَاءِ الدُّهُورِ الْآتِيَةِ
فَإِذَا مَشَى فِينَا الْفَنَاءُ فَرَاغَنَا خَلَقَ الْخِيَالَ لَنَا الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ
كَمْ تَعَشَّقُ الدُّنْيَا وَتُنْكِرُ صَدَّهَا أَنْسَيْتَ أَنَّ الْخُلْفَ طَبْعُ الْغَايَةِ؟

عدم الوفاء بالوعد من طبع الفتاة الجميلة

خَلَّ الْغُرُورَ بِمَا لَدَيْكَ، فَإِنَّمَا دُنْيَاكَ زَائِلَةٌ، وَنَفْسُكَ فَانِيَةٌ
إِنَّ الْأَلَى وَطِئْتُ نِعَالَهُمُ السُّهَى وَطِئْتُ جِبَاهَهُمْ نِعَالَ الْمَاشِيَةِ
السُّهَى: نجم بعيد، يقول: الذين بلغوا المجد ماتوا وداست قبورهم المواشي

لَوْ أَنَّ حَيًّا خَالِدٌ فَوْقَ الثَّرَى مَا مَاتَ هَارُونَ، وَزَالَ مُعَاوِيَةُ
أَوْ كَانَ عَزٌّ دَائِمًا، مَا أَصْبَحْتُ بَغْدَادُ فِي عَدَدِ الطُّلُولِ الْبَالِيَةِ
أُخِنْتُ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ، فَدُورُهَا خِرْبٌ تَعَاوَرَهَا الرِّيحُ السَّافِيَةُ
أُخِنْتُ عَلَيْهَا (أَهْلَكْتُهَا) الْحَادِثَاتُ (المصائب) فَيُوتَهَا خِرْبٌ تَعَاوَرَهَا (تتناوبها) الرِّيحُ السَّافِيَةُ
(المحملة بالأنثوية)

وَاجْتِنَاحُ مُجْتَاحِ الْعُرُوشِ مُلُوكُهَا فَكَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
مجتاح العروش: الزمن، أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ: أصول نخل خاوية ساقطة فارغة

أَبْنِ الْقُصُورِ الشَّاهِقَاتُ وَأَهْلُهَا بَادَ الْجَمِيعُ فَمَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ
دَرَسْتُ مَعَالِمَهَا وَغَيْرَهَا الْبَلَى وَلَقَدْ تُرَى حُلَّلَ الْمَحَاسِنِ كَاسِيَةٍ
درست (امحت) معالِمها وغيرها البلى (التحلل)، وكانت ترى كاسية (مكسوة) بحلل (بثياب)
المحاسن

أَيَّامَ كَانَ لِكُلِّ حُسْنٍ شَاعِرٌ كَلِفَ بِهِ، وَلِكُلِّ شِعْرِ رَاوِيَةٌ

الراوية: الذي يحفظ ويروي أشعار غيره

أَيَّامَ دَجَلَةٌ مُظْمِنٌ هَادِيٌّ جَذْلَانُ يَهْزَأُ بِالْبُحُورِ الطَّامِيَةِ

دجلة كان مفتخرًا على كل البحور التي تفيض بمائها، والبحر تعني النهر أيضاً

النَّيْلُ خَادِمُهُ الْأَمِينُ؛ وَعَبْدُهُ نَهْرُ الْفَرَاتِ وَكُلُّ عَيْنٍ جَارِيَةٍ

في عصر هارون الرشيد كانت مصر تتبع دار الخلافة في بغداد

تَهْوَى الْكَوَاكِبُ أَنَّهَا حَضْبَاؤُهُ أَوْ أَنَّهَا شَجَرٌ عَلَيْهِ حَايِيَةٌ

حانية: منحنية

وَتَوَدُّ كُلُّ سَحَابَةٍ مَرَّتْ بِهِ لَوْ أَنَّهُ سُحْبٌ عَلَيْهَا هَامِيَةٌ

هامية: هاطلة بالمطر

وَتَرَى الْعَزَالَهَ طَيْفَهَا عِنْدَ الضُّحَى فِي سَطْحِهِ، فَتَبَيُّتُ عَظَشَى رَاوِيَةٌ

الغزالة: الشمس، وحققها ألا تحلى بال فغزالة علم على الشمس

أَيَّامَ كَانَ الشَّرْقُ مَرْهُوبَ الْجَمَى يَكْسُو الْجَلَالَ سَهْوَهُ وَرَوَّابِيَهُ

أَيَّامَ هَارُونَ يُدِيرُ شُؤُومَهَا، يَا عَصْرَ هَارُونَ عَلَيْكَ سَلَامِيَهُ

فَتَحَضَّرَ الْبَادُونَ فِي أَيَّامِهِ وَاسْتَأْنَسَتْ حَتَّى الْوُحُوشُ الصَّارِيَهُ

إِيَّاهُ أَبَا الْمَأْمُونِ! ذِكْرُكَ أَبَدٌ فِي الْأَرْضِ مِثْلَ الشَّامِخَاتِ الرَّاسِيَةِ

أبو المأمون: هارون الرشيد، أبد: خالد للأبد، الشامخات الراسية: الجبال

يَا وَيْحَ هَذَا الشَّرِقَ بَعْدَكَ! إِنَّهُ لِلضَّعْفِ بَاتَ عَلَى شَفِيرِ الْهَائِيَةِ

مَا كَانَ يَقْنَعُ بِالنَّجُومِ وَسَائِدًا وَالْيَوْمَ يَقْنَعُ أَهْلُهُ بِالْعَافِيَةِ

أَبْنِي الْغَطَارِفَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأَلَى وَطِثُوا اللَّوَارَ، وَدَوَّخُوا إِسْبَانِيَةَ

يا أبناء الغطارفة (السادة) الألى (الذين) وطئوا (داسوا) اللوار (نهر يصب في الأطلسي، وبقره وقعت معركة بلاط الشهداء على بعد ٣٠٠ كم من باريس) ودوّخوا إسبانية

لَا أَسْتَفِرُّكُمْ لِمِثْلِ فُتُوحِهِمْ لَكِنْ إِلَى حِفْظِ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ

يَا لِلرَّجَالِ! أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ، إِنْ لَمْ تَتُورُوا، أُمَّةٌ مُتَلَاثِيَةٌ؟

٥٧ بعد الموت

عَلِظَ الْقَائِلُ إِنَّا خَالِدُونَ كُتِلْنَا بَعْدَ الرَّدَى هَيُّ بِنُ بَيِّ
هي بن بي: واحد من الناس ليس له أي صفة

* * *

لَوْ عَرَفْنَا مَا الَّذِي قَبْلَ الْوُجُودِ لَعَرَفْنَا مَا الَّذِي بَعْدَ الْفَنَاءِ
نَحْنُ لَوْ كُنَّا، كَمَا قَالُوا، نَعُودُ لَمْ تَخَفْ أَنْفُسَنَا رَبِّبَ الْقَضَاءِ
إِنَّمَا الْقَوْلُ بَأْتًا لِلْخُلُودِ فِكْرَةٌ أَوْجَدَهَا حُبُّ الْبَقَاءِ

* * *

نَعَشَقُ الْبُقْيَا لَأَنَّا زَائِلُونَ وَالْأَمَانِي حَيَّةٌ فِي كُلِّ حَيٍّ

* * *

زَعَمُوا الْأَرْوَاحَ تَبْقَى سَرْمَدًا خَدَعُونَا. نَحْنُ وَالشَّمْعُ سَوَاءٌ
سرمداً: للأبد

يَلْبَثُ النُّورُ بِهَا مُتَّقِدًا فَلِذَا مَا احْتَرَقَتْ بَادَ الضِّيَاءُ
أَيْنَ كَانَ النُّورُ؟ أَتَى وَجِدًا؟ كَيْفَ وَلَّى عِنْدَمَا زَالَ الْبِنَاءُ؟
البناء جسم الشمعة، وبزواله زال النور. كذا جسم الإنسان. . يزول فتزول الروح

* * *

شَمَعَتِي فِيهَا لِطُلَّابِ الْيَقِينِ آيَةٌ تَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ غَيِّ
آية: برهان

* * *

لَيْسَتْ الرُّوحُ سِوَى هَذَا الْجَسَدِ مَعَهُ جَاءَتْ وَمَعَهُ تَرْجِعُ
لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً قَبْلَ وُجْدِ وَلِهَذَا حِينِ يَمْضِي تَتَّبَعُ
فَمِنْ الزُّورِ الْمَوْشَى وَالْفَنَدِ قَوْلُنَا: الْأَرْوَاحُ لَيْسَتْ تُضْرَعُ

الفند: العجز

* * *

تَلَبَّثُ الْأَنْبِيَاءُ مَا دَامَ الْغُصُونُ فَإِذَا مَا ذَهَبَتْ لَمْ يَبْقَ فِي

* * *

لو تَكُونُ الرُّوحُ مَا لَا يَضْمَجِلَ مَا جَزَعْنَا كُلَّمَا جِسْمٌ هَمَذَ
لو تَكُونُ الرُّوحُ جِسْمًا مُسْتَقِيلَ لَرَأَاهَا مَنْ يَرَى هَذَا الْجَسَدَ
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ عَيْنٍ وَظِلِّ سَوْفَ يَنْحَلُّ كَمَا انْحَلَّ الزَّبَدُ

* * *

ولئن صَحَّ بَأْنَا مُنْشَرُونَ جَازَ أَنْ يُعْقِبَ ذَاكَ النَّشْرَ طَيِّ

* * *

لَيْتَ مَنْ قَالُوا بَأْنَا كَالرُّهُورِ خَبَّرُونَا أَيْنَ تَمْضِي الرَّائِحَةُ؟
أَتَرَى تَبْقَى كَالْحَانِ الدُّهُورِ؟ أَمْ تَلَاشِي مِثْلَ صَوْتِ النَّائِحَةِ؟

تلاشى: تلاشى

لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ خُلْدٍ لِلْبُدُورِ بَعْدَ أَنْ تُلْقَى بِنَارٍ لَافِحَةٍ؟

* * *

قُلْ لِمَنْ يَخْبِطُ فِي لَيْلِ الظُّنُونِ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلظَّالِمِي رِي

* * *

مِثْلَمَا يَذْهَبُ لَوْنُ الْوَرَقَةِ عِنْدَمَا تَبْيَسُ فِي الْأَرْضِ الْأُصُولُ
مِثْلَمَا يُفْقَدُ نُورُ الْحَدَقَةِ حِينَ أَقْضَى، هَكَذَا نَفْسِي تَزُولُ
كَتَلَاثِي الشَّمْعَةِ الْمُخْتَرِقَةِ تَلَاشِي بَيْنَ ضِخْكِ وَعَوِيلِ

* * *

أَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا لَا أَكُونُ حَيْثُ إِنِّي لَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ شَيْ

* * *

إِيهِ أَبْنَاءَ الثَّرَى نَسَلَ الْقُرُودِ عَلِّلُوا أَنْفُسَكُمْ بِالثَّرَهَاتِ
إِلْبَسُوا فِي صَحُوكُمْ ثَوْبَ الْجُمُودِ وَاخْلُمُوا فِي نَوْمِكُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ
فَسَيَاتِي زَمَنْ غَيْرُ بَعِيدِ تَتَهَادَى بَيْنَكُمْ فِيهِ إِيَاءُ

إِيَاءُ: هالة الشمس. فالكرة الأرضية قد تعود لتلتحم بأמהا الشمس!

* * *

وَيَحِلُّ اللَّهَ فِي مَاءٍ وَطِينٍ فَيَرَاهُ الشَّيْخُ، وَالشَّابُّ الْأَحْيَ!

عندئذ، عندما نلتحم بأما الشمس سنرى نجوم الظهر ويحل فينا الله، فيراه الشيخ الكبير والشاب الأحي (تصغير الأحي أي المسمر الضارب إلى حمرة، والتعبير من بيت لابن الفارض في يائته المشهورة، و«الشاب» هنا مثلها هناك كاسرة البيت فلا بد لك من قراءتها بإسقاط الألف. وأخطأ في فهم «الأحي» صاحب المقدمة الطويلة لمجموع أشعار أبو ماضي زهير ميرزا، فجعلها «الأكثر حياة»، وتابعه في سوء فهمه من تابعه من الدارسين)

وإنما فسرنا الأبيات الأخيرة هذا التفسير المباشر لأن روح القصيدة روح دارويني مادي خالص. ولا نراه قال إن الله يحل في الماء والطين - وهذا تلوين سمفوني على كلمة جبران (أما أنت إذا أحببت فلا تقل «الله في قلبي» لكن قل «أنا في قلب الله») - قلنا لا نراه قالها إلا ساخرًا ناقضاً هذه الفكرة

٥٨ كل امرئ وجنته

لا تَسْأَلْنِي عَنِ السَّمَاءِ، فَمَا عِنْدِي إِلَّا التُّعُوثُ وَالْأَسْمَاءُ
لا تسألني عن السماء (الجنة) فليس عندي سوى الأوصاف والأسماء (معلومات قليلة عنها)
فَسَمَاءُ الرَّاعِي، كَمَا يَتَمَنَّى هَا، مُرُوجٌ فَسِيحَةٌ خَضْرَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْأُمِّ الَّتِي اخْتَرَمَ الْمَوْتُ بَنِيهَا، وَضَلَّ عَنْهَا الْعِزَاءُ..
اخترم: أهلك

مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُمْ فِيهِ ضَيْمٌ لا، وَلَا يُدْرِكُ الشَّبَابَ الْقَنَاءُ
وَكَذَا يُوَلَّدُ الرَّجَاءُ مِنَ الْيَأْسِ سِ إِذَا مَاتَ فِي الْقُلُوبِ الرَّجَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْفَقِيرِ أَرْضٌ وَرَاءَ الْـ أَفْقٍ، فِيهَا مَا يَشْتَهِي الْفُقَرَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْمَظْلُومِ أَرْضٌ كَهَذِي الْـ أَرْضٍ، لَكِنْ قَدْ شَاعَ فِيهَا الْإِحَاءُ
وَهِيَ عِنْدَ الْخَلِيعِ أَرْضٌ تَمِيسُ الْـ حُورٌ فِيهَا، وَتَدْفُقُ الصَّهْبَاءُ
الخليع: المنهتك اللامبالي، تَمِيس الحور: تتمايل الجميلات، تدفق الصهباء: تندفق الخمر

لَيْسَ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالشَّرِّ حَدٌّ كَالَّذِي شَاءَ وَضَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عَفَافٌ وَفَسَقٌ لَمْ تَكُنْ حِشْمَةً، وَلَا اسْتَحْيَاءُ
كُلُّ قَلْبٍ لَهُ السَّمَاءُ الَّتِي يَهْـ سَوَى، وَإِنْ شِئْتَ كُلُّ قَلْبٍ سَمَاءُ

كل قلب له جنته، لا بل كل قلب لكل إنسان هو جنة

رُبَّ شَيْءٍ كَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ قَدْ عَدَدْتُهُ الْأَعْرَاضُ وَالْأَهْوَاءُ

ثمة شيء فذ (متفرد) كالجواهر الفرد (الأصل الواحد) ولكنه يتعدد بتعدد حاجتنا واهوائنا

كُلُّ مَا تَقْصُرُ الْمَدَارِكُ عَنْهُ كَائِنٌ مِثْلَمَا الظَّنُونُ تَشَاءُ

ما تقصر المدارك (العقول) عن فهمه كائن (صائر) بحسب ما تهوى الظنون. لا أدري إن كنت ستقول إنها من الشعر المدرسي! لكن فيها حكمة عامة. فكلنا يتصور السعادة في زمن سيأتي، ويتصورها بحسب شهوات قلبه. والجنة هي التصوير الأكبر للسعادة الشاملة، ولكن الشاعر يكتشف أن لكل إنسان جنته الخاصة. ويطلق بعض الأحكام التي تستوقف المرء: فلولا وجود الفسق لما وجد العفاف. وليس هناك حد قاطع واضح بين الخير والشر

٥٩ حجر متعطش للشهرة

سَمِعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أَنْيَاءً وَهُوَ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

يغشى المدينة: يأتيها

فَانْحَنَى فَوْقَهَا كَمُسْتَرِقٍ الْهَمِّ سِرٍّ، يُطِيلُ الشُّكُوتَ وَالْإِصْغَاءَ

انحنى الليل فوق المدينة مصغياً

فَرَأَى أَهْلَهَا نِيَاماً كَأَهْلِ الْكَهْفِ، لَا جَلْبَةَ وَلَا ضَوْضَاءَ

وَرَأَى السَّدَّ خَلْفَهَا مُحَكِّمَ الْبُنْدِ يَانِ، وَالْمَاءَ يُشْبِهُ الصَّحْرَاءَ

كَانَ ذَاكَ الْأَنْيُنُ مِنْ حَجَرٍ فِي السَّدِّ دَّ يَشْكُو الْمَقَادِرَ الْعَمِيَاءَ

أَيُّ شَأْنٍ، يَقُولُ، فِي الْكَوْنِ شَأْنِي؟ لَسْتُ شَيْئاً فِيهِ، وَلَسْتُ هَبَاءَ

لَا رُخَامٍ أَنَا فَأَنْحَحْتُ يَمَثَا لَ، وَلَا صَخْرَةً تَكُونُ بِنَاءَ

لَسْتُ ذُرّاً تُنَافِسُ الْغَادَةَ الْحَسَّ نَاءً فِيهِ الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءَ

فَلَأُغَادِرَ هَذَا الْوُجُودَ وَأَمْضِي بِسَلَامٍ، إِنِّي كَرِهْتُ الْبَقَاءَ

وَهَوَى مِنْ مَكَانِهِ، وَهُوَ يَشْكُو الْأَرْضَ وَالشُّهْبَ وَالِدَجَى وَالسَّمَاءَ

فَتَحَّ الْفَجْرُ جَفْنَهُ، فَإِذَا الطُّو فَا نَّ يَغْشَى الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ

٦٠ محاولة في الاعتزال

سَمَّمْتُ نَفْسِي الْحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ، وَمَلَّتْ حَتَّى مِنَ الْأَحْبَابِ

قَالَتْ: اخْرُجْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقَفِّ رٍ، فَفِيهِ النَّجَاةُ مِنْ أَوْصَابِي

الفقر: الخلاء، أوصابي: آلامي

وَلَا أَكُنْ كَالْغُرَابِ رِزْقِي فِي الْحَقِّ لِي، وَفِي السَّفْحِ مَجْثَمِي وَاضْطِرَابِي
مجثم: موضع، اضطرابي: حركتي

يَا لِنَفْسِي! فَلِإِنَّهَا فَتَنَّتَنِي بِالْحَدِيثِ الْمَنَمِّ الْخِلَابِ
إِنَّمَا نَفْسِي الَّتِي مَلَّتِ الْعُمْدَ رَانَ، مَلَّتْ فِي الْغَابِ صَمَتِ الْغَابِ
عَلَّمَتَنِي الْحَيَاةُ فِي الْقَفْرِ أَنِّي، أَيْنَمَا كُنْتُ، سَاكِنٌ فِي التَّرَابِ
وَسَأَبْقَى، مَا دُمْتُ فِي قَفْصِ الصَّدِّ صَالٍ، عَبْدَ الْمُنَى أَسِيرَ الرِّغَابِ
الصلصال: الطين

خِلْتُ أَنِّي فِي الْقَفْرِ أَصْبَحْتُ وَخَدِي فَإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي ثِيَابِي

٦١ أَنَا وَالْعَلِيقَةُ

ذَا تُ شَوْكُكَ كَالْجِرَابِ أَوْ كَأُظْفَارِ الْعُقَابِ
يصف العليقة، وهي نبتة شوكية لها ثمر كالتوت، ويستعملونها في التسييح، لكنها تعلق بملايس
الماشي وتعرقله، ولا يرى شاعرنا فيها نفعاً

رَبَضْتُ فِي الْغَابِ كَاللَّصِّ لِفَتْنِكَ وَاسْتِغْلَابِ
قُلْتُ: يَا سَاكِنَةَ الْغَا بٍ، وَيَا بَنَاتِ التَّرَابِ
لَا تَلْجِي فِي اجْتِذَايِ، أَوْ فَلِجِّي فِي اجْتِذَايِ
لا تلجي: لا تلجعي

إِنَّ عُوداً فِيهِ مَاءٌ لَيْسَ عُوداً لِاخْتِطَابِ
يقصد بالعود ذي الماء نفسه، فهو ما زال معطاء

لَمْ أَهَبْ كُلَّ الَّذِي عِنْدِي، وَلَمْ يَفْرَغْ وَطْأِي وَطْأِي: وعائي

أَنَا نَهْرٌ، لَمْ أَتَمِّمْ بَعْدُ فِي الْأَرْضِ انْسِيَابِي
وَبِنَفْسِي أَلْفَ مَعْنَى لَمْ يُضْمَنْ فِي كِتَابِ
وَإِذَا لَمْ يَبْقَ فِي غِيٍّ مِيٍّ مَاءٌ لَانْسِيَاكِ
وَإِذَا مَا صِرْتُ كَالْعُلَّةِ يُقَرِّبُ مَثَالَ اكْتِثَابِ
فَاجْذُبِينِي إِنْ يَكُنْ مِنْـ يِ نَفْعٍ لِلتَّرَابِ

جعل الموت عليقة تريد جذبه للتراب لكنه ما زال يملك قوة الحياة والعطاء

جئتُ، لا أعلمُ مِنْ أَيْدٍ - وَلَكِنِّي أَتَيْتُ
ولقد أبصرتُ قُداً - مِي طَريقاً، فمَشَيْتُ

قرر محمد عبد الوهاب أن يجعلها «أمامي» بدل «قدامي» فكسر الوزن واستراح من كلمة ظنها عامية، وجعلها عبد الحليم (أبصرت للدنيا طريقاً) فأتزن له البيت وظلت «قدامي» خارج معبد الغناء العاطفي

وسأبقى ماشياً، إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَريقي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

لو نظرت إلى البيت الأول واستكثفته لوجدته بسيطاً مثل الماء، لكنه على بساطته يحمل النصف الأول من السؤال الوجودي الثقيل: من أين جئنا؟ والجواب بالطبع: لست أدري. والنصف الآخر من السؤال الوجودي: وأين المقر؟ سيطرته الشاعر بعد بضعة أبيات. وسيطرته بقوة. وفي مقدمتنا أشرنا إلى قصيدة لشاعر من قرية أبو ماضي نراها الموحى لشاعرنا بطلاسمه

* * *

قَدْ سَأَلْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا: هَلْ أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَ؟
هَلْ صَحْبُحٌ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ؟
أَمْ تُرَى مَا زَعَمُوا زَوْ رَأَوْهُنَا وَإِنْكَ؟
ضَحِكْتُ أَمْوَجُهُ مِنْ - مِي وَقَالَتْ: لَسْتُ أَدْرِي!

ولماذا البحر؟ لأن إيليا قرأ في مصر المقالات الكثيرة، في المقتطف وغير المقتطف، التي عرضت نظريات نشوء الخلق السائدة في أوروبا آنذاك، وجعلها يقول إن أول ما ظهر من خلق ظهر في الماء. وهذه النظريات ما زالت الأشيع عند علماء الأحياء حتى يومنا

* * *

أَنْتَ يَا بَحْرُ أَسِيرٌ، آهَ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكَ
أَنْتَ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبُّ هَارُ، لَا تَمْلِكُ أَمْرَكَ
أَشْبَهْتُ حَالَكَ حَالِي، وَحَكِي عُذْرِي عُذْرَكَ
حكي: شَابَة

فَمَتَى أَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ - حَرِّ وَتَنْجُو؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

قد سألتُ الشُّخْبَ في الآ
وسألتُ الشَّجَرَ المُو
وسألتُ الدُّرَّ في الأغـ
وكأنِّي خِلْتُها قـا
فاقِ، هل تذكُرُ رملَكَ
رِقْ، هل يَعْرِفُ فضلكَ
ناقِ، هل تذكُرُ أصلَكَ
لث جميعاً: لست أدري!

* * *

يَرْقُصُ الموجُ، وفي قـا
عِكَ حربٌ لن تزولا
أي في قاع البحر

تخلُقُ الأسماكُ لكنْ،
قد جمعتَ الموتَ في صد
ركَ، والعيشَ الجميلا
ليت شِعْري: أنتَ مَهْدُ
تخلُقُ الحوتَ الأَكْولا
ليت شِعْري: أنتَ مَهْدُ
أم ضَرِيحٌ؟ لست أدري!

* * *

فيكَ مثلي، أيها الجبَّـ
إنما أنتَ بلا ظـ
إنما أنتَ بلا عَقْـ
فلماذا، يا تُرى، أمـ
مازُ، أصـدافٌ ورمـلُ
لُ، ولي في الأرضِ ظـلُ
لِ ولي، يا بحرُ، عقلُ
ضِي وتُبْقَى؟ لست أدري!

* * *

إن في صدري، يا بحر
نَزَلَ السُّثْرُ عليها،
ولذا أزدادُ بُغْـداً،
وأزاني، كلما أو
رُ، لأسراراً عَجَـابا
وأنا كنتُ الحِجَّـابا
كلما ازدَدْتُ اقْتِـرابا
شُكْتُ أدري، لست أدري!

* * *

قيلَ: أذرى الناسِ بالأسـ
قلتُ: إن صَحَّ الذي قـ
عَجَباً! كيف تَرى الشمـ
رارِ سُكَّانِ الصَّوامِغِ
الوا، فإن السُّرَّ شائِغِ
سَ عيونُ في البراقِعِ؟

كيف يرى الحقيقة ناس مستورون في صوامعهم كأنهم يضعون البراقع على وجوههم؟

والتّي لم تَتَبَرَّقْغْ لا تَرَاهَا؟ لست أدري!

قد دخلتُ الديرَ عندَ الـ
وتركتُ الديرَ عندَ اللّـ
كانَ في نَفْسِي كَرْبٌ،
أَمِنَ الديرَ أم اللّـ
فجرٍ، كالْفجرِ الطروبِ
يلٍ، كالليلِ الغضوبِ
صارَ في نَفْسِي كُرُوبٌ
لِ اِكتئابِي؟ لست أدري!

أوراءَ القبرِ، بعدَ الـ
فَحَيَاةٌ فَخُلُودٌ،
أكلامُ النَّاسِ صِدْقٌ،
أصحيحُ أنْ بعضُ النَّـ
موتٍ، بعثٌ ونُشُورُ
أم فنناءٌ ودثُورُ
أم كلامُ النَّاسِ زُورُ
ناسٍ يَذري؟ لست أدري!

إن أكنُ أُبْعَثُ بعدَ الـ
أُتْرَى أُبْعَثُ بَغْضاً،
أُتْرَى أُبْعَثُ طِفْلاً،
ثمَّ هل أعْرِفُ بعدَ الـ
موتٍ جُثْمَاناً وَعَقْلاً
أم تُرَى أُبْعَثُ كُلاً؟
أم تُرَى أُبْعَثُ كَهْلاً؟
موتٍ ذاتِي؟ لست أدري!

لم أجذُ في القصرِ شيئاً
أنّا، في هذا وهذا،
وسجينُ الخَالِدِينَ: اللّـ
هل أنا في القصرِ أم في الـ
ليسَ في الكوخِ المَهِينِ
عبدُ شَكٍّ وَيَقِينِ
يلٍ والصبحِ المَبِينِ
ككوخِ أَرْقَى؟ لست أدري!

أين ضُحْكِي وُبُكَائِي،
أين جَهْلِي وَمَرَّاحِي،
أين أحلامِي، وكانتُ
كُلُّها ضَاعَتْ، وليكنْ
وأنا طفلاً صَغِيرُ
وأنا غَضُّ غَرِيرُ
كيفَما سِرْتُ تَسِيرُ
كيفَ ضَاعَتْ؟ لست أدري!

أَنَا أَفْصَحُ مِنْ غَضٍّ فَوْرَةَ الْوَادِي وَأَعَذِبُ
وَمِنْ الزَّهْرَةِ أَشْهَى، وَشَذَى الزَّهْرَةِ أَطْيَبُ
يقصد: أنا أطيب من شذى الزهرة؟ (وقد قللنا من علامات الاستفهام فيما سيأتي فكل القصيدة أسئلة)

وَمِنْ الْحَيَّةِ أَذْهَى، وَمِنْ النَّمْلَةِ أَغْرَبُ
أَمْ أَنَا أَوْضَعُ مِنْ هَذَا لَذِي وَأَذْنَى؟ لَسْتُ أَدْرِي!
أوضح: أحقر

كُلُّهَا مِثْلِي تَحْيَا، كُلُّهَا مِثْلِي تَمُوتُ
وَلَهَا مِثْلِي شَرَابٌ، وَلَهَا مِثْلِي فُوتُ
وَانْتَبَاهٌ وَرُقَادٌ، وَحَدِيثٌ وَسُكُوتُ
فَبِمَا أَمْتَّازُ عَنْهَا لَيْتَ شِعْرِي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

أَنَا كَالصَّهْبَاءِ، لَكِنْ أَنَا صَهْبَائِي وَذَنِّي
أَضْلُهَا خَافٍ كَأَضْلِي، سَجْنُهَا طِينٌ كَسَجْنِي
الصهباء، أي الخمر، يضعونها في خاية فخارية ويدونها بطين ويختمون عليه، فهذا سجنها،
والإنسان مخلوق من طين وجسده سجن روحه

وَيُزَاحُ الْحَثْمُ عَنْهَا مِثْلَمَا يَنْشَقُّ عَنِّي
وَهِيَ لَا تَفْقَهُ مَعْنَا هَا، وَإِنِّي.. لَسْتُ أَدْرِي!

غَلِظَ الْقَائِلُ: إِنَّ الْـ خَمَرَ يَنْتُ الْحَايَةَ
الخابية: الجرة الكبيرة

فَهْيَ، قَبْلَ الزَّقِّ، كَانَتْ فِي عُروِقِ الدَّالِيَةِ
الزق: قربة كبيرة من جلد لنقل الخمر

وَحَوَاهَا قَبْلَ رَحِمِ الْـ كَزَمَ رَحِمُ الْعَادِيَةِ
الغادية: السحابة

إِنَّمَا مِنْ قَبْلِ هَذَا، أَيْنَ كَانَتْ؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

أَنَا لَا أَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ حَيَاتِي الْمَاضِيَةِ
أَنَا لَا أَعْرِفُ شَيْئاً مِنْ حَيَاتِي الْآتِيَةِ
لِي ذَاتٌ، غَيْرَ أَنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي مَا هِيَ
فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِي كُنْهَ ذَاتِي؟ لَسْتُ أَدْرِي!

* * *

إِنَّنِي جِئْتُ وَأَمْضِي، وَأَنَا لَا أَغْلَمُ
أَنَا لُغَزٌ، وَذَهَابِي كَمَجِيئِي طُلَسَمُ
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللَّـهَ غَزَ لُغَزُ مُبْنَهُمْ
لَا تُجَادِلْ. ذُو الْحِجَا مِنْ قَالَ إِنَّنِي.. لَسْتُ أَدْرِي!

٦٣ عجائز موسرات

عرج صاحب الديوان في إحدى سفراته على فندق فخيم، فلم ير إلا عجائز، فقال:
لِمَنْ يَضُوعُ الْعَبِيرُ؟ لِمَنْ تُعْنِي الطيور؟
يضوع: يفوح

وَلَا جَمَالَ أَنِيْقٌ وَلَا شَبَابَ نَضِيرُ
بَلْ مُومِيَاتٌ، عَلَيْهَا أَطَالِسُ، وَخَرِيرُ
أطالس: ثياب حرير

رَاحَتْ تُقْفِقُ حَوْلِي فَكَادَ عَقْلِي يَطِيرُ
وَلَاذَ قَلْبِي بِصُدْرِي كَأَنَّهُ عُصْفُورُ
لَا حَتَّ لَهُ فِي الْأَعَالِي بَوَاشِقُ وَصَقُورُ
بواشق: جوارح

وَقَالَ: ضُويِقَتْ، فَاهْرُبْ قَلْتُ: الْفِرَارُ عَسِيرُ
مَالِي جَنَاحٌ، وَلَا لِي سَيَّارَةٌ، أَوْ بَعِيرُ
هَذِي الْعَصُورُ الْخَوَالِي تَطُوفُ بِي، وَتَدُورُ
العصور الخوالي: الأزمان الماضية.. يقصد أولئك العجائز

مِنْ كُلِّ شَمْطَاءٍ وَلَّى شَبَابُهَا، وَالْغُرُورُ

شمطاء: اختلط بياض شعرها بسواده. أليس تكون المرأة غادرت صباها إذا ذهب غرورها النسوي! لكنني أقول لك شيئاً: التي كانت جميلة في صباها، تصبح عجوزاً ويغادرها الجمال ولا يغادرها الغرور. ما أصعب أن تتعامل مع امرأة كانت جميلة!

يَا طَالِبَ الشَّهْدِ أَقْصِرْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَفِيرُ

أقصر: أكثف، القفير: الخلية، يقول: ذهب العسل وبقي هيكل الخلية

كَأَنَّمَا الْوَجْهَ مِنْهَا قَدْ عَصَّهُ الزَّمْهَرِيرُ

كالبدر حين تراه يُعِينُكَ النَّاطُورُ

يشبه وجوه العجوز بالقمر عندما تراه بالمنظار، فترى فيه رقشاً ونقشاً

تَبْدُو لِغَيْنِكَ فِيهِ بَرَازُخٌ وَبُحُورُ

البرزخ: الأرض الفاصلة بين مائين (شيء في التضاريس)

وَأَنْجُودٌ وَوَهَادٌ لَكِنَّهُ مَهْجُورُ

أنجد: هضاب، وهاد: منخفضات

وَلِلْيَدَيْنِ ارْتِعَاشٌ، وَلِلْعِظَامِ صَرِيرُ

أَمَّا الْعَيُونُ فَغَارَتْ وَلَا تَرَالُ تَقُورُ

مَعَاوِرٌ، بَلْ صَحَارَى، بَلْ أَكْهَفٌ، بَلْ قُبُورُ

وَالْخَضِرُ! عَفُوراً وَصَفْحَا! كَانَتْ لَهُنَّ خُصُورُ

هُنَّ السَّعَالَى، وَلَكِنْ سَعَالُهُنَّ كَثِيرُ

السعالى: الغيلان

حَدِيثُهُنَّ انْتِفَاضٌ وَضِحْكُهُنَّ هَرِيرُ

هرير: صوت الكلب أو القط يخرج من جوفه

وَمَشْيُهُنَّ ارْتِبَاكٌ وَتَارَةً تَقْدِيرُ

وصف طيب لمشي العجائز، يقدرون تقديرأ موضع القدم لعجز النظر وارتعاش الجسم

فِي فُنْدُقٍ أَنَا، أَمْ فِي جَهَنَّمَ مَحْشُورُ؟

لو حشروا شارح هذه الآيات دهرأ مع جوزفين تيوسون الممثلة الإنجليزية التي بلغت السادسة والثمانين، والتي كانت في صباها جاحظة العينين، لعاش هائتأ ناعم البال. هي امرأة مبتسمة. نعم، حتى وهي تقترب من التسعين يتألق في وجهها الابتسام والرضا

٦٤ الأسوأ من العدو

ألقى صاحب الديوان هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في مسرح «أكاديمي أوف ميوزك» في بروكلين لتأبين موسى كاظم الحسيني:

كَمْ مَعْشَرٍ خَلَّنَاهُمْ أَنْصَارَنَا فَإِذَا هُمْ لِعُدَاتِنَا أَنْصَارُ
رَقَدَ الْعِدَى فَتَحَمَّسُوا، حَتَّى إِذَا جَدَّ الْوَعَى رَكِبُوا الْعُقَابَ وَطَارُوا
شَرٌّ مِنَ الْخَضَمِ اللَّدُودِ عَلَى الْفَتَى الصَّاحِبِ الْمُتَذَذِبِ الْخَوَّارِ

الخوار: الجبان، المتذبذب: أنت تعرفه جيداً لكثرة من رأيت منهم. ونحن في زمن رديء مليء بالذين ليست لهم كلمة، الذين يكثرون من الوعود ثم يرجعون عنها، وحقاً قال إيليا فهؤلاء شر من الخصوم الألداء

٦٥ مهنتي كشاعر

قَالَتْ وَصَفْتُ لَنَا الرَّحِيقَ، وَكُوبَهَا وَصَرِيْعَهَا، وَمُدِيرَهَا، وَالْعَاصِرَا
الرَّحِيقُ: الخمر، صريعها: شاربها الذي ألقته أرضاً وهو سكران، مديرها: الذي يديرها على الجالسين ويسقي الناس

وَالْحَقْلَ وَالْفَلَاحَ فِيهِ سَائِرَا عِنْدَ الْمَسَا يَرْعَى الْقَطِيعَ السَّائِرَا
وَوَقَفَتْ عِنْدَ الْبَحْرِ يَهْدُرُ مَوْجُهُ فَرَجَعَتْ بِالْأَلْفَاظِ بَحْرًا هَادِرَا
صَوَّرَتْ فِي الْقِرْطَاسِ حَتَّى الْخَاطِرَا فَخَلَبْتَنَا، وَسَحَرَتْ حَتَّى السَّاجِرَا

القرطاس: الورق، خلبتنا: خدعت حواسنا بسحرك

وَأَرَيْتَنَا، فِي كُلِّ قَفْرِ، رَوْضَةً وَأَرَيْتَنَا، فِي كُلِّ رَوْضٍ، طَائِرَا
لَكِنْ، إِذَا سَأَلَ امْرُؤٌ عَنْكَ امْرَأًا أَبْصَرْتَ مُحْتَارًا يُخَاطَبُ حَائِرَا
مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا؟ فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا كَالْكَهْرَبَاءِ، أَرَى خَفِيًّا ظَاهِرَا
قَالَتْ: لَعَمْرُكَ زِدْتُ نَفْسِي ضَلَّةً مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ وَصَفْتَ الشَّاعِرَا؟

ضلة: حيرة

فَاجَبْتُهَا: هُوَ مَنْ يُسَائِلُ نَفْسَهُ عَنْ نَفْسِهِ، فِي صُبْحِهِ وَمَسَائِهِ
وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيْءِ، قَبْلَ فَنَائِهِ وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيْءِ، قَبْلَ فَنَائِهِ
إِنْ نَامَ، لَمْ تَرْقُدْ هُوَ اجْسُ رُوحِهِ وَإِذَا اسْتَفَاقَ، رَأَيْتَهُ كَالْتَّائِهِ

قالت: أتعرف من وصفت، فقلت: من
يا شاعر الدنيا، وفيك حصافة،
قالت: وصفت الفيلسوف الكافرا
ما كان ضررك لو وصفت الشاعر؟

فقلت: هو امرؤ يهوى العقارا
ويحسب مهرجان الناس مائتم
كما يهوى مغازلة العذارى
بلا خمر، وجنتهم جهنم
ملول، لا يدوم على ولاء
ولكن، لا يدوم على عدا
ويوشك أن يقهقه في الجنارة
ويرقص كالعواصف في المفازة

المفازة: الصحراء

يعتقه الصحاب، فلا ينيب
وينزجره المشيب، فلا يتوب
ينيب: يتراجع

فقلت: جئت بالكلم البديع
ولكن ما وصفت سوى الخليع

وخفت إعراضها عني، فقلت: إذن
كأنما ليس في الدنيا سواه فتى
هو الذي أبداً يبكي من الزمن
معرض لخطوب الدهر والمحن
يشكو السقام، وما في جسمه مرض
والشهد، وهو قريب العهد بالوسن
فقاطعتني، وقالت: قد بعدت بنا،
ما ذي الصفات صفات الشاعر الفطين

قلت: مهلاً، إذا ضللت وعذراً
هو... من ترسّم الجمال يده
ربما أخطأ الحكيم وضلاً
فتراه في الطرس أشهى وأحلى

الطرس: الورقة

أفما ذا من تبتغين، وأبغني
وصفه؟ قالت المليحة: كلا
أفليس هذا هو الذي تطلين، وأطلب أنا أيضاً وصفه؟

يا هذه! إنني عييت بوصفه
لا تستطيع الخمر سرد صفاتها
وعجزت عن إدراك مكنوناته
والروض وصف زهوره ونباته

هُوَ مَنْ نَرَاهُ سَائِرًا فَوْقَ الثَّرَى وَكَأَنَّ فَوْقَ فَوَائِدِهِ خُطُوتَاتِهِ
هُوَ مَنْ يَعِيشُ لِغَيْرِهِ، وَيَظُنُّهُ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمُهُ، يَعِيشُ لِنَظَائِهِ

٦٦ إنما الغبطة فكرة

أَقْبَلَ الْعَيْدُ؛ وَلَكِنْ، لَيْسَ فِي النَّاسِ الْمَسَرَّةُ
دَعَاءُ الْمَسِيحِينَ فِي الْعَيْدِ: الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَفِي النَّاسِ الْمَسَرَّةُ
لَا أَرَى إِلَّا وَجُوهًا كَالْحَبَاتِ مُكْفَهَرَةً
وَشِفَاهًا تَحْذَرُ الضُّخْرَ لَكَ كَأَنَّ الضُّخْرَ جَمْرَةٌ
لَيْسَ لِلْقَوْمِ حَدِيثٌ غَيْرُ شَكْوَى مُسْتَمِرَّةٍ
لَا تَسْأَلُ مَاذَا عَرَاهُمْ، كُلُّهُمْ يَجْهَلُ أَمْرَهُ
أَيُّهَا الشَّاكِي اللَّيَالِي! إِنَّمَا الْغِبْطَةُ فِكْرَةٌ
رَبِّمَا اسْتَوْطَنْتِ الْكَوْ خَ، وَمَا فِي الْكَوْخِ كِسْرَةٌ
وَحَلَّتْ مِنْهَا الْقُصُورُ الـ عَالِيَاتِ الْمُشْمَخِرَةُ
تَلَمَسُ الْغُضْنَ الْمُعْرَى، فَلِذَا فِي الْغُضَنِ نَضْرَةٌ
وَإِذَا رَقَّتْ عَلَى الْقَفْ رٍ، اسْتَوَى مَاءٌ وَخُضْرَةٌ
وَإِذَا مَسَّتْ حَصَاةً، صَقَلَتْهَا فَهِيَ دُرَّةٌ
أَيُّهَا الْعَابِسُ! لَنْ تُغْدَ طَى عَلَى التَّفْطِيبِ أَجْرَةٌ
لَا تَكُنْ مُرًّا، وَلَا تَجْ عَلْ حَيَاةَ الْغَيْرِ مُرَّةٌ

٦٧ قَلِ الرُّوحُ..

يعارض إيليا أبو ماضي ابن سينا في قصيدة له مشهورة عن الروح:

أَنَا لَسْتُ بِالْحَسَنَاءِ أَوَّلَ مُوَلِّعٍ هِيَ مَظْمَعُ الدُّنْيَا، كَمَا هِيَ مَظْمَعِي
وَلَكَّمْ دَخَلْتُ إِلَى الْقُصُورِ مُفْتَشًّا عَنْهَا، وَعُجْتُ بِدَارِسَاتِ الْأَرْبَعِ

عجت بدارسات الأربع: مرتت بالبيوت الخربة

إِنَّ لَاحَ طَيْفَ قَلْتُ: يَا عَيْنُ أَنْظِرِي، أَوْ رَنَّ صَوْتُ، قَلْتُ: يَا أُذُنُ اسْمَعِي
فَإِذَا الَّذِي فِي الْقَصْرِ مِثْلِي حَائِرٌ وَإِذَا الَّذِي فِي الْقَفْرِ مِثْلِي لَا يَبْعِي
قَالُوا: تَوَرَّعْ، إِنَّهَا مَحْجُوبَةٌ إِلَّا عَنِ الْمُتَرَهِّدِ الْمُتَوَرَّعِ

هذه الحسناء، وهي الروح، محجوبة ولا تظهر إلا للقي الورع

فَوَأَذَتْ أَفْرَاحِي، وَطَلَّقْتُ الْمَنَى وَنَسَخْتُ آيَاتِ الْهَوَى مِنْ أَضْلَعِي

نسخت: ألغيت

وَهَجَعْتُ، أَحَسَبُ أَنَهَا بِنْتُ الرُّؤَى فَصَحَوْتُ أَشْخَرُ بِالنِّيَامِ الْهُجَعِ
نام يحسب أن الروح تأتي في الأحلام

لَمَّا حَلَمْتُ بِهَا حَلَمْتُ بِزَهْرَةٍ لَا تُجَنِّنِي، وَبِنَجْمَةٍ لَمْ تَظْلِعْ
ثم انتبهت، فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي، والفراش، ومخدعي
مَنْ كَانَ يَشْرَبُ مِنْ جَدَاوِلٍ وَهَمِهِ قَطَعَ الْحَيَاةَ بِغُلَّةٍ لَمْ تُنْقَعْ
بغلة لم تنقع: بعطش لم يرو

ذَهَبَ الرَّبِيعُ فَلَمْ تَكُنْ فِي الْجَدْوَلِ الشَّدَا - سادي، ولا الرّوض الأغنّ المُمْرِعِ
ذهب الربيع فلم تكن الروح موجودة في الجدول الشادي (الترنم)، ولا في الروض الأغنّ (الكثير
الشجر)، الممرع (الخصب)

وَأَتَى الشِّتَاءُ فَلَمْ تَكُنْ فِي عَيْمِهِ الْبَاكِ، وَلَا فِي رَعْدِهِ الْمَتَفَجِّعِ
وَلَمَحَتْ وَامِضَةُ الْبُرُوقِ، فَحَلَّتْهَا فِيهَا، فَلَمْ تَكُ فِي الْبُرُوقِ اللَّمَّعِ
حَتَّى إِذَا نَشَرَ الْقَنُوطُ ضَبَابَهُ قَوْيَ، فَعَيَّبَنِي، وَعَيَّبَ مَوْضِعِي
عَصَرَ الْأَسَى رُوحِي، فَسَأَلْتُ أَدْمُعًا فَلَمَحَتْهَا، وَلَمَسْتُهَا فِي أَدْمُعِي
وَعَلِمْتُ، حِينَ الْعِلْمِ لَا يُجَدِّي الْفَتَى، أَنَّ الَّتِي ضَيَّعْتُهَا كَانَتْ مَعِي

٦٨ عندما نصبح الروح ريحاً

سَأَلْتُ، وَقَدْ مَرَّتِ الشَّمَالُ نُنُوحٌ، وَأَوْنَةُ تُغْوِلُ
الشمال: ريح الشمال، تعول: تنوح

إِلَى أَيِّمَا غَايَةٍ تَرْكُضِينَ؟ أَلَا مُسْتَقَرٌّ، أَلَا مَوْئِلٌ؟
موئل: ملاذ

لَقَدْ طَرَحَ الْغَصْنُ أَوْرَاقَهُ مِنْ الدَّغْرِ، وَاضْطَرَبَ الْجَدْوَلُ
وَضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى عُشِّهِ، فَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ، الْبُلْبُلُ
وَكَادَتْ تَخِرُّ لَدَيْكَ الْهَضَابُ وَتَرْكُضُ قُدَّامَكَ الْأَجْبُلُ
أَيَعِدُّو وَرَاءَكَ جَيْشٌ كَثِيفٌ أَمْثَلُكَ يُزْهِبُهُ الْجَحْفَلُ؟

فَجَاوَبَنِي هَاتِفٌ فِي الظَّلَامِ : غَلِظْتَ ، فَمَا هَذِهِ السُّمُأَلُ
وَلَكِنَّهَا أَنْفُسُ الْغَايِرِينَ تَجُوسُ الدِّيَارَ ، وَلَا تَنْزِلُ
الغايرون: الماضون، تجوس: تطوف

مِنَ الْبَحْرِ تَضَعْدُ هَذِي الْغِيُوثُ وَتَهْطِلُ فِي الْبَحْرِ ، إِذْ تَهْطِلُ
هُمْ فِي الشَّرَابِ الَّذِي نَحْتَسِي وَهُمْ فِي الطَّعَامِ الَّذِي نَأْكُلُ
وَهُمْ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي حَوْلَنَا وَفِي مَا نَقُولُ ، وَمَا نَفْعَلُ
فَمَنْ حَسِبَ الْعَيْشَ دُنْيَا وَأُخْرَى فَذَا رَجُلٌ عَقْلُهُ أَحْوَلُ

٦٩ الثَّقِيلُ وَالتَّمْثِيلُ

نُبِئْتُ أَنَّكَ تَعَشُّقُ التَّمْثِيلَا عِشْقًا يُمَثِّلُ فِي حَشَاكَ فُضُولَا
وَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى أَنْ تَهْجَرَ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا
عَلَلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ ، فَأَضْبَحْتَ فِي عَمْرَةٍ ، وَعَدَوْتَ أَنْتَ عَلِيلَا
تَأْبَى الْمَرَاسِحَ أَنْ تُنِيلَكَ وَدَهَا إِنَّ الْمَرَاسِحَ لَا تُحِبُّ ثَقِيلَا
المراسح: الممارح

٧٠ هَاجِسُ الْفَنَاءِ

لَمْ أُنْسَ حِينَ مَشَتْ إِلَيَّ تِلْوَ مُنِي لَمَّا رَأَيْتَنِي بِاسِمًا مُتَهَلِّلَا
قَالَتْ - أَتَطْرَبُ وَالْمَنَايَا حُومَ فِي الْأَرْضِ ، كَيْفَ رَمَتْ أَصَابَتَ مَقْتَلَا؟
أَنْظُرْ ، فَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنَ الشَّبَا بٍ ؛ وَلَا جَمَالَ لِمَنْزِلٍ مِنْهُمْ خَلَا
فَسَأَلْتُهَا : أَوَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ الْعُلَى وَهَنَاتِنَا خَاضُوا الْوَعَى ؟ قَالَتْ : بَلَى
يَا هَذِهِ ، إِذَا بَكَيْتُ لِبُعْدِهِمْ يَتَبَسَّمُونَ ؟ أَجَابَتِ الْحَسَنَاءُ : لَا
كُفِّي الْمَلَامَ إِذْنُ ، فَمَا أَنَا جَاهِلٌ مَا تَعْلَمِينَ ، وَكَيْفَ لِي أَنْ أَجْهَلَا؟
لَكِنْ ، بَعَثْتُ الْفِكْرَ فِي آثَارِهِمْ : فِي الْبَحْرِ ، فِي الْأَجْوَاءِ ، فِي غُرُصِ الْفَلَا
فَرَأَيْتُ نَوْرَ الْمَجْدِ فَوْقَ بُنُودِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَمْشُونَ مِنْ نَصْرِ إِلَى ..
بنودهم: راياتهم، من نصر إلى: (من نصر إلى نصر)

سَدُّوا عَلَى الْبَاغِي الْمَسَالِكَ كُلَّهَا فَالْمَوْتُ إِنَّ وَلَّى ، وَإِنْ هُوَ أَقْبَلَا

فإذا شَمَمْتَ اليومَ رائحةَ الدِّمَا ، وطالَعْتَ عيناكَ آثارَ البِلَى

البلى: تحلل الجسم

فاستَبْشِرِي، فَعَدَا إذا النَّقْعُ انْجَلَى سَتَعُودُ دُنْيَانَا أَحَبَّ وَأَجْمَلَا

النقع: الغبار

٧١ مباحج الحياة

قالها في مهرجان بردجفيل:

كَمْ تَشْتَكِي، وتقولُ إِنَّكَ مُعْدَمٌ والأَرْضُ مُلْكُكَ، والسَّمَاءُ، والأَنْجُمُ
وَلَكَ الحقولُ وزهرُها وأريجُها ونسيمُها، والبلبلُ المُتَرَنِّمُ
والماءُ حولَكَ فِضَّةٌ زَقَرَاةٌ والشمسُ فوقَكَ عَسْجَدٌ يَتَضَرَّمُ

عسجد: ذهب، يتضرم: يتوقد

والتُّورُ يَبْنِي فِي السُّفُوحِ وفي الذَّرَى والنُّورُ يَبْنِي فِي السُّفُوحِ وفي الذَّرَى
فَكَأَنَّهُ الفَنَانُ يَعْزِضُ، عَابِثًا، فَكَأَنَّهُ الفَنَانُ يَعْزِضُ، عَابِثًا،
وكَأَنَّهُ، لِصَفَائِهِ وَسَنَائِهِ، وَكَأَنَّهُ، لِصَفَائِهِ وَسَنَائِهِ،
هَشَّتْ لَكَ الدُّنْيَا، فَمَا لَكَ وَاجِمًا، هَشَّتْ لَكَ الدُّنْيَا، فَمَا لَكَ وَاجِمًا،
إِنْ كُنْتَ مُكْتَتِبًا لِعِزٍّ قَدْ مَضَى إِنْ كُنْتَ مُكْتَتِبًا لِعِزٍّ قَدْ مَضَى
أَوْ كُنْتَ تُشْفِقُ مِنْ حُلُولِ مُصِيبَةٍ أَوْ كُنْتَ تُشْفِقُ مِنْ حُلُولِ مُصِيبَةٍ
أَوْ كُنْتَ جَاوَزْتَ الشَّبَابَ، فَلَا تَقُلْ أَوْ كُنْتَ جَاوَزْتَ الشَّبَابَ، فَلَا تَقُلْ
أَنْظُرْ! فَمَا زَالَتْ تُظِلُّ مِنَ الشَّرَى أَنْظُرْ! فَمَا زَالَتْ تُظِلُّ مِنَ الشَّرَى
مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عُصُونَهَا مَا بَيْنَ أَشْجَارٍ كَأَنَّ عُصُونَهَا
وَعِیُونَ مَاءٍ دَافِقَاتٍ فِي الشَّرَى وَعِیُونَ مَاءٍ دَافِقَاتٍ فِي الشَّرَى
وَمَسَارِحَ فَتَنَ النِّسِيمِ جَمَالُهَا وَمَسَارِحَ فَتَنَ النِّسِيمِ جَمَالُهَا
فَكَأَنَّهُ صَبٌّ بِبَابِ حَبِيبَةٍ فَكَأَنَّهُ صَبٌّ بِبَابِ حَبِيبَةٍ
وَالْجَدُولُ الْجَذْلَانُ يَضْحَكُ لَاهِيًا وَالْجَدُولُ الْجَذْلَانُ يَضْحَكُ لَاهِيًا

الجدلان: الفرحان

وعلى الصَّعِيدِ مِلَاءَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ وعلى الهَضَابِ لِكُلِّ حُسْنٍ مِيسَمٌ

الصعيد: التراب، ملاءة من سندس: بساط من حرير، الميسم: علامة الحسن

فَهُنَا مَكَانٌ بِالْأَرِيحِ مُعْطَرٌّ وَهُنَاكَ طَوْذٌ بِالشُّعَاعِ مُعَمَّمٌ
طود: جبل

صُورٌ وَآيَاتٌ تَفِيضُ بَشَاشَةً حَتَّى كَأَنَّ اللَّهَ فِيهَا يَنْبِسُ
أَتَزُورُ رُوحَكَ جَنَّةً فَتَفُوتُهَا كَيْمَا تَزُورُكَ بِالظُّنُونِ جَهَنَّمَ؟
وَتَرَى الْحَقِيقَةَ هَيْكَلًا مُتَجَسِّدًا فَتَعَافُهَا، لِيُوسَّسَ تُتَوَهَّهْمُ؟
يَا مَنْ يَجِئُ إِلَى غَدٍ فِي يَوْمِهِ قَدْ بَغَتْ مَا تَذَرِي بِمَا لَا تَعْلَمُ
أَنْتَ الْغَنِيُّ إِذَا ظَفِرْتَ بِصَاحِبِ مِنْهُمْ، وَعِنْدَكَ لِلْعَوَاطِفِ مَنْجَمُ
رَفَعُوا لِذَيْنِهِمْ لِيَوَاءَ عَالِيَا وَلَهُمْ لِيَوَاءَ فِي الْعَرُوبَةِ مُعْلَمُ
معلم: ذو علامة مميزة

لَا فَضْلَ لِي إِنْ رُحْتُ أَعْلِنُ فَضْلَهُمْ بِقِصَائِدِي، إِنَّ الضُّحَى لَا يُكْتَمُ
لَكِنِّي أَخْشَى مَقَالَهَ قَائِلٍ: هَذَا الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ
أَحِبَابَنَا! مَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِكُمْ لَا تَقْبُحِ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَنْتُمْ

٧٢ نفسي تسألني

سَأَلْتَنِي، وَقَدْ رَجَعْتُ إِلَيْهَا وَعَلَى مَفْرِقِي غِبَارُ السُّنَيْنَا:
نَفْسُهُ تَسْأَلُهُ وَقَدْ اجْتَمَعَ غِبَارُ السُّنَنِ (الشَّيْبِ) عَلَى مَفْرَقِهِ (رَأْسِهِ)

أَيَّ شَيْءٍ وَجَدْتَ فِي الْأَرْضِ بَعْدِي؟ قُلْتُ: إِنِّي وَجَدْتُ مَاءً وَطِينًا
الماء والطين: الإنسان

جَمَعَ الْحُسْنَ وَالِدَّمَامَةَ وَالْإِفْءَ لَدَامَ وَالْخَوْفَ وَالنُّهَى وَالْجُنُونَا
النهي: العقل

وَشَبَابًا سَكْرَانًا مِنْ خَمْرَةِ الْوَهْ سَمِ يَحَالُ الْمُحَالُ أَمْرًا يَقِينَا
فَإِذَا شَاخَتِ الرُّؤْيَى، وَتَلَاشَتْ وَصَحَا، بَاتَ جَزْمُهُ تَخْمِينَا
لَا يَزَالُ الْإِيمَانُ نَوْعًا مِنَ الرَّهْ جَبَّةً، وَالْحُسْنُ لِلْغُرُورِ حَدِينَا
خدينا: خليلاً مرافقاً

لَا يَزَالُ الْغَنِيُّ يَخْتَالُ فِي الْأَر ضٍ، وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا مَافُونَا
مافون: أحمق

كُلُّ مَنْ قَدْ لَقِيَْتُ مِثْلَكَ، يَا نَفْسِي، فِيمَا تُبْدِينَ أَوْ تُخْفِينَا
فَانْظُرِي مَرَّةً إِلَيْكَ مَلِيًّا تُبْصِرِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
مَلِيًّا: طويلاً

٧٣ قصيدة إيليا البلشفية

كُلُّوا وَاشْرَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَإِنْ مَلَأَ السَّكَّ الْجَائِعُونَ
وَلَا تَلْبَسُوا الْحَزَّ إِلَّا جَدِيداً وَإِنْ لَيْسَ الْخِرَقَ الْبَائِسُونَ
الخز: الحرير

فَلَا تُبْصِرُونَ ضَحَايَا الطَّوَى وَلَا يُبْصِرُونَ الَّذِي تَضْنَعُونَ
الطوى: الجوع

وَإِنْ سَاءَ كُمْ أَنْتُمْ فِي الْوُجُودِ وَأَزْعَجَكُمْ أَنْتُمْ يُغْوِلُونَ
مُرُوا، فَتَصُولَ الْجُنُودِ عَلَيْهِمْ تُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ فَتُكَ الْمُنُونَ
فلتأمروا الجنود أن يصولوا (يهجموا) عليهم

وَتِلْكَ الْعِصِيَّ لِتِلْكَ الرُّؤُوسِ وَتِلْكَ الْحَرَابُ لِتِلْكَ الْبُطُونِ
وَتِلْكَ السُّجُونُ لِمَنْ شِذْذُمُوهَا؟ إِذَا لَمْ تَرْجُوهُمْ فِي السُّجُونِ
وَقُولُوا: كَذَا قَدْ أَرَادَ الْإِلَهُ، وَإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئاً يَكُونُ
وَيَا فُقَرَاءَ! لِمَاذَا التَّشْكِي؟ أَلَا تَسْتَحُونُ، أَلَا تَخْجَلُونَ؟
دَعُوا الْأَغْنِيَاءَ وَلِذَاتِهِمْ فَهُمْ، مِثْلَ لِدَاتِهِمْ، زَائِلُونَ
سَيُمْسُونَ فِي سَقَرٍ خَالِدِينَ وَتُمْسُونَ فِي جَنَّةٍ تَنْعَمُونَ
فَلَا تَعْطَشُونَ، وَلَا تَسْغَبُونَ، وَلَا يَرْتَوُونَ، وَلَا يَشْبَعُونَ

تسغبون: تجوعون

لَكُمْ وَخَذَكُمْ مَلَكَوْتُ السَّمَاءِ فَمَا بِالْكُمِ لَسْتُمْ تَقْنَعُونَ؟
سَتَكُونُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ تُظَلِّلُكُمْ وَارِفَاتُ الْعُصُوفِ
وَتَسْقِيكُمْ الْخَمْرَ حُورٌ حِسَانٌ كَمَا يَشْتَهِينَ، كَمَا تَشْتَهُونَ
كَذَا وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ الثَّقَى وَأَنْتُمْ هُمْ، أَيُّهَا الْمُتَعَبُونَ
أَلَا تُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ الْكِتَابِ؟ فَوَيْلٌ لَكُمْ! إِنَّكُمْ كَافِرُونَ

٧٤ الدنيا والأخرى

زَعَمَ الْمَرءُ أَنَّما هُوَ رَبٌّ، كَمْ يَلُوكُ الْكَلَامَ هَذَا الْإِلَهَ!
 فِي الثَّرَابِ الَّذِي تَدُوسُ عَلَيْهِ أَلْفَ دُنْيَا وَعَالَمٍ لَا تَرَاهُ
 أَنْتَ جُزْءٌ مِنَ الْكِيَانِ وَفِيهِ كَثَرَاهُ، كَنَبْتِهِ، كَخَصَاهُ
 كَالْوُرُودِ الَّتِي تُحِبُّ شَذَاهَا وَالْبَعُوضِ الَّذِي تَخَافُ أَذَاهُ
 مَا لِحَيِّ بِالمَوْتِ عَنْهُ انْفِصَالٌ إِنَّ دُنْيَاهُ هَذِهِ أُخْرَاهُ

٧٥ الله والحب وجهنم

قَالَ قَوْمٌ: إِنَّ الْمَحَبَّةَ إِثْمٌ وَنَحَ بَعْضُ النَفُوسِ مَا أَغْبَاهَا
 إِنْ نَفْسًا لَمْ يُشْرِقِ الْحُبُّ فِيهَا هِيَ نَفْسٌ لَمْ تَذِرْ مَا مَعْنَاهَا
 خَوَّفُونِي جَهَنَّمَاءَ وَلَظَاهَا أَيْ شَيْءٍ جَهَنَّمَ وَلَظَاهَا؟
 لَيْسَ عِنْدَ الْإِلَهِ نَارٌ لِذِي حُبٍّ وَنَارُ الْإِنْسَانِ لَا أَخْشَاهَا!
 أَنَا بِالْحُبِّ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى نَفْسِي، وَبِالْحُبِّ قَدْ عَرَفْتُ اللَّهَ

٧٦ وارحمنا للبائسين

قَدْ عَضَّهُ الْيَأْسُ الشَّدِيدُ بِنَابِهِ فِي نَفْسِهِ، وَالْجُوعُ فِي الْأَحْشَاءِ
 فَأَقَامَ جِلْسَ الدَّارِ، وَهُوَ كَأَنَّهُ - لِخُلُوءِ تِلْكَ الدَّارِ - فِي بَيْدَاءِ
 حَلَسَ الدَّارَ: مَلَاظِمًا لِلدَّارِ مَلَاظِمَةُ الْحَلَسِ (الْبَرْدَةِ) لِلدَّابَةِ

ظَرَدَ الْكُرَى، وَأَقَامَ يَشْكُو لَيْلَهُ: يَا لَيْلُ طُلْتَ، وَطَالَ فِيكَ عَنَائِي
 يَا لَيْلُ! حَسْبِي مَا لَقِيتُ مِنَ الشَّقَا رُحْمَاكَ؛ وَالْأَيَّامُ مِنْ أَعْدَائِي
 وَارْحَمْنَا لِلْبَائِسِينَ فَإِنَّهُمْ مَوْتَى، وَتَحَسَّبُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ
 إِنِّي وَجَدْتُ حُظُوظَهُمْ مُسَوَّدَةً فَكأنما قُذِّتْ مِنَ الظُّلْمَاءِ
 قُذِّتْ: قُطِعْتُ

لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ، أَوْ وَصَفَ الدُّمَى إِنِّي نَبَذْتُ سَفَاسِيفَ الشُّعْرَاءِ
 الدُّمَى: النِّسَاءُ الْحَنَانِ، سَفَاسِفٌ: تَقَاهَاتُ

لَمْ يَفْهَمُوا مَا الشُّعْرُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَاتَ وَاسِطَةً إِلَى الْإِثْرَاءِ

إِنْ يَغْضَبُوا مِمَّا أَقُولُ، فَطَالَمَا
أَوْكَلَّمَا نَصَرَ الْحَقِيقَةَ فَاضِلُ
أَنَا مَا وَقَفْتُ الْيَوْمَ فِيكُمْ مَوْقِفِي
قُلْ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعِزِّ بِمَالِهِ:

الخيلاء: الغرور

جُبِلَ الْفَقِيرُ أَخْوَكُ مِنْ طَبِينٍ وَمِنْ
أَتَضُنُّ بِالْدِينَارِ فِي إِسْعَافِهِ
أَنَا لَا أَذْكَرُ مِنْكُمْ أَهْلَ النَّدَى
إِنْ كَانَتْ الْفُقَرَاءُ لَا تَجْزِيكُمْ
مَاءٍ، وَمِنْ طَبِينٍ جُبِلَتْ وَمَاءٍ
وَتَجُودُ بِالْآلَافِ فِي الْفَحْشَاءِ؟
لَيْسَ الصَّحِيحُ بِحَاجَةٍ لِدَوَاءٍ
فَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْفُقَرَاءِ

٧٧ قصيدة تحيي الصخر والحطب

ألقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة:

يَا شَاعِرَ «الدير» كَمْ هَلْهَلْتُ قَافِيَةً
عَنَى الرِّوَاءُ بِهَا، وَاخْتَالَتْ الْكُتُبُ
الدير: دير القمر بلدة سماحة، هلهل القوافي: قال شعراً عذبا

مَرَّتْ عَلَى هَضْبَاتِ الدِّيرِ هَائِمَةً
فَكَادَ يُورِقُ فِيهَا الصَّخْرُ وَالْحَطَبُ

٧٨ هدايا للناقصين

خَرَجَ النَّاسُ يَشْتَرُونَ هَدَايَا الـ
فَتَمَنَيْتُ لَوْ تُسَاعِفُنِي الدُّنَى
كَنْتُ أَهْدِي، إِذَنْ، مِنَ الصَّبْرِ أَرْطَا
وَالِي كُلِّ نَابِغٍ عَبْقَرِيٍّ:
وَالِي كُلِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ:
وَالِي مَغْشَرِ الْكُسَالَى: قُصُوراً
عِيدٍ لِلْأَضْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ
يَا قَافُضِي فِي الْعِيدِ بَعْضَ رِغَابِي
لَا إِلَى الْمُنْشَيْنِ وَالْكَتَابِ
أُمَّةٌ أَهْلُهَا ذَوُو أَلْبَابِ
سَلَّةٌ مِنْ فَوَاكِهِ الْأَلْقَابِ
مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدٍ، فِي السَّحَابِ

اللجين: الفضة، العسجد: الذهب

عَلَّنِي أَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ، فَقَدْ صَا
وَالِي ذِي الْغِنَى الَّذِي يَرْهَبُ الْفَقْدَ
كُلَّمَا عَدَّ مَالَهُ مُظْمِئاً
رَوَا كَظْلِي فِي جِيَّتِي وَدَهَابِي
رَ: ازدياد الذي به من عذاب
أَبْصَرَ الْفَقْرَ وَاقِفاً بِالْبَابِ

وإلى المؤمنين: شيئاً من الشك - وبعض الإيمان للمرتاب
 وإلى من يسبني في غيابي: شرفاً كي يصونه من سبابي
 أهدي من يسبني شرفاً كي يحافظ عليه، فلا يعطيني فرصة لأسب هذا الشرف

وإلى حاسدي: عمراً طويلاً - ليدوم الأسى بهم مما بي
 ولو أن الزمان صاحب عقل - كنت أهدي إلى الزمان عتابي
 لم يكن لي الذي أردت، فحسبي - أنني بالمنى ملأت وطابي
 الوطاب: القرية

٧٩ أجل، شيخ الشباب

قصيدة بحث بها إلى صديقه الشاعر مسعود سماحة:

«مسعود» أهون بالمشي - ب، فما أمحى إلا الخضاب
 أي أن سواد الشعر كان خضاباً (صبغة)

إن شاب منك المفارقا - ن، فما أظن القلب شاب
 إن قيل إنك صرت شيئاً - حأ، قل: أجل، شيخ الشباب
 لا يذكرك الهرم النجوى - م، وأنت في الدنيا شهاب
 وإذا يُعبأ على المشي - ب فتى، فمن ذا لا يُعبأ؟
 أو كان يُمدح بالسوا - د، فمن ترى مدح الغراب؟

٨٠ دهقان الفصحى

في عبد الله البستاني صاحب معجم «البيان»:

يا مَيِّتاً فيه جمال الحياء - ما حاز منك اللحد إلا الرفات
 أنت الفتى الباقي بآثاره - ما أنت بالمرء إذا مات مات
 يا حُجَّةَ الفُصحى ودهقانها - وبخرها الطامي، وشيخ الثقات
 دهقانها: الخبير بها، الطامي: الفائض، الثقات: الموثقون

سلختها سبعين من أجلها - في عالم الطرس، ودنيا الدوا
 سلختها سبعين: قضيت سبعين سنة من أجل الفصحى، الطرس: الورقة

النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ فِي قِيلِهِمْ وَأَنْتَ كَالْعَابِدِ وَقْتَ الصَّلَاةِ
غَنَيْتَ بِالصَّدَادِ وَأَسْرَارِهَا عَنِ الْعَوَانِي وَالطَّلَا وَالسُّفَاةِ
غنيت: صرت مستغنياً، الطلا: الخمر

أَنْتَ الَّذِي رَدَّ إِلَيْهَا الصَّبَا إِنَّ الْهَوَى يَجْتَرِحُ الْمُعْجَزَاتِ
فَاخْتَلَجَتْ أَوْضَاعُهَا بِالْمَنَى وَجَالَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي الْمُفْرَدَاتِ
تصوير غريب لنهضة اللغة العربية فأوضاعها تختلج بأمانى التجديد وبالحياة، وماء الحسن يجري
في مفرداتها

٨١ في مدح جريدة

بحي مطبوعة مرآة الغرب في ستها التاسعة عشرة:

أَلَا إِنَّ حُسْنَ لَا يُرَافِقُهُ التُّهَى، وَإِنْ دَامَ يَوْمًا، لَا يَدُومُ لَهُ قَدْرُ
النهى: العقل

هِيَ الشَّمْسُ، تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدَةً يَرُوحُ بِهَا لَيْلٌ، وَيَأْتِي بِهَا فَجْرُ
هذه الجريدة مثل الشمس فهي في كل يوم جديدة

لِكُلِّ فِتَاةٍ خِذْرُهَا وَسَوَارُهَا وَلَكِنَّ هَذِي، كُلُّ قَلْبٍ لَهَا خِذْرُ
خدر: مكان النساء خلف الستر

إِذَا رَضِيَتْ، فَالْتَوْرُ فِي كَلِمَاتِهَا وَإِنْ غَضِبَتْ، فَهِيَ الْأَسِنَّةُ وَالْجَمْرُ
وَلَا غَرَوْ أَنْ عَزَّتْ، وَهَانَ خُصُومُهَا فَلِلْحَقِّ، مَهْمَا جَفَعَ الْبَاطِلُ، النَّصْرُ
فَكَمْ مُرْجِفٍ أَعْرَاهُ فِيهَا سُكُوتُهَا فَلَمَّا أَهَابَتْ، كَادَ يَقْتُلُهُ الدُّعْرُ
أهابت: استعذت، مرجف: ناشر شائعات

وَلَا غَرَوْ أَنْ أَهْدَى لَهَا الشُّعْرُ وَحِيَهُ فَيَا طَالَمَا سَارَتْ، وَسَارَ بِهَا الشُّعْرُ
وَإِنْ يَكُنِ الْأَحْرَارُ مِنْ نَصْرَائِهَا فَكَمْ نَصَرَ الْأَحْرَارَ صَاحِبُهَا الْحُرُ
فَفِي الْعُسْرِ، لَمْ يَجْهَرْ بِشَكْوَى لِسَانَهُ وَفِي الْيُسْرِ، لَمْ يَلْعَبْ بِأَعْظَافِهِ الْكِبَرُ
لم يلعب بأعظافه الكبر: لم يتملّكه التكبر

٨٢ عندما أصغى البحر

قالها في حفلة تكريم سامي الشوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها:

عندي لكم نبأ عجيب شيق سأقضه، وعليكم تفسيره
إني رأيت البحر أخرس ساهياً كالشيخ، طال بما مضى تفكيره
فسألت نفسي، حائراً متلجلجاً يا ليت شعري! أين ضاع هديره؟
متلجلج: متلعثم

بالأمس؛ قالت موجة ثرثارة ومضت، فأكملت الحديث صخوره:
بالأمس، مرّ بنا فتى من قومكم رقت شمائله، ودق شعوره
يلهو بأوتار الكمنجة، والدجى مرخية فوق العباب ستوره
فشجا الخضم نشيده وهتافه فسها، فضاع هديره وزئيره
الخضم: البحر

يا ضيقنا! والأنس أنت رسولُه وبشيرُه، والفن أنت أميرُه
لو شاع في الفردوس أنك بيننا لمشت إلينا سافرات حوره
يا شاعر الألحان! إني شاعرٌ أمسى ضيلاً، عند نورك، نوره
أسمى الكلام الشعر، إلا أنه أسماه ما أغيا الفتى تصويره
أسمى الكلام الشعر، وأسمى نوع من الشعر ما عجز المرء عن تصويره في كلمات: وهذا هو
الموسيقى

وأحب أزهار الحداثي وردّها وأحب من وزد الرياض عبيره

٨٣ الولادة الثانية

رثاء سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥) الذي مات في نيويورك، وهو مترجم الإلياذة شعراً إلى العربية:

شاعرٌ، كان يرقص الدهر أحياناً نأ، ويبكي حيناً على نغماته
منشئ رق لفظه كسجايَا ه، وزق الجمال في جنباته
توج الضاد بالملاحه، حتّى خالها القوم بعض مخترعاته
فتح الموت، حين أغمض عينيه ه، عيون الورى على حسناته

فَهُوَ مَاضٍ لَهُ جَلَالَةٌ آتٍ مِنْ فُتُوحَاتِهِ، وَمِنْ غَزَوَاتِهِ
وَالْفَتَى الْعَبْقَرِيُّ يُولَدُ إِذْ يُو لَدُ فِي مَهْدِهِ، وَيَوْمَ مَمَاتِهِ

٨٤ الناس هم الآحاد

في البيويل الذهبي لمجلة المقتطف (وأنشئت عام ١٨٧٦):

تَشْقَى مَتَى تَشْقَى الشُّعُوبُ بِجَهْلِهَا وَتَعِزُّ، حِينَ تَعِزُّ، بِالْأَفْرَادِ
لَهُمُ الزَّمَانُ: قَدِيمُهُ وَحَدِيثُهُ مَا النَّاسُ فِي الدُّنْيَا سِوَى الْآحَادِ

٨٥ سبب اهتزاز نخيل مصر

أرسل الشاعر مسعود سماحة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة ببعض
البن:

يَضُوعُ عَبِيرُهَا بِرِمَالٍ نَجْدٍ وَيَغْبَقُ عِظْرُهَا بِقُصُورٍ مِصْرٍ
يَضُوعُ: يَفُوحُ
وَيُزْرِي طَعْمُهَا، حُلُوءاً وَمُرّاً، بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حُلُوٍّ وَمُرٍّ
يُزْرِي: يَحْقُرُ

وَسُمُرَاءٍ، إِذَا زَارَتْ صَبَاحاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ بَيْضِ وَسُمُرٍ
يَحُوكُ لَهَا الْبَخَارُ رِدَاءً نَدًّا وَيَكْشُوها الْحَبَابُ وَشَاحَ دُرًّا
النَّد: نوع من البخور، الحباب: الفقايع، الدر: اللؤلؤ

كَسَرْتُ الدَّنَّ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ فَأَمْسَتْ، بَعْدَ خَمْرِ الدَّنِّ، خَمْرِي
فَإِنْ حَلَّتْ قُؤَاكُ جُيُوشٍ ضَعْفٍ وَهَالِكَ عِبَاءُ هَمٍّ مُسْبِطٍ
مُسْبَط: ممتد

عَلَيْكَ بِقَهْوَةٍ رَقَّتْ وَرَاقَتْ كَشِعْرِكَ، لَا يُجَارَى، أَوْ كَشِعْرِي
فَأَجَابَهُ إِيْلِيَا أَبُو مَاضِي:

إِذَا دَارَتْ عَلَى الْجُلَاسِ هَشُوءَا كَأَنَّ كُؤُوسَهَا أَخْبَارُ نَضْرٍ
فَلَوْ عَرَفْتَ مَزَايَاها الْعَوَانِي لَعُلِّقَ حَبُّهَا فِي كُلِّ نَحْرٍ
النحر: ما بين الرقبة والصدر

كَأَنَّ حَبِيبَهَا، خُضْرًا وَصُفْرًا، قُصُوصُ زُمُرْدٍ، وَشُدُورُ تَبْرِ
شذور التبر: حبيبات الذهب الخام

أَلَسْتَ تَرَى إِلَيْهَا كَيْفَ تَظَعَّى وَكَيْفَ تَتَوَرُّ، إِنَّ مُسَّتَ بِجَمْرِ
كَأَنَّ نَخِيلَ مِضْرٍ قَدْ حَسَاها وَالْأَ... مَا اهْتَزَّازُ نَخِيلٍ مِضْرٍ؟
وَمَا هِيَ قَهْوَةٌ تُظَهَّى وَتُحْسَى وَلَكِنْ، نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ حُرٍّ
حَوَى فِي شَعْرِهِ عَبَثَ ابْنِ هَانِي وَزَادَ عَلَيْهِ فِلَسْفَةُ الْمَعْرِي
هذه ليست قهوة فحسب، إنها هدية شاعر حر جمع في شعره عبث الحسن بن هانئ (أبي نواس)،
وفلسفة المعري

٨٦ هجاء السياسة

لَمْ يَبْقَ مَا يُسْلِيكَ غَيْرُ الْكَاسِ فَاشْرَبْ، وَدَعْ لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ
يسليك: ينسبك

وَأَنْسَ الْهَمُومَ، فَلَيْسَ يَسْعَدُ ذَاكِرٌ وَاسْقِ النُّجُومَ، فَإِنَّهَا جُلَّاسِي
وَاهْجُرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ، وَالْأَلَى يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِي
إِنِّي نَبَذْتُ إِيمَارَهَا مُذْ دُقْتُهَا وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي
وَعَسَلْتُ مِنْهَا رَاحَتِي، فَعَسَلْتُهَا مِنْ سَائِرِ الْأَوْضَارِ وَالْأَذْنَسِ
الأوضار: الأوساخ

وَتَرَكْتُهَا لِاثْنَيْنِ: غِرٌّ سَادَجٍ وَمُشْعَوِذٍ مُتَذَذِبٍ دَسَّاسٍ
نَرْجُو الْخَلَاصَ بِغَاشِمٍ مِنْ غَاشِمٍ لَا يُنْقِذُ النَّحَّاسُ مِنْ نَحَّاسٍ
النحاس: تاجر العبيد

وَنَقِيسُ مَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى وَأَمُورُنَا تَجْرِي بِغَيْرِ قِيَاسٍ
وَنَكَادُ نَفْتَرِشُ الثَّرَى، وَيَأْزُضُنَا لِلْأَجْنَبِيِّ مَوَائِدُ وَكَرَاسِي
وَنَبِيْتُ نَفَخَرُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَرِقَابُنَا مَمْدُودَةٌ لِلْفَاسِ

٨٧ لماذا يشربونها

يَشْرَبُ بِنْتُ الْكَرَمِ بَعْضُ النَّاسِ لِكُرْبَةٍ فِي النَّفْسِ، أَوْ وَسْوَاسِ
وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ ظَفِرَا وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ قَدْ خَسِرَا
وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ فِي قَرْحٍ وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ فِي تَرْحٍ
وَبَعْضُهُمْ، كَيْ يَسْتَرِدَّ الْأَمْسَا وَبَعْضُهُمْ يَجْرَعُهَا كَيْ يَنْسَى

وَبَعْضُهُمْ، لَيْسَتْفِيدَ قُوَّةٍ وَبَعْضُهُمْ، لِسَوْرَةِ الْفُتُوَّةِ

السورة: القوة المندفعة

وَبَعْضُهُمْ، كَيْمَا يَحُلُّ مُشْكِلَةً وَبَعْضُهُمْ، لِأَنَّهُ لَا شُغْلَ لَهُ

وَبَعْضُهُمْ، يَشْرِبُهَا أَحْيَانًا وَبَعْضُهُمْ، فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَا

وَبَعْضُهُمْ، مَعَ زُمْرَةِ النُّدْمَانِ وَبَعْضُهُمْ، فِي وَحْدَةِ الرَّفْقَانِ

وَسِرُّ هَذَا أَنَّهَا كَالدُّنْيَا تُؤْذِي، وَلَكِنْ مَعَ أَذَاهَا تُهَوِّى

٨٨ الإبريق المزهو

أَلَا أَيُّهَا الْإِبْرِيقُ! مَا لَكَ وَالصَّلَفُ فَمَا أَنْتَ بِلُؤْزٍ، وَلَا أَنْتَ مِنْ صَدَفٍ

الصلف: التكبر

وَمَا أَنْتَ إِلَّا كَالْأَبَارِيقِ كُلِّهَا تُرَابٌ مَهِينٌ، قَدْ تَرَقَّى إِلَى خَرْفٍ

أَرَى لَكَ أَنْفًا شَامِخًا، غَيْرَ أَنَّهُ تَلَفَعَ أَثْوَابَ الْعُبَارِ، وَمَا أَنْفٌ

تلفع أثواب العبار: التف بالعبار. كانت الأباريق تصنع من الفخار، وللإبريق ثقب ينزل منه الماء للشارب فهذا أنفه

وَمَسْنَهُ أَيْدِي الْأَذْنِيَاءِ، فَمَا شَكَا وَمَصَّتْهُ أَفْوَاهُ الطَّغَامِ، فَمَا وَجَفَ

الطغام: السفلة، وجف: ارتعش

وَفِيكَ اعْتِزَارٌ، لَيْسَ لِلدُّلَيْكِ مِثْلُهُ وَلَسْتَ بِذِي رِيَشٍ تَضَاعَفَ كَالزَّرْعَفِ

الزغف: أطراف الغصون الدقيقة

وَأَنْصَتُ أَسْتَوْحِيهِ شَيْئًا يَقُولُهُ كَمَا يَسْكُتُ الزُّوَارُ فِي مَعْرِضِ التَّحَفِ

معروض التحف: المتحف

وَبَعْدَ ثَوَانٍ خِلْتُ أَنِّي سَمِعْتُهُ يُثْرِثِرُ مِثْلَ الشَّيْخِ أَذْرَكَهُ الْخَرْفُ

فَقَالَ: سَقِيْتُ النَّاسَ، قُلْتُ لَهُ: أَجَلُ سَقَيْتَهُمْ مَاءَ السَّحَابِ الَّذِي وَكَّفَ

وكف: مظل

فَقَالَ: لِيَذْكُرْ فَضْلِي الْمَاءِ وَلِيُشِذَّ بِمَذْحِي، أَلَمْ أَحْمِلْهُ؟ قُلْتُ: لَكَ الشَّرَفُ!

فَقَالَ: أَلَمْ أَحْقِظْهُ؟ قُلْتُ: ظَلَمْتُهُ فَلَوْلَاهُ لَمْ تُتَّقَلْ، وَلَوْلَاكَ مَا وَقَفَ

الشاعر يقصد بإبريق الفخار المتكبر الإنسان الذي صنعه الله من طين، وأحلى ما في القصيدة أنه لم يصرح بذلك

٨٩ ضياع صديق

عَجَبًا لِمَنْ أُمْسَى، وَكُلُّ فَخَارِهِ بُنْصَارِهِ الْمَخْبُوءُ فِي الصُّنْدُوقِ
نضار: ذهب

مَاذَا يَقُولُ إِذَا اللَّصُوصُ مَضَوْا بِهِ وَأَقَامَ بَعْدَ نَضَارِهِ الْمُسْرُوقِ؟
أقام: بقي موجوداً

إِنْ يَرْفَعِ الْمَالُ الْكَرِيمَ، فَإِنَّهُ لِلنَّذْلِ مِثْلُ الْحَبْلِ لِلْمَشْنُوقِ
لَمَّا صَدِيقِي صَارَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى أَيْقَنْتُ أَنِّي قَدْ أَضَعْتُ صَدِيقِي

٩٠ متحير في الهدية

أَيَّ شَيْءٍ فِي الْعِيدِ أَهْدِي إِلَيْكَ يَا مَلَائِكِي؟ وَكُلُّ شَيْءٍ لَدَيْكَ
أَسْوَارًا؟ أَمْ دُمْلُجًا مِنْ نَضَارٍ؟ لَا أَحِبُّ الْقِيُودَ فِي مِعْصَمَيْكَ
دملج: سوار، نضار: ذهب

أَمْ خُمُورًا؟ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ خَمْرٌ كَالَّتِي تَسْكُبِينَ مِنْ لَحْظَتِكَ
أَمْ وَرُودًا؟ وَالْوَرْدُ أَجْمَلُهُ عِنْدَ بِيَدِي الَّذِي قَدْ نَشَقْتُ مِنْ خَدِّكَ
أجمل ورد عندي الورد الذي أشبه من خديك، فخذاك كالورد

أَمْ عَقِيقًا كَمُهْجَتِي يَتَلَطَّيْ؟ وَالْعَقِيقُ الثَّمِينُ فِي شَفَتَيْكَ
والعقيق حجر كريم أحمر

لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَعَزُّ مِنَ الرُّوحِ ح، وَرُوحِي مَرْهُونَةٌ فِي يَدَيْكَ
يغنيها ناظم الغزالي. وفي البيت الأخير يجعل عندي مفتوحة الباء فيكسر، ولو كسر الباء لفتح
لنفسه باباً أوسع للمد والتطريب

٩١ قصيدة في مدح شراب الحمير

كَانَ عَلَى خَوَانِ رَبِّ الْمَالِ كَأَسَانٍ: مِنْ خَمْرٍ، وَمِنْ زُلَالِ
خوان: مائدة، زلال: ماء

فَقَالَتِ السُّلَاقَةُ السَّرَّارَةُ: عِنْدِي حَدِيثٌ، فَاسْمَعِي يَا جَارَةَ
السلاقة: الخمر

أنا التي تَخَضَعُ لِي الرُّؤُوسُ أنا التي يَغْبِذُنِي المَجُوسُ
وَزَوْجَةٌ عَلَّمْتُهَا الخِيَانَةَ ووالِدٌ أَنْسَيْتُهُ الأَمَانَةَ
وَحَدِيثٌ خَدَعْتُهُ، فأنْخَدَعَا، حتى إذا ما شَبَّ عَضَّ الإِضْبَعَا
عَضَّ الإِصْبَعُ: أي نَدِمَ

فَسَمِعَ المَاءَ، فَهَاجَ غَضَبَا وَقَالَ: مَهْلًا، بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى
بلغ السيل الزبي: بلغت الأمور منتهى الخطورة، والزبية حفرة يحفرونها فوق تلة حتى يقع فيها
الأسد فيصيده، فما يبلغها السيل إلا وقد عاث المطر في الأرض فساداً
حَيْثُ أَكُونُ جَارِيَاً، يَكُونُ الْوَرْدُ وَالْأَقَاحُ وَالنُّسْرَيْنُ
إِنَّ المُرُوجَ الخُضَرَ لَا يُحْيِيهَا غَيْرُ وُجُودِي حَوْلَهَا، وَقِيهَا
وَجَلَسَ العِشَاقُ حَوْلِي فِي السَّحَرِ عَلَى بِسَاطِ العُشْبِ فِي ضَوْءِ القَمَرِ
كَمْ اسْتَهْوَا، إِذْ سَمِعُوا خَرِيرِي لَوْ أَنَّنِي أَسِيرٌ فِي الصُّدُورِ
وَأُمِّكَ، الكَرَمَةُ، يَا صَهْبَاءُ! مَا وَجَدْتُ فِي الأَرْضِ، لَوْلَا المَاءُ

٩٢ الطبيعة ديناً

وسَائِلَةٍ: أي المذاهبِ مذهبي وهل كَانَ قَرَعَاً فِي الدياناتِ أم أَصْلَا؟
وأي نَسِيٍّ مُرْسَلٍ أَقْتَدِي بِهِ وأي كِتَابٍ مُنْزَلٍ عِنْدِي الأَعْلَى؟
فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَفْتَنِي المَرْءَ مَذْهَبًا، وَإِنْ جَلَّ، إِلَّا كَانَ فِي عُنُقِهِ غُلَاً
غُلَاً: قيداً

فَمَا مَذْهَبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا رُجَاجَةٌ تُقَيِّدُهُ خَمْرًا، وَتَضْبِطُهُ خَلَاً
المذهب كالزجاجة التي تحتوي الخمر، ولشدة التخمر يتحول الخمر إلى خل فيفسد
فَإِنْ كَانَ قُبْحًا، لَمْ يُبَدِّلْهُ لَوْثُهَا جَمَالًا؛ وَلَا نُبْلًا، إِذَا لَمْ يَكُنْ نُبْلًا
أَنَا آدَمِيٌّ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّهُ هُوَ الْكَائِنُ الْأَسْمَى، وَشِرْعَتُهُ الْفُضْلَى
وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا، الَّتِي هُوَ بَعْضُهَا، وَأَنَّ لَهُ الأُخْرَى إِذَا صَامَ أَوْ صَلَّى
أَمَّنْ عَلَى الصَّادِي إِذَا مَا سَقَيْتُهُ وَالزِّمَّةَ شُكْرِي، وَلَسْتُ أَنَا الْوَبْلَا
الصادي: العطشان، الوبل: المطر المنهمر

وَأَزْهَى إِذَا أَطْعَمْتُ جَوْعَانَ لُقْمَةً كَأَنِّي خَلَقْتُ الحَبَّ فِي الحَقْلِ، وَالحَقْلَا
أنا أزهى: أنا أفخر

تَتَلَمَّذْتُ لِلإِنْسَانِ فِي الدَّهْرِ حِقْبَةً فَلَقَّنَنِي غَيًّا، وَعَلَّمَنِي جَهْلًا
نَهَانِي عَنْ قَتْلِ النَّفُوسِ، وَعِنْدَمَا رَأَى غِرَّةَ مِنِّي، تَعَلَّمَ بِي الْقَتْلَا
وَكَاذَ بُرِينِي الْإِثْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَى، وَكُلَّ نِظَامٍ، غَيْرَ مَا سَنَ، مُخْتَلًا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ النِّجْمَ يَظْلُعُ فِي الدُّجَى لِذِي مُقْلَةٍ حَسْرَى، وَذِي مُقْلَةٍ جَذَلَى
مقلة حسرى: عين ضعيفة البصر، جذلى: سعيده

وَشَاهَدْتُ كَيْفَ النَّهْرُ يَنْدُلُ مَاءَهُ فَلَا يَبْنَعِي شُكْرًا، وَلَا يَدْعِي فَضْلًا
وَكَيْفَ تُغْذِّي الْأَرْضُ أَلَامَ نَبَاتِهَا وَأَقْبَحَهُ شَكْلًا، كَأَحْسَنِهِ شَكْلًا
وَصَارَ نَبِيِّي كُلُّ مَا يُظْلِقُ الْعَقْلَا وَصَارَ كِتَابِي الْكُونُ، لَا صُحُفٌ تُثَلَّى
وِدِينِي الَّذِي اخْتَارَ الْعَدِيرُ لِنَفْسِهِ وَيَا حُسْنَ مَا اخْتَارَ الْغَدِيرُ، وَمَا أَخْلَى
تَجِيءُ إِلَيْهِ الطَّيْرُ عَطَشَى فَتَرْتَوِي وَإِنْ وَرَدَتْهُ الْإِبِلُ، لَمْ يَزْجُرِ الْإِبِلَا
وَيَغْتَسِلُ الذُّئْبُ الْأَثِيمُ بِمَائِهِ فَلَا إِثْمَ ذَا يُمَحَى، وَلَا ظَهْرَ ذَا يُثَلَّى
وَأَنْ مَرَّ بِي طِفْلٌ رَأَيْتُ بِهِ الْوَرَى مِنْ الْمَثَلِ الْأَدْنَى، إِلَى الْمَثَلِ الْأَعْلَى
فِيَا لَكَ دُنْيَا حُسْنُهَا بَعْضُ قَبِيحِهَا وَيَا لَكَ كَوْنًا قَدْ حَوَى بَعْضُهُ الْكُلَا

٩٣ القلب والعقل

ألقاها في حفلة تكريم الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك:

سَيَّرْتُ فِي فَجْرِ الْحَيَاةِ سَفِينَتِي وَاخْتَرْتُ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ إِمَامِي
إمامي: مرشدي

فَجَرَّتْ عَلَى الْأَمْوَاجِ قَصْرًا مِنْ رُؤَى مِلءَ الْفَضَاءِ، مِلءَ الْمَدَى الْمَتْرَامِي
أَتَلَقَّفُ اللَّذَاتِ غَيْرَ مُحَاذِرٍ وَأَعُوبُ فِي الزَّلَّاتِ وَالْآثَامِ
حَتَّى إِذَا هَتَفَ الْمَشِيبُ بِلِمَتِي وَدَنَتْ يَدُ الْمَاحِي إِلَى أَخْلَامِي
لمني: شعر رأسي

صَرَخَ الْحِجَا بِي سَاحِطًا مُتَهَكِّمًا: هَذَا الْغِنَى شَرٌّ مِنَ الْإِعْدَامِ
الحجا: العقل، الإعدام: الفقر

أَسْلَمْتَنِي لِلْقَلْبِ، وَهُوَ مُضَلَّلٌ فَأَصْرَنْتِي، وَأَصْرَكَ اسْتِسْلَامِي
وَأَرَادَ عَقْلِي أَنْ يَقُودَ سَفِينَتِي لِلْمَشْطِ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ الطَّامِي

قلت: ابتسم ما دام بينك والردى شبر، فإنك بعد لن تتبسم

٩٥ ابتسم أكثر

القاهما في المأدبة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية على شرف المندوب البطريركي
المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلين - نيويورك:

كن بلسماً إن صار دهرُك أرقماً وحلاوة إن صار غيرُك علقماً
بلسم: صمغ يداوي الجراح، الأرقم: الأفي

إن الحياة حبثك كل كنوزها لا تبخلن على الحياة ببغض ما . .
يبعض ما: أي يبعض ما حبثك

من ذا يكافى زهرة فواحة! أو من يثيب البلبل المترنماً!
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا لولا الشعور، الناس كانوا كالدمى
ما الكأس، لولا الخمر، غير زجاجة والمرء، لولا الحب، إلا أعظما
كرة الدجى فاسود، إلا شهبه بقيت، لتضحك منه كيف تجهما
الكراهية جعلت الليل أسود، لكن نجومه بقيت لامعة لتضحك من عبوسه

لو تعشق البيداء أصبح رملها زهراً، وصار سرايبها الخداع ما
ما: ماء

لو لم يكن في الأرض إلا مبغض لتبرمت بوجوده، وتبرما
لاح الجمال لذي نهى فأحبه وراه ذو جهل فظن، ورجما
نهى: عقل، رجم: تشكك

لا تطلبن محبة من جاهل المرء ليس يحب حتى يفهما
وازفق بأبناء العباء كأنهم مرضى، فإن الجهل شيء كالعمى
يا من أتانا بالسلام مبشراً هش الحمى لما دخلت إلى الحمى
يمدح المطران أبو رجيلي

وصفوك بالتقوى، وقالوا: جهيد علامه، ولقد وجدتك مثلما
الجهيد: الحاذق، مثلما: أي مثلما وصفوك

وإذا كتبت ففي الطروس حداثق وشى حواشيها اليراع ونمنما
الطروس: الأوراق، اليراع: القلم، نمنم: زخرف

وَإِذَا وَقَفْتَ عَلَى الْمَنَابِرِ أَوْشَكْتَ أَحْشَابُهَا، لِلزَّهْوِ، أَنْ تَتَكَلَّمَ
 إِنْ كُنْتَ قَدْ أَخْطَاكَ سِرْبَالُ الْغِنَى عَاشَ ابْنُ مَرْيَمَ لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَمًا
 سربال: لباس، ابن مريم: المسيح

نَامَ الرِّعَاءُ عَنِ الْخِرَافِ، وَلَمْ تَنْمِ فَلَيْلِكَ نَشْكُو الْهَاجِعِينَ النُّومًا
 الرعاة: يقصد كبار رجال الدين

كَمْ رَوَّعُوا بِجَهَنَّمَ أَرْوَاحَنَا فَتَأَلَّمْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَأَلَّمَ
 زَعَمُوا إِلَهًا أَعَدَّهَا لِعَذَابِنَا حَاشَا، وَرَبُّكَ رَحْمَةٌ، أَنْ يَظْلِمَا
 مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْوَرَى أَنْ يَرْحَمُوا أَعْدَاءَهُمْ، إِلَّا أَرْقَ وَأَرْحَمَا
 لَيْسَتْ جَهَنَّمُ غَيْرَ فِكْرَةٍ تَاجِرٍ، اللَّهُ لَمْ يَخْلُقْ لَنَا إِلَّا السَّمَاءَ
 السما: الجنة

٩٦ فلسطين

بِلَادُهُمْ عُرْضَةٌ لِلضِّيَاعِ وَأَمَّتُهُمْ عُرْضَةٌ لِفَنَّا
 يَرِيدُ الْيَهُودُ بَأْنَ يَضْلُبُوهَا وَتَأْبَى فِلَسْطِينَ أَنْ تُذْعِنَا
 أَلَا لَيْتَ بَلْفُورَ أَعْطَاكُمْ بِلَادًا لَهُ، لَا بِلَادًا لَنَا
 فَلَنْدُنْ أَرْحَبُ مِنْ قُدْسِنَا وَأَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا
 وَيَا عَجَبًا لَكُمْ! تُوْغِرُونَ عَلَى الْعَرَبِ التَّمْرَ وَالْهَدْسَنَا
 توغرون: تشحنون حقداً، التمز: نهر لندن، الهدسن: نهر يصب في نيويورك، يقصد الإنجليز
 والأميركان

وَكُلُّ خَطِيئَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَسْرِقُوا بَيْتَنَا
 فَلَيْسَتْ فِلَسْطِينَ أَرْضًا مَشَاعًا فَتُعْطَى لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَسْكُنَا
 وَإِنَّمَا أَبَيْتُمْ فَأَوْصِيكُمْ بَأْنَ تَحْمِلُوا مَعَكُمْ الْأَكْفُنَا
 إما: إذا

فَإِنَّا سَنَجْعَلُ مِنْ أَرْضِهَا لَنَا وَطَنًا، وَلَكُمْ مَذْفَنًا

٩٧ لكم أكتب

يَا رَفِيقِي! أَنَا لَوْلَا أَنْتِ، مَا وَقَعْتُ لَحْنًا

كُنْتُ فِي سِرِّي لَمَّا كُنْتُ وَخِدي أَتَعَنَّى
 إِنَّ بَعْضَ الْقَوْلِ قَرُّ فَاجْعَلِ الْإِصْغَاءَ قَنَّا
 رُبَّمَا كُنْتُ غَنِيًّا غَيْرَ أَنِّي بِكَ أَغْنَى
 مَا لِصَوْتٍ، أَغْلِقْتُ مِنْ دُونِهِ الْأَسْمَاعُ، مَعْنَى
 لَسْتُ مِنِّي إِنْ حَسِبْتَ الشُّدَّ - غَرَّ الْأَفْظَاءُ وَوَزْنَا
 هذه القصيدة نهدبها للشعراء الذين يقولون إنهم يكتبون لأنفسهم فقط

٩٨ الشاعر والملك ومعركة الخلود

أَمَرَ السُّلْطَانُ بِالشَّاهِ عَرِ يَوْمًا، فَأَتَاهُ
 فِي كِسَاءٍ حَائِلٍ الصَّبْبِ غَلَّةٍ وَأَوْ جَانِبَاهُ
 الكساء الحائل الصبغة: الثوب قد بهت لونه، وأو جانباه: مهترئ من جنبه
 وَجَدَاهُ أَوْشَكْتُ تُفْ لِمْتُ مِنْهُ قَدَمَاهُ
 قَالَ: صِفْ جَاهِي، فِي وَضْ فِكَ لِي لِلشَّعْرِ جَاهُ
 إِنَّ لِي الْقَضْرَ الَّذِي لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهُ
 ذراه: أعاليه

وَلِي الرُّوْضُ الَّذِي يَغْ بَقُ بِالْمَشْكِ نَرَاهُ
 وَلِي الْجَيْشُ الَّذِي تَرُ شَحُ بِالْمَوْتِ ظَلَبَاهُ
 ظباه: شفرات سيوفه

وَلِي الْغَابَاتُ وَالشُّمُّ - الرُّوْاسِي وَالْمِيَاهُ
 الشم الرواسي: الجبال

وَلِي النَّاسُ، وَبُؤْسُ النَّدَّ - سِاسِ مِنِّي وَالرَّقَّاهُ
 إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ مِلْكِي، أَنَا فِي الْكَوْنِ إِلَهُ
 ضَحَكَ الشَّاعِرُ مِمَّا سَمِعْتُهُ أَذْنَاهُ
 وَتَمَنَّى أَنْ يُدَاجِي، فَعَصَّتُهُ شَفَتَاهُ
 يداجي: ينافق

قَالَ: إِنِّي لَا أَرَى الْأَمَّ - رَكَ كَمَا أَنْتَ تَرَاهُ

إِنَّ مُلْكِي قَدْ طَوَى مُلْداً كَيْفَ عَنِّي وَمَحَاهُ

* * *

وَالجَيْشُ مَعْقُودٌ لِّوَاوُكَ فَوْقَهُ مَا دُمْتَ تَكْسُوهُ وَتُظْعِمُهُ
لِلْخُبَزِ طَاعَتُهُ وَحُسْنُ وَلَايِهِ هُوَ لَا تَأْتُهُ الْكُبْرَى وَبَرْهَمُهُ

اللات: صنم جاهلي، البرهم: إله هندوسي

فَإِذَا يَجُوعُ يَظِلُّ عَرْشُكَ لَيْلَةً فَهُوَ الَّذِي بِيَدَيْهِ يَخْطُمُهُ

* * *

وَالْبَحْرُ، قَدْ ظَفِرَتْ يَدَاكَ بِدُرِّهِ وَحَصَاهُ، لَكِنْ هَلْ مَلَكَتْ هَدِيرُهُ؟
هُوَ لِلرِّيَّاحِ، تَهْزُهُ وَتُثِيرُهُ، وَالشُّهْبُ تَسْمَعُ فِي الظَّلَامِ زَنْبِيرُهُ
لِلشَّاعِرِ الْمَفْتُونِ يَخْلُقُ لَا هَيَاً مِنْ مَوْجِهِ حُوراً وَيَعْشَقُ حُورُهُ
يَا مَنْ يَصِيدُ الدَّرَّ مِنْ أَعْمَاقِهِ أَخَذْتَ يَدَاكَ مِنَ الْجَلِيلِ حَقِيرُهُ
لَا تَدْعِيهِ، فَلَيْسَ يُمْلِكُ، إِنَّهُ كَالرُّوْضِ جَهْدُكَ أَنْ تَشْمَّ عَبِيرُهُ

* * *

فَاخْتَدَمَ السُّلْطَانُ أَيَّ احْتِدَامٍ وَلاَحَ حُبُّ الْبَطْشِ فِي مُقْلَتَيْنِ

احتدم: اغتاظ

وَصَاحَ بِالْجَلَادِ: هَاتِ الْحُسَامَ! فَاسْرِعِ الْجَلَادُ يَسْعَى إِلَيْهِ
فَقَالَ: دَخِّرْ رَأْسَ هَذَا الْغَلَامِ فَرَأْسُهُ عَبءٌ عَلَى كَتِفَيْهِ
سَمْعاً وَطَوْعاً، سَيِّدِي! وَانْتَضَى عَضْباً يَمْوُجُ الْمَوْتُ فِي شَفَرَتَيْنِ

عضب: سيف

وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَبَرِّقٍ أَضَا حَتَّى أَطَارَ الرَّأْسَ عَنْ مَنْكَبَيْنِ

أضا: أضاء

* * *

أَجَلْ، هَكَذَا هَلَكَ الشَّاعِرُ كَمَا يَهْلِكُ الْآثِمُ الْمَذْنِبُ
فَمَا غُصَّ فِي رَوْضَةٍ طَائِرُ وَلَمْ يَنْطَفِئْ فِي السَّمَاءِ كَوْكَبُ
وَكُوفِي عَنْ قَتْلِهِ الْقَاتِلُ بِمَالٍ جَزِيلٍ، وَخَدُّ أَسِيلُ

نال جارية خدما أسيل أي طويل

فَقَالَ لَهُ خُلِقْتُ السَّافِلُ: أَلَا لَيْتَ لِي كُلَّ يَوْمٍ قَتِيلُ!

* * *

فِي لَيْلَةٍ طَامِسَةِ الْأَنْجَمِ تَسَلَّلَ الْمَوْتُ إِلَى الْقَصْرِ
بَيْنَ حِرَابِ الْجُنْدِ وَالْأَسْهُمِ وَالْأَسُوفِ الْهِنْدِيَّةِ الْحُمْرِ
إِلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ إِلَى أَمِيرِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
فَفَارَقَ الدُّنْيَا وَلَمَّا تَزَلَّ فِيهَا خَمُورٌ وَأَغَارِيدُ
فَلَمْ يَمِدْ حُزْنًا عَلَيْهِ الْجَبَلُ وَلَا ذَوَى فِي الرُّوْضِ أُمْلُودُ

لم يمد: لم يمل، ذوى: ذبل، أملود: غصن

* * *

فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ، وَظِلُّ الْبَلَى قَدْ تَقَى السُّلْطَانُ وَالشَّاعِرُ
حومة الموت: ساحة الموت، البلى: تحلل الجسم

هَذَا بِلَا مَجْدٍ، وَهَذَا بِلَا دُلٍّ، فَلَا بَاغٍ وَلَا نَائِرُ
باغ: ظالم، نائر: طالب ثأر

عَانَقَتِ الْأَسْمَالُ تِلْكَ الْحُلَى وَاضْطَحَبَ الْمُقَهُّورُ وَالْقَاهِرُ
الأسمال: الملابس الممزقة، الحلى: الثياب الغالية

* * *

وَتَوَالَّتِ الْأَجْيَالُ تَطَّرِدُ جِيلٌ يَغِيبُ، وَآخِرٌ يَفِيدُ
أَخَنْتُ عَلَى الْقَصْرِ الْمِينِفِ، فَلَا أَلْ جُذْرَانُ قَائِمَةٌ، وَلَا الْعَمْدُ
أخنت: أهلكت، العمد: الأعمدة

وَمَشَتْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيفِ، فَلَا خَيْلٌ مُسَوِّمَةٌ، وَلَا زَرْدُ
مسومة: عليها علامات بالكي أو نحوه، زرد: دروع

ذَهَبَتْ بِمَنْ صَلَحُوا وَمَنْ فَسَدُوا وَمَضَتْ بِمَنْ تَعِسُوا وَمَنْ سَعَدُوا
وَطَوَتْ مُلُوكًا مَا لَهُمْ عَدَدُ فَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا
وَالشَّاعِرُ الْمُقْتَوْلُ بِأَقْيَةٍ أَقْوَالُهُ، فَكَأَنَّهَا الْأَبْدُ
الشَّيْخُ يَلْمَسُ فِي جَوَانِبِهَا صُورَ الْهَوَى، وَالْحِكْمَةَ الْوَلَدُ

٩٩ كن وردة طيبها حتى لسارقها

خُذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا لَكِنْ تَعَلَّمْ قَلِيلاً كَيْفَ تُعْطِيهَا
كُنْ وَرْدَةً طَيِّبَةً حَتَّى لِسَارِقِهَا لَا دِمْنَةً خُبْنُهَا حَتَّى لِسَاقِبِهَا

دمنة: مزيلة

أَكَانَ فِي الْكَوْنِ نَوْرٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ لَوْ السَّمَاءُ طَوْتُ عَنَّا دَرَارِيهَا؟
الدراري: النجوم

أَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَزْهَارٌ لَهَا أَرْجٌ لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ لَا تُبْدِي أَقَاحِيهَا؟
يَا عَابِدَ الْمَالِ قُلْ لِي: هَلْ وَجَدْتَ بِهِ رُوحاً تُوَاسِيكَ، أَوْ رُوحاً تُوَاسِيهَا
حَتَامَ، يَا صَاحِبَ، تُخْفِيهِ وَتَظْمُرُهُ كَأَنَّمَا هُوَ سَوَاءٌ تُوَارِيهَا؟
وَتَحْرِمُ النَّفْسَ لَذَاتٍ لَهَا خُلِقَتْ وَلَمْ تُصَاحِبْكَ، يَا هَذَا، لِتُؤْذِيهَا
أَنْظِرْ إِلَى الْمَاءِ إِنَّ الْبَذْلَ شِيمَتُهُ يَأْتِي الْحَقُولَ فَيَرْوِيهَا وَيُخَيِّمُهَا
فَمَا تَعَكَّرَ إِلَّا وَهُوَ مُنْحَبِسٌ وَالنَّفْسُ كَالْمَاءِ، تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا
السَّجْنُ لِلْمَاءِ يُؤْذِيهِ وَيُفْسِدُهُ وَالسَّجْنُ لِلنَّفْسِ يُؤْذِيهَا وَيُضْنِيهَا
وَانْظِرْ إِلَى النَّارِ! إِنَّ الْفَتَكَ عَادَتْهَا لَكِنَّ عَادَتَهَا الشَّنْعَاءَ تُرْدِيهَا
تُفْنِي الْقُرَى وَالْمَغَانِي وَهِيَ ضَاحِكَةٌ لِحَبْلِهَا أَنْ مَا تُفْنِيهِ يُفْنِيهَا
لَا شَيْءٌ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا تَعَبٌ مَنْ اشْتَهَى الْخَمْرَ فَلْيَزِرْ دَوَالِيهَا

١٠٠ تعمير وتخریب

يَا لَهْفَةَ النَّفْسِ عَلَى غَابَةِ كُنْتُ وَهْنًا نَلْتَقِي فِيهَا
تَكَادُ مِنْ لُطْفِ مَعَانِيهَا يَشْرُبُهَا خَاطِرُ رَائِيهَا
لَلَّهِ فِي الْغَابَةِ أَيَّامُنَا مَا عَابَهَا إِلَّا تَلَاشِيهَا
تَسْكُتُ، إِذْ نَشْكُو، شَحَارِيرُهَا كَأَنَّمَا التَّغْرِيدُ يُؤْذِيهَا
وَفَوْقَنَا الْأَغْصَانُ مَعْقُودَةٌ ذَوَائِبُ طَالَ تَدَلِّيَهَا

ذوائب: خصلات شعر

إِذَا هَزَزْنَاهَا عَلَى غِرَّةٍ أَلَقَتْ مِنَ الذُّعْرِ لَآلِيهَا
نَسِيرُ مِنْ كَهْفٍ إِلَى جَدُولٍ نَكْتَشِفُ الْأَرْضَ وَنَظْوِيهَا

وَتَخْتَبِيْ هِنْدُ، فَأَسْتَأْطِقُهَا وَأَخْتَبِيْ عَنْهَا، فَأَغْرِبُهَا
كَمْ أَوْهَمْتَنِي الْخَوْفَ مِنْ طَارِيءٍ تُشْجِي بِنْدَا نَفْسِي، فَتُشْجِيهَا
كَأَنَّهُ يَرِيدُ الْقَوْلَ: تَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تُشْجِي نَفْسِي وَتَحْزِنَهَا، فَتُشْجِيهَا فَعَلًا

فَرُخْتُ أَعْدُو نَحْوَهَا مُشْفِقًا فَكَانَ مَا حَادَزْتُ تَمْوِيَهَا!
اللَّهِ! لَوْ دَامَ زَمَانُ الْهَوَى تَغَبَّتْ مِنِّي وَأَجَارِيَهَا!
لَا غَابَتِي الْيَوْمَ كَعَهْدِي بِهَا وَلَا الَّتِي أَحْبَبْتُهَا فِيهَا
وَلَا تَلَالُ كُنْهُوْدِ الدَّمَى وَلَا سَفُوحُ كَتَرِاقِيهَا
الدمى: الحسان، التراقي: عظام تحت الكتف

قَدْ بَدَّلَ الْإِنْسَانُ أَطْوَارَهَا وَاعْتَصَبَ الطَّيْرَ مَأْوِيَهَا
أَيُّ اعْتَصَبَ مِنَ الطَّيْرِ مَأْوِيَهَا (أَعَاشَهَا)
وَقَتَّ بِالْبَارُودِ جُلْمُودَهَا وَاجْتَثَّ بِالْفَأْسِ دَوَالِيَهَا
جلمود: صخر، الدوالي: شجيرات العنب

يَا لَهْفَةَ النَّفْسِ عَلَى غَابَةٍ كُنْتُ وَهِنْدًا نَلْتَقِي فِيهَا
تَبْكِي مِنَ الْيَأْسِ عَلَى شَوْكِهَا وَكَأَنَّ يُذْمِنُنِي وَيُذْمِيهَا
كَانَتْ تُغَطِّينَا بِأَوْرَاقِهَا فَصَارَتْ الدُّورُ تُغَطِّيَهَا!

١٠١ اليتيم

الْيَتِيمُ الَّذِي يَلُوحُ زَرِيًّا لَيْسَ شَيْئًا لَوْ تَعْلَمُونَ زَرِيًّا
إِنَّهُ غَرْسَةٌ سَتُظْلِعُ يَوْمًا ثَمَرًا طَيِّبًا، وَزَهْرًا جَنِيًّا
رَبِّمَا كَانَ أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ فَيَلْسُوفًا، أَوْ شَاعِرًا، أَوْ نَبِيًّا
إِنَّ يَكُ الْمَوْتُ قَدْ مَضَى بِأَبِيهِ مَا مَضَى بِالشُّعُورِ فِيكَ وَفِيَّا
لَا تَقُولُوا مَنْ أُمُّهُ؟ مَنْ أَبُوهُ؟ فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ سُورِيَّا

١٠٢ البشر والقناعة

كَانَ زَمَانٌ لَمْ يَزَلْ كَائِنًا، وَحَالَةً، مَا بَرِحَتْ بَاقِيَةً
مَلَّ بَنُو الْإِنْسَانِ أَطْوَارَهُمْ وَبَرِمُوا بِالسُّقْمِ وَالْعَافِيَةِ

فَاسْتَضَرَّخُوا خَالِقَهُمْ وَاسْتَهَوْا لَوْ أَنَّهُ كَوَّنَهُمْ ثَانِيَةً
وَبَلَغَتْ أَصْوَاتُهُمْ عَرْشَهُ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ صَافِيَةً
فَقَالَ، إِنِّي فَاعِلٌ مَا اسْتَهَوْا لَعَلَّ فِيهِ حِكْمَةٌ خَافِيَةٌ
وَشَاهَدُوهُ هَاطِطاً مِنْ عَلٍ فَاحْتَشَدُوا فِي السَّهْلِ وَالرَّابِيَةِ
فَقَالَ رَبُّ الْعَرْشِ: مَا خَطْبُكُمْ، مَا بِالْكُمْ، صَرَخَاتُكُمْ عَالِيَةٌ؟

الفتى:

قَالَ الْفَتَى: يَا رَبِّ إِنَّ الصَّبَا مَضَدَّرَ أَحْزَانِي وَآلَامِي
أَلْبَسْتَنِيهِ مُوْنِقًا، بَعْدَمَا أَبْلَاهُ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِي
مونق: جميل

وَصَارَ فِي مَذْهَبِهِمْ عَصْرُهُ فَتَرَةً زَلَّاتٍ وَأَنَامٍ
عصر الشباب بحسب الأهل هو عصر الأخطاء والذنوب

فَاخْتَلَفْتُ حَالِي وَحَالَاتُهُمْ كَأَنَّنِي فِي غَيْرِ أَقْوَامِي
عِنْدَهُمُ الرُّوضَةُ: أَشْجَارُهَا وَالرُّوضُ عِنْدِي: الزَّهْرُ النَّامِي
وَالطَّيْرُ لَحْمٌ وَدَمٌ عِنْدَهُمْ وَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرَ أَنْعَامٍ
عَبءٌ عَلَى نَفْسِي هَذَا الصَّبَا الْجَائِشُ الْمُسْتَوْفِرُ الطَّامِي
المستوفز: الثائر، الطامي: الجياش المتحمس

خَذَهُ، وَخَذَ قَلْبِي وَأَحْلَامَهُ فَإِنَّنِي أَشَقَى بِأَحْلَامِي
وَمُرَّ يَمُرُّ الدَّهْرُ فِي لَحْظَةٍ كَالطَّيْفِ أَوْ كَالْبَرْقِ قُدَّامِي
وَأَزْرَعُ نَجُومَ الشَّيْبِ فِي لِمَّتِي فَيَنْجَلِي حِنْدِسُ أَوْهَامِي
لمتي: شعر رأسي، حندس: ظلمة

فَأُبْصِرُ الْحِكْمَةَ فِي صَوْرِهِ إِنِّي إِلَيْهَا جَائِعٌ ظَامِي
الشيخ:

وَجَاءَ شَيْخٌ حَائِرٌ وَاجِفٌ مُشْتَعِلَ اللَّمَّةِ بِأَلْيِ الْإِهَابِ
واجف: مضطرب، اللمة: شعر الرأس، الإهاب: الجلد

كَأَنَّمَا زَلَزَلَتْ تَحْتَهُ لِمَا بِهِ مِنْ رَعَشَةٍ وَاضْطِرَابِ

فصاح: يا رباهُ خذْ حِجْمَتِي وارُدْ على عَبْدِكَ عَصْرَ الشَّبابِ
 إِنَّ أَمَانِي الرُّوحِ أَزْهَارُهَا وَإِنَّ رُوحِي الْيَوْمَ قَفَرٌ يَبَابُ
 قفر وياب: خلاء أجرد

تِلْكَ الْأَمَانِي، عَلَى كِذْبِهَا، لَمْ تَكُنِ اللَّذَّةُ فِيهَا كِذَابُ
 زَالَتْ وَمَا زِلْتُ، وَإِنَّ الشَّقَا أَنْ تُظْمَسَ الْآيُ، وَيَبْقَى الْكِتَابُ
 وَتُسَلَبَ السَّرْحَةُ أَوْرَاقُهَا وَلَمْ تَزَلْ أَعْرَافُهَا فِي الثَّرَابِ
 السرحة: الشجرة، أعرافها: جذورها

مُرْ تَقِفِ الْأَيَّامَ عَنْ سِيرِهَا فَإِنَّهَا تَرْكُضُ مِثْلَ السَّحَابِ
 وَضَعُ أَمَامِي، لَا وَرَائِي، الْمُنَى وَطَوَّلِ الدَّرَبَ، وَزِدْ فِي الصُّعَابِ
 مَا لَذَّتِي بِالْمَاءِ أَرَوَى بِهِ بَلْ لَذَّتِي بِالْعَدْوِ خَلَفَ السَّرَابِ
 الحسنة:

وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ: يَا خَالِقِي وَهَبْتَنِي الْحَسَنَ فَأَشْقَيْتَنِي
 وَجْهِي سَنِيٌّ مُشْرِقٌ، إِنَّمَا مَرَعَى عِيونِ الْخَلْقِ وَجْهِي السَّنِي
 سني: مضى

إِنَّ عَشِيقَتَ نَفْسِي فَوَيْلٌ لَهَا وَالْوَيْلُ لِي إِنْ رَجُلٌ حَبَّنِي
 لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِعٍ يَا رَبِّ لَمْ يُخَدِّشْ، وَلَمْ يُظْلَعِنْ
 إِنَّ الْغِنَى فِي الْوَجْهِ لِي آفَةٌ فَلَيْتَ أَنِّي دُمَيْتَ لَيْتَنِي
 الجارية:

وَسَكَنْتُ، فَصَاحَتِ الْجَارِيَةُ بَاكِئَةً مِنْ بُؤْسِهَا شَاكِئَةً:
 ذَنْبِي إِلَى هَذَا الْوَرَى خَلَقْتَنِي فَهَلْ أَنَا الْمَجْرُمَةُ الْجَانِيَةُ؟
 لَوْ كُنْتُ حَسَنَاءَ بَلَعْتُ الْعُلَى فَلِلْجَمَالِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ
 فَبَاتَ مَنْ أَسْجُدُ قُدَّامَهُ صَاغِرَةً، يَسْجُدُ قُدَّامِيهِ
 الفقير:

وَأَقْبَلَ الصُّغْلُوكُ مُسْتَرْجِمًا فِي مَقْلَتَيْهِ شَبَحُ الْيَاسِ
 يَضْرُخُ: يَا رَبَّاهُ حَتَّى مَتَى تُحَكِّمُ الْمَوْسِرَ فِي نَفْسِي
 وَتَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ وَتَضَعُ الشُّوكَ عَلَى رَأْسِي؟

يَا رَبِّ لَا تَنْقُلْهُ عَنْ أُنْسِهِ وَأِنَّمَا انْقُلْنِي إِلَى الْأُنْسِ
فَإِنْ تَشَاءُ أَنْ لَا يَذُوقَ الْهَنَا قَلْبِي، فَجَرِّدْنِي مِنَ الْحَسَنِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي فِي غُبْطَةٍ مَا شَعَرْتُ رَوْحِي بِالْبُؤْسِ
الغني:

وقال ذو الثُّرُوءَةِ: مَا أَشْتَهِي لَا أَشْتَهِي أَنِّي ذُو ثُرُوءَةٍ
مهما اشتهيت فلا أشتهي الغنى

أَنْفَقْتُ أَيَّامِي عَلَى جَمْعِهَا وَخَلَّيْتُ أَدْرَكَتْ أُمْنِيَّتِي
فَاسْتَعْبَدْتَنِي فِي زَمَانِ الصُّبَا وَأَوْقَرْتُ بِالْهَمِّ شَيْخُوخَتِي
أوقرت: أثقلت

قَدْ مَلَكَتْنِي قَبْلَمَا حُرْتُهَا وَمَلَكَتْنِي وَهِيَ فِي حَوَزَتِي
كَنَحْلَةٍ أَمْسَكَهَا شَهْدُهَا مِنَ الْجَنَاحِينَ فَلَمْ تُفْلِتْ
حَسِبْتُهَا تُكْسِبُنِي قُوَّةً فَاثْتَرَسْتُ قُوَّتَهَا قُوَّتِي
لَا تَنْظُرِ الْأَضْوَاءَ فِي حُجْرَتِي وَانْظُرْ إِلَى الظُّلُمَاءِ فِي مُهْجَتِي
وَلَا يَغُرَّتْكَ قَضْرِي فَمَا قَضْرِي سِوَى سَجْنِ لِحْزَتِي
إِنِّي فِي الصَّرْحِ الرَّفِيعِ الدُّرَى كَطَائِرٍ، فِي قَفْصٍ، مَبْتِ
كَمْ فِي عُبابِ الْبَحْرِ مِنْ سَابِحٍ قَدْ مَاتَ ظَمَانًا إِلَى قَطْرَةٍ
مَوْتُ الطَّوَى شَرٌّ وَلَكِنَّمَا أَفْطَعُ مِنْهُ الْمَوْتَ بِالثُّخْمَةِ
الطوى: الجوع

وَالْخَوْفُ مِنْ كَارِثَةٍ لَمْ تَقَعْ أَمْضُ مِنْ كَارِثَةٍ خَلَّتْ
أَمْضُ: أوجع

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ مَرَّ بِزَاجِحَا كَأَنَّمَا يَسْخَرُ مِنْ غُصَّتِي
قَدْ اخْتَفَتْ ذَاتِي فِي بُرْدَتِي فَمَا يَرَى الْخَلْقُ سِوَى بُرْدَتِي
بردتي: ثوبي

فَهُمْ إِذَا مَا سَلَّمُوا سَلَّمُوا عَلَى خُيُوطِ الْبُرْدِ وَالْحُلَّةِ
البرد: الثوب، الحلة: الثوب

رَبَّاهُ أَطْلِقْ مِنْ عِقَالِ الْغِنَى رُوحِي، فَإِنِّي مِنْهُ فِي مِحْنَةٍ
وَانزِعْ مَعَ الدِّينَارِ مِنْ قَبْضَتِي صِلَابَةَ الدِّينَارِ مِنْ سِخْنَتِي
سحنة: وجه

وَحَوِّلِ الْمَالَ إِلَى وَاحَةٍ وَحَوِّلِ الْقَصْرَ إِلَى حَيْمَةٍ
في الأصل (وحول المال إلى راحة) وجعلناها واحدة، وقلما غَيَّرْنَا لُشَاعِرَ شَيْئًا، فَإِنْ غَيَّرْنَا قُلْنَا إِنَّا غَيَّرْنَا
الأبله:

وَصَرَخَ الْأَبْلَهُ مُسْتَفْسِرًا مَا الْقَصْدُ مِنْ خَلْقِي كَذَا وَالْمُرَادُ؟
أَلَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ هَذَا الْوَرَى إِلَّا إِذَا أَوْجَدْتَنِي فِي فَسَادٍ؟
فِي صُورَةِ النَّاسِ وَحَاجَاتِهِمْ: مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ رُقَادٍ..
أنا مثل الناس في هذه الأمور.. الطعام والشراب والنوم.. لكن..

لَكِنَّ لُبِّي غَيْرُ أَلْبَابِهِمْ فَإِنَّهُ مُكْتَنَفٌ بِالسَّوَادِ
إِنْ كُنْتُ إِنْسَانًا فَلَيْمَ يَا ثَرَى لَسْتُ بِإِذْرَاكِ كِبَاقِي الْعِبَادِ؟
أَوْ لِمَ أَكُنْ مِنْهُمْ، فَمُرْنِي أَكُنْ جَرَادَةً أَوْ أَرْزَبًا أَوْ جَوَادِ
فَالنُّدُّ لَا يَغْدَمُ مَعَ نَدِّهِ ذَرِيعَةً لِلسُّلَمِ أَوْ لِلْجِهَادِ
لَا تَسْخَرُ النَّمْلَةُ مِنْ نَمْلَةٍ وَلَيْسَ يُزْرِي بِالْقَرَادِ الْقَرَادِ
الفرد: من الحشرات الماصة دم الحيوان، تعلق بين شعر العنز أو وبر الجمل أو صوف الخروف

الأديب:

وَجَاءَ بَعْدَ الْأَبْلِهِ الْمُسْتَرْيَبُ الْأَلْمَعِيُّ الْعَبْقَرِيُّ اللَّيِّبُ
فَقَالَ: إِنِّي تَائِهٌ حَائِرٌ أَنَا غَرِيبٌ فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ
أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي فَلَا أَهْتَدِي وَلَيْسَ يَهْدِينِي إِلَيْهَا أَرِيبُ
لَوْ أَنَّني كُنْتُ بِلا فِطْنَةٍ سِرْتُ وَلَمْ تَكْثُرْ أَمَامِي الدُّرُوبُ
مَا الْعَقْلُ، يَا رَبِّ، سِوَى مِحْنَةٍ لَوْلَاهُ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيَّ الدُّنُوبُ

الخاتمة:

لَمَّا وَعَى اللَّهُ شَكَايَا الْوَرَى قَالَ لَهُمْ: كُونُوا كَمَا تَشْتَهُونَ
فَاسْتَبْشَرَ الشَّيْخُ، وَسَرَّ الْفَتَى وَالْكَاعِبُ الْحَسَنَاءُ وَالْحَيَزَبُونَ
الكاعب: الفتاة، الحيزبون: العجوز الهرمة

لِكِنَّهُمْ لَمَّا اَضْمَحَلَّ الدُّجَى لَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الَّذِي كَانَا
هَمْ حَدِّدُوا الْقُبْحَ فَكَانَ الْجَمَالَ وَعَرَّفُوا الْخَيْرَ فَكَانَ الطَّلَاحُ
الطلاح: الشر

وَلَيْسَ مِنْ نَقْصٍ وَلَا مِنْ كَمَالٍ فَالشُّؤْكَ فِي التَّحْقِيقِ مِثْلُ الْأَقَاخِ
وَذَرَّةُ الرَّمْلِ كَكُلِّ الْجِبَالِ وَكَالَّذِي عَزَّ الَّذِي هَانَا

١٠٣ بلادي

إِنِّي مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ الْحَالِيَةِ وَسَمِعْتُ أَنْغَامَ الطَّيُورِ الشَّادِيَةِ
فَطَرِبْتُ، لَكِنْ لَمْ يُحِبِّ فُؤَادِيَهُ كَطَّيُورِ أَرْضِي أَوْ زَهْوَرِ بِلَادِي

* * *

وَشَرِبْتُ مَاءَ النِّيلِ شَيْخِ الْأَنْهَرِ فَكَأَنَّنِي قَدْ ذُقْتُ مَاءَ الْكُوثرِ
نَهْرٌ تَبَارَكَ مِنْ قَدِيمِ الْأَعْصَرِ عَذْبٌ، وَلَكِنْ لَا كَمَاءِ بِلَادِي

* * *

قَالُوا: أَلَيْسَ الْحُسْنُ فِي كُلِّ الدُّنَى فَعَلَامَ لَمْ تَمْدَحْ سِوَاهَا مَوْطِنَا
فَأَجَبْتُهُمْ: إِنِّي أُحِبُّ الْأَخْسَنَا أَبَدًا، وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ بِلَادِي

* * *

الْكُوكَبُ الْوَضَّاحُ يَبْقَى كُوكَبَا وَلَكِنْ تَسْتَرِّ بِالدُّجَى، وَتَنْقَبَا
لَيْسَ الضَّبَابُ بِسَالِبٍ حُسْنِ الرَّبَى وَالبُّسُ لَا يَمُحُو جَمَالَ بِلَادِي

١٠٤ حديث الأغصان

أَضْغِي إِلَى النَّسَمَاتِ تَرْوِي لِلرَّبَى مَا قَالَتِ الْأَشْجَارُ لِلْعُذْرَانِ
وَالِى الْأَزَاهِرِ كُلَّمَا مَرَّتْ بِهَا عِذْرَاءُ ذَاتُ مَلَاخَةٍ وَيَسَّانِ
مُتَهَامِسَاتٍ: مَا نَظَنُّ فُلَانَةً أَحَدًا بِهَا أَوْلَى مِنْ ابْنِ فُلَانِ
يَا لَيْتَ يَنْثُرُنَا الْغَرَامُ عَلَيْهِمَا مِنْ قَبْلِ يَنْثُرُنَا الْخَرِيفُ الْجَانِي
الأزهار تهامس وتتمنى أن يثرها الغرام على العروسين قبل أن يثرها الخريف ويجني عليها

١٠٥ وتركتهم يتعشرون ورائي

في حفلة البوبيل الفضي لجريدة «السمير»:

تلك السنون الغاربات ورائي سِفَرُ كَتَبْتُ حُرُوفَهُ بِدِمَائِي
جريدة السمير تتحدث عن نفسها

ما عَشْتُهَا لِأَعُدَّهَا بَلْ عَشْتُهَا لِيَتَبَيَّنَ فِي سِيَمَائِهَا سِيَمَائِي
سيماء: سحنة. تقول الجريدة: لم أعش تلك السنين الطويلة لأعدها وأفخر بطول العمر، لكنني أردت أن أترك بصمتي على تلك السنين

لاحَتْ لِي الْعَلِيَاءُ فِي آفَاقِهَا فَأَرَدْتُهَا ذَرْباً إِلَى الْعَلِيَاءِ
اتخذت من السنين طريقاً للمجد

وَعِبَادَةٌ لِلْحَقِّ أَيْنَ وَجَدْتُهُ وَالْحَسَنَ فِي الْأَحْيَاءِ وَالْأَشْيَاءِ
وملأت تلك السنين بعبادة الحق والجمال

تلك السنون، بِبُؤْسِهَا وَنَعِيمِهَا، مَالَتْ بِعُودِي، وَانْظَوْتُ بِرُؤَائِي
يتحدث عن نفسه الآن: فالسنين التي أخرج خلالها جريدة السمير، قوست عوده (قامته)، وجعلت رُواءه (نضارته) ينطوي (يذوي)

أَيْنَ الشَّبَابُ أَلْفُ أَحْلَامِي بِهِ لَيْسَ الشَّبَابُ الْآنَ لِي بِرِءٍ
نَفْسِي تُحِسُّ كَأَنَّمَا أَثْقَالُهَا قَدْ خُيِّرَتْ فَتَخَيَّرْتُ أَعْضَائِي
السنين اختارت أن تلقي بأثقالها على جسمه

شُكْرًا لِأَعْدَائِي! فَلَوْلَا عَيْشُهُمْ لَمْ أَذَرِ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَوْغَاءِ
العيث: الإفساد

ذَنَّبِي إِلَى الْحَسَّادِ أَنِّي فُتُّهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ يَتَعَشَّرُونَ وَرَائِي
شُكْرًا لِكُلِّ فَتًى مَزَجَتْ بِرُوحِهِ رُوحِي، فَطَابَ وَلَاؤُهُ وَوَلَائِي
مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالسَّمَاءِ فَلِإِنِّي فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ وَجَدْتُ سَمَائِي
السما: الجنة

لَيْسَ الْجَمَالُ هُوَ الْجَمَالُ بِذَاتِهِ الْحَسَنُ يَوْجَدُ حِينَ يَوْجَدُ رَاءِ
تلك السنون، عَقِيمُهَا كَوُلُودُهَا حُلُولُ لَدَيَّ، كَذَا يَشَاءُ وَفَائِي
يا مَنْ يَقُولُ: ظَلَمْتُ نَفْسَكَ فَاتَّيِدْ؛ دَعْنِي، فَلَسْتُ بِحَامِلٍ أَعْبَائِي

اتتد: تمهل

ما العمرُ؟ إنْ هُوَ كالإناءِ، وإنَّني بِالطَّيِّبِ الغاليِ ملأْتُ إنائي
إن هو كالإناءِ: ما هو إلا كالإناءِ

فإذا بَقِيْتُ، فَلِلْجَمالِ بَقائي وإذا فَنِيْتُ، ففي الجَمالِ فَنائي

١٠٦ أَبْلَتْ نِعالِي السُّفْهَاءُ

إني حَلَمْتُ كأنما أنا سائرٌ في روضةٍ خَلَّابَةٍ عَناءِ
وإذا بِصوتِ كَالْهَرِيرِ يَطُنُّ في أذُنِي، وأنيابَ تَصِرُّ ورائي
الهرير: صوت الكلب دون النباح، صرير الأنياب: صوتها يحتك بعضها ببعض

فإذا ورائي في الحديقةِ نابحٌ ضاري المَحاوِرِ، ضامِرُ الأحشاءِ
هذا الكلب في محاجر عينه قسوة، وهو نحيل

كَادَتْ تُطِلُّ عَروْقُهُ من جَلَدِهِ وتُطِلُّ مَعَهَا شَهْوَةٌ لِإِدْمائي
أَشْفَقْتُ يَعلَقُ نابُه بِرِدايِ فَرَفَسَتْهُ غَضَباً، فَطارَ حِذايِ
ومضى به لِإِرفاقِهِ، فَتَهَلَّلُوا وتَقاسَمُوهُ، فَكانَ خَيْرَ عَشاءِ
لا يَغْجَبُن أَحَدٌ رَأىني حَافِياً أَبْلَتْ نِعالِي السُّفْهَاءُ

١٠٧ شَاهَدْتُهُ بِعِيونِهِم

رسالة إلى الشاعر القروي أَلْقَيْتُ في الحَفْلةِ الوداعيةِ التي أقيمتُ في ولايةِ تكساس
وقد تعذّر على الشاعر حضورها:

وإذا تَلَوُّحُ لي الجِبالِ ذَكَرْتُهُ فَالشاعرُ القَرويُّ طَوْدُ إِبَاءِ
طود: جبل

من كانَ يَحْلُمُ بِالْغَدِيرِ، فَإِنَّهُ يَبْدُو لَهُ في كُلِّ قَطرَةٍ ماءٍ
إن كنتُ لَمْ أَرَهُ فَقَدْ شَاهَدْتُهُ يُعْيُونُ أَصْحابِي، وَذاكَ عَزائي

١٠٨ إلى الشرقِ انتسابي

أَلْقَيْتُ بِمناسبةِ زيارةِ وزيرِ خارجيةِ سوريةِ للولاياتِ المتحدةِ عامَ ١٩٥٢:

ليسَ بي داءٌ، وَلَكِنِّي امْرُؤٌ لَسْتُ في أَرْضِي، ولا بَيْنَ صِحابِي
مَرَّتِ الأَعوامُ تَتَلَوُّ بِعَعضِها: لِلوَرَى ضِحاكِي، وَلِي وَخِدي اِكْتِتابِي

كلما استَوْلَدْتُ نَفْسِي أَمَلًا مَدَّتِ الدُّنْيَا لَهُ كَفًّا اغْتِيصَابِ
استولدت نفسي: أخرجت منها

أَفَلَنْتُ مِنِّي حَلَاوَاتُ الرُّؤْيَى عِنْدَمَا أَفَلَتَ مِنِّي كَفِّي شَبَابِي
أيهما السائل عني: من أنا؟ أنا كالشمس إلى الشرق انتسابي
إنني المخ في أوجهكم دَفَقَةَ الثُّورِ عَلَى تِلْكَ الرَّوَابِي
وأرى أطيفاءً عصرٍ باهرٍ طَالَعَ كَالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
لَيْتَهُ يُسْرِعُ كَيِّ أَبْصَرَهُ قَبْلَ أَنْ أَغْدُو تُرَابًا فِي تَرَابِ

١٠٩ التينة الحمقاء

وَتِينَةٌ غَضَّةُ الْأَفْنَانِ بِاسِقَةٍ قَالَتْ لِأَثْرَابِهَا، وَالصَّيْفُ يُحْتَضِرُ
تينة: شجرة تين، باسقة: عالية، أثرابها: صاحباتها

بِشِّ الْقَضَاءِ الَّذِي فِي الْأَرْضِ أَوْجَدَنِي عِنْدِي الْجَمَالُ، وَغَيْرِي عِنْدَهُ النَّظَرُ
لَأُحِبِّسَنَّ عَلَى نَفْسِي عَوَارِفَهَا فَلَا يَبِينُ لَهَا فِي غَيْرِهَا أَثَرُ
عوارفها: معروفها

كَمْ ذَا أُكَلِّفُ نَفْسِي فَوْقَ طَاقَتِهَا! وَلَيْسَ لِي، بَلْ لِعَيْرِي، الْفَيْءُ وَالْثَمَرُ
إِنِّي مُفْضِلَةٌ ظِلِّي عَلَى جَسَدِي فَلَا يَكُونُ بِهِ طَوْلٌ، وَلَا قِصَرُ
وَلَسْتُ مُثْمِرَةً إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَيْسَ يَطْرُقُنِي طَيْرٌ، وَلَا بَشَرُ
يطرقني: يزورني

عَادَ الرَّبِيعُ إِلَى الدُّنْيَا بِمَوْكِهِ، فَارْتَيْتُ، وَاکْتَسْتُ بِالسُّنْدُسِ الشَّجَرُ
السندس: الحرير الأخضر

وظَلَّتِ التِّينَةُ الْحَمَقَاءَ عَارِيَةً كَأَنَّهَا وَتَدٌ فِي الْأَرْضِ، أَوْ حَجَرُ
وَلَمْ يُطَقْ صَاحِبُ الْبِسْتَانِ رَوِيَّتَهَا، فَاجْتَنَّتْهَا، فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعِرُ
اجتنها: قطعها من أساسها

مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاةُ بِهِ فَلِإِنَّهُ أَحْمَقُ بِالْحَرِصِ يَنْتَحِرُ
الحرص: البخل

١١٠ موت الحسن بموت الشاعر

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضه :

لَمْ يَبْرَحِ الرُّوضُ فِيهِ الْمَاءُ وَالزَّهْرُ وَلَمْ يَزَلْ فِي السَّمَاءِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَمْ يَبْرَحْ : مَا زَال

لَكِنِّهَا الْآنَ فِي أَذْهَانِنَا صُورُ شَوْهَاءُ، لَا الْقَلْبُ يَهْوَاهَا وَلَا النُّظْرُ
لَكِنِ الرُّوضُ وَالزَّهْرُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْآنَ مَجْرَدُ صُورِ شَوْهَاءَ (مَشْوَهَةٍ) فِي عَيُونِنَا

قَدْ انْطَوَى حُسْنُهَا لَمَّا انْطَوَى الشَّاعِرُ

* * *

لَسَوْفَ يَرْجِعُ عِظْرًا فِي الرِّيَاحِينَ أَوْ نَسَمَةً تَتَهَادَى فِي الْبَسَاتِينِ
أَوْ بَسَمَةً فِي تُغُورِ الْخُرْدِ الْعِينِ فَالْمَوْتُ مَا هَذَا إِلَّا هَيْكَلُ الطِّينِ
الْخُرْدُ: الْحَسَنُ، الْعَيْنُ: ذَوَاتُ الْأَعْيُنِ الْوَاسِعَةِ

لَا تَحْزَنُوا، فَنَسِيبُ غَائِبٌ حَاضِرُ

١١١ أيلول مونتريال

من قصيدة يصف بها المناظر التي مر بها في طريقه إلى مونتريال :

الْحَسَنُ حَوْلَكَ فِي الْوَهَادِ وَفِي الذُّرَى فَانْظُرْ: أَلَسْتَ تَرَى الْجَمَالَ كَمَا أَرَى؟
الْوَهَادُ: الْوُدَيَانِ

أَيْلُولُ يَمْشِي فِي الْحَقُولِ وَفِي الرُّبَى وَالْأَرْضُ فِي أَيْلُولٍ أَحْسَنُ مَنْظَرًا
لَا تَحْسَبِ الْأَنْهَارَ مَاءً رَاقِصًا هَذَا أَغَانِيهِ اسْتَحَالَتْ أَنْهَارًا
أَغَانِي أَيْلُولٍ/ سِبْتِمِبَرِ تَحَوَّلَتْ إِلَى أَنْهَارِ

وَانْظُرْ إِلَى الْأَشْجَارِ تَخْلَعُ أَخْضَرًا عَنْهَا، وَتَلْبَسُ أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرًا

١١٢ اخضيرار قلب يابس

أَلْقَاهَا فِي «الْحَفْلَةِ التَّكْرِيمِيَّةِ» الَّتِي أُقِيمَتْ عَلَى شَرَفِهِ فِي لُوسِ أَنْجَلُوسِ بِرِعَايَةِ الْجَمْعِيَّةِ
السُّورِيَّةِ - اللَّبْنَانِيَّةِ:

مَا لُوسُ أَنْجِلِسٍ سِوَى أَنْشُودَةٍ أَلَّهُ غَنَّاهَا، فَجَنَّ لَهَا الْوَرَى

وَزَعْتُ نَفْسِي فِي الثُّفُوسِ مَحَبَّةً لَا شَاكِيَاَ الْمَاءَ، وَلَا مُتَضَجِّرَا
ومشيتُ في الدنيا بقلبٍ يابسٍ حَتَّى لَقِيتُ أَجَبَّتِي، فَاحْضَوْصَرَا

١١٣ ليت الفراق ويومه لم يخلق

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتربال:

لَا تَقْلَقِي يَوْمَ النَّوَى، أَوْ فَاقْلَقِي يَا نَفْسُ! كُلُّ تَجَمُّعٍ لَتَفَرَّقِ
أَلِلَّهُ قَدَّرَ أَنْ تَمَسَّ يَدُ الْأَسَى أرواحنا، كَيْمَا تَرِقَّ وَتَرْتَقِي
أَوْفَى عَلَى الشُّهْبِ الدُّجَى، فَتَأَلَّقَتْ لولا اعتكارُ الليلِ لم تتألقي

أوفى الدجى: أقبل الليل، اعتكار: اسوداد

وَالْفَحْمُ لَيْسَ يُضِيءُ إِنْ لَمْ يَضْطَرْم وَالنَّدُّ لَيْسَ يَضُوعُ إِنْ لَمْ يُحَرَّقِ
يضطرم: يلتهب، الند: من البخور، يضوع: تفوح رائحته

لَا أَضْرِبُ الْأَمْثَالَ مَدْحًا لِلنَّوَى لَيْتَ الْفِرَاقَ وَيَوْمَهُ لَمْ يُخْلَقِ
عَنَنْتُ قَلْبِي حِينَ طَالَ خَفَوْقُهُ فَأَجَابَ: بَلْ لُمْنِي إِذَا لَمْ أَخْفُقِ
لِلَّهِ مُونْتَرِيَا لَكُمْ ذَاتُ الْحَلَى ومدينة الطود الأشم الأبلق

الحلى: الزينة، الطود: الجبل، الأشم: المرتفع، الأبلق: الأبيض

كَمْ وَقْفَةٍ لِي عِنْدَ شَاطِئِ نَهْرِهَا لَا أَسْتَقِي مِنْهُ، وَرُوحِي تَسْتَقِي
مُتَعَلِّمًا مِنْهُ التَّوَاضَعُ وَالنَّدَى وَالصَّفَحُ عَنْ عَبَثِ الْجَهُولِ الْأَحْمَقِ
أَعْطَى الْحَقُولَ حَيَاتَهَا، وَمَضَى كَأَنْ لَمْ يُعْطِهَا شَيْئًا، وَلَمْ يَتَصَدَّقِ
ضَيَّعْتُ عِنْدَ الْوَاعِظِينَ سَعَادَتِي وَوَجَدْتُهَا فِي وَاعِظٍ لَمْ يَنْطِقِ
لِلَّهِ مُونْتَرِيَا لَكُمْ وَجَلَالُهَا هِيَ رُومَةُ الصُّغْرَى، وَضَرَّةُ جَلَنِي
رَقَّتْ عَلَيَّ نُجُومُهَا، وَتَوَاضَعَتْ حَتَّى لَكِذْتُ أَجْسَهَا فِي مَفْرِقِي
سَاطِيرُ عَنْهَا فِي غَدٍ بِحُشَاشَةٍ مَكْلُومَةٍ، وَبِنَاطِرٍ مُغْرُورِقِ

حشاشة مكلومة: قلب مجروح، ناظر مغرورق: عين دامعة

وَتَظَلُّ صَوْرَتُهَا تَلُوحُ لِخَاطِرِي بَعْضُ الرُّؤَى سَلَوَى، وَإِنْ لَمْ تُضْذِقِ

١١٤ فتية دان الزمان لهم

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه مالك الدوماني في كاليفورنيا:
يَا لَيْتَمَا رَجَعَ الزَّمَانُ الْأَوَّلُ زَمَنُ الشَّبَابِ الضَّاحِكِ الْمَتَهَلِّلِ

عهدٌ تَرَحَّلَتِ البَشَاشَةُ إِذْ مَضَى وَآتَى الْأَسَى، فَأَقَامَ لَا يَتَرَحَّلُ
أقام: مكث

وَأَنَا وَصَحْبِي لَا نُفَكِّرُ فِي غَدٍ فَكَأَنَّ لَيْسَ عَدُوٌّ وَلَا مُسْتَقْبَلُ
نَتَوَهَّمُ الدُّنْيَا، لِفَرِطِ غُرُورِنَا، كَمَلْتُ بِنَا، وَبَغَيْرِنَا لَا تَكْمُلُ
وَنُظَنُّ أَنَّ الرُّوحَ يَنْشُرُ عِظْرَهُ مِنْ أَجْلِنَا، وَلَنَا يُعْنِي الْبُلْبُلُ
لَا شَيْءَ يُزْعِجُ فِي الْحَيَاةِ نَفُوسَنَا لَا طَارِيءٌ، لَا عَارِضٌ، لَا مُشْكِلُ
فَكَأَنَّنا فِي عَالَمٍ غَيْرِ الَّذِي تَتَزَاوَحُ الْأَيْدِي بِهِ وَالْأَرْجُلُ
النَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، وَهَمُّنَا كَأَنَّ مُشْعَشَعَةً، وَطَرَفٌ أَكْحَلُ
مشعشة: ممزوجة

إِنِّي تَأَمَّلْتُ الْأَنَامَ، فِرَاعَنِي كَيْفَ الْحَيَاةُ بِهِمْ تَجِدُ وَتَهْزِلُ
الذِّكْرُ أَثْمَنُ مَا اقْتَنَيْتَ وَتَقْتَنِي وَالْحُبُّ أَنْفَسُ مَا بَدَلْتَ وَتَبْدُلُ
قِيلَ اغْتَنَى زَيْدٌ، فَلَيْتَكَ مِثْلُهُ؛ أَنَا مِثْلُهُ، إِنْ لَمْ أَقُلْ: أَنَا أَفْضَلُ
الشَّمْسُ لِي وَلَهُ، وَالْأَلَاءُ الضُّحَى وَالنَّيِّرَاتُ؛ وَمِثْلُنَا الْمُتَسَوِّلُ
أَمَّا النُّضَارُ فَإِنَّهُ، يَا صَاحِبِي عَرَضَ يَزُولُ، وَسِلْعَةٌ تَتَنَقَّلُ
النضار: الذهب، عرض: شيء عارض

١١٥ راحة البال المفقودة

لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ الْحَيَاةَ جَمِيلَةً لَمْ يُسَدِّلِ الْأَسْتَارَ فَوْقَ جَمَالِهَا
ليت خالق الحياة لم يجعلها تنتهي ويسدل الستار على جمالها

بَلْ لَيْتَهُ سَلَبَ الْعُقُولَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بِمَنَالِهَا
لَلَّهِ كَمْ تُغْرِى الْفَتَى بِوَصَالِهَا وَتُضِنُّ، حَتَّى فِي الْكَرَى، بِوَصَالِهَا
تَذْنِيهِ مِنْ أَبْوَابِهَا بِيَمِينِهَا وَتَرُدُّهُ عَنْ خِذْرِهَا بِشِمَالِهَا
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَمِنْتُ ضَلَالِهَا فَإِذَا الَّذِي خَمَنْتُ كُلَّ ضَلَالِهَا
إِنَّ النُّفُوسَ تُعْرِثُهَا آمَالِهَا وَتَظَلُّ عَاكِفَةً عَلَى آمَالِهَا
ذَهَبَ الصَّبَا وَأَنَا أَعَالِجُ سِرِّهَا مُتَحَيِّرًا فِي كُنْهَيْهَا، وَمَالِهَا
حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ تُلْقِي نَوْرَهَا فِي الْأَرْضِ، فَوْقَ سَهُولِهَا وَجِبَالِهَا

وَرَأَيْتُ أَحْقَرَ مَا بَنَاهُ عَنْكَبٍ مُتَلَفِّفًا، وَمُطَوِّقًا بِحِبَالِهَا
فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّفْسَ، تَخْطُرُ فِي الْحُلَى وَالْوَشْيِ، مِثْلُ النَّفْسِ فِي أَسْمَالِهَا
الحلى: الحلَى، أسماؤها: ملابسها الممزقة

لَيْسَتْ حَيَاتُكَ غَيْرَ مَا صَوَّرْتَهَا، أَنْتَ الْحَيَاةُ: بِصَمَتِهَا وَمَقَالِهَا
وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْحَمَائِمِ فِي الرَّبَى فَعَجِبْتُ مِنْ حَالِ الْأَنَامِ وَحَالِهَا
تَشْدُو، وَصَائِدُهَا يَمُدُّ لَهَا الرَّدَى، فَاغْجَبْ لِمُحْسِنَةٍ إِلَى مُغْتَالِهَا
فَعَبَّطْتُهَا فِي أَمْنِهَا وَسَلَامِهَا وَوَدِدْتُ لَوْ أُعْطِيتُ رَاحَةً بِأَلِهَا
وَجَعَلْتُ مَذْهَبَهَا لِنَفْسِي مَذْهَبًا وَنَسَجْتُ أَخْلَاقِي عَلَى مِثْوَالِهَا
نِسْيَانُكَ الْجَانِي الْمَسِيءَ فَضِيلَةٌ وَخُمُودُ نَارٍ، جَدٌّ فِي إِشْعَالِهَا
فَارِبًا بِنَفْسِكَ، وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ، أَنْ تَجْعَلَ الْأَضْغَانَ مِنْ أَحْمَالِهَا
أربأ بنفسك: ترفع، الأضغان: الأحقاد

زَمَنَ الشَّبَابِ! رَحَلْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ وَتَرَكْتَ لِلْحَسَرَاتِ قَلْبِي الْوَالِهَا
دَبَّتْ عَقَارِبُهَا إِلَيْهِ تَنُوشُهُ وَرَمَتْ بِقَايَاهُ إِلَى أَضْلَالِهَا
عقارب الحشرات تنوش (تتخاطف) قلبي، وترمي بقاياها إلى أضلالها (أفاعيها)
يَا جَنَّةَ عُوجِلْتُ عَنْ أَثْمَارِهَا وَلِذَاذَةَ عُرِّيْتُ مِنْ سِرْبِهَا
سربالها: لباسها

١١٦ الفناء النووي

إِذَا سَحَقْتُ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَةَ كَمَا يَسْحَقُ الْحَجَرُ الْحَرْدَلَةَ
وَدَبَّ الْفَنَاءُ فِي ذَوَاتِ الْجَنَاحِ وَغَلْغَلَ فِي النَّبْتِ، فَاسْتَأْصَلَهُ
غلغل: تغلغل

وَفِي الْمَاشِيَاتِ، وَفِي الزَّاحِفَاتِ عَلَيْهَا، إِلَى آخِرِ السَّلْسِلَةِ
وَضَاعَ الزَّمَانُ وَمُقْيَاسُهُ وَأَشْبَبَهُ آخِرُهُ أَوَّلُهُ
وَلَمْ يَبْقَ حَيٌّ عَلَى سَطْحِهَا وَأَصْبَحَ عِزْرِيلُ لَا شُغْلَ لَهُ
فَذَلِكَ خَطْبُ يَهُوْلُ النُّفُوسِ تَصَوُّرُهُ، قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ
وَلَكِنَّ أَمْرًا يُعْزِي الْجَمِيعَ إِذَا سَحَقْتَ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَةَ

فَلَنْ يَدَعَ الْمَوْتُ حَيًّا يَلُومُ سِوَاهُ، عَلَى هَذِهِ الْمَقْتَلَةَ

١١٧ المغامرون المبادرون

أقامها في المأدبة التي أقامها المجلس الملي في مونتريال، كندا، لمناسبة مرور ٤٠ سنة على تأسيسه:

الْأَرْبَعُونَ لَوْ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ لَرَوَتْ لَنَا قِصَصَ الْعِظَائِمِ عَنْكُمْ
وَلَحَدَّثَتْنا كَيْفَ عَنْ أَغْشَاشِكُمْ طِرْتُمْ، بِأَجْنَحَةِ الْمَنَى، إِذْ طِرْتُمْ
يَوْمَ الْفِرَاقِ كَظْمْتُمْ آلَامَكُمْ وَأَخَفْتُمْ مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ جَهَنَّمَ
وَبَكَى الْأَحِبَّةُ حَوْلَكُمْ، وَجُفُونُكُمْ تَعْصِي الْبُكَاءَ؛ حُزْنُ الْجَبَابِرِ أَبْكُمْ
وَعَزَّوْتُمْ الْآفَاقَ، لَا زَادَ لَكُمْ إِلَّا الصَّبَا الْمَتَوْتُبُ الْمَتَضَرَّمُ

المتضرم: المتروك

تَتَخَيَّلُونَ الْبَحْرَ شُقًّا لِيَتَغَبَّرُوا وَانْدَاحَ بَيْنَ الشَّاطِئَيْنِ لِيَتَسَلَّمُوا
انداح: انبسط

وَالدُّرَّ مَخْبُوءاً لَكُمْ فِي قَاعِهِ كَيْ تُخْرِجُوهُ، وَتَغْنَمُوا مَا شِئْتُمْ
وَالْمَوْجُ إِذْ يَطْغَى، وَيَهْدُرُ حَوْلَكُمْ جَوْقاً لِيَطْرُدَ هُمُومَكُمْ يَتَرَّتُمْ
وَإِذَا النُّجُومُ تَأَلَّقَتْ تَحْتَ الدُّجَى خِلْتُمْ لِأَجَلِكُمْ تُضِيءُ الْأَنْجُمُ
وَحَسِبْتُمْ شَمَّ الْجِبَالِ سَلَالِمًا نُصِبَتْ لَكُمْ كَيْ تَضَعُدُوا، فَصَعِدْتُمْ
وَلَكُمْ تَلْتَمَّتِ الْحَقَائِقُ بِالرُّؤَى كَالْأَرْضِ يَغْشَاهَا السَّرَابُ الْمُوهِمُ

كثيراً ما نغلف الحقائق الصعبة بأحلامنا فلا نراها صعبة، فهذه الحقائق كأرض مجذبة ولكننا نتخيل فوقها سراباً وهمياً

لِيُطِلَّ مِنْ أُرُوجِنَا أَشْوَاقُهَا فَتَطُوفَ حَوْلَ خُدُورِهَا وَنُحُومُ
خدورها: بيوتها

لَمْ تَفْنَعُوا كَالْخَامِلِينَ بِأَنْتُمْ لَكُمْ شَرَابٌ، فِي الْحَيَاةِ، وَمَطْعَمٌ
مطعم: طعام

أَوْ أَنْ يَكُونَ ثَرَايُكُمْ كَثْرَائِهِمْ قَضَرُ عَفَا، أَوْ هَيْكَلٌ مُتَرَدِّمٌ
عفا: انهدم

وَحَدِيثُ أَسْلَافٍ قَدِ التَّحَفُّوا الْفَنَاءَ فَهُمْ سَوَاءٌ، فِي الْقِيَاسِ، وَجُرْهُمُ
 مَنْ يَفْتَرِبُ مِنْ أَمْسٍ يَبْعُدُ عَنْ عَدِ وَيَعِشُ مَعَ الْمَوْتَى، وَيُضِيحُ مِنْهُمْ
 الْمَجْدُ مَطْلَبُكُمْ، وَأَنْتُمْ سَهْدُ وَالْمَجْدُ حُلْمُكُمْ، وَأَنْتُمْ نَوْمُ
 سَهْدُ: سَاهِرُونَ

لَا شَيْءَ صَغْبٌ عِنْدَكُمْ، حَتَّى الرَّدَى، الصَّغْبُ عِنْدَ نَفْسِكُمْ أَنْ تُحْجِمُوا
 يَا بَضْعَةً مِنْ أُمَّةٍ، هِيَ أُمَّةٌ فِي ذَاتِهَا، وَلَهَا طِرَازٌ مُعْلَمٌ
 طِرَازُ مُعْلَمٍ: نَمَطٌ مُمِيزٌ

فِيكُمْ جَمِيعُ صِفَاتِهَا وَخِلَالِهَا وَالرَّوْضُ يَخْوِيهِ، عُطُورًا، قُمُكُمْ
 حَدَّثْتُ نَفْسِي، وَالْقَطَارُ يَحُبُّ بِي عَجَلَانِ يَخْتَرِقُ الدُّجَى وَيُدْمِدُمُ
 يَخُبُ: يَرْكُضُ، يَدْمِدُمُ: يَقُولُ دَمَ دَمَ دَمَ

فَسَأَلْتُهَا مُسْتَفْهِمًا، وَلَرَبَّمَا سَأَلَ الْعَلِيمُ سِوَاهُ عَمَّا يَعْلَمُ
 مَا أَحْسَنُ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ: يَوْمُكُمْ وَالنَّاسِ؟ فَايْتَدَرَتْ وَقَالَتْ: أَنْتُمْ
 وَالذُّورُ؟ قَالَتْ: دُورُكُمْ، وَالْمَالِ؟ قَا لَتْ: إِنَّ أَحْسَنَهُ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ
 مَا كَانَ أَكْمَلَ يَوْمَكُمْ وَأَتَمَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي مَهْدِ عِيسَى مَاتُمْ
 مَهْدُ عِيسَى: فَلَسْطِينُ

وَكَذَا الْحَيَاةُ: قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا، ذَكَرَى نُسْرُ بِهَا، وَذَكَرَى تُؤْلِمُ

١١٨ جَهَنَّمُ الْحَقِيقِيَّةُ

بِالْأَمْسِ بِادْرَنِي صَدِيدِ قُ حَائِرٌ يَسْتَفْهِمُ
 : أَجْهَنُّ نَارًا، كَمَا زَعَمَ الْهُدَاةُ، وَعَلَّمُوا؟
 أَمْ زَمْهَرِيرٌ قَارِسٌ قَاسٍ، وَكَوْنٌ مُظْلِمٌ؟
 فَأَجَبْتُهُ: مَا الزَّمْهَرِيرُ رُ، وَمَا اللَّطَى الْمُتَضَرَّمُ..
 الْمُتَضَرَّمُ: الْمُتَوَقَّدُ

بِجَهَنَّمِ، لَكِنَّمَا: أَنْ لَا تُحِيبَ جَهَنَّمُ

١١٩ ثابر على تهديمها

ألقاها في حفل تكريم كمال جنبلاط، الزعيم اللبناني:

تلك المنازل، كيف حال مقيمها إنا قنعنا بعدها برسومها
نشأتها، في بؤسنا ونعيمنا ونحبها، في بؤسها ونعيمها
يا حاملاً، في نفسه وحديثه، أحلام أرزتها، ولطف نسيمها
حدث بنيها: شيخهم وفتاهم عن ليث غابتها، وظبي صريمها
الصريم: الأرض الرملية المنزلة

حدثهم عن ليلها ونجومها وعن الهوى في ليلها ونجومها
وعن الشطوط الحالمات بعودة للغائبين، ورجعة لنعيمها
وعن الروابي الشاخصات إلى السما العالقات رؤوسها بغيومها
فكانها سحب هوت من حالي ورست على وجه الثرى بهمومها
حالق: جبل عالي

وعن الألى ملكوا، فلم يتورعوا عن سلب أغزلها، وظلم يتيمها
الجاهلية، أه من أصنامها بوركت، يا من جد في تحطيمها
والطائفية، أنت أول مغول في سورها. ثابر على تهديمها

١٢٠ خمر المعاني

في حفلة ميلاد ديوانه الخمائل:

ما هو الشعر، إنني ما رأيتك نين إلا وفيه يختصمان
قال قوم: وحي ينزله الله ه، وقوم: نفت من الشيطان
نحن، أهل الخيال، أسعد خلق الله ه حتى في حالة الحرمان
كم زهدنا بئروية من نضار وقنعنا بئروية من أمان
نضار: ذهب

إن ظمئنا، وعز أن نرد الما ء، روانا تصور الغدران
وإذا غابت النجوم اهتدينا بالرؤى، بالرجاء، بالإيمان

لَا يَعُدُّ الْوَرَىٰ عَلَيْنَا اللَّيَالِي نَحْنُ قَوْمٌ نَعِيشُ فِي الْأَزْمَانِ
لَا يَعُدُّ: يَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَعُدُّوا

رُدَّ عَنِّي الْكَؤُوسَ، يَا أَيُّهَا السَّاءِ قِي، فَرُوحِي نَشْوَى بِخَمْرِ الْمَعَانِي
أَيُّهَا اللَّيْلُ! أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْفَجْرِ رِ، وَإِنْ كُنْتَ أَسْوَدَ الطَّيْلِلسَانِ
الطَّلِسَانِ: الثَّوْبِ. قَالَ الْمَعْرِي: رَبِّ لَيْلٌ كَأَنَّهُ الصَّبْحُ فِي الْحَسَنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطَّلِسَانِ

١٢١ نظرت إلى العُودِ تسألهم عني

أَبِي! خَانَنِي فِيكَ الرَّدَى فَتَقَوَّضَتْ مَقَاصِيرُ أَحْلَامِي كَبَيْتٍ مِنَ الثَّنَنِ
تَقَوَّضَتْ: تَهْدَمَتْ، مَقَاصِيرُ: غُرَفُ

وَمَا صُورُ الْأَشْيَاءِ بَعْدَكَ غَيْرَهَا، وَلَكِنَّمَا، قَدْ شَوَّهَتْهَا يَدُ الْحُزَنِ
فَوَاهَا لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَوْمِ عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى الْعُودِ، تَسْأَلُهُمْ عَنِّي
العُودِ: زُورِ الْمَرِيضِ

وَكُنْتُ إِذَا حَدَّثْتُ، حَدَّثَ شَاعِرٌ لَبِيبٌ، دَقِيقُ الْفَهْمِ وَالذَّوْقِ وَالْفَنِّ
يَعْنِي أَنَّكَ أَنْتَ شَاعِرٌ وَدَقِيقُ الْفَهْمِ الْخ.

فَمَا اسْتَشْعَرَ الْمُضْغِي إِلَيْكَ مَلَامَةً، وَلَا قَلْتُ، إِلَّا قَالَ مِنْ طَرَبٍ: زِدْنِي
نَظْرُنْ لَنَا الدُّنْيَا. وَمَا فِي رِحَابِهَا، وَلَيْسَتْ لَنَا، إِلَّا كَمَا الْبَحْرُ لِلسُّفْنِ
تَرَوْحُ وَتَغْدُو حُرَّةً فِي عُبَابِهِ كَمَا يَتَهَادَى سَاكِنُ السَّجْنِ فِي السَّجْنِ
وَزَنْتُ بِسِرِّ الْمَوْتِ فِلْسَفَةَ الْوَرَى فَشَالَتْ، وَكَانَتْ جَعَجَعَاتٍ بِلَا طَحْنٍ
شَالَتْ: ارْتَفَعَتْ كَفْتَهَا، أَيْ أَنَّ فِلْسَفَةَ النَّاسِ أَخْفَ مِنْ سِرِّ الْمَوْتِ، الْجَعَجَعَةُ بِلَا طَحْنٍ مِثْلُ، مَعْنَاهُ
صَوْتُ الْجَرَشِ وَلَكِنْ بِلَا طَحْنٍ (طَحْنِ)

فَأُضِدُّ أَهْلَ الْأَرْضِ مَعْرِفَةً بِهِ كَأَكْثَرِهِمْ جَهْلًا، يُرْجَمُ بِالظَّنِّ
يُرْجَمُ: يَتَشَكَّكُ

١٢٢ وطن النجوم

وَطَنَ النُّجُومِ! أَنَا هُنَا حَقُّقُ.. أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟
الْمَحْتِ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ لِي فَنِي غَرِيرًا أَرْعُنَا؟
غَرِيرٌ: صَغِيرٌ بِلَا تَجَرِبَةٍ

جَذْلَانِ يَمْزُجُ فِي حُقُو لِكَ كَالنَّسِيمِ مُدْنِدِنَا

جذلان: فرحان

الْمُقْتَنَى الْمَمْلُوكُ مَلَّ عَبُّهُ، وَعَیْرُ الْمُقْتَنَى

يعني يلعب في بيتهم وفي بيوت وحدائق الجيران، ولا فرق عنده

يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ، لَا ضَجْرًا يُحَسُّ، وَلَا وَنَى

ونى: تعب

وَيَعْمُودُ بِالْأَغْصَانِ يَبُّ رِبِهَا سُيُوفًا، أَوْ قَنَا

قنا: رماح

وَيَحُوضُ فِي وَحْلِ الشُّتَا ءِ مُهَلَّلًا مُتَيِّمَنَا

متيماً: مستشراً

لَا يَبْتَقِي شَرَّ الْعَمِيو نِ، وَلَا يَخَافُ الْأَلْسُنَا

وَلَكَمْ تَشْبِطُنْ، كَي يَقُو لَ النَّاسُ عَنْهُ: تَشْبِطُنَا

أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي دَنِيَاهُ كَانَتْ هَهُنَا

عَاشَ الْجَمَالُ مُشَرِّدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكِنَا

ينشد: يبحث عن

حَتَّى انْكَشَفَتْ لَهُ، فَأَلَّ مَقَى رَحْلَهُ، وَتَوَطَّنَا

وَاسْتَعْرَضَ الْفَنُّ الْجَمَا لَ، فَكُنْتَ أَنْتَ الْأَخْسَنَا

لَلَّهِ سِرٌّ فَيْكَ، يَا لِبْنَانُ، لَمْ يُغْلَنْ لَنَا

زَعَمُوا سَلَوْتُكَ، لَيْتَهُمْ نَسَبُوا إِلَيَّ الْمُمَكِنَا

سلوتك: نسيك

فَالْمَرْءُ قَدْ يَنْسَى الْمُسِي ءِ الْمُفْتَرِي، وَالْمُحْسِنَا

وَالْخَمَرَ، وَالْحَسَنَاءَ، وَالْـ وَتَرَ الْمَرْئِخَ، وَالْغِنَا

المرئخ: المهتر

وَمِرَارَةَ الْفَقْرِ الْمُذِلَّ بَلَى، وَلَذَاتِ الْغِنَى

لَكِنَّهُ مَهْمَا سَلَا هِيَهَاتَ يَسْلُو الْمَوْطِنَا

١٢٣ كيف خُلِقَتْ للناس عيون

إلى روح خليل مطران:

عندما أبدعَ هذا الـ	كُونَ رَبُّ الْعَالَمِينَ
ورأى كَلَّ الَّذِي فِيـ	هـ جَمِيلاً وَثَمِيناً
خَلَقَ الشَّاعِرَ كَيْ يَخـ	لُفَّ لِلنَّاسِ عُيُوناً
مَنْ سِوَاهُ ثَائِرٌ، فِيـ	هـ وَقَارُ النَّاسِكِينَ
مَنْ سِوَاهُ عَابِدٌ، فِيـ	هـ جُنُونُ الثَّائِرِينَ
مَنْ سِوَاهُ عَانَقَ اللَّـهـ	يَقِيناً، لَا ظُنُوناً

١٢٤ منتظراً الموت

ما لِلْقُبُورِ كَأَنَّمَا لَا سَاكِنٌ	فيها، وقد حَوَّتِ العُصُورَ الْمَاضِيَةَ
طَوَّتِ الْمَلَائِيْنَ الْكَثِيرَةَ قَبْلَنَا،	وَلَسَوْفَ تَطْوِينَا وَتَبْقَى خَالِيَةً
أَيْنَ الْمَهَا وَعْيُونُهَا وَفُتُونُهَا؟	أَيْنَ الْجَبَابِرُ وَالْمُلُوكُ الْعَاتِيَةُ؟
زَالُوا مِنَ الدُّنْيَا كَأَن لَمْ يُوَلَّدُوا،	سَحَقَتْهُمْ كَفُّ الْقَضَاءِ الْقَاسِيَةِ
إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيدَةٌ: أَعْمَارُنَا	أَبْيَاتُهَا، وَالْمَوْتُ فِيهَا الْقَافِيَةُ
مَتَّعَ لِحَاطَتِكَ فِي النُّجُومِ وَحُسْنِهَا	فَلَسَوْفَ تَمْضِي، وَالْكَوَاعِبُ بَاقِيَةُ

إيليا أبو ماضي فهرس القوافي

٦٢	أَتَيْتُ (الطلاسم)	٥٩	البيضاء
٨	المِلْمَة	٥٨	والأسماء
٨٠	الرُّفَات	١٠٧	إِبَاءٍ
٨٣	نَعْمَاتِهِ	٢٢	أعدائي
١٦	أَفَاجِي	٢٦	الآباء
٣٢	المفاجي	٧٦	الأحشاء
٢٧	صَفِيحًا	١٠٥	يَدِمَائِي
٣٣	السُّهَادَا	٣٠	لِأَلَاءِ
١٥	أَمْ نَفِدَا؟	١٠٦	غَنَاءِ
٣٦	حَدِيدًا	٣١	والمخربا
٣٥	لَهَا فِدَى	٧٧	الكتبُ
٨٤	بالأفْرَادِ	١٩	تَكْذِيبُ
٣٧	وَعَرَبْدُ	٢١	مُحِبِّبُ
١١١	أَرَى؟	٦٠	الأحبابِ
١١٢	الْوَرَى	٦١	العُقَابِ
٦٥	وَالْعَاصِرَا	١٠٨	صِحَابِي
٦٣	الطُّيُورُ؟	١٨	غَيْرُ أَبِي
٦٤	أَنْصَارُ	٧٨	والأحبابِ
٣٨	تَفْكِيرُ	١٧	وَبِمِخْلَبِي
٨١	قَنْدَرُ	٧٩	الْخِصَابُ

٢٣	وَالرُّسُلُ	١١٠	وَالْقَمَرُ
٩١	زُلَالٍ	١٠٩	يُحْتَضَرُ
٤٤	فَاجْهَلٍ	١٤	الْحَاضِرِ
١١٦	الْخَرْدَلَةُ	٣٩	الدُّهْورِ
١١٥	جَمَالِهَا	٨٥	مِضِرٍ
٩٤	السَّمَاءِ	٨٥	نَضِرٍ
٢٥	انْتِقَامًا	٤١	زُمرَ
٩٥	عَلَقَمًا	٦٦	الْمِسْرَةَ
٤٧	أَنْجُمٍ	٨٢	تَقْسِيرُهُ
٢	خَتَامُ	٤٠	جِبْرَةِ
١١٧	عَنْكُمْ	٨٦	لِلنَّاسِ
١١	فِيهِمْ	٤٢	مُفْتَرِسٍ
٧١	وَالْأَنْجُمِ	٨٧	وُسُواسٍ
١١٨	يَسْتَفْهِمُ	٦٧	مَظْمَعِي
١٠	السَّامِ	٨٨	صَدَفٍ
٢٩	الْقَلَمِ	٢٠	الْلُقَا
٥٠	الْكَلَامِ	١٣	فِرْقٍ
٩	الْمَتَقَادِمِ	٨٩	الصُّنْدُوقِ
٩٣	إِمَامِي	١١٣	لَتَفْرِقِ
٤٩	شَيْمِي	٩٢	أَصْلًا
١١٩	بِرُسُومِهَا	٤٦	عَلَيْلًا؟
٧	الْأَنَا	٦٩	فُضُولًا
٧٢	السَّنِينَا	٧٠	مَتَهَلَّلًا
١٢٣	الْعَالَمِينَا	١٢	مَقِيلًا
١٢٢	أَنَا؟	٤٥	وَدَالًا
٦	سِينِنَا	١١٤	الْمَتَهَلَّلُ
٩٧	لَحْنًا	٦٨	تُعَوِّلُ
٩٦	لِلْفَنَّا	٤٣	جَمِيلُ
٢٨	وَرُهْبَانُ	٢٤	سَبِيلُ

٤	لِيَا؟	١٢١	التَّبَنِ
٥٧	بُنُ بِي	٣٤	الثَّقَلَانِ
٥٦	الْآتِيَّةُ	٤٨	المَبِينِ
١٠٣	الشَّادِيَّةُ	٥١	سَفِينِ
١٢٤	الْمَاضِيَّةُ	١٠٤	لِلْعُذْرَانِ
١٠٢	بَاقِيَّةُ	١٢٠	يَخْتَصِمَانِ
٥٥	بِأَهْلِهَا	٧٣	الْجَائِعُونَ
٩٩	تُعْطِيهَا	٥٢	وَأَمْتَدَحْنَاهُ
١	فِيهِ	٧٥	أَغْبَاهَا
١٠٠	فِيهَا	٥٣	طَوَّاهَا
٩٠	لَدَيْكَ	٧٤	الْإِلَهَ
٥٤	لِذَوِيهِ	٩٨	فَأَتَاهُ
٥	مَأَقِيهَا	١٠١	زَرِيًّا
		٣	لَاهِيَا

إلياس فرحات

(١٨٩٣ - ١٩٧٦)

إلياس فرحات شعلة فصاحة وشموخ وحماسة للعروبة. . وهو شعلة جرأة. وبسبب هذه الجرأة كان أصحاب المقالات يمرون به بهدوء مرورهم بجانب سور المقبرة؛ يذكرون الاسم ثم يُغذّون السير للحديث عن مهجري آخر. كان جريئاً مع الدين وعلى الدين، وكان جريئاً في معاداته للمتفرنسين في لبنان. وقد صنع خيراً إذ طبع دواوينه بالبرازيل في سنتي ١٩٣٢، و١٩٥٤. ومن هذه الدواوين الأربعة: الربيع، والصيف، والخريف، ورباعيات فرحات، استقينا مختاراتنا. فلو لم يطبع مختاراته لكاد يتلاشى اسمه فيمن تلاشت أسماؤهم من عشرات الشعراء في المهجر. ونقول «كاد يتلاشى» ولا نجزم لأن لشاعرنا قصيدة لم يستطع أحد أن يتجاهلها. تلك هي «حياة مشقات»، أو «حديث النفس» كما تسمّى كتب المدارس تلك القطعة منها، التي تبدأ بعبارة «أقول لنفسي».

لا، ليس فرحات من أصحاب الواحدة، أولئك الذين صنعت لهم ذكرهم قصيدة واحدة. فله واحداث كثيرات. على أن «حياة مشقات» قصيدة مكتوبة بالعرق والجوع. وستراها فيما سيأتيك مما اخترناه. لكنك ستري أيضاً صرخاته الجريئة وغزلياته الرائقة.

نشأ فرحات في تربة الزجل اللبناني كإيليا أبو ماضي، بل أكثر من إيليا بكثير. كان إلياس فرحات زجلاً مكتمل الأداة وهو بعد فتى مراهق. وكان يحضر الحفلات، ويقارع الزجالين الكبار. على أن القرية التي نشأ فيها كانت «عاصمة» مهمة من عواصم الفصحى، فمن كفر شيماء انطلق اليازجي وأبناؤه، وشبلي الشميل، والأخوان تقلا صاحباً جريدة الأهرام، ليصنعوا للفصحى

نهضة. وأنعم الله على شاعرنا أن ألجأه إلى ترك المدرسة وهو في العاشرة من عمره بعد أن تعلم القراءة في مدرسة الدير.. فعرف كيف يدع.

اشتغل صبيّ نجارٍ في زحلة القرية، واشتغل في نقشيش الكراسي، ثم في تنضيد الحروف بمطبعة جريدة الوطن لشبلي ملاط، وجريدة الحقيقة للشيخ أحمد الأزهري في بيروت.. وكانت بيروت آنذاك على بعد بضعة كيلومترات من كفر شيما، وقد التصقت بها الآن. والتقى إلياس بأهل الأدب واللغة وسمعهم. وأتى دمشق للعمل وهو في السادسة عشرة من عمره، ولعله مشى إليها.. فقد تورمت رجلاه ومكث في السرير أشهراً، ثم عاد إلى قريته كفر شيما.

وعزم على الهجرة إلى البرازيل لينضم إلى نحو ستين ألف شامي سبقوه إلى هناك، وكان في السابعة عشرة. وقبل الرحيل أخذ خصلة من شعر محبوبته حتى يكون عهد بالوفاء. ظن أنه يمكث في البرازيل بضع سنين يلثم فيها المال من على الأرصفة في كيس ويعود ليتزوج الحبيبة. لكنه سرعان ما لاقى خيبتين: جاءه أن محبوبته تزوجت، ووجد أرصفة البرازيل كأرصفة لبنان. فكان لا بد من الكشة. و«الكشة» مصطلح مهم لمن شاء أن يتعرف على حياة أولئك المهجرين. هي حقيبة أو شبه حقيبة، أو صندوق أو شبه صندوق مع سيور تجعله يمتطي عاتق البائع. ويطوف به البائع في حواري القرى وفيه المناديل الملونة، وربطات العنق، وما إلى ذلك من الطرائف يبيعها فقير إلى فقراء.

قضى فرحات أكثر من عشر سنين يطوف ببضاعته. والتقى في البرازيل الأدباء والشعراء، تنقل من مدينة إلى مدينة وتحسنت أحواله، ورافق شقيقين له في العمل بالمحلات التجارية، غير أنه لم يكن رجل تجارة. ظل يكتب الشعر، ولكنَّ بعده عن موطن الزجل أمات الزجل على لسانه، وحلت الفصحى.

ماذا ننتظر من شاب لم يتجاوز السنة الرابعة الابتدائية في مدرسة الدير؟ فصحى مهشمة طبعاً. فأما الوزن فأطاعه سريعاً، فهو زجال، وأما النحو فظل عصياً عليه بضع سنين. كان رفيق مهجره الشاعر القروي يقول له: أنت تكتب الشعر ولا تقرأه، فكل كلامك لحن في لحن.

وتزوج فتاة لبنانية وأنجبا: ليلي وخالد وعصام وسعاد. وذكرنا أسماء أبناء فرحات لكي تقارنها بأسماء أبناء إيليا أبو ماضي: ريتشارد، وإدوارد، وروبرت. وهنا يكمن فارق مهم بين المهجر في أميركا الشمالية، والمهجر في أميركا

الجنوبية. كان جو المهجرين في أميركا الجنوبية أعرب وأقرب إلى التمسك
بقديم اللغة وفصيحتها وبالعروية. وكان لشاعرنا اتصال بالمراسلة بالحركة العربية
التي قادها الشريف حسين وأبناءؤه من مكة. وكان له في زميله الشاعر القروي
سند مهم في تعضيد الفكرة العربية، وكلاهما رفض فكرة القومية السورية، ونأى
عن زعيمها أنطون سعادة. ولم يكن القروي وفرحات كالسمن على العسل تماماً
في العلاقة الشخصية، ربما لاشتراكهما في شيء آخر: الترق وحده الطبع.

عاد إلياس فرحات إلى لبنان في زيارة، ولكنه توفي في البرازيل وعمره
ثلاث وثمانون.

أ يكون شعر فرحات انتفع بأن صاحبه لم يكن ذلق اللسان بالفصحى ذلاقته
بالعامية اللبنانية؟ أ يكون هذا وفر له بعض الحماية من «المنبرية» التي اتهم بها
صديقه القروي صاحب اللفظ السليم واللغة القويمة والصوت الجهوري
الجميل؟ ربما. على أن في شعر فرحات غضباً كبيراً، وحماسة وطنية. ولأن
فرحات لم يقرأ كثيراً ولم يدرس اللغة درساً منظماً فقد بقيت في شعره بساطة
جميلة، ثم إن شعره سلم من اللحن، وخصوصاً عندما قرر دفن أول مجموعة
شعرية له، بعد أن كاد يدفع بها إلى المطبعة.

كانت فصحاء بسيطة وسلسة، وخالية من التعمل. لقد نبتت في أرض بريئة
من الأعيب البديعيين والنحاة.

١ كيف تعلمت الشعر

يقولون: عَمَّنْ أَخَذْتُ الْقَرِيضَ؟ وَمِمَّنْ تَعَلَّمْتُ نَظْمَ الدَّرَزِ؟

القرىض: الشعر

وَأَيْنَ دَرَسْتَ الْعَرُوضَ، وَكَيْفَ تَلَقَّنْتَ هَذَا الْبَيَانَ الْأَعْرَى؟
وَمَا كُنْتَ يَوْمًا بِطَالِبِ عِلْمٍ فَإِنَّا عَرَفْنَاكَ مِنْذُ الصُّغَرِ
فَقُلْتُ: أَخَذْتُ الْقَرِيضَ صَبِيئًا عَنِ الطَّيْرِ، وَهِيَ تُغْنِي السَّحَرِ
وَعَنْ ضَحِكَاتِ مِيَاهِ الْجَدَاوِ لِ فَوْقَ الْجَلَامِيدِ تَحْتَ الشَّجَرِ

الجلاميد: الصخور

وَعَنْ زَفَرَاتِ الْمَحَبِّ الْأَدِيبِ يَزَاحُمُهُ الْمَوْسِرُ الْمُحْتَقَرُ
وَعَنْ نَظَرَاتِ الْحِسَانِ اللَّوَاتِي يَكْدُنَ يُغْلَغِلْنَهَا فِي الْحَجَرِ

لِئِنْ كُنْتُ لَمْ أَدْخُلِ الْمَدْرَسَاتِ صَغِيرًا، وَلَا بَعْدَهَا فِي الْكِبَرِ
فَذَا الْكُونُ جَامِعَةُ الْجَامَعَاتِ وَذَا الدَّهْرُ أَسْتَاذُهَا الْمَعْتَبَرُ
فَذَا الْكُونُ: فَذَا الْكُونُ

فَمَنْ يَحْيَى يَوْمًا وَلَا يَسْتَفِيدُ حُدَّ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ
لَعَلَّه فَاتَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا: «فَمَنْ يَحْيَى يَوْمًا وَلَا يَسْتَفِيدُ.. فَأَعْمَى الْبَصِيرَةِ أَعْمَى الْبَصَرِ». وَفِي الْقَصِيدَةِ
نَفْسُهَا بَعْضُ التَّفْسِيرِ.. فَلَمْ يَكُنْ فَرَحَاتِ خَرِيجِ مَدَارِسَ، وَلَمْ يَكُنْ كَصَاحِبِهِ رَشِيدِ سَلِيمِ الْخَوْرِيِّ
(الشاعر القروي) معلمًا فِي الْمَدَارِسِ قَبْلَ اغْتِرَابِهِ

٢ الطفولة

تُرْجِعُنِي الذِّكْرَى إِلَى (الْكَسَّارَةِ) إِلَى مَقَرِّ الْحَبِّ وَالطَّهَارَةِ
إِلَى اجْتِمَاعِي بِنَاتِ الْحَارَةِ نَلْعَبُ طَوْرًا بِالْحَصَى، وَتَارَةً..
يُسْغِلَنَنِي مَعَهُنَّ بِالصَّنَارَةِ

* * *

نُقِيمُ فِيمَا بَيْنَنَا الْأَفْرَاحَا فَنَأْكُلُ الرُّمَانَ وَالتَّفَاحَا
وَنَمَلَأُ الْأَكْوَابَ وَالْأَقْدَاحَا مَاءَ طَهْوَرًا سَائِعًا قَرَّاحَا
نَضْبِعُهُ حَتَّى يُحَاكِي الرَّاحَا

يُحَاكِي الرَّاحَ: يَشْبَهُ الْخَمْرَ. وَفِي قَرْنِهِ كَفَرُ شَيْمَةِ الْمَسِيحِيَّةِ كَانَ فَرَحَاتِ الصَّبِيِّ رُبَّمَا رَأَى الْكِبَارَ
يَشْرَبُونَ النَّيْذَ الْأَحْمَرَ

* * *

وَطَالَمَا جَعَلَنَنِي عَرِيسَا وَاخْتَرَنَ إِحْدَاهُنَّ لِي عَرُوسَا
ثُمَّ يُزَيِّنُ لَهَا الْمَلْبُوسَا بِالرِّيشِ حَتَّى يُشَبِّهَ الطَّاوُوسَا
وَتُطَرِّبَ الْعَيُونََ وَالنَّفُوسَا

* * *

يَصْنَعْنَ لِي شَوَارِبًا مِنْ صُوفٍ يَجْزُرُزَّهَا مِنْ أَلْيَةِ الْخُرُوفِ
وَيَبْتَدِئْنَ بِالْغِنَا اللَّطِيفِ وَالرَّقْصِ وَالتَّنْقِرِ عَلَى الدُّفُوفِ
وَكُلُّهَا مِنْ تَنَكِّكَ مَعْرُوفٍ

* * *

أما إذا اجتمعت بالصبيان فشأننا إذ ذاك شأن ثانٍ
نقلد الفرسان في الميدان لكن على خيلٍ من القُضبانِ
ملجمةٍ بالقشر والخيطانِ
أي لها لجام من ألياف الشجر ومن الخيطان

٣ لولاك ما دار الفلك

حبيبي تعال تجد منزلَك مُعدًّا كما كان من قبلُ لك
تعال! فما احتلَّ قلبي سواك وغيرُك في خاطري ما سلَّك
فلولاك لم تبدُ هذي النجوم ولولاك ما دارَ هذا الفلكُ

٤ استرحام

قف عندَ حدِّك يا زماني ودعِ الهجومَ، فقد كَفَّاني
جاوزتَ ويحك كلَّ حدٍّ واعتديتَ على كياني
يا دهرُ ويحك، هُدنة! تبقي ولو بعضَ الثواني
يطلب من الزمن هدنة

كي أستعيدَ بها قواي وأستعيدَ لما أعاني
أنا أغزلُّ، والفتك بي يا دهرُ من شيمِ الجبانِ

٥ الشاعر التعس

سعادة نفسي! متى نلتقي لعلَّك، إلآن، لم تُخلقي
وتخسُدني أنسي شاعرٌ جموعُ ترى الخيرَ في المنطقي
المنطق: الكلام، ومن ضمنه الشعر

وتزعمُ أنني سعيدٌ بشعري ولكنَّ ذا الزعمَ لم يصدق
ذا الزعم: هذا الزعم

فهل من يعيشُ بقولٍ «أجدت» و«يا لك من شاعرٍ مُفلق»؟
أهناك من يقتات بقول الناس له «أحسنت»؟

وما همَّني إن يحنِّي الزمانُ وإن يُرعدِ الدهرُ، أو يُبرقِ

خُلِقْتُ شَقِيًّا، وَعِشْتُ شَقِيًّا وَأَحْسَبُ أَنِّي أَمُوتُ شَقِيًّا

٦ أَضَعْتُ الْكَلَامَ

لَكُمْ قُلْتُ إِنِّي إِذَا مَا التَّقِينَا سَأُظْفِي، بِبَتْ هِيَامِي، الْأَوَامَا
الأوام: العطش

وَأُظْهِرُ مَا بِي، لِنَتَعْلَمَ أَنِّي غَدَوْتُ لِأَهْلِ الْغَرَامِ إِمَامَا
وَلَمَّا التَّقِينَا، وَقَالَتْ: سَلَامٌ، أَضَعْتُ النُّهَى، وَفَقَدْتُ الْكَلَامَا
النُّهَى: العقل

٧ مَا لِلْفَقِيرِ صَدِيقٌ

سَأَلْتُ، وَلَهْفْتُهَا تَعَوُّقُ لِسَانِهَا، وَالْعَهْدُ فِي ذَاكَ اللِّسَانِ طَلِيْقٌ
قَالَتْ: أَمَّا لَكَ مِنْ شَقِيْقٍ فِي الْوَرَى؟ فَأَجَبْتُهَا: أَصْلُ الْبَلَاءِ شَقِيْقٌ
قَالَتْ: أَمَّا لَكَ مِنْ صَدِيقٍ مُخْلِصٍ؟ فَأَجَبْتُهَا: مَا لِلْفَقِيرِ صَدِيقٌ

٨ رَغَمِ اخْتِلَافِ اللُّغَةِ

أَحِنُّ إِلَى الْغَابِ، حَيْثُ الشُّرُورُ هِنَالِكَ نِيرَانُهَا خَامِدَةٌ
أَحِنُّ إِلَى حَيْثُ لَا يَجْلِسُ الْعَدُوُّ رُقُوبَ الْوَفَاءِ إِلَى مَائِدَةٍ
فَهَلْ مِنْ فِتَاةٍ كَعَابٍ، تَكُونُ رِيَاخُ مَطَامِعِهَا رَاكِدَةٌ
الكعاب: الفتاة برز صدرها

تَجِرُّ حَنِينِي، وَتُلْقِي عَلَى الْكُوِّ نِ نَظْرَةً عَاقِلَةً رَاشِدَةً
فَأَمْنَحُهَا مُهْجَتِي، وَنَعِيشُ بَعِيدَيْنِ عَنْ غُضْبَةٍ جَاحِدَةٍ
وَيَفْرَحُ قَلْبِي الْحَزِينُ بِهَا كَمَا يَفْرَحُ الْطِفْلُ بِالْوَالِدَةِ
وَلَسْتُ أَبَالِي، وَلَوْ كَلَّمْتَنِي بِإِحْدَى لُغَاتِ الْوَرَى الْبَائِدَةِ
إِذَا مَا لُغَاتُ الشِّفَاهِ اخْتَلَفْنَ فَمَا لِلْقُلُوبِ سِوَى وَاحِدَةٍ
خُفُوقٌ يَخِرُّ لَدَيْهِ الْبَيَانُ وَتَعْنُو الْمَعَانِي لَهُ سَاجِدَةً

تعنو: تخضع

٩ الخوف اللذيد

لَسْتُ بِنَاسٍ لَذِيذٌ قُبِّلَتْهَا وَمَا غَشَا الْقَلْبَ مِنْ حُمَيَّاهَا
حميَّاهَا : شدتها

وَدَعْوَةٌ لِلْوَصَالِ مُغْرِبَةٌ تَقْبَلُهَا تَارَةً وَتَأْبَاهَا
غرامُها بِالرِّضَاءِ يَأْمُرُهَا وَخَوْفُهَا مِنْهُ عَنْهُ يَنْهَاهَا
خوفها من الغرام ينهاها عن الرضا

وَلَذَّةُ الْحَبِّ لَا يُؤَلِّدُهَا فِي النَّفْسِ شَيْءٌ كَخَوْفِ عُقْبَاهَا
عقباها : نتيجتها

١٠ حسرة

أَرَى فِي الْحَشَا نَارَ الْفُتُوَّةِ تَنْظِفِي فَأَشْعُرُ أَنِّي ضَائِعٌ كَدُخَانِهَا
الحشا : جوف الإنسان، يقصد القلب

تَوَلَّى الصُّبَا إِلَّا قَلِيلاً، وَلَيْتَنِي تَمَتَّعْتُ مِنْ أَثْمَارِهِ فِي أَوَانِهَا

١١ عمامة فيصل

قال إلياس فرحات إثر عودة الأمير فيصل من فرساي بعد أنفاوض بشأن سورية،
١٩١٩:

الْعَرْشُ عَرْشُكَ يَا فَتَى عَدْنَانٍ أَبْطَأْتُ أَمْ أَسْرَعْتُ فِي الْإِعْلَانِ
وَإِذَا الْعُرُوشُ عَلَى الْقُلُوبِ تَأَسَّسَتْ أَمِنْتُ بِهِنَّ طَوَارِقَ الْحَدَثَانِ
طوارق الحدثنان : مصائب الزمن

أَعْجَزْتُ فِي بَارِيَسَ كُلِّ مُحَنِّكَ جَمَّ الْبَلَاغَةِ، سَاحِرِ التُّبَيَّانِ
وَطَلَعْتُ بَيْنَ مَلُوكِهِمْ بِعِمَامَةٍ جَمَعْتُ جَمِيعَ مَفَاخِرِ الْأَزْمَانِ
بَصُرْتُ بِهَا تِيْجَانُهُمْ فَأَصَابَهَا حَسَدٌ أَذَابَ لَأَلِيَّ التِّيْجَانِ
أَفْهَمْتُهُمْ أَنَّ الشَّامَ لِأَهْلِهَا أَهْلِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ مِنْ غَسَّانِ

كان الغساسنة ملوكاً في الشام قبل الإسلام. تعليق عمران القفيني: (يا فرحات، قد جرتك القافية جراً للغساسنة. كان من فخروت بهم «من غسان» تبعاً للروم. يخوضون بأمرهم حروباً بالوكالة مع العرب الآخرين)

لو كان عِنْدَ الضَّانِ بَأْسُ ضَرَاغِمٍ ما اسْتَمَرَّ الإنسانُ لَحْمَ الضَّانِ

التسويد: عمران القفيني

إِنِّي، وَإِنْ كُنْتُ الْقَصِيَّ، فَإِنْ لِي عَيْنًا تَرَى ما لا يَرَاهُ الدَّانِي
مولاي إِنَّ لَشَعْبِنَا بِسُمُوكُمْ أملاً يَكادُ يَكُونُ كالإيمانِ
طَبَّبَ بِحُكْمَتِكَ الشَّامَ، فَإِنَّهَا كادتْ تَمُوتُ بِعِلَّةِ الأديانِ

سبب التسويد ما تشهده بلاد الشام من طائفية هي بعض أسباب الحرب الأهلية، ونكتب في ربيع عام ٢٠١٧. ولئن كان الشاعر يخاطب فيصلاً الأول، وكان ملكاً عربياً متسامحاً رأيناه، بعد أن ترك الشام وحكم العراق نحو اثنتي عشرة سنة، يعامل الناس بخلق رقيق، ونقرأ ما كتبه عنه الشاعر الجواهري الذي عمل في مكتبه بضع سنين، فنجد أن فيصلاً كان متواضعاً شريفاً، ونجده يمسح بمرهم الكرم والأصالة على الفرقة الطائفية. . لكن الزمن كان أقوى منه. وستجد في كتابنا هذا وفي الكتاب الذي سبقه ضمن سلسلة «الزبدة» شعراً كثيراً في مدح فيصل، وشعراً أكثر في رثائه. وفي هذا البيت المسود يقول الشاعر لفیصل، الذي ملك في الشام قليلاً قبل العراق، «طبيب بحكمتك الشام». ومضت بعد هذا البيت ٩٧ سنة، فهل وقع العرب في الشام والعراق على حكيم يطيبهم من مرض الطائفية؟ معنا ثلاث سنوات فنحن نحب «القرون» بالمعنيين

١٢ العُقْبَى لَكَ

يا لَيْلُ خُذِ بِيَدِ الْعُزْرِ بَةِ، واهْدِهَا خَيْرَ السَّبِيلِ
لم يَبْقَ لِي فِيهَا وَفِي لَكَ مِنَ الرَّجَاءِ سِوَى الْقَلِيلِ

* * *

إِنِّي صَحْبْتُكُمْ زَمًا نَأْ كُنْتُمْ فِيهِ مَعِي
صحب الليل والعزوبة زمناً

ذُبِّبِنِ: يَنْهَشُ وَاحِدٌ قَلْبِي، وَآخِرُ أَضْلَعِي

* * *

ما هَذِهِ الطُّرُقُ الْحَسَا نُبْثُ رِيْهَا وَنَبَاتِهَا
ماءُ الْمَحَبَّةِ وَالْحَيَا قَ يَفِيضُ مِنْ جَنْبَاتِهَا

* * *

ما هَذِهِ الْأَنْغَامُ؟ هَلْ هِيَ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ

أَمْ هَذِهِ نِعَمُ الزَّوَا جِ تَدَفَّقَتْ فِي ذَا الْمَسَاءِ؟

* * *

مَا هَذِهِ الصَّحَرَاءُ، لَا مَاءً يَفِيضُ وَلَا نَبَاتَ
مَا هَذِهِ الْحَيَّاتُ يُفْسِدُ سِدُسُهَا مَاءَ الْحَيَاةِ

* * *

مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ هَلْ ضَوْضَاءُ سُكَّانِ اللُّحُودِ؟
أَمْ هَذِهِ نِقَمُ الزَّوَا جِ، وَتِلْكَ صَلَافَةُ الْقِيُودِ

* * *

وَعَدَا يَرَا فُقْنِي الْوُشَا هُ إِلَى الْكَنِيسَةِ بِاسْمَيْنِ
وَلِكُلِّهِمْ وَجْهُ الْمَسِيحِ جِ، وَقَلْبُ يُوْدَاسَ اللَّعِينِ

يوداس: يهوذا الذي أسلم المسيح للجنود

* * *

وَعَدَا نَمُرُّ بِكُلِّ آ نِسَةٍ تَقُولُ بِمَغْزِلٍ:
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْعَرُوسَ سَ، وَكَانَ هَذَا الْعَرَسُ لِي

١٣ الحب المغدور

قال إلياس فرحات في محبوبته الأولى:

خُصِّلَةُ الشَّعْرِ الَّتِي أَعْطَيْتَنِيهَا عِنْدَمَا الْبَيْنُ دَعَانِي بِالنَّفِيرِ
أَعْطَتْهُ خَصْلَةٌ مِنْ شَعْرَهَا عَرَبُونَ بَقَاءَ الْوَدِّ عِنْدَمَا دَعَاهُ الْبَيْنُ، أَيِ الْفِرَاقِ، بِالنَّفِيرِ، أَيِ بِنْدَاءِ الرِّحْلِ

لَمْ أَزَلْ أَتْلُو سَطُورَ الْحُبِّ فِيهَا وَسَأَلْتُهَا إِلَى الْيَوْمِ الْأَخِيرِ

* * *

هِيَ أَضْفَى مِنْكَ حُبًّا وَوَدَادًا هِيَ أَوْفَى مِنْكَ رَغِيًّا لِلذَّمِّ
هِيَ فِي عَيِّ الصَّبَى لَمْ تَتِمَّادَى هِيَ لَمْ تَتَّبَعْ هَوَى جَرَّ نَدَمٍ
أَنْتِ قَوَّضْتَ مِنَ الْحُبِّ الْعِمَادَا أَنْتِ خُنْتِ الْعَهْدَ عَمْدًا، وَهِيَ لَمْ

يبدو أن محبوبته سرعان ما تزوجت بعد رحيله. أثبتنا القصيدة لأنها من بواكيره، ولأن شباب النث
فرحون بها جداً

١٤ مندوب القردة

ساو باولو - البرازيل ١٩١٨ :

رَاعَ القُرودَ حديثَ الناسِ إذَ وَجَدُوا مِنْهُمْ قَرِيقاً يُرَاعِي قَوْلَ دَرَوِينِ
فَعَيَّنُوا نَائِباً عَنْهُمْ يَسِيرُ إِلَى مَوْلَى المَوَالِي وسلطانِ السلاطينِ
القردة بعثوا مندوباً إلى الخالق احتجاجاً على نظرية داروين

إلى الذي لم يكلّف نفسه تَعَباً في خَلْقِهِ الأرضَ إِلَّا قَوْلَهُ: كُونِي
فَسَارَ نَائِبُهُمْ يَحْتَجُّ بِاسْمِهِمْ عَلَى ادِّعَاءِ المجاذِبِ المجانينِ
مَوْلَايَ، قَالَ، وَقَدْ دَاسَتْ قَوَائِمُهُ سَجَادَةَ العرشِ بَعْدَ العُنْفِ واللَّيْنِ:
قد قَامَ في الغَرْبِ مخلوقٌ بِلا ذَنْبٍ مِنْ نَسْلِ آدَمَ أَشبَاهَ الشياطينِ
المخلوق الذي بلا ذنب هو تشارلز داروين

يقول: إِنَّا وَهُمْ فَرَعَانِ، بَيْنَهُمَا قُرْبَى يُؤَيِّدُهَا قُرْبُ التَّكَاوِينِ
التكاوين: الأشكال (ذلك الشبه غير المنكور بين خِلقة القرد وخِلقة الإنسان)

فَبِالأَصَالَةِ عَنْ نَفْسِي أَكْذِبُهُ وَيَالنِّيَابَةَ عَنْ كُلِّ السَّعَادِينِ
السعادين: القُرود، والكلمة بحسب بطرس البستاني ليست من كلام العرب، لكنها من كلام بلاد
الشام

قالوا: ارْتَقَى جَدُّهُمْ عَنْ جَدَّنَا، وَهُمْ أَحْطُ مَا صَنَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ طِينِ
يَكْفِي السَّعَادِينَ فَخَرّاً أَنَّهَا عَرَقَتْ مَعْنَى السَّعَادَةِ عَفْواً دُونَ تَلْقِينِ
وَأَنَّهَا تَجْهَلُ الكِذْبَ الَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ الحُكُومَاتُ أَرْكَانَ الدَّوَابِّ
لَا تَعْرِفُ الدِّينَ فِي غَيْرِ الإِخَاءِ، وَلَا تَجْنِي عَلَى الخَلْقِ بِاسْمِ اللَّهِ وَالدِّينِ
تسويد الأبيات الثلاثة للشاعر عمران القفيني

لَا لِلْبَطَارِكِ تَعَنُّو فِي سِيَاسَتِهَا وَلَا تَجُوعُ لِأَشْبَاعِ المَطَارِينِ
نعنو: تخضع، البطرك: رئيس الأساقفة، المطران: رتبة دون البطرك

وَلَا تُمَزَّقْ أوطَاناً مُقَدَّسَةً بُغْضاً لِأَحْمَدَ، أَوْ حُبّاً لِمَارُونِ
وَلَا تَبِيعْ مِنَ الأَغْرَابِ مَوْطِنَهَا كَلّاً! وَلَوْ غَمَرُوهَا بِالنَّيَاشِينِ
الغَابُ تَجْمَعُهَا مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ تَحْيَا الصُّعَالِيكَ فِيهَا كَالسَّلاطينِ
هَنَا أَسْرَ بِأَذْنِ القِرْدِ خَالِقُهُ: يَكْفِي! فَهَٰذَا أُمُورٌ لَيْسَ تَعْنِينِي

إِنِّي قَطَعْتُ عِلَاقَاتِي بِأَجْمَعِهَا مَعَ الْخَلَائِقِ طَرّاً دُونَ تَعْيِينِ
 إِنِّي قَطَعْتُ عِلَاقَاتِي بِأَجْمَعِهَا (كاملة) مع المخلوقات طراً (جميعاً)

١٥ خذوا بعثاتكم عنا

عَذَرْتُكَ لَوْ وَجَدْتُ لَدَيْكَ عُدْرًا وَلَكِنِّي أَرَاكَ أَتَيْتَ نُكْرًا
 عَرَسْتَ بِنَا التَّعَصُّبَ مِنْ قَدِيمٍ فَأَتَمَّرَ لَوْعَةً وَأَسَى وَضُرًّا
 يخاطب المحتل الأوروبي الذي قديماً (في زمن الحروب الصليبية) بدأ يفرس التعصب

بَعَثْتُ لَنَا الْوُفُودَ فَمَزَّقْتُنَا، كَمَا عَلَّمَتْهَا، سَطَرًا فَسَطَرًا
 خُذُوا بِعَثَاتِكُمْ عَنَّا، فَأَنْتُمْ بِهَا مِنْ كُلِّ أَهْلِ الْأَرْضِ أُخْرَى
 وَلَا تَدْعُوا إِلَى الْإِيمَانِ شَعْبًا يَرَى الْإِكْرَاءَ فِي الْإِيمَانِ كُفْرًا
 وَلَا تَثْلُوا لَنَا الْإِنْجِيلَ، إِنَّا كَتَبْنَاهُ لَكُمْ، سَطَرًا فَسَطَرًا
 وَإِنَّا نَرْفُضُ الْإِحْسَانَ مِنْكُمْ فَهَلْ تُعْطُونَنَا الْإِحْسَانَ جَبْرًا؟

١٦ وجدان الحبيبة الضائعة

قال إلياس فرحات ١٩٢٠:

سَكِرْتُ بِعَيْنِيكَ مِنْذُ الْأَزَلِ وَهَأُنَا فِي سَكْرَتِي لَمْ أَزَلْ
 أَلَا تَذْكُرِينَ الزَّمَانَ الْقَدِيمَ أَلَا تَذْكُرِينَ الْعَصُورَ الْأَوَّلَ
 أَلَا تَذْكُرِينَ بِأَنَّا وَجِدْنَا مُجَبِّينَ قَبْلَ وَجُودِ الْغَزْلِ
 فَصَيَّرْنَا اللَّهُ زَوْجَ حَمَامٍ نُغْنِي الضُّحَى، وَنُغْنِي الطُّفْلَ
 الطفل: الغروب

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِي الشِّتَاءِ وَقَدْ هَظَلَ الثَّلُجُ مَعَ مَا هَظَلَ
 أَضَعْتُكَ بَيْنَ الْغُصُونِ، وَمَنْ أَضَاعَ الرَفِيقَ أَضَاعَ الْجَذَلَ
 الجذل: الفرح

فَنَادَيْتُكَ اللَّيْلَ حَتَّى انْجَلَى وَنَادَيْتُكَ الْعَمَرَ حَتَّى اضمَحَلْ
 وَلَمَّا التَقَيْنَا بِذَاكَ الْمَسَاءِ وَكُنْتَ كَأَنَّكَ نَجْمٌ أَظَلْ
 سَأَلْتُكَ بِاللَّحْظِ: هَلْ تَذْكُرِينَ الرَّءْ- مَانَ الْقَدِيمَ فَقُلْتَ: أَجَلْ

يُسَائِلُنِي الصَّحْبُ عَنْ رَسْمِهَا وَمَا رَسْمُهَا صُورَةٌ تُبْتَذَلُ
 طلب الصحب رؤية رسمها، أي صورتها، ولكن الصورة لا تبذل وتعرض للأصحاب
 وَإِنَّ الْمَصَوِّرَ مَهْمَا أَجَادَ تَظَلَّ الْإِجَادَةُ دُونَ الْأَقْلِ
 فَكَمْ صَوَّرُوا الْمُقَلَّ السَّاحِرَاتِ وَمَا صَوَّرُوا سِحَرَ تِلْكَ الْمُقَلِّ
 المقل: العيون

وَكَمْ صَوَّرُوا قُبَلَ الْعَاشِقِينَ فَهَلْ صَوَّرُوا طَعْمَ تِلْكَ الْقُبَلِ
 التسويد للآيات الثلاثة: عمران القفيني

١٧ التقي

أَنَا التَّقِيُّ الَّذِي مَا الْكُفْرُ مِنْ شَيْمِي أَهْوَى الْمَسِيحَ، وَأَحْسُو دَائِمًا دَمَهُ
 فكرة مسيحية أن احتساء نبيذ صُلِّي عليه يجعل دم المسيح وبركته يتغلغلان في جسم المؤمن
 مَا مِنْ صَلِيبٍ بَدَأَ فِي نَحْرِ غَانِيَةٍ إِلَّا وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَدْنُو قَالِئِ شِمَةِ

١٨ رجال الدين

يَا رَاعِيًا ضَحَى لِأَجْدٍ لِي قَطِيعُهُ بِحَيَاتِهِ
 إِخْفَظْ قَطِيعَكَ إِنَّهُ أَمْسَى قَتِيلَ رُعَاتِهِ
 يدعو السيد المسيح الذي ضحى بحياته لأجل الناس أن يحفظ هؤلاء الناس الآن، لأن رعاتهم من
 رجال الدين هم الذين يقتلونهم

الشَّعْبُ فِي زَمَنِ الْمَجَا عَةِ أَكَلُ جَزَمَاتِهِ
 حلت مجاعة بلبنان في أيام الحرب العالمية الأولى. جزماته: أحذيته
 وَالذَّيْرُ مَمْتَنِعٌ، وَرَبٌّ - الدَّيْرُ فِي عُرْفَاتِهِ
 رب الدير: كبير رجال الدين

وَالنَّاسُ حَوْلَ الدَّيْرِ نَا ظِرَّةٌ إِلَى شُرْفَاتِهِ
 يَتَلَمَّسُونَ جِدَارَهُ مُسْتَنْزِلِينَ هَبَاتِهِ
 يلمسون جدار الدير تبركاً مستنزلين هباته (متوسلين كي تنزل عطاياه)

لَوْ شَاءَ أَشْبَعَهُمْ بِمَا يُلْقِيهِ مِنْ فَضْلَاتِهِ
 لو شاء الدير لأشبع الناس بما يزيد عن حاجته من قوت. وكانت أملاك الكنائس في لبنان واسعة

أَوْ شَاءَ أَغْنَاهُمْ بِتَا ج كَبِيرِهِ وَعَصَاتِهِ

عصاته : عصاه

لَكِنَّهُمْ مَاتُوا لِمَوْ تِ الْفَضْلِ بَيْنَ ذَوَاتِهِ

يقصد ذويه

مَاتُوا، وَرَبُّ الدَّيْرِ لَمْ يَبْذُلْ، وَلَا عَبَرَاتِهِ

لم يعطهم حتى دموعه

١٩ تردد العذراء

وَلَرُبَّ يَوْمٍ مَا ذَكَرْتُ جَمَالَهُ إِلَّا بِكَيْتُ جَمَالِهِ بِسَخَاءِ

مُتَمَاشِيَيْنَ عَلَى الرِّصِيفِ، وَسِرُّنَا بِادٍ عَلَى وَجَنَاتِنَا بِجَلَاءِ

بَيْنَا نُحَاوِلُ كَثْمَهُ بِسُكُوتِنَا وَيَمَشِينَا الْهَادِي، وَبِالْإِغْضَاءِ

بيننا : بينما ، الإغضاء : الإطراق وتجنب النظر

نَفَحَ الْهَوَاءُ رِدَاءَهَا، وَكَأَنَّهُ قَصَدَ الْمُرَاحَ فَحَكَّهُ بِرِدَائِي

فَمَضَيْتُ أَجْتَنِبُ الطَّرِيقَ مُحَازِرًا أَهْلَ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُمْ أَعْدَائِي

وَمَضَتْ تُرَافِقُنِي، وَفِي خُطُواتِهَا سِرُّ الْكِيسَةِ مُغْلَنٌ لِلرَّائِي

حَتَّى بَلَّغْنَا فِي الظَّهِيرَةِ رَوْضَةَ يَا حُسْنَ تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْعَنَاءِ

وَسَعَتْ وَضَاقَ مَمَرُهَا، فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ بِشَكْلِ هَيَاكِلِ الْقُدَمَاءِ

وَكَأَنَّمَا غَرَسَ الْهَوَى شَجَرَاتِهَا لَتَكُونَ لِلْعُشَّاقِ خَيْرَ خَبَاءِ

كَادَتْ تَكُونُ كَحَالَةِ الْإِغْمَاءِ كَادَتْ تَكُونُ كَحَالَةِ الْإِغْمَاءِ

بَغْضِ الْحَدِيثِ يَدُورُ كَالصَّهْبَاءِ بَغْضِ الْحَدِيثِ يَدُورُ كَالصَّهْبَاءِ

فَبَكَتْ بُكَاءَ تَوَلَّى وَحَيَاءِ فَبَكَتْ بُكَاءَ تَوَلَّى وَحَيَاءِ

مَمْزُوجَةً بِصَدَى خَرِيرِ الْمَاءِ مَمْزُوجَةً بِصَدَى خَرِيرِ الْمَاءِ

فَيُظَلُّ بِأَسِي عَالِقًا بِرَجَائِي فَيُظَلُّ بِأَسِي عَالِقًا بِرَجَائِي

وَتَجِيءُ بِأَسْمَةِ لِغَيْرِ رِضَاءِ وَتَجِيءُ بِأَسْمَةِ لِغَيْرِ رِضَاءِ

وَتَصُدُّنِي عَنْ ضَمِّهَا بِجَفَاءِ وَتَصُدُّنِي عَنْ ضَمِّهَا بِجَفَاءِ

حَالَ تُرِيكَ تَرَدَّدَ الْعَذْرَاءِ حَالَ تُرِيكَ تَرَدَّدَ الْعَذْرَاءِ

ما زال يُقْعِدُهَا الهوى وَيُقِيمُهَا حَتَّى ارْتَمَتْ مَنُهَوَكَةَ الأَعْضَاءِ
فَأَقَمْتُهَا وَلِثِمْتُهَا بِحَرَارَةِ صَعِدَتْ إِلَى شَفَتَيَّ مِنْ أَحْشَائِي
لثمتها: قَبَلْتُهَا

والنهرُ أَنْصَتَ مُضْغِيًّا، مُتَعَلِّمًا سحرَ البَيَانِ، لِقُبْلَةِ خَرَسَاءِ

٢٠ متى ينتهي مسعاكم المتنافر

لقد حَالَتْ الأحوالُ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا وراعتُ حماماتِ الغديرِ الكواسيرُ
حالت (تغيرت) الأحوالُ فِي مَلْعَبِ الصبا (لبنان)، والكواسر (الطيور الجارحة) راعت الأحوال
(أخافت) الحمامات

كَأَنَّ الأُلَى ظَلُّوا بِهِ مِنْ رَجَالِهِ نِسَاءً شِنَاعٌ جَاهِلَاتٌ عَوَاقِرُ
إِذَا أَبْصَرُوا الدِّينَارَ خَفَّتْ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ السَّبِيلَ مَعَايِرُ
معايير: أُمُورٌ مَعِيَّةٌ

وما فِي الفِنَى عَارٌ، وَلَكِنْ مُرِيدُهُ عَلَى آيَةِ الحَالَاتِ لِلْعَارِ صَائِرُ
الذي يريد الدينار على آية الحالات (بغض النظر عن الوسائل) سيقع في العار

دَعُونَا مِنَ الأَلْقَابِ تُلْهُونَنَا بِهَا فَمَا تَخْدَعُ الأَحْرَارَ هَذِي المَسَاخِرُ
فَبِيعُوا نِيشِينَ المَذَلَّةِ، وَاشْتَرُوا بِأَثْمَانِهَا بَعْضَ الحَيَا، ثُمَّ فَاخِرُوا
عَلَيْكُمْ سَلامُ اللّهِ يَا آلَ يَعْزُبُ مَتَى يَنْتَهِي مَسْعَاكُمْ المُتَنَافِرُ
لَقَدْ وَحَدَ العِلْمُ العَبِيدَ، وَأَنْتُمْ قِبَائِلُ تُفْنِي بَعْضَهَا، وَعَشَائِرُ
أَلَيْسَ لَكُمْ يَا قَوْمُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ نَبِيٌّ لِأَصْنَامِ السِّيَاسَةِ كَاسِرُ
أَما مِنْ فَتَى حَرٍّ إِذَا هَبَّ لِلوَعَى تَهُبُّ البَوَادِي خَلْفَهُ وَالْحَوَاضِرُ
أَكَلُ مُنَاكُمُ أَنْ تَقُومُوا بِغَزْوَةٍ تُعَدُّ بِهَا الأَرْبَاحُ، وَهِيَ خَسَائِرُ

٢١ شكوى فقير

هَنِيئًا لَكُمْ حَوْلَ الخِوَانِ اجْتِمَاعُكُمْ وصَاحِبُكُمْ يَطْوِي القِيَافِي بِلا زَادٍ
الخوان: المائدة، القيافي: الصحارى

وَعِنْدَكُمْ المَاءُ النَّمِيرُ مَسِيلُهُ جُرْأَنًا عَلَى وَجْهِ الثَّرَى، وَأَنَا صَادٍ
النمير: الكثير، صايد: عطشان

وَأَوْلَادُكُمْ فِي الْجَوْخِ تَذْفًا جَسْمُهُمْ فَمَا مَمُّكُمْ أَنْ يَقْتُلَ الْبَرْدُ أَوْلَادِي

الجوخ: قماش من صوف كان مشهوراً جداً قبل عصر الجيز

تَمُرُّ عَلَى صَدْرِي الْخُطُوبُ، كَأَنَّمَا بَنَتْهُ لَهَا الْأَقْدَارُ جِسْراً عَلَى وَادٍ
سَأَبْعُدُ عَنْكُمْ مَا حَيَّيْتُ بِفَاقَتِي لِكُنِّي لَا يَهِيَجُ الْبُؤْسُ عَيْشَكُمْ الْهَادِي
سَأَبْعُدُ عَنْكُمْ طَوْلَ حَيَاتِي

٢٢ الزهرة الراهبة

أَطَّلْتُ مِنَ الدَّيْرِ عِنْدِ الضُّحَى وَفِي نَاطِرَيْهَا بَرِيْقُ الْأَسَى
فَتَاةٌ كَأَنَّ الْإِلَهَ بَرَاها لِيَجْعَلَهَا فِثْنَةً لِلنُّهَى
براها: خلقها، النهى: العقل

تَجْمَعُ مِنْ حَوْلِهِ ضُمَّةٌ مِنَ الزَّهْرِ تُهْدَى لِفَادِي الْوَرَى
تجمع من حول الدير باقة أزهار، وفادي الوري: المسيح

فَبَيْنَا تَسِيرُ عَلَى مَهْلِكِهَا وَتَجْمَعُهَا مِنْ هُنَا وَهُنَا
رَأَتْ زَهْرَةً فِي أَعَالِي الْجِدَارِ تُدَاعِبُهَا نَسَمَاتُ الصَّبَا
وَقَدْ زَادَ فِي قَدْرِهَا أَنَّهَا تَعِزُّ عَلَى مَنْ يُرِيدُ الْجَنَى
الجنى: القطف

فَحَرَّكَ مِنْظَرُهَا نَفْسَهَا وَقَالَتْ بِمِلءِ الْحَنَانِ لَهَا:
أَحْيَا! يَهْنِيكَ هَذَا السُّمُو وَهَذَا الْبَهَاءُ، وَهَذَا الرُّضَى
وَلَكِنْ، أَمَا كَانَ أَشْهَى لَدَيْكَ جِوَارُ الْأَزَاهِيرِ، بَيْنَ الرُّبَى
تَحُومُ عَلَيْكَ بَنَاتُ الْقَفِيرِ وَتَسْعَى إِلَيْكَ صَبَايَا الْقُرَى
بنات القفير: النحل (والقفير خلية النحل)

لَأَنْتِ تَعِيشِينَ فِي عُزْلَةٍ، فَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي الثَّرَى
لِمَنْ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْجَمَالَ وَمَنْ يَتَنَشَّقُ هَذَا الشَّدَا؟
وَفِي اللَّيْلِ سَارَتْ إِلَى خَدْرِهَا وَفِي قَلْبِهَا مِثْلُ نَارِ الْعُضَى
الغضى: شجر صلب الحطب، يعطي ناراً حامية

وَلَمَّا نَضَتْ ثَوْبَهَا لِتَنَامَ تَبَيَّنَ مِنْ حُسْنِهَا مَا اخْتَفَى

فَمَدَّتْ إِلَى صَدْرِهَا كَفَّهَا وَقَدْ فَتَّحَ الْوَرْدُ تَحْتَ النَّدَى
وَقَالَ لَهَا قَائِلٌ صَامِتٌ وَكَانَ الَّذِي قِيلَ رَجَعَ الصَّدَى:
وَأَنْتِ تَعِيشِينَ فِي غُزْلَةٍ فَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي الثَّرَى
لِمَنْ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْجَمَالَ وَمَنْ يَتَنَشَّقُ هَذَا الشَّدَا

٢٣ يحسدونني شعري

لِلنَّاسِ فِيمَا يَأْلَفُونَ رِضًا وَلَوْ أَنَّ فِيهِ الْجُوعَ وَالْمَرَضَا
وَلَقَدْ أَلْفَتُ الشَّعْرَ مِنْذُ أَضَا نَجْمُ الْحَيَاةِ، فَيَا عَذُولُ قَدْ
أَضَا: أَضَاءَ، قَدْ: اكْفَفَ، خَلَّصَ بَقِيَ

لَا تُضْغِ لِلْفِتْنَةِ الَّتِي هَرَفَتْ حَسَدًا بِمَا جَهِلْتُ وَمَا عَرَفْتُ
هَرَفَتْ: ثَرَثَتْ

فَالرِّيحُ فَوْقَ الْبَحْرِ كَمْ عَصَفَتْ وَالْبَحْرُ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ

يَا حَاسِدِي شِعْرِي! طَلَاوْتُهُ سِحْرٌ، وَقَدْ تُحْيِي تِلَاوَتُهُ
يَا مَنْ حَسَدَنِي شِعْرِي! طَلَاوْتُهُ (رَقْتُهُ) سِحْرٌ وَتِلَاوَتُهُ تُحْيِي النُّفُوسَ

وَأَرَاكَ، مَا اشْتَدَّتْ حَلَاوَتُهُ تَشْتَدُّ فِيكَ مَرَارَةُ الْحَسَدِ

الشَّعْرُ لِلْأَرْوَاحِ يَنْتَسِبُ فِي بَعْضِهَا أُمٌّ لَهُ وَأَبُ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الْأَلَى صَحَبُوا عَقَمَتْ فَلَمْ تَحْبِلْ، وَلَمْ تَلِدْ

٢٤ درس للإسبان

قال فرحات إثر دخول فرنسا الحرب في المغرب إلى جانب إسبانيا، وكان ذلك على
إثر موقعة انتصر فيها مغاربة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي على الإسبان:

لَكَ الصَّارِمُ الْقَاضِي عَلَى كُلِّ صَارِمٍ لِدَبْحِ الْعَدَى يُرْجَى، وَكَبْحِ الْمَظَالِمِ
يخاطب عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف المغربي

فَقُلْتُ لِأَوْرُبَا، وَسَيْفُكَ مُضَلَّتْ: رَوَيْدِكُ! لَسْنَا بَعْضَ تِلْكَ السَّوَائِمِ

مصلت: مسلول، السوائم: المواشي

أَحَاوُلُ أَنْ أَثْنِي عَلَيْكَ، فَلَا أَرَى كَلَاماً جَدِيراً فِي بَطُونِ الْمَعَاجِمِ
سَرَتْ كَهْرِبَاءُ الْعَزَمِ مِنْ خَيْرِ مُهْجَةٍ إِلَى خَيْرِ كَفٍّ، صَافَحَتْ خَيْرَ قَائِمٍ

قائم: مقبض السيف

وَضَلَّتْ عَلَى الْإِسْبَانِ صَوْلَةَ مُؤَمِّنٍ بِقُوَّةِ حَقِّ الشَّعْبِ، لَا بِالتَّمَائِمِ
لَقَدْ عَلِمْتُ مَدْرِيدُ أَنْكَ غَوْلُهَا وَأَنْ بِلَادَ الرِّيفِ غَيْلُ الضَّرَاغِمِ

غولها: قاتلها ومغتالها، غيل الضراغم: غابة الأسود

وَمَا عَلِمْتُ عَفْوَاً، وَلَكِنْ تَعَلَّمْتُ بِمَدْرَسَةِ أَسْتَاذُهَا غَيْرُ نَائِمٍ

٢٥ الحمار المذهب

قُلْ لِمَنْ يَخْسَبُ الثِّيَابَ عَلَى الْمَرْءِ تُعَلِّي الْمَقَامَ، أَنْ يَتَأَدَّبَ
فَجَوَادٌ مِنْ غَيْرِ سَرْجٍ لَخَيْرٍ مِنْ حِمَارٍ عَلَيْهِ سَرْجٌ مُذْهَبٌ

٢٦ أذنان فرنسا

خُلِقْنَا وَالشَّقَاءُ بَنَا مُحِيطٌ وَعَشْنَا، وَالرَّجَاءُ يَعْيشُ فِينَا
تُعَلِّلُنَا الَّتِي انْتَهَكْتَ حِمَانَا بِمُخْتَلِفِ الْوُعُودِ، وَمَا تَفِينَا

هذه فرنسا

أَطَابِيخَةَ الْحَصَى! مَهْلاً فَإِنَّا لَغَيْرُ صِغَارِكِ الْمُتَضَوِّرِينَ
إشارة إلى قصة عمر بن الخطاب وقد رأى امرأة تطبخ الحصى لكي تلعل أطفالها المتضورين جوعاً

وَأَلْبَسَكَ انْتِصَارُكَ ثَوْبَ عَارٍ سَحَبْتَ ذِيولَهُ فِي مَيْسَلُونَا

في ميسلون تصدى الغرب للفرنسيين المحتلين عام ١٩٢٠

عَرَفْتُ دِمَشْقَ يَوْمَ عَرَفْتُ نَفْسِي فَتَى يَسْتَرْخِصُ الْأَدَبَ الثَّمِينَا

يسترخص الأدب: يذل في سبيله كل شيء ولا يراه غالي الثمن

كَأَنَّ شَبَابَهَا أَسَدٌ غَضَابٌ وَلَكِنْ، لَا نُيُوبَ لِنَسْتَعِينَا

كَأَنَّ الْحَقَّ أَسْكَرَهُمْ، فَثَارُوا وَسَارُوا بِالْعِصِيِّ يُقَاتِلُونَا

رَأَوْا فِي مَيْسَلُونَ الْمَوْتَ مَجْدًا فَمَاتُوا، دَوْنَهَا، مُسْتَبْسِلِينَ
وَحَرَ الْحَقُّ لَمْ يَعْرِفْ نَصِيرًا يَلُودُ بِهِ مِنَ الْمُتَمَدِّنِينَ
وَرُبَّتْ أُمَّةٌ بِالْحَقِّ حُبْلَى لِقَرْطِ الضَّعْفِ اسْقَطَتِ الْجَنِينَ
ربت: أي رب

سَلُّوا عَبْدَ الْكَرِيمِ تَرَوْا عَجِيبًا غَرِيبًا يَدَهْشُ الرَّجُلَ الْفَطِينَا
عبد الكريم الخطابي المناضل في الريف المغربي
يَصُولُ عَلَى الْفِيَالِقِ فِي مَلِيلَا فَيَضْطَرُّ الْوَرَى فِي بَرْسَلُونَا
يحارب الإسبان في مليلية، فتتهز برشلونة بإسبانيا

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ لِبْنَانَ عَنِّي كَلَامًا صَادِقًا حُرًّا رَصِينَا
يَعِيبُكَ أَنَّ بَعْضَ بَنِيكَ ضَمَّ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَلَا يَعُونَا
فُصِّلَتْ مِنَ الشَّامِ، وَأَنْتَ مِنْهَا وَلَوْلَاهُمْ لَدُمْتَ لَهَا خَدِينَا
خدين: رفيق

وَلَيْسَ سِوَى التَّعَصُّبِ مِنْ حُدُودِ فَلَا حَيًّا الْحَيَا الْمُتَعَصِّبِينَ
التعصب وحده يصنع الحدود بين لبنان وسورية، فلا حيا الحيا (المطر) المتعصبين
وَيُخْجِلُنِي وَقَوْفُكَ يَوْمَ رِيْعَتْ أَوَانِسُهَا وَقَوْفُ الشَّامِيِّينَا
ريعت: أخيفت. فقد قصفت فرنسا دمشق بالمدافع عام ١٩٢٥
أَلَمْ يَجْمَعْ غُلَاةُ بَنِيكَ مَالًا ثُمَّ دَبَّ بِهِ عِيَالُ الْمُعْتَدِينَ
غلاة بنيك: المتطرفون من أثناك

أَلَمْ يَشْرُوا لِغَازِيِ الشَّامِ سَيْفًا فَوَاخْجَلِي بِمَنْ لَا يَخْجَلُونَا
وَمَا هُمْ، حَسْبَمَا يَخْكُونَ، مِنْهَا وَلَا عَرَبًا، وَلَا مُسْتَعَرِبِينَ
أولئك البعض يقولون إنهم ليسوا من الشام ولا من العرب

فَإِنْ كَانُوا كَذَلِكَ، لَسْتُ أَدْرِي بِمَنْ وَيَأْيِ شَيْءٍ يَفْخَرُونَا
وَلَيْسَ لَهُمْ لِسَانٌ مُسْتَقِيلٌ وَلَا أَدَبٌ بِهِ يَتَمَيِّزُونَا
وَلَا مِنْهُمْ فَتَى التَّشْرِيعِ مُوسَى وَلَا عَيْسَى الَّذِي أَحْيَا الدَّفِينَا
وَلَا طَهَ الْكَرِيمُ، وَلَا عَلِيٌّ وَلَا عُمرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

وَلَمْ يَكْ قَطُّ فَخْرُ الدِّينِ مِنْهُمْ وَلَا الْمَتَمَرِدُونَ السَّابِقُونَ
وَأَن بَنِي شَهَابٍ كَالِ مَعْنٍ إِلَى الْعَرَبِ الْأَمَاجِدِ يَنْتَمُونَ
الأسرة الشهابية والأسرة المعنية اللتان حكمتا في جبل لبنان تتسبان إلى العرب

وَهَبْ أَبْنَاءَكَ الْغَاوِينَ صَاغُوا مِنْ الْأَوْهَامِ أَجْدَاداً غُيُونَا
عيون: وجهاء، ويشير إلى تمسك بعض بني قومه بالانتساب إلى الفينيقيين

فَفِي الدَّعْوَى لَهُمْ عَارٌ جَدِيدٌ يُضَاعِفُ عَارَهُمْ، لَوْ يَعْقِلُونَا
إِذَا نَسَلَ الْأَبِيُّ الْحُرُّ عَبْدًا أَسَانَا فِي حَلِيلَتِهِ الظُّنُونَا
حليلته: زوجته

٢٧ وردة ذات جناحين

سَلِمَى! عَجِيبٌ كُلَّمَا لُحِثَ لِي أَسْمَعُ قَلْبِي سَائِلًا عَيْنِي
فَرَأَشَةُ ذَاتُ شَذَا وَرْدَةٍ أَمْ وَرْدَةٌ ذَاتُ جَنَاحَيْنِ

٢٨ قوة التفاحة

قال إلياس فرحات (لعموسين):

إِنَّ تَفَاحَةً حَوَاءَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ جَنَاهَا
جناها: قطفها

أَوْدَعَ اللَّهُ بِهَا مِنْ لُظْفِهِ قُوَّةً لَا يُدْرِكُ الْفَكْرُ مَدَاهَا
لَمْ تَكُنْ أُمُّ الْوَرَى أَيْمَةً عِنْدَمَا خَالَفَتِ الرَّبَّ الْإِلَهَا
قَدْ رَأَتْ تَفَاحَةً تَدْعُو، فَلَمْ يَكْفِهَا، مِمَّا اعْتَرَاهَا، أَنْ تَرَاهَا
إِنَّمَا الظَّمَانُ يَزْدَادُ ظَمًا حِينَمَا تُبْصِرُ عَيْنَاهُ الْمِيَاهَا
جَنَّةُ الْحَبِّ أَبْيَحَتْ لَكُمَا فَاتَرُكَا الدُّنْيَا وَسِيرَا فِي رُبَاهَا
وَاقْطِفَا تَفَاحَةَ الْحَبِّ، فَلَا طَعَمَ لِلْعَيْشِ إِذَا لَمْ تَقْطِفَاهَا

٢٩ لبنان بنبت فيه الأرز والجزر

مَاذَا تَحَاوَلُ مِنِّي أَيُّهَا النَّفَرُ؟ وَالْأَرْضُ تَعْلَمُ أَنِّي الشَّاعِرُ الْخَطِرُ
الخطر: يقصد الخطير أي المهم

يَا نَافِخَ الْقَمَرِ الزَاهِي، لِيُطْفِئَهُ تَفَنَّى قُؤَاكُ، وَمَا يَدْرِي بِكَ الْقَمَرُ
قَوْمٌ! لَقَدْ أَنْكَرُوا جَهْلًا أَرْوَمَتَهُمْ مُسْتَمْسِكِينَ بِقَوْمٍ مَا لَهُمْ أَنْزُرُ

أرومة: أصل، بعض بني قومه أنكروا العروبة وتمسكوا بالهوية الفينيقية

لَوْلَا التَّعَصُّبُ كَانُوا كُلُّهُمْ عَرَبًا فَلْتَهْنَأِ الْعُرْبُ لَمْ يَغْلُثْ بِهَا الْوَضَرُ
الوضر: الوسخ

مَا كُلُّ مَنْ حَمَلَتْ أَرْضٌ ذَوِي رَحِمٍ لُبْنَانُ يَنْبُتُ فِيهِ الْأَرُزُّ وَالْجَزَرُ
لَسْنَا نَصَدِّقُ دَعْوَى لَيْسَ يُثْبِتُهَا صِدْقُ الْفِعَالِ وَلَوْ جَاءَتْ بِهَا السُّورُ

٣٠ العقل والنقل

أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ مُنِحْتُمْ عَقُولًا لَيْسَ تَرْضَى بِمَا سِوَى الْبُرْهَانِ
حَكِّمُوهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَخَافٍ فَهِيَ فَوْقَ الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
عَزَّوْا الْحَبَّ فِي الْبِلَادِ إِذَا شُدَّ ثُمَّ تَرَوْهَا تَعِرُّ بِالْعُمُرَانِ
كَافِرٌ يَعْشَقُ الْمَكَارِمَ خَيْرٌ مِنْ لَسِيمٍ يَفْغُوصُ فِي الْإِيمَانِ

التسويد لعمران القفيني

٣١ السر عند القتيل

قال فرحات يرثي رشيد معلوف وقد قتل في ظروف غامضة بالبرازيل:

يَا أَخِي، يَا رَشِيدُ! لَيْتَكَ تَدْرِي كَيْفَ دَقَّتْ مَطَارِقُ الْبَيْتِ ظَهْرِي
كُلُّنَا لِلرَّدَى، وَقَدْ سَبَقَ الْيَوْمُ مَ إِلَيْهِ السَّبَّاقُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
وَيْحَ عَيْنِي! وَقَدْ رَأَيْتُكَ مُسَجَّى كَمْ بَكَتْ مِنْ شَمَائِلٍ فِيكَ غُرٌّ

الشمائل الغر: الخصال الناصعة

وَكَأَنِّي طُلِعْتُ بَيْنَ ضُلُوعِي طَعْنَةً قَوَّضَتْ دَعَائِمَ عُمْرِي
يَا قَتِيلًا مَضَى، وَخَلَّفَ سِرًّا خَلْفَ سِرٍّ، عَلَيْهِمَا أَلْفُ سِتْرِ
حَبَّذَا لَوْ شَفَيْتَ حَرَّ عَلِيلِي بِجَوَابٍ فِيهِ صِرَاحَةٌ حُرٌّ
كَيْفَ أُرْدِيتَ؟ هَلْ بَعْدَلٍ كَمَا بَزَ عُمُ مُرْدِيكَ بِأَسْمَاءَ عَنْ مَكْرٍ
أَمْ قَضَى اللَّهُ أَنْ تَمُوتَ بَرِيئًا وَيَفُوزَ الْجَانِي بِأَكْذَبِ عُذْرِ

أشهيدُ الإقدامِ أنت؟ فقدمَا قد عرفناكَ بِالمنيةِ تُزري
أم شهيدُ الهوى؟ ولستُ أبا لي أن يقولوا هذا الهوى غيرُ عُذري
أنت عندي في الحاليتين بريء وليقل ما يشاء صاحبُ هذري

٣٢ الضمير الحي

توالتْ هُمومُ الحياةِ عليَّ ولولا ضميري لَعِشْتُ خَلِيًّا

* * *

وسابقتُ في الشعرِ فرسانه فقصَّرتُ عن فارسٍ مُفْلِحٍ
فقلتُ: أَعْرِقْهُ مِيدَانَهُ، فقالَ ضميري: أَلَا تَسْتَحِ؟

* * *

فعدلتُ حُبَّ التَّفَوُّقِ فَيًّا ولولا ضميري تَرَكْتُ دَوِيًّا
شَكَوْتُ ضميري شَكْوَى الْجَهْلُونِ ونَحْتُ على الحِطِّ نَوْحَ الْغُرَابِ
فَأَسْمَعَنِي اللَّهُ صَوْتًا يَقُوقُن: أَتَشْكُو ضَمِيرَكَ يَا ابْنَ الثُّرَابِ

* * *

ولولا ضميرُكَ ما كنتَ شَيًّا ولو كنتَ مِنْ نَيِّرَاتِ الثُّرَيَّا

٣٣ ظالمون وجبناء

أَلَفَ الظَّالِمُونَ فِي الشَّامِ لِلظُّلْمِ مِ كِتَاباً مُقَسِّمًا أَبْوَابِ

الظالمون هم الذين أيدوا فرنسا في احتلالها سورية ولبنان

يَحْسَبُونَ الْأَشْجَارَ مِنْ شِدَّةِ الذُّغْدِ بِ دُرُوزًا، وَظَلَّلَهَا أَغْرَابِ

ثار الدروز على الفرنسيين ثورة مشهورة في عام ١٩٢٥

يَسْأَلُونَ النَّجَاةَ مِنْ سَيْفِ سُلْطَا نَ، وَهِيَهَاتَ سُؤْلُهُمْ أَنْ يُجَابَا

سلطان الأتروش زعيم الثورة الدرزية

٣٤ لولا الجذر ما رفع الغصن رأسه

قال فرحات يرد على فوزي المعلوف الذي أنشد في النادي الفينيقي في الربو دي
جانيرو قصيدة مطلعها: خَلَّ البداةَ رَمَحَهَا وَحَسَامَهَا/والجاهلية نوقها وخيامها:

حَيَّيْ البداةَ: نوقها وخيامها والجاهلية: رَمَحَهَا وَحَسَامَهَا

حَيْثُكَ أَشْبَاحُ الْقَدِيمِ، وَسَلَّمَتْ
أَأْرَاكَ تَنْسَى جَاهِلِيَّةً تَذْمُرُ
وَأَأْرَاكَ تَحْقِرُ بَعْلَبِكَ، وَقَدْ نَبَتْ
فَمِنْ الْعَدَالَةِ أَنْ تَرُدَّ سَلَامَهَا
وَأَأْرَاكَ تَنْسَى جِلْقًا: إِسْلَامَهَا
عنها العصورُ، وحاذرتُ أصنامها
نبت (ابتعدت) عنها مصائب الزمن، ولم تستطع أن تزيل تماثيلها

أَتَرُدُّ مِصْرَ غَوْلَهَا عَنْ نِيلِهَا
لَيْسَ افْتِتَانُكَ بِالْفِتَاةِ نَقِصَةً
لَوْلَا الْجَذُورُ الْمُطْمِئِنَّةُ فِي الثَّرَى
لَوْ سَايَرْتِكَ فَهَدَمْتَ أَهْرَامَهَا
مَا دَمَتْ تَعْرِفُ لِلْعَجُوزِ مَقَامَهَا
مَا كَانَتْ الْأَغْصَانُ تَرْفَعُ هَامَهَا

هامها: رؤوسها

هَذَا بِلَادُكَ مَسْرُوحٌ لِخَوَادِثِ
إِنْ تُلَوْ هَامَتُهَا فَقَدْ غَسَلَتْ، بِمَا
أَرْضٌ تُوحِّدُهَا الْعَرُوبَةُ، فَلْيَصِلْ
جَهَلْتُ نُبُوءَاتِ الْكِتَابِ خَتَامَهَا
سَفَكْتُهُ مِنْ مُهْجِ الْعِدَى، أَقْدَامَهَا
لِبَنَانِهَا حُورَانِهَا وَشَامَهَا
إِلَّا وَقَدْ نَحَرَ الْفَسَادُ عِظَامَهَا

التخوم: الحدود. يقول: لا يجوز أن تُرسم الحدود على أسس دينية

٣٥ حياة مشقات

أَرَاقُبُ فِي الظُّلُمَاءِ مَا اللَّيْلُ يَحْجُبُ
وَأُسْتَعْرِضُ الْأَيَّامَ، يَوْمِي الَّذِي مَضَى
فَلَا تَسْأَلُوا عَنِّي، وَحَظِّي، فَإِنَّا
طَوَى الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِي ثَلَاثِينَ حِجَّةً
أُغْرِبُ خَلْفَ الرُّزْقِ، وَهُوَ مُشْرِقُ
وَأُنْفِرُ مِنْ وَادٍ لَطَوْدٍ، كَأَنِّي،
وَأَقْرَأُ فِي الْأَسْحَارِ مَا اللَّهُ يَكْتُبُ
دَلِيلٌ عَلَى يَوْمِي الَّذِي أَتَرَقَّبُ
لَأَمْثَالِ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَضْرِبُ
طَوَيْتُ بِهَا الْأَصْقَاعَ أَسْمَى وَأَذَابُ
وَأُقْسِمُ لَوْ شَرَّقْتُ، كَانَ يُغْرِبُ
وَقَدْ بَوَّقَ الدَّاعُونَ لِلصِّيدِ، رَبْرَبُ

طود: جبل، بوق: نفخ بالبق، الربرب: سرب الغزلان

لَيْسَ غَرَدَتْ لِلشَّاعِرِينَ بِلَابِلُ
وَإِنْ كَانَ عِلْمًا ثَابِتًا قَوْلُ بَعْضِهِمْ:
لِكُلِّ امْرِئٍ نَجْمٌ، فَنَجْمِي الْمَذْنَبُ
فَإِنَّ غَرَابَ الشُّؤْمِ حَوْلِي يَنْعَبُ

المذنب: مذنب هالي، وظهوره مشووم

وَمَرْكَبَةٍ لِلنَّقْلِ رَاحَتْ يَجْرُهَا
حِصَانَانِ: مَحْمَرٌ هَزِيلٌ، وَأَشْهَبُ

جَلَسْتُ إِلَى حُودِيَّتِهَا، وَوَرَاءَنَا صَنَادِيقُ فِيهَا مَا يَسْرُ وَيُعْجِبُ

الحوفي: سائق العربة

حَوَتْ سِلْعاً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ، يَبِيئُهَا فَتَى مَا اسْتَحَلَّ الْبَيْعَ لَوْلَا التَّغْرُبُ

البيع عازٌّ في أخلاقيات الإقطاع والبدَاوة، والعرب تفتخر بالنهب والغزو، وتأنف من الجرف ومن التجارة. على أن شعراء المهجر كرهوا البيع وهجوه هجاء مُرّاً، لأن رفاقهم التجار أغنياء، وهم قليلو الحيلة في التجارة يحاولونها وقلما يصيرون نجاحاً

وَرَا حَتْ كَأَنَّ الْبَرَّ بَحْرٌ، نِجَادُهُ وَأَغْوَارُهُ أُمُوجُهُ، وَهِيَ مَرْكَبٌ

كَأَنَّ نِجَادَ (هضاب) البر وأغواره (منخفضاته) أمواج بحر، وكأنما المركبة البرية، في سيرها هذا، مركب بحري

تَبِينُ وَتَخْفَى فِي الرُّبَى وَحِيَالِهَا فَيَحْسَبُهَا الرَّأُؤُنَ تَطْفُو وَتَرَسُبُ

حبالها: بقربها

وَتَدْخُلُ قَلْبَ الْغَابِ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ فَنَحْسَبُ أَنَّ اللَّيْلَ لِلَّيْلِ مُعْقِبٌ

تدخل المركبة قلب الغابة فجراً، فكان الليل استمر؛ فظلام الغابة معقب (تالي) ليل الحقيقى

تَمُرُّ عَلَى صُومِ الصِّفَا عَجَلَاتُهَا فَتَسْمَعُ قَلْبَ الصَّخْرِ يَشْكُو وَيَصْخَبُ

الصفا: الصخر

وَتَرْقُصُ فَوْقَ النَّائِثَاتِ مِنَ الْحَصَى فَنُوشِكُ، مِنْ تِلْكَ الْخَلَاعَةِ، نُقْلَبُ

نَبِيْتُ بِأَكْوَاخِ خَلَتْ مِنْ أَنْاسِهَا وَقَامَ عَلَيْهَا الْبُومُ يَبْكِي وَيَنْدُبُ

مُفَكِّكَةٌ جَدْرَانُهَا وَسَقُوفُهَا يُطَلُّ عَلَيْنَا النُّجُومُ مِنْهَا، وَيَغْرُبُ

عَلَيْهَا نَقُوشٌ لَمْ تُحْطَطْ بِرِيشَةٍ نَظُنُّ صِبَاغاً لَوْنَهَا، وَهُوَ طُحْلُبُ

يُعْنِي لَنَا فِيهَا الْهَوَاءُ كَأَنَّهُ يُنَوِّمُنَا، وَالْبَرْدُ لِلنُّومِ مُذْهِبُ

فُنُوسِي، وفي أجفاننا الشوق للكرى ونُضْحِي، وجرمُ الشَّهْدِ فِيهِنَّ يُلْهِي

وَمَا كُلُّنَا مِمَّا نَصِيدُ، وَطَالَمَا طَوَيْنَا، لِأَنَّ الصَّيْدَ عَنَّا مُغَيَّبُ

طوينا: نمنا جِيعاً

وَتَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُ الْخَيْلُ تَارَةً وَطَوْرًا تَعَاثُ الْخَيْلُ مَا نَحْنُ نَشْرَبُ

حَيَاةُ مَشَقَّاتٍ، وَلَكِنْ لِبُعْدِهَا عَنِ الذِّلِّ تَصْفُو لِلْأَيْمِي، وَتَعْذُبُ

وَقَدْ نَلْتَقِي بَعْضَ الْجَمِيلَاتِ صَدَفَةً فَيُظْهِرُنَا، وَالْمُبْدِعُ الْغَيْدَ مُظْهِرُ

وكلُّ مكانٍ فيه للحُسنِ مَرْتَعٌ ولِلطَّرْفِ مَلهى فيه للحبِّ مَلْعَبٌ
الطرف: البصر

وما تلتقي عينا فتاة حَيِّيةً وعينا فتى، إلا لِكُوبيد مَأْرَبٌ
كوبيد: كوييد إله الغرام عند الرومان، وهو ابن فينوس لمن يعنيه النسب

وهل أنا إلا شاعِرٌ لأنَّ قلبه فليس له مِنْ صَوْلَةِ الحسَنِ مَهْرَبٌ
صولة: هجمة

نَفَنِّي مِنَ المُنْدِنِ العَواصِمِ عَزَّتِي فَرَحْتُ بِأَطْرَافِ الوِلايَاتِ أَضْرِبُ
أعاشِرُ مَنْ لو عاشِرَ القردُ بعضَهُمْ لما رَدَّ عَنْ دَرَوِيْنِ قَبْرِ مُقَبَّبُ
أعاشر قوماً غادرين، لو أن القرد عاشرهم للذهب ينش قبر داروين، الذي زعم أن أصل الإنسان قرد، غضباً لأمة القروء. ولَمَّا كان ثناءه عن القبر كونه مقبياً (محماً بقية)

وَأُنْصِتْ مُضْطَرّاً إِلَى كُلِّ أَهْلِهِ كَأَنِّي بِأَسْرَارِ البَلاهِةِ مَعَجَبٌ
وأكرهُ أَشْيَاءَ رَفِيقِي يَحِبُّهَا وَأَرْغَبُ فِي أَشْيَاءَ عَنْهُمْ يَرْغَبُ
وَأَرْهَبُ قِطَاعَ الطَّرِيقِ، وَرَبِّمَا تَعَمَّدْتُ إِظْهَارَ السِّلاحِ لِيَرْهَبُوا
فَعِزُّ الفَتَى الطَّاوِيِ القِيَّافِي مُسَدَّسٌ كَمَا أَنَّ عِزَّ اللَّيْثِ نَابٌ وَمُخْلَبٌ
وما صِيْنَ حَقٌّ لَا سِلاحَ لِرَبِّهِ وَأَضْعَفُ أَنْوَاعِ السِّلاحِ التَّأْدُّبُ
ولولا نِيبُ الأَسَدِ كَانَتْ ذَلِيلَةً تُسَاطُ، وَتَغْنُو لِلشَّكِيمِ، وَتُرَكَّبُ
تساط: تضرب بالسوط، تغنو: تخضع، الشكيم: الحديدية في فم الحصان

وَكَمْ ظالِمٍ يَسْتَعْبِدُ النَّاسَ عَنوَةً وَحُجَّتُهُ الكِبَرى الحِسامُ المُشْطَبُ
المشطب: المحرز بخطوط طولية، وكانوا يستجيدونه

أَقُولُ لِنَفْسِي كُلِّما عَضَّها الأَذَى فَالَمَها: صَبِراً! ففِي الصَّبْرِ مَكْسَبٌ
لِئِنْ كانَ صَعْباً حَمَلُكَ الهَمَّ والأَذَى فَحَمَلُكَ مِنَ النَّاسِ لَا شَكَّ أَصْعَبُ
فَلَوْلَا إِباءُ ما رَجَّحَ الطَّبَعُ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِي مَجِيءٌ فِي البَراري وَمَذْهَبٌ
ولولا رَجائِي أَنْ تَظَلِّي بَعيدَةً عَنِ الظُّلَمِ لَمْ يُوطَأَ بِرِجْلَيَّ سَبَسَبُ
سبَسب: صحراء

فَلَا تَعْذُلِي صَحْباً دَرَوْا بِي، وما عُنُوا بِأَمْرِي، فَهُمْ مِنِّي إِلَى الفَقْرِ أَقْرَبُ
وَلَا تَأْمُلِي مِنْ غَيْرِ صَحْبِي مَعونَةً فَمَا تُخَصِّبُ الكَفَّانِ وَالقَلْبُ مُجْدِبُ

وَلَا تَرْتَجِي الْإِخْلَاصَ مِنْ كُلِّ بَاسِمٍ فِي الْبَاسِمِينَ الْمُبْغِضُ الْمُتَحَبِّبُ
 وَلَوْ كَانَ كُلُّ الْمُظْهِرِينَ لِي الْوَفَا وَفِيَّيْنِ، لَمْ يُعْجِزْكَ يَا نَفْسُ مَطْلَبُ
 عَتَبْتُ عَلَى نَاسٍ أَضَاعُوا مَوَدَّتِي وَكُلُّ كَرِيمٍ خَانَهُ الصَّحْبُ يَعْتَبُ
 فَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي هَجَوْتُ حَبِيبَهُمْ وَأَنِّي سَاهَجُو غَيْرَهُ حِينَ أَخْطُبُ
 وَلَسْتُ بِهِجَاءٍ، وَلَكِنَّهُ الْهَوَى إِذَا قَادَ نَفْسَ الْمَرْءِ، فَالْتَوَرَّ غِيْهَبُ
 أَنَا مَنْ يَرَى أَنَّ الرِّيَاءَ مَعْرَةٌ وَأَنَّ خَبِيثَ الْقَوْلِ فِي الصَّدَقِ طَيْبُ
 وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ أَعَافٍ وَأَسْتَحْلِي وَأَرْضَى وَأَغْضِبُ
 فَأَيُّ هِجَاءٍ فِي مَقَالِي لِعَقْرَبٍ لَهَا وَلَعَّ بِالْشَّرِّ إِنَّكَ عَقْرَبُ
 أَذْنَبْتُ إِذَا سَمَى الْفَتَى الشَّيْءَ بِاسْمِهِ إِذَنْ رَيْكَ الْمُوَحِي لِأَدَمَ مُذْنِبُ
 إشارة إلى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]

فَيَا نَفْسُ إِلَّا أَنْتِ مَا لَكَ؛ وَاعْلَمِي بِأَنَّ كُلَّ بَرْقٍ، غَيْرَ بَرْقِكَ، خُلْبُ
 خُلْبُ: كاذب، لا يأتي بمطر

تَعِيبْتُ إِذَا اسْتَنْظَرْتُ خَيْرًا مِنَ الْوَرَى وَمُسْتَظْفَرُ السَّلَوَى مِنَ الصَّابِ يَتَعَبُ
 السَّلَوَى: طعام حلو، الصاب: شجر عصارته مُرَّة

٣٦ مدح المدح

لَا تَعْذُلَنَّ عَلَى الْمَدَائِحِ إِنْ تَكُنْ تَجْنِي ثِمَارَ الْخَيْرِ مِنْ كَلِمَاتِهَا
 إِنَّ الْمَدِيحَ عَلَى الْفَضَائِلِ مُكْثِرٌ مِنْهَا، مُقِلٌّ مِنْ عَدِيدِ عُذَاتِهَا
 مدح الفضائل يكثرها، ويقلل من أعدائها العديدين

وَإِذَا الْكَرِيمَ مَدَحْتَهُ بِقَصِيدَةٍ قَرَأَ اللَّئِيمُ الذَّمَّ فِي أَبْيَانِهَا
 فَامْدَحْ كِرَامَ النَّاسِ مَغْتَبِطاً، وَدَعْ زُمَرَ اللَّئَامِ تَمُوتُ فِي حَسَرَاتِهَا

٣٧ ميسلون المنارة

قُولُوا لِعُفُورُوا، كُلَّمَا لَمَعَتْ أَزْزَارُهُ فَاخْتَالَ وَابْتَسَمَا:
 الأزرار المذهبة لبزته العسكرية تلمع

إِنَّ الَّذِينَ ذَبَحْتَهُمْ تَرَكُوا ذِكْرًا يُجَدِّدُ كُلَّمَا قَدَمَا

مَجْدُ الشَّامِ بِمَيْسَلُونَ عَدَا غَرَسَا سَقَوُهُ دِمَاءُهُمْ فَنَمَا
وَلَسَوْفَ تُبْصِرُ فِي الْقَرِيبِ لَهُ ظِلًّا يَعْصُمُ الْعُرْبَ وَالْعَجَمَا

كانت لبطل ميسلون يوسف العظمة بصيرة، وكان مقداماً، ومستعداً للتضحية. أصر على أن يخرج للقاء الفرنسيين المدججين بدباباتهم، وهو في عسكر ضعيف. وكانت حجته بيت المتنبي: لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى/ حتى يراق على جوانبه الدم، قيل إنه تمثل بهذا البيت عند الملك فيصل المتردد في شأن مواجهة الفرنسيين. وأثنى الفرنسيون في جند العظمة في ميسلون، واستشهد. ولكن فكرة العروبة رسخت في أرض الشام رسوخاً، وغدت العروبة ديناً لأهل الشام، يعبر عنه الشعراء والمسرحيون والسياسيون، ولا يجروأ أحد على مخالفته. كان لوقفه يوسف العظمة أثر كبير في اعتزاز الناس بعروبتهم وبأصلهم وباستقلال بلدهم، وبرفض المحتل

٣٨ من أخمص البحر حتى مفرق الجبل

دَارَ الْعُرُوبَةِ، دَارَ الْحُبِّ وَالْغَزْلِ ! هَاجَرْتُ مِنْكَ، وَقَلْبِي فِيكَ لَمْ يَزَلْ
لَا تَخْذَعَنَّكَ أَصْوَاتُ يُكَبِّرُهَا بُوقُ الْغَرِيبِ لِيَغْدِرَ بِالْوَفَاءِ طُلِي
بوق الغريب: العرب الذين يروجون أفكار المحتل الفرنسي في لبنان وسورية

إِنَّ الْعُرُوبَةَ فِي لُبْنَانَ سَائِدَةٌ مِنْ أَخْمَصِ الْبَحْرِ حَتَّى مَفْرَقِ الْجَبَلِ
فَلْيَنْظُرِ النَّاسُ: هَلْ مِنْ أُمَّةٍ فَعَلَتْ لِلْمَجْدِ فِعْلَ رُعَاةِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ
فِي بَضْعَةٍ مِنْ عُقُودٍ غَيْرِ بِالْعَةِ قَرْنًا تَتَوَجَّعَتِ الْعَبْرَاءُ بِالْعُقْلِ
الغبراء: الأرض، العقل: جمع عقال وهو هالة الكوفية، ففي أقل من قرن حكم العرب المسلمون بلاداً شاسعة

سَلْ عَنْ مَعَارِفِهِمْ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ أَمَا عَنِ الْأَدَبِ السَّامِيِّ، فَلَا تَسَلِ
هُمْ صَاحِبُوهُ، وَهُمْ أَرْبَابُ دَوْلَتِهِ فِي الْعَصْرِ هَذَا، وَمَا وَلَّى، وَسَوْفَ يَلِي
إِرْتُ، لَعَمْرُكَ مَا كِدْنَا نَعِزُّ بِهِ حَتَّى أَضْعَفْنَاهُ بِالْإِهْمَالِ وَالْكَسَلِ

٣٩ الحاكم والعمامة

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَدْعِمِ الْعِلْمَ مُلْكُهُ فَلَيْسَ بِمُعْنٍ عَنْهُ أَنْ يَتَعَمَّمَا
تَوَهَّمْ أَنَّ الدِّينَ إِسْرَافُ لِحْيَةٍ فَأَضْحَكَ رَبَّ الدِّينِ مِمَّا تَوَهَّمَا
هَيْنِئًا لِشُعْبٍ نَاهِضٍ أَغْضَبَ اللَّحَى عَلَى أَنَّهُ أَرْضَى النَّبِيَّ الْمَعْظَمَا
وَأَشْفَقَ أَنْ يَقْتَادَهُ مُتَعَصِّبٌ يُعَوِّجُ مِنْ أَخْلَاقِهِ مَا تَقَوَّمَا

إذا الدينُ ماشى العلمُ كان قِلَادَةً فإن عاقه عن سيره كان أذمًا

الأدهم: القيد

إذا الشيخُ والقسيسُ لم يُكرِما الحجا وأحكامه فليبرأ الدينُ منهما

الحجا: العقل

إذا أنت أدبْتَ الفرائضَ كلها ولم تحوِ حُسنَ الخُلُقِ، لم تك مُسلِمًا

سلامٌ على الإسلامِ أيامَ مجده طويلٌ عريضٌ يَغُمُرُ الأرضَ والسَّما

نغارُ على الإسلامِ حتَّى كأننا بنوهُ، ونأبى أن نراه مُهشِّمًا

وهل هشم الإسلامَ إلَّا شيوخُه وهل غيرُهُم يبغي له الجهلَ مرهَمًا

وهل غيرُ خُدامِ الدياناتِ زمرةً ترى في خسارِ الشَّعبِ كسبًا ومغنمًا

وسدُّوا طريقَ الفكرِ عن كلِّ مؤمنٍ وألقوا نسيجًا فوق عينيه أفتَمًا

يَخَافُ إذا مرَّ النعاسُ بِجفنيه بِغَيرِ رضاهم أن ينامَ قِيَانَمًا

ويخشى إذا لم يُرضِهِمْ شُكْلُ ثوبِهِ ولونُ جذائِهِ عَذَابَ جَهَنَّمَا

يبالغ رجال الدين في التدخل في يوميات المؤمن، ويبالغ المؤمن في طلب فتاواهم في كل ما يعرض له من شؤون حياته

وَمِنْ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ أَنْ نَفَوْذَهُمْ يَعُمُّ عَدِيمَ الْعِلْمِ وَالْمُتَعَلِّمًا

وَأَكْبَرُ مِنْ كُبْرَى الْبَلِيَّاتِ حَاكِمٌ إِذَا هَلَ شَهْرُ الصُّومِ صَامٌ وَصُومًا

فَلَمْ يُبْقِ فِي كُلِّ الْمَدِينَةِ حَائَةً وَلَمْ يُبْقِ فِي كُلِّ الْمَدِينَةِ مَطْعَمًا

تَعَرَّبَ تَجَدُّ فِي الْغَرْبِ فِي كُلِّ مُحْفِلٍ أَوَانِسَ يَفْضَحْنَ الْجَمَانَ الْمُنْظَمًا

الجمان المنظم: اللؤلؤ المنظوم عقدًا

وَإِنْ يَكُ بَيْنَ السَّافِرَاتِ فَوَاجِرٌ فَفِيهِنَّ مَنْ يَحْكِيَنَّ بِالظُّهْرِ مَرْيَمًا

يحكين: يشبهن

وَلَيْسَ حِجَابُ الْوَجْهِ إِلَّا سَخَافَةٌ تَعَلَّمَهَا الْإِنْسَانُ، فِيمَا تَعَلَّمَا

سَرَتْ سَرَيَانَ الدَّاءِ، وَالدَّاءُ مُعْضِلٌ إِذَا لَمْ يُعَاجَلْ بِالدَّوَاءِ تَحَكَّمَا

فَذَنْبُ (أَمَانِ اللَّهِ) لَا فِي اقْتِلَاعِهَا وَلَكِنَّهُ فِي طِيْشِهِ حِينَ أَقْدَمَا

أمان الله ملك الأفغان، سقط عن عرشه (في ١٩٢٩) لسياساته المتحررة في مسائل المرأة

والمجتمع والدين

تَعَجَّلَ أَمْرًا شَاءَهُ، غَيْرَ آيِهِ لِعَادَاتِ شَعْبٍ بَعْضُهَا خَالَطَ الدِّمَا
وَمَنْ سَدَّ مَجْرَى النِّهْرِ يَوْمًا، وَلَمْ يَكُنْ أَهْدَلْ لَهُ مَجْرَى جَدِيدًا، تَنْدَمَا
وَكُلُّ بِنَاءٍ لَمْ يُؤَسَّسْهُ رَبُّهُ عَلَى صَخْرَةِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ تَهْدَمَا

رَبِّهِ : صَاحِبِهِ

٤٠ تَابِينَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ

قال فرحات في حفل أقيم، لتأبين الحسين بن علي شريف مكة، في ساو باولو ١٩٣١ :

أُمَّةُ الْعُرَبِ، أُمَّةُ الْقُدْسِ تَبْغِي نَوْرَ وَجْهِ الْحُسَيْنِ قَبْلَ غِيَابِهِ
فَالْتَقَتْ عِنْدَ نَعِيشِهِ، وَهِيَ كَانَتْ فِي الْمُلِمَّاتِ تَلْتَقِي عِنْدَ بَابِهِ

المليمات : المصائب

ذَلِكَ التَّاجُ كَانَ قِشْرَةَ مَجْدٍ لَا تُرِيدُ الْأَحْرَارُ غَيْرَ لُبَابِهِ

ذلك التاج كان مجرد رمز، والأحرار يريدون لبابه (جوهره)

إِنَّمَا يَغْضَبُ الْوَفِيُّ لِعَدْرِ قَدْ تَوَالَى عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ
عَاهِدُوهُ، وَلَمْ يَفُؤُوا وَهُوَ مِمَّنْ نَزَّ الْعَهْدَ جَدُّهُمْ فِي كِتَابِهِ

الإنجليز عاهدوا الحسين على تأسيس دولة عربية يملكها، وهو رجل كان جده (الرسول) قد نزه العهد (جعله منزهاً عن النكث) في كتابه (القرآن)

٤١ يَا رَسُولَ اللَّهِ

قال فرحات في عيد المولد النبوي :

بَيْنَمَا الْكَوْنُ ظِلَامٌ دَامِسٌ فُتِحَتْ فِي مَكَّةَ لِلنُّورِ كُوَّةُ
إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلْعُرْبِ عُلَى إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ أُخُوَّةُ
فَاذْرُسِ الْإِسْلَامَ يَا جَاهِلَهُ تَلَقَّ بَطْشَ اللَّهِ فِيهِ وَخُنُوَّةُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّا أُمَّةُ رَجَّهَا التَّضْلِيلُ فِي أَعْمَقِ هُوَّةُ
ذَلِكَ الْجَهْلُ الَّذِي حَارَبْتَهُ لَمْ يَزَلْ يُظْهِرُ لِلشَّرِّ عُتُوَّةُ
قُلْ لِاتِّبَاعِكَ : صَلُّوا وَادْرُسُوا إِنَّمَا الدِّينُ هَدًى وَالْعِلْمُ قُوَّةُ

٤٢ قل هنّ، والتزم الأدب

قُلْ: هُنَّ، والتزمِ الأدبَ وابْعُدْ بِهِنَّ عَنِ الرَّيْبِ
وَهَبَاكَ رَبِّكَ لَا تُعَدُّ- وَهُنَّ أَحْسَنُ مَا وَهَبَ
لِلْغَيْدِ مَا احْتَمَلَ الرَّجَا لُ مِنْ الْمَتَاعِ وَالْكَرْبِ
وَلَهُنَّ مَا كَسَبَ ابْنُ آ دَمَ بِالْحَلَالِ، وَمَا نَهَبَ
وَلَأَجْلِيهِنَّ تَسِيلُ أَنْ- هَارُ الدِّمَاءِ عَلَى الذَّهَبِ
لَوْلَمْ يَكُنَّ عَلَى الثَّرَى لَا الْفَنُّ كَانَ، وَلَا الْأَدَبُ
يَغْضِبُنَّ لِلْسَّبَبِ الطَّفِي- فِ، وَكَمْ غَضِبُنَّ بِمَا سَبَبَ
وَلَهُنَّ سُلْطَانُ الْجَمَا لِ، عَلَى الرَّضَى وَمَعَ الْغَضَبِ

٤٣ صور على الجدران

أَشَقَى النِّسَاءِ عَلَى الثَّرَى أَمْ قَضَتْ أَبَامَهَا فِي وَخْدَةِ النُّسَاكِ
أَبْنَاؤُهَا مَلَأُوا الْبُيُوتَ، وَبَيْتُهَا خَالٍ مِنَ الْحُدَاثِ وَالضُّحَاكِ
الحدّات: المتحدثون، والحدّات كلمة اخترعها المتنبي (فما يُفهمُ الحدّاتُ إلا التراجُم)، وافراً
القصيدة المقبلة ففيها رأي فرحات في اختراع المتنبي للألفاظ

سُجِرُوا بِمَزْعُومِ الْغَنَى، فَتَحَوَّلُوا صُوراً عَلَى الْجُدْرَانِ دُونَ حَرَائِكِ
تحول أبناؤها إلى مجرد صور معلقة على جدران بيتها، فقد هاجروا جميعاً ولم تبق إلا صورهم.
هذا طيب الطيب كله.. بيت بدیع

وَتَسَائِلُ الْأَقْمَارِ: أَيْنَ مَحَلُّهُمْ؟ وَمَتَى يَكُونُ مِنَ الْإِسَارِ فِكَاكي
رَكِبُوا الْخِصَمَّ إِلَى النَّضَارِ فَلَيَّتْنِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِيهِ لِلْأَسْمَاكِ
الخضم: النضار، البحر، الذهب

وَقَضَتْ مُلَوَّعَةَ الْفَوَادِ، وَعَيْنُهَا تَجْتَالُ بَيْنَ الْبَابِ وَالشُّبَّاكِ
أُمَاهُ! لَيْسَ عَلَى الْغَرِيبِ مَلَامَةٌ بَعْضُ الَّذِي يَدْهَى الْغَرِيبَ دَهَاكِ
شِبْنَا، وَغَيْرَتِ الْخَطُوبُ وَجُوهَنَا وَتَعَكَّرَ الصَّافِي، وَحَالَ الزَّاكِي
حال: تحول، الزاكي: الطيب

لَمْ يَبْقَ فِينَا مِنْ طِفُولَتِنَا سِوَى وَمَضَاتِ بَرَقٍ مِنْ شِعَاعِ هَذَاكِ

رَبَّيْتِنَا عَرَبًا، وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ أُولِغْنَ بِالْإِفْرَنْجِ وَالْأَتْرَاكِ

٤٤ سلطان الشعراء

قال فرحات، في ألفية أبي الطيب المتني ١٩٣٥ :

أَبُو الطَّيِّبِ الْكَاسِي الْمَعَانِي بَلَفَظِهِ كَمَا كَسَتِ الْغَيْدَ الشُّفُوفُ النَّوَاعِمُ
الشفوف: الملابس الرقيقة

لَهُ السُّلْطَةُ الْعَلِيَا عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ فَلَا يَدْعُ التَّجْدِيدَ فِي الشُّعْرِ نَاظِمٌ
لَقَدْ بَلَغَتْهُ السَّبَقُ فِي حَلَبَةِ النَّهْيِ جِبَادُ قَوَافٍ مَا لَهُنَّ شَكَايِمُ
أمكنته من سبق في حلبة النهى (العقل) خيول من القوافي ليس لها شكائم (حدائد فم الفرس)
مَتَى تَلَقَّ فِيهَا مَنْطِقًا غَيْرَ جَائِزٍ فَجَوَّزُهُ، وَلَتَلَقَّ اللَّهْيَبَ الْمَعَاجِمُ
منطقاً: نطقاً وكلاماً. إذا لقيت لفظة عند المتني لا يجيزها المعجم، فاعتبرها صحيحة وإلى النار
بكل المعاجم

هُوَ الْمَنْجَمُ الْمُعْيِي اللَّصُوصَ نَفَادُهُ وَكَمْ نَفِذَتْ مِنْ أَلْفِ عَامٍ مَنَاجِمُ
المعبي: المعجز، نفاذه: انتهاء مادته

يُجَدِّدُ، مَا كَرَّ الزَّمَانُ، شَبَابُهُ وَتُنْسَخُ أَقْوَالُ الْوَرَى، وَهُوَ دَائِمٌ
تُسخ: تُلغى

كَأَنَّكَ مِنْهُ فِي مَعَاوِرٍ جَنَّةٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ لِلْمَعَانِي طَلَايِمُ
الجَنَّة: الجن

مَتَى مَا تَلِجُ بَابًا بَدَا لَكَ غَيْرُهُ وَبَانَ سَرَادِيبُ، وَلَا حَتَّ مَعَالِمُ
أَنْظَمَ أَنْ تَرْقَى إِلَيْكَ بِلَاغَةً وَجَوْكَ جَوُّ تَنْقِيهِ الْقَشَاعِمُ
القشاعم: النور

وَمَا وَخَذَهُ الْجَانِي عَلَيْنَا، وَإِنَّمَا خَوَافٍ لَنَا مَنَتَوَفَةٌ، وَقَوَادِمُ
الجانبي علينا، فلا نلحق، ليس عظمة المتني فحسب، بل لأن لنا خوافي (الريش المستور داخل
الجناح) وقوادم (الريش الظاهر) متتوفة.. أي أن حصيلتنا من اللغة والتألق ضعيفة

وَهَلْ يَسْتَقِيمُ النِّظْمُ وَالنُّثْرُ لَا مَرِيٍّ يَبِيعُ وَيَشْرِي، مُرْعَمًا، وَيُسَاوِمُ
ممارسة التجارة سبب خمولنا في الشعر

٤٥ رفقا فديتك في ضمي وتقبلي

أفندي بروحي التي زارت، وما سألت عما سيحدث، من قال ومن قيل
سدّ الهوى أذنيها، وهو يدفعها إليّ عن كلّ تحرّيم وتحليل
ولهي تقول، وقد طوّفتها بيدي: رفقا، فديتُك، في ضمي وتقبلي
أزلتّ تجميل وجهي، قلت: إنّ لفي هذا الجمال غنى عن كلّ تجميل
وما اکتِحالك! والألحاظ فاتكة ترنو فترمي فتضمي دون تَكحيل؟

ترنو: تنظر، ترمي: تطلق سهامها، تضمي: تصيب

ما كان أنضَب عيشي قبل أن رتعت عيناى منك بریف الحُسن والنیل
وقد جمع المتنبي بين «الریف» و«النیل» في بيته: (من عيدي إن عشت لي ألف كافور، ولي من نذاك ريف ونيل)، فصارت الكلمتان بمثابة «تعبير» أدبي يشير إلى منتهى النعمة

إنّي لأنظّم شعراً فيك، تنقله عني الخلائق من جيل إلى جيل
حُبّيك ديني، وشعري فيك أنزله ربّ الجمال ليثلى كالأناجيل

٤٦ غريبات اللسان

بكيتُ فقال أصحابي: أتبكي؟ فقلتُ مضى الشباب، فهل أغني؟
بأيّ وسيلة أرضي الغواني وشعري عندهنّ عزيفُ جنّ
العزيف: صوت الريح، وصوت ما كانوا يتخللون أنه الجن. يقول: هنّ لا يفهمن شعره لأنهن برازيليات

غريبات اللسان، يرين شكلي وليس يرين معرفتي وفني
يرفن على أديم الأرض خمري إذا لم يرضهنّ جمال دني
تريق الحسان البرازيليات على أديم (وجه) الأرض خمري، عندما يرين دني فلا يرضيهن. يقول:
هن لا يعرفن حقيقتي بل يرين شكلي فقط

٤٧ أشهى الثمار

قلت والغيد قد مرّزَن: ألا انظر إنّ أشهى الثمار هذي النُهود
لو خلّت جنة الإله من الحو رلما مات في الجهاد شهيد

٤٨ تكافؤ الفرص

نريدُ، لِكَيْ نَمْشِيَ مَعَ النَّاسِ، دَوْلَةً
فَلَا مُؤْمِنٌ يَمْشِي عَلَى حَقِّ كَافِرٍ
وَلَا مَنْصِبٌ حِلٌّ لِأَبْنَاءِ مِلَّةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ أَبِي مَا لِإِخْوَتِي
وَمَا بِي أَطْمَاعٌ أَثَارَتْ تَأَلُّمِي
يَقِينًا لَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْهَ آدَمًا
مُؤَظَّدَةً، بِالْعَدْلِ تَنْمُو وَتَخْتَمِي
وَلَا مُسْلِمٌ يَعْلُو عَلَى غَيْرِ مُسْلِمٍ
وَمَنْ يَبْغُو مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَأْثِمُ
وَقَاسَى عَذَابَ الْمَوْتِ لَمْ أَتَرَ حَمِي
وَلَكِنَّ جِرْمَانِي مُثِيرٌ تَأَلُّمِي
لَمَّا هَزَّهْ شَوْقٌ لِأَكْلِ الْمُحَرَّمِ

٤٩ الأسطُرلاب

لَهْفِي عَلَى عَهْدِ الصُّبَا، لَمْ يَبْقَ لِي
وَعَدَا الْحَسَانُ، إِذَا جَلَسَ إِلَى الْهُوَى
هُنَّ النُّجُومُ، وَرَضْدُهُنَّ لُبَانَتِي،
مِنْهُ سَوَى أُمْنِيَّةِ الْمُتَصَابِي
بَيْنَ الْخِمَائِلِ، مَا حَسَبَنَ حِسَابِي
أَتَى اتَّجَهَنَ أَذْرَتْ أَسْطُرْلَابِي
لِبَانَتِي: بَغْيِي

٥٠ لا شكر لمأمور

رَأَيْتُ النَّحْلَ مَا يَنْفُكُ - بِالْأَزْهَارِ مُهْتَمًّا
فَمَنْ عَلَّمَهُ التَّوْفِيكَ - رَ، وَالْبَخْلَ بِمَا لَمَّا
لَمْ: جَمَعَ

وَمَنْ حَوَّلَ بَعْضَ الشُّهُدِ - فِي إِبْرَتِهِ سُمًّا
هُوَ ابْنُ الْفِطْرَةِ الْمَضْطَّرُ - أَنْ يَحْتَرِمَ الْأَمَّا
فَلَا تَمُدِّحْ إِذَا سَرَّ - وَلَا تَشْتُمْ إِذَا غَمَّا
فَمَا يَسْتَأْهِلُ الْمَأْمُورُ - رُ لَا مَذْحَا، وَلَا دَمَّا

٥١ الجود بالموجود

وَلَيْسَ فَقْرِي طِفْلاً عُمُرُهُ سَنَةٌ
لَكِنَّهُ تَوَامِي، لَمَّا نَمَوْتُ نَمَّا
وَإِنَّ رَبَّةَ بَيْتِي غَيْرُ مُذْنِبَةٍ
مَا ذَنْبُهَا، وَأَنَا عَوَّدْتُهَا الْكَرَمَا

لَا ذَنْبَ إِلَّا عَلَى كَفِّ بُلَيْثٍ بِهَا إِنَّ تَأْخُذَ النَّيْلِ تُعْطِ النَّيْلَ وَالْهَرَمَا
أَيُّ أَنْ كَفَّهُ سَخِيَّةٌ، إِنَّ نَالَتْ مِنَ الْمَالِ شَيْئاً أَعْطَتْ الْآخَرِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ

٥٢ التظاهر بالتقى

قال فرحات، يداعب صديقه الخوري جورج قصاص، وكسرت رجله:

أَكْسَرْتُهَا! وَهِيَ الَّتِي حَمَلْتُكَ مِنْ عَهْدِ الْفُطَامِ
وَتَحَمَّلْتُ، قَبْلَ احْتِلَا مِنْكَ، شَيْطَنَةَ الْغُلَامِ
وَمَشَّتْ، وَأَنْتَ فَتَى، بِطَيِّبِ شِكِّ فِي سَرَادِيْبِ الْغَرَامِ
تَقُلْتُ عَلَيْهَا جُبَّةٌ لَوْ جَلَلْتُ جَمَلاً لَنَامِ
نُشِرْتُ عَلَيْهَا لِحْيَةٌ شَمِطَاءُ تَضْحَكُ فِي الظَّلَامِ
الشمطاء: التي اختلط بياض شعرها بسواده، وعلى هذا فالعجوز الشمطاء ليست الطاعنة في السن
بل المرأة التي في سن الأربعين مثلاً، على كل حال الصبغة غيرت كل شيء

وَلَهَانَ حَمْلُ النُّكْبَتِيِّ بِنِ لَوْ أَنَّهُ مِسْكُ الْخِتَامِ
ولهان (كان يهون) حمل الحبة واللحية لو وقف الأمر عند هذا الحد

إِنَّ التَّظَاهَرَ بِالتَّقَى كَافٍ لِتَخْطِيمِ الْعِظَامِ

٥٣ جميلة والكهل

وَمَهُمَا يُحِظُّ بِي مِنْ سُرُورٍ وَغَبْطَةٍ يَظُلُّ لَهَيْبُ الْوَجْدِ لِلْقَلْبِ كَاوِيَا
فَلَوْ جِئْتُ أَبْغِي حَاجَةً عِنْدَ غَادَةٍ لَقَالَتْ لِي: ارْجِعْ حَيْثُمَا كُنْتَ ثَاوِيَا
ثاوياً: مقيماً

أَضَعْتُ لَدَى غَيْرِي شَبَاباً أَطْنُهُ، لِمَا فِيكَ مِنْ آثَارِهِ، كَانَ بَاهِيَا
وَمَا جِئْتَنِي إِلَّا بِشَيْبٍ وَصَلَعَةٍ لِيَتَأْخُذَ مَا لَمْ تُعْطِ إِذْ كُنْتَ غَانِيَا
غانياً: متحلياً بالجمال

٥٤ كل شيء حلو في أوانه

وَإِنِّي لَيُزْعِجُنِي نَاشِئٌ يُفَكِّرُ كَالْهَرَمِ الْأَدْرَدِ
الأدرد: الفاقد الأسنان

وَأُخْسِبُ أَنَّ الْحِجَا فِي الصَّبَا رِدَاءٌ كَبِيرٌ عَلَى الْمُرْتَدِي

الحجا: العقل

وَلَا بُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ ضَلَّةٍ مَتَى تَأَتَتْ فِي وَقْتِهَا تُحْمَدُ

ضلة: ضلال

٥٥ الشعر الواضح

إِنَّ شِعْرِي لَصُورَةٌ لِحَيَاتِي لَا غَمُوضٌ فِيهِ، وَلَا تَعْقِيدُ

لَا كَشْفٌ يُذِيبُ قَارِئُهُ الْمُخَّ - لِيَذْرِي مَنْ قَالَهُ مَا يُرِيدُ

إعادة تركيب كلمات البيت: لا كشعر يذيب قارئه المخ ليدري ما الذي يريده الذي قال الشعر

٥٦ لبنان والشام

مَا جَاعَ لَبْنَانٌ وَفِي سُوْرِيَّةٍ خَبْرٌ، وَلَنْ يَغْرَى وَفِيهَا مَلْبَسُ

لَبْنَانٌ فِي دِينِ الْعُرُوبَةِ مَذْهَبٌ أَمَّا الْعُرُوبَةُ فَهِيَ دِينٌ أَقْدَسُ

لَبْنَانٌ فِي عَقْدِ الْعُرُوبَةِ دُرَّةٌ فَهَوُ النَّفِيسُ لَدَيَّ، وَهِيَ الْأَنْفَسُ

أَعْلَى الدَّمَشَقِيِّينَ فِي بِيْرُوتَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا التَّغْيِيرَ، أَوْ يَتَجَنَّسُوا؟

هَذَا اخْتِرَاعُ الْآكِلِينَ إِلَهُهُمْ قَامَتْ تُؤَيِّدُهُ عَجُوزٌ مُوْمِسُ

هذه العجوز هي فرنسا المحتلة

نَفَخَتْ بِهِمْ رُوحَ الْعَدَاءِ لِيَغْرِبَ فَتَفْتِنُقُوا فِي ظُلْمِهَا، وَتَفَرَّسُوا

٥٧ نار في الرأس وإعصار

أَغَارَ الشَّيْبُ وَالصَّلَعُ عَلَيَّ، فَهَدَّنِي الْجَزَعُ

هُمَا كَالنَّارِ وَالْإِعْصَا ر: لَا تُبْقِي، وَلَا يَدْعُ

فَتُخْرِقُ كَيْفَمَا انْدَلَعَتْ، وَحَيْثُ يَهْبُ يَفْتَلِعُ

أَضَاءَ الْجِلْدُ مِذْ أَخَذَتْ دِيَا جِي الشَّعْرِ تَنْقَشِعُ

دياجي: ظلمات.. يعني الشعر الأسود

وَمَا زَالَتْ تَضِيقُ الْوَا حُ، وَالصَّخْرَاءُ تَنْسِغُ

الواح: الواحات، الصحراء: الصلعة التي تجلجل رأسه

٥٨ قلوبنا معك

قال فرحات، في وداع صديق:

يَا مَنْ يُفَارِقُنَا، وَيَأْخُذْ، فِي حَقِيبَتِهِ، الْقُلُوبَا
خُذْهَا، فَإِنَّ بَقِيَّتَ وَأَنْتَ مَضِيَّتَ نَخْشَى أَنْ تَذُوبَا

٥٩ الثَّارُ نَضَالاً

قال فرحات، في نكبة فلسطين:

قُلْ لِلْمُغِيرِ عَلَى مَنَازِلِنَا كَالسَّيْلِ يَنْفُذُ، مِنْ هُنَا وَهُنَا
حَمَلْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَرَكِبْتَ وَنَحَكَ مَرْكَباً حَشِينَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ زَمَنْ يُوَافِقُنَا لِلثَّارِ مِنْكَ، سَنَخْلُقُ الزَّمَنَا
دُقُّوا وَغَنُّوا فِي مَا تَمِينَا لَكُمْ الْبِدَاءُ، وَالْخِتَامُ لَنَا

٦٠ السِّیُوفُ الصَّدَنَةُ

وَمَاذَا نَرْجِي مِنْ سِیُوفٍ كَثِيرَةٍ يَمَانِيَّةٍ، لَكِنْ تَأْكُلُهَا الصَّدَا
مُلُوكٌ ظَنَّنَاهُمْ صُقُوراً، وَعِنْدَمَا غَزِينَا رَأَيْنَا صَاحِبَ التَّاجِ هُذُودَا
لَهُوَ عَنْ عِصَابَاتِ الْعَدَى بِاخْتِلَافِهِمْ فَكَانُوا عَلَى الْأُوطَانِ شَرّاً مِنَ الْعَدَى
وَرَاوُوا يَحْلُونَ الْقَضَايَا كَأَنَّهُمْ يَحْلُونَ فِي الظُّلُمَاءِ خَيْطاً مُعَقَّداً
وَأَنْتَى يَحُلُّ الْحَقْدَ وَالْجَهْلَ وَالْهَوَى جِدَالٌ عَقِيمٌ يَنْتَهِي مِثْلَمَا ابْتَدَا
مَطَامِعُ أَفْرَادٍ بِمِيرَاتِ أُمَّةٍ مَبْعُورَةٍ، يَخْشَوْنَ أَنْ تَتَوَحَّدَا

٦١ دهاء المصنفين

أَبْرُدُ عَزْمُكُمْ الْحَقُوقَ لِأَهْلِهَا فَتَرَى لَكُمْ فَوْقَ اللَّوَاءِ لِيَوَاءٍ؟
وَتَرَى فِلَسْطِينَ الْأَسِيرَةَ حُرَّةً تَمْشِي، وَتَرْفَعُ رَأْسَهَا خُبْلَاءَ
هَٰذِي وَذَاكَ لَنَا، وَلَمْ نَخْسَرْهُمْ لَوْ أَنَّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ حَيَاءَ
لَمْ نَخْسِرِ الْحَقُوقَ وَلَا اللَّوَاءَ

أَرَأَيْتُمْ الزُّعَمَاءَ كَيْفَ تَخَادَلُوا أَرَأَيْتُمْ الْأَقْيَالَ وَالْأُمَرَاءَ
الْأَقْيَالُ: الْمُلُوكُ

يَتَزَاءَرُونَ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ، فَإِنْ
كَثُرَ الْمُلُوكُ، فَكُلُّ مَنْطِقَةٍ لَهَا
وَالكَائِدُونَ لَنَا يَرَوْنَ هَلَاكَنَا بِعِثَارِهِ، فَيُصَفِّقُونَ ذَهَاءَ
لَمَحُوا الْعَدَى انْقَلَبَ الزَّيْبُ مَوَاءَ
مَلِكٌ يُقِيمُ الْجَنَدَ وَالْوُزَرَءَ

٦٢ الاستخفاف بالخليع

لبنان، يا وطني! فديتكَ موطناً
إني أرى، يا «مُضَدَّرَ الإشعاع»، في
أكثر الداعون إلى استقلالية لبنان من وصفه بأنه مصدر الإشعاع في الشرق
مُضْنَى يَصُدُّ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي
دَعْوَاكَ أَلَوَاناً مِنَ الْإِسْرَافِ

لبنان، إن تُرَضِّ العروبةَ كانَ لي
يا شيخُ! ما لَكَ، والثلوجُ كثيفةٌ
القلبُ أنت، وما شِعَافُكَ غَيْرَهَا
الشغاف: الغشاء المحيط بالقلب، ولبنان هو القلب وشغافه العروبة
فِي الْقَوْلِ فَيْكَ مِنَ النُّجُومِ قَوَافٍ
حِرْزُ سَوَى هَذَا الْفِرَاشِ الدَّافِي
أَرَأَى امْرُؤٌ قَلْباً بِغَيْرِ شِعَافٍ

وَالْعُرْبُ أَهْلُكَ، لَنْ يُقَابَلَ مُعْرِضٌ
مَا أَنْتَ إِلَّا هُمْ، فَهُمْ لَكَ مَعْدِنٌ
عَنْ أَهْلِهِ إِلَّا بِالْأَسْتِخْفَافِ
هَذِي الرِّيَاضُ أَصُولُهُنَّ فَيَافٍ
فياف: صحارى

وَالثَّمَرُ فِي أَعْلَى النَّخِيلِ مُنَاحُهُ
وَحَيَاتُهُ بِالْجَذْرِ وَالْأَلْيَافِ
مناخه: موضعه

٦٣ ذات المسامير

دَعَوْتُهَا فِي ضَحَى «مَيْدِي» لِنَهْرَبَ مِنْ
ثُمَّ أَنْتَهَيْنَا إِلَى كُوخٍ، مَوَائِدُهُ
أُمُّ الضَّجِيجِ إِلَى إِحْدَى ضَوَاحِيهَا
تَشْكُو الْفِرَاقَ، وَيَشْكُو الْجُوعَ آتِيهَا
طَابَ الْجُلُوسُ، وَطَابَتْ ثَمَّ مَأْدُبَةٌ
مَا فِي الْمَادِبِ طُرّاً مَا يُحَاكِيهَا
ثَمَّ: هناك، طرّاً: جميعاً، يحاكيها: يشبهها

شَطِيرَتَانِ، وَكَأَسَانِ ارْتَوَى بِهِمَا
عَلَى خَوَانٍ غَلِيظِ الْوَجْهِ مُتَسَخِّخٍ
خوان: منضدة، ويبدو أن تلك المنضدة كانت ككل المناضد في كل منزهات الدنيا: فيها رجل
مشلولة يتعب المتزهون في مداواتها بقطع مطوية من الورق المقوى

إذا اتَّكَأَتْ عَلَيْهِ مَالٌ، فَانْقَلَبْتُ عَنْهُ الرُّجَاجَةُ، يَجْرِي الْمَاءُ مِنْ فِيهَا
تَبْدُو مَسَامِيرُهُ السُّودَاءُ بَارِزَةً فِي وَجْهِهِ، فَتَزِيدُ الْوَجْهَ تَشْوِيَهَا
وَنَحْنُ فِي نَشْوَةٍ، مِمَّا يُحِيطُ بِنَا مِنَ الْجَمَالِ، سَأَلْنَا الدَّهْرَ يُبْقِيَهَا

٦٤ «الويل للمنهزم»

لَمْ يَبْقَ فِي الْمِيدَانِ، بَعْدَ لَدَى زَوَالِ دَوْلَةِ هَتَلَرِ..
أَحَدٌ يُخِيفُ الْأَغْنِيَا سِوَى الْعَدُوِّ الْأَصْفَرِ

* * *

وَهِنَاكَ بِضَعَّةُ أَرْزُسٍ قَدْ أَيْنَعَتْ لَمْ تُقْطَفِ
وَمِنَ الْمَعَابِدِ وَالْبِيوتِ بَقِيَّةٌ لَمْ تُنْسَفِ

* * *

وَيُرِيدُ يَهُوَّةُ أَنْ يُظَهَّرَ - رَ بِاللَّهِيبِ وَبِالْدَمِ
يهوَّة: يقصد اليهود

أَرْضاً تَكُونُ لِشَعْبِهِ الْ - مَخْتَارِ دَارَ تَنْعَمِ
* * *

وَيُرِيدُهَا لَهُمْ، فَلَا بَشَرٌ سِوَاهُمْ يَنْطُقُ..
فِيهَا وَلَا ثَوْرٌ يَخْوُ رُ، وَلَا حِمَارٌ يَنْهَقُ

* * *

وَطَوَى طُرُومُنْ، عِنْدَمَا ار تَفَعَ النَّهَارُ، كِتَابَهُ
ترومان: رئيس الولايات المتحدة عند انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهو مجرم هيروشيما

وَأَعَدَّ، مُرْتَاحَ الضَّمِيمِ بَرٍّ، إِلَى الْوَزِيرِ جَوَابَهُ
* * *

قَذَفُوا هِيروشيما بِرَفٍّ شٍ مِنْ شُوَاطِ جَهَنَّمَ
الرفش: مِجْرَقَةُ التَّرَابِ، الطَّوْرِيَّةُ، شَوَاطٍ: لَهَبٌ

فَقَضَتْ تُكَفِّفُهَا الْجَرِي - مَةً بِالرَّمَادِ الْأَسْحَمِ
الأسحم: الْأَسْوَدُ

* * *

ذَابَتْ بِحَرِّ قَذِيفَةِ الْـ مُتَهَوِّدِ الْمُتَعَبِّدِ
وَتَبَخَّرَتْ فَكَأَنَّمَا هِيَ شَحْمَةٌ فِي مَوْقِدِ
* * *

وَتَلَقَّتِ الْيَابَانَ، بِالضَّـ بَرِ الْجَمِيلِ، جِرَاحَهَا
وَاسْتَسَلِمَتْ كَحَمَامَةٍ كَسَرَ الْعُقَابُ جَنَاحَهَا
* * *

أَمَّا الْأَلَى صَهَرُوا الْمَدِيدِ نَةً بِاللَّطَى الْمَنَاجِجِ
الْأَلَى: الَّذِينَ

فَلَقَدْ مَضَوْا يَتَرَنَّمُو نَ بِكُلِّ صَوْتٍ مُزَعِّجِ
* * *

وَتَأَلَّفَتْ دَارُ الْقَضَا ءِ، وَكَانَ مِنْ مَاسَاتِهَا
أَنَّ الْأَلَى ارْتَكَبُوا الْجَرِيـ مَةً مِنْ كِبَارِ قَضَاتِهَا
الْمُتَنَصِّرُونَ عَقَدُوا الْمَحَاكِمَاتَ لِمَجْرِمِي الْحَرْبِ الْمُنْهَزِمِينَ، أَمَّا جَرَائِمُهُمُ الذَّرِيَّةُ وَغَيْرُ الذَّرِيَّةِ فَمَضَتْ
بِلا عِقَابِ

٦٥ التَزِينُ بِالتَّجْدِيفِ

قال فرحات، مخاطباً الشاعر نصر سمعان:

قال نصر، وقد رأى صورةَ الطَّفـ لِي بِحِضْنِ الْبَتُولِ فَوْقَ الْحِمَارِ
ورأى يوسُفًا يَقُودُ إِلَى مِصـ رَ الْحِمَارَ الصَّبُورَ عَبْرَ الْقِفَارِ
هل رَوَى رَحْلَةَ الْمَسِيحِ إِلَى الْأَهـ رَامِ طِفْلاً فِي الْكُتُبِ غَيْرُ الْحَوَارِي؟
الحواري: أحد تلاميذ المسيح

أَحِمَارٌ يَجْتَازُ صَحْرَاءَ سَيْنَا ءِ وَيَنْجُو مِنْ فَاتَكَاتِ الضَّوَارِي؟
ثُمَّ أَيْنَ الْعَلِيقُ لِلْجَحْشِ، أَيْنَ الْـ مَاءِ، أَيْنَ الْغِذَاءُ لِلسُّفَارِ
العليق: العلف الذي يعلق بمخللة في رقبة الدابة

إِنَّ فِي دِينِنَا غَرَائِبَ، لَا يَرِ ضَى بِهَا عَاقِلٌ بِلا اسْتِفْسَارِ
قُلْتُ: يَا نَصْرُ لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِي الْأَدِ يَانِ شُغْلٌ، فَاتْرُكْ عَقِيمَ الْحَوَارِ

أَنْتَ تَدْرِي بَأْنَ رَيْكَ، يَا نَصْرَ رُ، كَرِيمَ، وَأَنْتَهُ ذُو اقْتِدَارِ
فِي رِضَاهِ عَنِ الْحَمِيرِ بَرَاهِبِ نَنْ فِصَاحٍ عَنْ صِحَّةِ الْأَخْبَارِ
إِنَّ هَذَا الْحَمَارَ، يَا نَصْرُ، لَوْلَمْ يُنْجِ عَيْسَى مِنْ سَطْوَةِ الْأَشْرَارِ
مَا رَأَيْنَا التَّوْفِيقَ يُوشِكُ أَنْ يَجِدَ عَلَهُ اللَّهُ طَوْعَ كُلِّ حَمَارِ

٦٦ نموت رويداً

قال فرحات، عام ١٩٥٤ في رثاء صبري غراب:

نموتُ رويداً؛ كَلَّمَا مَاتَ صَاحِبُ لَنَا مَاتَ فِي أَضْلَاعِنَا أَمَلُ مُغْرٍ
فَكُلُّ وَدَاعٍ مِنْ حَبِيبِ مُفَارِقٍ أَحْسَرُ لَهُ شَيْئاً يودُّعُ فِي صَدْرِي
لَقَدْ سَوَدَّتْ شِعْرِي اللَّيَالِي، بِجَعْلِهِ مَرَاتِي لِلْأَحْبَابِ مَذُ بَيَّضَتْ شِعْرِي

٦٧ وإنما.. عنة أخذناها

فِي مَيْسَلُونَ اهْتَدَتْ دِمَشْقُ وَقَدْ ضَلَّتْ قَرْنَسَا وَخَابَ مَسْعَاهَا
فُرْنَا بِحَرْبَةِ الشَّامِ فَلَا يَفْتَحُ خَوْوُنُ بِحُجَّةٍ فَاهَا
لَمْ تُغْطِنَاهَا لِجُودِهَا هَبَّةً وَإِنَّمَا عَنُوهُ أَخَذْنَاهَا

٦٨ هل نحن شعبان؟

قال فرحات، وأراد أن يشدها في استقبال رئيس لبنان كميل شمعون، وحبل بينه وبين ذلك، فأرسلها إليه:

لَمَا رَأَيْتُ غِيَابِي طَالَ عَنْ وَطَنِي وَطَالَ شَوْقِي إِلَى أَهْلِي وَخُلَّانِي
وَلَمْ أَكُنْ بِغَيْبِي، يَسْتَطِيعُ إِذَا مَا شَاءَ، جَعَلَ قَصِي الْأَرْضِ كَالذَّانِي
خَشِيبُ أَنْ أَتَلَقَّى الْمَوْتَ مَغْتَرِباً فَلِإِنَّ مَوْتَ غَرِيبِ الدَّارِ مَوْتَانِ

التسويد للمغترب عمران القفيني

وَخِفْتُ أَلَا أَرَى الزَّهْرَ، الَّذِي ابْتَسَمَتْ. عَيْوَنُهُ لِقِمَاطِي، فَوْقَ أَكْفَانِي
الزهر الذي تفتح فكأنه ابتسم لقماطي، والقماط لفاع يلف به الرضيع.. وهو الكوفلية، أخاف إلا أرى الزهر فوق كفني.. يقول: أخاف أن أموت في الغربة

فَصِخْتُ يَا رَبِّ جَدِّدْ مِنْ رَجَائِي مَا أَبْلَى الزَّمَانُ، وَرَمَّمْ صَرَحَ إِيْمَانِي

رُدَّ الْغَرِيبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي احْتَضَنْتَ أَحْلَامَهُ وَهِيَ أَطْفَالٌ بِتَحْنَانٍ

عندما كانت أحلامه في طفولتها

شَمْعُونُ! نَحْنُ هُنَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَانْظُرْ، وَكُنْ حَكَمًا، هَلْ نَحْنُ شَعْبَانِ

قبل يومين من تصحيحنا الأول للنص (٢٠٠٩/٤/٢٠) تم رسمياً تعيين ميشال خوري أول سفير لبناني في دمشق، في خطوة رمزية إلى أنه ليس لسورية وضع خاص في لبنان. والآن ونحن نجري التصحيح الأخير - نرجو ذلك - تستقبل لبنان نصف مليون لاجئ سوري على أراضيها فروا من الحرب الأهلية. المسألة معقدة بين البلدين

هَذَا دِمَشْقُ وَذِي بَيْرُوتَ، إِنَّهُمَا فِي طَلْعَةِ الْوَطَنِ الْمَحْبُوبِ عَيْنَانِ

طلعة: وجه

لَسْنَا نُفْضَلُ، مَهْمَا نَلَقَ مِنْ عَنَتٍ، عَيْنَا عَلَى أَخْتِهَا؛ لَسْنَا بِعُورَانِ

عوران: جمع أعور

٦٩ حينما يصبح الزواج شارعاً ذا اتجاهين

قال فرحات، في تموز ١٩٥٤:

لَيْسَتْ عَرُوبُنَا خُرَافَةً جَنَّةٍ تَرْوِي الْعَجَائِزُ فِي الدُّجَى أَخْبَارَهَا

الجنة: الجن

لَيْسَتْ عَرُوبُنَا مَطِيَّةً حَالِمٍ بِأَرِيكَةٍ مُسْتَسْهِلٍ أَخْطَارَهَا

لَيْسَتْ عَرُوبُنَا طُقُوسَ دِيَانَةٍ تُذَكِّي الْجَهَالََةَ بِالتَّعَصُّبِ نَارَهَا

مَا هَمَّهَا مَنْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ، مَا دَامَ يَحْمِي فِي الْحُرُوبِ دِمَارَهَا

ذمارها: حماها وشرها

كُلُّ الْبِلَادِ لِكُلِّ مَنْ وُلِدُوا بِهَا، لَا شَيْءَ يَحْرِمُ بَقْعَةً زَوَارَهَا

كُلُّ الْمَنَاصِبِ لِلَّذِي هُوَ أَهْلُهَا، لَا شَرَعَ يَمْنَعُهُ إِذَا مَا اخْتَارَهَا

كُلُّ الْبَنَاتِ لِكُلِّ طَالِبٍ زَوْجَةٍ، لَا دِينَ يُبْعَدُ عَنْ بَثِينَةٍ جَارَهَا

٧٠ الشعر المجود تجويداً

قال فرحات، في يوبيل جريدة إيليا أبو ماضي «السمير»:

الصَّبْحُ يَدْعُو وَالْمَسَاءُ يُرَدِّدُ: لَيْتَ «السَّمِيرَ» عَلَى الزَّمَانِ تُحَلِّدُ

تِيهًا أَبَا مَاضِي فَإِنَّكَ سَيِّدٌ فِي قَنِّهِ، يَسْعَى إِلَيْهِ سَيِّدُ
تِيهًا: لك أن تفتخر

يَا صَاحِبَ الشُّعْرِ الَّذِي جَوَّدْتَهُ حَتَّى لَنَقْرَأُهُ وَنَحْنُ نُجَوِّدُ

٧١ فيم التقاطع

فِيمَ التَّقَاطُعِ، وَالْأَوْطَانُ تَجْمَعُنَا قُمْ نَغْسِلِ الْقَلْبَ مِمَّا فِيهِ مِنْ وَصَرٍ
وضر: وسخ

مَا دُمْتَ مُحْتَرِمًا حَقِّي فَأَنْتَ أَخِي أَمَنْتَ بِاللَّهِ، أَمْ أَمَنْتَ بِالْحَجَرِ

٧٢ المتفنن في الكذب

إِنَّا سَكَنْنَا عَنِ الْكَذَابِ فَاَنْفَتَحَتْ قُدَّامُهُ لِفَنُونِ الْكِذْبِ أَبْوَابُ
يُلْقِي عَلَيْنَا أَحَادِيثًا مَلْفَقَةً وَلَا نَقُولُ لَهُ اسْكُتْ، أَنْتَ كَذَّابُ

٧٣ الأهل والفضل في أزمة

مَا حِيلَتِي بِكِبَارٍ، فِي نُفُوسِهِمْ ذُلُّ الصَّغَارِ، وَفِي أَخْلَاقِهِمْ عَوَجُ
مُذْ بَشَّرْتُ بِهِمُ الدَّائِيَاتِ، أَهْلُهُمْ وَالْفُضْلُ فِي أَرْمَاتٍ لَيْسَ تَنْفَرُجُ
منذ ميلادهم حين بشرت القوالب بهؤلاء الناس، ظل أهلهم والمكارم واقعين جميعاً في أزمات

٧٤ ربوبية الموت

أَمِنْ بِمَا شَتَّتَ فِي بَطْنِ التُّرَابِ وَمَا فَوْقَ الْكَوَاكِبِ، وَاتْرَكْنِي وَإِيمَانِي
لَمْ أَذِرْ كَالْمَوْتِ رَبًّا صَادِقًا نَفَذْتُ أَحْكَامُ سُلْطَانِهِ فِي كُلِّ سُلْطَانٍ
لَا يَرْتَشِي بِنُذُورِ النَّاذِرِينَ، وَلَا يُبْغَى رِضَاهُ بِقُدَّاسٍ وَقُرْبَانٍ
وَكُلُّ رَبٍّ إِلَى الْبِرْهَانِ مُفْتَقِرٌ وَالْمَوْتُ لَمْ يَفْتَقِرْ يَوْمًا لِبُرْهَانٍ

٧٥ الدهر والبشر.. والأذى

تَشْكُو أَدَى الدَّهْرِ شَكْوَى لَا أَسَاسَ لَهَا فَالدَّهْرُ لَمْ يَرْتَكِبْ إِثْمًا، وَلَمْ يَجْرِ
لَا يُقْفِلُ الْبَشَرُ الْأَبْوَابَ إِنْ رَقَدُوا خَوْفًا مِنَ الدَّهْرِ، بَلْ خَوْفًا مِنَ الْبَشَرِ

٧٦ لا يؤكل الجوز..

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ بِخَيْلٍ، كُلَّمَا لَمَحَتْ عَيْنَاهُ وَجَهَ فَقِيرٍ خَفَّ يَسْتَنْزِرُ
تَرْنُو إِلَى مَالِهِ الْوَرَاثُ قَائِلَةً: لَا يُؤْكَلُ الْجَوْزُ إِلَّا حِينَ يَنْكَسِرُ

٧٧ الشعر والتجارة

يَا شَاعِرَ الْعَرَبِ احْذَرْ أَنْ يُقَالَ عَدَا: كُحِلُ التَّجَارَةِ أَعْمَى شَاعِرَ الْعَرَبِ
إِنْ ضَاقَ عَيْشُكَ كُنْ مَسَاحَ أَحْذِيهِ لَا تَاجِرًا يَغْتَنِي بِالْغَشِّ وَالْكَذِبِ

تسويد عمران الفيني

٧٨ الناذرة للدير

مَا كُنْتُ آسُوَ عَلَيَّأُمُّهُ هُرِعْتُ لِلدَّيْرِ تَنْذُرُ أَمْوَالٍ لِرُهبَانٍ
آسُو: أدوي

إِنْ عَاشَ فَالْفَضْلُ لِلدَّيْرِ الَّذِي نَذَرْتُ لَهُ، وَإِنْ مَاتَ فَالْآسِي هُوَ الْجَانِي

٧٩ الدنيا مصالح

لَا يَخْذَعَنَّكَ مَحْتَاجُ إِلَيْكَ إِذَا فِيمَا يَسُرُّكَ مِنْ أَمْوَالِهِ بَذَلَا
إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يُعْطِيكَ نَفَجَتُهُ إِلَّا لِيَأْخُذَ مِنْكَ الثَّوْرَ وَالْجَمَلَا
لَوْ يَعْرِفُ الْكَبْشُ أَنَّ الْقَائِمِينَ عَلَى تَسْمِينِهِ يُضْمِرُونَ الشَّرَّ مَا أَكَلَا

تسويد عمران الفيني للبيتين

٨٠ أبواب المواخير

لِلْغَرْبِ فِي الشَّرْقِ عَادَاتٌ مُقَدَّمَةٌ كَانَتْ، وَمَا بَرِحَتْ، أُولَى بِتَأْخِيرِ
لَا تَبْتَغُوهَا، فَكَمْ مِنْ زَهْرَةٍ حَسَنَتْ فِي النَّاطِرَيْنِ، وَسَاءَتْ فِي الْمَنَاجِيرِ

الناظرين: العينين، المناخير: الأنوف

قُولُوا لِكُلِّ أَبٍ فِي الشَّرْقِ مُحْتَرَمٍ إِنَّ الْمَرَاقِصَ أَبْوَابُ الْمَوَاجِيرِ

الماخور: بيت الجماع

٨١ فائدة الروح

قالوا هُوَ الْجَسَدُ الْجَمُّ الْفَوَائِدُ إِنَّ
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: أَيُّ فَائِدَةٍ تُرْجَى
يُضِيحُ بِلَا الرُّوحِ لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يُفِدِ
مِنَ الرُّوحِ إِنَّ تُصْبَحُ بِلَا جَسَدٍ
هَذَا يَصِيرُ تُرَاباً رُبَّمَا صَنَعُوا
مِنْهُ وَعَاءٌ لِشُرْبِ الطَّائِرِ الْعَرِدِ
وَتِلْكَ كَانَتْ خَيَالاً تَائِهاً أَبَداً
وَسَوْفَ تَبْقَى كَمَا كَانَتْ إِلَى الْأَبَدِ

٨٢ الاحتكاك

شَرِّقْ وَغَرِّبْ فَقَدْ يَغْنَى أَخُو سَفَرٍ
عَنْ كُلِّ مَا تَجْمَعُ الْأَسْفَارُ مِنْ حِكَمٍ
الأسفار: الكتب
والمرء لا يَزْتَقِي مَهْمَا تَلَا كُتُباً
إِلَّا إِذَا اخْتَلَّكَ بِالْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ
ويقول الشارح: كثرة الأسفار تزيد العميق عمقاً، والسطحي سطحية

٨٣ ضد الرمزية

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ آدَابِ رَابِطَةٍ
قَدْ أَوْجَدْتُ فِي نِظَامِ الشُّعْرِ تَشْوِيشاً
لَعَلَّه يَقْصِدُ الرَّابِطَةَ الْقَلَمِيَّةَ الَّتِي أَسْهَى فِي نِيُورُوكِ جَبْرَانُ وَنَعِيمَةُ وَأَصْحَابُهُمَا؟
سَنَّتْ عَلَى الْأَدَبِ الْمِيْمُونِ غَارَتَهَا
فَأَمَعَنْتُ فِيهِ تَشْوِيشَهَا وَتَخْدِيشَهَا
طَارَتْ فِخْلُنَا نُسُوراً فَوْقَنَا ارْتَفَعَتْ
ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ فَكَانَتْ كُلُّهَا رِيشاً
أَشْعَارُهَا عَلَقَمٌ، مَعَ أَنَّهَا شَرِبَتْ
مِنْ مَاءِ صَنْيْنٍ وَالْعَاصِيِ وَقَادِيشَا

٨٤ شرير بالفطرة

المرء يُولَدُ شَرِيرًا، فَإِنْ غَفَلْتَ
عَيْنُ الْمَهْذَبِ عَنْهُ هَكَذَا لَبِثَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ قُدُوةً لِلْوُلْدِ صَالِحَةً
أَنْفَقْتَ مَالَكَ فِي إِصْلَاحِهِمْ عَبَثًا

٨٥ قلة فهم المناذيل

لَوْ يُجْمَعُ الدَّمْعُ مِنْذُ اغْتِيلَ هَابِيلُ
لَمَا اسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ النَّيْلُ
لَنْ يَفْتَخِرَ النَّيْلُ عِنْدَئِذٍ بِأَنَّهُ نَهْرٌ عَظِيمٌ، فَهَرِ الدَّمْعِ سَيَكُونُ أَعْظَمُ مِنْهُ
وَالْحَدُّ يَعْلَمُ مَا فِي الدَّمْعِ مِنْ حُرْقٍ
وَلَيْسَ تَعْلَمُ مَا فِيهِ الْمَنَادِيلُ

٨٦ الأدياء والذهب

وليسَ لأديباءِ النَّفْسِ مَجْدٌ ولو رَصَفُوا المَنَازِلَ بِاللَّالِي
ولو صَاغُوا النُّضَارَ لَهُمْ نِعَالاً تَظَلُّ نَفُوسُهُمْ تَحْتَ النُّعَالِ

٨٧ الشاعر تاجراً

فلاسفَةُ الأَعَارِبِ مِنْ قُرُونٍ قَدْ احْتَقَرُوا التِّجَارَ، وَقَدْ أَصَابُوا
التِّجَارَ: التُّجَارَ

فَمَا سَوَى التِّجَارَةِ غَيْرُ غَابٍ تَنَاهَشُ فِي جَوَانِبِهَا الذُّنَابُ
رُمِيتُ بِهَا، وَمَا فِي الكَفِّ ظُفْرٌ أَذُودُ بِهِ، وَمَا فِي الفَكِّ نَابُ
فَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّمْزِيقِ جِلْدِي وَلَمْ تَسْلَمْ عَلَى جِلْدِي الثِّيَابُ

٨٨ حر لولا ثلاث

خُلِقْتُ مُسَبِّراً، وَأَمُوتُ قَسِراً وَلِيَّ امْرَأَةٌ، فَكَيْفَ أَكُونُ حُرّاً

٨٩ المهد والنعش

حَيَاةُ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَوْتُ فَلَا تُنْفِقْ ضِيَاءَ الْعَيْنِ سُهْداً
فَأَعْقِلْ مَنْ رَأَيْتُ فَتَى حَكِيمٌ يُشِيدُ مَنْزِلاً وَيَشُقُّ لَحْداً
وَنَجَّارٌ يَرَى دَفْناً وَزَقْفاً فَيَصْنَعُ مِنْ بَقَايَا النُّعْشِ مَهْداً

٩٠ استرزاق

كِتَابُ مَسِيحِكُمْ سَهْلٌ صَرِيحٌ فَمَا هَذِي الزَّوَائِدُ وَالْحَوَاشِي
وَمَا هَذِي الطُّفُوسُ إِذْنٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ حَيْلاً لِتَحْصِيلِ الْمَعَاشِ

٩١ لا نريد أن نتذكره

وَحَقِّكَ! مَا لِنَعْشِ الْمَيِّتِ مَعْنَى وَلَا مَعْنَى لِتَغْمِيقِ الْقُبُورِ
فَلَيْسَ الْقَبْرُ أَفْضَلَ مِنْ عَرَاءٍ تَهْبُّ عَلَيْهِ نَاشِرَةُ الْعُطُورِ

ناشرة العطور: يقصد العطور الزكية

وَلَيْسَ الدَّوْدُ أَشْرَفَ مِنْ نُسُورٍ تُرْفَرِفُ بَيْنَ أَمْوَاجِ الْأَثِيرِ

ولكنَّ الأنَامَ تخافُ مَرَأَى يَلوُحُ لها بِهِ سوءُ المَصِيرِ

٩٢ قيمة المجد الغابر

أَذَلُّ شعوبِ هذِي الأرضِ شعبٌ تراه بِذكرِ سالفِهِ وَلُوعًا
إذا ماتَ الإباءُ بِصَدْرِ شعبٍ فقد مَاتَتْ مآثِرُهُ جَمِيعًا

٩٣ مديح جهنم

أَحِبُّ النَّارَ، لا كُفْرًا وَلَكِنْ لَأَنَّ النَّارَ مَصْدَرُ كُلِّ نورٍ
وَأَعشَقُهَا لَأَنَّ الدِّينَ فِيهَا يَزُجُّ الثَّائِرِينَ على الغُرُورِ
يعشق جهنم لأن الدين يدخل فيها الثائرين ضد الغرور

فإنَّ كَانَ الشُّمَيْلُ والمَعَرِّي وَرَهْطُهُمَا هُنَالِكَ فِي السَّعِيرِ
شبلي الشميل، وهو ابن قرية شاعرنا كفر شيما، كان داعية نظرية التطور في مطلع القرن العشرين

فقد فَضَّلْتُ سَكَنِي النَّارِ مَعَهُمْ على سَكَنِي السَّمَاءِ مَعَ الحَمِيرِ

٩٤ معيار الصلاح

تَعْوِيدُ كَفِّيكَ الصَّلَاحَ أَبْرُ مِنْ تَعْوِيدِ رِجْلَيْكَ الوقوفَ بِمَسْجِدٍ
أَنَا لا أَصَدِّقُ أَنَّ لِصَّامًا مؤمِنًا أَذْنَى لِرَبِّكَ مِنْ شَرِيفٍ مُلْحِدٍ

٩٥ الأجنبية عندما تتنقب

تَتَبَرَّقُعُ الْمُتَفَرِّجَاتُ سَوَافِرًا بِبَرَاقِعٍ مِنْ نَسْجِهِنَّ كِثَافٍ
يَضْبِغْنَ هَاتِيكَ الخُدُودَ تَبَرُّجًا فَالضَّبْغُ بَادٍ والخُدُودُ خَوَافٍ

٩٦ فن القناعة

ما لِلْأَنَامِ يُفْتَتَشُونَ عَنِ السَّنَى وَالشَّمْسُ تَغْمُرُ أَجْبَلًا وَسُهُولًا
السنى: الضوء

وَتَعَلَّمُوا كُلَّ الفنونِ، ولم يَزَلْ فَنُّ القَنَاعَةِ عِنْدَهُمْ مَجْهُولًا

٩٧ ثمن الحرية

لا تَظْمَعَنَّ بِوَضْلِهَا حُرِّيَّةً حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكَ سَيْفٌ فَاصِلُ
لو كَانَ مَحْضُ الْوُدِّ يَكْفِيهَا لَمَّا فَازَ الْكَمَالُ بِهَا، وَخَابَ الْكَامِلُ
الكمال: مصطفى كمال أتاتورك، والكمال: مصطفى كامل. وقد أسس أتاتورك بقوة السلاح دولة
تركية حديثة، ولم ينجح حزب مصطفى كامل «الوطني» في تحقيق إنجاز ملموس في مصر

٩٨ في كل سلة بيضة

ازْفُفْ بِنَاتِكَ فِي الْمَذَاهِبِ كُلِّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَايِدِي الْأَصْنَامِ
وَاقْرِي بِهَذَا الْحَبْلِ بِظُرْكَ تَابِعِي عَيْسَى، بِشَيْخِ مَشَايِخِ الْإِسْلَامِ
حَتَّى إِذَا نَفَتْ التَّعَصُّبُ سُمُّهُ مَنَعَتْ أَذَاهُ وَشَائِجُ الْأَرْحَامِ

٩٩ المتمسحون ذلاً

إِنَّ الْأَنَامَ، وَمَا إِخَالِكَ جَاهِلًا، عَبْدٌ يَذُلُّ، وَسَيِّدٌ يَتَحَكَّمُ
فَإِذَا رَأَيْتَ الظُّلْمَ يُنْثَبُ ظُفْرُهُ فَيَجِلْدُ شَعْبٌ قَلَمًا يَتَأَلَّمُ

١٠٠ إباء حتى النهاية

مَنْ الْعَبِيُّ عَلَيَّ، فَاَنْتَفَضَتْ لَهُ شَعَرَاتُ نَاصِيَتِي كَرِيشِ الْقُنْفُذِ
وَرَمَيْتُهُ بِسَهَامٍ نَفَذِ إِنْ تَقَعُ يَوْمًا عَلَى صُمِّ الْجَنَادِلِ تَنْفُذِ
الجنادل: الصخور

أَنَا لَا أُطِيقُ الْمَنَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي رَدَّتْ صِبَايَ، فَكَيْفَ مِنْ هَذَا الَّذِي
لَوْ مَنْ رَبُّكَ بِالْحَيَاةِ عَلَى الْوَرَى لَبَصَقْتُ حَوْبَائِي، وَقُلْتُ لَهُ: خُذِ
حوبائي: نفسي

١٠١ الإيمان قيداً

كُلُّ امْرئٍ يَرْجُو، وَلَكِنْ بَعْضُهُمْ عَالِي فَعَلَّ الْعَقْلَ بِالْإِيمَانِ
غل: قيد

إِنَّ الرَّجَاءَ مِنَ الصَّوَابِ، فَإِنْ يَفُتْ حَدَّ الْحَيَاةِ عَدَا مِنَ الْهَذْيَانِ

١٠٢ شعراء الغموض

أصحابُنا المتمردون خيالُهم تقضي قريشُ به، وتَحْيَا حَمِيرُ
تقضي قريش: تموت قريش (فلغة قريش هي لغة القرآن وهي الأفصح، وأما لغة حمير اليمانية فقد أصبحت بعد الإسلام مهملة غير موسومة بالفصاحة)

لُغَةٌ مُشَوَّشَةٌ، وَمَعْنَى حَائِرٌ خَلَفَ الْمَجَازِ، وَمَنْطِقٌ مُتَعَثِّرٌ
وَزَعِيمُهُمْ فِي زَعِيمِهِمْ مُتَفَنِّنٌ عَجَبًا أَكَانَ الْقَنْ فِيمَا يُضْمَرُ
لَا الْأَرْضُ تَفْهَمُ مَا يُسْطَرُّهُ، وَلَا ذَاكَ الزَّعِيمُ، وَلَا السَّمَاءُ تُفَسِّرُ

١٠٣ صفحة الوفيات

أَسْلَفْنَا كَانُوا إِذَا مَاتَ امْرُؤٌ يَسْتَأْجِرُونَ لِنَذِيهِ نِسْوَانًا
يَنْسُبْنَ لِلْمَيِّتِ الْعَزِيزِ فَضِيلَةً صِدْقًا، وَأَلْفَ فَضِيلَةٍ بُهْتَانًا
أَمَّا الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ فِي عَصْرِنَا مِمَّنْ يَرِيدُونَ الْعُلُوَّ مَكَانًا
يَسْتَأْجِرُونَ لِيَمْدَحُوا أَمْوَاتَهُمْ صُحُفًا أَحَظَّ مِنَ النُّوَادِبِ شَانًا

النوادر: النائحات

١٠٤ مناعة ضد المديح

قَالُوا مُدِخْتُ، أَلَا تُجِنُّ مَسْرَةً فَضَحِكْتُ مِمَّنْ قَالَ بِاسْتِهْزَاءٍ
أَنَا لَيْسَ يَرْفَعُنِي الْمَدِيحُ إِذَا هَمَى وَالشُّنْمُ لَيْسَ يَحُطُّ مِنْ عَلَيَّائِي
همى: هطل كالمنطر

أَنَا فِي الْفِعَالِ وَفِي الْمَقَالِ وَفِي الْحِجَا وَالرُّوحُ مَخْتَلِفٌ عَنِ الشُّعْرَاءِ
إِمْدَحْ، فَمَدْحُكَ لَا يَشُدُّ عِمَامَتِي وَاشْتُمْ، فَشْتُمُكَ لَا يَحُلُّ حِذَائِي

١٠٥ ما ذنبي إن كان هذا رأيي

رَبَّاهُ مَا ذَنْبِي! وَأَنْتَ مَنْحَنِي عَقْلًا يُمَيِّزُ لِلْكَلَامِ مَعَانِي
وَيَوَدُّ لَوْ هَتَكَ السَّائِرَ كُلَّهَا لَيَرَى الَّذِي فِي الْغَيْبِ رَأْيَ عِيَانٍ
كَمْ فَاتِحَ ذَبَحَ الرِّجَالَ وَمَا عَفَا لَوْلَا دَعَارَتُهُ عَنِ النَّسْوَانِ
مُتَسَلِّحًا بِكِتَابِهِ، وَكِتَابُهُ يُغْزِي إِلَيْكَ، فَمَنْ تَرَاهُ الْجَانِي

١٠٦ القبله المتوجهة

يَهْنِيكَ تَوْمُكَ يَا سَعَادُ، كَأَنَّهُ نَوْمُ الرُّضِيعِ عَلَى ذِرَاعِ الْمُرْضِعِ
 سعاد ابنة الشاعر. وللمهجري زكي فنصل قصيدة في ابنة له توفيت، واسمها أيضاً سعاد
 يَهْنِيكَ يَا وَلَدِي السُّكُونُ مُحَرَّكَاً بَجَلَالِ هَيْبَتِهِ سَوَاكِنَ أَدْمُعِي
 كَمْ قُبْلَةً تَهْفُو إِلَى شَفَتَيَّ مِنْ قَلْبِي الْحَزِينِ الْوَالِدِ الْمُتَفَجِّعِ
 حَتَّى إِذَا وَجَدْتُ سِرِيرَكَ خَالِياً رَجَعْتُ فصارَتْ جَمْرَةً فِي أَضْلُعِي

١٠٧ هدية تأتي أن تسيل

يَا دَمْعَةً نَشِفْتُ، وَلَا ذِئْعَ حَرِّهَا يَمْتَدُّ مِنْ قَلْبِي إِلَى أَجْفَانِي
 إِنِّي لَدَى قَبْرِ الْحَبِيبَةِ واقِفٌ فِي عِيدِ مَوْلِدِهَا، فَمَا أَشْقَانِي
 لَمْ آتِهَا بِهَدِيَّةٍ، إِلَّا كَيْ رَمَزَ الْحَنَانِ وَصُورَةَ الْوُجْدَانِ
 الهدية الوحيدة: الدمعة

فِيضِي فَإِنَّكَ كُلُّ مَا فِي طاقَتِي وَأَعَزُّ مَا فِي مُهْجَتِي وَجَنَانِي

١٠٨ الشاعر واللقمة

قَالُوا: أَتُشْرِكُ بِالْقَرِيضِ تِجَارَةً سَلَكَتَ مِنَ التَّمْوِيهِ كُلَّ طَرِيقِ
 وَالشَّاعِرُ الْمُطْبُوعُ، كَيْفَ تَقَلَّبَتْ دُنْيَاهُ، مَطْبُوعٌ عَلَى التَّخْلِيقِ
 فَأَجَبْتُهُمْ: لَيْسَتْ مَوَاعِظُكُمْ سِوَى هَذَرٍ، وَعِقْتُكُمْ سِوَى تَلْفِيقِ
 أَعِيشُ مِنْ مَرَحَى الَّتِي هِيَ نَفْدُكُمْ؟ وَيَعِيشُ أَوْلَادِي عَلَى التَّضْفِيقِ؟

١٠٩ الإنسان والحذاء

نَعِيبُ عَلَى الْإِسْكَافِ أَنْ لَمْ يَجِدْ لَنَا حِذَاءً جَمِيلاً غَيْرَ وَاهٍ، وَلَا قَاسٍ
 وَنَحْمَدُ رَبًّا يَخْلُقُ الْمَرْءَ قَاسِياً سَخِيفاً حَوَى الْعَبِيْنَ فِي الْقَلْبِ وَالرَّاسِ
 حَيَاءً مِنَ الْإِسْكَافِ يَا رَبِّ، وَلِيَكُنْ صَنِيعُكَ خِلَواً مِنْ غُيُوبٍ وَأَذْناسٍ
 إِذَا كَانَ صُنْعُ الْخُفِّ يُوجِبُ دِقَّةً فَكَيْفَ بِصُنْعِ النَّاسِ، يَا خَالِقَ النَّاسِ!

١١٠ صغار النفوس

نَصَحْتُكَ لَا تَأْمَنُ صَغِيرًا، وَلَا تَخَفُ كَبِيرًا، فَمَا فِي الْحَجْمِ هَمُّ الْمُفَكِّرِ

أَشَدُّ الْعِدَى فَتْكَاً بِأَبْنَاءِ آدَمَ جَرَاثِيمُ يُعَيِّي فَخْصُهَا كُلَّ مِجْهَرٍ

١١١ الاختيار

حَقَرْتُ الْغِنَى سَعْيًا إِلَى الشُّعْرِ فَانْجَلَى لِعَيْنَيَّ جَامُ الْعُمْرِ بِالْحُبِّ مُتْرَعًا
الجام هو الجاط هو الوعاء

وَلَمَّا حَقَرْتُ الشُّعْرَ سَعْيًا إِلَى الْغِنَى أَضَعْتُ الْغِنَى وَالشُّعْرَ وَالْحَبَّ أَجْمَعًا

١١٢ فضل فرنسا

يَلُومُونَنَا جَهْلًا بِحُبِّ فَرَنْسَةٍ وَنَحْنُ، وَحَقُّ الْحَبِّ، بِالْعُذْرِ أَخْلَقُ
يسخر... نحن معذورون في حبنا فرنسا

فَإِنَّ لَهَا فَضْلًا عَلَيْنَا وَمِنَّةً وَبِيْضَ أَيْادٍ لَا تَكَاذُ تُصَدِّقُ
أَمِنَّا لُصُوصَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ بَعْدَهَا فَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا بِلُبْنَانَ يُسْرِقُ

١١٣ الشاعر والقارئ

عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْوِي لِيَالِيهِ سَاهِرًا يُفْتَشُّ عَنْ مَعْنَى غَرِيبٍ فَيَلْقَاهُ
فَيَنْظُمُهُ شِعْرًا، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ إِذَا مَا اهْتَدَى قُرْأُوهُ فِيهِ أَوْ تَاهُوا
أَلَا إِنَّ خَيْرَ الشُّعْرِ مَا سَاعَ لَفْظُهُ وَمَا كَانَ مِمَّا يَسْبِقُ اللَّفْظَ مَعْنَاهُ
إِذَا جَاءَنِي الْمَعْنَى الْغَرِيبُ فَمَرْحَبًا وَإِنْ لَمْ يَجِئْ لَا رَدَّ غَرِيبَتَهُ اللَّهُ

١١٤ في هجاء البشر

هَذِي الْحَيَاةُ، وَأَنْتَ تَعْرِفُهَا، غَرَارَةٌ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
غرارة: خداعة

وَالنَّاسُ أَقْدَارُ تُجَمِّعُهَا الـ أَقْدَارُ تَحْتَ أَظَافِرِ الدَّهْرِ

١١٥ دورة الفتك

إِنَّ الْخَلَائِقَ أَنْهَرُ تَجْرِي إِلَى الْبَحْرِ الْوَسِيعِ
يَصِلُ الْبَطِيءُ إِلَيْهِ كُرُ هَأْ مِثْلَمَا يَصِلُ السَّرِيعُ
فَالشَّاةُ تَفْتِكُ بِالْكَلا وَالذُّئْبُ يَفْتِكُ بِالْقَطِيعِ

الكلأ: الكلأ، أي العشب

وَالصَّفَرُ يَفْتِكُ بِالْقَطَا وَالْمَوْتُ يَفْتِكُ بِالْجَمِيعِ

١١٦ أَتْبَاعِ الطُّقُوسِ

هَذِي كَنَائِسُكُمْ تَكَا دُتْضَبُّ الْكُونُ الْفَسِيحُ
غَصَّتْ بِأَتْبَاعِ الطُّقُو سِ، فَأَيْنَ أَتْبَاعُ الْمَسِيحِ؟

إلياس فرحات فهرس القوافي

٤٧	الشُّهُودُ	٦١	لَوَاءٌ
٧٠	تُحَلِّدُ	١٠٤	بِاسْتِهْزَاءٍ
٥٥	تَعْقِيدُ	١٩	بِسَخَاءٍ
٥٤	الْأَذْرَدُ	٣٣	أَبْوَابًا
٩٤	بِمَسْجِدٍ	٥٨	الْقُلُوبَا
٢١	رَادٍ	٨٧	أَصَابُوا
٨١	لَمْ يُفِدْ	٣٥	يَكْتُبُ
٨	خَامِدَةٌ	٧٢	أَبْوَابُ
١٠٠	الْقُنْفُذِ	٧٧	الْعَرَبِ
٨٨	حُرًّا	٤٩	الْمُتَصَابِي
١٥	نُكْرًا	٤٢	لَرَّيْبُ
٢٩	الْخَطِرُ	٢٥	يَتَأَدَّبُ
٢٠	الْكُوَايِرُ	٤٠	غِيَابُهُ
١٠٢	حَمِيرُ	١٨	بِحَيَاتِهِ
٧٦	يَسْتَرُّ	٣٦	كَلِمَاتِهَا
٦٥	الْحِمَارِ	٨٤	لَبْنًا
٩١	الْقُبُورِ	٧٣	عِوَجُ
١١٠	الْمُفَكِّرِ	١١٦	الْفَسِيحِ
٨٠	بِتَأْخِيرِ	٦٠	الصَّدَا
٣١	ظَهْرِي	٨٩	سُهِدَا

٧٩	بَذَلَا	٧٥	لَمْ يَجْرِ
٩٦	وَسُهُولَا	٦٦	مُغْرٍ
٨٥	النَّيْلُ	٩٣	نُورٍ
٩٧	فَاصِلُ	٦٤	هَتَلٍ
١٢	السَّيْلِ	١١٤	وَالْجَهْرِ
٨٦	بِاللَّالِي	٧١	وَضَرٍ
٤٥	قِيلِ	١	الدَّرَرْ؟
٣٨	يَزَلِ	١٣	بِالنَّفِيرِ
١٦	لَمْ أَزَلْ	٦٩	أَخْبَارَهَا
٦	الْأَوَامَا	٢	وَالطَّهَارَةَ
٥٠	مُهْتَمَّا	٢٢	الْأَسَى
٥١	نَمَا	٥٦	مَلْبَسُ
٣٧	وَابْتَسَمَا	١٠٩	قَاسٍ
٤٤	النَّوَاعِمُ	٨٣	تَشْوِيشَا
٩٩	يَتَحَكَّمُ	٩٠	وَالْحَوَاشِي
٣٩	يَتَعَمَّمَا	٢٣	وَالْمَرَضَا
٩٨	الْأَصْنَامِ	١١١	مُتَرَعَا
٢٤	المِظَالِمِ	٩٢	وَلُوعَا
٨٢	حِكَمِ	٥٧	الْجَزْعُ
٤٨	وَتَحْتَمِي	١٠٦	الْمُرْضِعِ
٥٢	الْفِطَامِ	١١٥	الْوَسِيعِ
١٧	دَمَهُ	٦٢	الشَّافِي
٣٤	وَحَسَامَهَا	٩٥	يَكْتَا فِ
٢٦	فِينَا	١١٢	أَخْلَقُ
١٠٣	نِسْوَانَا	٧	طَلِيقُ
٥٩	وَهَنَا	٥	تُخَلِّقِي
١٠٧	أَجْفَانِي	١٠٨	طَرِيقِ
٤٦	أَغْنِي	٤٣	النَّسَاكِ
١١	الإِعْلَانِ	٣	لَكَ

٢٨	جَنَاهَا	٣٠	الْبُرْهَانِ
١٠	كَدُّخَانِهَا	١٠١	بِالْإِيمَانِ
٦٧	مَسْعَاهَا	١٤	دُرُوبِ
١١٣	فَلَقَاهُ	٢٧	عَيْنِي
٤١	كُوَّةُ	٤	كَفَّانِي
٣٢	خَلِيًّا	٧٨	لِرُهْبَانِ
٥٣	كَأَوِيَا	١٠٥	مَعَانِي
٩	حُمَيَّاهَا	٧٤	وِإِيمَانِي
٦٣	ضَوَاحِيهَا	٦٨	وُخْلَانِي

مصطفى وهبي التل (عرار)

(١٨٩٩ - ١٩٤٩)

هذا شاعر لم يسهر لقصيدة. فجاء شعره مفككاً، فإن رأيت له طويلة فهي مرقعة الدروايش. وجاءت قوافيه قلقة، فإن رأيت له قافية صادحة فهذا توفيق.

ولأنه كان متمرداً جاءت بعض أبياته حارة، ولا يندر أن تجتمع له نتف من هنا ومن هناك قالها في شهر أو شهرين، وألصق بعضها ببعض فيكون من ذلك قصيدة حلوة. ولا يندر أن يقول قصيدة حلوة متماسكة. . لا، بل يندر.

وانظر ما يفعل التنخيل في شعر شاعر مهمل متصعلك كعرار. أنعم النظر في الصفحات التي تلي وانظر إلى هذا الشاعر كيف تعملق.

أتراني معجباً بما صنعت بعرار ولعرار؟ إي وربي.

يا لفرحي بما أنفقت من ليالٍ طوالٍ وأنا أعتني بالشعراء وأهذب لهم دواوينهم.

كنت أعلم طلبة الصحافة، في قسم الإذاعة. ذات يوم قلت لنفسي: أعطيهم واجباً خفيفاً يناسبهم، فهم طلبة لم يتح لهم أن يعملوا في الميدان. طلبت منهم أن يصنعوا عرضاً للصحف. ليس لأخبارها، فأخبار الصحف عتيقة، وأجد منها أخبار الإذاعة، وأجد منها أخبار الإنترنت. إذن فليعرضوا المقالات التي نشرتها صحف اليوم. هيّا.

ما أكبر ما كانت دهشتي وأنا أراهم يقعون، في المقالة بعد المقالة، على العبارات المكرورة التي لا جدة فيها ولا فكرة ولا تحليل و.. لا شيء.

تعلمت أن استخلاص زبدة المقالة أمر لا يقوم به إلا من هو ناضج في المهنة والتجربة والحياة.

ولا أزعج أن اختيار الأشعار صعب الصعوبة نفسها، ولا أنه يقتضي الخبرة فحسب. فرب عامي يطرب لبيت لا يطرب له حتى الشاعر الذي قاله، وللعامي أن يطرب. ورب فقيه يختار أبياتاً يعدها من خير واردات وادي عبقر، ويأتي ناقد فيراها سمجة غثة. ورب شعور يصادف أبياتاً فيها كلمات من قبيل «البنفسج، والسنونو، وتلألؤات الغسق في نسغ الليمون» فيصيح - صيح عليه - صيحات استحسان.

غير أنه مما ثبت في أذهان أهل التراث الشعري العربي منذ حماسة أبي تمام أن اختيار الشعر يدل على ذوق صاحب الاختيار، وأن الاختيار أمر جليل.

أما أن الاختيار يدل على ذوق صاحبه فلا أشك في ذلك. وأنا أنه أمر جليل، فذلك محتاج إلى بعض نظر.

لكل امرئ أن يختار من الشعر ما يعجبه. وأنا واحد من الآلاف الذين يقرأون الشعر، ويعجبهم منه ما يريدون أن يعجبهم. وما يميزني ليس أكثر من أنني أنفق الوقت في الانتقاء والطباعة وتصحيح أغلاط الطباعة في نسختي وفي الديوان نفسه، ثم التشكيل ثم الشرح ثم الفهرسة. ما يميز مجموعتي هذه ليس أكثر من الجهد المبذول.

وأريد أن أتعرض لكلمة قالها القدماء عن حماسة أبي تمام وكررها المؤلفون مئات المرات في كتبهم: «أبو تمام في الحماسة أشعر منه في شعره». وأبدأ بالقول إنني لست موافقاً على هذا الحكم. فلو أعطيت قصيدة الطغرائي لأي متأدب وطلبت منه أن يختار عيونها، فلست أشك في أنه سيلتقط بسرعة البيت: (أعلل النفس بالآمال، أرقبها/ ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل). ولست أشك في أنه سيلتقط بضعة أبيات قبل هذا البيت وبضعة أبيات بعده. وقد أجريت تجربة: نظرت في بعض مواقع الإنترنت ورأيت كيف اختار بعضهم من هذه القصيدة. وقلت في نفسي: ولو اخترت أنا من هذه القصيدة بضعة أبيات، أو لو تأخر زمن أبي تمام وقبض له أن يختار منها، فلعله ولعلني لن نصنع أفضل مما صنع غيرنا.

ما الذي أدهش التبريزي حتى يقول عبارته البليدة: «أبو تمام في اختياره أشعر منه في شعره»؟ ومن هو التبريزي في ميزان النقد. ولماذا نكرر مثل هذه العبارة؟
بلادة!

لا، لم أعد شديد الفرح، أو الافتخار، بما صنعته لعرار وبعرار. قد صنعت ما يمكن أن يصنعه أي أحد. فشعر عرار سهل في لغته وفي معانيه. ولا يقتضي إلا أقل الجهد في الضبط والتشكيل، والشرح.

ومثلما فعلت مع عرار، مصطفى وهبي التل، شاعر الأردن الأشهر، فعلت مع غيره. وبقي عليّ أن أعض بنان الندم على عشرين أو ثلاثين مرة تحدثت فيها عن اختياراتي حديث المعجب بما صنع.

عرار

ولد «مصطفى وهبي» بن صالح التل لأسرة معروفة في مدينة إربد بشمال الأردن. أبوه متعلم، وفتح مدرسة. واستقى الشاعر علومه في مكتب عنبر بدمشق في أواخر سني الدولة العثمانية، وكانت بعض الدروس بالتركية، وكان متمرداً غريب الطباع، ونُقل إلى مدرسة بيروت ثم عاد إلى مكتب عنبر، واجتاز فحص الحقوق في الأردن. وعمل في التعليم في إربد بشمال الأردن، والكرك في جنوبه. وعندما كان في الخامسة والعشرين بدأ الحكم العربي في الأردن بمقدم الأمير عبد الله بن الحسين. وتولى الشاعر مهام إدارية عليا في عدة مناطق.

وخير من عرف نفسية عرار وشاعريته أمير البلد. كان عبد الله بن الحسين شاعراً، ومتذوقاً للشعر، وذو روح سمحة. وكان كثير الإنعام على الشاعر «النّهَاب الوّهَاب» بحسب قول الأمير. وسيعيش عرار ربع قرن في ظل الأمير عبد الله، (ثم ثلاث سنين وعبد الله ملك على شرق الأردن بعد الاستقلال الاسمي عام ١٩٤٦). ولا فرق بين عهد الإمارة والمملكة إلا في الاسم، فالإنجليز هم أصحاب الأمر وقائد الجيش منهم.

كان الأمير ينعم على الشاعر بالهبات ويرسل به إلى السجن أو المنفى.. مرة هكذا ومرة هكذا. فالشاعر طويل اللسان، منحرف في سلوكه، متمرد، سكير.

كان عرار يعرف قواعد الفارسية ويحتفظ بمعجم، وبهذا ترجم عدداً من رباعيات الخيام. لكنه كان يعرف التركية معرفة معقولة مكنته من الاستعانة

باللوائح القانونية. وكان يعرف العربية مما قرأ من كتب قليلة وما حفظ من شعر، لكنه قرزم طويلاً وهو يسدد ويقارب في اللغة والعروض، واشتد عوده فيهما متأخراً، لكنه مات ولما يأخذ نفسه بإتقان أداته الإتقان الذي يوجهه عليه اتباع الإرث الشعري الفصيح. لئن خسر من هذا الإهمال أشياء فقد أفاد أخرى. لم يكن واسع الحفظ، فنجا من التقليد، ولم يكن يعبر مسائل اللغة كبير اهتمام فقال شعراً على السجية، فما خلص من شعره من العلل فهو من الشعر الأصيل العالي.

قضى حياته بين النُدمان، وهم بالعشرات: بعضهم من موظفي الدولة، وكان يلتقي بهم في كوخ أعده أحدهم للشراب، فهذا «كوخ الندامى»؛ وبعضهم من أصدقائه الغجر الذين كان يرتاد مضاربهم في وادي الشتا، ووادي السير، وهما قرب عمّان، ووادي اليابس في الشمال قرب عجلون.

وقع أشعاره باسم عرار، لعل ذلك من البيت المنسوب للمجنون: (تمتع من شميم عرار نجد/ فما بعد العشية من عرار)، أو من بيت عمرو بن شأس: (أرادت عراراً بالهوان، ومن يرد/ لعمرى عراراً بالهوان فقد ظلم). وكان شاعرنا يعرف البيتين كما أخبرنا صاحبه ومترجمه يعقوب العودات في كتابه عن الشاعر.

وقد جمع عرار شعره في ديوان نوى أن يسميه «عشيات وادي اليابس»، ونُشر الديوان بعد موته بأربع سنين. لكن أكثر من نسخة صدرت بعد ذلك واحتوت على أبيات كثيرة لم ترد في النسخة الأولى. وأخذنا من نشرة زياد الزعبي. على أننا كنا قرأنا الطبعة الأولى في زمن غابر، ونسخنا منها أبياتاً، وانعقدت بيننا وبين هذه الأبيات صداقة عُمر. فإذا ما رأيتني شديد الحماسة لبعض الأبيات التي تجدها أنت ضعيفة فاعلم أن المشكلة فيّ، فما أصعب أن يفتك المرء من سحر أبيات عرفها في مقتبل العمر.

١ شامة الدنيا

بالنفس يا شيخُ مِنْ تَقَوَاكُ أَشْيَاءُ ضَاقَتْ بِهَا مِنْ فَسِيحِ الصَّدْرِ أَرْجَاءُ
يخاطب الشيخ عبد النجار، وقد جاء إلى الأردن من الحجاز مع الملك عبد الله ابن شريف مكة الحسين

يا شيخُ ما الْعِلْمُ؟ حَسْبُ الْمَرْءِ مَعْرِفَةٌ أَنْ الشَّفَاةَ بِوَادِي السَّيْرِ لَمِيَاءُ
وادي السير، على وزن الريم: مكان كان خویرج عمّان وصار دويخلها، وكانت تسكنه جماعة من النّور، الفجر، وشفاه فتاتهم لمياء، أي مسمرة

أَكْلَ يَوْمَيْنِ تَرْمِينِي بِمَوْعِظَةٍ قَضَافَصَةٍ نَسْجُهَا: فِقَهُ وَإِفْتَاءُ
موعظتك منسوجة طولاً بالفقهِ وعرضاً بالفتوى

دمشق! يا جنة الدنيا وشامتها إن لم يكن فيك عن لَمَيَاءِ أنباء..
ويا دمشق! يا جنة الدنيا وشامتها، أي خال الحسن الأسود في وجنة الدنيا، إن لم يكن فيك أخبار
عن المحبوبة التي اسمها «لمياء».. أليس كان أحلى لو قال: يا شام يا جنة الدنيا وشامتها؟ ربما
لم تخطر بباله، وربما رأى فيها تقعراً

فالقلب أشهى إليه منك بَلَقَعَةٍ مِنْ سَهْلٍ إِرِيدَ لَا عُشْبَ وَلَا مَاءَ
فأفضل منك بَلَقَعَةٍ، أرض جرداء، في سهل إريد، بشمال الأردن، خلت من العشب والماء

٢ أهكذا!

قالها، ١٩٣١، وهو في «مادبا» منفياً:

أهكذا! حتى ولا مَرَحَبَا لَلَّهِ أَشْكُو قَلْبِكَ الْقُلْبَا
الْقُلْبُ: المتقلب

أهكذا! حتى ولا نظرةً أَلَمَحُ فِيهَا وَمَضَى شَوْقِي خَبَا
خبا: خمد

أهكذا! حتى ولا لَفْتَةً أَنْسِمُ مِنْهَا عَرَفِكَ الطَّيْبَا
عَرَفَ: رائحة طيبة

نَاشِدْتُكَ اللّٰهَ، وَإِيَّامَنَا وَنَشْوَةَ الْحُبِّ بِوَادِي الصَّبَا
حلّفتك بالله وبأيامنا الماضيات وبنشوة الحب في زمن الصبا والشباب

وَعُصَّةَ الذِّكْرِ وَالْأَمَهَا وَحُرْمَةَ الْمَاضِي وَمَا غَيَّبَا
وحلّفتك بما تركته الذكري من مرارة في الحلق، وبحرمة الماضي وما غاب فيه من أمور كانت بيننا

لَا تَسْأَلِينِي أَيَّ سِرٍّ لَقَدْ أَحَالَ عُمْرِي خَاطِرًا مُرْعِبَا
عَمَّا نَ ضَاقَتْ بِي، وَقَدْ جِثْتُكُمْ أَنْتَجِعُ الْأَمَالَ فِي مَادَبَا

ضافت بي عمان وجثت أنتجع الأمال، أسمى وراء الأمل المنشود، في مادبا، القرية الأردنية

كَمْ رَصَعَتْ أَفْقِي نُجُومُ الْمُنَى ثُمَّ تَهَاوَتْ كَوْكَبًا كَوْكَبَا
ما أحلى هذه القصيدة! بعض حلاوة شعر عرار أنه قلما قلد الأقدمين

٣ وطأة الأربعين

أَهْوَى؟ وَلَاتَ الْيَوْمَ حِينَ تَصَابِ وَجَوَى؟ وَقَدْ غَمَزَ الْمَشِيبُ شَبَابِي
أَيُزَوِّنِي الْغَرَامُ؟ وَلَاتَ حِينَ تَصَابِ، أَي فَاتِ وَقْتُ اللَّهْرِ. أَيْعَتِرْنِي الْجَوَى، أَلَمْ الْفَرَاقُ؟ وَقَدْ غَمَزَ
الْمَشِيبُ شَبَابِي، لَكَزَهُ وَقَرَصَهُ قِرْصَةً تَأْنِيبَ

وَالْأَرْبَعُونَ بِقَضَائِهَا وَقَضَائِهَا جَسَمْتُ مُزْمَجِرَةً قُبَالَةَ بَابِي
سَنَ الْأَرْبَعِينَ بِقَضَائِهَا وَقَضَائِهَا، بِكُلِّ مَا فِيهَا، أَقَعْتُ تَزْمَجِرَ قُبَالَةَ بَابِ بَيْتِي تَهْدِدُنِي بِانْتِهَاءِ زَمَنِ
اللَّهْرِ

٤ مساورة الدهر

«أَشْرَبْتُ؟» إِي وَاللَّهِ إِنَّ-- إِي قَدْ شَرِبْتُ، وَسَوْفَ أَشْرَبُ
أَشْرَبْتُ؟ سَوَالُ اسْتِكَارِي كَثِيرًا مَا سَمِعَهُ الشَّاعِرُ وَهُوَ يَأْتِي مَجْلِسَ الْقَوْمِ مَتَوَحَّحًا سَكَرَانَ
الدَّهْرُ يَلْعَبُ بِي وَسَوْفَ بِهِ، بِفَضْلِ الْكَأْسِ، أَلْعَبُ

٥ أخو حانات

إِنِّي أَخُو طَرَبٍ أَعِيشْ لِأَنْتَشِي عِلَّ الزَّمَانَ يَدُوحُ مِنْ نَشَوَاتِي
سَكَرَانُ؟ قَدْ صَدَّقُوا وَرَبَّ مُحَمَّدٍ إِنِّي أَخُو طَرَبٍ فَتَى حَانَاتِ

٦ الوطن؟ البقاء في حياتكم!

هَاتِيهَا وَاشْرَبْ فَإِنَّ الْعَيْدَ فِضْحُ وَقَبِيحُ بِالْفَتَى فِي الْعَيْدِ يَضْحُو
إِنَّ هَذَا الْعَمَرَ لَيْلٌ مَا لَهُ يَا أَخِي فِي غَيْرِ أَفْقِ الْكَأْسِ ضُبْحُ
سَكِرَ الدَّهْرُ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَصْحُو وَالنَّدَى يَنْبَحِلُ وَالْجُودُ يَشِخُ
الزَّمَنُ سَكَرَانَ فَالْنَدَى، أَيِ السَّخَاءِ، يَقْلُ، وَالْجُودُ يَصْبِحُ نَادِرًا

وَأَنَا يَا سَيِّدِي الْمُفْتِي كَمَا قُلْتَ عَنِّي: حَيْثُ يَنْحُو الْحُبُّ أَنْحُو
ينحُو: يتجه

وَأَمَانِي شَبَابُ فَاتِهَا مَثَلَمَا فَاتَ بَنِي الْأُرْدُنِّ نَجَحُ
أَمْنِيَاتِي فِتْنَةٌ، وَقَدْ فَاتَهَا النَّجْحُ وَلَمْ تَحَقِّقِ الْمَرَادَ، مَثَلَمَا فَاتَ أَهْلَ الْأُرْدُنِّ تَحْقِيقَ أَمْنِيَاتِهِمْ
أَبْهَا الْبَاكِي عَلَى أَوْطَانِهِ لَا يَرُدُّ الرُّوحَ لِلْمَبِيتِ نَوْحُ

٧ اليهود والغنيمة

نشرت سنة ١٩٣٣ :

عَبُودُ شَيْخٍ اسْمُهُ عَبُودُ
وَفَقْهُهُ مُخْتَصَرٌ مُفِيدُ
مَوْضُوعُهُ: فِي الْجَنَّةِ الْخُلُودُ
حِصَّةُ مَنْ فِي جَيْبِهِ نَقُودُ
فِي مَوْطِنٍ سَكَائِهِ عَبِيدُ
هِيَ هَاتِ مَنِّي كُلُّ مَا أَرِيدُ
إِنْ فَازَ بِالْغَنِيمَةِ الْيَهُودُ
فَحَوْضُهُمْ لَا حَوْضَكَ الْمَوْرُودُ
فَلْيَهْنِكِ الْقِيَامُ وَالْقُمُودُ
فليهنك: هنيئاً لك

وَيَهْنِكِ الرُّكُوعُ وَالسَّجُودُ

٨ رثاء الهبر

أشيع، سنة ١٩٣٤، أن «الهرب» شيخ النور مات:

مُتَّ كَمَا شِئْتُ فَالْئَدَامَى بِلَهُوٍ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ عَلَيْكَ الْحِدَادُ
أَيُّ هَذَا التَّرَابُ بُورِكْتَ مِنْ قَا ضٍ لِأَحْكَامِهِ اسْتِرَاحَ الْعِبَادُ

٩ بعناه فباعنا

عبودُ قَالَ، فَمَا لَنَا وَمَقَالِهِ: الشُّكْرُ فِي نَظَرِ الشَّرِيعَةِ مُنْكَرُ
عبود: هو عبود النجار، الشيخ المفتي

وَالْخَمْرُ رِجْسٌ، وَالْكُؤُوسُ بِرَأْسِ مَنْ شَرَبُوا بِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ تُكْسَرُ
إِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ أَنْ يَقُولَ بِقَوْلِ شَيْخِكَ أَكْبَرُ
فَهَلُمَّ نَشْرَبْهَا فَلَوْنَ حَبَابِهَا ذَهَبٌ كَشَعْرِ الشَّرْكَسِيَّةِ أَشْقَرُ
هيا نشرب الخمر فلون حبابها، فقايعها ذهبي ك شعر الشركسية، الفتاة من الشركس، وهم بعض
أهل الأردن، وفيهم بياض بشرة وشقرة شعر

أَوَلَمْ تَرَ الْعُرَفَاءَ كَيْفَ تَهَوَّدُوا أَوَلَمْ تَرَ الْمُتَعَلِّمِينَ تَنْصَرُّوا

العرفاء: العارفون المثقفون

وَالْبَائِعِينَ بِبِلَادِهِمْ بِقِلَاصَةٍ قَدْ أَقْدَمُوا، وَالْمُخْلِصِينَ تَقَهَّقُوا؟

ألا ترى الذين باعوا بلادهم بقلاصة ظفر يتصدرون المجالس، والمخلصين لقضايا الوطن
يتراجعون؟

فَالْحُرُّ فِينَا لِلْعُلُوجِ مَطِيَّةٌ وَالْعَفْ مِنْنا لِلْيَهُودِ يُسْمِيرُ

أحرار الوطن ياتمرون بأمر العلوج، الإنجليز الذين كانوا يديرون للملك عبد الله إمارة شرق الأردن
جيشاً واقتصاداً، والعف منا، أي العفيف، يسمر لليهود ويتوسط للتسهيل لهم، ولم تكن لهم
آنذاك دولة فلسطين، وكان للأمير عبد الله لقاءات كثيرة مع زعمائهم

يُعْنَا الْعُرُوبَةَ بِالْوِظِيفَةِ، وَانْبَرَى لِيَبِيعَ غُورَ أَبِي عُبَيْدَةَ أَزْعَرُ

تصدى لمنح امتيازات في غور «أبي عبيدة»، حيث قبر الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح، قرب
مدينة السلط، أزعر.. والأزعر في كلام أهل الأردن هو القصير، ولم يكن في البلاد أقصر من
الأمير عبد الله بن الحسين

لَا تَعْجَبَنَّ لِفَعْلِنَا، فَنفُوسُنَا رَغَمَ الظَّوَاهِرِ بِالدَّنَاءَةِ تَزْخَرُ

يَا هَبْرُ يَا طَبَّالُ، يَا مَنْ قَوْمُهُ مِنْ كُلِّ سَفْسَظَةٍ تَغْلُ تَحَرَّرُوا..

يا هبر، والهبر زعيم النُّور، يا من قومه قد تحرروا من كل حذقة تغل المرء وتقيد..

إِنَّا عَلَى مَا قَدَّرُوهُ لِشَأْنِنَا مِنْ قِيَمَةٍ مِنْ شَيْعِ نَعْلِكَ أَخْقَرُ

اعتبارنا عند الإنجليز أقل قيمة من شيع نعلك، أي من السير الجلدي الذي على وجه النعل

حَاكَ الصَّغَارُ لَنَا رِدَاءَ رِثَاسَةٍ يَلْهُو بِقَرْضِ خُيُوطِهِ الْمُسْتَعْمِرُ

الصغار والذل قد نسج لنا ثوباً من الرثاسة، فزعم بعضنا أنهم يتصدرون للزعامة، ولكن المستعمر
يتسلى بقرض خيوط هذا الثوب وإفراغ رئاستنا المزعومة من محتواها

يَا هَبْرُ! هَاتِ لِي الرِّبَابَةَ وَانْطَلِقْ بِي حَيْثُ قَوْمُكَ أَسْهَلُوا أَمْ أَصْحَرُوا

هيا لنذهب ومعنا الربابة إلى قومك.. أكانوا في السهل أم في الصحراء. وكان النور ينشدون
أغانيهم على أنغام الربابة، واندمجوا بشكل حسن في المجتمع الأردني الذي منحهم المواطنة
والاستقرار

أَنَا مِثْلُكُمْ أَصْبَحْتُ لَا أَرْضَ، وَلَا أَهْلَ، وَلَا دَارَ، وَلَا لِي مَفْشَرُ

١٠ نفسي خضراء

ظَبَبَاتٍ وَادِي السَّيْرِ هَلْ نَفَرْتُ مِنْ مِزْبَكَنَّ الظَّبَبَةِ السَّمَرَا؟

يا فتيات وادي السير، وكان هذا الوادي قرب عمان ودخل الآن فيها، هل شردت الفتاة السمراء من السرب؟

فَهِيَ الَّتِي خَطَّتْ أَنْامِلُهَا فِي مِيفْرِ حُبِّي آبَةً عَرًّا
وَتَلَّتْ عَلَيَّ مِنَ الْهَوَى سُوْرًا رَتَّلْتُهَا مُتَرَنِّمًا شِعْرًا
وَمَضَيْتُ أَسْأَلُ كُلَّ فَاتِنَةٍ كَرَمًا وَجُودًا نَظْرَةً شَزْرَى
أتسول من كل فاتنة نظرة، ولو شزرى، أي غاضبة

رِيَاءَةَ الْأَلْحَاطِ مِنْ حَوْرِ زِيْدِي رِسَالَةً حُبَّنَا مَطْرًا

يا من تلمع ألحاطها، عيناها، بمائهما وبما فيها من حور، شدة سواد في شدة بياض واصلي معي درب الغرام

مَا زَالَ قَلْبُكَ مَا يَزَالُ بِهِ رَمَقٌ، وَنَفْسِي لَمْ تَزَلْ خَضْرَا

ما زال في قلبك رمق، بقية حياة، ونفسي ما زالت خضراء، والنفس الخضراء هي المقبلة على الغرام.. وقالوا أيضاً عن الكهل المتطلع إلى زواج أو غرام إن نفسه «طرية»

سَكْرَانَةَ الْأَلْحَاطِ مَرْحَمَةً حَنِيَّ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ سَكْرَى
وَإِذَا مَدَدْتُ إِلَى يَدَيْكَ يَدِي فَتَلَمَّسِي لِتَسْؤُلِي عُذْرًا
فَحَيَاةُ أَمْثَالِي إِذَا صَفِرَتْ مِنْ عَظْفٍ مِثْلِكَ أَصْبَحْتَ صِفْرًا
صفرت: خلت

هَلَا أَتَقَيَّتِ اللَّهَ فِي كَبِدٍ حَرَّى، وَعَيْشٍ لَمْ يَزَلْ مُرًّا
وَنَابَةَ النَّهْدَيْنِ حَاجَتُنَا لِزَكَاةِ حُسْنِكَ لَمْ تَعُدْ سِرًّا
يطالها أن تدفع له زكاة عن جمالها.. قبله مثلاً

شِبْنًا وَحُبُّكَ مَا يَزَالُ فَتَى غَضَّ الْإِهَابِ يُغَازِلُ الدَّهْرَا
غض الإهاب: طري الجلد

١١ الحال الماشية

أَصْبَحْتُ أَشْرَبُ كُنْيَاكَ وَيَشْرُنِي وَلَسْتُ أَدْرِي لَعَمْرِي أَيُّنَا سَكِرَا
الكنياك شراب يجلب الدفء للجسم والصداع للرأس

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ حَالِي أَمَاشِيَّةٌ؟ فَقُلْ لَهُمْ: إِنَّهَا تَمْشِي بِهِ لَوْرًا

١٢ بين الخرابيش

لَيْتَ الْوَقُوفَ بِوَادِي السَّيْرِ إِجْبَارِي وَلَيْتَ جَارَكَ يَا وَادِي الشَّنَا جَارِي

كان قوم من النُّور، عَجَر بلاد الشام، يسكنون وادي السير ووادي الشنا، وكانوا أهل طرب وغناء، وكان الشاعر لا يطباً بمضاربهم لا يكاد يفارقها

ظَنَنْتَنِي جُرْتُ عَنْ طَرْدِ الْهَوَى، فَإِذَا حِسَابُهُ لَمْ يَزَلْ فِي دَفْتَرِي جَارِ
طرد الهوى: صيد الحسان. والحساب الجاري في دفتر البقال حساب مفتوح يشتري صاحبه الأشياء ويدفع لاحقاً

وَمَا تَوَهَّمْتُهُ زُهْدًا وَرُحْتُ بِهِ أَعْلَلُ النَّفْسَ غَيْرُ الْوَاقِعِ الْجَارِي
زهدي الوهمي الذي خدعت به نفسي مختلف عن حقيقة مشاعري

يَا هَبْرُ، هَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ بَارِتَنَا وَخَالِقَ الْكَرَمِ، رَبِّ جِدُّ غَفَّارِ
هات شرابك يا هبر، يا زعيم النور، فالله، الذي خلق كروم العنب التي تؤول إلى خمر، غفور

وَصَاحِبِ مَنْ بَنَى النَّجَارِ عَمَّتُهُ كَأَنَّمَا هِيَ بَارَاشُوتُ طَيَّارِ
رب صاحب من بني النجار، وهو المفتي عبود النجار، له عمامة كبيرة كأنها مظلة

يَرَى مَوَاعِظُهُ وَقَفَا عَلَى أَدْنِي وَأَنَّ رَأْسَ الثُّقَى زَجْرِي وَإِنذَارِي
كَأَنَّ عَمَّانَ لَمْ تَعْرِفْ أَخَا طَرَبِ غَيْرِي يَحُجُّ إِلَى حَانَاتِ خَمَّارِ
الناسُ قَالُوا، وَهَبْهُمْ يَا أَخِي غَرِقُوا فِيمَا يُخَوِّضُونَ مِنْ شَتْمٍ وَإِهْجَارِ
إهجار: هُجِرَ القول وفُحِشَ

فَمَا لِأَهْوَائِهِمْ شَأْنٌ يَزِيدُ عَلَى شَأْنِ الْأَثَافِيِّ بَيْنَ الْقِدْرِ وَالنَّارِ
أهواء الناس وآراءهم لا قيمة لها سوى قيمة الأثافي، أي حجارة الموقد، وليس لحجارة الموقد من قيمة سوى الإسناد، فالقيمة الحقيقية هي للنار وللقدر

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا عَبْدٌ وَلَا أَمَةٌ وَلَا أَرْقَاءُ فِي أَزْيَاءِ أَخْرَارِ
الخرابيش: بيوت النور

وَلَا جُنَاةٌ وَلَا أَرْضٌ يُضَرَّجُهَا دَمٌ زَكِيٌّ، وَلَا أَخَذَ بِالنَّارِ
العلاقات بين النور سهلة، فلا قتل ولا جنایات لاكتشاف علاقة بين شاب وفاتة

وَلَا نُضَارُّ وَلَا دَخَلُ ضَرِيبَتُهُ تُجْبَى، وَلَا بَيْدَرُ يُمْنَى بِعَشَارِ

وليس عندهم نضار، أي ذهب، ولا ضريبة دخل، وليست لهم زراعة ويبدل حصاد يمى، أي يتلى، بعشار يفرض ضريبة مقدارها عُشر المحصول

الْكُلُّ رُطٌّ، مُسَاوَاةٌ مُحَقَّقَةٌ تَنْفِي الْفَوَارِقَ بَيْنَ الْجَارِ وَالْجَارِ

الزط: قوم عاشوا على الهامش الاقتصادي لمجتمعات عربية وغير عربية منذ القدم

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا كِذْبَ وَلَا مَلَقٌ وَلَا وُشَاةٌ وَلَا رُؤَادُ أَخْبَارِ

ملق: تملق، رواد أخبار: ناس يتسقطون الأخبار ويتسلون أو يتاجرون بها

وَلَا جَوَاسِيسَ أَنَّى سِرْتُ لِحَقْنِي أَوْعَادُهُمْ خِلْسَةً يَفْقُونَ أَثَارِي

بَيْنَ الْخَرَابِيشِ لَا حِبْرَ وَلَا وَرَقٌ وَلَا يَرَاعُ وَلَا تَذْوِينُ أَسْفَارِ

يراع: قلم

يَا بِنْتُ! وَاوِي الشَّتَا هَسَّتْ خِمَائِلُهُ لِعَارِضٍ هَلَّ مِنْ وَسْمِي مَبْدَارِ

يا بنت، لقد انحت خمائل وادي الشتا، نباتاته، لعارض هل، لسحاب ظهر، من وسمي مبدار، من مطر ربيعي باكر

دَعِيَ الْمَدِينَةَ لَا يَخْدَعُكَ بِاطْلُهَا فَزَيَّفَهَا بَيْنَ مِنْ غَيْرِ مِنْظَارِ

خَدَاكَ يَا بِنْتُ مِنْ دَخْنُونٍ دِيرَتِنَا سُبْحَانَهُ بَارِي الْأُرْدُنِّ مِنْ بَارِي

الدخنون: زهر أحمر، وسماه بعضهم الصاقصلي، وبعضهم الحئون

١٣ صحبة الكاس

لِلشَّيْخِ عَبُودَ - لَا رَثْتُ عِمَامَتُهُ - وَغَطَّ أَضْيِقُ بِهِ دَرْعاً وَجُلَاسِي

«لا رثت عمامته» أي لا اهترأت، دعاء طريف لشيخ

يَا شَيْخُ دَغْنِي مِنَ التَّقْوَى وَالْتِهَا إِنِّي اسْتَعَضْتُ عَنْ الْأَذْكَارِ بِالْكَاسِ

الأذكار: الابتهالات

١٤ رضعت هواها

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُضْنِي مُرَوِّعُ تَشَوُّقِكَ أَوْطَانُ وَتُضْبِكَ أَرْبُعُ

مضنى: مريض بالحب، مروع: خائف من الفراق، تضيبك أربع: تشوقك مواضع وتجعلك تحن إليها

تَعَشَّقَتْهَا طِفْلاً صَغِيراً كَأَنَّمَا رَضِغْتَ هَوَاهَا قَبْلَمَا كُنْتَ تَرْضَعُ

١٥ أنا شاعر الأردن

رثاء فؤاد ابن عم الشاعر:

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَا تَطْيِشُ سَهَامُهَا فَابُنُ الْقَصُورِ يَمُوتُ كَابْنِ الشَّارِعِ
قَدْ قَارَعَتْنِي الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَنْلُ مِنِّي خَلاً إِرْغَامَ أَنْفِ مُقَارِعِي
حَارِبَتِي الْمَصَائِبُ، وَلَمْ تَلْ مِنِّي، لَمْ تَضْعَعْنِي، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنَهَا أَذَلَّتْ خَصْمِي عِنْدَمَا رَأَيْتِي صَامِداً

لَكِنَّ فَقْدَكَ يَا فُؤَادُ، وَإِنْ يَكُنْ أَجْلاً دَنَا، سَيَظَلُّ شَرٌّ فَوَاجِعِي
حَتَّى الْقُبُورُ تَجُوعُ، تِلْكَ عَجِيبَةٌ وَبَحَّ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ الْجَائِعِ
أَفُؤَادُ جِئْتُكَ لِلْسَّلَامِ فَحَيِّنِي وَاجْتَنَحْ حُدُودَ الرَّمْسِ إِنْ تَكُ سَامِعِي
يريد أن يجتاح حدود الرمس، أي القبر

أَنَا مُصْطَفَى وَهَبِي، أَتَعْرِفُ مَنْ أَنَا؟ أَنَا شَاعِرُ الْأُرْدُنِّ غَيْرِ مُدَافِعٍ
غير مدافع: غير منازع.. لا ينازعه أحد في دعواه

قَدْ جِئْتُ أَسْتَجِدِيكَ رَدَّ تَحِيَّتِي رَدَّ التَّحِيَّةِ، عَلَّ رَدَّكَ نَافِعِي

١٦ حب الشركسية

خَلِيلِي حُبُّ الشَّرْكَسِيَّةِ شَفَّنِي وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ حُبٍّ عَلَى وَرَقٍ
غيرها ناشر الديوان وجعلها «غير حبر على ورق» قائلاً إنها «خطأ واضح». ربما كان محقاً. لكن
يعقوب العودات في كتابه يجعلها «حب على ورق»، وأحيانا أن نكسر الحاء، فالحب هو الحبيب،
وهي بكسر الحاء أقرب إلى «حبر»، وبذلك تتم النكتة

وَلَمْ يُبْقِ مِنِّي غَيْرَ رَسْمٍ تَرَوْنَهُ وَقَلْبٍ لِغَيْرِ الشَّرْكَسِيَّةِ مَا خَفَقَ
رسم: طلل، آثار منازل

١٧ الحياة كؤوس

قَسْماً بِوَادِي السَّيْرِ وَالْبَلَدِ الَّذِي فِيهِ الْحَسَانُ نَصَبَنَ لِي أَشْرَاكَ
وادي السير: موضع قرب عمان كانت فيه مضارب للنور، أشراك: مصائد

إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْكُؤُوسُ وَرَبِّمَّا كَانَ الضَّلَالُ بِهِنَّ بَعْضَ هَذَاكَ

وَشَرِبْتُ كُنْيَاكَ وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لَا عَاشَ مَنْ لَا يَشْرَبُ الْكُنْيَاكَ

الكنياك: من المسكرات الردئة

١٨ من أنا لولاك؟

صَرَغَتْهُ بَعْدَ تَطَاحُنٍ وَعِرَاكِ لُغَةُ الْعَيُونِ وَجَرَعَةُ الْكُنْيَاكِ

الكنياك: مسكر رديء

يَا ظَبِيَّةَ الْوَادِي، وَمَا الْوَادِي إِذَا لَمْ تُؤْنِسِيهِ؟ وَمَنْ أَنَا لَوْلَاكِ؟

١٩ ما تحرك

يَا شَيْخُ اكْفِ الطَّبَّ شَرِّكَ فَالطَّبُّ لَيْسَ يُقِيمُ أَمْرَكَ

أصيب الشيخ فؤاد الخطيب بارتخاء! والتمس علاجاً يقيم ما ارتخى منه، وكلمة أملك في البيت دخلها تصحيف فمن شاء صححه ومن شاء تجاهله. أردنا أن نتأدب ونتجاهل مثل هذا الشعر، ثم رأيناه أنشد في حضرة أمير البلاد.. فقلنا: لا والله لا نكون أتقى من ابن شريف مكة!

تَاللَّهِ لَوْ شَاءَ الْمَسِيحُ حُجَّ لَهُ حَرَكَاتُ مَا تَحَرَّكَ

ومما نقل أن المسيح أقام المقعدين وشفى المرضى

فَأَرِخْ أَطِبَّاءَ الْمَدِينِ خُذْ، وَاكْفِهِمْ يَا شَيْخُ شَرِّكَ

٢٠ هَبَّ الْهَوَا

هَبَّ الْهَوَا وَشَجَاكَ أَنْ نَسِيَمَهُ فِي ضَفَّةِ الْأُرْدُنِّ رِيحَ سُمُومٍ

هب الهواء وأحزنك أنه في ضفة نهر الأردن الشرقية كان ربح سموم عاتية رملية

وَأَنَا وَأَنْتَ أَذَلُّ مِنْ وَتْدِي، وَمِنْ غَيْرِ بِإِسْطَبْلِ الْهَوَانِ مُقِيمٍ

يضربون المثل بذلة الوند الذي يدق على رأسه دقاً في الأرض، والغير الحمار، وهو هنا ماكت في إسطله مهاناً

وَالشَّعْبُ أَضْيَعُ عِنْدَهُمْ مِنْ سَائِلٍ قَلْبِ يَمُدُّ ذِرَاعَهُ لِلنَّيْمِ

سائل: متسول

يَا مُدَّعِي عَامِ اللُّوَاءِ بَلَاؤُنَا سَيَظَلُّ مَهْمَا خَصَّصُوهُ عُومِي

المدعي العام: النائب العام

خَلَّ الْجَرِيمَةَ، إِنَّ سِرَّ وَقُوعِهَا لَوْ رُخْتَ تَنْشُدُهُ تَجِدُهُ حُكُومِي

تنشده: تطلبه

لَا يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ يَا ابْنَ أَخِي إِذَا مَا كَانَ أَصْلُ الْعُودِ غَيْرَ قَوِيمٍ
لَا يَسْتَقِيمُ النَّاسُ مَا دَامَ الْأَصْلُ، أَيِ الْحَكَمِ، مَنْحَرَفًا.. فكيف يستقيم الظل والعود غير مستقيم؟

زَيْتُونُ بُرْمَا رَغَمَ أَنْفِكَ دَاشِرٌ مَا زَالَ وَهُوَ كَذَاكَ مِنْذُ قَدِيمٍ
أشجار الزيتون في منطقة برما عند عجلون مفرقة في الجبال وداشرة، مشاع لمن يقطفها، وهذا شأنها من قديم. والمثل الأردني يقول: «زيتون برما داشر، وتعيشوا يا هَمَل». والمغزى أن الأمور في البلد سائبة كزيتون برما

هَبَّ الْهَوَا، وَأَنْتَ يَهْمُنَا قَبْضُ الْمَعَاشِ بِيَوْمِهِ الْمَعْلُومِ
مَا كَانَ فِي الْأُرْدُنِّ مِنْ رَجُلٍ لَهُ صِفَةُ الرَّجُولَةِ فِي ثِيَابِ زَعِيمٍ
ليس في الأردن زعيم يتصف بالرجولة

وَحُكُومَةُ السُّفَهَاءِ لَمْ نَعْرِفْ لَهَا وَجْهًا بِهَذَا الْمَوْطِنِ الْمَشْؤُومِ
حكومتنا لها ألف وجه فلا نعرف ماذا تريد

بَاعُوا الْبِلَادَ وَحَضَرْتِي وَجَنَابُكُمْ لَكِنْ بِلَا ثَمَنِ، إِلَى حَايِيمِ
حاييم اسم عبري، رمز لليهود فلسطين. وكان للحكم في إمارة شرق الأردن علاقات بالمستوطنين اليهود إبان الانتداب البريطاني على البلدين

٢١ زمن صعلوك

لَمَّا وَجَدْتُ مَكَارِمَ الْـ أَخْلَاقٍ فِي الدُّنْيَا كَلَامِ
وَرَأَيْتُ أَنَّ الْمَيْنَ وَالْـ ذُلَّيْسَ أَوْفَى بِالْمَرَامِ
لما رأيت المين، الكذب، والتدليس، إخفاء الحق، أحسن تحقيقاً للغايات

حَرَرْتُ نَفْسِي مِنْ قِيَوِ فِي الْفَضْلِ فِي عُرْفِ الْكِرَامِ
وَزَجَجْتُهَا فِي زُمْرَةِ الْـ مُتَصَعِّلِكِينَ مَعَ الطَّغَامِ
أدخلت نفسي في عصبة الصعاليك مع الطغام، الدهماء

وَأَهْبْتُ بِالسَّاقِي أَنْ اسْـ رِغْ بِالسَّلَاقَةِ يَا غَلَامِ
السلافة: الخمر

إِنَّ الْقَدَاسَةَ لَو تَقِيَّ يَا شَيْخُ مِنْ وَقَعَ السَّهَامُ ..

لو أن القداسة تقي وتحمي من السهام ..

مَا اسْتُهُدِفَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ مُمْ لِمَا تَرَى، وَخَلَاكَ ذَامُ

لما استُهدف البيت الحرام بمكة، واستولى عليه الحكم السعودي من شريف مكة الحسين بن علي عام ١٩٢٤، وخلاك ذام .. دعاء .. أي عدّاك العيب

فَأَقْصِرْ حَدِيثَ الْفِقْهِ يَا عَبُودُ لَا تَزِدِ الْمَلَامُ

فيا شيخ عبود، أيها المفتي الذي هجر الحجاز إلى الأردن مع الأمير عبد الله، كف عن التكلم بالفقه ولا تكثر من اللوم

وَإِذْهَبْ وَدَغْنِي اسْتَضِيَّ ءُ بِنُورِ رَاقِصَةِ الظَّلَامِ

وَتَمَايَلْتُ فَأَمَالَ عَفُ لِي فِي تَنْنِيهِ الْقَوَامِ

يَا بِنْتُ يَا مَنْ أَمْرُهَا لِمَا تَعَاوَجَتْ اسْتَقَامِ

عندما تمايلت الراقصة استقام أمرها وكانت في أحسن حالاتها

لَوْ لَا الرِّغِيفُ وَفَقُرُّ أَهْ لِيكَ وَاحْتِيَاجُكَ لِلطَّعَامِ

هَلْ كُنْتَ تَرْضَيْنَ الْحَيَا ةَ كَذَا، وَفِي هَذَا الْمَقَامِ

يَا لُقْمَةَ الْخُبْزِ الَّتِي أَشَقْتُ بِحَاجَتِهَا الْأَنَامِ

٢٢ الحور العين

هَبْلَتْكَ أُمُّكَ، وَالْحَدِيثُ شَجُونُ ظَبَيَاتُ وَادِي السَّيْرِ حُورُ عَيْنُ

تكلتك أمك .. انظر إلى العجريات من فتيات «وادي السير» فهن كالحور العين

سَلَمَى! بِمَا حَصَّ قَدْ تَأَلَّقَ مَوْهِنَا بَرَقُ، وَبَلَّ تَرَى الْفُحْصِصَ هَتُونُ

يا سلمى! يا فتاة ماحص، وهي قرية قرب عمان، قد تألق ليلاً برق، وبلى تراب الفحص، قرية أخرى، سحاب هتون، ماطر

هَلْ تَذْكُرِينَ تَذَلُّهِي وَتَوَلُّهِي بِكِ، وَالْحَيَاةُ كَمَا أُرِيدُ تَكُونُ

أتذكرين هيامي بك أيام كانت الحياة تجري على هواي

وَدَوَائِبِي لَمْ تَشْتَعِلْ شَيْبَاً، وَلَمْ تَزَحَفْ عَلَيَّ، وَقَدْ كَبِرْتُ، غُضُونُ

وخصلات شعري لم تكن قد شابن، ولم تزحف عليّ، وقد كبرت، غضون

٢٣ التوبة

كتب في منقاه بالعقبة:

أَمْوَلَانَا، أَمْوَلَانَا! هَجَرْنَا الدَّنَّ وَالْحَانَا
يا مولانا الشيخ! قد هجرنا الدن، جرّة الخمر، والحانة

وَبُدِّلْنَا مِنَ الْمَنْظُورِ مِ وَالْمَنْشُورِ قَرَأْنَا
ولم نعد ننظم شعراً ولا نكتب نثراً، فكل كلامنا صار قرآناً

كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ بِالْأَمِّ سِ مِنْ سُكَانِ عَمَّانَا
طال مكنتنا في المنفى بالعقبة، فكاننا لم نكن نسكن العاصمة عمان

وَلَمْ نَسْحَبْ لِكُلِّ هَوًى بِوَادِي السَّيْرِ أَرْدَانَا
وكاننا لم نسحب أرداننا، أكماننا، لكل غرام يلوح لنا في «وادي السير» قرب عمان

وَلَا فِي جُرْعَةِ الْوِسْكِ - قَدْ أَغْرَقْتُ أَحْزَانَا
وكانني ما كنت أغرق أحزاني في كأس الوسكي

أَمْوَلَانَا، أَمْوَلَانَا بِأَيْلَةٍ طَالَ مَثْوَانَا
طال مثواي، مكوثي، منقياً في أيلة، العقبة

وَكَمْ بِالْحِصْنِ فَايِنَةٍ تَذُوبُ أَسَى لِذِكْرَانَا
ما أكثر الفاتنات في قرية «الحصن» اللائي يذبن حزناً لذكرى وصالنا

نَظُنُّ وَقَدْ أَطْلَّ الصَّيْفُ - فُ أَنْ لِقَاءَنَا حَانَا
الفاتنة منهن تظن أن اللقاء قد حان مع قدوم الصيف

تَسَائِلُ مَنْ تُصَادِفُهُ: رُجُوعُ عَرَارٍ هَلْ آتَا
آن: أرف وحلّ وقته

فَقُلْ لِلشَّوْقِ أَهْلُ الدَّوِّ قِ مَا اهْتَمُّوا بِشُكُونَانَا
وأبلغ شيخنا عبّو دعنا بعض ما كانا

لِنَسْتَفْتِيهِ هَلْ صَحَّتْ بِهَذَا الشَّكْلِ تَقْوَانَا؟
فهل صحت تقوانا بهذه التوبة يا شيخ عبود؟

٢٤ توبة عن التوبة

وَهَمَّتْ فَلَيْسَ مَا سَمَّيْتُ تَهُ الْإِيمَانَ إِيْمَانَا
أَنْتَ وَاهِمٌ يَا عَرَارِ فَلَيْسَ إِيْمَانُكَ هَذَا صَحِيحاً

وَذُو الشُّوقِ الْقَدِيمِ إِذَا تَذَكَّرَ عَادَ وَلَهَانَا
فَدَغَ عَنْكَ الْهُرَاءَ، وَقُمْ نُذِغْ لِلنَّاسِ إِعْلَانَا
أَلَا مَنْ يَشْتَرِي بِالْحَا نِ، وَالْأَلْحَانِ تَقْوَانَا
من يبادلنا فياخذ تقوانا ويمتحن الحانة والغناء؟

بِسْفَرِ صَلَاةٍ أُسْبُوعٍ بِبَعْضِ الْكَاسِ مَلَانَا
نصلي أسبوعاً مقابل بعض الكأس

لَوْ أَنِّي أَرَأَسُ الْوُزَرَ أَوْ قَاضٍ كَمَوْلَانَا
لَأَلْعَيْتُ الْعِقَابَ، وَلَمْ أَدْعُ لِلنَّفْسِ إِمْكَانَا
أَمَّا وَأَنَا مَنْ اتَّخَذُو هُ لِلْإِرْهَاقِ مَيْدَانَا..
وبما أنني أصبحت مطية لأحكامهم التي ترهقني..

فَهَاتِ الْكَاسَ مُثْرَعَةً مِنَ الصُّهْبَاءِ أَلْوَانَا
فهات الكأس مملوءة من الصهباء، أي الخمر، بأنواعها

وَقُلْ إِنْ قِيلَ لَا عَفْوَ لَعَلَّ الْعَفْوَ لَا كَانَا
ولست بحاجة لعفوهم عني وردي من منفاي

فَعَيْنُ الْعَزْمِ تَرْمُقُنَا وَعَيْنُ الْحَزْمِ تَرَعَانَا
وَلُظْفُ الْكَاسِ إِثْرُ الْكَأ مِنْ نَشْرِبُهَا تَوَلَّانَا
فَحَسْبِي بِالنَّخِيلِ الْبَا سِقِ الْقَيْنَانِ جِيرَانَا
وأنا راض بنخيل العقبة الفينان، العالي الظليل

وَبِالنُّورِيَّةِ الْحَسَنَا وَالصَّحْرَاءِ نُذَمَّانَا

٢٥ الدارعة

قَدْ أُعْطِيَ النَّاسُ مَا شَاءُوا وَمَا رَغَبُوا أَمَّا الرَّزَايَا فَكَانَتْ مِنْ عَطَايَانَا
الرزايا: المصاب

مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنَّ الْعُرْبَ يَخْذَعُهُمْ مَنْ كُنْتَ تَحْسَبُهُمْ لِلْعُرْبِ أَخْدَانَا؟
من ذا ظن أن العرب سيخدعهم من كانوا لهم أخداناً، أصدقاء؟ فالإنجليز خدعوا الشريف حسين
بعد الحرب العالمية الأولى ولم يمنحوه دولة عربية يحكمها

أَبَا ظَلَالٍ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَائِدُنَا نَعْدُو إِلَيْكَ إِذَا مَا الدَّهْرُ عَادَانَا
يا أبا ظلال، الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، نأتيك عندما يعادينا الزمن

فَخُذْ بِأَيْدِينَا يَا ابْنَ النَّبِيِّ وَثُبْ فَإِنَّكَ الْيَوْمَ بَعْدَ اللَّهِ مَلْجَانَا
فساعدنا، وأنت من سلالة النبي، واقفز لدفع الظلم

أَطْلَالُ يَا فَا وَحَيْفَا أَمْسِ بَرَقُفُهُمَا قَدْ رَفَّ وَهْنًا فَأَشْجَانَا وَأَبْكَانَا
قد رأينا أمس برقاً يلمع من جهة يافا وحيفا بفلسطين فأحزننا

يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَلَمْ، عَنْ أَهْلِ أُنْدُلُسٍ، تَأْتِيكَ دَارِعَةٌ تَرَوِي حَكَايَانَا؟
ألم تأت امرأة من الأندلس المفتتحة وهي لا تلبس إلا درعها، ثوبها الداخلي، لتروي ما يحدث؟
وكان يأتي رجال ونساء من الأندلس يروون قصصاً عن فظائع الغزاة أيام سقوط الأندلس. ويقولون
عن المرأة التي تخرج من بيتها مكشوفة الفرع، أي الشعر، ولباس البيت: خرجت فازعة دارعة

٢٦ بالماء والصابون

لَا تَذْهَبَنَّ إِلَى مَعَانَ فَمَا بِهَا مِنْ وَاضِحِ النَّشَوَاتِ غَيْرُ ظُنُونٍ
معان: بلدة بجنوب الأردن، النشوة: السكر

يَا قَائِدَ الدَّرَكِ الْمُلَمَّعِ سَيْفُهُ بِالماءِ وَالْإِسْفَنْجِ وَالصَّابُونِ
الدرك: شرطة الحدود

حَسْبِي مِنَ الْمَاضِي وَمِنْ أَحْلَامِهِ ذَكَرَى تَوَامُضُ بَرَقِهَا يُشْجِينِي
توامض: لمعان

وَأَقْصُرُ مَلَامَكَ، إِنَّنِي رَجُلٌ لَقَدْ بِالكَاسِ بَعْتُ خَوَابِيَّ مِنْ دِينِي
الخوابي: جرار الخمر الكبيرة... وهي الدنان

٢٧ باب العفو

إِنَّ الزَّمَانَ، وَلَا أَقُولُ زَمَانِي، بَيْنَ الطَّوَابِعِ وَالرُّسُومِ رَمَانِي
الطوابع: طوابع الواردات التي يلصقونها على المعاملات الرسمية، والرسوم: ضرائب المعاملات.
وكان شاعرنا موظفاً

وَأَحَالَ لَذَاتِي وَسَاوِسَ حَاسِبٍ يَهْذِي بِضَرْبِ ثَلَاثَةِ بَثْمَانِ
فَانْظُرْ إِلَى التَّدْمَانِ كَيْفَ تَفَرَّقُوا بَعْدِي، وَكَيْفَ عَلَا الْغِبَارُ دِنَانِي

الدنان: جرار الخمر

وَالِي قَرِيضِي كَيْفَ أَصْبَحَ تَافِهًا وَالِي بَلِيغِ الْقَوْلِ كَيْفَ عَصَانِي

قريضي: شعري

يَا أُخْتَ سَلَمَى فِي غِنَاكَ عُذُوبَةٌ تُبْكِي وَيُغْرِقُ دَمْعُهَا أَخْزَانِي
أَهْلُوكَ قَدْ جَعَلُوا جَمَالَكَ سِلْعَةً تُشْرَى، وَبَاعَ بَنُو أَبِي أَوْطَانِي
وَذُؤُوكَ قَدْ مَنَعُوكَ كُلَّ كَرَامَةٍ وَأَنَا كَذَلِكَ حَارِسِي سَجَانِي
يَا بِنْتُ! تَحْقِيقُ الْعَدَالَةِ رُكْنُهُ وَلَعُ الْقُضَاةِ بِرَاحَةِ الْوُجْدَانِ
وَلَعِي بِكَاسٍ فِي ارْتِشَافِ رَحِيقِهِ سُكَّرٌ يُحِيلُ النَّائِبَاتِ أَمَانِي

ولع القضاة براحة الوجدان كولعي بالكأس التي رفف خمرها سكر يجعل المصائب أمنيات جميلة

وَيُرِيكَ فِقْهَ الشَّيْخِ أَقْوَالًا بِهَا مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ
فَلِذَا جَهَنَّمُ جَنَّةٌ، وَإِذَا الْأَسَى نُعْمَى، وَإِذَا نُوبُ الزَّمَانِ أَغَانِ

النوب: المصائب

وَإِذَا بِعَفْوِ اللَّهِ يَفْتَحُ مُغْلَقًا عَبُودُ أَوْصَدَهُ عَلَى الْغُفْرَانِ
يَا شَيْخُ، قَوْلُكَ «مَا أَشَدَّ عِقَابَهُ» عَمَزُ بِوَضْفِ الرَّاحِمِ الرَّحْمَنِ

حديثك أيها الشيخ عن عقاب الله تعريض برحمته

يَا رَبِّ إِنْ بَلَقُورُ أَنْقَذَ وَعْدَهُ كَمْ مُسْلِمٍ يَبْقَى وَكَمْ نَضْرَانِي
وَكَيَانُ مَسْجِدِ قَرَيْتِي مَنْ ذَا الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ إِذَا أُزِيلَ كِيَانِي
هَاتِ اسْقِنِي قَعْوَارَ، لَيْسَ يَهْمُنِي قَوْلُ الْوُشَاةِ: عَرَارُ سَكَرَانَانِ

قعووار: صاحب حانة في عمان.

فَالكَاسُ لَوْلَا الْيَأْسُ مَا هَشَّتْ لَهُ كَيْدٌ وَلَا حَدَبَتْ عَلَيْهِ يَدَانِ

حدبت: انحنت عطفًا

٢٨ القاضي والمرابون

قولوا لِعَبُودَ عَلِّ الْقَوْلِ يَشْفِينِي إِنَّ الْمُرَابِينَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ
قولوا للمفتي عبود إن المرابين إخوان الشياطين

أَسْجُنُ النَّاسَ إِرْضَاءَ لِخَاطِرِكُمْ وَخَشْيَةَ الْعَزْلِ مِنْ ذَا الْمَنْصِبِ الدُّونِ؟
وأنا بوصفي قاضياً لن أسجن الناس الذين تخلفوا عن سداد ديونهم للمرابين ولست أخشى العزل
من هذا المنصب الدون، الدنيء

إِنَّ الصَّعَالِيكَ مِثْلِي مُفْلِسُونَ وَهُمْ لِمِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ الرُّفْتُ خَبُونِي
الصعاليك ادخروني لأساعدهم في هذا الزمن الرديء

وَالْأَمْرُ لَوْ كَانَ لِي لَمْ تَفْرَحُوا أَبَدًا مِنْ أَجْلِ دَيْنٍ لَكُمْ يَوْمًا بِمَسْجُونٍ
فَبَلَطُوا الْبَحَرَ غَيْظًا مِنْ مُعَامَلَتِي وَبِالْجَحِيمِ إِنْ اسْطَعْتُمْ فَرَجُونِي
بلطوا البحر: افعلوا ما تشاءون

٢٩ معلقة عرار

كتبها الشاعر بيتاً بيتاً وبيتين بيتين ولم يرتبها، وجمعها الناس من هنا وكم. ورتبنا أبياتها،
وما غيرنا كلماتها. كتبت هذه القصيدة الفاخرة كما كتبت المعلقات. هي معلقة شاعرنا:

عَفَا الصَّفَا وَانْتَفَى مِنْ كُؤُخٍ نُدْمَانِي وَأَوْشَكَ الشُّكُّ أَنْ يُودِيَ بِإِيمَانِي
عفا الصفا: انتهى، عهد الصفاء

لَقَدْ تَنَكَّرَ لِي أَهْلِي وَأَنْكَرَنِي صَحْبِي، وَأَقْرَبُ مَنْ أَدْنَيْتُ أَقْصَانِي
أَيْنَ النَّدَامَى؟ مَضَى كُلُّ لَطِيئَتِهِ وَخَلَّفُونِي بِهَذَا الْكُؤُخِ وَخَدَانِي
كل لطيته: كل لشأنه. وكان للشاعر وصحه كؤوخ يلتقون فيه، فانفض سامرهم

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ ثُبْنَا عَنْ مَحَبَّتِهِمْ وَقَدْ أَنْبَنَا فَلَا كَانِي وَلَا مَانِي
أنبنا: رجعنا، لا كاني ولا ماني: لا تقل كان وحدث، وأقل الموضوع

سُبْنَا وَرَانَ عَلَى الْفَوْدَيْنِ مُتَزَرِّنَ مِنَ الْمَشِيبِ بَكَى حَظِّي وَأَبْكَانِي
ران: جثم وساد على الفودين، السالفين، شيب متزن يدعو للوقار، لكنه أحزنني فكأنه بكى حظي العاثر

يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ ثُبْنَا، وَالْحَيَاءُ، كَمَا تَرَى، تَلَوَّى لِمِثْلِي لَيَّ ثُعْبَانِ
الحياة، كما ترى، تلوى لمن هم مساكين مثلي كما يتلوى الثعبان

قُلْ لِلْسَّوَادِينِ يَفْتَحْنَ الصَّوَامِعَ لِي فَالريحُ صِرٌّ وَبَرْدُ النُّورِ آذَانِي

قل للراهبات السوادن، خادمت الدير... جمع سادة، أن يفتحن لي الصوامع حيث بنام المتعبدون، فالريح صر، باردة، والبرد في غور نهر الأردن آذاني

اِفْتَحْ لِي الْبَابَ وَاذْمِجْنِي بِزُمُرَتِكُمْ فَبَرْدُ جِلْعَادَ يَا بُونَا تَحْدَانِي

جلعاد: جبل قرب السلط، يا بونا: يا أبانا، خطاب العلماني، أي الذي ليس من رجال الدين، للكاهن

يَا بَنْتُ! وَاوْدِي الشُّتَا صَرَّتْ جَنَادِبُهُ وَشَنَنْقَتْ سَمْعَهُ نَايَاتُ رُعْيَانٍ

يا بنت! «وادي الشتا» صوتت الجنادب فيه، وأطربت الأسماعُ أنغام الناي من الرعيان، فقد جاء الربيع

خَدَاكِ يَا بَنْتُ مِنْ دَحْنُونٍ دِيرَتَنَا رُوحِي فِدَاءُ الْخُدَيْدِ الْأَحْمَرِ الْقَانِي

خدائك يا بنت من دحنون قريتنا، والدحنون هو الزهر الأحمر المسمى الصاقصلي أو الحئون

قَالُوا يُحِبُّ، أَجَلْ، إِنِّي أَحِبُّ. مَتَى كَانَ الْهَوَى سُبَّةً يَا أَهْلَ عَمَّانٍ؟

يَا مَيِّ شِبْنَا وَمَا تُبْنَا، فَهَلْ تَزَلْتُ بِمَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ آيُ قُرْآنٍ؟

هل نزل في القرآن ما يحرم العشق بعد الشيب؟

قَالُوا تُعَاقِرُهَا؟ قُولُوا لَهُمْ: عَلْنَا، إِنِّي أَعَاقِرُهَا فِي كُلِّ دُكَّانٍ

دكان: حانة، وسمت العرب الحانة حانوتاً، فمن هنا سماها عرار دكاناً

قَالَ الْأَطْبَاءُ لَا تَشْرَبْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: الشَّرْبُ لَا الطُّبُّ عَافَانِي وَأَبْرَانِي

أبراني: أبرأني وشفاني

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ سُكْرِي وَعَرَبَدَتِي مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ كُفْرِي وَإِيمَانِي؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ قَوْلِي لَهُمْ أَحَدٌ رَبِّي، وَقَوْلِي لَهُمْ: رَبِّي لَهُ ثَانٍ؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ لَهْوِي وَمِنْ عَيْثِي مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ جَهْلِي وَعِرْفَانِي؟

مَاذَا عَلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّي مُكْحَلَةٌ بَيْنَ الْخَرَابِيشِ أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِي؟

الخرابيش: بيوت النور في الأردن

قَالُوا: تَدَمَشَّقْ قُولُوا: مَا يَزَالُ عَلَى عِلَّالِهِ إِرْبِيدِي اللَّوْنِ حُورَانِي

زعموني تشبهت بأهل دمشق المترفين، لكنني ما زلت ابن مدينة إربد، بشمال الأردن، الواقعة في سهول حوران

فَهَاكُنِي كَبَتَامَى الزُّطُّ لَا أَحَدٌ يَرْتِي لِحَالِي وَلَا إِنْسَانٌ يَرَعَانِي

فهاكني، انظر إليّ، كالتيامى من أولاد الزط، قوم رحل فقراء

يَا أَرْدُنِيَّاتُ إِنْ أَوْدَيْتُ مُغْتَرِباً فَأَنْسُجَنَّهَا بِأَبِي أَنْتُنَّ أَكْفَانِي

أوديت: مت

وَقُلْنَ لِلصَّحْبِ وَارَوْا بَعْضَ أَعْظَمِهِ فِي تَلِّ إِرِيدَ أَوْ فِي سَفْحِ شِبْحَانِ

وووري جثمان عرار في تل إريد عندما مات عام ١٩٤٩، لا في سفح جبل شبكان بالجانب

عَسَى وَعَلَّ بِهِ يَوْماً مُكْحَلَةً تَمُرُّ تَتَلَوُ عَلَيْهِ حَزْبُ قُرْآنِ

الحزب من القرآن: نحو من عشر صفحات، وهو نصف الجزء

وَلَيْبِكَ وَاوَدِي الشُّتَا بَعْدِي جَاذِرُهُ وَلَيْبِكَ حَسْبُونِ بَعْدِي مَاءُ حُسْبَانِ

ليبك «وادي الشتا» جميلاته اللائي غادرتهن، وليبك حسبون، موضع قديم، ماء بلدة حسان

قَالُوا: لِشِعْرِكَ عُشَّاقٌ يُوَدِّهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا بَعْضُهُ فِي شِبْهِ دِيْوَانِ

فقلتُ شعري أشلاءٌ مُبَعَثَرَةٌ، كَأَنَّهَا عُمُرِي، فِي كُلِّ مِيدَانِ

أَمَّا أَنَا فَبِحَسْبِي مَا أَكَايِدُهُ مِنْ لَوْعَةٍ أَجْجَتْ يَا نَاسُ نِيرَانِي

يَا جِيرَةَ الْبَانِ هَذَا الْبَانُ بَانُكُمْ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ يَا جِيرَةَ الْبَانِ

يخاطب الساكنين بجوار شجر البان

تَلُوْمُنِي أَنْنِي يَا ابْنِي أَعَاقِرْهَا يَا «وَصَفَّ» هَبْنِي جَلَالُ الدِّينِ دُوَانِي

يخاطب ولده وصفي، الذي سيصبح رئيس وزراء.. وكان الولد يلوم أباه على معاقرة الخمر، وجلال الدين الدواني فارسي من قدامى المشايخ، ولعله كان يبيع الشراب!

تُرِيدُنِي وَيْكَ شَيْخاً كُلُّهُ وَرَعٌ ذَا مَرْكَبٍ خَشِشٌ يَأْبَاهُ شَيْطَانِي

شيطاني: الشيطان الذي يلهمني الشعر، ذا: هذا

إِلَيْكَهَا مِنْ أَبِي وَصَفِي مُجَلِّجَلَةً أَبَا طَلَالٍ وَمَا قَوْلِي بِبُهْتَانِ

خذها من أبي وصفي، من الشاعر عرار، رسالة مجلجلة، صاخبة، يا أبا طلال، أيها الأمير عبد الله، وقولي ليس افتراء. ومما يعاب على المرء أن يكتفي في مخاطبة أمير، لكن شاعرنا غاضب..

رَفَعْتَ كُلَّ وَضِيعٍ لَا يُقَامُ لَهُ إِلَّا بِسُوقِ الْخَنَا وَزَنُّ بِمِيزَانِ

رفعت مقام كل وضع، حقير، لا وزن له إلا في سوق الخنا، والعيب

هَلَّا رَعَيْتَ رَعَاكَ اللَّهُ حُرْمَتَنَا هَلَّا جَزَيْتَ تَفَانِيَنَا بِإِحْسَانِ
مَوْلَايَ شَعْبُكَ مَكْلُومُ الْحَشَا وَبِهِ مِنْ غَضِّ طَرْفِكَ وَالْإِهْمَالِ دَاءُ
شعبك مجروح القلب لأنك تغض طرفك، أي تتجاهل مشكلاته، وتهمل شؤونه

مَوْلَايَ إِنْ الْمَطَايَا لَا تَسِيرُ إِلَى غَايَاتِهَا إِنْ عَلَاهَا غَيْرُ فَرَسَانِ
لا تصل الخيل إلى مقصدها إن ركبها من لا يحسنون الركوب، ومن تعينهم من الرجال غير أكفاء
يَافَا عَرُوسُ فَلَسْطِينِ الَّتِي غَبَرَتْ مَا فِي يَدَيَّ خَلَا شَجْوِي وَأَشْجَانِي
غبرت: مضت

يَا أَهْلَ يَافَا لَقَدْ طَوَّقْتُمْ غُنْقِي شَتَّى الْعُقُودِ فَمِنْ بَرٍّ لِإِحْسَانِ

٣٠ رثاء صحفي

قال يرثي خليل نصر صاحب جريدة «الأردن»، ومات قبل عرار بستة أشهر:
شَيْخُ الصَّحَافَةِ! زَارَ الْمَوْتَ صَوْمَعَتِي وَسَوْفَ أَلْحَقُ يَا شَيْخِي بِإِخْوَانِي
وسوف أخبرهم عن سوء طالعيننا وعن رزايا بني قومي وجيرانني
رزايا: مصائب

٣١ وادي الشتا

هَلْ تَذْكُرِينَ، وَأَنْتِ مِنْ غُرْلَانِهِ، وَادِي الشَّتَا، وَالْعَمْرُ فِي رُبْعَانِهِ
هل تذكرين «وادي الشتا» وأنت من فتياته الجميلات، وكان العمر في أوائله؟ في البيت تقديم
وتأخير ياباه النحوي ويرضاه من يذوق الشعر

يَا مَيِّ! جَلْعَادُ الْأَشْمُ كَعَهْدِهِ مَا زَالَ يَرِبِضُ جَائِثُماً بِمَكَانِهِ
جبل جلعاد العالي على حاله رابض جائثم ثاوٍ مقعٍ في مكانه

وَالْعَوْرُ مَا انْفَكَّتْ عَدَائِرُ نَبْتِهِ وَزُهُورُهُ تَحْنُو عَلَى غُدْرَانِهِ
وفي الغور، المنطقة المنخفضة التي يجري بها نهر الأردن، ظلت غدائر النبات، خصلات
الشجيرات أي أغصانها الطرية، وظلت الزهور تحنو وتميل على الغدران، جداول الماء

وَسَمَاءُ إِرْبِيدَ مَا يَزَالُ سَحَابُهَا يَسْقِي سُهُولَ الْحِصْنِ مِنْ هَتَانِهِ
«الحصن» اسم موضع، هتانه: وابله

يَا مَيِّ! مَا بَرِحَتْ حَمَائِمُ سِدْرِنَا تَشْدُو مُصَفَّقَةً عَلَى أَغْصَانِهِ
السدر: من الشجر

فَتَمَهَّدِي قَلْبِي بِحُبِّكَ، وَاسْمَعِي مَا شِئْتُ مِنْ شَذْوِي وَمِنْ الْحَانِهِ
يَا مَيُّ! قَدْ عَادَ الرَّبِيعُ وَعَاوَدَتْ نَفْسِي وَسَاوِسَ قَصْفِهِ وَدِنَانِهِ
عاد الربيع وعاد إلى نفسي التفكير في القصف، اللهور، ودنان الخمر، خواييبها وجرارها

فَاذْنِي شِفَاهَكَ مِنْ قَمِي وَتَوَسَّدِي صَدْرِي يَكْفُ الدَّهْرُ عَنْ عُدْوَانِهِ
هَاتِي شِفَاهَكَ، فَالْحَيَاةُ جَوَادُهَا شَرِسٌ، وَلَيْسَ فَتَاكِ مِنْ فُرْسَانِهِ
جواد الحياة، أي حصانها، شرس صعب.. وأنا لست من فرسان هذا الحصان.. أنا لا أصلح
للحياة الرصينة

وَادِي الشَّتَا هَذَا، وَتِلْكَ مَلَاعِبِي أَبْيَامَ كُنْتُ وَكُنْتُ مِنْ جِيرَانِهِ
وادي الشتا: موضع قرب ناعور غرب عمان عاصمة الأردن، ملاعي: ساحاتي.. والأصل
الساحات التي تلعب فيها الريح

فَاذْنِي شِفَاهَكَ مِنْ قَمِي إِنْ لَمْ يَكُنْ يَا مَيُّ قَلْبُكَ قَدْ مِنْ صَوَانِهِ
قُبَلِي إِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ قَاسِيًا كَأَنَّهُ مَقْدُودٌ مِنَ الصَّوَانِ فِي مَنَاطِقِ وَادِي الشَّتَا، وَكُلُّ وَادٍ لَا يَدُ أَنْ
يقابله جبل!

وَتَوَسَّدِي صَدْرِي وَحَسْبُكَ نِعْمَةً هَذَا الَّذِي تُوحِيَنَّ مِنْ خَفَقَانِهِ
يكفيك فخراً أن خفقان قلبي هو بسبب ما توحين إليه من معاني الحب
وَرَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ أَوْسَعَ رَحْمَةً مِمَّا يَظُنُّ الْبَعْضُ مِنْ عُبْدَانِهِ

٣٢ منازل برلين

قال عرار، وكان صديقه محمد أبو غنيمة كتب له رسالة عن الحياة في برلين:
أَقُولُ لِرَبِّي حِينَ أَنْشَأَ جَنَّةً وَزَيَّنَهَا بِالْوُلْدِ وَالْحُورِ وَالْعَيْنِ
الحور: ذوات الأعين التي اشتد سوادها في اشتداد بياض، والعين: ذوات الأعين الواسعة
أَيَعْلَمُ أَنَا قَدْ حَظَيْنَا بِمِثْلِهَا وَأَحْسَنَ مِنْهَا فِي مَنَازِلِ بَرَلِينِ؟

٣٣ الفارس والمطية

كان أحمد الظاهر المدعي العام قد أساء استقبال الهبر شيخ النور:
يَا مُدَّعِيَّ عَامِ اللُّوَا وَخَيْرَ مَنْ فَهَمَ الْقَضِيَّةَ
والعدْلُ يَقْضِي أَنْ تُعَا مِلَ زَائِرِيكَ عَلَى السَّوِيَّةِ

الْهَبْرُ جَاءَكَ لِلْسَلَا م فَكَيْفَ تَمْنَعُهُ التَّحِيَّةُ
أَلَا لَنْ كُنْشَوْتَهُ مُمَزَّرَ - قَةً وَهَيْئَتَهُ زَرِيَّةً؟

هيئته زرية: شكله مشعث مُهْرَغَل

قَدْ صَدَّهْ جُنْدِيْكَ الـ فَطُّ الغَلِيْظِ بِلا رَوِيَّةُ
وَأَبَى عَلَيْهِ أَنْ يَرَا لَكَ، فَجَاءَ مُتَعِضّاً إِلَيَّهْ
يَشْكُو الَّذِي لاقَاهُ مِنْ شَطِطِ بَدَارِ الْعَادِلِيَّةِ
وَيَقُولُ إِنَّ زِيَارَةَ الـ حُكَّامِ، لَا كَانَتْ، بَلِيَّةُ

الحكام: القضاة، كذا استعملتها العرب قديماً، وكذا استعملها الناس في بعض بلاد الشام حديثاً

فَاسْرِعْ وَكَفِّرْ يَا هَذَا لَكَ اللَّهْ عَنْ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ
فَالْهَبْرُ مِثْلِي ثُمَّ مِثْ لُكَ أَرْدُزِي الثَّابِعِيَّةِ

التابعة: الجنسية

وَأَدِرْ كُؤُوسَكَ يَا أَبَا نَاصِيفَ مُثْرَعَةَ رَوِيَّةُ
يدعو أبا ناصيف، صاحب الحانة، إلى أن يدير كؤوس الشراب مترعة مملوءة مرتوية بما فيها
إِنَّ الَّذِي تُسَبِّى مَوَا طِنُهُ تَجِلُّ لَهُ السَّيِّئَةُ

السيئة: السيئة، الخمر المشتراة

عَبُودُ يَا نَاعِي النَّهْا رِ عَلَى الْمَآذِنِ فِي الْعَشِيَّةِ
يخاطب الشيخ عبود الذي يؤذن للمغرب فكانه ينعى النهار

لَيْسَ الْهُدَى وَقَفْأً عَلَى فِقْهِ الشُّيُوخِ الْأَزْهَرِيَّةِ
إِنَّ الْحَيَاةَ لَهَا قَوَا عَدُ غَيْرُ مَثْنِ الْخَزَرْجِيَّةِ
فَنَبِيذُ قَمُورِ اللَّذِيذِ ذُوْ وَأَتَّةِ النَّايِ الشَّجِيَّةِ

قَمُور صاحب حانة بَعْمَان

وَهَيَامُنَا بِالْعَازِيَا تِ مِنَ الْأُمُورِ الْجَوْهَرِيَّةِ
أَوْ مَا تَرَانِي، وَالْمَشْيِيذِ بْ كَمَا تَرَاهُ بِعَارِضِيَّةِ..

ألسن تراني وقد وخط الشيب عارضِي، أي جانبي رأسي..

مَا زِلْتُ خَفَّاقَ الْفَوَا دِ وَلَمْ تَزَلْ نَفْسِي طَرِيَّةُ
.. ألا تراني، وقد شبت، ما زلت عاشقاً، ونفسي طرية، أي مقبلة على الغرام

وَالْقَلْبُ مَا تَنَفَّكَ تَمَّ لَأْسَاحَهُ خَطَرَاتٍ مَيَّةُ

ساحه: ساحاته، خطرات: خطوات

دَنِفْتُ تُطَارِدُهُ الْعَجُوزُ زُ وَلَا تُهَادِنُهُ الصَّبِيَّةُ

دنف: مريض عشقاً

وَلَسَوْفَ تَبْقَى لِلصَّبَا بَةَ فِي ثَرَى رَمْسِي بَقِيَّةُ

الصبابة: الهوى، رمسي: قبري

كَمْ فَارِسٍ هُوَ فِي الْحَقِيبِ قَةً عِنْدَ رَاتِيهِ مَطِيَّةُ

الفارس: راكب الفرس، المطية: الفرس

وَمُدَجَّجٍ قَادَ السَّرِيَّةِ - - نَةً وَهُوَ قَوَّادُ السَّرِيَّةِ

مدجج: شاكي السلاح

هَاتِ اسْقِنِي؛ مَا لِلْحَبَا ةِ بَنِيرٍ عَرَبْدَةً مَزِيَّةُ

وَاسْبَأْ لَنَا، إِنْ الرِّقَا قَ مَبَاءَةُ الْأُمَمِ السَّبِيَّةُ

اسبأ، اشتر خمرأ، فزقاق الخمر، وهي قَرْبُ جُلْدٍ تُتَّخَذُ لِلْخَمْرِ، هي المصير السيء للأمم السبية
المغتصبة الحقوق

تَرُكُ التَّقَى خَيْرٌ بِعَمَلٍ - - مِ اللَّهِ مِنْ نُسُكِ التَّقِيَّةِ

ترك التقوى أحسن من النك الكاذب الذي يتخذ تقية، واجهة لانتقاء الشر

٣٤ استقلال كرتوني

يَا هَبْرُ اسْتِقْلَالُنَا الْكَرْتُونِي

أُخْرِجْنِي كَمَا تَرَى عَنِ دِينِي

فَدُرْتُ بَيْنَ النَّاسِ كَالْمَجْنُونِ

أَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَمَا دَلُّونِي

أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ اسْتِقْلَالِنَا...

إِلَّا عَلَى قَعُورٍ وَالْخَمَّارَةِ

قعور: صاحب حانة، والخمارة هي الحانة

٣٥ الأعين السود

يا أَهْلَ عَمَّانَ إِنَّ الْأَعْيُنَ السُّودَا فَتَنَّا وَفَتَنَ الشَّيْخَ عَبُودَا
الشيخ عبود النجار هو المفتي الذي جاء مع الأمير عبد الله من الحجاز في أوائل العشرينات من
القرن العشرين إلى الأردن

٣٦ المفاليس

اللَّهُ يَعْلَمُ وَالْأَيَّامُ شَاهِدَةٌ أَنَّا كِرَامٌ وَلَكِنَّا مَفَالِيسُ

مصطفى وهبي التل فهرس القوافي

١٧	أشراكا	١	أرجاء
١٨	الْكُنْيَاكُ	٢	الْقُلْبَا
١٩	أبرك	٣	شَبَابِي
٢٠	سَمُوم	٤	أَشْرَبْ
٢١	كَلَامْ	٥	نَشَوَاتِي
٢٤	إِيمَانَا	٦	يَضْحُو
٢٥	عَطَايَانَا	٣٥	عَبُودَا
٢٣	والحَانَا	٨	الْحِدَادُ
٢٢	عَيْنُ	٧	عَبُودُ
٢٨	الشَّيَاطِينِ	١٠	السَّمَرَا
٣٤	الْكُرْتُونِي	١١	سَكِرَا
٣٠	يَاخَوَانِي	٩	مُنْكَرُ
٢٩	يَاإِيمَانِي	١٢	جَارِي
٢٧	رَمَانِي	٣٦	مَفَالِيسُ
٢٦	طُنُونِ	١٣	وَجُلَاسِي
٣٢	وَالْعَيْنِ	١٤	أَرْزُوعُ
٣١	رَيْعَانِي	١٥	الشارِعِ
٣٣	القَضِيَّةُ	١٦	وَرَقُ

إبراهيم طوقان

(١٩٠٥ - ١٩٤١)

ها هو ذا شاعر درس في مدرسة المطران الإنجليزية بالقدس صبيّاً، وفي الجامعة الأميركية ببيروت شاباً، وها هو ذا شعره؛ فانظر فيه لا تر للإنجليزية ولا لثقافتها أثراً. لن ترى إلا فصاحة عربية نقية.

هي سنوات الطفولة، هي المدرسة العربية، وهو البيت الذي كان يتكلم العربية، فإن كانت فيه خادم فهي عربية أيضاً. وكان في بيت إبراهيم طوقان خادمة وربما أكثر، فهو من أسرة ذات حظ وافر من اليسار. نشأ طفلاً مدللاً، وزادته الأمراض التي بدأت تعتاده يافعاً دلالاً. وكان بطبيعته عابثاً لاهياً، وقلّ في تلك الأسرة جاد رصين، والقائل أعرف الناس بهم فهم خؤولته.

منذ سنوات الدراسة في الجامعة الأميركية بدأ يتجلى ما في شخصية شاعرنا من عبث وخفة.

ونلتمس طريقاً إلى تصنيف أشعار إبراهيم طوقان - وهي على كل حال قليلة ولا تحتاج إلى كثير تصنيف - بأن نسلکہا في سلكين: قصائد الغزل، وقصائد التوبيخ.

فأما الغزل فهو ما عرفت؛ وأما التوبيخ فهو ما صبه الشاعر على رؤوس بني قومه، وخصوصاً كبار زعمائهم، من قوارع الكلم لتقاعسهم، ونومهم عن موجة عاتية ستبتلع وطنهم. فرغم أن طوقان مات قبل نكبة فلسطين بسبع سنين، فقد قال من الشعر ما يشهد له بأنه قرأ الوضع قراءة عميقة، وأحس في أعماقه بما هو مقدم على فلسطين من نكبة سيراها الآخرون فظيعة بعد فوات الأوان.

امتلك بصيرة سياسية. بضّره بحقيقة وضع البلاد وتهافت زعمائها أنه من

عائلة كانت لها في الماضي زعامة، وجراًه على أن يسلق الشعب وزعماءه بقصائد تسيل سخرية وتأنيباً أن عائلته ظلت تحتفظ بأملالك أعفته من الوقوف بالأبواب.

غير أن العائلة ذات الأطيان والعقار لا تبيع أطياناً وعقارات كي تيسر المال لأبنائها اللاهين، فلا بد لهم من عمل يقوتهم، ولا سيما في زمن أخذ الإقطاع فيه ينحسر بسرعة عن بلاد الشام. فعمل طوقان في التدريس أشهراً (كانت كافية ليخرج علينا بقصيدته: وأرى حماراً بعد ذلك كله/رفع المضاف إليه والمفعول)، وعمل مديراً للبرامج في الإذاعة الفلسطينية بضع سنين. ولم يوفق كثيراً في أعماله لكسل فيه وعث، ولأن المرض كان يأخذه من مستشفى إلى مستشفى.. في القدس والقاهرة وبيروت.

نقول إنه كسول مادحين، فالشاعر ممدوح بما يذم به غير الشاعر. مات إبراهيم طوقان عن ست وثلاثين سنة. وخلف لنا ديواناً، وأختاً شاعرة هي فدوى طوقان.

وعليّ للشاعرة اعتذاران، لا بد من إزجائهما حتى وإن كانت قد انتقلت إلى دار الحق.

كنت أقرأ أشعاراً كثيرة في الراديو وأنا أعمل في هيئة الإذاعة البريطانية، وكنت أكثر من الاستشهاد بشعر مظفر النواب. وكانت فدوى تسمعي، وتقول لي إنها تسمعي. ولم أكن أستشهد بشعرها. والسبب الوحيد أن ديوانها لم يكن عندي في لندن، كان ذلك قبل الإنترنت، وكان عندي ديوان مظفر النواب. وفاتني أن أوضح لها ذلك.. توفيت وهي لا تعرف أنني لم أقصد إلى تجاهلها. ما كان أعظم بلادتي.

وعدت إلى بلدي فلسطين، ولم أقل جملة اعتذارية كانت ضرورية: يا ست فدوى - وهكذا يناديهما أهل نابلس - للأسف لم يكن ديوانك بحوزتي في عاصمة الضباب، وإلا فقد كان يسعدني أن أقتطف من أشعارك. لا، لم أقل شيئاً من ذلك. كنت بليد الإحساس. أيتعني أن أعتذر الآن؟

وقصدها يوماً، وكانت في شيخوختها العالية، وسجلت معها لقاء طويلاً. وشغلتنني الشواغل عن بث اللقاء. وتوفيت فدوى طوقان. فرأيت أن من الدناءة أن أبثه. أأكون سابقت إليها عزرائيل؟ ثم فطن إلى الأشرطة زملاء لي في معهد

الإعلام بجامعة بيرزيت، فكان لا بد من إذاعة الحديث. أينفعني أن أعتذر الآن؟

كانت، وهي في شيخوختها تلك، حبية رقيقة كأنها فتاة في الثامنة عشرة. ولئن كنت لا أعتقد أن الشعر يورث، ولا أصدق ما قالوه من أن زهير بن أبي سلمى ورث ابنه الشعر، فإن ما لمست من رهافة ورقة فدوى طوقان يوشك أن ينسني عن اعتقادي.

واعتذار ثالث: يا ست فدوى، هذا الكتاب بأجزائه الخمسة مخصص للشعر العمودي فقط، وشعرك الجميل الرقيق كان في معظمه من شعر التفعيلة. فلا مكان لشعرك هنا. أيرضيك أن أكفي بشعر أخيك إبراهيم؟ لعله يرضيك. إلى ما اخترته من شعر إبراهيم طوقان.

١ تخاذل

عَجَباً لِقَوْمِي مُقْعَدِينَ وَنُوماً وَعَدُوَّهُمْ عَنْ سَخَقِهِمْ لَا يَنْسَنِي
عَجَباً لِقَوْمِي كُلُّهُمْ بُكْمٌ، وَمَنْ يَنْطِقُ يَقُلْ: يَا لَيْتَنِي وَلَعَلَّنِي

٢ الراعي الذئب

وَطَنِي مُرْهَقٌ وَأَهْلِي نِيَامٌ وَاسْتَحَالَ الرَّاعِي فَأَصْبَحَ ذِيباً
لَهْفَ نَفْسِي، وَهُمْ سُكَارَى غُرُورٍ، كَيْفَ يُبْدِي مَخَالِباً وَنُيُوباً؟

٣ المتقاعس

أَفْنَيْتَ يَا مَسْكِينُ عُمَ رَكَ بِالتَّأَوُّهِ وَالْحَزَنُ
وَقَعَدْتَ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ نِ، تَقُولُ: حَارَبَنِي الزَّمَنُ
مَا لَمْ تَقُمْ بِالْعَبَاءِ أَبَ تَ، فَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِذْنُ؟

* * *

كَمْ قَلْتَ: «أَمْرَاضُ الْبِلَا دِ»، وَأَنْتَ مِنْ أَمْرَاضِهَا
وَالشُّؤْمُ عَلَّئُهَا، فَهَلْ فَتَّشْتَ عَنْ أَغْرَاضِهَا؟
أَقْعُدْ، فَمَا أَنْتَ الَّذِي يَسْعَى إِلَى أَنْهَاضِهَا

* * *

أَضْحَى التَّشَاؤُمُ فِي حديد
مِثْلَ الْغُرَابِ، نَعَى الدِّيا
أَمْلٌ يَلُوحُ بِرَيْقُهُ
ما ضاقَ عَيْشُكَ لو سَعِيَ
خُكِ بِالْغَرِيْزَةِ وَالسَّلِيْقَةِ
رَ، وَأَسْمَعَ الدِّنيا نَعِيْقَهُ
فاستَهْدِ يا هذا بِرَيْقِهِ
تَ له، ولو لم تَشْكُ ضَيْقَهُ

* * *

لَكِنْ تَوَهَّمتُ السَّقَا
وظننتُ أَنَّكَ قد وَهَّنتُ
والمرءُ يُرهِّبُهُ الرَّدَى
مَ، فَأَسْقَمَ الوَهْمُ البَدَنَ
تَ، فَدَبَّ فِي العَظَمِ الوَهْنُ
ما دَامَ يَنْظُرُ لِلْكَفَنِ

٤ بائعو الأرض

بَاعُوا البِلَادَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ طَمَعاً
قد يُعَذَّرُونَ لو أَنَّ الجُوعَ أَرْغَمَهُمْ
أعداؤنا، منذُ أن كانوا، صَبَارِقَةً
بِالْمَالِ لِكِنَّمَا أوطَانُهُمْ باعُوا
واللَّهِ ما عَطِشُوا يوماً ولا جاعوا
ونحن، منذُ هَبَطْنَا الأَرْضَ زُرَّاعُ

اليهود كان صيارفة يتعاملون بالمال، والفلسطينيون أهل أرض وفلاحة

يا بائِعِ الأَرْضِ لِمَ تَحْفَلُ بِعَاقِبَةٍ
فَكَرَّ بِمَوْنِكَ فِي أَرْضٍ نَشَأَتْ بِهَا
ولا تَعْلَمْتِ أَنَّ الخَضَمَ خَدَّاعُ
واتركْ لِقبْرِكَ أرضاً طَوَّلَها باعُ

الباع: ما بين وُسْطاويك فاتحاً ذراعيك على جنبيك

٥ فلسطين المنسية شعرياً

جئتُكُمْ عاتِباً بِبَلابِلِ مِصرٍ؛
بُلْبُلُ الرُّوضِ عَثِبُهُ أَلْحَانُ

يعاتب شعراء مصر

كَمْ بِلادٍ تَهْزُكُكُمْ لَيْسَ فِيهَا
خَطْبُنَا لا يَهْزُ شَوْقِي وَلَكِنْ
جاءَ رُوماً فَهَزَّ الرُّومانُ
لَكُمْ جِيرةً ولا إِخوانُ

يشير إلى قصيدة شوقي (قف بروما وشاهد الأمر واشهد/ أن للملك مالكا سبحانه) وفيها يقف معتبراً
بزوال إمبراطورية الرومان وبقاء آثارهم التي تدل على عظمة بائدة

خَطْبُنَا لا يَهْزُ حَافِظُ إِبرا
هَيْمَ لَكِنْ تَهْزُهُ اليابانُ

يشير إلى تعاطف حافظ إبراهيم مع اليابان في حربها مع روسيا، وفيها يقول على لسان ممرضة
يابانية (أنا يابانية لا أنثي/ عن مرادي أو أذوق العطباً)

مَا لِمُطْرَانَ يَا فَلَسْطِينَ شَأْنُكَ، لَكِنْ لَهُ بِنِيرُونُ شَأْنُ
يشير إلى قصيدة مطران عن نيرون حارق روما، ومنها البيت: (أي شيء كان نيرون الذي/ عبده،
كان فظ الطبع غرا)

سَيَقُولُونَ قَدْ سَتَ هَذِهِ الْأَرْضُ، فَمَا إِنَّ لَنَا بِهَا شَيْطَانُ
الشعراء، منذ الأعشى، يزعمون أن لهم شياطين من الجن توحى لهم بالشعر. وقد يقول شعراء
مصر المذكورون إنه ليس في فلسطين شياطين لقداستها، لذا لم يذكروها في شعرهم
بَلْ فَلَسْطِينَ بِالشَّيَاطِينِ مَلَأَى ضَجَّتِ الْإِنْسُ مِنْهُمْ وَالْجَانُ
إِنْ بَلَوْتُمْ مِنْهُمْ فَرِيقًا فَإِنَّا قَدْ رَمَانَا بِأَنْثَيْنِ هَذَا الزَّمَانُ
إن كنتم يا أهل مصر بلوتم، أي اختبرتم، فريقاً واحداً من الشياطين، وهؤلاء هم الإنجليز الذين
كانوا يحتلون مصر، فنحن ابتلينا بفريقين: الإنجليز، واليهود

٦ الفدائي

عن فدائي وقف بباب دار الحكومة بالقدس وأصاب برصاصة النائب العام البريطاني
الذي أmeen في النكاية بالفلسطينيين، أيام الانتداب البريطاني على فلسطين
لَا تَسْلُ عَنْ سَلَامَةٍ رُوْحُهُ فَوْقَ رَاحَتِهِ
بَدَلَتْهُ هُمُومُهُ كَفَنًا مِنْ وَسَادَتِهِ
بَيْنَ جَنْبَيْهِ خَافِقٌ يَتَلَطَّى بِغَايَتِهِ
خافق: قلب.. وقلب الفدائي يتلظى ملتهباً لا يشغله سوى غايته وهدفه الوطني

* * *

هُوَ بِالْبَابِ وَاقِفٌ وَالرَّدَى مِنْهُ خَائِفُ
وقف الفدائي عند الباب وجرح بالرصاص النائب العام

فَاهْدَأِي يَا عَوَاصِفُ خَجَلًا مِنْ جَرَاءَتِهِ

* * *

صَامِتٌ لَوْ تَكَلَّمَا لَفِظَ النَّارَ وَالْدَّمَ
قُلْ لِمَنْ عَابَ صَمْتَهُ خُلِقَ الْحَزْمُ أَبْكَمَا

عابوا على الفدائي أنه لجأ للسلاح ولم يسبق ذلك بتقديم شكوى من ظلم النائب العام

وَأَخُو الْحَزْمِ لَمْ تَزَلْ يَدُهُ تَسِيْقُ الْقَمَا

٧ موشح الشهداء

في خضم هبة البراق ١٩٢٩، حاكم المحتل البريطاني ثلاثة شبان هم: فؤاد حجازي، وعطا الزير ومحمد مجوم، وشنقهم يوم الثلاثاء ١٧ حزيران/يونيو ١٩٣٠

لَمَّا تَعَرَّضَ نَجْمُكَ الْمَنحُوسُ وَتَرْتَحَتِ بِعُرَى الْجِبَالِ رُؤُوسُ
يخاطب يوم الثلاثاء، لقد اعترض نجم النحس لهذا اليوم في السماء، وترنحت رؤوس الشهداء
بجبال المشقة ذات العرى، جمع عروة

نَاحَ الْأَذَانُ وَأَعْوَلَ النَّاقُوسُ فَالْلَّيْلُ أَكْثَرُ، وَالنَّهَارُ عَبُوسُ
عندها صار صوت الأذان كأنه النواح وصوت النواقيس، الأجراس، كأنه العويل، وصار الليل
مكدرًا والنهار عابسًا

ظَفِقَتْ تَثُورُ عَوَاصِفُ وَعَوَاطِفُ
والموت حيناً طائف أو خاطف
والمِعْوَلُ الْأَبَدِيُّ يُمَعِّنُ فِي الشَّرَى لِيَرُدَّهُمْ فِي قَلْبِهَا الْمُتَحَجِّرِ
وأخذ المعول، الفأس الأبدي وهو الموت، يحفر الأرض كي يرد الشهداء إلى قلب الأرض وإلى
التراب الذي منه خلق البشر

* * *

يَوْمٌ أَظَلَّ عَلَى الْعُصُورِ الْخَالِيَةِ وَدَعَا: أَمَرَ عَلَى الْوَرَى أُمَثَالِيَّة؟
يوم الثلاثاء المشؤوم هذا يقول للعصور: هل مر على البشر مثلي؟

فَأَجَابَهُ يَوْمٌ: أَجَلٌ، أَنَا رَاوِيَةٌ لِمَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ، تِلْكَ الْبَاغِيَّةُ
فأجابه أحد الأيام المنصرمة: أجل، فانا أروي ما صنعت محاكم التفتيش بعد سقوط الأندلس

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عَجَائِبًا وَغَرَائِبًا
لَكِنَّ فَيْكَ مَصَائِبًا وَنَوَائِبًا
لَمْ أَلَقْ أَشْبَاهًا لَهَا فِي جَوْرِهَا فَاسْأَلْ سِوَايَ، وَكَمْ بِهَا مِنْ مُنْكَرٍ
ولكن فيك يا يوم الثلاثاء مصائب ليس لها شبيه في الظلم، فاسأل غيري، وما أكثر المنكرات التي
ارتكبت فيك

* * *

وَإِذَا بِيَوْمٍ رَاسِفٍ بِقُيُودِهِ فَأَجَابَ، وَالتَّارِيخُ بَعْضُ شُهَدَائِهِ:
وجاء يوم آخر يرسف، أي يمشي متاثلاً والقيود في ساقيه، ذلك هو اليوم الذي شهد العبودية،
فقال.. والتاريخ يشهد على صدقه:

أَنْظُرْ إِلَى بَيْضِ الرَّقِيقِ وَسُودِهِ مَنْ شَاءَ كَانُوا مِلْكُهُ بِنُقُودِهِ

انظر إلى من بالتاريخ من العبيد، بيضاً وسوداً، ياعون بالمال

بَشَرٌ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى فَتَحَرَّرَا

ومشى الزَّمانُ القَهْقَرَى فِيمَا أَرَى

كان للعبودية زمنها ثم تحرر البشر منها. لكن، ها هو الزمن يعود القهقري إلى سابق عهد العبودية..

فَسَمِعْتُ مَنْ مَنَعَ الرَّقِيقَ وَبَيْعَهُ نَادَى عَلَى الْأَحْرَارِ: يَا مَنْ يَشْتَرِي

فالذين منعوا العبودية، الإنجليز (رسمياً بقرار برلماني ١٨٠٧)، أخذوا يبيعون الأحرار لا العبيد باستعمارهم البلاد وأهلها. التسويد للشاعر عمران القفيني

* * *

وَإِذَا بِيَوْمِ حَالِكِ الْجِلْبَابِ مُتَرَنِّحٌ مِنْ نَشْوَةِ الْأَوْصَابِ

وجاء يوم آخر يلبس ثوباً أسود، ويترنح من نشوة، أي ذهول، الأوصاب، أي الأوجاع

فَأَجَابَ: كَلَّا، دُونَ مَا بِكَ مَا بِي أَنَا فِي رُبَى عَالِيهِ ضَاعَ شَبَابِي

فقال هذا اليوم: ما بي أقل مما حل بك، لقد ضاع شبابي في ربي مدينة «عالية» اللبنانية التي شق فيها جمال باشا السفاح الوطنيين في سني الحرب العالمية الأولى

وَشَهِدْتُ لِلسَّفَاحِ مَا أَبْكَى دَمَا

وَيَلُّ لَهُ مَا أَظْلَمَ لِكِنَّمَا..

لَمْ أَلَقْ مِثْلَكَ طَالِعاً فِي رَوْعَةٍ فَادْهَبْ لَعَلَّكَ أَنْتَ يَوْمَ الْمَحْشَرِ

لكن، لم أر يوماً مثلك تطلع شمس في روعة، والروعة هي الروح أي الخوف، فلعلك أنت يوم القيامة يا يوم الثلاثاء

* * *

الْيَوْمُ تُنْكِرُهُ اللَّيَالِي الْعَابِرَةُ وَتَظَلُّ تَرْمُقُهُ بَعِينِ حَائِرَةٍ

هذا اليوم، الثلاثاء الذي أعدم فيه الرجال الثلاثة، تجده الليالي العابرة منكراً شديداً

عَجَباً لِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ الْجَائِرَةِ فَأَخْفُّهَا أَمْثَالُ ظُلْمِ سَائِرَةِ

وَطَنٌ يَسِيرُ إِلَى الْفَنَاءِ بِإِلَّا رَجَاءِ

وَالدَّاءُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا الْإِبْرَاءُ

إِنَّ الْإِبَاءَ مَنَاعَةٌ، إِنَّ تَشْتَمِلُ نَفْسٌ عَلَيْهِ تَمُتُ وَلَمَّا تُفْهَرِ

* * *

الْكُلُّ يَرْجُو أَنْ يُبَكَّرَ عَفْوُهُ نَدْعُو لَهُ أَلَّا يُكَدَّرَ صَفْوُهُ

الآمال تتجه إليه، إلى المندوب السامي البريطاني، ليحيى عفوهُ باكرًا

إِنْ كَانَ هَذَا عَظْفُهُ وَخُنُوهُ عَاشَتْ جَلَالَتُهُ وَعَاشَ سُمُوهُ

حَمَلَ الْبَرِيدُ مَفْضَلًا مَا أَجْمَلًا

هَلَّا اكْتَفَيْتَ تَوْشَلًا وَتَسَاوَلًا

البريد حمل لنا التفاصيل، فلا داعي للتوسل وتسول العطف البريطاني، وكانت الهيئات العربية قد أرسلت رسائل الاسترحام الكثيرة

وَالْمَوْتُ فِي أَخْذِ الْكَلَامِ وَرَدُّهُ فَخُذِ الْحَيَاةَ عَنِ الطَّرِيقِ الْأَقْصَرِ

الموت كامن في تلك الرسائل والردود عليها، فخذ أيها المحتل الحياة من الطريق الأقصر، وخلصنا!

* * *

ضَاقَ الْبَرِيدُ وَمَا تَغَيَّرَ حَالُ وَالذَّلُّ فِيهِ سَطُورُنَا أَشْكَالُ

خُسْرَانُنَا الْأَرْوَاحُ وَالْأَمْوَالُ وَكَرَامَةٌ - يَا حَسْرَتَنَا - أَسْمَالُ

البريد ضاق برسائل الاسترحام، وأسطر هذه الرسائل يتجلى فيها ذلنا، وذلنا عبارة عن خسارتنا للأرواح والأموال والكرامة التي غدت شبيهة بالأسمال، أي الثياب الممزقة

أَوْ تُبْصِرُونَ وَتَسْأَلُونَ مَاذَا يَكُونُ؟

إِنَّ الْخِدَاعَ لَهُ فُنُونُ مِثْلُ الْجُنُونِ

هِيَهَاتَ، فَالْنَفْسُ الدَّلِيلَةُ لَوْ عَدَتْ مَخْلُوقَةٌ مِنْ أَغْيُنٍ لَمْ تُبْصِرِ

* * *

أَتَى لِشَاكِ صَوْتُهُ أَنْ يُسْمَعَ؟ أَتَى لِبَاكِ دَمْعُهُ أَنْ يَنْفَعَا؟

صَخْرٌ أَحْسَرَ رَجَاءً فَتَصَدَّعَا وَأَتَى الرَّجَاءُ قُلُوبَهُمْ فَتَقَطَّعَا

لَا تَعْجَبُوا، فَمِنْ الصُّخُورِ نَبْعٌ يَفُورُ

وَلَهُمْ قُلُوبٌ كَالْقُبُورِ بِلا شُعُورِ

لَا تَلْتَمِسْ يَوْمًا رَجَاءً عِنْدَ مَنْ جَرَّبَتْهُ فَوْجَدَتُهُ لَمْ يَشْفُرِ

* * *

الساعات الثلاث

قرروا تنفيذ الإعدام في ثلاث ساعات: ساعة لكل شهيد وها هي الساعات تتحدث عن نفسها وعن أصحابها

الساعة الأولى

أنا ساعة النفس الأبيّة	الفضل لي بالأسبقية
أنا بكر ساعات ثلا	ث، كلّها رمز الحمية
بنّت القضية إن لي	أثراً جليلاً في القضية
أثر السيوف المشرفيّة	ة، والرماح الزاعبيّة
أودعْتُ، في مَهج الشّيب	بة، نفحة الروح الوفيّة
لا بُدّ من يوم لهم	يسقي العدى كأس المنيّة
قسماً بروح فؤاد تض	عدو من جوانحه زكيّة
تأتي السماء حفيّة	فتحلّ جنّتها العليّة

حفية: السماء تحتفي بها

ما نال مرتبة الخلو	د بغير تضحية رضية
عاشت نفوس في سبي	ل بلا دها ذهبّت ضحية

الساعة الثانية

أنا ساعة الرجل العتيّد	أنا ساعة البأس الشديد
أنا ساعة الموت المشرّ	ف كلّ ذي فعل مجيد
بطلّي يُحطّم قيده	رمزاً لتخطيم القيود

قبل إن محمد مجعوم فك قيده وأسرع كي يسبق عطا الزير إلى الشهادة

راحمت من قبلي لأش	يقه إلى شرف الخلود
وقدحْتُ، في مَهج الشّبا	ب، شرارة العزم الوطيد
هيهات يُخدع بالوعو	د، وأن يُخدّر بالعُهود

الشباب لن يخدع بوعود المحتلين

قسماً بروح محمد	تلقى الردى حلو الورود
-----------------	-----------------------

استحلّى عمران الفيني موقع الورود هنا، فهي جمع وردة، وهي الورود أي القدم، وكلا المعنيين يقوم به اللفظ

قَسَمًا بِأَمِّكَ عِنْدَ مَو تِكَ، وَهِيَ تَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ
وَتَرَى الْعَزَاءَ عَنِ ابْنِهَا فِي صَيْتِهِ الْحَسَنِ الْبَعِيدِ
مَا نَالَ مَنْ خَدَمَ الْبِلَا دَ أَجَلٌ مِنْ أَجْرِ الشَّهِيدِ

الساعة الثالثة

أَنَا سَاعَةُ الرَّجُلِ الصَّبُورِ أَنَا سَاعَةُ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ
رَمَزُ الثَّبَاتِ إِلَى النِّهَا يَةِ، فِي الْخَطِيرِ مِنَ الْأُمُورِ
بَطْلِي أَشَدُّ عَلَى لِقَا ءِ الْمَوْتِ مِنْ صُمِّ الصُّخُورِ
جَذْلَانُ يَرْتَقِبُ الرَّدَى فَاغْجَبْ لِمَوْتٍ فِي سُرُورِ
يَلْقَى الْإِلَهَ مُحَضَّبَ الْـ كَفَّيْنِ فِي يَوْمِ النُّشُورِ
خضاب الكفين رمز للفرح، فهو جذلان فرح وهو يرتقب الموت

صَبْرُ الشَّبَابِ عَلَى الْمُصَا بٍ، وَدِيعَتِي مِلْءُ الصُّدُورِ
أَنْذَرْتُ أَعْدَاءَ الْبِلَا دِ بَشْرٍ يَوْمَ مُسْتَطِيرِ
قَسَمًا بِرُوحِكَ يَا عَطَا ءُ، وَجَنَّةِ الْمَلِكِ الْقَدِيرِ
وَصِغَارِكَ الْأَشْبَالِ تَبِـ كِي اللَّيْثِ بِالذَّمْعِ الْعَزِيرِ
مَا أَنْقَذَ الْوَطْنَ الْمُفْدَـ يَ غَيْرُ صَبَّارٍ جَسُورِ

الخاتمة

أَجْسَادُهُمْ فِي ثُرْبَةِ الْأَوْطَانِ أَرْوَاحُهُمْ فِي جَنَّةِ الرِّضْوَانِ
وَهَنَّاكَ لَا شَكْوَى مِنَ الطُّغْيَانِ وَهَنَّاكَ فَيُضُّ الْعَفْوُ وَالْغُفْرَانِ
لَا تَرْجُ عَفْوَاً مِنْ سِوَاهُ هُوَ الْإِلَهُ كُلُّ جَسَاهُ
وَهُوَ الَّذِي مَلَكَتْ يَدَاهُ كَلَّ جَسَاهُ
جَبَرُوتُهُ فَوْقَ الَّذِينَ يَغُرُّهُمْ جَبَرُوتُهُمْ فِي بَرِّهِمْ وَالْأَبْحُرِ

هذا موشح مبني بناءً محكمًا، ويشي - رغم بعض التجوز في النحو - بفحولة شاعر في الرابعة والعشرين من عمره. ولما بذل الشاعر من جهد وفكر وهو يبني موشحه، ويحشر فيه الإيماءات التاريخية، فقد السهولة. ولعل أهل فلسطين في ذلك الزمن رددوا هذا الموشح معجبين بوقع ألفاظه الفخيمة، ومتأثرين ببعض الأبيات البهلة؛ لكن التغلغل إلى المعاني لا يأتي من القراءة الأولى، ويحتاج إلى معرفة لغوية غير هينة. هذا شاعر ركب الصعب ليبر عن مشاعر شعب حزين وقلق، وكان أليق به لو قال شعراً سهلاً في مثل هذا المقام. إذا حاكمنا طوقان بدستور البلاغة، فهو لم يبلغ

ولم يبلغ . وإذا نظرنا إليه شاعراً لم يجاوز القرزمة إلا قليلاً فهو فحل متين اللغة .
وسيمضي إبراهيم طوقان في الشعر والحياة اثنتي عشرة سنة أخرى ، وسيقول شعراً من
أرق وأعذب الشعر . الصفحات المقبلة ستخبرك بذلك

٨ لجان

لَجْنَةٌ إِثْرَ لَجْنَةٍ إِثْرَ لَجْنَةٍ كَلَّفُوا «الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ» بِهَذْنَةٍ
تتوالى لجان تقصي الحقائق، فهلا كلفتم «خاطركم» أي أنفسكم بهذنة تكف فيها اللجان عن القدم
إليها؟

وَلِجَانٌ تَلِيَّ، وَأُخْرَى تُؤَلِّي هَكَذَا يُبْدِعُ السِّيَاسِيُّ فَنَّهُ
تلي: أي تليها وتتبعها

مَرْحَباً بِالْوُفُودِ شُكْرًا لِقَوْمٍ جَمَعَتْهُمْ خُطُوبُنَا الْمُرْجَحَنَّةُ
مرحباً بالوفود العربية التي تزور فلسطين وتجمعهم خطوبنا المرجحة، أي مصائبنا المتمايلة إعياء
(وألقي الشاعر بالآبيات في الترحيب ببعض هذه الوفود عام ١٩٣٠)

نَحْنُ لَوْلَا الْخُطُوبُ مَا جَمَعْتُنَا بَعْدَ طَوِيلِ الْأَعْمَارِ إِلَّا الْجَنَّةُ
عمران القفيني: «ما ألطف هذه السخرية!»

٩ نحية مصر

أَحِبُّ مِصْرَ، وَلَكِنْ مِصْرُ رَاغِبَةٌ عَنِّي فَتُعْرِضُ مِنْ حِينَ إِلَى حِينَ
وإن بكّت، لا بكّت همّاً، فقد عَلِمْتُ وَأَيَقَنْتُ أَنَّ ذَاكَ الْهَمُّ يُبْكِيَنِي
إذا بكّت مصر، وأدعو الله ألا يبكيها من أي هموم، فهي تعلم أن بكاءها وهمومها تبكي

مَا لِي وَلِلشُّقْمِ أَخْشَاءُ وَأَسْأَلُ عَنْ طَبِيبِهِ وَعِمَادُ الدِّينِ يَشْفِينِي
كان الشاعر في مصر عام ١٩٢٢ طلباً للعلاج، وعلاجه الأملل شارع عماد الدين بما فيه من
مسارح وسينمات

هَذَا، وَمِصْرُ بَسَاتِينَ مَنْمَقَةٌ شَبَابُهَا بَعْضُ أَزْهَارِ الْبَسَاتِينَ
خَاضُوا مِيَادِينَ مِنْ جِدٍّ وَمِنْ لَعِبٍ فَأَحْرَزُوا السَّبْقَ فِي كُلِّ الْمِيَادِينَ

١٠ صوموا تصحوا

حَبِّذَا لَوْ يَصُومُ مِنَّا زَعِيمٌ مَثَلٌ عَنْدِي عَسَى يُفِيدُ صِيَامُهُ

لَا يَضُمُّ عَنْ طَعَامِهِ؛ فِي فَلَسْطِيْ
لِيَضُمُّ عَنْ مَبِيْعِهِ الْأَرْضَ يَحْفَظُ
وكان بعض أثرياء، وبعض زعماء، فلسطين ممن باع أرضاً لليهود

كُلَّ يَوْمٍ حَزْبٌ وَحُلْمٌ فَحَدَّثَ عَنْ ضَعِيفِ سِلَاحِهِ أَحْلَامُهُ
بَطْلٌ إِنْ عَلَا الْمَنَابِرَ، كَرًّا رُّ، سَرِيْعٌ عِنْدَ الْفِعَالِ انْهِزَامُهُ
كرار: هاجم... ومن ذلك «الكرُّ والفرُّ»

١١ الزعماء

وطني مُبْتَلَى بِغُضَبَةٍ دَلًّا لِيَنْ لَا يَتَّقُونَ فِيهِ اللَّهَ
الدلال: المروج للبضاعة، يدل عليها المشتريين ويغريهم بها

فِي ثِيَابٍ ثَرِيكَ عِزًّا، وَلَكِنْ حَشَوَهَا الذُّلَّ وَالرِّيَاءَ سَدَّاهَا
ثيابهم أنيقة تشعرك بأن القوم أعة، فزعماء فلسطين كانوا أيامئذ أثرياءها التقليديين، لكن ما بداخل
الثياب نفوس ذليلة؛ والثياب سداها، أي نسيجها، من الرياء والنفاق

ووجوه صَفِيْقَةٍ لَيْسَ تَنْدَى بِجُلُودٍ مَدْبُوعَةٍ تَغْشَاهَا
وجوههم صفيقة، صلبة لا يظهر عليها الخجل، ولا تندى، لا تَعْرِقُ خجلًا، وتغشاها وتغطيها
جلود كأنها الجلود المدبوغة الميتة

وَصُدُورٌ كَأَنَّهُنَّ قُبُورٌ مُظْلِمَاتٌ قُلُوبُهُنَّ مَوْتَاهَا
صدورهم كالقبور، وقلوبهم هي الموتى الذين في القبور

حُسِبُوا فِي الرِّجَالِ، هَلْ كَانَتْ الْأَنْدَ عَامٌ إِلَّا لِمِثْلِهِمْ أَشْبَاهَا؟
يا رجالَ البلادِ، يا قادة الأمَّةِ، ماذا دهاكُمُ ودهاماها؟
عَرَفَ النَّاسُ وَالْمَنَابِرُ وَالْأَفْ لَأَمْ أَفْضَالَكُمْ فَهَاتُوا سِوَاهَا
يسخر منهم: قد عرفنا فضائلكم الكلامية فهاتوا غيرها!

إِنْفِرُوا أَيُّهَا النَّيَامُ فَهَذَا يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْعَيُونَ كَرَاهَا
كراها: نومها

نَبِّئُونِي عَنِ الْقَوِيِّ مَتَى كَا نَ رَحِيماً، هِيَهَاتَ! مَنْ عَزَّ نَاهَا
أعداؤنا أقوياء فلا عجب ألا تكون عندهم رحمة، فمن كان عزيزاً قوياً كان تياهاً متكبراً مبرزاً قوته

لَا يَلِينُ الْقَوِيُّ حَتَّى يُلَاقِي مِثْلَهُ عِزَّةً وَيَطْشاً وَجَاهَا
ولن يلين لنا أعداؤنا الأقوياء حتى نجابههم بعزة وقوة ويطش وجاء، مكانة عالية

١٢ الشهيد

عَبَسَ الْخَطْبُ فَابْتَسَمَ وَطَعَى الْهَوَى فَاثْتَحَمَ
رَابِطُ الْجَاشِ وَالنُّهَى ثَابِتُ الْقَلْبِ وَالْقَدَمِ
رابط الجاش: صابر متماسك، النهى: العقل

سَارَ فِي مَنَهِجِ الْعُلَا يَطْرُقُ الْخُلْدَ مَنْزِلَا
لَا يُبَالِي، مُكَبَّلًا نَالَهُ أَمْ مُجَدَّلَا
مجدل: مصروع قتيل

فَهُوَ رَهْنٌ بِمَا عَزَمَ

* * *

لَا تَقُلْ أَيْنَ جِسْمُهُ وَاسْمُهُ فِي قِمِّ الزَّمَنِ
إِنَّهُ كَوَكَبِ الْهُدَى لَاحَ فِي غَيْهَبِ الْمَحَنِ
الشهيد كوكب نهدي به ويظهر في ظلام المصائب

أَيُّ وَجْهِ تَهَلَّلَا يَرِدُ الْمَوْتَ مُقْبِلَا
يا لوجهه المتهلل المشرق الذي ورد الموت مقبلاً عليه

صَعَّدَ الرُّوحَ مُرْسِلَا لَحْنَهُ يُنْشِدُ الْمَلَا:
يرسل روحه للأعالي مرسلأ بذلك لحناً ينشده أمام الملأ الأعلى، الملائكة، واللحن هو أنه
منذور لله وللوطن

أَنَا لِلَّهِ وَالْوَطَنِ

١٣ أشباه الرجال

أَحْرَارَنَا! قَدْ كَشَفْتُمْ عَنْ بَطُولَتِكُمْ غِطَاءَهَا يَوْمَ تَوْقِيعِ الْكِفَالَاتِ
يسخر: يا أحرارنا ظهرت بطولاتكم يوم طلب منكم توقيع صكوك الكفالة للإفراج عنكم بعد
اعتقالكم بتهمة تنظيم المظاهرات، فوقعتوها

أَنْتُمْ رِجَالٌ خِطَابَاتٍ مَنْمَقَةٍ كَمَا عَلِمْنَا، وَأَبْطَالٌ احْتِجَاجَاتٍ

ولو أُصِيبَ بِجُرْحٍ بَعْضُكُمْ خَطَأً فيها، إِذْنٌ لَرَتَعْتُمْ بِالْحَفَاوَاتِ
لو أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِجِرَاحٍ فِي مَظَاهِرَةِ احْتِجَاجٍ لَرَتَعَ فِي احْتِفَاءِ النَّاسِ بِهِ وَتَمَجِيدِهِمْ بِطَوْلِهِ
بَلْ حِكْمَةُ اللَّهِ كَانَتْ فِي سَلَامَتِكُمْ لِأَنَّكُمْ غَيْرُ أَهْلِ لِلشَّهَادَاتِ
أَضَحَّتْ فِلَسْطِينُ مِنْ غِيظٍ تَصِيحُ بِكُمْ: خَلُّوا الطَّرِيقَ، فَلَسْتُ مِنْ رِجَالِنِي

١٤ استعدوا للرحيل

هَزَلْتُ قَضِيَّتُكُمْ فَلَا لَخَمٌ هُنَاكَ وَلَا دَمٌ
ضَمَرْتُ إِلَى بَلَدِيَّةٍ فِيهَا الْعِدَا تَنَحَّكُمُ
أصبح كل همكم الاختصاص على نتائج الانتخابات البلدية، والبلديات يتحكم فيها أصلاً المحتل
البريطاني

يَا قَوْمُ لَيْسَ عَدُوُّكُمْ مِمَّنْ يَلْبِنُ وَيَرْحُمُ
يَا قَوْمُ لَيْسَ أَمَامَكُمْ إِلَّا الْجَلَاءُ فَحَزُّمُوا

١٥ سواد

لَا تَلْمَنِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ وَمِيضٍ لِرَجَاءٍ مَا بَيْنَ هَذَا السَّوَادِ

١٦ السماسرة

أَمَّا سَمَاسِرَةُ الْبِلَادِ فَعُصْبَةٌ عَارٌّ عَلَى أَهْلِ الْبِلَادِ بَقَاؤُهَا
السماسرة: رجال كانوا يسعون بين عربي يملك الأرض ويهودي يريد شراءها
هُمْ أَهْلُ نَجْدَتِهَا، وَإِنْ أَنْكَرْتَهُمْ، وَهُمْ، وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ، زُعَمَاؤُهَا
وَحُمَاتُهَا، وَبِهِمْ يَتِمُّ خَرَابُهَا وَعَلَى يَدَيْهِمْ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا

١٧ أيها المحتلون

قَدْ شَهِدْنَا لِعَهْدِكُمْ بِالْعَدَالَةِ وَخَتَمْنَا لِجُنْدِكُمْ بِالْبَسَالَةِ
يسخر من البريطانيين المحتلين

وَعَرَفْنَا بِكُمْ صَدِيقًا وَفِيًّا كَيْفَ نَنْسَى انْتِدَابَهُ وَاحْتِلَالَهُ
وَحَجَلْنَا مِنْ لُطْفِكُمْ يَوْمَ قُلْتُمْ وَعَدُ بَلْفُورٍ نَافِذًا لَا مَحَالَةَ
ونشرح هذا الشعر في مارس ٢٠١٧، وبعد أشهر يحتفل وعد بلفور بعيد مولده المئة، وهو وعد
بريطاني لليهود بوطن قومي لهم في فلسطين

كُلُّ أَفْضَالِكُمْ عَلَى الرَّأْسِ وَالْعِيدِ نِ، وَلَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ لِدَلَالَةٍ
وَلَيْتُنْ سَاءَ حَالُنَا فَكُفَانَا أَنْتُمْ عِنْدَنَا بِأَحْسَنِ حَالَةٍ
غَيْرَ أَنَّ الطَّرِيقَ طَالَتْ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ، فَمَا لَنَا وَالْإِطَالَةَ؟
أَجْلَاءَ عَنِ الْبِلَادِ تُرِيدُو نَ فَتَنْجِلُو، أَمْ مَحَقَّنَا وَالْإِرَالَةَ؟

١٨ عودة نوح

مَنْ كَانَ يُنْكِرُ نُوحًا أَوْ سَفِينَتَهُ فَإِنَّ نُوحًا بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ عَادَا
حَلَّ الْوَبَالِ بِعِيبَالٍ فَمَالَ بِهِ يَا هَيْبَةَ اللَّهِ إِهْرَاقًا وَإِزْعَادَا
عيال: الجبل الشمالي لمدينة نابلس، ويقصد عموم المدينة

مَنْذُ احْتَلَلْتُمْ وَشَوْمُ الْعَيْشِ يُرْهِقُنَا فَقْرًا وَجَوْرًا وَإِتْعَاسًا وَإِفْسَادًا
بِفَضْلِكُمْ قَدْ طَعَى طُوفَانُ هِجْرَتِهِمْ وَكَانَ وَعْدًا تَلَقَّيْنَاهُ إِعْبَادًا
كَالْفَيْضَانِ الَّذِي حَلَّ بِنَابِلُسَ ثَمَ طُوفَانٌ هُوَ هِجْرَةُ الْيَهُودِ الَّتِي سَهَّلَ أَمْرَهَا الْمُحْتَطُونَ الْبَرِيطَانِيُونَ،
كَانَتْ وَعْدًا، هُوَ وَعْدُ بَلْفُور، وَتَحَوَّلَتْ إِلَى إِعْبَادٍ، تَهْدِيدُ لِرُجُودِنَا

وَالْيَوْمَ، مِنْ شَوْمِكُمْ، تُبْلَى بِكَارِثَةٍ هَذَا هُوَ الطَّيْنُ وَالْمَاءُ الَّذِي زَادَا
وَالْيَوْمَ لَشَوْمِكُمْ عَلَيْنَا نَبْتَلَى بِكَارِثَةِ الْفَيْضَانِ. . وَيَنْظُرُ الشَّاعِرُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الْفَيْضَانُ مِنْ طَيْنٍ
وَوَحْلٍ، وَيَخْطُرُ بِيَالِهِ الْمَثَلُ «زَادَ الطَّيْنُ بِلَّةً»

١٩ أيها الثقيل!

أَنْتَ كَالِاحْتِلَالِ زَهْوًا وَكِبْرًا أَنْتَ كَالِإِنتِدَابِ عُجْبًا وَتِيهَا
العجب والته: التكبر

أَنْتَ كَالِهِجْرَةِ الَّتِي قَرَضُوهَا لَيْسَ مِنْ حِيلَةٍ لِقَوْمِكَ فِيهَا
أَنْتَ أَيُّهَا الثَّقِيلُ كَهِجْرَةِ الْيَهُودِ الْقَادِمِينَ إِلَى فِلَسْطِينَ أَفْوَاجًا وَلَا حِيلَةَ لَنَا فِيهَا، وَكَذَا لَا حِيلَةَ لَنَا
فِيكَ

أَنْتَ أَنْكَى مِنْ بَائِعِ الْأَرْضِ عِنْدِي أَنْتَ أَعْذَارُهُ الَّتِي يَدْعِيهَا
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ وَجْهٌ سِمْسَا رٍ عَلَى شَرَطٍ أَنْ يَكُونَ وَجْهًا
وَجْهَكَ كَوَجْهِ السِّمْسَارِ بَائِعِ الْأَرْضِ لِلْعَدُوِّ، شَرَطُ أَنْ يَكُونَ سِمْسَارًا مِنَ الْوُجْهَاءِ الْأَثْرِيَاءِ فَهَذَا أَقْبَحُ لَهُ
وَجَبِينُ مِثْلُ الْجَرِيدَةِ لَمَّا لَمْ تَجِدْ كَاتِبًا عَفِيفًا نَزِيهَا

وحديث فيه ابتذال «احتجاج» كُلُّمَا تَمَقُّوهُ عَادَ كَرِيهَا
حديثك فيه ابتذال كابتذال عرائض الاحتجاج التي كان الناس «يرفعونها» للسلطات المحتلة بدل أن
يقاوموا الاحتلال

جُمِعَتْ فِيكَ عُضْبَةٌ لِلْبَلَايَا وَأَرَى كُلَّ أُمَّةٍ تَشْتَكِيهَا

هذا أسلوب «الاستطراد» في الشعر، وقد قَدَّ له أبو تمام؛ فعندما قال في امرأة (يا
نَكْبَةَ هَشَمْتَ أَنْتَ السُّرُورَ بِهَا/ وَمَيِّتَةَ أَبْقَيْتِ الْعُرَابَ عُرَابًا) سأل تلميذه البحري: ما
هذا؟ فقال البحري: لا أدري. فقال أبو تمام: هذا الاستطراد.. أن تُوهَم السامع
بمعنى وأنت تقصد غيره. وفي البيت يترحم أبو تمام على المرأة المتوفاة لأن السرور
زال بموتها، وعاد العراب عزاباً بحق، وهو يقصد أنها كانت تلهو - على الأقل -
معهم. فهو يهجوها ويكشِّخ زوجها في الحقيقة. وطوقان فرش الاستطراد على قصيدة
يوهمنا فيها أنه يهجو ثقيلاً من الثقلاء ولكنه يرمي إلى هجاء السامسة والصحفين
المنافقين. راجع في «الاستطراد» الشعري أمثلة كثيرة سقناها في كتابنا «تجدد الشعر»
وهو الجزء الثاني من خماسية «الزبدة» التي بيدك جزؤها الأخير

٢٠ لنا خصمان

أَمَامَكَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ يَوْمٌ تَشِيبُ لَهُوْلُهُ سَوْدُ النَّوَاصِي
وَأَنْتَ، كَمَا عَهْدُتُكَ، لَا تُبَالِي بِغَيْرِ مَظَاهِرِ الْعَبَثِ الرَّخَاصِ
لَنَا خَصْمَانِ: ذُو حَوْلٍ وَطَوَّلٍ وَأَخْرُ ذُو احْتِيَالٍ وَأَقْتِنَاصِ
لنا خصمان، أحدهما له حول وطول: جبروت وقوة، وهو البريطانيون، والآخر محتال يقتنص
أرضنا اقتناصاً هو اليهود

تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ فَأَتَى وَبَالاً وَإِذْ لَنَا ذَاكَ التَّوَاصِي
تواصوا: اتفقوا وأوصى بعضهم بعضاً

مَنَاهَجُ لِلْإِبَادَةِ وَاضِحَاتُ وَبِالْحُسْنَى تُنْفَذُ وَالرِّصَاصِ

٢١ يا زعماءنا

أَنْتُمْ الْمُخْلِصُونَ لِلْوَطَنِيَّةِ أَنْتُمْ الْحَامِلُونَ عِبَاءَ الْقَضِيَّةِ
يسخر من زعماء فلسطين أيام الاحتلال البريطاني

أَنْتُمْ الْعَامِلُونَ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ بَارَكَ اللَّهُ فِي الزُّنُودِ الْقَوِيَّةِ
وَبَيَانٍ مِنْكُمْ يُعَادِلُ جِيشاً بِمُعَدَّاتٍ رَحِفَةٍ الْحَرْبِيَّةِ
وَاجْتِمَاعٍ مِنْكُمْ يَرُدُّ عَلَيْنَا غَايِرَ الْمَجْدِ مِنْ فُتُوحِ أُمِّيَّةِ

وخلّاصُ البلادِ صَارَ على البا ب، وجَاءَتْ أَعْبَادُهُ الْوَرْدِيَّةُ
مَا جَحَدْنَا أَفْضَالَكُمْ غَيْرَ أَنَّا لم تَزَلْ فِي نَفْسِنَا أُمْنِيَّةُ
فِي يَدَيْنَا بَقِيَّةٌ مِنْ بِلَادٍ فاستريحُوا كي لا تَطِيرَ الْبَقِيَّةُ

٢٢ الرقم ألف

يُهاجِرُ أَلْفٌ، ثُمَّ أَلْفٌ مُهْرَبًا وَيَدْخُلُ أَلْفٌ سَائِحًا، غَيْرَ آيِبٍ
يدخل اليهود فلسطين بالهجرة المسموح بها من قبل المحتل البريطاني، وبالتهرب، ويدخلون سياحة
لكن بلا إياب

وَأَلْفٌ جَوَازٍ ثُمَّ أَلْفٌ وَسِيلَةٍ لِتَسْهِيلِ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ مَصَاعِبٍ
وَفِي الْبَحْرِ أَلْفٌ كَأَنَّ عُبابَهُ وَأُمُوجَهُ مَشْحُونَةً فِي الْمَرَائِبِ
وفي البحر مراكب تقل آلاف اليهود، فكان عباب البحر وأمواجه هي الموجودة داخل السفن لكثرة
ما بها من البشر

بَنِي وَطَنِي، هَلْ يَفْقَظُهُ بَعْدَ رَقْدَةٍ؟ وَهَلْ مِنْ شُعَاعٍ بَيْنَ تِلْكَ الْغَيَاهِبِ؟
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَلِلْيَاسِ هَبَّةٌ، أُنَادِي أَمِينًا أَمْ أَهْيَبُ بِرَاغِبِ؟
هل أنادي أمين الحسيني أم راغب النشاشيبي الزعيمين اللذين كانا يتنازعان على الزعامة؟

٢٣ لمن الربيع؟

أَرَأَيْتَ مَمْلَكَةَ الرَّبِيِّ عِ، يُعِيدُ رَوْنَقَهَا الرَّبِيعُ؟
وَيُسَوِّجُ الرَّاعِي بِهَا مَلِكًا، رَعِيَّتُهُ الْقَطِيعُ
الذُّبُّ يَرْهَبُهُ، وَيَلُ ثُمَّ كَفَّهُ الْحَمْلُ الْوَدِيعُ
يلثم: يَقْبَلُ

فَرَحُ الرَّبِيعِ لِمَنْ لَهُ أَرْضٌ، وَلَيْسَ لِمَنْ يَبِيعُ

٢٤ أوهام الظلام

عِلَامَ احْتِرَاسُكَ؟ لَا أَعْلَمُ وَفِيمَ احْتِشَادُكَ؟ لَا أَفْهَمُ
حشدت حكومة الاحتلال البريطاني في فلسطين قواتها تحسباً من مظاهرات في «موسم النبي
موسى»، وهو موسم شعبي شبه ديني يقام سنوياً قرب أريحا ويحضره المنشدون والفرق الصوفية
والباعة المتجولون

وهل في فلسطين ما ترهبين سوى أنه اجتمع «الموسم»؟
جوادٍ يراكيه عائر وأين له الفارس المعلم؟
فلسطين مثل حصان يعثر براكيه، ولا فارس معلماً له، أي الفارس الذي يضع شارة التميز والبطولة
وسيفٌ بحامليه ساخر وأين له الكف والمغصم؟
مظاهر، ليس بها ما يخيف ولكنما خاف من يظلم

٢٥ عزة الإسلام

يومٌ بداجية الزمان ضياء وبهاؤه للخافقين بهاء
مولد النبي كان يوماً مضياً في ظلام الزمن، وكان بهاء هذا اليوم وإشراقه بهاء للخافقين، الشرق والغرب

وإذا من الفوضى نظام معجز وقيادة وسيادة ودهاء
الإسلام جاء بالنظام المعجز بعد الفوضى

وإذا الخيام قصور أملاك الورى وإذا القفار دمشق والزوراء
خيام العرب تحولت بالإسلام إلى قصور لملوك البشر، وقفار العرب وصحراؤهم صارت حواضر الدنيا كدمشق والزوراء، بغداد

وعلى ربوع الصين كبر قيلق وبأرض قسطنطين رفّ لواء
أرض قسطنطين: بلاد الروم، تركيا الحالية

تلك الخوارق إن طلبت أدلة تبّت البراق بهنّ والإسراء
هذا التمدن السريع وتلك الانتصارات الباهرة المعجزة أدلة تثبت حدوث معجزات أخرى كالبراق الذي أسرى بالنبي ثم عرج به إلى السماء

نزل الكتاب على النبي محمد، ما يصنع الخطباء والشعراء!
القرآن جعل الخطباء والشعراء يدركون أن بلاغتهم ضئيلة القيمة بجانبه

ناديت قومي لا أخصص مسلماً أبناء يعرب في الخطوب سواء
أبناء يعرب: يعني العرب جميعاً. فإذا قال البحري «نحن، أبناء يعرب، أعرب الناس لساناً» فهو يعني اليمانيين ليس غير

إن الكتاب شريعة استقلالكم فتدبروه وأنتم الخلفاء
القرآن دستوركم إذ تسعون للاستقلال، فتدبروا معانيه فهو في مقام الدستور وأنتم في مقام الخلفاء

٢٦ الزلزال

أَذْمُوعُ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ تَجْرُحُ الْقَلْبَ أَمْ دُمُوعُ الرِّجَالِ؟
بَلَدٌ كَانَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا فَرَمَاهُ الْقَضَاءُ بِالزَّلْزَالِ
مَادَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ شَبَّتْ وَأَلْقَتْ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنَ الْأَثْقَالِ
مادت الأرض ومالت، ثم شبت، ارتفعت، ورمت ما عليها من أثينة

فإذا الدُّورُ وَهِيَ إِمَّا قَبُورٌ تَحْتَهَا أَهْلُهَا، وَإِمَّا خَوَالِ
خوال: خالية من الناس. وفي زلزال ١٩٢٧ بفلسطين، خرج أهالي نابلس من بيوتهم وتفرقوا في الجبال

رَبِّ إِنَّ الْكُرُوبَ تَتَرَى عَلَيْنَا حَسْبُنَا كَرْبُ هِجْرَةٍ وَاحْتِلَالِ
ترى: متوالية، والهجرة المقصودة: هجرة اليهود إلى فلسطين، فشاعرنا مات قبل أن يهجر
الفلسطينيون من بلدهم

٢٧ الطريق المعبد

لِي بِالْحَيَاةِ تَعَلَّقْ وَتَشَدَّدْ وَالْعُمُرُ مَا بَعْدَ الْمَدَى فَسَيَنْقَدُ
نَفْسٌ أُرِدَّتْهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لِلْمَوْتِ بَيْنَ جَوَانِحِي يَتَرَدَّدُ
يتردد نَفْسِي بين أضلاعي وكأنه خطوات المسير نحو الموت
وَيْلٌمُ بِي أَلَمْ أَخَاتِلْهُ بِمَا يَصِفُ الطَّبِيبُ فَيَسْتَكِينُ وَيَخْمَدُ
أخاتله: أخادعه

وَيَسْرُئُنِي أَنِّي نَجَوْتُ مِنَ الْأَدَى، وَيَلِي! كَأَنِّي إِنْ نَجَوْتُ مُخَلَّدُ
وَكَأَنَّنِي ضَلَلْتُ سَبْرَ مَنِيَّتِي إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْفَنَاءِ مُعَبَّدُ
كأنني بتناول الدواء قد جعلت موتي يضل الطريق إلي.. لكن، هيهات، فطريق الموت معبد
هيهات لست بخادع عَيْنَ الرَّدَى عَيْنُ الرَّدَى يَقْطِي، وَعَيْنُكَ تَرْقُدُ

٢٨ رثاء شريف مكة

رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّهُ غَالَهُ الْيَأْسُ، وَكَانَ الْأَمَلُ
وَنَحَ قَوْمٌ خَذَلُوهُ بَعْدَمَا أَخَذُوا الْمِثْقَالَ إِلَّا يَخْذُلُوا
وجع الإنجليز الذين غدروا بشريف مكة وخذلوه بعد أن أخذوا تعهداً منه ألا يخذلهم هو في حربهم
ضد الدولة العثمانية

كَادَتْ الكَاسُ الَّتِي فِي قُبْرُصٍ تُشْبِهُ الكَاسَ الَّتِي فِي كَرْبَلَا
كَادَ مَوْتُهُ مَنِيئاً فِي قُبْرُصٍ، ١٩٣١، يَشْبَهُ مَقْتَلَ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي كَرْبَلَا

٢٩ رثاء فيصل العراق

شَيْعِي اللَّيْلِ وَقَوْمِي اسْتَقْبَلِي طَلْعَةَ الشَّمْسِ وَرَاءَ الْكَرْمَلِ
يَا فِلَسْطِينَ وَدَعِي لِيكَ وَقَوْمِي اسْتَقْبَلِي طُلُوعَ الشَّمْسِ وَرَاءَ جَبَلِ الْكَرْمَلِ بَحِيْفاً.. وَكَانَ جِثْمَانِ
فِيصَلْ مَلِكَ الْعِرَاقِ قَدْ ثَقَلَ مِنْ سَوِيْسِرَا حَيْثُ تُوْفِي، ١٩٣٣، إِلَى مِينَاءِ حَيْفَا فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَثْوَاهِ
الْآخِرِ فِي بَغْدَادِ، وَخَرَجَ الْفِلَسْطِينِيُّونَ يَسْتَقْبِلُونَ الْجِثْمَانِ

وَاخْشَعِي! يُوشِكُ أَنْ يَغْشَى الْجَمَى يَا فِلَسْطِينَ سَنَى مِنْ فِيصَلِ
اخْشَعِي يَا فِلَسْطِينَ، اخْضِي بِصَرْكِ، إِذْ يَكَادُ يَغْشَى الْبِلَادَ سَنَى، نُورٌ سَاطِعٌ، مِنْ فِيصَلِ

ذَلِكَ الْفُلُكُ الَّذِي يَحْمِلُهُ مِثْلُهُ مِنْذُ جَرَى لَمْ يَحْمِلِ
الْفُلُكُ، أَيْ السَّفِينَةُ، الَّذِي حَمَلَ فِيصَلاً لَمْ يَحْمِلْ شَخْصاً مِثْلَهُ مِنْذُ أَنْ جَرَى فِي الْمَاءِ، أَيْ مِنْذُ أَنْ
صَنَعَ الْبَشَرُ السَّفْنَ

لَوْ تَعَدَّى لُجَّةَ الْبَحْرِ بِهِ خَاصَ فِي لُجَّةٍ دَمَعَ مُسْبِلِ
لَوْ أَنَّ السَّفِينَةَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْيَابِسَةِ فَلَا بَأْسَ.. سَتَخْوُضُ فِي بَحْرِ مِنَ الدَّمْعِ الْمَسْبِلَةِ
الْهَاطِلَةُ حَزْناً عَلَى الْفَقِيدِ

رَاقِدٌ يَنْعُمُ فِي ضَجْعَتِهِ خَلَّفَ الدُّنْيَا بِهِ فِي شُغْلِ
مَاتَ فِيصَلٌ وَتَرَكَ الدُّنْيَا مَتَشَغَّلَةً بِذِكْرِهِ وَالْحَزْنَ عَلَيْهِ

أَيَقُظُ اللَّوْعَةُ فِيهَا وَالْأَسَى وَغَفَا بَيْنَهُمَا لَمْ يَخْفَلِ
مَا الَّذِي أَعْدَدْتَ مِنْ طَيِّبِ الْقَرَى يَا فِلَسْطِينَ لِضَيْفِ مُعْجَلٍ؟
الْقَرَى: طَعَامُ الضَّيْفِ

لَا أَرَى أَرْضاً تُلَاقِيهِ بِهَا قَدْ أَضَاعَ الْأَرْضَ بَيْنُ السُّفْلِ
أَضَاعَ الْأَرْضَ السَّفَلَةُ الَّذِينَ بَاعُوهَا لِلْيَهُودِ

فَاسْتُرِي وَجْهَكَ لَا يَلْمَخْ عَلَيَّ صَفَحَتِيهِ الْخِزْيَ فَوْقَ الْحَجَلِ
مَنْ هَذَا لِلْمَثَلِ الْأَعْلَى يَجِدُ فِي بَنِي هَاشِمٍ أَعْلَى مَثَلِ
هَذَا: اشْتَاقُ

أَيُّكُمْ يَا آلَ بَيْتِ الْمُصْطَفَى مَا قَضَى مُسْتَشْهِداً مِنْذُ عَلَيٍّ؟

٣٠ حسرة على وطن يتسرب

وطني أخاف عليك قوماً أصبحوا يتساءلون: من الزعيم الأليق؟
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه باب على سود العواقب مغلق
باب الشقاق، والاختلاف، مغلق فإن فتحتموه فوراءه عواقب وخيمة

أما الزعامة فالحوادث أمها تُعطى على قدر الفداء وتُرزق
الزعامة تنال بوقوف الزعيم في وجه الحوادث التي تحل بالبلد، ويقدر ما يقدم من تضحية

يا ابن البلاد، وأنت سيد أرضها وسماؤها، إنني عليك لمشفق
ماذا يرُدُّ الظلم عنك، أحسرة أم زفرة، أم عبرة تترقرق؟
لا تلجأ إذا ظلمت لمنطق فهناك أضيع ما يكون المنطق
لا ينفع المنطق، أي الكلام والخطابات والاحتجاجات، في مواجهة الظلم، فلا بد من مقاومة

٣١ رثاء الشيخ سعيد الكرمي

سلف صالح، بقيّة قوم بارك الله عهدكم في العهود
عرفوا الخير، أكرموا فاعليه جهلوا اللؤم جهلهم للجحود
وإذا ما تجردوا لعداء وقفوا بالعداء عند حدود
هذا معنى يدركه كرام الناس فقط

ما أشد افتقارنا لسمو الـ خلق في هذه الليالي السود
ما لكم! بغضكم يمزق بعضاً أفرغتم من العدو اللدود؟
إذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً وانظروا ما لخصمكم من جهود
انظروا جهود خصمكم اليهودي الذي بيني المستوطنات ويتسلح

والمسوا باليدين صرحاً منيعاً شاد أركانه بعزم وطييد

٣٢ المخدوعون

تمكّن الذل من قومي فلا عجب ألا يُبالوا بتقريع وتأنيب
ما أشرف العذر لو أن الوعي نثر أشلاءهم بين مطعون ومضروب
كان يكون لهم عذر لو أن الحرب نثرت أشلاءهم قتلى

لَكِنْ دَهَتْهُمْ أَسَالِيبُ الْعُدَاةِ وَهُمْ سَاهُونَ لَاهُونَ عَنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ

لكنهم وقعوا في شرك أساليب الأعداء

وَيَقْنَعُونَ بِمَبْذُولٍ يُلَوِّحُهُ مُسْتَعْمِرُهُمْ بِتَبْعِيهِ وَتَقْرِيبِ

ويقنعون بما يمنحه لهم المحتل من فئات، وما يقدمه من وعود، ويتبعيده وتقريبه،
و«التبعيد والتقريب» تعني الدهاء السياسي، واللفظ جاء عند البحري (أَحْكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِالتَّبْعِيدِ،
وَالثَّ - قَرِيبٍ، وَالتَّضْعِيبِ، وَالتَّشْهِيلِ)

كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَيِّدْ مَجْدُ أَوْلِيهِمْ عَلَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْأَنْابِيبِ

أطراف الأنابيب: أطراف الرماح

٣٣ رثاء أديب منصور

وقد اغتالته المصائب الصهيونية بقتلة موقوتة وكان زميلاً للشاعر في الإذاعة
ال فلسطينية

تُفِيضُ أَكَالِيلَهُ طَيْبَهَا وَدُونَ شَمَائِلِهِ كُلُّ طَيْبٍ

الأكاليل على قبره تبعث عطر أزهارها، ولكن شمائله، خصاله وصفاته، أحسن من كل طيب

وَعُدْتُ عَنِ الْقَبْرِ فِي الْعَائِدِينَ أَمَامِي نَحِيبٌ وَخَلْفِي نَحِيبٌ

٣٤ يا طير!

قُلْتُ لِلطَّيْرِ حِينَ أَصْبَحَ يَشْدُو: أَيُّهَا الطَّيْرُ عِمَّ صَبَاحاً! فَرَدّاً

ثُمَّ عَنِّي أَنْشُودَةً عَنْ حَبِيبٍ لَمْ يَكُنْ ظَالِماً وَلَا خَانَ عَهْداً

أَضْرَمَ الذِّكْرِيَّاتِ بِي ثُمَّ وَلَّى، لَا رِمَاكَ الصَّيَّادُ، أَسْرَفْتَ جِدّاً

أشعل هذا الطائر الذكريات بقلبي ثم طار، وأدعو لك أيها الطائر ألا يرميك صياد، لكنك أسرفت
في بعث ذكرياتي من مرقدتها

٣٥ في المكتبة

وَعَرَبِيَّةٌ فِي الْمَكْتَبَةِ بِجَمَالِهَا مُتَنَقِّبَةٌ

كانها تضع نقاباً على وجهها هو في الواقع جمالها

جَلَسْتُ لِتَقْرَأَ أَوْ لِتَكُتِبَ تُبَّ مَا الْمَعْلَمُ رَتَّبَهُ

فَدَنَوْتُ أَسْتَرِقُ الْخُطَى حَتَّى جَلَسْتُ بِمَقْرُبَةٍ

وَحَبَسْتُ، حَتَّى لَا أَرَى، أَنْفَاسِي الْمُتَلَهَّبَةَ
وَنَهَيْتُ قَلْبِي عَنْ خَفْوِ قِي فَاضِحٍ، فَتَجَنَّبَهُ
رَاقِبُهَا، فَشَهِدْتُ أَنَّ- اللَّهَ أَجْزَلَ فِي الْهَبَةِ
حَمَلَ الثَّرَى مِنْهَا عَلَى نُورِ الْيَدَيْنِ وَقَلْبِهِ

عندما خلقها الله حمل ترابها على نور يديه وقلبه تقليباً، وهو يصنع منه طينها

وَسَقَاهُ فِي الْفِرْدَوْسِ مَخْ- تَوَمَّ الرَّحِيقِ وَرَكَّبَهُ
وسقى ترابها من الرحيق الفردوسي المختوم، من خمر الجنة المختوم عليه في دنانها، وركب من
التراب والخمر طين هذه المخلوقة

فَإِذَا بِهَا مَلِكَ تَنَزَّرَ- لَ لِلْقُلُوبِ الْمُتَعَبَةِ
فكانها من الملائكة

بِالْبَيْتِ حَظَّ كِتَابِهَا لِضُلُوعِي الْمُتَعَذِّبَةِ
ليت ضلوعي يبيدها بدل كتابها

حَضَنْتُهُ نَقْرًا مَا حَوَى وَحَنْتُ عَلَيْهِ وَمَا انْتَبَهَ
حمار هذا الكتاب الذي لم ينتبه إلى أن أليس تحتضنه (لعل القصيدة قيلت في «أليس
تين» الشامية التي كانت تدرس في الجامعة الأميركية آنذاك وفنتت عقول عدة شعراء
منهم العراقي والشامي والفلسطيني، وهي الآن في الغالب قد رجعت إلى تراب الله،
إلا إن كانت عمرت إلى سن المئة وعشر سنين)

فَإِذَا انْتَهَى وَجْهُ وَنَا لَ ذُكَاؤُهَا مَا اسْتَوْعَبَهُ
وجه: أي صفحة

سَمَحْتُ لِأَنْمُلِهَا الْجَمِيعَ لِي بِرَيْقِهَا كِي تَقْلِبَهُ
وَسَمِعْتُ وَهِيَ تُغْمِغِمُ الْ- كَلِمَاتِ نَجْوَى مُطَرِبَةٍ
يقول الشارح: كأنها كبعض زميلاتي عفا الله عنهن، ممن كن يدرسن بالتمتمة، لا تعرف عيونهن
القراءة بلا لسان

وَرَأَيْتُ فِي الْقَمِّ بِدَعَا خَلَابَةً مُسْتَعَذَّبَةً
إِحْدَى الثَّنَايَا النَّيِّرَا تِ، بَدَتْ، وَلَيْسَ لَهَا شَبَهُ
الثنايا: الأسنان، النيرات: اللامعات

مَثْلُومَةً مِنْ طَرَفِهَا لَا تَحْسَبَنَّهَا مَثْلَبَةً
سنتها مكسور من طرفه، لكن هذا ليس مثلبة، ليس عيباً

هِيَ، لَوْ عَلِمْتَ، مِنْ الْمَحَا سِنَّ عِنْدَ أَرْفَعِ مَرْتَبَةٍ
هِيَ مَصْدَرُ السَّيْنَاتِ تُك سَبُّهَا صَدَى، مَا أَعَذَبَهُ
كان ناحبنا يتمتع بكلامها، وللنات فيما يعشقون مذاهب

٣٦ القلب القافز

سَلَامٌ عَلَيْكَ وَلَوْ شَقَّنِي مِنْ الْوَجْدِ وَالْيَاسِ مَا شَقَّنِي
شفني: أهزلي وأنحل جسمي

أَدَارِي غَرَامَكَ جَهْدَ الْحَلِيمِ فَمَا يَسْتَرِيحُ، وَمَا أَنَّثَنِي
وَقَلْبِي كَمَا يَشْتَهِيهِ الْهَوَى لِغَيْرِ جَمَالِكَ لَمْ يُذْعِنِ
خَفُوقٌ، وَلَوْ شِئْتَ سَكَنَتِهِ وَلَوْ شَاءَ غَيْرُكَ لَمْ يَسْكُنِ
سَقِيمٌ، وَلَوْ شِئْتَ أَبْرَأْتِهِ بِعَظْفِكَ مِنْ دَائِهِ الْمُزْمِنِ
إِذَا كُنْتَ مِنْهُ تَجَاهَ الْيَمِينِ يَخْفُ إِلَى جَانِبِي الْأَيْمَنِ
يقفز قلبه إلى الجانب الأيمن إن كانت المحبوبة تجلس إلى يمينه

٣٧ طيفها

مَا أَشَدَّ الْهَوَى، وَمَا أَطْوَلَ الْلَيْلِ لَمْ، وَمَا أَبْعَدَ الْكُرَى عَنْ جَفَوْنِي
رُبَّ ذَكَرَى، وَمَا هَجَعْتُ، اسْتَحَالَت لَخَيَالٍ سَرَى فَأَذَكِي شَجَوْنِي
رب ذكرى استحالت، أي تحولت، قبل أن أنام إلى خيال، طيف، فأذكى، وأشعل، هذا الطيف
مشاعري

ضَمَّنِي، ثُمَّ رَدَّنِي وَتَلَاشَى فِي الدِّيَاجِي كَمَا تَلَاشَى أُنِينِي
رَاعَنِي أَمْرُهُ فَنَبَّهْتُ مَنْ حَو لِي دُعْرًا بِصُرْخَةٍ فِي السَّكُونِ
سَأَلُونِي فَلَمْ أُجِبْ، بَلْ تَنَاوَمَ نْتُ، فَنَامُوا، وَلِلْأَسَى خَلْفُونِي

٣٨ حبيبي أحلى

مَا رَوْنَقُ الْفَجْرِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةٌ إِذَا تَنَقَّسَ نُورًا فِي حَنَائِيهَا..
يبدأ تشبيهاً طويلاً: ليس رونق الفجر، أي أوله، عندما يتنفس الفجر ويبدأ بالظهور في حنايا
الظلماء ووسطها..

فَهَبَّتِ الطَّيْرُ تَدْعُو الطَّيْرَ مَرِيسَةً مِنْ الْأَغَارِيدِ أَحْلَاهَا وَأَشْجَاهَا

وتهب الطيور مستيقظة يدعو بعضها بعضاً بأحلى زقزقة وتغريد..

ولا الورودُ كأمثالِ الخُدودِ، وقد تَفَتَّحَتْ في الرياضِ الفِيحِ نَعَشَاهَا..

وليس الورود، التي تشبه خدود الحسان، عندما تفتتح هذه الورود وتغشى وتغطي الرياض الفيح، أي الفيحاء العطرة..

كَأَنَّ وَلَا قَطْرَاتُ الطَّلِّ كَامِنَةٌ فِي الْأَقْحُوَانِ وَأُمُّ الشَّهْدِ تَرَعَاهَا..

وليس قطرات الطل، أي الندى، المختبئة في الأقحوان، بينما أم الشهد، وهي النحلة، ترعى القطرات وتحنو عليها (أو إن شئت ترعى النحللات الأقحوانات مثلما يرعى الخروف العشب)..

يَوْمًا بِأَجْمَلَ مِنْ مَيِّ إِذَا ابْتَسَمَتْ تَحْتَ النُّقَابِ وَلا حَتَّ لِي ثَنَائِيهَا

كل هذا ليس أجمل من ابتسامه مَي تحت نقابها، وقد لمعت - برغم النقاب - أسنانها البيض

٣٩ وجع أسنان

رِسَالَةٌ وَاهَا لَهَا وَاهَا شَرِفْتُ بِالدَّمْعِ لِفَحْوَاهَا

مِنْ غَادَةٍ عَذَّبَنِي نَأْيُهَا مَا ضَرَّ لَوْ كُنْتُ وَإِيَّاهَا

أَضْرَأُهَا تُؤْلِمُهَا لِيَتَنِي أَشْكُو الَّذِي سَبَّبَ شَكْوَاهَا

تِلْكَ ثَنَائِيهَا الَّتِي نُضِدْتُ عِقْدَيْنِ وَالْمَكْسُورُ إِخْدَاهَا

والسن المكسور أحد هذه الأسنان التي تشكل في عقدتين، وكلامه بلا شك عن فائته وزميلته في الجامعة الأميركية ذات السن المكسور

أَثَارُهَا فِي شَفَتِي لَمْ تَزَلْ يَا ضُلَّ مَنْ يَجْهَلُ مَعْنَاهَا

٤٠ في دير قديس

لَمْ أَلَقْ بَيْنَ لِيَالِيِ الَّتِي سَلَفَتْ كَلِيلَةً بِثُهَا فِي «دَيْرِ قَدِيسٍ»

دير قديس قرية فلسطينية

ضَمَمْتُ حَسَنَاءَ لَمْ يُخْلَقْ لَهَا مَثَلٌ بَيْنَ الْحَسَانِ وَلَا حُورِ الْفَرَادِيسِ

مَا عَرْشُ بَلْقِيسَ فِي إِبَانِ دَوْلَتِهَا وَلَا سَلِيمَانُ مَزْفُوفاً لِبَلْقِيسِ

يَوْمًا بِأَعْظَمَ مِنَّا فِي السَّرِيرِ وَقَدْ دَامَ الْعِنَاقُ إِلَى قَرَعِ النَّوَاقِيسِ

٤١ كُفِّرَ كُنَّا

جُزْتُ بِالْحَيِّ فِي الْعَشِيِّ فَهَبْتُ نَفْحَةً أَنْعَشْتُ فَوَادِي الْمُعْنَى
جزت بالحي، أي مررت به، عشاء فهبت نسمة أنعشت قلبي المتعب

قُلْتُ: مِنْهَا؛ وَدُرْتُ أَنْظُرُ حَوْلِي نَظَرَاتِ الْمَلْهُوفِ يُسْرِى وَيُمْنَى
قلت لنفسي: لا بد أنها نسمة من عطر الحبيبة

وَإِذَا طَيِّبٌ جَنِيٍّ مِنَ الرُّمَّةِ - إِنْ مِثْلُ النُّهُودِ لَوْ هِيَ تُجَنَّى
فإذا بها رائحة رمان جني، مقطوف لتوه، كأنه النهود لو جاز عليها أن تقطف

وَأَفَقْتُ نَظَرَتِي نِدَاءَ غُلَامٍ: (نَاصِرِي يَا رُمَّانُ . . مِنْ كُفْرِ كُنَّا)
رأيت غلاماً ينادي على الرمان، وينسبه إلى مدينة الناصرة وقرية كفر كنا

قُلْتُ أَسْرَعُ بِهِ فِدَى لَكَ مَالِي وَتَرَنْتُمْ بِذِكْرِهِ وَتَغَنَّى
يا رسول الحبيب من حيث لم تدر، لقد جئتني بما أتمننى
ذكره الرمان بغراميات كانت له في كفر كنا

٤٢ الشيء بالشيء يذكر

أَسَائِلُ الْبَدْرِ حَيْرَا نَ عَنْكَ إِنْ هُوَ أَسْفَرُ
ذَكَرْتُ وَجْهَكَ فِيهِ وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ
كَوْنِي بِوُدِّكَ كَالْبَدْرِ فَهُوَ يَخْفَى وَيُظْهِرُ
ليكن ودك كالبدر يغيب ثم يظهر . . فأما ودك فهو غائب دائماً

٤٣ رَاكِضاً نَحْوَ الْحَبِيبَةِ

رُبَّ يَوْمٍ كَأَنَّمَا كَرَعَ الْبَحْرُ - رَ، فَغَطَّى السَّمَاءَ بِالْمُعْصِرَاتِ
كان هذا اليوم كرع، أي شرب، البحر، فتغطت السماء بالمعصرات، أي الغيوم

يَتَزَاخَمَنَّ فِي الْفُضَاءِ الْهُوَيْنَى مُسْبِلَاتِ الذُّيُولِ مِنْهُمِرَاتِ
تنزاحم الغيوم في السماء لكنها تسير الهوينى، بطيئة، وتسبل وتزخي ذبولها على هيئة أمطار

عَصَفَ الشُّوقُ يَوْمَئِذٍ بِأَضْلَا عِي، فَأَزْرَى بِثُورَةِ الْعَاصِفَاتِ
الشوق هز صدري فأزرى بثورة العواصف أي صغرها بالنسبة إليه

لم يزل بي حتى تَجَشَّمْتُ هَوْلَ السَّـ . . . يِرْ عَدَوّاً إِلَى الْحَبِيبِ الْمُؤَاتِي
ظل الشوق يعصف بي حتى تجشمت هول السير وتحملت صعوبته ركضاً نحو الحبيب المؤاتي،
الموافق لي في شعوره

أَتَقَرَّى بَيْنَ الْهَضَابِ طَرِيقِي مُسْتَنِيراً مَقَادِحَ الزَّفَرَاتِ
أتقرى طريقى وأتحسه بين الهضاب لشدة ما بالجو من قتامة، وتهديني في الطريق البروق التي
كانها تنفذ من زفرات قلبي المشوق

أَتَرَعْتُ لِي كَأْسَ الْمُدَامِ وَقَالَتْ: هَاكَ، لَا تَرَفُضْنَهَا بِحَيَاتِي!
ملأت لي الحبيبة كأس الخمر وقالت: بحياتي، لا ترفضها!

قُلْتُ: مِنْهَا اشْرَبِي قَلِيلاً، فَلَمَّا مَرَّجْنَاهَا بِرِيقِهَا، قُلْتُ: هَاتِي
طلب عمران القفنيي تمويد هذا البيت . . . أليس الريق هو البصاق يا صاحبي!

٤٤ حبيبة الأمس

كَمْ قَائِلٍ: لَوْ كُنْتَ تَلَقَّاهَا لَا تُكْرَثُ عَيْنَاكَ مَرَّاهَا
ذَابِلَةٌ نَاحِلَةٌ، قَدْ مَحَتْ يَدُ الْأَسَى الْقَاسِي مُحَيَّاهَا
لَا تَلْقَاهَا، لَا تَرَهَا، إِنَّهَا مَرَّ بِهَا الْمَوْتُ فَأَخْطَاهَا
يقولون لي: لا تذهب للقاء حبيبتك القديمة، فهي نصف ميتة، كأن الموت قصدها لكنه أخطأ
الطريق إليها

وَسَائِلٍ: هَلْ بَقِيَتْ فَضْلَةٌ لَدَيْكَ مِنْ حُبِّهَا وَذِكْرَاهَا؟
قَدْ مَرَّ عَامَانٍ وَهَذَا ثَالِثٌ وَوَاحِدٌ كَافٍ لِتَنْسَاهَا
مر عامان، وها قد مر عام ثالث . . . وكان عام واحد - لا ثلاثة - كافياً لكي تنساها
وَأَنْتَ كَالنَّحْلَةِ مِنْ زَهْرَةٍ لِزَهْرَةٍ تُسَلِّيكَ إِيَّاهَا
تسليك: تنسيك

أَخْطَأْتُمَا لَمْ نَعْرِفَا مَا الْهُوَى كِلَاكُمَا عَنْ كُنْهِ تَاهَا
كنهه: حقيقته

السُّقْمُ لَا يَصْرُفُ وَجْهَ امْرِئٍ عَنْ وَجْهِ مَحْبُوبٍ وَإِنْ شَاهَا
شاه: أصبح مشوهاً

مَظْلُومَةٌ سَيَقَتْ إِلَى ظَالِمٍ نَغْصَ مَغْدَاهَا وَمَسْرَاهَا
هذه امرأة مظلومة زوجوها برجل ظالم، فنغص مغداها ومسراها، أي ذهابها وإيابها

كَانَ أَبُوهُمَا رَاعِيًا غَاشِمًا ، لِلذَّنْبِ لَا لِلْحُبِّ رَبَّاهَا

٤٥ أَعذارها

يَا حُلُوَّةَ الْعَيْنَيْنِ يَا قَاسِيَةَ سِرْعَانَ مَا أَصْبَحْتَ لِي نَاسِيَةَ
سَيِّدَتِي، ذَنْبُكَ، مَهْمَا يَكُنْ، تَغْفِرُهُ أَعْدَاؤُكَ الْوَاهِمَةَ

٤٦ الحمام البيض

بَيْضُ الْحَمَائِمِ حَسْبُهُنَّهْ أَنِّي أَرَدُّدُ سَجَمَهُنَّهْ

الحمامات البيض يكفين فخرأ أني - أنا الشاعر - أردد غناءهن

رَمَزُ السَّلَامَةِ وَالْوَدَا عَةٍ مِنْذُ بَدْءِ الْخَلْقِ هُنَّهْ
فِي كُلِّ رَوْضٍ فَوْقَ دَا نَبَةِ الْقُطُوفِ لَهْنٌ أَنَّهُ

لهن أنين في كل بستان فوق القُطُوف الدانية المتدلّية القريبة

وَيَمِلْنَ وَالْأَغْصَانُ مَا خَطَرَ النِّسِيمُ بِرَوْضِهِنَّهْ

يملن مع الأغصان كلما مر النسيم بالبستان

فَإِذَا صَلَّاهُنَّ الْهَجَبُ رُحَبَبْنِ نَحْوَ غَدِيرِهِنَّهْ

إذا لستهن حرارة الشمس ذهبن إلى الغدير

يَهِيْطُنَ بَعْدَ الْحَوْمِ مِثْلَ لَلِوَحْيِ، لَا تَدْرِي بِهِنَّهْ

يحمّن حوماً حول الماء ثم يهبطن بهدوء كأنهن الوحي الذي ينزل على الشاعر . . فالشاعر يأتيه الوحي والإلهام فجأة لا يدري كيف أتى . . وقد جاءك يا شاعرنا وحي مملوء الجراب بكل جميل في هذه القصيدة التي امتدحها كثيراً أخوك الأكبر أحمد طوقان وترنم بها مع أصحابه في بيروت

فَإِذَا وَقَعْنَ عَلَى الْغَدِيدِ رِ، تَرْتَبَّتْ أَسْرَابُهُنَّهْ

صَفَّيْنِ طُولَ الضَّفَفَتَيْنِ نِ، تَعَرَّجَا بِوُقُوفِهِنَّهْ

تقف الحمامات صفين على الضفتين ورغم أن الأسراب مرتبة فهي تُبرز تعرُّج الغدير لأنها تحدد صفتيه بوضوح

كُلُّ نُقْبَلٍ رَسَمَهَا فِي الْمَاءِ سَاعَةً شُرْبِهِنَّهْ

يُطْفِئْنَ حَرَّ جُسُومِهِنَّ- بِقَمْسِهِنَّ صُدُورُهُنَّهْ

يَقَعُ الرَّشَاشُ إِذَا انْتَفَضَ نَ لَأَلِّئَا لِرُؤُوسِهِنَّهْ

تنتفض الحمامات فتقع نقاط من الماء فوق رؤوسهن فكانها اللآلي

وَيَطْرُنَ بَعْدَ الْإِبْتِرَاءِ إِلَى الْفُصُونِ مُهَوِّهَةً
تُنْبِيكَ أَجْنَحَةٌ تُصَفِّدُ قَدْ كَيْفَ كَانَ سُورُهُنَّ
تنبيك : تخبرك

وَيُقِرُّ عَيْنَكَ عَبَثُهُنَّ إِذَا جَثَمْنَ، بِرِيشِهِنَّ
يفرحك منظرهن وهن يعثن قليلاً بريشهن عندما يجثن أي يقعدن

وَتَخَالُهُنَّ بِلا رُؤُوءٍ مِنْ حِينَ يُقْبِلُ لِبَلْهِنَّ
أَخْفَيْنَهَا تَحْتَ الْجَنَاءِ ح، وَنَمْنِ مِلْءِ جُفُونِهِنَّ
كَمْ هَجَنَنِي وَرَوَيْتُ عَنْهُ هُنَّ الْهَدِيلُ، قَدِيتُهُنَّ!
أنقل عنهن صوت الهديل الذي يصدرنه فكانني راوية يروي ما يقلن

الْمُحْسِنَاتُ إِلَى الْمَرِيضِ ضِي، عَدَوْنَ أَشْبَاهاً لَهُنَّ
الرَّوَضُ كَالْمُسْتَشْفَا ت، دَوَاؤُهَا إِيْنَسَاهُنَّ
الدواء الحقيقي الموجود في المستشفيات هو الأنس الذي تدخله الممرضات على نفوس المرضى

مَا الْكَهْرِبَاءُ وَطَبُّهَا بِأَجَلٍ مِنْ نَظَرَاتِهِنَّ
ليس الطب الحديث أجلاً، ولا أهم، من نظرات الممرضات الحانية

يَشْفِي الْعَلِيلَ عَنَاؤُهُنَّ - وَعَظْفُهُنَّ وَلُظْفُهُنَّ
مُرُّ الدَّوَاءِ بِفِيكَ حُلٌّ - مَوْ مِنْ عَذُوبَةٍ نُظْفِقِهِنَّ
مَهْلًا، فَعِنْدِي فَارَقٌ بَيْنَ الْحَمَامِ وَبَيْنَهُنَّ
فَلَرُبَّمَا انْقَطَعَ الْحَمَامُ ثُمَّ فِي الدُّجَى عَنْ شَدْوِهِنَّ
أَمَّا جَمِيلُ الْمُحْسِنَا ت، فَفِي النَّهَارِ وَفِي الدُّجَى
الدجّة: الليل

٤٧ لم نوفر عادة

رَبِّ أَطْعَمَنِي غُلَاماً شَاعِراً لِدَوَاعِي الْحُسْنِ مِثْلِي مُذْعِناً
أطعمني، ارزقني، يا رب ولداً شاعراً يذعن ويخضع مثلي للجمال

وَلَبَكُنْ مِثْلَ أَبِيهِ: إِنَّا لَمْ نُؤَفِّرْ غَادَةً فِي شِعْرِنَا
لم نوفر: لم نترك من معاكساتنا

٤٨ حلاوة الروح

بَرَقْتُ لَهُ مَسْنُونَةً تَتَلَهَّبُ أَمْضَى مِنَ الْقَدَرِ الْمُتَنَاحِ وَأَغْلَبُ

برقت السكين للديك الرومي، ديك الحبش، مسنونة حادة غلبة كأنها القدر المتناح، القريب

حَزَّتْ فَلَا حَدَّ الْحَدِيدِ مُخَضَّبٌ بِدَمٍ وَلَا نَحْرُ الدَّبِيحِ مُخَضَّبٌ

حزت السكين عنق الديك فلم يتخضب حديد السكين بالدم، ولا تخضب عنق الديك! فمن سرعة سير السكين لم يعلق بها دم

وَجَرَى بِصَبِيحٍ مُصَفَّقًا حِينًا، فَلَا بَصَرَ يَزُورُ وَلَا خُطَى تَتَنَكَّبُ

ركض الديك حيناً، بعض الوقت، يصفق بجناحيه في مشية عادية وخطاه غير متنبكة بل ثابتة وبصره سليم لا يزوغ

حَتَّى غَلَتْ بِي رَيْبَةٌ فَسَأَلْتُهُمْ: خَانَ السِّلَاحُ أَمْ الْمَنِيَّةُ تَكْذِبُ؟

تفاقت في نفسي ريبة: هل أخفق حد السكين؟ أم أن الموت كذب ولم يأت للمسكين؟

قَالُوا: حَلَاوَةُ رُوحِهِ رَقَصَتْ بِهِ فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ رَقْصٍ يُطْرِبُ

حلاوة الروح: الصحو الأخيرة قبل الموت، وفيها ينشط الإنسان، وغير الإنسان، ويبدو كأنه شفي من مرضه

هَيْهَاتَ، دُونَكُمْ، قَضَى، فَإِذَا بِهِ صِعْقٌ يُشْرِقُ تَارَةً وَيُغْرِبُ

لكن هيهات.. فدونكم، أي انظر إليه! لقد جاءه الموت، وهو الآن صعق، مصعوق كأنما ضربته صاعقة، وأخذ يضطرب في مشيته

وَإِذَا بِهِ يَزُورُ مُخْتَلِفَ الْخُطَى وَزَكِيَّةً مَوْثُورَةً تَنْصَبُّ

أخذ يزور، أي يميل، وخطاه تختلف يضع اليمين مكان اليسار والعكس مشية المخمور، وأخذت الزكية، أي دماؤه الزكية الحارة، تنصب

يَعْدُو فَيَجْذِبُهُ الْعِبَاءُ فَيَرْتَمِي وَيَكَادُ يَظْفَرُ بِالْحَيَاةِ فَتَهْرُبُ

مُتَدَفِّقٌ بِدِمَائِهِ مُتَقَلِّبٌ مُتَعَلِّقٌ بِدِمَائِهِ مُتَوَثِّبٌ

دماؤه أخذت تتدفق، وهو يتقلب، ويتعلق بدماؤه، أي ببقية روحه، وجسمه ينتفض وثباً

أَعْدَابُهُ يُدْعَى حَلَاوَةَ رُوحِهِ؟ كَمْ مَنْطِقٍ فِيهِ الْحَقِيقَةُ تُقَلِّبُ!

إِنَّ الْحَلَاوَةَ فِي فَمٍ مُتَلَمِّظٍ شَرَّهَا لِيَشْرَبَ مَا الضَّحِيَّةُ تَسْكُبُ

الطعم الحلو إنما هو في فم متلمظ، متمطق فيه حركة للسان على سقف الحلق، وهي ما يفعله الجائع المقبل على طعام شهوي

هِيَ فَرَحَةُ الْعِيدِ الَّتِي قَامَتْ عَلَى أَلَمِ الْحَيَاةِ. وَكُلُّ عِيدٍ طَيِّبٌ!

فرحة عيد الميلاد تقوم على ألم فقدان الحياة للديكة الرومية. وعلى كل حال: عيدكم مبارك! أراد بعض الناس أن يفسروا القصيدة تفسيراً سياسياً وطنياً، ولا أرى ذلك، كان شاعرنا مباشراً في وطنياته

٤٩ كثرة الشم

وَرْدَةٌ تَبْهَرُ الْعُيُونَ، وَلَكِنْ كَثْرَةُ الشَّمِّ قَدْ أَضَاعَتْ شَذَاهَا

هكذا يتخيل الرجل المرأة اللعوب ذات العلاقات الكثيرة، وهذا بالطبع من باب حصرم. جاء الثعلب كرماء وقفز إلى العقود فقصر عنه، فقال: هو حصرم

٥٠ الدم الخفيف

وَطَبِيبٌ رَأَى صَحِيفَةً وَجْهِي شَاحِباً لَوْنُهَا وَعُودِي نَحِيفاً
قَالَ لَا بُدَّ مِنْ دَمٍ، لَكَ نُعْطِيهِ نَقِيّاً مِلءُ الْعُرُوقِ عَنِيفاً
لَكَ مَا شِئْتَ يَا طَبِيبُ، وَلَكِنْ، أَعْطِنِي مِنْ دَمٍ يَكُونُ خَفِيفاً!

التسويد لعمران القفيني

٥١ اقعد للمعلم

شَوْقِي يَقُولُ، وَمَا دَرَى بِمَصِيبَتِي: قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَفِي التَّبْجِيلِ

يحيل إلى قصيدة شوقي في المعلم: قم للمعلم وفه التبجيلا/ كاد المعلم أن يكون رسولا

أَقْعُدْ، فَدَيْتُكَ، هَلْ يَكُونُ مُبْجَلاً مَنْ كَانَ لِلنَّشْءِ الصِّغَارِ خَلِيلاً؟

يرد على قول شوقي «قم» بقوله «اقعد».. ثم يندم الشاعر لقوله لأمير الشعراء «اقعد» فيردفها بـ «فديتك». والمعلم الذي يعاشر الصبية يصبح عقله صغيراً كعقولهم.. قالها الجاحظ، ونقولها، وقد قضينا في التعليم شطر العمر

وَيَكَادُ يَفْلُقُنِي الْأَمِيرُ بِقَوْلِهِ: كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولا

يفلقتني: يغيطني حتى ليشقني شقاً

لَوْ جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقِي سَاعَةً لَقَضَى الْحَيَاةَ شَقَاوَةً وَخُمُولا

الخمول: قلة الشهرة

حَسَبَ الْمَعْلَمِ غُمَّةً وَكَأَبَةً مَرَأَى الدَّفَاتِرِ بُكَرَةً وَأَصِيلاً

مِثَّةٌ عَلَى مِثَّةٍ إِذَا هِيَ صُلِّحَتْ وَجَدَ الْعَمَى نَحْوَ الْعَيُونِ سَبِيلًا
 وَلَوْ أَنَّ فِي التَّصْلِيحِ نَفْعًا يُرْتَجَى وَأَبْيَكَ، لَمْ أَكْ بِالْعَيُونِ بَخِيلًا
 لَكِنْ، أَصْلَحَ غَلْطَةُ نَحْوِيَّةً مَثَلًا، وَأَتَّخَذَ الْكِتَابَ دَلِيلًا

الكتاب: القرآن

مُسْتَشْهَدًا بِالْفُرِّ مِنْ آيَاتِهِ، أَوْ بِالْحَدِيثِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلًا
 اسْتَشْهَدَ بِآيَاتِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ الْغُرَاءَ، وَبِحَدِيثِ الرَّسُولِ

وَأُغْوَصُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ فَأَنْتَقِي مَا لَيْسَ مُلْتَبَسًا وَلَا مَبْذُولًا
 يَسْتَشْهَدُ بِآيَاتِ لَا لِبَسٍ فِي دَلَالَتِهَا، وَلَيْسَتْ مِنَ الْآيَاتِ الْمَبْذُولَةِ الَّتِي كَثُرَ دَوْرَانَهَا عَلَى الْأَلْسِنِ
 وَأَكَادُ أَبَعْتُ سَبَبِيَّهِ مِنَ الْبَلَى وَذَوِيهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى
 الْبَلَى: تَحْلُلُ الْجِسْمِ بَعْدَ الْمَوْتِ

فَأَرَى حِمَارًا بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ رَفَعَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ وَالْمَفْعُولَا
 لَا تَعَجَّبُوا إِنْ صَحْتُ يَوْمًا صَبِيحَةً وَوَقَعْتُ مَا بَيْنَ الْبُنُوكِ قَنَبِلًا
 الْبُنُوكُ: مَقَاعِدُ التَّلَامِذَةِ ذَوَاتِ الْمَنَاضِدِ الْمُلْتَصِقَةِ بِهَا

يَا مَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِحَارَ! وَجَدْتُهُ إِنَّ الْمَعْلَمَ لَا يَعِيشُ طَوِيلًا
 لِمَنْ يَرِيدُ ائْتِحَارًا قَدْ وَجَدْتُ الْاِئْتِحَارَ يَا هَذَا... كُنْ مَعْلَمًا. فَالْمَعْلَمُ لَا يَعِيشُ طَوِيلًا

٥٢ نعمة العافية

إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ يَا خَالِقِي بِشُكْرِ عَلَى نِعْمَةِ الْعَافِيَةِ
 إِذَا هِيَ وَلَّتْ، فَمَنْ قَادِرٌ سِوَاكَ عَلَى رَدِّهَا ثَانِيَةً؟
 وَمَا لِلطَّبِيبِ يَدٌ فِي الشِّفَاءِ وَلَكِنَّهَا يَدُكَ الشَّافِيَةِ
 تَبَارَكْتَ، أَنْتَ مُعِيدُ الْحَيَاةِ مَتَى شِئْتَ فِي الْأَعْظَمِ الْبَالِيَةِ
 وَأَنْتَ الْمُفْرِجُ كَرْبِ الضَّعِيفِ وَأَنْتَ الْمُجِيرُ مِنَ الْعَادِيَةِ
 الْعَادِيَةِ: الْمَصِيبَةُ

إبراهيم طوقان فهرس القوافي

٢٣	الربيع	١٦	بقاؤها
٤	باعوا	٢٥	بهاء
٥٠	نحيفا	٢	ذيبا
٣٠	الأليق	٤٨	وأغلب
٢٨	الأملا	٢٢	آيب
٥١	التبجيل	٣٢	وتأنيب
٢٦	الرجال	٣٣	طيب
٢٩	الكرمل	٣٥	متنقة
١٧	بالسالة	١٣	الكفالات
٢٤	أفهم	٤٣	بالمعصرات
١٤	دم	٦	راحته
١٢	فاقتحم	١٨	عادا
١٠	صيامه	٣٤	فردا
٤١	المعنى	٢٧	فسينقد
٤٧	مدعنا	١٥	السواد
٥	ألحان	٣١	العهود
٣٧	جفوني	٤٢	أسفر
٩	حين	٧	رؤوس
٣٦	شقي	٤٠	قديس
١	يشني	٢٠	النواصي

٤٤	مَرَّاهَا	٣	وَالْحَزَنُ
١٩	وَتِيهَا	٨	بِهْدَنَةٍ
٥٢	الْعَافِيَةُ	٤٦	سَجَّعَهُنَّ
٢١	الْقَضِيَّةُ	١١	اللَّهُ
٣٨	حَنَائِيهَا	٤٩	شَذَاهَا
٤٥	نَاسِيَةُ	٣٩	لِفَحْوَاهَا

عبد الكريم الكرمي

(أبو سلمى)

(١٩٨٠ - ١٩٠٩)

كان أبو سلمى قد سمع من بعض الطلبة المغاربة في فلسطين أن أهاليهم يحتفظون بمفاتيح بيوتهم في الأندلس، فعندما أُخرج على وجهه من فلسطين احتفظ بمفتاح مكتبه وبيته. ليس للذكرى فقط، بل كان ككل فلسطيني لاجئ في ذلك الزمن موقناً بعودة سريعة. لم يكن ساذجاً سذاجة خليل السكاكيني الأديب الفلسطيني المشهور، الذي كان من العلم والاطلاع على درجة لا تغفر له سذاجته التي بدت في مذكراته الزاخرة. والسكاكيني ترك بيتاً جميلاً بناه بحرّ ماله في القدس الغربية. غير أن أبو سلمى لم يكن في حصافة زميله، الأكبر منه بأربع سنين، إبراهيم طوقان. فرغم أن طوقان مات قبل النكبة بسنين سبع، فإنه تنبأ بها في شعره، ووصفها كأنه يراها.

كان أبو سلمى يوم ترك مكتب المحاماة الذي يملكه في حيفا يخطو نحو الأربعين. كان رجلاً واعياً، وكان قد بنى لنفسه حياة في بلده، ثم إذا هو يُقتلَع اقتلاعة سنرى لها في شعره كبير الأثر. أبو سلمى شاعر ما بعد النكبة، وطوقان شاعر ما قبل النكبة.

ولد عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) في طولكرم بفلسطين، وهي مدينة صغيرة. أو هي قرية كبيرة جعلها سعيد الكرمي وأولاده الكثيرون مدينة كبيرة بما أرسلوا من إشعاع ثقافي.

انظر أيها القارئ إلى كلمة «إشعاع ثقافي»، وأمعن النظر. أرايت كيف صرّت أكتب مثلهم، مثل الأكاديميين - جعلهم الله مثلة -، وكانوا طالما زكموا أنفي وهم يتحدثون عن «لغة الشاعر» و«صوته الشعري» و«تجربته الشعرية».

كيف يمكن لامرئ يستعمل عبارة «تجربته الشعرية» أن يأتيك بشيء يسر قلبك؟

حتى وأنا أحدثك عن النكبة وضياح فلسطين.. كنت أحس أنني دخلت في زمرة اللاطمين المتحسرين. ليس أن العالم طيب، فالعالم ملعون. وليس أنني لم أتأثر شخصياً بالنكبة فالتكسة. ولكنني لا أريد أن أنوب عن شاعرنا الغاضب النائح. سأترك ميدان الغضب والنواح لأبو سلمى.

فقط غضبت على نفسي عندما قلت عبارة «إشعاع ثقافي».

أمامي كومة كتب ومقالات عن أبو سلمى وكلها اجترار قبيح. سمعت الموسيقى الأندلسية النائحة في فاس، وقرأت قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس. هذا فن. ولكنني لا أطيق أن أقرأ فقرة من النواح الأكاديمي على الأندلس أو على فلسطين. الأكاديميون ناس مجردون من الإحساس. يقرأون الشعر ويحلّونه، أي ينثرونه، حلّاً قبيحاً. يحملون بنادق خشبية يناضلون بها، وينفخون في بوق نحاسي يقلدون به صوت الكمان. هم كالناثحة - نيح عليهم - المأجورة التي تنوح لتطعم أطفالها.

كنت أقول إن الشاعر ولد في طولكرم. وهذه المدينة زرتها مرتين، ومرة. زرتها طفلاً صغيراً مع جدي. ومشي بي في سوق عتيق مسقوف. كان منظر الدكاكين وأمامها مصاطب يجلس عليها الناس يشربون شايبهم، من المناظر التي انحفرت في ذاكرتي.

ومضت خمسون سنة وصورة ذلك السوق حية في ذهني. ولم أجرؤ على زيارة طولكرم - التي تبعد عن مدينتي ثلاثة وعشرين كيلومتراً - مرة أخرى. ليس للإبقاء على تلك الصورة المضمخة بطيب الطفولة، وليس خوفاً من رؤية هذا السوق وقد تغير أو باد. لست رومانياً إلى هذا الحد. لكنه الكسل والجبن. أنا رجل لا أغامر، ولا أسافر، ولا أفعل شيئاً إلا إذا دعا إليه داع. أسافر إلى أقصى الأرض مأموراً بالسفر من جانب مديري، أو ملتمساً الرزق، أو مضطراً لأن أطفالاً أمروني أن آخذهم إلى سيرك أو حديقة. السياحة شيء لا أفهمه، بله أن أرتكبه.

مضت خمسون سنة، ثم أمرني صديقي الإعلامي عبد الرحمن عثمان أن أخذه إلى طولكرم لشراء بذار خيار بلدي لصديقنا المشترك الإعلامي المخضرم حكيم عبد الهادي، الذي انتهى أن يزرع في حديقة بيته الجديد في بون خياراً

بلدياً ذا رائحة تملأ البيت، وليس كالخيار الألماني الذي نجد له في أفواهنا الشرقية طعم الكرتون. فشددت الرحال. رأيت السوق على حاله. تبدد السحر؟ لا، بل صار لهذا السوق في ذهني صورتان.

المرة الثالثة التي زرت فيها طولكرم كانت في أعماق الطفولة كالزيارة الأولى. أخذني عم من أعمامي لزيارة رجل من أصدقاء العائلة في طولكرم. وفي بيته رأيت تمثالاً لحصان ذهبي، وحدثت في التمثال. ليس تحديق طفل بريء. بل تحديق طفل غير بريء. لمست بشعور ربّاني أن الرجل سيلتقط نظرتي، وقد يعطيني التمثال، وهذا ما حدث بالضبط. ولئن كنت طفلاً خيئاً، فإنني صرت فيما تلا من الأعوام أيباً مترفعاً عن حاجات الغير، ربّني الأيام. وهذا مخاض طويل. لكن التمثال لبث في بيتنا سنوات كثيرة حتى تقشف ذهبه وبان من تحته الجبس الرخيص. رب اهدي السيل إلى أن أكون مثل أبو خيرى الجلاد، الرجل الطيب الذي أعطاني الحصان، فأسمح بما عندي وأقرّ عين طفل يتخابث، وطفل لا يتخابث.

لن أحدثك طويلاً عما أكسبته الأيام من صفات حسنة، وأقسم بهذا الحرف العربي الذي أراه يتدفق على الشاشة أمامي أن عيوبي الباقيات كفيلاً بإدخال أمة من الناس في جهنم. بعضنا يزهو متكبراً وبعضنا يزهو متواضعاً، وكله زهو.

عرفت من عائلة الكرّمى أخا أبو سلمى، المعجّمي المشهور حسن الكرّمى. التقيته مرة واحدة وهو في التسعين. كانت بقيت له في الحياة عشر سنوات، فهو ممن مات عن مئة. وعرفت ابنتين لحسن الكرّمى معرفة طيبة: سهام وغادة. أما شاعرنا الذي عاش حتى سنة ١٩٨٠ فما التقيته قط.

في طفولته الباكّة رأى أبو سلمى عساكر الترك يأخذون أباه مخفوراً من طولكرم إلى الشام. وعانت الأسرة الفاقة بعض الوقت. ولكن الشيخ سعيد الكرّمى سرعان ما التحق بركب العروبة في الشام. زال الحكم التركي بانتهاء الحرب العالمية الأولى، والتحقّت العائلة بعائلها في الشام. كان الشاعر في نحو العاشرة، ودرس في الشام. أبوه الشيخ سعيد رجل علم وشعر وفقه، وكانت له مكانة في بلده، وكانت له مكانة في الشام أيام الحكم العربي القصير، ولسعيد الكرّمى شعر فيه ظرف ويشي بأن الرجل فقيه ذو أدب ولغة.

درس أبو سلمى في مكتب عنبر. ومكتب عنبر مدرسة حملت مشعل اللغة

العربية بعد زوال التتريك عن المدرسة. وفي فترة قصيرة تخرج فيها عدد من كبار الأدباء والشعراء.

في الشام بدأ أبو سلمى يقول الشعر. شجعه أستاذه. وأستاذ اللغة العربية في ذلك الزمن هو كأستاذ اللغة الإنجليزية في بلاد اللغة الإنجليزية في زمننا. أستاذ الإنجليزية عند الإنجليز هو أستاذ الضمير الوطني. هو الشخص المكلف بشحن التلاميذ بثقافتهم الوطنية. هو من يدخل شكسبير وبايرون وشلي في خلاياهم العvisية لتكون هذه الشوامخ الأدبية الطين والصخر في أرض التلميذ، فكل ما اكتسب بعدئذ في يفاعته وشبابه ورجولته من علوم ومعارف فهو مغروس في طين وجدانه الوطني. وأستاذ اللغة العربية في زمننا شخص نال في الشهادة الثانوية درجات قليلة، فحاول جاهداً أن يتخصص في الهندسة أو الطب فأخفق، فإن كان والده ثرياً بعثه إلى دولة فقيرة ليدرس الطب أو الهندسة، وإن كان والده متوسط الحال، فلا مكان له إلا كلية اللغة العربية الرديئة في جامعة عربية رديئة. ثم التدريس في مدارس سينقل إليها رداءته.

صادفت أربعة من أساتذة اللغة العربية الرديئين، وأنفقت ما قد يصل إلى سبع سنوات تحت سلطتهم لم أستفد فيها منهم شيئاً. وصادفت أحمد حماد، وبشير مقبول، ويوسف الأشقر، وكانوا ثلاثتهم ممن يحب العربية ويتقنها، وبمحبته لها يوصلها إلى طلابه. للثلاثة في عنقي دين.

كأنني كنت أتحدث عن أبو سلمى؟

أستاذه شجعه على قول الشعر. وذات يوم سمع منه بيتاً تغزل فيه بسلمى. ولا سلمى. هو اسم. وفي حصة مقبلة قال له: ها، ما جديدك يا أبو سلمى؟ فكان اللقب الذي غلب على اسم عبد الكريم الكرمي.

بعد الشام، كانت الأسرة في الأردن، والحكم فيها هاشمي كالحكم الذي زال عن الشام بدخول الفرنسيين. ثم درس أبو سلمى الحقوق في مدرسة بالقدس. ثم أدى الامتحان تحت السلطة الانتدابية البريطانية. وعمل في القدس وفي حيفا محامياً. وتزوج فتاة من عكا. وعندما اشتدت النكبة رحل أبو سلمى وزوجته وولده سعيد إلى الشام. وسُمح له هناك بممارسة المحاماة.

رأى النكبة بعينيه. رأى وطنه يغتصب. أيرى المرء أمه تغتصب ويظل الشخص نفسه؟ لم يبق لشاعرنا همٌّ في الحياة إلا أن يصرخ غاضباً يستنهض

همم العرب والمسلمين والسوفييت، ويشتم الزعماء المتقاعسين. لكنه لم يكن ملتاثاً. ظل يتسلل إلى القصيدة الغزلية، ويكتب قصائد للأطفال، وأخذ يحضر المؤتمرات. كان ذا مزاج شبه متمرّد. تمرّد محسوب في الغالب.

قال في فلسطين قبل النكبة قصائد أزعجت المحتل الإنجليزي، وأزعجت زعماء العرب. وقال بعد النكبة قصائد ليس فيها ما يؤدي إلى حبس، لكن فيها فضيلة أنها حارة حرارة الاغتصاب الذي رآه أبو سلمى بعينه.

ولأن أبو سلمى أصبح شاعر مؤتمرات ومحافل فإن شعره صار شعراً سهلاً مملوءاً بالشعارات. هو نوع من الشعر.

كان لأبو سلمى قضية. . لعله كان رصيناً رزيناً مثل مَنْ عرفت من أبناء عائلته. وأكاد أجزم أنه كان رصيناً. فكيف لرجل رصين أن يجوب قارات العالم حاضراً المؤتمرات ملقياً الأشعار؟ كانت قصيته تغفر له هذا التسويق لشعره. وكانت قلوب العرب ومصالح حكومات المعسكر الشرقي مع القضية. فاسمع شاعرنا صوته، ونال من التصفيق ما أثلج فؤاده.

أرى أصعب شيء على الفنان تسويقه نفسه. الحمد لله أنني لست شاعراً، فلن أطيق أن أقف أمام جمع في أمسية شعرية ألقى عليهم شعري.

وقد كتبت خمسة كتب كبيرة، هذا آخرها وأصغرها، استعرضت فيها حياة وشعر عشرات الشعراء. بعضهم عظيم كالمتنبي وبعضهم رقيق كالعباس بن الأحنف. ولو خيروني أن أكون صورة عن واحد من شعرائي لما اخترت سوى ابن الرومي. والسبب أنه كان يقعد في السوق يقرأ أشعاره لأصحابه، فإذا مدح أميراً فهو يرسل إليه القصيدة مكتوبة، بعد أن يكون ملأها تبرماً من الزمن ومن الفقر. . ومن الأمير وبخله. ولو خيروني أن أكون صورة لأحد الرسامين لما اخترت سوى فان غوخ. فقد رسم مئات اللوحات، ولم يبع لوحة واحدة في حياته. ما أصعب أن يسوق المرء نفسه. وقد كتبت بوستات قليلة على الفيس بوك في الإعلان عن صدور كتب لي. وأقول لك إنني كنت أذوب خجلاً وأنا أصنع ذلك. هذا وأنا لست فناناً، فكيف بالفنان يضع ذوب قلبه في قصيدة أو لوحة ثم يرى نفسه مضطراً إلى تسويق عمله في أمسية شعرية أو معرض؟ ألسنت تحترم أولئك العمال والمهندسين الذين تراه في مصنع السيارات يحيلون الحديد إلى قطعة من الإعجاز التقني؟ فما قولك في البائع المتأق في معرض السيارات، وما رأيك في أكاذيبه؟ من حسن حظ أولئك العمال والمهندسين أنهم لا يسوقون السيارات بأنفسهم.

دفن عبد الكريم الكرمي في مخيم اليرموك بظاهر دمشق. أوصى بأن يدفن
في أقرب بقعة من فلسطين.

١ جبل النار

جبل النار يا أعزَّ الجبال أنت، لا زلت، معقداً الآمال

جبل النار: مدينة نابلس وما حولها

ما ذكرنا حماك إلا انتسبنا وانتشت نخوة رؤوس الرجال

أي انتسبنا إليك مفتخرين بهذه النسبة

أيها الثائرون في جبل النار، سلاماً يا زينة الأبطال

تحملون الأرواح فوق أكف وتبيعونها، ولكن غوال

جبل النار! لم تحللك إلا ثورة في سبيل الاستقلال

جبل النار! إقذف النار حتى تبصر النور، يا أعزَّ الجبال

٢ لهب القصيد

أنشُر على لهب القصيد شكوى العبيد إلى العبيد

إنها لشكوى أرددها، لكنها شكوى عبد إلى عبد: فالفلسطيني، المنشغل بأعقاب ثورة ١٩٣٦
والمنكوب بالإنجليز وبتمدد النفوذ الصهيوني، يشكو حاله إلى الحكام العرب المقيدون بقيود الدول
الغريبة المسيطرة على مقدراتهم. . والقصيدة قُلت بعد ثورة ٣٦ بقليل

شكوى يُرددها الزما ن غداً إلى الأبد الأبيد

قالوا: الملوكة! وإنهم لا يملكون سوى الهبيد

الهييد: الحنظل

سُحقاً لمن لا يعرفو ن سوى التعلل بالوعود

إني لأرسلها مُجَلَّ - جِلَّة إلى الملك السعودي

مجلجلة: عالية الصوت

أستار مكة كيف تُسد دلها على الخصم اللدود

تأبى الصحارى أن يدن - س رملها فلبني ومودي

جون فليبي: موظف بالخارجية البريطانية كان يعمل في السعودية وتسمى بعبد الله، مودي: السكرتير
العام في حكومة فلسطين، ثم انتقل إلى السعودية

لَنْ تَطْهَرَ الدُّنْيَا وَفِيهَا الْإِنْجِلِيزُ عَلَى صَعِيدِ

الصعيد: التراب

لَوْ كَانَ رَبِّي إِنْجِلِيًّا زَيْتًا دَعَوْتُ إِلَى الْجُحُودِ

وَأَبُو ظَلَالٍ فِي رُبِّي عَمَّانَ يَحْلُمُ بِالْحُدُودِ

أبو ظلال: عبد الله الأول، أمير شرق الأردن آنذاك

أَقْعُدْ فَلَسْتَ أَخَا الْعُلَى وَالْمَجْدِ، وَانْعَمْ بِالْقُعُودِ

وَاحْكُمْ عَلَى الشُّطْرَنْجِ لِيَسْ عَلَى الْقِيَالِقِ وَالْجُنُودِ

كان عبد الله الأول بن الحسين مغرمًا بالشطرنج

يَا دَوْلَةَ الْأَصْنَامِ خِيَا رُّ مِنْكَ مَمْلَكَةُ الْقُرُودِ

كانت المملكة الهاشمية في الأردن آنذاك إمارة غير مستقلة، وكانت تتقاضى المال والدعم السياسي والعسكري من الإنجليز المرابطين بضباطهم في شرق الأردن

عَرِّجْ عَلَى الْيَمَنِ السَّعِيدِ لِي وَلَيْسَ بِالْيَمَنِ السَّعِيدِ

وَإِذْ كُنْ إِمَامًا لَا يَزَا لِي يَمِيشْ فِي دُنْيَا ثُمُودِ

الإمام يحيى حاكم اليمن آنذاك

وَسَيُوفُهُ أَثَرِيَّةٌ يَا تَغَسَّ هَاتِيكَ الْعُمُودِ

لا يملك سلاحاً سوى سيوف عتيقة، فيا لتغس أغماذها

تَفَنَّى الْحَيَاءُ وَقَوْمُهُ مَا بَيْنَ قَاتٍ أَوْ هُجُودِ

وَاعْطَفَ عَلَى بَغْدَادَ وَأَنْ ذُبَّ عَرْشُ هَارُونَ الرَّشِيدِ

خَلَاهُ فَيَصِلُ لِلذُّنَا بِ مُغِيرَةٍ حَوْلَ الْوَلِيدِ

مات فيصل الأول ١٩٣٣، قبل القصيدة بأربع سنين، وترك على العرش ابنه غازي، وكان وقت القصيدة في الرابعة والعشرين

وَاهْبِظْ إِلَى مِضْرَ الْهَلُو لِي وَقُلْ لَهَا يَا مِضْرُ مِيدِي

الهلوك: المرأة الساقطة، لعل الشاعر رأى فنون التمثيل والرقص تزدهر في مصر فلم يعجبه ذلك، ميدي: تمايلي وتحركي

يَا مُضَرُّ ضَيَّعْتَ الْمُنَى بَيْنَ الْفَرِيدَةِ وَالْفَرِيدِ

الفريدة: الملكة فريدة، وتزوج بها الملك فاروق عام ١٩٣٨

دَعُ سُبْحَةَ التَّضَلِيلِ وَاحِدًا لَمَعَ عَنْكَ كَاذِبَةُ الْبُرُودِ

البرود: الأثواب

إِيهِ مُلُوكُ الْمُزْبِ! لَا كُنْتُمْ مُلُوكًا فِي الْوُجُودِ

هَلْ تَشْهَدُونَ مَحَاكِمَ التَّدْ- فُتَيْشِ فِي الْعَصْرِ الْجَدِيدِ

هل ترون محاكمات الإنجليز للوطنيين الفلسطينيين، وما أدت إليه من شق بعضهم، فهي تشبه محاكم التفيتش المتوحشة في إسبانيا بعد زوال الدولة العربية في الأندلس

قَوْمُوا اسْمَعُوا مِنْ كُلِّ نَا حَبِيبَةٍ يَصْبِيحُ دَمُ الشَّهِيدِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْقَسَامَ يُشَدُّ رِقُّ نَوْرِهِ فَوْقَ الصُّرُودِ

الشيخ عز الدين القسام: استشهد في فلسطين ١٩٣٥، الصرود: القمم

يُوحِي إِلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا بِأَسْرَارِ الْخُلُودِ

قَوْمُوا انظُرُوا فَرَحَانَ قَوْ قِ جَبِينِهِ أَثَرُ السُّجُودِ

الشيخ فرحان السعدي: شقّه الإنجليز وعمره سبعون عاماً، في ١٩٣٧

يَمْشِي إِلَى حَبْلِ الشَّهَا دَةً صَائِماً مَشْيَ الْأَسُودِ

سَبْعُونَ عَاماً فِي سَبِيلِ لِ اللَّهِ وَالْحَقِّ التَّلِيدِ

التلید: القديم الثابت

خَجَلَ الشَّبَابُ مِنَ الْمَشْيِ بٍ، بَلِ السَّنُونَ مِنَ الْعُقُودِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْأَهْلِينَ بِي نَ الْوَعْدِ ضَاعُوا وَالْوَعْدِ

مَا بَيْنَ مُلْقَى فِي السُّجُ نِ وَبَيْنَ مَنْفِي شَرِيدِ

أَوْ بَيْنَ أَرْمَلَةٍ تُؤَلِّ حُولُ أَوْ يَتِيمٍ أَوْ فَقِيدِ

قَوْمُوا انظُرُوا الْوَطْنَ الذَّبِي حَ مِنَ الْوَرِيدِ إِلَى الْوَرِيدِ

تَتَزَاخَمُ الْأَجْيَالُ دَا مِيَةَ الْخُطَى فَوْقَ اللَّحُودِ

إِيهِ شُعُوبَ الْعُرْبِ أَنْ تُمْ مَبْعَثُ الْأَمَلِ الْوَحِيدِ

سِيرُوا عَلَى التُّرْبِ الْمُخَضَّ- بٍ، وَالْثُمُوا أَثَرُ الْجُدُودِ

الثموا: قَبَلُوا

حُرِّيَّةُ الْإِنْسَانِ بِالذِّمَّةِ - مِثْلُ تَشْتَرِي لَا بِالسُّعُودِ
إِيَّاهُ فَلَسْطَيْنُ! أَقْحَمِي لَجَجَ اللَّهْبِ وَلَا تَحِيدِي
لَا تَضْهَرُ الْأَغْلَالُ غِيَا - رُجْهَنِمِ الْهَوْلِ الشَّدِيدِ

٣ اليرموك حية

معركة اليرموك هذا نَقَعُهَا يروح فوق هامنا ويغثدي
ها هو نَقَعُ، أي غبار، معركة اليرموك يروح ويجيء فوق هامنا، رؤوسنا
يُطْلُ مِنْ بَيْنِ الْعَصُورِ عَاطِرًا فِيهِ مِنَ الْمَاضِي عَبِيرُ السُّؤْدِ

٤ أرض الجهاد

دَرَجَ الْمَجْدُ عَلَى أَرْضِ الْجِهَادِ فَالْتَمِ الثَّرْبُ وَقُلْ: هَذِي بِلَادِي
المجد قد درج، أي تعلم المشي، على أرض فلسطين، أرض الجهاد، فالتم، أي قبل، التراب
وافتخر بأنها بلدك

خَفَقَتْ فِيهِ قُلُوبٌ حُرَّةٌ كَيْفَ لَا أَجْعَلُهُ الدَّهْرَ وَسَادِي
وسادي: مخدتي.. أي أنه يريد أن يوسد ويدفن في تراب فلسطين. ودفن أبو سلمى في دمشق ١٩٨٠
وَطَنِي! أَنْتَ بَقَايَا أَمَلٍ خَضَبَتْهُ عِبَرَاتٌ مِنْ فُؤَادِي
عبرات: دموع

مَا الَّذِي جَرَّحَ جَنْبَيْكَ؟ أَجِبْ كَيْدُ أَبْنَائِكَ أَمْ كَيْدُ الْأَعَادِي
لَا تَقُلْ هَذَا تُرَابٌ جَامِدٌ إِنَّمَا الْأَحْيَاءُ فِي هَذَا الْجَمَادِ
وَاحْفَظِ الْأَجْيَالَ فِي ذَاكَ الثَّرَى فَالْدَمُ الْحُرُّ مِنَ الثَّرْبِ يُنَادِي

٥ كله استعمار

يَا حَادِبِينَ عَلَى الضَّعِيفِ رُوَيْدُكُمْ تَارِيخُكُمْ فِي صَفْحَتَيْهِ الْعَارِ
أيها الإنجليز الذين تدعون الحذب، العطف، على الضعفاء! تاريخكم مليء بالعار. وكان الإنجليز
يحتجون على قسوة المستعمر الفرنسي في سورية

فَهُنَا تَجْرُونَ الْقِيُودَ دَوَامِيًا وَهَنَّاكَ فِي أَيْدِيكُمْ الْأَزْهَارُ
وَهُنَا الشَّيَاطِينُ اسْتَجَارَتْ مِنْكُمْ وَهَنَّاكَ أَنْتُمْ قُبَّةٌ وَمَزَارُ
لَا تَذْكُرُوا حَقَّ الضَّعِيفِ؛ فَكُلُّكُمْ مُسْتَعْمِرُونَ، وَكُلُّهُ اسْتِعْمَارُ

التسويد من الشاعر عمران القفيني

٦ التقسيم

أَهْدَوْا بِلَادِي لَجْنَةَ مَلَكِيَّةٍ حَتَّى تَحُلَّ مَشَاكِلَ الْمُسْتَقْبَلِ
دَرَسْتُ، فَمَا وَجَدْتُ سِوَى تَقْسِيمِهَا حَلًّا، فَكَانَ الْحَلُّ أَكْبَرَ مُشْكِلِ

٧ إلى إبراهيم طوقان

أَيُّ أَبَا جَعْفَرٍ أَبَا الشُّعْرِ وَالْعِظِّ رِ! تَنْقُلْ عَلَى رَوَابِي الْخُلُودِ
أَي: يا. يخاطب إبراهيم طوقان المتوفى ١٩٤١، راثياً

قَدْ تَحَرَّرْتُ مِنْ قُبُودِ اللَّيَالِي كَيْفَ تَمْضِي وَلَمْ تَحُلِّ قُبُودِي؟
قد تحررت من قبود الزمن بموتك، وتركتني مقيداً في الحياة

٨ قالوا يساريون

أَهْلًا بِعُمَّالِ الْبَلَا دِ يُحَارِبُونَ مَنْ اسْتَبَدَّ
قَالُوا: يَسَارِيُّونَ قُلُودُ سَتْ: أَجِلُهُمْ عَمَلًا وَمَبْدَأُ
سيرفع توفيق زَيَّاد، الشاعر الفلسطيني، النخبة بعد سنين، فيقول: قالوا شيوعيون قتل أجلهم/حمرأ
بعزمهم الشعوب تحرر

وَطَنٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ يَجْنِي مَعَ الْأَيَّامِ سَعْدًا
بعد سنة من القصيدة، وألقيت عام ١٩٤٧، سقطت فلسطين وقامت دولة إسرائيل

لَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ الْمَبَا دِي تُشْتَرَى عَدَاً وَنَقْدًا
هَذِي الْمَطَارِقُ وَالْمَنَا جِلُّ تَحْصُدُ الظُّلَامَ حَصْدًا
المطرقة والمنجل: رمز الشيوعية السوفيتية

وَتَحَرَّرُ الْإِنْسَانُ حَتَّى سِي لَا تَرَى فِي الْكُونِ عَبْدًا

٩ الظلم المنظم

كُلُّ يَوْمٍ لَجْنَةُ فِكْتَابٍ لَا نَرَى فِيهِ غَيْرَ ظُلْمٍ مَنْظَّمٍ
وأشهر هذه الكتب «الكتاب الأبيض» لعام ١٩٣٩ وفيه خطة بريطانية لجعل فلسطين دولة واحدة مع
زيادة الهجرة اليهودية إليها. المعنى لحافظ إبراهيم، وقال سنة ١٩٠٧: لقد كان فينا الظلم فوضى
فَهَذَّبْتُ/ حَوَاشِيهِ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مَنْظَّمًا

يَهْدُرُ الْعَدْلُ حَامِيًا كُلَّ أَرْضِي فإِذَا زَارَ أَرْضَنَا صَارَ أَبْكُمْ

لا تقولوا: «الحقوق»، ما دام حَقِّي في فَلَسْطِينَ خَلَفَ دَمْعِي يَجْثُمُ
لا تقولوا: هذي الشَّرَائِعُ مِنَّا، شِرْعَةُ الْغَابِ مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَرْحَمُ
لا تقولوا إن شرائع حقوق الإنسان جاءت من عندهم، فشريعة الغاب أرحم منكم

نِعْمَةُ اللَّهِ أَنْتَ يَا وَطَنِي الْغَا لِي، وَفِي ظِلِّكَ الْمُقَدَّسِ نَنْعُمُ
كُلُّ بَيْتٍ نَرَاهُ حَبَّةَ عَيْنٍ كُلُّ عَيْنٍ فِي أَرْضِنَا عَيْنٌ زَمَزَمُ
دَرَّةٌ مِنْ تُرَابِكَ الظُّهَرِ خَيْرُ مِنْ عُروِشِ خَلْفِ الْحُدُودِ وَأَعْظَمُ

١٠ لا أحد

شَخْصٌ يُسَمَّى «لَا أَحَدُ» كَانَ يَطُوفُ فِي الْبَلَدِ
وَيَخْتَفِي وَرَاءَهُ كُلُّ فَتَاةٍ وَوَلَدٍ
مَنْ كَسَرَ الرُّجُاجَا وَأَطْفَاءَ السُّرَاجَا؟
هَلْ أَنْتَ يَا زَيَادُ أَمْ أَنْبِتَ يَا شُعَادُ؟
كُلُّ يَقُولُ: لَا أَحَدُ

وإن أتى يومُ الأَحَدِ فَأَنْتَ صَيِّفَتِ الرَّشَدِ
إِذْ تَخْتَفِي فَاكِهَةً مَا مَثَلُهَا عِنْدَ أَحَدِ
مَنْ أَخَذَ الْإِفْتَا حَا وَأَكَلَ التُّفَّاحَا
مَنْ خَطَفَ الْعُنُقُودَا وَأَنْكَرَ النُّعُودَا
كُلُّ يَقُولُ: لَا أَحَدُ

يَا مَنْ يُسَمَّى «لَا أَحَدُ» إِزْحَلْ وَغِبْ عَنِ الْبَلَدِ
حَتَّى يَرَى كُلُّ امْرِئٍ مَا ضَاعَ مِنْهُ وَافْتَقَدِ
«لَا أَحَدُ» مِسْكِينُ وَمَا لَهُ مُعِينُ
يَظْلِمُهُ الْإِنْسَانُ وَمَا لَهُ لِسَانُ

١١ هجاء الزعماء

زعماء دَنَسُوا تَارِيخَكُمْ وَمُلُوكُ شَرَّدَوْكُمْ دُونَ ذَنْبِ
وَجِيوشُ غَفَرِ اللَّهُ لَهَا سَلَّمَتْ أَوْطَانَكُمْ مِنْ غَيْرِ حَرْبِ
دَوْلٌ نَحَسَبُهَا شَرَقِيَّةً وَإِذَا أَمَعَنْتَ فَالْحَاكِمُ غَرْبِي

يَوْمَ هَزَّتْ لِلْوَعَى رَايَاتِهَا حَكَمَتْ فِيهِ عَلَى تَشْرِيدِ شَعْبِ
أَيُّهَا الْبَاكِي وَهَلْ يُجِدِي الْبُكَاءُ بعدما أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ مَهَبٍّ
يَا أَخِي مَا ضَاعَ مِنَّا وَطَنُ خَالِدٌ نَحْمِلُهُ فِي كُلِّ قَلْبِ

١٢ سنعود

خَلَعْتُ عَلَى مَلَاعِبِهَا شَبَابِي وَأَحْلَامِي عَلَى خُضْرِ الرَّوَابِي
يخاطب دمشق: فقد قضى فيها عهد الشباب، انتقل إليها وهو في نحو العاشرة. والملاعب هي الساحات تلعب فيها الريح

وَلِي فِي كُلِّ مُنْعَطَفٍ لِقَاءُ مُوشَى بِالسَّلَامِ وَبِالْعِتَابِ
وَمَا رَوَتْ الْمُرُوجُ سِوَى غِنَائِي وَمَا رَوَى الْكُرُومُ سِوَى شَرَابِي
دَرَجْتُ عَلَى ثَرَاكِ وَمِلْءِ نَفْسِي عَبِيرُ الْخَالِدِينَ مِنَ الثَّرَابِ
درج أول مشيه على تراب دمشق، وامتلأت نفسه بذكريات الخالدين من أبطال العروبة والإسلام

وَعَدْتُ إِلَى حِمَاكِ خَيَالَ شَعْبٍ يَطُوفُ عَلَى الطُّلُولِ وَفِي الشُّعَابِ
وعاد إلى دمشق لاجئاً بعد ضياع فلسطين «شبه شعب»، يسكن الطلول، الخرائب، والشعاب، الطرق الجبلية

أَتُنْكَرْنِي دِمَشْقُ، وَكَانَ عَهْدِي بِهَا أَلَّا تُلَوِّحَ بِالسَّرَابِ
فِلَسْطِينَ الْحَبِيبَةُ كَيْفَ أَغْفُو وَفِي عَيْنَيَّ أَطْيَافَ الْعَذَابِ
تَمُرُّ قَوَافِلُ الْأَيَّامِ تَرُوي مُؤَامِرَةَ الْأَعَادِي وَالصُّحَابِ
فِلَسْطِينَ الْحَبِيبَةُ كَيْفَ أَحْيَا بَعِيداً عَنْ سَهُولِكَ وَالْهَضَابِ؟
تُنَادِينِي الشُّوَاطِئُ بِأَكْيَافِ وَفِي سَمْعِ الزَّمَانِ صَدَى انْتِحَابِ
تُنَادِينِي الْجَدَاوِلُ شَارِدَاتِ تَسِيرُ غَرِيبَةً دُونَ اغْتِرَابِ
وَيَسْأَلْنِي الرَّفَاقُ أَلَا لِقَاءُ وَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ بَعْدَ الْغِيَابِ؟
غَدَاً سَنَعُودُ وَالْأَجْيَالُ تُصْغِي إِلَى وَقْعِ الْخُطَى عِنْدَ الْإِبَابِ
أَجَلْ، سَتَعُودُ آلَافُ الضُّحَايَا ضَحَايَا الظُّلَمِ تَفْتَحُ كُلَّ بَابِ

١٣ كيف لا أغني؟

يَا جَارَتِي كَيْفَ لَا أُغْنِي؟ وَأَنْتِ أَحْلَى مِنَ التَّمَنِّي

وَيَحْمِلُ الشَّوْقَ كُلَّ صُبْحٍ رِسَالَةَ الْعَاشِقِينَ مِنِّي

١٤ العدوان الثلاثي

طَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الصَّعِيدِ الطَّاهِرِ لَمَّا أَطْلَ جَمَالُ عَبْدُ النَّاصِرِ

الصعيد الطاهر: التراب الطاهر

زَحَفَتْ قَرَاصِنُ الْبَحَارِ مَعَ الدُّجَى مَتَحَالِفِينَ مَعَ الذَّلِيلِ الْمَاكِرِ

القراصنة هم الإنجليز والفرنسيون، والذليل الماكر الإسرائيليون، والثلاثة قاموا بالعدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦

كَانُوا، وَمَا بَرَحُوا، خُنَالَةَ عَالَمٍ مُسْتَعْمِرِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْفَاجِرِ
هُمْ شَرَّدُوا أَهْلِيَّ وَهُمْ سَلَبُوهُمْ وَطَنًا تَفَرَّدَ بِالْجَمَالِ السَّاجِرِ

١٥ ليتهم صمتوا

أَجَلْ! هُوَ الشَّعْرُ يَعْلُو وَجْهَهُ الْخَجَلُ فَكَيْفَ لَا تَخَجَلُ الْأَحْرَارُ وَالْمُثُلُ
مَا الشَّعْرُ إِنْ لَمْ يَلُخْ فِيهِ سَنَا وَطَنِ وَلَمْ يُعْطَرْهُ مِنْهُ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
أَهْلِيَّ عَلَى الدَّهْرِ تُدْمِنُنِي جِرَاحُهُمْ فِي حُبِّهِمْ يَتَسَاوَى الْعُذْرُ وَالْعَذْلُ

لا فرق بين من يعذرنى ومن يلومني في حبي لأهلي، فحبهم ثابت في قلبي

أَطُوفُ أَحْمِلُ، أَنَّى سِرْتُ، نَكَبَتُهُمْ كَأَنَّنِي طَيْفُ نَارٍ وَالْحِمَى طَلَلُ
قَالَ الْمَلُوكُ: غَدًا نَحْمِي دِيَارَكُمْ لَيْتَ الْأَذْلَاءُ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا
وَعَلَّلُونَا بِسَاحِ الْمَجْدِ نَنْزِلُهَا إِذَا بِهِمْ سَاعَةُ الْجُلَى، هُمْ الْعِلَلُ

صبرونا تصبيراً بالقول إنا سوف ننزل ساحات المجد؛ وفي ساعة الجلى، ساعة الجد، تبين أنهم هم العلل، الأسقام

قَالُوا: الْكِرَامَةُ! قُلْنَا: أَيْنَ صَاحِبُهَا؟ قَالُوا: الرَّجُولَةُ! قُلْنَا: أَيُّهُمْ رَجُلٌ؟
وَكَيْفَ تُنْقِذُ أَرْضَ الْعَرَبِ جَامِعَةً يَسُودُهَا مَبْدَأُ التَّفْرِيقِ وَالْجَدَلِ

«الجامعة العربية» من يومها محفل فرقة وجدل

مَنْ يَشْتَرِي وَطَنًا أَوْ يَبْتَغِي بَدَلًا وَأَيْنَ فِي الْكُونِ أَوْ فِي الْجَنَّةِ الْبَدَلُ؟

١٦ تاجروا باسمنا

لا تَسَلَّنِي، فلن أُطِيقَ جَوَاباً كيف أبكي الديارَ والأحباباً
لا تسألني كيف أستطيع الاستمرار في بكاء الديار والأحباب، فلن أتمكن من الإجابة

كَلَّمَا لَاحَ مِنْ فِلَسْطِينَ بَرَقَ خَفَقَ الْقَلْبُ فِي الْقَصِيدِ وَذَا
ما بَعُدْنَا عَنْ طَيْبِ أَرْضِكَ إِلَّا زَادَنَا الْبُعْدُ مِنْ ثَرَاكَ أَقْتِرَاباً
وَزَرَعْنَا الْأَشْوَاقَ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَيْتَهَا أَنْبَتَتْ قَنّاً وَحِرَاباً
القنا: الرماح، الحراب: الخناجر

إِنَّ قَوْمِي فِي الضَّقَّتَيْنِ اسْتَكَانُوا لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَاهُمْ غَضَاباً
الضفة الشرقية: شرق الأردن، والضفة الغربية: قطعة من فلسطين بقيت بيد العرب بعد نكبة ١٩٤٨
ودخلت تحت حكم الأردن

تَاجَرُوا بِاسْمِنَا وَبِاسْمِ فِلَسْطِينَ مَنْ، فَكَانُوا الْعُدَّةَ وَالْأَصْحَاباً
ثم قالوا خَانَ الْبِلَادَ بَنُوها كَذَبُوا إِنَّنَا أَعَزُّ جَنَاباً
العرب تفاهموا مع الإنجليز ومع اليهود، وبعد النكبة قالوا إن الفلسطينيين خانوا بلدهم، وهم
كاذبون فنحن أعز من أن نخون بلدنا

هَتَفُوا لِلْوَعَى، وَلَمَّا التَّقَيْنَا حَارَبُونَا وَحَالَفُوا الْإِنْتِدَابَ
هتف العرب هتاف الحرب، والتقينا بهم على أرض فلسطين فحاربونا وحالفوا الانتداب البريطاني
ثُمَّ رَاحُوا يُدَلِّلُونَنَا عَلَيْنَا يَوْمَ صِرْنَا بِفَضْلِهِمْ أَسْلَاباً
راحوا يدللون علينا، ينادون علينا نداء الباعة والدلالين، ويجمعون باسم نكبتنا الأموال، عندما
صرنا بسببهم أسلاباً، أي غنائم

١٧ في انتظار الفجر

كُلَّمَا قَلْتُ: أَطَلَّ الْفَجْرُ غَابَا أَتَرَى تَغْدُو فِلَسْطِينَ سَرَاباً؟
الصورة في الشطر الأول لا تستدعي صورة السراب في الشطر الثاني، وإن استدعى المعنى
المعنى. ولكن بعض أبيات الشعر مثل مذيغات التلفزيون: تكون المذبة قليلة الإلمام بمادتها،
ضعيفة في لغتها، ولكن الله يمنحها قبولاً لدى المشاهدين. هذا بيت راعني جماله

بَحَّتِ الْأَرْضُ تُنَادِي شَعْبَهَا ثَمَ لَمَّا تَسْمَعِ الْأَرْضُ جَوَاباً
بَحَّتْ: بُعَّ صوتها

جِثْمَ الأَعْدَاءِ مَا حَوْلَ الْجَمَى وعدا أهلي على أهلي ذئابا
هذا في أوائل الستينات، وشط انقلابات سورية والعراق، ثم انفصام الوحدة بين مصر وسورية،
والاضطراب في الأردن بين تنامي الحركة المعارضة للملك، وقمع السلطات لها، كل هذا كان
يسيطر على الدول المحيطة بفلسطين

صَرَخْتُ مِنَّا الْجِرَاحَاتُ عِتَاباً كيف لا يَسْمَعُ أَهْلُونَا الْعِتَابَا
نحن في التَّكْبَةِ أَضْفَى جَوْهراً كُلَّمَا اشْتَدَّ لَهَيْبُ النَّارِ طَابَا
يَا أَحِبَّايْ! أَمَا أَنْ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوهَا صُرَاحاً وَصَوَابَا
تَاجِرَ الأَهْلِ بِالْأَمْكُم ثم يَرْجُونَ مِنَ الشَّعْبِ ثَوَابَا

١٨ أرضنا تنتظر

إلى متى، وأَرْضُنَا تَنْتَظِرُ طَالَ السَّرَى وما أَطْلَّ الْقَمَرُ
السرى: سير الليل

مَوَاكِبُ النَّصْرِ الَّتِي مَرَّتْ بِنَا ليس لها على الدُّرُوبِ أَثَرُ
مواكب النصر نراها في شوارع العواصم، ولا أثر لها في الدروب المؤدية للجبهات. وكلمة دروب
منذ العصر العباسي تعني الطرق المؤدية إلى بلاد الروم، وهي طرق الجهاد، (جاز الدروب إلى ما
خلف خَرَشَنَة/وزال عنها وذاك الروع لم يُول) المتبني

أَسْأَلُ عَنْ أَهْلِي، وَمَنْ يَسْمَعُنِي؟ أين بَقَايَا الأَهْلِ؟ هل هُمْ بَشَرُ؟

١٩ من المحيط إلى الخليج!

لا تقولوا: مَوْجُ الْخَلِيجِ تَلَاقَى مَعَ مَوْجِ الْمَحِيطِ فِي أَفْرَاحِ
يومئذ إلى شعار «العرب أمة واحدة من المحيط إلى الخليج»

وَدُونِائُتُكُمْ! سَلُّوْهَا. فَمَا كَا نَتُّ دُونِائُتُكُمْ سِوَى أَشْبَاحِ
لا تقولوا: بِنَا الْكِرَامَةُ تَعْتَرُّ وَفَوْقَ الْجِبَاهِ عَارُ افْتِضَاحِ
تَتَعَنَّوْنَ بِالْبُطُولَةِ وَالْأَنْثِ جُمْتُ تَبْكِي عَلَى الْجَمَى الْمُسْتَبَاحِ
لا تقولوا: غُرُوبَةُ، وَفِلَسْطِينِ نُنْ تَنَادِي: مَتَى يُفَلِّكُ سَرَاخِي

٢٠ لا جديد

هُمْ جَحَدُوا نَضَالَ الشَّعْبِ حَتَّى كَأَنَّ الشَّعْبَ خَصَمُهُمُ اللَّدُّودُ

أَرَانِبُ إِنْ تَعَرَّضَ أَجَنِبِيْ وَهُمْ أَبَدًا عَلَى أَهْلِيْ أَسْوَدُ

تُلْعَلُ فِيْ جَوَانِبِ كُلِّ أَقْبِيْ بَيَانَاتُ، وَلَيْسَ بِهَا جَدِيدُ

طرافة البيت تكون أحياناً بوجود مبالغة تصل حد الاستحالة، وطرافة هذا البيت في انعدام المبالغة حد الانكفاء إلى التلطيف. . تلك البيانات «ليس بها جديد» فقط! بل بها عتريات فارغة وأكاذيب

٢١ إنه أسبوع!

عَزَلُوا الشَّعْبَ مِثْلَمَا شَاءَ الْإِسْتِعْدَادُ. يَا لِلْعَبِيدِ! كَيْفَ تُطِيعُ

ثُمَّ قَالُوا: هَذِي الْجِيُوشُ دُرُوعُ لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ دُرُوعُ

وَوَرَاءَ الْجِيُوشِ صَوْتُ يُدَوِّي لَا تُرَاعُوا فَإِنَّهُ أُسْبُوعُ

كان زعماء العرب يخففون عن الفلسطينيين بُعيد النكبة بالقول: لا تخافوا! هو أسبوع، ويعود اللاجئون إلى ديارهم

وَإِذَا بِالسَّنِينَ تَمْضِي ثِقَالًا أَثْقَلَتْهَا خِيَانَةٌ وَخُضُوعُ

وَفِلَسْطِينُ، وَهِيَ دُنْيَا الْبُطُولَا تِ، تُنَادِي، وَأَيْنَ أَيْنَ السَّمِيعُ

مَا لَنَا الْيَوْمَ لَا نَعُدُّ مِنَ الْعُرِّ بِ، وَغَابَ التَّأْهِيلُ وَالتَّوْدِيعُ

لم يكن لفلسطين آنذاك مقعد في الجامعة العربية، ودخلت فلسطين الجامعة عام ١٩٧٦، وبدأ اللاجئون الفلسطينيون في الدول العربية المحيطة بفلسطين يشعرون أنهم ضيوف نقال، وبدأت الدول تفرض عليهم قيوداً شتى في السكنى والعمل والسفر، ولم تمنحهم الجنسية سوى الأردن

٢٢ ألف هَلا

مَا لِي أَرَى الْأَثَقَ حَالًا هَلْ عُذْتُ؟ يَا أَلْفَ هَلا

مَرَّ النَّسِيمُ عَاطِرًا قَال: مَرَّرْتُ أَوَّلَا

يَا طَيِّبَهُ لَمَّا رَوَى عَنْكَ الشَّدَا وَأَقْبَلَا

وَالزَّهْرُ تَاءَ عِنْدَمَا شَمَّ وَذَاقَ الْقُبْلَا

عندما شمته وقبلته فالزهر هو الذي شم الحبيبة لا العكس! طريف

هِيَ هَاتِ أَنْ يَذْبُلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، لَا لَنْ يَذْبُلَا

الشَّعْرُ لَمْ يَنْقُلْ سِوَى عَنْ شَفَتَيْكَ الْعَزَلَا

لَكِنَّ قَلْبِي وَحْدَهُ يَهْوَى النَّيْ يَقُولُ: لَا

عَيْنَاكَ يَا فَاتِنَتِي صَيَّرَتَانِي مَثَلَا

٢٣ شرف الحرف

رَأَيْتُ الشَّعْرَ رَفَرَفَتْ، نَسَجُهَا الشُّو قُ، وَشَرَحَ الشُّوقِ الْقَدِيمَ طَوِيلُ
 قَدْ زَهَا فِي ظِلَالِهَا الْحَرْفُ وَالْمَجْدُ يَمِيلَانِ حَيْثُ كَانَتْ تَمِيلُ
 إِنَّهُ الشَّعْرُ كَالْأَنَاسِيِّ فِي الْكُوْنِ نِ: فَحَرْفٌ حُرٌّ وَحَرْفٌ ذَلِيلُ
 من الشعر ما هو شامخ صادق، ومنه ما يطل للحاكم... كالشعر

أَيُّهَا الْحَامِلُونَ أَلْوِيَةَ الشَّعْرِ حَرِّ تَهَاوَى السُّتَارُ وَالْتَمَثِيلُ
 فَاهْبِطُوا لَا تُرَابِطُوا فِي الْبُرُوجِ الْبَيْضِ فَالشَّعْرُ كُلُّهُ مَسْؤُولُ
 شَرَفُ الْحَرْفِ أَنْ يَذُودَ عَنِ الْحَقِّ- فَإِنْ رُمْتُمُ الْمَقَالَ فَقُولُوا
 لَا تَقُولُوا: قَلْبُ الْعَرَبِيَّةِ خَفَا قُ وَفِيهِ الدَّاءُ الْعُضَائِلُ الْوَبِيلُ
 العضال: المستعصي، الويل: الشديد

٢٤ يا صباح الخير

كُلُّ يَوْمٍ تَقُولُ لِي: يَا صَبَاحَ الْخَيْرِ أَشْهَى مِنَ النَّبِيذِ الْمُعْتَقِ

٢٥ الكثير القليل

كَثُرَتْ بَيْنَنَا الدُّوَيْلَاتُ زُورًا وَقَلِيلٌ وَاللَّهُ هَذَا الْكَثِيرُ

٢٦ بعد النكسة

أَبْهَا الْحَامِلُونَ أَلْوِيَةَ الْعَا رَا تَخَلَّوْا عَنْ حَوْمَةِ الْمَيْدَانِ
 هذا عام ١٩٦٨، وكانت النكسة في العام الماضي شديدة الوقع

سَلَّمُوا الشَّعْبَ أَمْرَهُ وَاسْتَرِيحُوا يَا حُمَاةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ
 كُلُّ جَيْشٍ يَكُونُ حَرْبًا عَلَى الشَّعْرِ بِ ذَلِيلٌ إِذَا التَّقَى الْجَمْعَانِ
 عَاصِفٌ بَيْنَ أَهْلِهِ، وَنَسِيمٌ لِمُغِيرَيْنِ، شَأْنُ كُلِّ جَبَانِ
 يَأْتِفُ الثُّرْبُ أَنْ تَمُرُّوا عَلَيْهِ وَتُصَابُ الرَّمَالُ بِالْعَقْبَانِ
 كُلُّ يَوْمٍ تُجَدِّدُونَ الشَّعَارَا تِ فِرَارًا مِنْ أَرْزَمَةِ الْوُجْدَانِ
 بَعْدَ «حَرْبِ التَّحْرِيرِ» قَدْ أَصْبَحَ الْيَوْمُ مَ شِعَارًا «إِزَالَةُ الْعُدْوَانِ»
 اتخذت الأنظمة العربية المهزومة شعار «إزالة آثار العدوان» بعد نكسة ٦٧، ولم تعد تطلق شعار

«تحرير فلسطين»

ثُمَّ حُرَيْتُهُ تَقُولُونَ لَنَا
وَتَقُولُونَ: نَحْنُ نَحْكُمُ بِاسْمِ اللَّهِ -
أَيُّهَا الْأَهْلُ فِي الْقِطَاعِ وَفِي الضَّفِّ -
نَحْنُ أَسْرَى وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَخْ -
سِ، وَمَا فِيكُمْ سَوَى سَجَانِ
عَبٍ، أَسْتَغْفِرُ الْعَظِيمَ الشَّانِ
ةَ لَوْ تُنْطِقُ الدَّمُوعُ لِسَانِي
رَارُ خَلْفَ الشُّجُونِ وَالْقُضْبَانِ

٢٧ العواصم

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ بِاسْمِ بِلَادِي
كُلُّ حُكْمٍ يَطْفَى عَلَى الشَّعْبِ بِاسْمِ اللَّهِ -
مَا الَّذِي تَغْزِلُونَ خَلْفَ السُّتَارِ
غَبٍ حُكْمٌ مَصِيرُهُ لِلْبَوَارِ
البوار: الخراب

أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْعَوَاصِمُ بَعْدَ الْ -
قَرَّرُوا الرِّحْفَ لِلْجِهَادِ، إِذَا هُمْ
قُدْسٍ رُكْنًا فِي مُنْخَفٍ الْأَثَارِ
أَخَذُوا يَزْحَفُونَ خَلْفَ قَرَارِ
بعد أن كانت الأنظمة العربية تتعهد بالزحف على العدو أخذت تستجدي قراراً أممياً، وصدر القرار
٢٤٢ من مجلس الأمن في أواخر عام ٦٧

أَيُّهَا الْحَاكِمُونَ، مَا يَنْفَعُ الْحُكْ -
تَتَفَنُّونَ بِالشُّهُورِ وَبِالْأَيِّ -
مُ إِذَا مَا اخْتَفَى وَرَاءَ شِعَارٍ؟
يَا حَسْرَتَنَا عَلَى الْأَعْمَارِ
رَاتٍ: تَمُورُهَا إِلَى آذَارِ
وَكثرت تسمية الانقلابات العربية بأسماء الأشهر، وخصوصاً تموز وآذار في العراق وسورية. فأما
حزيران فهو شهر النكسة ١٩٦٧. قال بدوي الجبل: (مُجِئَتْ أَشْهُرُ الرَّبِيعِ، فَلَا أَيْهَ / أُرْ مِنْ دَهْرِنَا
وَلَا نِيْسَانُ) قالها قبل شاعرنا بنحو عشرين سنة

٢٨ دول وسلطات

أَنَا أَبْكِي الْأَحْيَاءَ! عَاشُوا وَهَانُوا
نَسَمَاتُ الْأَزْدُنْ أَنْفَاسُ أَهْلِي
وَتَسَاوَتْ حَيَاتُهُمْ وَالْمَمَاتُ
وَهِيَ فِي كُلِّ مُنْخَنِ عَطِرَاتُ
وكان الأردن وقت إلقاء القصيدة في مايو/ أيار ١٩٧٠ يشهد الحركة الفدائية، وسيشهد هزيمتها في
الصراع مع النظام بعد أربعة أشهر وانتقال المقاتلين الفلسطينيين إلى لبنان لكي يهزموا مرة أخرى
بعد اثنتي عشرة سنة

وَوَرَاءَ الْأَفْقِ الْمُضْمَخِ بِالنَّفِّ -
عَ أَنْاسُ أَعْمَتُهُمُ الشَّهَوَاتُ
وراء أفق الأردن المعطر بالنقع، ببغار المعارك في الأعمال الفدائية ضد إسرائيل، هناك أنظمة لا
تتبعها سوى المصالح الضيقة للزمر الحاكمة

وِدْفَاعاً عَنِ الْعُرُوبَةِ نَجَّتَا حُ الْمَنَايَا، وَمِنْهُمْ الدَّعَاوُ

هؤلاء البعيدون عن النضال يرونا نجتاح الموت ويكفون بالدعاء لنا

وَدَمُوعُ الْخَلِيجِ خَضَبَتِ الْبَحْ رَ، وَفِي مَكَّةَ بَكَى عَرَفَاتُ

عرفات: جبل عرفات

وَيَقُولُونَ: مَا لَنَا وَفِلَسْطِيَهْ نَ! لَدَيْنَا الْبِتْرُوُ وَالشَّرِكَاتُ

يَتَغَنُّونَ بِالْكُنُوزِ ضَلَالاً وَهُمْ، لَوْ سَأَلْتَ عَنْهُمْ، جُبَاهُ

هم فقط يجبون المال لكي يقدموه لشركات النفط التي كانت تنال حصة كبيرة من عوائده

وَبِلَادِي كَانَتْ مُوَحَّدَةً الْأَرْ جَاءَ، وَالْوَجْهُ وَاجِدٌ وَالسَّمَاتُ

وَإِذَا بِالْحِمَى مَوَاطِنُ شَتَّى وَإِذَا بِالْوُجُوهِ فِيهَا فِئَاتُ

أصبح الناس في المواطن الشتيتة في دنيا العرب فئات، فهذا مواطن، وهذا مقيم، وهذا لاجئ بعد

أن كانت الدول العربية كتلة واحدة قبل الاستعمار

دَوْلٌ أَبْنَمَا ذَهَبَتْ عَدِيدَا ثَ، وَفِي كُلِّ دَوْلَةٍ سُلْطَاتُ

وَحُدُودُ! لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِي الْمُشَرَّدِينَ مِثَاتُ

شَرُّ مَا فِي دُنْيَا الْعُرُوبَةِ أَنْ يُفَ رَزَلُ شَعْبٌ، وَتَحْكَمَ التُّكْنَاتُ

٢٩ شعراء المديح

فِي كُلِّ عَامٍ نَلْتَقِي، وَعَلَى أَفْوَهِنَا خَلَقٌ مِنَ الزَّرْدِ

أفواهنا مكعمة بالجنائز والسلاسل

كُلُّ الْحُرُوفِ تَظِلُّ شَارِدَةً إِنْ لَمْ تَقُلْ مَا دَارَ فِي الْخَلْدِ

شُعْرَاءُ قَدْ حَمَلُوا مَبَاخِرَهُمْ وَأَتَوْا إِلَى الْمِيدَانِ بِالْعَدَدِ

جَاءُوا وَقَدْ مَسَحَتْ شِفَاهَهُمْ أَعْتَابَ مُقْتَدِرٍ وَمُعْتَصِدِ

الشعراء يمسحون بشفاههم وأشعارهم أعتاب السلاطين، كما كان يفعل شعراء الماضي إذ يمدحون

الخلفاء والأمراء

٣٠ عشق فلقاء فاعتناق

قُولِي، بِمَنْ أَوْدَعَ فِي عَيْنَيْنِكَ سِرَّ الْأَلْقِ:

قولي، وأحلفك بالله الذي وضع في عينيك سر البريق:

هل تُجْمَلُ الحياةُ والـ عُمرُ إذا لم نَفْشَقِ
وكيف يَحُلُو الشوقُ في الدُّـ نيا إذا لم نَلْتَقِ
وما الهوى إذا تـلا قَيْنَا، ولم نَعْتَنِقِ؟
لولا غزلياتك الطيبة يا أبو سلمى لوصفناك بالشاعر السياسي صاحب الشعارات الطنانة، فعلاً أبو سلمى... وسلمى هي حبيبته لا ابنته، لقبوه بها

٣١ تحت الدرج

هناكَ تحتَ الدَّرَجِ مَا لَكَ لم تُعَرِّجِي
يَلُفُّنَا ليلُ الهوى معاً ولا مِن حَرَجِ
ويَهْتَدِي نَغْرِي إلى نَغْرِكَ رَغَمَ الدَّلَجِ
الدَّلَج: يقصد الظلام

على سَنَى أَعْيُنِنَا وما بِهَا مِن وَهَجِ
نغره يعثر على نغرها على السنى، النور، المنبعث من عينيها

٣٢ دمي روى

دَمِي رَوَى، فَلْتَضُمِّي الْأَلْسُنُ أَرَوْعَ شَعْرِ الْقَلْبِ لَا يُغْلَنُ
ما شَهْرُ تَشْرِينِ إذا لم يَمُدْ لي بَيْدَرِي وَالكَرْمُ وَالْمَسْكَنُ
القصيدة أُلْقِيَتْ عام ١٩٧٥، وكانت سورية ومصر قد حاربتا إسرائيل في تشرين الأول/أكتوبر عام ٧٣، وهللتا لانتصار كبير، غير أن هدف الحرب كان تحريك عملية مصالحة راکدة لا استرداد أرض سلبية، وتحقيق التحريك بالنسبة لمصر

وَأَيُّ نَضْرٍ! وَأَنَا لَمْ أَزَلْ مُشَرِّدًا وَلَيْسَ لِي مَوْطِنُ
تَفَنَّى الزَّعَامَاتُ وَأَشْبَاهُهَا وَالخَالِدَانِ: الشَّعْبُ وَالْمَوْطِنُ

عبد الكريم الكرّمي

(أبو سلمى)

فهرس القوافي

١٨	القَمَرُ	١٧	سَرابا
٢٥	الكَثِيرُ	١٦	والأحبابا
٢٧	السُّتارِ	١٢	الرَّوابي
١٤	الناصِرِ	١١	ذَنْبِ
٢١	نُطِيعُ	٢٨	والصَّماثُ
٣٠	الأَلَيِ	٣١	تُعَرِّجِي
٢٤	المُعَتَّقُ	١٩	أفراح
٢٢	هَلَا	٨	اسْتَبَدَّا
٢٣	طَوِيلُ	٢٠	اللَّدودُ
١٥	والمُثُلُ	٧	الخُلُودِ
١	الآمالِ	٢٩	الرَّزْدِ
٦	المستقبلِ	٢	العبيدِ
٩	منظَّم	٤	بِلادي
٣٢	يُعلَنُ	٣	ويغتدي
١٣	التَّمَنِّي	١٠	البلدُ
٢٦	المَيَدانِ	٥	العارُ

محمد سليمان الأحمد
(بدوي الجبل)
(١٩٨١ - ١٩٠٠)

أقدم لك أيها القارئ شاعراً مناضلاً، وفي تقديمي أحدثك عن نضالي أنا.
لست مناضلاً.

حقق معي الإسرائيليون ثلاث مرات. مرة لمؤني من الشارع كما يَلْمُون الناس في ساعة هرج ومرج، ولموا معي عدداً من الطلبة، كان ذلك في رام الله بفلسطين. وقفت في مخفرهم ووجهي إلى الجدار مع من وقف. مر جندي وأنا لني من سلاحه ضربة على صفحة الوجه. . كأنني كنت مائل الرأس قليلاً ولم يعجبه أن يرى أحدنا غير ملتزم بالصاق وجهه بالجدار. . وألصقته. في التحقيق قال لي الضابط: تبدو أكبر سناً من هؤلاء الطلبة؟ قلت له: كنت مدة من الزمن في ألمانيا. سألني متحمساً عن البوندس ليغا. قلت له: لا علاقة لي بكرة القدم. قال لي: اذهب إلى بيتك. فذهبت. وسبق بعض من اعتقلوا معي إلى السجن فالمحاكمة. وحكم على بعضهم بسنة ونصف حبساً. فقط لأنهم كانوا في المكان الخطأ في الوقت الخطأ.

وحقق معي الإسرائيليون، بلا ضربة على صفحة وجهي، مرتين آخرين، وفيهما أيضاً ذهبت إلى البيت.

عندما كنت في ألمانيا أحببت أن أتعرف على النضال الفلسطيني، وكان هذا «النضال» موجوداً في تلك السنين في لبنان. كان هذا قبل غزو إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢. ذهبت إلى لبنان «وناضلت» بضعة أسابيع. وتعرفت على النضال. صنعة شريفة. وفي أوقات محنة الوطن لا بد من نضال. لكن نضالنا

الفلسطيني كان مزوداً بمال عربي كثير، فكان الزعماء يدفعون للفقراء المال على هيئة ما كانوا يسمونه «مخصصات» لكي يقوموا بالنضال. شيء طبيعي. لن تطلب من الجنرال أن يقاتل بيديه، بل أن يقود. هي صنعة شريفة.

وقنعت بعد حين أن أناضل نضالاً من المرتبة الثالثة: مرتبة أضعف الإيمان. لم يستطع اليساريون أن يضموني إلى صفوفهم لأنني لم أكتف بقراءة ما قرأوا من الكتب الحمراء، بل تجاوزتها إلى كتب من كل لون، فاستقامت الأمور في ذهني على غير ما يهوى التحزب. ولم يُقبل الوطنيون الآخرون على مجرد الطلب إليّ أن أنضم إلى صفوفهم. كانت بصيرتهم حادة، فرأوا أنني لست، بالخلقة، مناضلاً فتركوني بحالي. حتى أولئك الذين استضافوني في فترة لبنان النضالية لم يعرضوا علي التحزب معهم. نَعَسَ الله قلوبهم.

كان المال العربي الذي تدفق على المقاومة الفلسطينية مალًا سياسياً، ولم أر فيه ما يشين. فيه أبقى أولئك المناضلون شمعة القضية متقدة.

وناضلت بالقلم مرة. فعندما بدأت السلطة الفلسطينية مسيرتها الغربية بعد معاهدة أوسلو ١٩٩٣، تحول النضال إلى سياسة، وظل المناضلون المستقيلون يتغنون بالنضال.

كنت آنذاك أعمل في إذاعة لندن. وأجاءني الظروف إلى الضفة الغربية وقطاع غزة. ذهبت إلى أريحا لزيارة الإذاعة الفلسطينية. سمعت مدير البرامج يصيح بالناس.. نجوى كرم وديانا حداد فقط، لا نريد أي أغان وطنية. مفهوم! كانت السلطة تأمل في تعاون وثيق مع الاحتلال لإنشاء دولة في الضفة وغزة. وكان المحتل أخبث مما تصوروا.

كنت وقتها ناضجاً نضج عنقود عنب يكاد يعصر نفسه بلا عاصر. كنت فاهماً المعادلة أحسن من إسحق رابين وزميله في الصفقة ياسر عرفات.

وبعد قليل عدت إلى بلدي وعملت في الجامعة وفي بعض الإذاعات المحلية التي أخذت تنشأ وتتكاثر بسرعة. ومثلما قرأ إدوارد سعيد اتفاقية أوسلو قرأتها، وقرأت أيضاً ما كتبه عنها. نعم، قرأت ذينك الكتابين الممنوعين اللذين كتبهما عنها.

وفي مارس آذار عام ٢٠٠٣ كتبت أول كتاب أكتبه، ونشرته على حسابي، ولم ترض المطبعة أن تضع اسمها على الكتاب. انتقدت في كتابي السلطة

ورئيسها. وكان من حسن طالعي أن الكتاب لم يجد سوى ثمانية مشترين، وفورت على نفسي أن أواجه محققي السلطة. ووزعت بقية النسخ في جامعتي، جامعة بيرزيت. وأذكر هنا، على سبيل التحية، أن رئيس الجامعة حنا ناصر ابتاع خمسين نسخة كي يهديها لزوار مكتبه، وهو الذي كان عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والذي أصبح رئيساً للجنة الانتخابات. كانت منه جراً، وشموخاً.

نضال فلسطين الرسمي حتى يومنا هذا صنعة شريفة. وثمة من الشباب المناضلين من يحمل روحه على راحته. هناك من يضحي، ولا أنكر على المضحي تضحيته. ولا أرى أن أي شكل من أشكال النضال يشبه أي شكل من أشكال التسليم بالأمر الواقع. وأضعف أشكال النضال نضالي. . النضال على طريقة أضعف الإيمان.

لكن نضال أبناء العائلات الغنية ليس أفضل من نضالي، فلئن كان نضالي مسالماً لا يؤذيني ولا يؤذي المحتل، فهو بريء من المال. لكن نضال العائلات الغنية ماكينة تعمل بالمال، وتتوقف عن الحركة في غيابه.

شاعرنا المناضل

شاعرنا المناضل بدوي الجبل ابن أسرة إقطاعية. كان وزيراً في عهد الاحتلال الفرنسي، وكان منسجماً مع مشروع الفرنسيين القاضي بتقسيم سورية إلى دويلات طائفية. ثم رأى أن المشروع متعثر، ومع ذلك لم يعد إلى الصف الوطني إلا بكثير من التلكؤ. وظل يناضل. وظل يرسل الأشعار الملتهبة، لكنه لم يكن جريئاً مثلما قد توحى بعض أبياته. كان ينتقد أولي الأمر بعد الاستقلال بكثير من الالتواء. لكنه صب جام غضبه على الوحدة بين سورية ومصر، وعلى عبد الناصر، ففي دولة الوحدة لم يجد له دوراً.

على أن شاعرنا قال قصيدة موجعة بعد هزيمة عام ١٩٦٧، وكان جريئاً، وتعرض للأذى.

بدوي الجبل عنتري غضوب رومنسي مجدف. وهو يحاول أن يجعل لغته قديمة، يتفاح. وله، على كل عيوبه، شعر حار. ولا نختار من الشعراء إلا صاحب الشعر الحار. فاخترناه، واخترنا من شعره. وأصابنا عنت ونحن نشرح شعره لما فيه من تعمل وتَقِيَّة سياسية والتواء لغوي. هذا عن شعره الجيد الذي اخترناه، وأما ما سترناه فهو مستور في ديوانه.

هذا ابن زعيم إقطاعي. أنيق ويفتخر بأناقته، وصاحب مناصب وزارية، وينفي نفسه إلى لبنان أو إلى إستانبول أو إلى جنيف عندما يكون خارج دائرة السلطة. وعندما أحكم أبناء طائفته، العلوية، قبضتهم على السلطة كان قد أسن، وكانوا من غير الإقطاعيين.. وإن أصبحوا فيما بعد من كبار الأغنياء. لذا ظل بدوي الجبل غاضباً.

لقد ناضل بدوي الجبل ضد الفرنسيين في بدء نزولهم إلى شاطئ سورية، وسجن وأوذي. وسجنه مرة أخرى في أواخر استعمارهم سورية، وبين المرتين تعاون معهم كثيراً، وانضم إلى الصف الوطني طويلاً.. لكن متأخراً.

ولد بدوي الجبل في مطلع القرن العشرين. وأراح بعض الدارسين أنفسهم من تقليب «دفاتر نفوس» غير موجودة أصلاً فجعلوا مولده عام ١٩٠٠. أبوه رجل أدب وفقه وسيادة. كان من كبار سادة جبل العلويين في شمال غرب سورية. وكان الأب صاحب شعر وأدب وعضواً في مجمع دمشق. وقرأ الطفل على أبيه دواوين كبار الشعراء القدامى ودرس في مدارس اللاذقية، وربما أيضاً في مكتب عنبر بدمشق، تلك المدرسة التي تخرج فيها عدد من كبار أدباء ذلك الزمن.

وقال محمد الشعر باكراً. ومحمد هو اسمه، وسليمان الأحمد هو اسم والده. فشاعرنا هو (محمد سليمان الأحمد). ولقبه صاحب مجلة ألف باء الدمشقية «بدوي الجبل» باكراً، وأكل اللقب الاسم.

خاض محمد سليمان الأحمد، بدوي الجبل، في السياسة في حياة والده. كان العلويون في منطقتهم الجبلية يعيشون ضمن اقتصاد إقطاعي لا يختلف كثيراً عما هو موجود في بقية الريف السوري. على أن المدن السورية شهدت تشكيلات برجوازية صاعدة، فنشأت الصناعات المتوسطة بجانب الحرف القديمة، وتقدمت المهن العالية كالطب والمحاماة وأصبح أربابها يصعدون السلم الاجتماعي. وتسارع نمو الطبقات الناشئة في المدن في العهد الفرنسي. ووقفت المدينة السورية في وجه المحتل الفرنسي مطالبة بالاستقلال، وتصدر هذا المطلب زعماء تقليديون، معظمهم من المدن، وانضم إليهم زعماء تقليديون من الريف مثل سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز بالجنوب. وعندما كانت تشكل الحكومات كان الزعماء الإقطاعيون من الدروز والعلويين ينالون تمثيلاً.

وعندما أراد الفرنسيون تقسيم سورية طائفيّاً رفض زعيم الدروز سلطان الأطرش، ولم يرفض عدد من زعماء العلويين، ومنهم شاعرنا.

ثم تبين أن الحركة الوطنية قوية. فانضم شاعرنا إلى الحركة، وكان نائباً ووزيراً عدة مرات.

وقبل أن يخرج الفرنسيون من سورية بمدة قصيرة سلطوا الطائرات والمدافع على دمشق، ١٩٤٥. كان فارس الخوري يومذاك في سان فرانسيسكو يوقع على اتفاق إنشاء هيئة الأمم المتحدة. قتل الفرنسيون ٤٠٠ دمشقي في هذا القصف الوقح.. ثم خرجوا من سورية.

حكم المدنيون سورية ثلاث سنين، ثم جاء الانقلاب الأول بالعسكري «حسني الزعيم»، والزعيم جزء من اسمه، وبعد أربعة أشهر وفي العام نفسه، ١٩٤٩، شرب من الكأس نفسها وأعدم. وجاء مدنيون، ثم جاء العسكري أديب الشيشكلي، ثم أقصي، ثم اغتيل في منفاه.

كان بدوي الجبل دائم التألق، لا يغادر ربطة عنقه ولا بذلته منتظراً القعود في دور سياسي. واتحدت سورية ومصر في ظروف معقدة، وفقد بدوي الجبل، ومعه النخبة السياسية السورية، الدور، فقال في عبد الناصر أهاجي مفعمة بالروح الإقليمية الضيقة، لكنها كانت أشعاراً بليغة لأنها انطلقت من قلب عامر بالعاطفة.. عاطفة الكراهية، والغضب لما لحق به من تهميش. قالها من منفاه.

وانقلب الجيش في سورية على الوحدة، وانفصمت عام ١٩٦١. وبالتدريج تبين أن حزب البعث الذي أمسك بالحكم بعد ذلك بقليل يوجهه ضباط علويون، وأن الطبيعة المدنية والعقائدية له مجرد قناع. كان صلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد ثلاثتهم من العلويين، وكان سليم حاطوم درزياً. ولتكملة القصة فإن جديد سجن ٢٣ سنة حتى مات، وعمران اغتيل، وحاطوم أعدم بالرصاص، وأما حافظ الأسد، فحكم سورية، ثم حكمها ابنه بشار بالاستناد إلى قاعدة علوية في الأساس.

على أن العلويين الذين حكموا سورية بعد عام ١٩٦٣ لم يكونوا من سادة الإقطاع، ولا من برجوازية المدن. كانوا ممن يريد القضاء على النخبة القديمة.. لقد محقوا سياسياً أثرياء حمص ودمشق، وعصفوا بالزعامات التقليدية للدروز والعلويين. وفقد شاعرنا للأبد دوره السياسي، فلم يستفد من علويته في الزمن العلوي شيئاً. اللهم إلا في أخريات حياته عندما كان حكم حافظ الأسد حنوياً على الشاعر الشيخ.

راينا بدوي الجبل ينفجر بقصيدة صاحبة عقب هزيمة ١٩٦٧، سخر فيها من الضباط وقرعهم تقرعاً. بعد هذه القصيدة اختطفت جماعة من الأشياء الشاعر وأوسعته ضرباً، وكانت إصابته بالغة، وعاش بعدها حتى عام ١٩٨١، لكن صامتاً عليلًا، ولقي من الحكم العلوي بعض العطف، ولعل صمته كان الثمن.

لم نقل شيئاً عن شعر بدوي الجبل. لكننا في سياق شرحنا أبياته سنعلق على أشياء. ولن ننسى تسويد فرائد أبياته، وله تحليقات جديدة بأن يحفظها المرء ويذاكر بها إخوانه.

التفتُ إلى شعر بدوي الجبل أول مرة عندما سمعت له بيتاً يفتخر فيه بشعره: (الخالدان - ولا أعد الشمس - شعري والزمان). فقلت في نفسي: قد فاتني أن أقرأ الرجل. وعندما قرأته وجدت له أبياتاً قوية غاية القوة. وبعض ما يطلبه المرء في الشعر العمودي: المذاكرة. يجلس المرء مع أصحابه ويتذكرون الأحداث والمواقف، ويرصع المرء كلامه بالمثل وبالنادرة وبيت الشعر. فإذا ما جاء بيت شعر قاعد في محله، معبر عن الموقف تعبيراً حلواً، فاح في المجلس عطر ذكي. فأما إذا استل كل جليس هاتفه وأخذ ينقل عنه فإن المجلس يصبح مجالس، ويغيب الأنس. قبحاً لمجلس يتصدره الشيخ غوغل!

١ بعد المشيب

يُرْنَحْ شِعْرِي بِاللَّوَى كُلَّ بَانَةٍ وَيَنْدَى بِشِعْرِي فِيهِ كُلُّ كَثِيبٍ
يحرك شعري في موضع «اللوى» الصحراوي كل شجرة من أشجار البان ويجعلها ترنح، وترطب أشعاري كبان الرمل بالندى

ولولا الجراحُ الدامياتُ بمهجتي لَأَسْكَرَ نَجْدًا وَالْحَجَارَ نَسِيبِي
النسيب: شعر الغزل في مطالع القضايد

وَعَرَّثَنِي الْأَيَّامُ مِمَّنْ أَحَبُّهُمْ كَأَيْكَ، تَحَامَاهُ الرِّبْعُ، سَلِيبٍ
حرمني الزمن من أحبائي فصرت مثل بستان سلب من البهجة وقد تحاماه، وتجنَّه، الربيع

وَرُبَّ بَعِيدٍ عَنْكَ أَحْلَى مِنَ الْمُنَى وَرُبَّ قَرِيبٍ الدَّارِ غَيْرُ قَرِيبٍ
يحلو البعيد بعينيك فكأنه أحلى من الأمنيات، وقد يكون قريب المكان منك بعيداً عن قلبك

وَوَيْحَ الْعَوَانِي: مَا أَمِنْتُ خُطُوبَهَا وَقَدْ أَمِنْتُ بَعْدَ الْمَشِيبِ خُطُوبِي
الويل للحسناوات فأنا لست آمنة من تأثيرهن في نفسي، وأما هنَّ فلا تأثير لي فيهن بعد مشيبي

٢ باب إلى الله

بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ، مِنْ ثِقْتِي بِلُطْفِ اللَّهِ، بَابُ
ثمة باب يوصلني إلى الله هو ثقتي بلطفه

أَبْدَأُ أَلْسُوذُ بِهِ وَتَعُ رِفْنِي الْأَرَائِكُ وَالرَّحَابُ
ألوذ بالله وألتجئ إليه دوماً، وتعرفني الأرائك، أي مقاعد الجنة، ورحابها

يَا رَبِّ: بَابُكَ لَا يَرُدُّ اللَّائِذِينَ بِهِ حِجَابُ
يا رب: لا يرد أي حجاب أو ستر أولئك الملتجئين إليك

مِفْتَاحُهُ بِيَدِي يَقْبِي مَنْ لَا يُلِمُّ بِهِ أَرْشِيَابُ
مفتاح الباب الموصل لله بيدي، وهو عبارة عن يقين لا شك يُلم به أو يخالطه

وَعِبَادَةُ لَا الْحَشْرُ أَمْ سَلَاهَا عَلَيَّ وَلَا الْحِسَابُ
وهذا المفتاح هو أيضاً العبادة التي لا يملئها علي، ولا يدفعني إليها، خوف من الحشر والحساب

٣ شماتة بالمحتل ١٩٤١

يَا سَامِرَ الْحَيِّ هَلْ تَعْنِيكَ شَكْوَانَا رَقَّ الْحَدِيدُ وَمَا رَقُّوا لِبَلْوَانَا
أيها القوم في مجلس سمرهم هل تهكمم شكوانا؟ لقد رقَّ الحديد ولان ولم ترق قلوب الناس
لبلوانا، أي مصيبتنا

وَيْلَ الشُّعُوبِ الَّتِي لَمْ تَسْقِ مِنْ دِمِّهَا ثَارَاتِهَا الْحُمُرُ أَحْقَاداً وَأَضْغَانَا
الويل للشعوب التي لا تضحي بدمها لأخذ الثأر من الظالمين، ولا تضمهر الحقد والبغض لهم

تَرَنَّحَ السَّوْطُ فِي يُمْنِي مُعَذِّبَهَا رَبَّانٍ مِنْ دِمِّهَا الْمَسْفُوحِ سَكَرَانَا
السوط يهتز في اليد اليمنى لمن يعذب هذه الشعوب، وهذا السوط يترنح كالسكران وقد ارتوى من
دم تلك الشعوب

تُعْضِي عَلَى الذُّلِّ غُفْرَاناً لِظَالِمِهَا تَأْتَقُ الذُّلَّ حَتَّى صَارَ غُفْرَانَا
والشعوب المظلومة تعضي، وتطأطئ الرأس، ذليلة، وتغفر للظالم. لقد صار الذل أنيقاً وتحول إلى
صورة غفران، فيا للمهزلة

أَلَمْ، والليلُ قد أَرْخَى ذَوَائِبَهُ، طَيْفٌ مِنَ الشَّامِ حَيَّانَا فَأَخْيَانَا
بينما الليل قد أرخى خصلات شعره الأسود.. أَلَمْ بنا، أي جاءنا، طيف من الشام وحيانا فأحيانا
وَنَعَشَنَا

فَمَنْ رَأَى بِنْتَ مَرْوَانَ انْحَنَتْ تَعَبًا مِنْ السَّلَاسِلِ يَرْحَمُ بِنْتَ مَرْوَانَ
فكل من رأى الشام، وهي بنت مروان بن الحكم والأمويين، وقد انحنت تعبي من سلاسل المحتل
الفرنسي، يرق لها ويشفق عليها

هل في الشَّامِ، وهل في القدسِ والدَّةُ لا تَشْتَكِي الثُّكُلَ إِغْوَالًا وَإِزْنَانَا؟
فالأمهات في الشام، تحت الاحتلال الفرنسي، وفي القدس، تحت الاحتلال البريطاني والتغلغل
الصهيوني، هذا عام ١٩٤١، كلهن يشتكين الثكل ويصدر عنهن العويل والإرنان، النواح

يُعْطِي الشَّهِيدُ؛ فلا واللَّهِ ما شَهِدْتُ عَيْنِي كِلِحْسَانِهِ فِي الْقَوْمِ إِحْسَانَا
الشهيد معطاء، ولا أحد يعطي عطاءه

وِغَايَةُ الْجُودِ أَنْ يَسْقِيَ الثَّرَى دَمَهُ عِنْدَ الْكِفَاحِ، وَيَلْقَى اللَّهَ ظَمْآنًا
قُلْ لِلْأَلَى اسْتَعْبِدُوا الدُّنْيَا لِيَسْفِيَهُمْ مَنْ قَسَمَ النَّاسَ أَحْرَارًا وَعُبْدَانَا؟
الآلى: الذين

إِنِّي لَأَشْمَتُ بِالْجَبَّارِ بِضَرَعِهِ طَاغَ وَيُرْهِقُهُ ظُلْمًا وَطُغْيَانَا
يا لشماتي بالجبار الفرنسي وقد صرعه عدو طاغ وظلمه، وكانت ألمانيا قد احتلت فرنسا في
بدايات الحرب العالمية الثانية، وهذا زمن القصيدة

سَمِعْتُ بَارِيسَ تَشْكُو زَهْوَ فَاتِحِهَا هَلَّا تَذَكَّرْتُ يَا بَارِيسُ شَكْوَانَا
الزهو: التكبر

وَالْخَيْلُ فِي الْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ جَائِلَةٌ عَلَى الْمُصَلِّينَ أَشْيَاخًا وَفَتِيَانَا
كانت خيل العسكر الفرنسي قد دنست المسجد الأموي بدمشق قبل حين

إِذَا انْفَجَرَتْ مِنَ الْعُدْوَانِ بَاكِئَةً لَطَالَمَا سُمِّينَا بَغِيًّا وَعُدْوَانَا
إذا انفجرت بالبكاء يا فرنسا فطالما سمتنا، وعرضتنا، للظلم والعدوان

عَشْرِينَ عَامًا شَرِبْنَا الْكَأْسَ مُتَرَعَّةً مِنَ الْأَذَى، فَتَمَلَّيْ صِرْفَهَا الْآنَا
مضت عليك عشرون سنة، منذ ١٩٢١، وأنت يا فرنسا تسقيننا الكأس مملوءة أذى، فتملئي،
جربي، الشراب نفسه صرْفًا خالصًا الْآنَ

مَا لِلطَّوَاعِثِ فِي بَارِسَ قَدْ مَسَّحُوا عَلَى الْأَرَائِكِ خُدَّاماً وَأَعْوَاناً

ما لي أرى الطواغيت، الجابرة، الفرنسيين قد مسحوا وأخذوا يتصرفون بإزاء الغازي الألماني كالخدم والأعوان وهم جالسون على مقاعدهم لا يحاربون بل لقد شبعوا استسلاماً

تَمَلَّمَلِ الْفَاتِحُونَ الصَّيْدَ وَازْدَلَفُوا إِلَى السِّيُوفِ زَرَافَاتٍ وَوُخْدَانَا

يصف ثورة العرب أيام الحسين بن علي: لقد تحرك العرب الفاتحون الصيد، الكرام السادة، وازدلفوا إلى السيوف، هبوا نحوها، جماعات وأفراداً

وَلِلْجِيَادِ صَهِيلٌ فِي شَكَايِمِهَا تَكَادُ تَشْرِبُهُ الصَّخْرَاءُ أَلْحَانَا

وخيلهم تصهل والشكايم، تلك الحدائد، في أفواهاها، وتكاد الصحراء تشرب هذا الصهيل مستمتعة به كأنه الألحان.. فقد قاد الشريف حسين العرب في هجمات ضد جنود الترك في نهايات الحرب العالمية الأولى

السَّابِقَاتِ وَمَا أَرْخَوْا أَعْنَتَهَا وَالْحَامِلَاتُ الْمَنَايَا الْحُمْرَ فُرْسَانَا

هذه الخيول العربية سابقة ولا ترعى لها المقاود، بل تظل مشدودة كناية عن المضي وعدم الاستراحة، وهي تحمل فرساناً هم كالموت الأحمر على عدوهم

شَدَّ الْحُسَيْنُ عَلَى الطُّغْيَانِ مُقْتَحِماً فزَلَزَ اللَّهُ لِلطُّغْيَانِ بُنْيَانَا

اقتحم الشريف حسين بجنوده معاقل الظلم التركي فزلزل الله بنيان الظالمين

يَا صَاحِبَ النَّصْرِ فِي الْهَيْجَاءِ كَيْفَ غَدَا نَصْرُ الْمَعَارِكِ عِنْدَ السَّلْمِ خِذْلَانَا؟

أيها الشريف حسين! يا من انتصر في الحرب.. كيف تحول النصر إلى خذلان لك من جانب حلفائك الإنجليز؟

تَرَى السِّيَاسَةَ لَوْنًا وَاحِدًا، وَيَرَى لَهَا حَلِيفُكَ أَشْكَالًا وَأَلْوَانًا

أنت ترى السياسة لوناً واحداً، هو الصدق المحض، ولكن حليفك الغادر يراها أشكالاً وألواناً

٤ رسالة إلى أبي

يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ، أَخْمَلَ عَهْدُهَا إِلَّا ظِمَاءً فِي الْقَلَاةِ طَلَاحَا

يخاطب راكب السيارة ويسمىها باسم الناقة، والناقة الوجناء هي الغليظة ذات الوجنتين البارزتين، ويتحسر على الإبل فالسيارة أخملت، أي ذهبت بشهرة، الإبل الطائمة الطلاح، أي المتعبة في القلاة، أي الصحراء. يريد الشاعر أن يستعرض معجمله العتيق!

انْزِلْ عَلَى خَيْرِ الْأَبْوَةِ رَحْمَةً تَسْعُ الْحَيَاةَ وَعِفَّةً وَصَلَاحَا

انزل يا راكب السيارة على خير أب، على أبي الحنون الذي يتميز بالعفة والصلاح

يَسْكُو السَّقَامَ فَإِنْ هَتَفَتْ أَمَانَهُ بِاسْمِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَارْتَاحَا

التسويد لعمران القفيني

وَأَطْلُ حَدِيثِكَ يَسْتَعِيدُهُ تَعَلُّلاً بِالذِّكْرِ لَا لِتَزِيدَهُ إِضَاحَا
حدثه عني واسترسل في حديثك وسيستعيده تعللاً بذكره وتلذذاً بحديثك عني، وليس لأنه يطلب توضيحاً

وَإِذَا أَلَحَّ فَلِلْحَنَانِ عُذُوبَةٌ فِي مُقْلَتَيْهِ تُحَبِّبُ الْإِلْحَا
وإذا ألح عليك فستجد في عينيه حنان الأبوة الذي يجب لك إلحاحه

٥ عيد الجلاء

القصيدة من بنات عام ١٩٤٦، وفي ١٧ نيسان/أبريل منه انسحب آخر جندي فرنسي من سورية. ويوجد اليوم - ونحن نكتب هذا الشرح في مارس ٢٠١٧ - جنود من ثلاث دول في سورية، ومقاتلون من بضع عشرة دولة أخرى

الرَّغَارِيدُ فَقَدْ جُنَّ الْإِبَاءُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ هَذِي الْكِبْرِيَاءُ
لتطلق الرغاريذ بمناسبة جلاء المستعمر فقد انتشينا بالفخر وبرفضنا الذلَّ حدَّ الجنون، وكبرياء
كهذه هي من صفات الله

بِنْتُ مَرَوَانَ اضْطَفَاها رَبُّهَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ إِلَّا مَا تَشَاءُ
لقد اختار الله بنت مروان، أي الشام التي كان يحكمها الأمويون من بني مروان، والله يرضى ما ترضى

هِيَ فِي غَسَّانَ بَاسٌ وَنَدَى وَهِيَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ وَبَلَاءُ
الشام أيام الغساسنة قوة وسخاء، ومع قدوم الإسلام أصبحت الشام عنوان فتح وبلاء حسن وشجاعة في المعارك

جَمْرَةُ الْحَقِّ، فَسُبْحَانَ الَّذِي صَاعَ هَذَا الْجَمْرَ مِنْ ظِلِّ وَمَاءِ
الْوُرُودِ الْحُمْرُ ذِكْرِي وَهَوِيَّ وَطُيُوفٍ مِنْ جِرَاحِ الشُّهَدَاءِ
الورود الحمر لها معاني شتى.. منها أنها طيوف، أشباح، تذكرنا بجراح الشهداء

خَيْلَاءُ الْحَقِّ فِي عَدَنِ لَكُمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِقَوْمِي الْخَيْلَاءِ
أيها الشهداء لكم في الجنة أن تختالوا والله يغفر هذه الخيلاء، الزهو والافتخار

وَاعْذِرُوا عَدْنًا عَلَى غَيْرَتِهَا إِنَّهَا وَالشَّامُ فِي الْحُسْنِ سَوَاءُ
والتمسوا العذر لجنات عدن لإحساسها بالغيرة، فهي جميلة مثل الشام، والجميلة غَيْرَى

كَيْفَ أَنْسَى يَا زَعِيمِي لَيْلَةً عَصَفَتْ نِيرَانُهَا بِالْأُبْرِيَاءِ

كيف أنسى أيها الزعيم، شكري القوتلي، الليلة التي قصفت فيها فرنسا المدنيين بالمدافع

غُوطَةُ الشَّامِ جَحِيمٌ فَأَيْسُرُ وَالْمِيَادِينُ طِعَانٌ وَرِمَاءُ

الطعان: الضرب بالرماح، والرماء: رمي السهام

مَا شَكَى الشَّاكُونَ فِيهَا ظَمَأً أَكْثُوسُ الْحِقْدِ رَوِيَّاتٌ مِلَاءُ

في تلك الجحيم لم يشك المناضلون العطش، فقد كانت كؤوس الحقد على المحتل رويّة وممتلئة

مَلَكَ الطَّاعِي الثَّنَا بِأَعْنُوَّةٍ وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلَ وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ

الثناء: الطرق الجليلة، استحر: اشتد وصار حاراً، البلاء: القتال

وَتَجَارَى الْأُمُيُّوْنَ إِلَى عَمْرَةَ الْمَوْتِ، وَفَارَ السُّعْدَاءُ

تجارى الأمويون، تراخض أهل الشام نحو الموت، وفاز بالشهادة السعداء منهم

جُنَّتِ النَّخْوَةُ قَحْطَانِيَّةً وَهِيَ عَزْلَاءُ، وَجُنَّ الْأَقْوِيَاءُ

النخوة اشتعلت في النفوس وكانت قحطانية عزلاء غير مسلحة، وجن الفرنسيون من هذه الشجاعة
(والأمويون عدنانيون قرشيون، ولكن الغساسنة الذين حكموا الشام في الجاهلية يمنيون قحطانيون)

عُنْفُ بَارِسَ شَجَانِي أَمْرُهُ بِدَعَةِ الْأَقْدَارِ عُنْفُ الْجُبْنَاءِ

أحزنتي وأربكني عنف الفرنسيين، وإنها لإحدى غرائب القدر أن يكون الجبان عنيفاً

٦ بدعة الذل ١٩٥٠

في الذكرى الخامسة عشرة لوفاة المناضل إبراهيم هنانو

مُجِيتَ أَشْهُرُ الرَّبِيعِ، فَلَا أَيْ - أَرُ مِنْ دَهْرِنَا وَلَا نَيْسَانَ

أيار: مايو، نيسان: أبريل

لَا شَقِيقُ النُّعْمَانِ فِي غُوطَةِ الشَّامِ مَ، وَلَا عِظْرُهُ وَلَا النُّعْمَانُ

لم يعد ثم في غوطة الشام شقائق النعمان ولا عطرها ولا النعمان نفسه (وكان من
ملوك الغساسنة في الشام النعمان بن المنذر، وكان عند المناذرة في العراق النعمان بن
المنذر أيضاً... فتأمل) وبالمناسبة فشقائق النعمان لها رائحة بغيضة وزوالها من
المستحبات، لكن الشاعر ظن أن قراءه ومستمعيه لم يشموا الشقائق في حياتهم

يَعْرِفُ الْفَجْرُ أَنَّ دَمْعِي أَصْفَى مِنْ نَدَاهُ، وَيَعْرِفُ الرِّيحَانُ

تَعْرِفُ الرَّاحُ أَنَّ دَمْعِي سُلَافٌ وَجُفُونِي كُؤُوسُهَا وَالِدَّنَانُ

السلاف: أجود الخمر، والدنان: خوابي الخمر الكبيرة

أنا أبكي لِلَّيْلِ أَوْحَشَهُ الْبَدْنُ رُ، وَلِلْقَلْبِ هَذَهُ الْجِرْمَانُ
أبكي لليل وقد أوحشه غياب البدر، وللقلب وقد أثقله الحرمان

أنا أبكي لِلْهَمِّ يَاوِي إِلَى الْقَلْبِ ب، فَيَقْسُو عَلَى الْقَرِيبِ الْمَكَانُ
أنا أرثي لِلْمُتَرْفِينَ فما يُبْدِ دَعُ إِلَّا الشَّقَاءَ وَالْأَحْزَانُ
أرثي لحال الأغنياء السعداء! نعم، لأن الإبداع لا يأتي إلا ممن يعانون الشقاء والحزن. فـ/
مساكين الأغنياء

وَأَنَا الْمُتَرْفُ الْأَنِيْقُ، وَلَكِنْ تَرْفِي صَاغَ فَتَنَّهُ الرَّحْمَنُ
لكنني مترف وغني - وكان شاعرنا كذلك فعلاً - لكن ترفي مختلف.. إنه من صنع الله

أنا أبكي لِكُلِّ قَبْدٍ، فَأَبْكِي لِقَرِيبِي تَغْلُهُ الْأَوْزَانُ
أبكي لكل تقييد للحرية، حتى للشعر لأن الوزن يقيده

وَهُمُومِي مُعْطَرَاتٌ، عَلَيْهَا مِنْ شَبَابِي الطُّمُوحُ وَالرَّيْعَانُ
همومي هموم الشاعر المحلق فهي معطرة، وشبابي يضفي عليها طموحاً وريعاناً، والريعان أول
الشباب

لَمْ أَضِيقْ بِالْهُمُومِ قَلْباً، وَهَلْ ضَا قَ بِشَتَّى عُطُورِهِ الْبُسْتَانُ
وَالْهُمُومُ الْجِسَانُ تَفْعَلُ فِي الْأَنَدِ سُوسٍ مَا تَفْعَلُ الْعَوَانِي الْجِسَانُ
الهموم تبعث الشعر والفن، وتفعّل في النفس ما يفعله جمال الجميلات من توق وشوق وغبط
وحنين، ومن حسد لأزواج أولئك الجميلات

وَأَنَا الْوَالِدُ الرَّحِيمُ، وَأَبْنَا نِي هُمُومُ الْحَيَاةِ وَالْأَشْجَانُ
عَقَّنِي الْأَقْرَبُونَ فِي غَمْرَةِ الْخَطِّ ب، وَعَقَّتِ اللَّدَاتُ وَالْإِخْوَانُ
اللدات: الأقران والأصحاب

سَوْفَ يُمَلِّي التَّارِيخُ عَنِّي مَا يُمَدِّ لِي، فَتَخْزِي بِظُلْمِي الْأَوْطَانُ
سيسجل التاريخ قصتي وسيصيب الخزي وطني الذي ظلمني

أَبْنَ حُرِّيَّتِي؟ فَلَمْ يَبْقَ حُرّاً مِنْ جَهْرِ النَّدَاءِ إِلَّا الْأَذَانُ

كانت سورية وقت إلقاء القصيدة، في نوفمبر تشرين الثاني ١٩٥٠، قد خرجت من انقلابي حسني
الزعيم فسامي الحناوي، وآل الحكم إلى الرئيس هاشم الأتاسي.. ويصف الشاعر تلك الفترة بأنها
فترة تقييد للحريات، فلم يكن مسموحاً بأي نداء سوى الأذان

نَحْنُ تَارِيخُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْفَخْرُ مُمْ، وَنَحْنُ الْمَكَانُ وَالسُّكَّانُ
تَخَجَّلُ الْخَيْلُ بِالذَّلِيلِ إِذَا صَا لَتْ، وَيَشْقَى سَرْجٌ وَيَشْكُو عِنَانُ
يَتَلَوَّى عَلَى الْجِبَالِ قُنُونًا أَوْزِيرٌ فِي الدَّسْتِ أَمْ بَهْلَوَانُ؟

الذليل يتلوى وهو يمسك بحبل الحصان ويتفنن في التيه، فهل هو وزير في دست الحكم، أي مجلسه، أم بهلوان؟ وكان حسني الزعيم صاحب أول انقلاب، ١٩٤٩، يفاخر بأنه ألغى حكم العائلات الإقطاعية. . وشاعرنا كان من قبل وزيراً، في أكثر من حكومة، عن عائلة إقطاعية في عهد الاحتلال الفرنسي

أَنِسُوا مِنْهُ بِالنُّعُومَةِ وَاللِّبِ نِ، وَلَا يَدْعُ، إِنَّهُ أَفْعُوَانُ

أنس الوزراء بنعومة ولين الرئيس المدني هاشم الأتاسي. . لا عجب فهو أفعووان

لَيْسَ خَلْفَ الْبُرُودِ إِلَّا هَبَاءٌ فَاحْكُمِ النَّاسَ أَيُّهَا الطَّبِيسَانُ

خلف برود، ثياب، الرئيس المدني هباء. . فهو مفرغ من القيمة السياسية - ذلك أن العسكر سلموه الحكم تسليمًا وحكموا من ورائه - حسنًا. . احكمي الناس أيها البذلة

لَا يُبْهِينُ الشُّعُوبَ إِلَّا رِضَاهَا رَضِيَ النَّاسُ بِالْهَوَانِ فَهَانُوا

التسويد للشاعر الصديق عمران القفيني

يَدْعُهُ الذَّلُّ حِينَ لَا يَذْكُرُ الْإِنَ سَانُ فِي الشَّامِ أَنَّهُ إِنْسَانُ

أَنْتَ أَقْوَى مِنَ الْمَنَايَا وَأَقْوَى مِنْ أَذَى الدَّهْرِ فَاسْتَفِئْ يَا هَنَانُ

يهيب بالمناضل إبراهيم هنانو الذي مات قبل خمس عشرة سنة أن يصحو لبواجه الحكام الحاليين

٧ نم بقلبي

في ذكرى سعد الله الجابري

نَمْ بِقَلْبِي، وَلَوْ قَدَّرْتُ مَنَعْتُكَ قَلْبَ، حَتَّى نَقَرَّ فِيهِ، الْخُفُوقَا

نم في قلبي أيها المناضل، سعد الله الجابري، ولو استطعت لمنعت قلبي من الخفقان حتى تستقر فيه مرتاحاً

نَمْ بِعَيْنِي، فَقَدْ قَرَشْتُ لَكَ الْأَحْ لَامَ، مُخْضَلَّةَ الْوُرُودِ، طَرِيقَا

نم في عيني، وقد قرشت فيها لك طريقاً من الأحلام وعلى جانبيه الورد المخذلة، الندبة

إِنَّ قَلْبِي خَمِيلَةٌ تُنَبِّئُ الْأَحْ زَانَ: وَرَدًا وَتَرْجِسًا وَشَقِيقَا

خميلة: بستان

أَنَا وَالْهَمُّ، كُلَّمَا أَقْبَلَ الْهَمُّ - مَشُوقٌ يَلْقَى أَخَاهُ الْمَشُوقَا
 سَكِرَ الشَّعْرُ مِنْ سُلَافِي، وَعَبَّتْ - مِنْ دِنَانِي فَجُنَّتِ الْمُسَبِقَا
 لَا تَلُمْنَا إِذَا تَرَكْنَا الْمِيَادِي - نَ سُمُورًا بِحَقْنَا وَوُثُوقَا
 لا تلمنا، أيها المرحوم سعد الله الجابري، إذ ترانا تركنا ميدان السياسة مترفعين عارفين قدر أنفسنا

فَالْأَصِيلُ الْعَتِيقُ يَأْنَفُ شَوْطًا - لَمْ يُشَاهِدْ فِيهِ أَصِيلًا عَتِيقَا
 فَالْحِصَانُ الْعَتِيقُ، الْأَصِيلُ، يَأْنَفُ الشَّوْطُ، الْحَلْبَةُ، الَّذِي لَمْ يَشَاهِدْ فِيهِ حِصَانًا أَصِيلًا مِثْلَهُ
 دَلَّ شَوْطٌ يَكُونُ بَيْنَ الْبَرَادِي - نِ، فَلَا سَابِقًا وَلَا مَسْبُوقَا
 ودليل هو ذلك المضمار، وتلك الحلبة، حيث البرادين، البغال، فلا سابق ولا مسبوق في مثل
 هذا المضمار بل هو مرتع للبغال

لَمْ تُحْمِجْ تَحْتَالُ بِالْحُسْنِ وَالْقُوِّ - قَ، بَلْ حَمَحَمَتْ تُرِيدُ الْعَلِيْقَا
 والبغال لا تصدر صوت الحممة، الصهيل الخفيف، تيهًا بجمالها وقوتها، بل هي تطلب به
 العليق، العلف

مَا نَزَلْنَا عَنِ السُّرُوجِ عِيَاءَ - لَوْ رَكِبْنَا لَمَا أَطَاقُوا اللَّحُوقَا
 لم نزل عن السروج، ولم ترك العمل السياسي، إرهاقًا. . ولو مارسناه لما لحقنا أحد في ميادين
 سُدَّةُ الْحَكْمِ بَعْدَ آسَادِ خَفَا - نَ تَضُمُّ الْأَحْلَافَ شَاءَ وَثُوقَا
 فعلى سدة الحكم الآن - بعد انقضاء زمن أسود منطقة خَفَا - أحلاف من الشياخ والنياق

أَبْطَرَ الْحَاقِدِينَ حِلْمُ أَبِي حَسَّ - نَ، وَالْحِلْمُ أَنْ تُقِيلَ الصَّدِيقَا
 والرئيس أبو حسان - شكري القوتلي - قد دلل الحاقدين حتى بطروا وأنكروا النعمة، وعلينا أن
 نكون حليمين فنغض عن خطاه

إِنَّ غُنْفَ الْعِنَابِ يُؤْذِي أَحِبًّا - يَ، وَأَخْلَاهُ مَا يَكُونُ رَقِيقَا
 جَمْرَةُ الْحَقْدِ فِي السَّرَائِرِ لَوْلَا - دُلُّ أَصْحَابَهَا لَسَبَّتْ حَرِيقَا
 الحقد كالجمرة في سرائر الحاقدين، أي ضمائرهم، ولولا ذلتهم لشب حريق من هذه الجمرة

قَدْ أَرَقْنَا دِمَاءَنَا فَسَلُّوهُ - أَيُّ دَمْعٍ مِنْ مُقْلَتَيْهِ أَرِيقَا
 حَمَلُوهُ مَا لَا يُطِيقُ، وَكَانَتْ - بِدْعَةٌ تُخْجِلُ الْعُلَى أَنْ يُطِيقَا
 لقد حملوا الرئيس المضعوف أكثر من طاقته، ولو كان يُطِيق التصدي لكان ذلك بدعة لا ترضى بها
 المعالي، فهو ليس أهلاً

دَعَكَ مِنْ زَحْمَةِ الْعَوَاصِفِ وَاتْرَكَ لِلْعُقَابِ السَّمَاءَ وَالتَّخْلِيْقَ
خَلَقَ اللَّهُ لِلْعَظَائِمِ وَالْمَجْدِ قَرِيقاً، وَلِلصَّغَارِ قَرِيقاً
الصغار: الحقارة. أهذا هو العتاب «الريق» يا شاعرنا؟

٨ يا وحشة الثَّار

في تنويع فيصل الثاني على العراق ١٩٥٣

أَيْطَمَعُ الشَّعْرُ بِالْإِحْسَانِ يَغْمُرُهُ وَالشَّعْرُ يَغْمُرُ دُنْيَا اللَّهِ إِحْسَانًا
لا يطمع الشعر ولا الشاعر بإحسان الناس، فالشعر يغمر الدنيا إحساناً. يريد الشاعر أن يقول إنه
يصح في مناسبة تنويع فيصل الثاني، وقد بلغ الثامنة عشرة، لا لأجل المال بل لتعلقه بإرث
الهاشميين

لَوْ شَاءَ أَنْزَلَ بَدْرَ التَّمِّ فَاحْتَفَلْتُ بِهِ النَّدَامَى سِرَاجاً فِي زَوَايَانَا

لو شاء الشعر لأنزل البدر عند تمامه لكي يكون مجرد سراج في الزاوية يحتفي به
السمار. بيت جميل كالذي قبله.. ولكننا نقف وقفة نقلد فيها النقاد القدامى: ما
أوفحك أيها الشاعر، تقول شعراً في ملك لم يكذب يعتدل التاج على رأسه، وتفجؤه
بصورة البدر نازلاً وقاعداً في زاوية؟ سبقت المتنبي في الوقاحة عندما كان أول بيت
قاله في مدح كافور: كفى بك داء أن ترى الموت شافياً، وسبقت جبراً في قوله
لعبد الملك: أتضحو؟ بل فؤادك غير صاح. وعذر الشاعرين القديمين مبسوط متاح:
فكلاهما تكلم عن أحزان قلبه. وأنت ذهبت بك الكبرياء كل مذهب.. ثم رحت
تجذف. انتظر التجديف في الأبيات اللاحقة

نُشَارِكُ اللَّهَ، جَلَّ اللَّهُ، قُدْرَتَهُ وَلَا نَضِيقُ بِهَا خَلْقاً وَإِتْقَانَا
وَأَيْنَ إِنْسَانُهُ الْمَصْنُوعُ مِنْ حَمَلٍ مِمَّنْ خَلَقْنَاهُ أَطْيَاباً وَالْحَانَا!
يقارن بين الإنسان الذي خلقه الله من حمأ، طين، وبين الشعر الذي يخلقه الشاعر من الطيب
والألحان

يَا خَالِقَ الْقَلْبِ! أَبْدَعْنَا صَبَابَتَهُ يَا خَالِقَ الْحُسْنِ! أَبْدَعْنَاهُ أَلْوَانَا

يخاطب الله ﷻ: يا من خلق القلب! نحن الشعراء أبدعنا للقلب الصبابة، العشق؛ ويا من خلق
الجمال! نحن جعلناه ألواناً شتى بخيالاتنا

نُشَارِكُ النَّاسَ بِلَوْاهُمْ وَإِنْ بَعْدُوا وَلَا نُشَارِكُ أَدْنَاهُمْ بِبَلَوَانَا

يفتخر الشاعر: نحن الشعراء نشارك الناس في أحزانهم ولو بعدوا، ولا نشاركهم في أحزاننا نحن
وإن قُربوا

صَمَّتْ مَحَبَّتُنَا الْأَشْتَاتَ وَاتَّسَعَتْ تَحْنُو عَلَى الْكُونِ أَجْناساً وَأَدْيَانَا

سَتَنْطَوِي الْجَنَّةُ النَّشْوَى فَلَا مَلَكًا وَلَا نَعِيمًا وَلَا حُورًا وَوَلَدَانَا

لن تبقى الجنة المتشوية بالفرح، فلا ملائكة ولا نعيم ولا حور ولا ولدان

يَفْنَى الْجَمِيعُ، وَيَبْقَى اللَّهُ مُنْفَرِدًا فَلَا أَنْيْسَ لِنُورِ اللَّهِ لَوْلَانَا

ويبقى الله .. والذي يعبر عن نور الله هم الشعراء

يَا صَاحِبَ النَّجَاحِ دُنِيَا مَا عَرَفْتُ إِلَّا عَمَائِمَكُمْ فِي الشَّرْقِ تَبِجَانَا

هذا مدح خالص: يا فيصل الثاني! التيجان الحقيقية في الشرق هي عمام آل هاشم

أَصْفَيْتُ آلَ رَسُولِ اللَّهِ عَاطِفَتِي وَكُنْتُ شَاعِرَكُمْ نُعْمَى وَأَحْزَانَا

وما رَضَيْتُ جَزَاءً فِي مَوَدَّتِكُمْ لَا يَغْدِمُ الْحَرُّ أَقْوَاتًا وَأَكْفَانَا

لم أقبل بمكافأة على حبي لكم، والحر لن يموت من جوع، وإن مات لم يعدم الكفن

وَأَكْرِمُ الْعَيْدَ عَنْ عَتَبٍ هَمَمْتُ بِهِ لَوْ شِئْتُ أَوْسَعْتُهُ جَهْرًا وَتَبِجَانَا

وسأكرم بهذه المناسبة بعدم ذكر عتاب كنت نويت أن أبوح به، ولو شئت لجهرت

به.. وكانت الأسرة الهاشمية تحكم الأردن، وضاعت فلسطين ولم تنقذها جيوش

العراق والأردن وغيرها من الدول العربية، وكان عبد الله الأول بن الحسين ملك

الأردن وقت ضياع فلسطين القائد العام للجيش العربية، وعبد الله أخو جد فيصل

الثاني الممدوح

قَدْ اسْتَرَدَّ السَّبَايَا كُلَّ مِنْهَزِمٍ لَمْ تَبَقْ فِي رِقَّتِهَا إِلَّا سَبَايَانَا

وَمَا لَمَحَتْ سِبَاطُ الظُّلَمِ دَاسِيَةً إِلَّا عَرَفْتُ عَلَيْهَا لَحْمَ أَسْرَانَا

وَلَا نَمُوتُ عَلَى حَدِّ الظُّبَا أَنْفَاءً حَتَّى لَقَدْ خَجَلْتُ مِنَّا مَنَابِنَا

الظبا: شفرات السيوف

يَا وَخْشَةَ الثَّأْرِ لَمْ يَنْهَدْ لَهُ أَحَدٌ فَاسْتَنْجَدَ الثَّأْرُ أَجْدَانًا وَأَكْفَانَا

الثأر لنكبة فلسطين يشعر بالوحشة لأنه لم ينهد، ينهض، أحد للأخذ به، فراح الثأر يستنجد التاريخ

القديم

٩ الحدود المصطنعة

يَا بُنَاةَ الْهَدُودِ لَا تَعْرِفُ الصَّحْرا مَرَاءً فِي رَحْمَةِ الْأَعَاصِيرِ حَدًّا

وكانت الحدود، والقصيدة بنت عام ١٩٣٩، قد أصبحت راسخة بين الشام والعراق

١٠ ولا أعدُّ الشمس!

كَافُورٌ قَدْ جُنَّ الزَّمَانُ وَإِلَيْكَ آلَ الصَّوْلَجَانُ

هذه القصيدة في هجاء جمال عبد الناصر، يشبهه الشاعر بكافور الإخشيدي. وكان بدوي الجبل من أشد معارضي الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨

الِهَاشِمِيُّونَ انْطَوَوْا وَأُمِّيَّةٌ كَانُوا قَبَانُوا

بانوا: ابتعدوا

كَافُورٌ جَمَعَ حَوْلَ عَرٍ شَيْكَ كُلِّ مَنْ حَقَّدُوا وَهَانُوا

هانوا: ذلُّوا

حَرَّكَ دُمَاكَ فَمِنْ أَرْدٍ تَ قَسَوَا، وَإِنْ آثَرْتَ لَانُوا

حرك دماك، جمع دمية، فهم ينفذون أوامرك. وكان عبد الناصر قد جعل عبد الحميد السراج السوري يده اليمنى في سورية، وكان قاسياً، وحدث أن طلب إليه عبد الناصر مرة أن يخفف قبضته، ثم بعد ذلك جعل فوقه عبد الحكيم عامر. فكان في تعيينه الإسراع في خراب الوحدة

التَّاعِمُونَ عَلَى الْيَهُو دِ، عَلَى رَعِيَّتِكَ الْخِشَانُ

أَشْبَعْتُ بِالْخُطْبِ الْجِبَا عَ، فَكُلُّ هَادِرَةٍ خِيَانُ

أشعبت بخطبك الجائعين! يهزأ. فكل خطبة هادرة صاحبة بمثابة خيان، مائدة

إِلْحَنُ وَكَرَّرُ مَا تَشَا ءُ فَإِنَّهَا الْخُطْبُ الْحِسَانُ

وكان عبد الناصر يخطب بالعامية في مصر وبالفصحى في الشام وكان غير بعيد عن الخطأ النحوي

كَافُورٌ قَدْ عَنَتِ الْوُجُو هُ فَكَيْفَ لَا يَعْنُو الْبَيَانُ؟

عنت الوجوه، خضعت، وبالتالي خضع البيان، خضع الشعر والأدب والإعلام

هَمَدَتْ حَمِيَّتُنَا عَلَى الْـ جُلَى، وَمَاتَ الْعُنْفُوانُ

خمدت حماستنا للجلى، لعظائم الأمور، ولم يعد فينا عنفوان

وَالذُّلُّ أَطْيَابُ الْعَبِيدِ دِ، فَمَا الْبَحُورُ وَمَا اللَّبَانُ؟

العبيد يستحسن منهم سادتهم أن يكونوا أذلاء، فهذا هو عطرهم، لا البخور ولا اللبان العطري

وَالظُّلُمُ مِنْ طَبَعِ الْجِبَا نِ، وَكُلُّ طَاغِيَةٍ جِبَانُ

أُمَرَّزَقَ الْأَرْحَامُ! لَا يُبْـ نَى عَلَى الْحَقْدِ الْكِيانُ

وَالشُّثْمُ مِنْ آلَاتِ نَصْـ رِكَ، لَا الضَّرَابُ وَلَا الطَّعَانُ
كان الإعلام المصري يستخدم السخريه والألفاظ الرديئة لإسقاط بعض الزعماء العرب في أعين
شعوبهم.. مثال: «حسين بن زين» لملك الأردن، و«شخبوط بن لخبوط» لأمير أبو ظبي سلف
زايد بن سلطان

مَنْ أَنْتَ؟ عَاصِفَةٌ وَتَذْ هَبْ مِثْلَمَا انْقَشَعَ الدُّخَانُ
مَنْ أَنْتَ؟ لَوْلَا صَوْلَةُ الطُّـ غِيَانٍ؛ أَنْتَ إِذْنُ فُلَانُ
كَافُورُ عَرْشِكَ لِفَنَّا ءِ، وَرُبَّمَا أَنَّ الْأَوَانُ
الْخَالِدَانِ، وَلَا أَعُدُّـ الشَّمْسَ، شِعْرِي وَالزَّمَانُ
فالشمس ليست خالدة.. فقط شعر بدوي الجبل والزمان

١١ فرعون عاد

فِرْعَوْنُ عَادَ فَكَيْفَ كِبـ فَفْ، وَقَدْ عَصَفْتَ بِهِ يَمُودُ؟
فرعون القديم قد عاد لمصر في صورة جمال عبد الناصر، فكيف يا رب يعود بعد أن عصفت به
وأغرقت؟ القصيدة تعود لسنة ١٩٦٦

أَرْضُ الْكِنَانَةِ مَا بِهَا إِلَّا الْمُتَوَجُّعُ وَالْمَعْبِيدُ
يَا قَانِلًا بِأَخٍ أَخَا هُ، كَلَا قَتِيلِيكَ الشَّهِيدُ
كِذِّ لِلنَّبِيِّ وَدِينِهِ اللَّهْ فَوْقَكَ إِذْ تَكِيدُ
بَادَ الطُّغَاءُ جَمِيعُهُمْ أَمَا الشُّعُوبُ فَلَا تَبِيدُ

١٢ عاد الغريب

نظمها وقد عاد من غربة قسرية

تَحْنُو عَلَى الْيَأْسِ فِي قَلْبِي فَتَغْمُرُهُ نُورًا، وَتُبْدِعُ فِيهِ الصَّبْرَ وَالْجَلْدَا
يتغزل بامرأة فهي تحنو على قلبه وتزوده بالجلد، أي الصبر

حُورِيَّةٌ طَافَ جَبْرِيلُ بِجَنَّتِهِ يَرِيدُ نِدَاءَ لِرِيَّاهَا فَمَا وَجَدَا
طاف جبريل بالجنة يبحث عن حورية تكون مساوية في رياها، عطرها، لهذه المرأة فما وجد

يَسُومُنَا الصَّنَمُ الطَّاعِي عِبَادَتَهُ لَنْ تَعْبُدَ الشَّامُ إِلَّا الْوَاحِدَ الْأَحَدَا
يهجو عبد الناصر بعد فض الوحلة بين مصر وسورية

وَجْهَ الشَّامِ، الَّذِي رَقَّتْ بِشَاشَتُهُ مِنْ النِّعَمِ، لِغَيْرِ اللّٰهِ مَا سَجَدَا
 جَهْدَ الْعَفَاةِ مِنَ الْعَمَالِ جَزِيَّتُهُ وَكُلُّ مَا قَطَفَ الْفَلَّاحُ أَوْ حَصَدَا
 جهد العفاة، الفقراء، من العمال يذهب كأنه الجزية، وكذا محصول الفلاح
 هَذَا الْمُدِلُّ عَلَى الدُّنْيَا بِصَوْلَتِهِ مَا صَالَ إِلَّا عَلَى قَوْمِي وَلَا حَشْدَا
 هذا المزهو بصولته، قوته، لا يصل ولا يحشد قوته إلا على قومي

١٣ الاختصار

جنيف ١٩٦٣

قَدْ اخْتُصِرَتْ دُنْيَا بِقَلْبِي وَعَالَمٌ كَمَا اخْتَصَرَ الْعِلْمَ الشَّتِيتَ رَقِيمٌ
 هذه الفاتنة اختصرت الدنيا ووضعتها في قلبي العاشق، مثلما يختصر الرقيم، الكتاب، العلم
 الشتيت، أي المفرق، بين صفحاته
 وَتَوَجَّزُ فِي قَارُورَةِ الْعِطْرِ رَوْضَةٌ وَتَوَجَّزُ فِي كَأْسِ الرَّحِيقِ كُرومٌ
 هذا مثلما تجتمع خلاصة البستان في قارورة عطر، ومثلما يجتمع في كأس الرحيق، أي الخمر،
 كروم العنب

وَأَعْرِضْ إِعْرَاضَ الْخَلِيٍّ مِنَ الْهَوَى وَبِي مِنْ هَوَاهَا مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ
 أعرض عنها كأنني خلي، خالي القلب من العشق، ولكن هواها يقيمني ويقعدني قلقاً وانشغالاً

١٤ النكسة ١٩٦٧

أَيْهَا الْمُسْتَعْبِرُ أَلْفَ عَنَادٍ لِأَعَادِيكَ كُلِّ مَا تَسْتَعْبِرُ
 الْقِلَاعُ الْمُحَصَّنَاتُ، إِذَا الْجُب بِنُ حَمَاهَا، خَوْرَنْقٌ وَسَدِيرٌ
 القلاع الحصينة تصبح مجرد قصور، مثل الخورنق والسدير قصري المناذرة في العراق، إذا كانت
 في حماية الجبان

لَمْ يُعَانَ الْوَعَى لِوَاءٍ وَلَا عَا نِي فَرِيقُ أَهْوَالِهَا وَمُشِيرُ
 لم يذق أصحاب الرتب العسكرية الكبيرة أهوال الحرب

رُتَبٌ صَنَعَةُ الدَّوَاوِينِ مَا شَا رَكَ فِيهَا قُرُّ الْوَعَى وَالْهَجِيرُ
 هذه الرتب لم تصنع في الميدان بل في مكاتب الحكم، ولم يشارك في صنعها القر، البرد،
 والهجير، الحر، في ميدان القتال

وَتَطِيرُ النُّسُورُ فِي زَحْمَةِ النَّجْمِ س، وفي عُثِّهِ الْبُغَاثُ يَطِيرُ
النسور تطير عالياً حتى لتزاحم النجوم، وأما البغاث، الطيور الضعيفة، فتحوم حول أعشاشها
جَبْنَ الْقَادَةَ الْكِبَارُ وَقَرُّوا وَيَكِي لِلْفِرَارِ جَيْشُ جَسُورُ
هُزِمَ الْحَاكِمُونَ وَالشَّعْبُ فِي الْأَصْدِ فَاذِ، فَالْحُكْمُ وَحْدَهُ الْمَكْسُورُ
الأصفاة: القيود

نحن أسرى، ولو شَمَسْنَا عَلَى الْقَيْدِ لَدِ لَمَّا نَالْنَا الْعَدُوَّ الْمُغِيرُ
شمسنا: تمردنا

لَا تُشَقُّ الْجُبُوبُ فِي مَخَنَةِ الْقُدِّ س، وَلَكِنَّهَا تُشَقُّ الصُّدُورُ
لن يعيش الغازي وفي الأنفس الحقد لَدِ عَلَيْهِ، وفي النفوس السَّعِيرُ
أَشْتَرَاكِئَةً! وَكُنْزُ مِنَ الدُّرِّ- وَرَهْوٌ وَمَنْبَرٌ وَسَرِيرُ؟
أَتَدْعُونَ الاشتراكية، وعندكم الكنوز، وفيكم التكبر ومنابر الخطب الحماسية وسرير الحكم، أي
العرش؟

أَشْتَرَاكِئَةً! فَإِنْ مَرَّ طَاغِ صُفِّ جُنْدٌ لَهُ وَدَوَى نَفِيرُ؟
أَتَدْعُونَ الاشتراكية، فإن مر حاكم ظالم اصطف له الجنود ودوى له النفير، البوق؟

لِصِغَارِ النَّفُوسِ كَانَتْ صَغِيرَا ثُ الْأَمَانِي، وَلِلْخَطِيرِ الْخَطِيرُ
يَنْدُرُ الْمَجْدُ، وَالْدُّرُوبُ إِلَى الْمَجْدِ لَدِ صِعَابٌ، وَيَكْثُرُ التَّزْوِيرُ
المجد عملة نادرة، وطريقه صعب، وما أكثر من يزور أفعالاً لم يفعلها لنيل مجد وهمي

كَيْفَ يَغْشَى الْوَعَى وَيَظْفَرُ فِيهَا حَاكِمٌ مُثَرَّفٌ وَشَعْبٌ فَقِيرُ
مِخْنَةُ الْعَرَبِ: أُمَّةٌ لَمْ تُهَادِنَ فَاتِحِيهَا، وَحَاكِمٌ مَأْجُورُ
العرب ثاروا على المحتلين، ولكن الحكام كانوا مأجورين للأجانب

لَا يَقُودُ الشُّعُوبَ ظُلْمٌ وَفَقْرٌ وَسَبَابٌ مُكَرَّرٌ مَسْعُورُ
الظلم والفقر والردح الإعلامي المسعور لا تقود الشعوب

كُلُّ حُكْمٍ لَهُ، وَإِنْ طَالَتِ الْآيَةُ- هَامُ، يَوْمَانِ: أَوَّلُ وَأَخِيرُ
ما آتق هذا البيت

كُلُّ طَاغٍ مَهْمَا اسْتَبَدَّ ضَعِيفٌ كَلُّ شَعْبٍ مَهْمَا اسْتَكَانَ قَدِيرُ

وَهَبَ اللَّهُ بَعْضَ أَسْمَائِهِ لِلشَّـ. حب، فَهُوَ الْقَدِيرُ وَهُوَ الْعَفُورُ

١٥ قومية الأساطير

في رثاء رياض الصلح ١٩٥٢

مَا لِأَمْجَادِنَا وَمَا لِعَبِيدِ الْأَسَاطِيرِ مَجْدُهُمْ وَالطُّلُوءُ
ما أكبر الفرق بين أمجادنا وبين «أمجاد» الحكام التي هي مجرد أساطير وأطلال خربة، هي عبارة
عن الافتخار بالماضي

بِئْسَ قَوْمِيَّةٌ يُؤَرِّخُهَا الظَّنُّ - وَيَبْنِي أَحْسَابَهَا التَّأْوِيلُ

ما أسوأ القومية المستندة إلى الظنون، والتأويلات

غُوطَةَ الشَّامِ! هَلْ شَجَاكَ بَيَانٌ مِنْ قَرِيبُضِي كَأَنَّهُ التَّنْزِيلُ

هل أحزنتك أينما الشام بياني الشعري الذي يشبه التنزيل، الرسالة الإلهية

وَعِتَابٌ كَالْجَمْرِ صُنْتُكَ عَنْهُ جَزَعاً أَنْ يَنَالَ مِنْكَ عَذُوبُ

وثمة عتاب حار كالجمر، وقد حमितك منه خشية أن يقدح فيك اللاتمون

أَيْسَرُ الْجُهْدِ أَنْ تَضِجِّي وَتَشْكِي قَدْ يَرْجُ الطُّغْيَانُ قَالَ وَقِيلُ

أبسط ما يمكنك يا سورية أن تحتجي وترفعي الصوت، فلعل ضجيج الاحتجاج يرج الطغيان

وَاعْذِرِي الْهَامِسِينَ خَوْفاً فَمَا يَهْدُ مِدْرُ عِنْدَ الصَّيَالِ إِلَّا الْفُحُولُ

والتسي العذر لمن يهمسون همساً.. فهم ليسوا أهلاً للتصدي، ولا يهدر بصوت عال في
الصيال، الهجوم، إلا الفحول

١٦ غربة الروح

في رثاء فارس الخوري ١٩٦٢

جَلَّ شِعْرِي، أَقْبِيهِ بِالرُّوحِ مِنْ كُلِّ - هَوَانٍ، وَالشُّغْرُ كَالْعِرْضِ يُوقَى

لَمْ يَضُقْ بِالْعَدُوِّ حِلْمِي وَعُفْرَا نِي، وَأَفْدِي بِمُقْلَتَي الصَّدِيقَا

أغفر حتى للعدو، وأما الصديق فأفديه بعيني

يَا قُبُورَ اللَّدَاتِ: كُلُّ شَقِيقِي حَاضِنٌ فِي الثَّرَى أَخَاهُ الشَّقِيقَا

اللداات: الأقران، الأصحاب

وَسِعَتْ هَذِهِ الْقُبُورُ فُؤَادِي كَيْفَ تَشْكُو، وَهِيَ السَّمَاوَاتُ، ضَيْقَا

كَيْفَ لَا تُنَبِّئُ الرِّيَاحِينَ وَالشُّوْقَ ، وَقَلْبِي عَلَى نَرَاهَا أَرِيْقَا
 إِنْ عَتَبْنَا عَلَى الْكِتَانَةِ إِذْ لَا لَأَ فَقَدْ يُعْتَبُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
 لئن عتبنا على الكتانة، أي مصر، إذلاً، محبة واجترأ، فقد يُعتب الصديق صديقه، أي يُرضيه
 وَهَبْنَا فِرْعَوْنَهَا وَوَهَبْنَا هَا، عَلَى الْعُسْرِ، يُوسُفَ الصَّدِيقَا
 وهبتنا مصر فرعونها، ووهبناها رغم فقرنا يوسف الصديق.. والقصيدة قلت بعد أشهر من انفصال
 الوحدة بين سورية ومصر، وكان رئيس دولة الوحدة عبد الناصر، الذي يصفه الشاعر بفرعون
 وكافور

كَيْفَ يَشْرِي الْعَبِيدَ كَافُورٌ بِالْمَا لَ، وَكَافُورٌ كَانَ عَبْدًا رَقِيقَا
 مَا لِقَوْمِي غَالِ الْجِمَامُ فَرِيقَا مِنْهُمْ، وَالْعُقُوقُ غَالٌ فَرِيقَا
 الموت غال، انتاب، بعض قومي، والعقوق انتاب بعضهم

نَحْنُ كُنَّا الرُّلْزَالَ نَعِصِفُ بِالشَّرِّ قَ، نَرْجُ الشُّعُوبَ حَتَّى تُفِيقَا
 فَابْتَدَعْنَا مِنَ الرُّؤْيَى وَقَعَ الْحَقُّ- وَمِنْ غَمْرَةِ الظَّلَامِ الْبَرِيقَا
 هذا في زمن الفينيقيين، وفي زمن الرسالات السماوية

يَا رَئِيسِي مِنْ أَرْبَعِينَ زَحَمْنَا هَا إِبَاءَ مُرًّا وَيَأْسًا حَنِيقَا
 يا رئيسي فارس الخوري، وكان الشاعر وزيراً في أكثر من حكومة رئيسها فارس الخوري، لقد
 ملأنا الدنيا برفضنا الاحتلال وبالغضب والبأس، أي القوة، من أربعين عاماً

يَرِدُ الْخَطْبُ مِنْكَ قَلْبًا سَرِيًّا وَيَبَانًا عَفًّا وَوَجْهًا طَلِيقَا
 كانت تأتلك المصيبة فتجد قلبك سرياً، شريفاً، ولسانك عفيفاً، ووجهك طليقاً

مَنْ يَعْمَلُ النَّدِيَّ بَعْدَكَ بِالشَّهْهِ مِدَ الْمُصَفَّى وَمَنْ يَسُدُّ الْفُتُوقَا؟
 من سيسقي الندى، أهل المجلس، بعدك بالكلام الحلو الذي كأنه العمل، ومن سيد الفتوق،
 يحل المشاكل؟

١٧ الْمُجَاهِر

في حفلة ذكرى إبراهيم هنانو ١٩٤٥

وَمَا أَكْبَرَتْ نَفْسِي سِوَى الْحَقِّ قُوَّةً وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهَا النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
 وَكُنْتُ إِذَا الطَّاعِي رِمَانِي رَمِيَتْهُ فَلَا نُصْرَتِي هَمْسٌ وَلَا غَضَبِي سِرٌّ
 وَأَحْمِلُ عَنْ إِخْوَانِي الْعُسْرَ هَانِئًا وَيُبْعِدُنِي عَنْهُمْ إِذَا أَيْسَرُوا الْيُسْرُ

تَلَفَّتْ لَا شَمْلِي جَمِيعٌ، وَلَا الْهُوَى قَرِيبٌ، وَلَا قَرَعُ الصُّبَا عَبَقٌ نَضْرُ
شملي جميع: أي ملموم ومجتمع

١٨ بكاء

إلى ابنته جهينة التي ماتت في صباها ١٩٥٨

طَاخَ الزَّمَانُ بِإِخْوَانِي وَأَوْرَدَهُمْ عَلَى الْحُتُوفِ، فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
طوح الزمن بأصحابي، وجعلهم يردون حوض الموت، فلم يبق لا عين ولا أثر، لا شخص ولا
أثر من آثاره

أَصْبَحْتُ بَعْدَهُمْ حَيْرَانٌ مُنْفَرِداً وَالرَّيْحُ مُغْوِلَةٌ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
الريح مغولة: تصفر صغيراً كأنه العويل، الليل معتكر: مظلم

أَحْنُو عَلَى كُلِّ قَبْرِ مِّنْ قُبُورِهِمْ أَبْكِيهِ، حَتَّى يَبْكِيَ مِن لَّوَعْنِي الْحَجَرُ

١٩ أمنية صعبة

في رثاء كامل مروة صاحب جريدة الحياة

مَا لِلْمُنْبِيَّةِ أَدْعُوهَا وَتَبَعِدْ أَمْرٌ مِّنْ كُلِّ حَتْفٍ بَعْضُ مَا أَجِدُ
أطلب الموت ويتبعني؛ وبعض الذي أجده، أي أعانيه، أمر من كل موت

ظَمَانٌ أَشْهَدُ وَرَدَ الْمَوْتِ عَنْ كَتَبٍ وَالْوَارِدُونَ أَحِبَّائِي وَلَا أَرِدُ
أرى حوض الموت عن قرب، ويرده أجبائي ولا أرد

دَعَوْتُ خِدْنَتِي مِّنْ دَمْعٍ وَمِنْ جِلْدٍ فَأَسْعَفَ الدَّمْعُ، لَكِنْ خَانَنِي الْجِلْدُ
ناديت صاحبي، وهما الدمع والجلد، أي الصبر، فأسعفني الدمع فتزل، وخانني الصبر فلم أصبر
وربَّ شاكٍ فَسَادَ الْعَصْرِ، يَظْلِمُهُ، لَمْ يَفْسُدِ الْعَصْرُ، لَكِنْ أَهْلُهُ فَسَدُوا

٢٠ البحث عن اليقين

جَنَانٌ لُّبْنَانٌ حَسْبِي مِنْكَ وَارِقَةٌ فِيهَا النَّدِيَّانِ مِّنْ رُّوحٍ وَرِيحَانٍ
يا جنات لبنان يكفيني منك الأشجار الوارقة الممتدة الظل التي فيها الروح، النسيم، والريحان،
وكلاهما طري ندي

يُشِيرُ بِي كُلِّ حُسْنٍ فِتْنَةً وَهَوًى فَمَا أَمْرٌ بِمَاءٍ غَيْرِ صَدْيَانِ
كل حسن يشير في الفتنة والغرام، فلا أمر ينفع إلا وأجدني صديان، عطشان. هو لا يرتوي من
الجمال مهما تكاثف

قَدْ صَوَّرَ الْوَحْيُ أَلْوَانَ النِّعَمِ عَلَى مِثَالِ مَا فِيكَ مِنْ حُسْنٍ وَأَلْوَانِ
الوحي، الذي جاء بالقرآن، وصف الجنة بمثل ما فيك يا لبنان من أنواع الجمال

وَزَادَ فِيهَا خُلُوداً مَا عُنِيتَ بِهِ أَشْهَى اللَّبَانَاتِ، فِي حُكْمِ التَّهْيِ، الْفَانِي
وزاد القرآن فجعل الجنة خالدة، ولستُ معنيًا بالخلود لأن أشهى اللبانات، اللذائذ، في حكم
العقل هي اللذائذ المؤقتة

لَا يَعْذُبُ الْوَصْلُ إِلَّا أَنْ يُخَايِرَهُ خَوْفُ الْمُحِبِّينَ مِنْ نَأْيٍ وَهَجْرَانِ
لا يكون الوصل عذاباً إلا إذا خالطه خوف المحبين من البعد والهجران

وَلَا هَنَاءٌ بِنُغْمَى لَا تَخَافُ لَهَا فَقْدًا، وَلَا تُبْتَلَى مِنْهَا بِحِرْمَانِ
لو يعلمون مناحي النفس ما خلَعُوا ثَوْبَ الْخُلُودِ عَلَى نُغْمَى وَأَحْزَانِ
لو يعلمون خبايا النفس الإنسانية لما ألبسوا النعيم والجحيم ثوب الخلود

مَا لِلْخُلُودِ وَمَا لِلْحُسْنِ يَزَعُمُهُ هَيْهَاتَ عُرِّيَ مِنْ حُسْنٍ وَإِتْقَانِ
الجمال الذي يزعم لنفسه الخلود يكون مسلوباً من روعته واكتماله

يُضْفِي الْجَمَالَ عَلَى الْأَيَّامِ مُقْتَدِرٌ مِنْ (التَّحَوُّلِ) ذُو عِزٍّ وَسُلْطَانِ
الذي يكسو الزمن جمالاً هو ذلك المقتدر الذي اسمه (التحول) فهو قوي عزيز

عَنَا لَهُ الْكَوْنُ مَا خُوداً بِفِتْنَتِهِ مِنْ أَنْجُمٍ وَمَكَانَاتٍ وَأُزْمَانِ
خضع الكون للتحول.. النجوم والأمكنة والأزمنة كل شيء يتحول ويتغير

وَعَاطِفَاتٍ وَأَرْوَاحٍ وَأَخْيَلَةٍ تَغْزُو الْوُجُودَ وَآرَاءَ وَأَذْيَانِ
وكذا يخضع للتحول العواطف والأرواح وثمرات العقول من أخيلة وآراء، وكذا الأديان

وَرَبَّمَا فَقِهَتْ مِنْ أَمْرِهِ عَجَباً قَبْلَ الْهُدَاةِ عَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانِ
عصا موسى عرفت التحول قبل الهداة، الأنبياء.. فقد تحولت تلك العصا إلى أفعى

لِيُؤْمِنَ النَّاسُ مَا شَاءُوا بِرَبِّهِمْ فَبِالتَّحَوُّلِ بَعْدَ اللَّهِ إِيْمَانِي
تَسْمُو إِلَى أَفْقِهِ الْقُدْسِيِّ، ظَاهِرَةً طَهَرَ الدَّمُوعِ، تَسَابِيحِي وَالْحَانِي
ترتفع إلى آفاق التحول المقدسة صلوات شاعرنا وألحانه

كَفَرْتُ بِالرُّوحِ بَعْدَ الرَّيْبِ آوَنَةً وَكَانَ زُلْفَى إِلَى نَجْوَاهُ كُفْرَانِي
بعد أن كنت شاكاً بعض الوقت أنكرت وجود الروح، وكان كفري بالروح من بعض الزلفى،
التقرب، إلى الله في مناجاتي له

وَقَرَّبَ النَّاسُ مَا شَاءُوا لِمَذْبَحِهِ وَمَا تَقَبَّلَ مِنْهُمْ غَيْرَ قُرْبَانِي
قرب الناس، قدموا القرابين، لله ولم يتقبل سوى قرباني أنا

أَعْلَنْتُ، حِينَ أَسْرَوْا أَمْرَهُمْ فَرَقًا يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ إِسْرَارٍ وَإِعْلَانِ
فأنا كنت صريحاً بينما أخفى الناس أمرهم فرقاً، خوفاً، والفرق كبير بين من يجهر ومن يُسرّ

إِنَّ الْخُلُودَ وَمَا تَرَوِي مَزَايِمَهُمْ عَنِ السَّعَادَةِ فِي الْآخِرَى نَقِيضَانِ
الخلود والسعادة في الآخرة، أي الآخرة، نقيضان

لَا يَخْدَعُ اللَّهُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَتِلْكَ خُدْعَةُ إِنْسَانٍ لِإِنْسَانٍ
الله لا يخدع من يؤمن به، لكن مسألة الخلود خدعة من إنسان لإنسان

جَنَّاتُ رَبِّكَ فِي سِرِّ الْخُلُودِ عَدَتْ وَكُلُّ أَوْ إِلَيْهَا رَازِحٌ وَإِنْ
من بعض أمر الخلود أن جنة الله تصبح وكل من يأوي إليها رازح، متعب، وإن، متناقل كسلان

مَلَّ الْمُقِيمُونَ فِيهَا مِنْ هَنَاءِ تِهْمٍ كَمَا يَمَلُّ السَّقَامَ الْمُدْنَفُ الْعَانِي
المقيم في الجنة يمل من السعادة مثلما يمل المدنف العاني، المريض الفقير

تَمْضِي الْعُصُورُ عَلَيْهِمْ وَهِيَ وَاحِدَةٌ الْيَوْمُ كَالْأَمْسِ فِيهَا ضَاحِكٌ هَانِي
الزمن واحد لا تغير فيه وكله سعادة وهناء... يا للملل

وَلَا يُجْبُونَ، لَكِنْ تِلْكَ طَائِفَةٌ مِنْ مَا جَنَاتِ خَلِيعَاتٍ وَمُجَانٍ
ليس في الجنة حب... بل تفرغ شهوات

وَلَا يُنَاجُونَ فِي أَحْلَامِهِمْ أَمَلًا مُحَبَّبًا بَيْنَ انْكَارٍ وَإِيقَانٍ
وأهل الجنة لا يحلمون بأمال يترقبونها بين إنكار لحدوثها وتأكد منه... فليس في الجنة إلا اليقين المطلق

مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْلَتْ الْأَذْهَارُ جِدَّتُهُ فَمَا يُحَرِّكُهُ تَدْلِيلُ رِضْوَانٍ
وكل من فيها صار عتيقاً مع مرور الدهور، ولم يعد يحركه تدليل رضوان، خازن الجنة، له

يُنَادِمُ الْحُورَ، لَكِنْ غَيْرَ مُغْتَبِطٍ وَيَشْرِبُ الرَّاحَ لَكِنْ غَيْرَ ظَمْآنٍ
لَوَدَّ فِي كُلِّ مَا يُجْرِيهِ مِنْ عَسَلٍ وَمِنْ خُمُورٍ وَمِنْ دُرٍّ وَعَقْيَانٍ

الدر: اللؤلؤ، العقيان: الذهب

هُنِيْهَةً مِّنْ شَقَاءٍ يَّطْمَئِنُّ بِهَا إِلَى مُنَاجَاةِ آلَامٍ وَأَشْجَانٍ
يود نزيل الجنة لو حصل على لحظة شقاء

إِذَا تَذَكَّرَ دُنْيَاهُ هَفَا وَلَعَا إِلَى حَبِيبٍ وَصَهْبَاءٍ وَنُدْمَانٍ
يشاق إلى الدنيا

وَرَاخَ يَبْحَثُ فِي الْمَجْهُولِ عَنْ أَمَلٍ وَعَنْ شَقَاءٍ وَعَنْ أَهْلِ وَخُلَانٍ
أَمَّا الْعَوَانِي فَصَخَّرَ لَا يُحَرِّكُهَا نَجْوَى مُحِبٍّ وَلَا تَدْلِيلُ وَلَهَانٍ
نساء الجنة كالصخر الجامد

لَا تَعْرِفُ الْحُبَّ إِلَّا مَخْضَ تَلْبِيَةٍ لِّعَابِرِينَ مِنَ الْأَبْرَارِ فِتْيَانٍ
فهن فقط يلين طلبات ولبانات فتيان الجنة

وَلَا تَحْنُ إِلَى رُوحٍ وَعَاطِفَةٍ فَالْحُبُّ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ جُثْمَانِي
حب هؤلاء الحور حب جسدي

مِنْ كُلِّ مُرْتَجَّةٍ الْأَرْدَافِ حَالِيَةٍ بِالْحُسْنِ أَخَاذَةً بِالسَّحْرِ مِفْتَاحٍ
وكل منهن حالية، متحلية، بالجمال، ولها الأرداف المرتجة

خَبَا لَهَيْبِ الْمُنَى فِي رُوحِهَا فَعَدَّتْ وَحُسْنُهَا فِي جُلَاهُ حُسْنُ أَوْثَانٍ
في جلاه: في حقيقته الظاهرة

جَنَى الْخُلُودِ عَلَيْهَا فَهِيَ شَاكِيَةٌ إِلَى الْأَنْثَوَةِ ذَاكَ الْخَائِنِ الْجَانِي
تشكو حورية الجنة الخلود الذي جنى عليها وسلبها الروح

وَلِلْخُلُودِ عَلَى أَهْلِ الْجَحِيمِ يَدٌ تُجْزَى مَعَ الدَّهْرِ إِحْسَانًا بِإِحْسَانٍ
ولللخلود يد، أي نعمة ومعروف، على أهل النار..

الْكَافِرُونَ لَطُولِ الْعَهْدِ قَدْ أَلْفُوا بِقَاعِهَا نُضْجَ أَرْوَاحٍ وَأَبْدَانٍ
فهم لطول ما اعتادوا النار ألفوا في قاع الجحيم احراق جلودهم وأرواحهم ونضجها

وَقَدْ تُزْفُ بِهَا وَالْحَقْلُ مُحْتَشِدٌ سَجِينَةٌ مِنْ ضَحَايَاهَا لِسَجَّانٍ
قد تزوج سجينة من سجينات الجحيم أحد السجَّانين

فَأُضْبَحَتْ وَهِيَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ مَدَرٍ شَيْطَانَةٌ تَتَصَبَّى كُلُّ شَيْطَانٍ
فبعد أن كانت إنسانة أصلها ماء ومدّر، طين، صارت شيطانة تتصبى، وتغري، الشياطين

وَرَبَّمَا صَحِبُوا فِيهَا زَبَانِيَّةً بَعْدَ الْقَلَى إِلْفَ إِخْوَانٍ لِإِخْوَانٍ

وقد تتعقد الصحبة بين نزلاء جهنم وبين الزبانية، حراسها، بعد القلى، العداوة

لَا يَأْلُمُونَ وَلَا تَشْكُو جُسُومُهُمْ مِنَ اللَّطَى، فَهِيَ نِيرَانٌ نِيرَانٍ

يذهب الألم بعد طول معاشرة النار لأهل النار.. كلها نيران في نيران

مَلِيحَةَ الدَّلِّ مِنْ عَسَّانٍ! لَا بَلِيَّتْ شَمَائِلُ الصَّيْدِ مِنْ أَقْيَالِ عَسَّانٍ

يا مليحة الدلال، أيتها الشامية من بنات الفساسة! عاشت ولا بليت صفات الصيد، السادة، من
أقيال، أي ملوك، عسان

أَتَأَذْنِينَ بِإِنْشَادٍ، فَمَا جَلِيَّتْ إِلَّا لِحُسْنِكَ أَشْعَارِي وَأُوزَانِي

طَوَّقْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى مَهَلٍ طَوَّافَ أَشْعَثَ مَاضِي الْعَزْمِ يَفْظَانِ

تُظِلُّنِي مِصْرُ أَحْيَانًا وَأَوْنَةٌ أَعَاقِرُ الْخَمْرِ فِي جَنَاتِ بَغْدَانِ

وَقَدْ صَحِبْتُ شُعُوبَ الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ شَمَّ الْأَنْوَفِ إِلَى رُومٍ وَكِلْدَانِ

مُفْتَشًّا عَنْ عَزَاءِ النَّفْسِ، لَا لَعِبِي أَدَى إِلَيْهِ وَلَا حِلْمِي وَعِرْفَانِي

أطوف في الدنيا مفتشاً عن فرح لقلبي، فلم أحصل عليه لا من اللهو ولا من الجلم والرصانة ولا
من المعرفة

مُسَائِلًا عَنْهُ، حَتَّى قَدْ عَيِيْتُ بِهِ، إِرَثَ الْفَلَاسِفِ مِنْ هِنْدٍ وَيُونَانِ

فَمَا رَأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلَا أَثَرًا وَلَا أَفَادَ طَوَافِي غَيْرَ خِذْلَانِي

ثُمَّ انْتَنَيْتُ وَرَكَبِي جِدُّ مُتَّيِدٍ مِنْ الْوَنَى وَرَفِيقِي جِدُّ حَيْرَانِ

ثم رجعت من بحثي عن الفرح وركبي، موكبي، متد بطيء من الونى، التعب، ورفيقي حيران

وَالْبَيْدُ أَوْسَعُ مِنْ صَدْرِ الْحَلِيمِ مَدَى وَلِلْسَّرَابِ بِهَا آلَافُ عُذْرَانِ

الصحراء أوسع من صدر الرجل الحليم، وبها آلاف الغدران، جمع غدير، لكنها كلها من سراب.
تشبيه معكوس سقيم: يشبهون صدر الحليم بالصحراء فهذه مبالغة لطيفة، فإن عكستها سمجت

ظَمَأَى حَيَارَى، وَخَلَفَ الرُّكْبَ طَائِفَةٌ حُمُرُ اللَّوَاخِظِ مِنْ أَسَدٍ وَذُؤْبَانِ

الغدران السراية عطشى، وخلف المسافرين أسود وذئاب حمر اللواخظ، أي العيون

فَأَيَّقَنَ الْقَوْمَ بِالْجُلَى وَقَدْ صَمَتُوا لِهَيْبَةِ الْمَوْتِ وَهُوَ الْمُقْبِلُ الدَّانِي

أيقن القوم أن الأمر عظيم جليل، وصمتوا لهيبة الموت المقرب

حَتَّى إِذَا الْيَأْسُ لَمْ تَشْرُكْ مَرَاوَتُهُ إِلَّا بِقَيَّةٍ صَبْرٍ غَيْرِ خَرْبَانِ

لم يترك اليأس سوى قليل من الصبر المتحلي بالأنفة البعيد عن العار

لَا حَتَّ خِيَامُكَ بِالصَّحَرَاءِ مُوَنَّقَةً أَبْهَى وَأَزْنَ مِنْ عَرْشِ وَإِيَوَانِ

عندئذٍ لاحت خيامك يا بنت غسان مونة، جميلة، أبهى من العرش وإيوان كسرى

فَكَبَّرَ الرُّكْبُ مُرْتاحاً إِلَى أَمَلٍ عَذَبَ الْمُجَاجَةَ حَالِي الْوَشْيِ رِيَّانٍ
كبر المسافرون وركنت نفوسهم إلى هذا الأمل العذب المجاجة، الارتشاف، الذي كأنه حال،
متحل، بحلي الوشي، وريان، مرتو

فَمَا فَتَحَتْ جُفُونِي وَهِيَ دَائِمَةٌ مِنْ الرَّمَالِ، أَعَانَ اللَّهُ أَجْفَانِي
حَتَّى لَمْحَتِكَ خَلْفَ السُّرِّ ضَاحِكَةٌ إِلَى جَوَارٍ وَحُجَّابٍ وَغِلْمَانٍ
فَقَرَّتِ النَّفْسُ لَا شَكْوَى وَلَا تَعَبٌ وَلَا لَجَاجَةَ إِيمَانٍ وَكُفْرَانٍ

قرت نفسي ولم تعد تعاني من سقم أو تعب، ولا من المماحكة بين الإيمان والكفر.. فكان هذه
الفتاة الغسانية هي طمأنينة النفس التي يصل إليها المرء فلا يعود يخاف شيئاً في دنياه ولا في آخره

وَأَبْصَرْتُ بَعْدَ طُولِ الْبَحْثِ غَايَتَهَا فَأَذَعَنْتُ لِهَوَاهَا أَيَّ إِذْعَانٍ
وجدت النفس غايتها فخفضت لهواها.. وجدت يقينها المنبعث من أعماقها

رَأْتُ بِعَيْنَيْكَ يَا لَبْلَى وَقَدْ يَبَسَتْ عَزَاءُهَا لَا بِإِنْجِيلٍ وَفُرْقَانٍ
عزاء النفس هو في لبلى.. في هذا اليقين الذاتي وليس في الكتب السماوية

سِرُّ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ خَفِيتُ تَجَلَّوْهُ مِنْكَ عَلَى الْأَكْوَانِ عَيْنَانِ
السعادة دنيوية

أَمَنْتُ بِالْحُبِّ مَا شَاءَتْ عُدُوبَتُهُ أَمَنْتُ بِالْحُبِّ فَهُوَ الْهَادِمُ الْبَانِي
اليقين هو الحب

٢١ احتضان الوجود

ظَهَرْتُ أَنَامِي الْبَرِيَّةَ فِي لَطَى قُبَلِ كَأَحْلَامِ النَّعِيمِ عِذَابِ
وَسَدْتُكَ الْيُمْنَى لَعَلِّي فِي غَدٍ أَرْدُ الْحِسَابَ وَوَجَنْتَاكِ كِتَابِي
وَنَعِمْتُ أَلْمَحُ فِي جُفُونِكَ رَغْبَةً خَجَلِي صَرِيعةَ نَشْوَةٍ وَدُعَابِ
لَا تَغْفُ تَحْلُمُ بِالنُّجُومِ فَيَرْتَمِي مِنْهَا، لِرَشْفِ لَمَّاكَ، أَلْفُ شِهَابِ
إن بقيت صاحياً فستحلم بالنجوم فيرتمي عليك ألف شهاب لرشف لَمَّاكَ، لتقبيل فمك

لَا تَغْفُ وَأَنْتُمْ فِي هَوَاكَ وَلَا تَخَفُ نُسْكِي أَمَانُكَ فِي غَدٍ وَثَوَابِي
لا تغف ولا تخف الإثم في حبك، فنسكي أمان لك أيها المحب وهو ثواب لي..

هَيْهَاتَ وَزُرُّكَ لَا أَنْوُءُ بِحَمْلِهِ إِنَّ صَحَّ أَمْرُ قِيَامَةٍ وَحِسَابٍ
يتراجع: لكن ذنبك كبير ولا أستطيع حمله إن صح أمر يوم القيامة والحساب

يَا رَبِّ عَفْوُكَ قَدْ ثَمِلْتُ فَخَلَّنِي لِعَوَايَتِي وَتَهْتُكِي وَشَرَابِي
أَحْلَامُ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى نَزَلْتُ عَلَيَّ وَضَمَّهَا جِلْبَابِي
هذا من أفكار المتصوفة الذي يرون في جلايبهم جزءاً من ذات الإله

خَلَقْتُ بِبَيْدَائِي الظَّمِيَّةَ جَنَّةً ثَرثَارَةً الْأَلْوَانِ وَالْأَطْيَابِ
فَإِذَا الْحَيَاءُ عَلَى جَلَالَةٍ قَدَّرَهَا دَارِي، وَهَذَا الْأَفْقُ بَعْضُ رِحَابِي
وَإِذَا الْكَوَاكِبُ مِنْ لِدَاتِ طُفُولَتِي وَالْكَوْنُ وَالْأَجْيَالُ مِنْ أَصْحَابِي
لدات: أصحاب. عندما يفرح الإنسان يرى الكون يرقص له. فتح الشاعر القروي فتحاً شعرياً
عندما قال: (مثلاً لي هذا الوجود بشيء/ أنا لا أستطيع ضم الوجود) معنى طلبته الشعراء كثيراً
وتركته للمهجري الفصيح. الشاعر القروي من شعراء هذا الكتاب

٢٢ عبادة الجمال

شَجَاهَا مِنْ عُهْدُوكَ مَا شَجَاهَا وَجَنَّ اللَّيْلُ فَاذْكُرْتُ أَسَاهَا
أحزنت النفس عهود الشباب الزائل، وجن الليل، غطى الكون، فتذكرت النفس وجعها
هَفَّتْ لِشَبَابِهَا وَصَبَّتْ إِلَيْهِ وَرَقَّ لَهَا النَّصِيحُ فَمَا لَحَاهَا
اشتاقَت النفس للشباب، ورق لها الناصح فما لحاها، ما وبخها

وَهَيْهَاتَ الشَّبَابُ! وَأَيْنَ مِنْهُ مُنَى لِلنَّفْسِ تَعَثَّرُ فِي وَجَاهَا
بعد الشباب وامتنع رده، وشتان ما بينه وبين الأمنيات الحالية التي تتعثر في وجاها، حفاها..
فكانها تسير حافية وتتعثر

وَمَا عُدُّ الشَّبَابِ كَبُرَتْ فِيهِ وَلَسِي نَفْسٌ فَتِيَّاتٌ مُنَاهَا
لا عذر للشباب، ففي أيامه كنت كبيراً لا شاباً، وكانت لي نفس ذات طموحات فتية قوية

سَقَاهَا مِنْ سُلَاقَتِهِ كُؤُوساً وَحَنَنْتُ لِلْمَزِيدِ فَمَا سَقَاهَا
الشباب سقى نفسي من خمره، وحتت نفسي للمزيد لكنه لم يسقها لأنها نفس تنوق للمعالي ولا
يمكن للمرء أن يتمتع ويلهو وأن يطلب المعالي في الوقت نفسه

يُرَاحِي بِالْعِنَانِ لَهَا رُؤَيْدًا فَإِنْ وَثَبَتْ لِغَايَتِهَا ثَنَاها
الشباب يراخي للنفس المقود قليلاً فإن وثبت تريد المزيد ثناها وشد المقود

وَتَدْعُوهَا الْفُتُونُ وَهِنَّ سِحْرٌ فَتُطْرَقُ لَا تَلْبِي مَن دَعَاها

الفتنة تغري النفس، والنفس تطرق مترددة ثم لا تلي الدعوة

مُعَذِّبَةً، إِذَا لَمَحَتْ جَمَالاً هَفَّتْ وَجَدّاً وَعَاوَدَهَا ضَنَاهَا

النفس معذبة تحس بقلق كلما رأت جمالاً ويعود إليها ما نسيته من عذابها

وَيَا نَفْسِي عَبْدْتُكَ عَنْ يَقِينٍ وَحَسْبِي قَدْ عَبْدْتُ بِكَ الْإِلَها

هذه عبادة الشعراء. يعبدون ما يتخللون أنه ذات الإله حلت في نفوسهم

بَرِئْتُ إِلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غُوَاةٍ تَفِرُّ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى دُجَاهَا

أنا بريء من الضالين الذين يتركون نور الحقيقة الصباحي ويتبعون دجاءها، أي ليلها

تُرِيدُ رِضَاكَ تَقْيِيداً وَأَسْراً وَأَيْنَ رِضَاكَ رَبِّي مِنْ رِضَاهَا

هذه الغواية تريد رضى الله بتقييد النفس، ورضى الله لا يكون كذلك

وَأَنْكَرَ فُذْرَةَ الْخَلْقِ رُوحٌ رَأَى صُورَ الْجَمَالِ وَمَا اشْتَهَاهَا

لِمَنْ جُلِيَتْ بِزِينَتِهَا عَرُوساً وَفِيمَ أَحَبَّهَا وَلِمَنْ بَرَاهَا؟

فلمن برزت صور الجمال كالعروس؟ ولمن خلق الله الجمال إن لم نتمتع به بلا قيود؟

عَبَدْتُكَ فِي الْجَمَالِ، وَلَا أَبَالِي ضَلَالُ النَّفْسِ ذَلِكَ أَمْ هُدَاهَا

٢٣ الحقيقة والأمنيات

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَقِيقَةَ عَلَقَماً خَلَقَ الْمُنَى لِلْوَارِدِينَ شَمُولاً

إذا كانت الحقيقة مرة كالعلقم، فالأمني عذبة كالشمول، الخمر

تَتَصَارَعَانِ وَلَا تَرَى إِحْدَاهُمَا ظَفِيراً لَتَبْسُطَ حُكْمَهَا وَتَطُولَا

الحقيقة والأمنيات في صراع لا غلبة فيه لأيهما

تَدْعُو الْمُنَى زُمَرَ الْقُلُوبِ وَأَخْتَهَا تَدْعُو بَصَائِرَ فِي الْوَعَى وَعُقُولَا

الأمني تنادي القلوب، وأختها، أي الحقيقة تخاطب البصائر والعقول

وَالْكُونُ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ مُقَسَّمٌ فَاشْهَدْ قَبِيلاً يَسْتَبِيحُ قَبِيلاً

الكون مقسوم بين ناس حالمين وناس عقلاء

٢٤ لا يَمَحِين

أَحْبَبْتُهَا سَاحِرَةً كَالرُّؤْيَى مُبْهَمَةً غَامِضَةً كَالظُّنُونِ

حييته ساحرة غامضة

مَجْنُونَةٌ، وَالْحُسْنُ لَمْ تَكْتَمِلْ فَتَنَّتُهُ إِلَّا بِبَعْضِ الْجُنُونِ

والجمال لا يكتمل إلا ببعض الجنون والنزق

أَرَى عَلَى خَدَّيْكَ فِيمَا أَرَى بِأَلْفِ لَوْنٍ قُبَلِ الْعَاشِقِينَ

يحبس بأن حييته مر بها عشاق كثر

مِنْ قُبَلَةٍ خَائِنَةٍ مَرَّةً وَقُبَلَةٍ وَادِعَةٍ فِي الْجَبِينِ

وَقُبَلَةٍ حَمْرَاءَ مِثْلِ اللَّطَى وَقُبَلَةٍ بَيْضَاءَ مِثْلِ الْيَقِينِ

هذه أصناف القبلات التي يتخيل محبوبته قد مرت بها

تَأْبِينَنَ إِلَّا مَخَوَ آبَائِنَهَا وَهَنَّ يَا لَيْلَايَ لَا يَمَحِينُ

لَا تُنْكِرِي حُبَّكَ لِي، إِنَّنِي أَسْتَشْهَدُ الرَّيْحَانَ وَالْبَاسْمِينَ

أستشهد: أطلب شهادة

٢٥ حديث الشقراء

يَا سَاكِبَ الشُّعْرِ خَمْرًا مِنْ شِعْرِ رَبِّكَ خَدِّي

الفتاة تقول للشاعر إن شعره خمر ولكن خدًا كأنه شعر قاله الله

وَمِنْ مَعَانِيهِ عِظْرِي وَمِنْ قَسَوَاتِهِ وَرْدِي

تَأْتَقُ اللَّهْ دَهْرًا يُعَمِّدُ فِيَّ وَيُبْدِي

حَنَى جَلَانِي شِعْرًا يَأْ حَسْرَةَ الشُّعْرِ بَعْدِي

دُنْيَايَ أَحْلَى وَأَغْلَى مِنْ أَلْفِ جَنَّةٍ خُلْدِي

البيت الأخير جاء في ذيل القصيدة بعيداً عن إخوته، وهو على لسان الشاعر لا الفتاة

٢٦ حب واشتهاء

أُبْهَى الضَّاحِكُ الطَّرُوبُ أَلَا تَأْ سَى لِهَازِي الدُّمُوعِ فِي عَيْنَيَا

أَنَا أَبْكِي وَكَرَّمَ اللَّهُ وَالْحُسْنُ نُنْ عَنِ الدَّمْعِ خَدَّكَ الْوَرْدِيَا

يا حبيبي دَغْنِي أَقْبَلُ حَدِيْكَ كَ، وَأَشْتَفُ نَعْرَكَ اللُّؤْلُؤِيَّا
 أَلْهَوَى جَنَّةً بِقَلْبِي وَالشَّهْ وَهُ نَارَ حَمْرَاءَ فِي شَفَتِيَّا
 مِهْرَجَانٍ لِمُتَعَةِ الْجِسْمِ حَالٍ يَرْحَمُ اللَّهُ حُبَّنَا الْعُذْرِيَّا
 حال: متزين بالخلّي. بعد حديثه عن نار الشهوة الحمراء يترحم، ولا عجب، على زمن حبه
 العذري البريء

٢٧ الورد المفتون

تَزَيَّنَ الْوَرْدُ أَلْوَاناً لِيَفْتِنَنَا أَيُخْلِفُ الْوَرْدُ أَنَا مَا فَتَنَّا
 يَا مَنْ سَقَانَا كُؤُوسَ الْهَجْرِ مُثْرَعَةً بكى بساطُ الهوى لَمَّا طَوِينَا

٢٨ لبنان والشام

لُبْنَانُ وَالْعُوطَةُ الْخَضْرَاءُ ضَمَّهُمَا مَا شَتَّ مِنْ أَدَبٍ عَالٍ وَمِنْ نَسَبٍ
 لبنان والشام يتحدان أدباً ونسباً

ما في اتّحادِهِمَا تَالِهٌ مِنْ عَجَبٍ هَذَا الْفِرَاقُ لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْعَجَبِ
 الفراق الذي تم بين الشام ولبنان بإرادة فرنسية إنجليزية في سايكس بيكو هو العجيب

لِلْخُلْفِ فِي النَّاسِ أَنْوَاعٌ وَأَعْرَبُهَا خُلْفُ الشَّقِيقَيْنِ مِنْ قَوْمِي بِلَا سَبَبٍ
 لِلضَّادِ تَرَجُّعٌ أَنْسَابٌ مُفَرَّقَةٌ فَالضَّادُ أَفْضَلُ أُمُّ بَرَّةٍ وَأَبٍ
 وَكَانَ لِي مِقْوَلٌ كَالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً فَحَطَّمِ الظُّلْمُ حَدَّ الْمِقْوَلِ الذَّرِبِ
 مَقول: لسان، منصلت: مسلول، الذرب: المنطلق الفصيح

لَأَرْحَلَنَّ قَلْبِي فِي الْأَرْضِ مُتَّسِعٌ إِنَّ ضَاقَ بِي صَدْرُ هَذَا الْمَوْطِنِ الرَّحِيبِ

محمد سليمان الأحمد
(بدوي الجبل)
فهرس القوافي

٧	الحُفُوقَا	٥	الكِبْرِيَاءُ
١٦	يُوقَى	٢	بَابُ
٢٣	شَمُولَا	٢١	عَذَابِ
١٥	وَالطُّلُوثُ	١	كُتِيبِ
١٣	رَقِيمُ	٢٨	نَسَبِ
٨	إِحْسَانَا	٤	طِلَاحَا
٣	لِيلَوَانَا	٩	حَدَا
١٠	الصَّوْلَجَانُ	١٢	وَالجَلْدَا
٦	نَيْسَانُ	١٩	أَجْدُ
٢٠	وَرَيْحَانِ	١١	يَعُودُ
٢٤	كَالظُّنُونُ	٢٥	خَلْدِي
٢٧	فَتْنَاهُ	١٨	أَثَرُ
٢٢	أَسَاهَا	١٤	تَسْتَعِيرُ
٢٦	عَيْنِيَا	١٧	وَالْأَمْرُ

عمر أبو ريشة

(١٩٩٠ - ١٩١٠)

كانت نَعَم عيتاني تنتج لي برنامجاً تلفزيونياً عن الشعر، اسمه «قال الشاعر»، بثنا منه مئتين واثنين وخمسين حلقة من قناة الجزيرة. وكانت من بين عشرين أو ثلاثين شخصاً صححوا لي أغلاطي النحوية في رحلة عملي في الإذاعة والتلفزيون. قلت لها مرة، وأردتُ أن أورد عليها ما يشبه الأحجية: أتعلمين أن غزة قرية صغيرة؟ فهزت رأسها ببرودها المعهود. فأردفتُ: وليست غزة التي بفلسطين. فقالت: بل غزة التي في البقاع بلبنان. قلت لها: بالضبط. وانكمشتُ. انكمشتُ لأنني كنت أحاجيها في شأن قرية تقع في بلدها، فامتص برود ردها حرارة الأحجية، لا هي عجزت فأورثتني فخراً، ولا هي حزرت بحرارة تبعث في المجلس بعض صخب. وزادتنى انكماشاً إذ قالت: ولنا في غزة البقاع بيت، وعشنا فيه مدةً في أيام الحرب الأهلية.

ومضت بضع سنين، ودعتني نَعَم إلى حفل عرضت فيه فلمها التسجيلي الطويل (كان يا ما كان.. مرتين!) ويصور مأساة الحرب الأهلية في لبنان ومأساة الحرب الأهلية في سورية، وقد حضرت زميلتي المأساتين، وبينهما أكثر من ربع قرن، طفلةً فراشدة. وحضرتهما.. في غزة.

بعد العرض هنأت زميلتي لأنها أولاً قفزت من سفينة الوظيفة فلم تعد «زميلة» لي، وانطلقت تنتج وحدها سائرة في طريق الإبداع، وهنأتها ثانياً لأنها قطعت شوطاً بعيداً بين أول أفلامها (سوبر فُل) وبين هذا الفلم.

وذاب برنامجي التلفزيوني في بحر الظلمات، وبحر الظلمات هو المحيط الأطلسي كما سماه أجدادنا، وهو اليوم الاسم الثاني لليوتيوب. مضت زميلتي إلى عمل أكثر إبداعاً ودواماً. والخلود نسبي. وسيذهب كل شيء في النهاية.

ولكن، الانغماس في برامج الإذاعة والتلفزة سنوات طويلة لا يليق إلا بالكسلان أو قليل الموهبة. ولعلي أحدهما أو كلاهما. ما زلت أحرث السبخة، وأبذر فيها لآلئ عمري، وأنتظر أن تنبت عقوداً وأساور.

جاءتني اليوم رسالة إلكترونية من أحد تلك المواقع التي تعلق ببيردك كالقردة، وتنفحك بالمواعظ. كانت موعظة اليوم مكونة من كلمة واحدة: «تحرك».

بعد أسابيع قليلة سأنهي من عصر الشعراء وتجفيفهم، وسأودع المطبعة هذا الكتاب الخامس والأخير، وأتحرر، وأتحرك، ولا أتحرز، ولا أتحرق حسرة على ما فات ولا شوقاً إلى ما سيأتي. مضى زمن الدهشة.

وهيئات التحرر! ما ذقت في عمري كله حلاوة الكسل. ما استطعت قط أن أقضي نهاراً لا أعمل فيه شيئاً.

قد تقبل بي نعم مساعداً يحمل لها مُعدّات التصوير ويجري وراءها من موقع إلى موقع! فتكون سياحةً ويكون عملٌ في آن معاً.

لا. لا أريد أن أرى العالم، فقد رأيت منه ما يكفي. وقد جاءتني كلمة قالها جان بول سارتر شحمةً على فطيرة، قال: كل ما عرفته عن الحياة إنما عرفته من الكتب.

حان أن ننصرف إلى شاعرنا الجوال الذي عاش عشرين سنة متنقلاً بين بلد وبلد سفيراً لسورية. وكان من قبل يتنقل بين حلب وقرية غزة في البقاع بلبنان. . تذكرونها! حيث كان يفر إذا اشتد عليه الطلب في أيام الحكم الفرنسي.

عمر أبو ريشة

عمر أبو ريشة من حلب. وحلب الآن مدينة مدمرة. ولأنها من ملاعب يفاعتي، قلت فيها قبل أسابيع، وأنا الآن أكتب في أبريل ٢٠١٧، أبياتاً:

قد كان في الوسع، لكن ما حميناها	ودمروها، ولا حتى بكيناها
قد صدّت الروم طول الدهر صامدةً	ونحن في ظهرها غدرًا طعنّاها
غَطُّوا القتيلة حتى لا نرى حلياً	ولا ترانا، كأنا ما عرفناها
غَطُّوا القتيلة حتى لا تُدْكَرْكُمْ	أنّ القتيلة أعراض دَفَنّاها

عَظُّوا الْقَتِيلَةَ، لَيْسَ الرُّؤْسُ وَحْدَهُمْ بل نحن من قبلِهِمْ كُنَّا ذَبَحْنَاهَا

ولا أزيد القارئ من هذا، فبعد الحسرة يأتي كلام عن السائل والمسؤول عن نكبة حلب، وليس هذا مما يفتح له قلب كتاب عن الشعر، ولا مما يشرح له صدر الأيام المقبلة التي سيكتب فيها التاريخ في عدة نسخ.

ولد شاعر حلب المشهور في عكا بفلسطين عند أخواله في سنة ١٩١٠. وفي عكا درس المرحلة الابتدائية، ومع دخول الإنجليز فلسطين، وعمر في الثامنة من عمره، أخذت مؤدبة خاصة تأتي إلى البيت وتعلمه اللغة الإنجليزية. كان أخواله من عائلة مشهورة بالتصوف، وكان جو البيت في عكا جو أذكار وتسابيح ومجالس درس. وعاد الصبي مع أمه وأخته الكبيرة سارة إلى كنف أبي الأسرة في حلب وقد انتهت الحرب العالمية الأولى، وانتهى بانتهاؤها الحكم العثماني من بلاد العرب. كان الأب منفياً مغضوباً عليه من جانب إستانبول لمساعدته الأرمن وإيوائهم في المحنة التي تعرضوا لها على أيدي الأتراك في سنوات الحرب.

التحق عمر في حلب بمدرسة، ثم بأخرى، ثم توجه إلى بيروت وعمره أربع عشرة سنة ليدرس في الصفوف الثانوية بالجامعة الأميركية. وتخرج وهو في السابعة عشرة من العمر بعد أن درس العلوم والآداب. وكان ممن علمه العربية هناك أنيس الخوري المقدسي وجبرائيل جبور. وما بلغ الثامنة عشرة حتى توجه إلى إنجلترا ليتعلم صناعة الغزل. تمرن في المصانع ودرس في جامعة مانشستر كيمياء الغزل والنسيج أربع سنين. كان على وشك الزواج بفتاة إنجليزية، لكن الموت عاجلها فحزن، وكتب في ذلك شعراً.

عاد إلى حلب شاباً في الثانية والعشرين. ولم يوفق في فتح مصنع للغزل. ولم تنجح الأسرة الإقطاعية في الانتقال إلى عصر الصناعة. . ولا البلد نجح في مثل هذه النقلة. كانت فرنسا تحتل سورية آنذاك. وكان احتلالها مصحوباً بالقمع والتسلط الشديدين.

آل أبو ريشة عرب تمتد جذورهم القبلية بعيداً، ويفخرون بنسبهم، وكان أجداد شاعرنا ولاية وحكام أقاليم في العصر العثماني، وكانت عائلة أمه راسخة في الصوفية. وبعد انفصال البلاد العربية في الشام عن جسم الدولة العثمانية شاطر قادة المجتمعات الشريف حسين وأولاده حلم بناء دولة عربية مستقلة. وبدأت العائلات الإقطاعية تحلم بالاستمرار في قيادة المجتمع مع التحول إلى

التصنيع. وسرعان ما ذبح المنتصرون في الحرب الأولى الحلم العربي باتفاقية سايكس - بيكو، فكان تقسيم بلاد الشام إلى دول، وكان أن جاء المنتصرون ليحكموها باسم الانتداب.

واجتمعت القوى البرجوازية الصاعدة، ذات الجذور الإقطاعية، تقاوم الحكم الفرنسي وتسعى إلى استقلال تقود فيه المجتمع إلى نهوض صناعي وتعليمي. كان رجال الكتلة الوطنية: فارس الخوري، وشكري القوتلي، وهاشم الأتاسي، وإبراهيم هنانو، وسعد الله الجابري، وجميل مردم بك يمثلون هذا التوجه الذي أصبح القاطرة التي تقود النضال السياسي، وأحياناً العُنفي، ضد الاستعمار الفرنسي. وكان في المحمل الآخر عبد الرحمن الشهبندر وسلطان الأطرش اللذان قادا ثورة الجنوب السوري، دمشق وجبل العرب، في أواسط العشرينات.

كان للكتلة الوطنية الأثر الأكبر في هذه الحقبة، وإلى جانب الكتلة نشأ تنظيم شبابي ينتهج خط الكتلة الوطنية ويأتمر بأمر كهولها. وكان عمر أبو ريشة من أقطاب هذا التنظيم الذي عرف باسم «الشباب الوطني». فلما وقع رجالات الكتلة معاهدة مع فرنسا عام ١٩٣٦، عارض «الشباب الوطني»، ومعه شاعرنا المعاهدة، مثلما عارضها خط الشهبندر - الأطرش. ولم تصادق فرنسا على المعاهدة، ونالت الكتلة الوطنية لظمة، لكنها ظلت القاطرة التي ستولى أمر سورية بعد الاستقلال عام ١٩٤٦.

مع انشقاقه عن الكتلة الوطنية، وسخريته شعراً من المعاهدة التي عقدتها، انصرف عمر أبو ريشة إلى تأسيس دار كتب في حلب، وأصبح مديراً لها نحو عشر سنين. وترشح مرتين للنئاسة ولم يوفق.

في عام ١٩٤٩، وبعد بضع سنين من الحكم المدني غير المستقر، جاء انقلاب حسني الزعيم، وبعده بأشهر انقلاب سامي الحناوي، وعين عمر أبو ريشة مفوضاً لسورية في البرازيل، ثم رقي إلى سفير، وبقي في أميركا اللاتينية، تصحبه زوجته وابنته رفيف وولده شافع، نحو خمس سنين كان فيها يمثل سورية في البرازيل وتشيلي والأرجنتين.

ثم إلى الهند سفيراً خمس سنين حتى ما بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية، ثم إلى النمسا سفيراً للجمهورية العربية المتحدة، دولة الوحدة، ثم سفيراً في واشنطن لسورية ثلاث سنين، ثم عودة إلى الهند سفيراً لسورية ست

سنتين. فذلك: عشرون عاماً قضاها الشاعر في السلك الدبلوماسي. وفي عام ١٩٧٠ تقاعد وسكن في بيروت. عاش في تقاعده عشرين سنة.

ينقح المداحون سيرة عمر أبو ريشة حتى لتشبه سيرة عمر بن الخطاب. لذا لا يذكرون له حباً عاصفاً وهو يقترب من السبعين أدى إلى ترك العشيقة المتزوجة زوجها. لقد تعرف عليها وهي مع زوجها، وكانت ترافقه زوجته.

وحاول أن يقنع زوجته بتقبل الوضع الجديد لكنها رفضت، ورفض أبناؤه، وخاصموه حتى النهاية.

الكاتب جهاد فاضل، الذي ساقه الله ليلون حياة أدبائنا بلون فضائحي جميل، يطلق على السيدة سعاد، صفة الزوجة «الثانية أو الأخيرة» لعمر أبو ريشة.. كأنه يعرض بأنه كان للشاعر زوجات أخريات في تاريخه الطويل وجغرافياه الواسعة.

في العشرين سنة الأخيرة من حياة الشاعر قال القليل، وكانت له علاقة قوية بالمملكة العربية السعودية بدأت بلقاء مع الملك فيصل بن عبد العزيز. وله فيه بيتان جميلان:

يا ابنَ عبدِ العزيزِ! وانتفضَ العزُّ وأضغى وقالَ مَنْ ناداني
قلتُ: ذاكَ الجريحُ في القدسِ في سَيِّءِ ناءٍ في الضَّفَّتَيْنِ في الجَوْلانِ

توفي عمر أبو ريشة عن ثمانين سنة، عام ١٩٩٠، بعد أن مكث على سرير المرض في مستشفى بالرياض سبعة أشهر. ونقل جثمانه إلى حلب.

١ وامعتصماه في آذان صمَاء

بعد نكبة فلسطين ١٩٤٨:

أَمَتِي، هَلْ لِكَ بَيْنَ الْأُمَمِ مَنبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ؟
أَتَلَقَّاكَ وَطَرَنِي مُطَرِقٌ خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمُنْصَرِمِ
ويكادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا بِبَقَايَا كِبْرِيَاءِ الْأَلَمِ

يكاد دمعي يسيل فكانما يعبث بما تبقى من الكبرياء التي هي كبرياء المتألم لا كبرياء المنتصر السعيد

أَيْنَ دُنْيَاكِ الَّتِي أَوْحَتْ إِلَيَّ وَتَرِي كُلَّ يَتِيمٍ النَّعَمِ؟

يا أمتي أين أيامك الماضية المجيدة التي أوحى إليّ بالأنعام الفريدة اليتيمة التي لا تشاكلها أنعام؟

كَمْ تَحْطِيطُ عَلَى أَصْدَائِهِ مَلْعَبَ الْعِزِّ وَمَغْنَى الشَّمَمِ
على أصدقاء ذلك النغم كنت أسير قاطعاً ملعب العز، والملعب الساحة في لغتنا القديمة، ومغنى
الشمم، أي مربع الشموخ

وتهاديتُ كأنِّي ساجِبٌ مِثْرَرِي فوقَ جِباهِ الأَنْجُمِ
كنت أسر متهادياً، متمهلاً مختالاً، وكأنني أسحب ذيل ثوبي فوق جبين النجم

أَمَتِي كَمْ غُصَّةٍ دَامِيَةٍ خَنَقَتْ نَجْوَى عُلَاكِ فِي فَمِي
ما أكثر الغصص الدامية التي خنقت في حلقي مناجاتي لأمجادك، فلم أعد أستطيع التغني بهذه
الأمجاد

أَيُّ جُرْحٍ فِي إِبَائِي رَاعِفٍ فَاتَهُ الْآسِي، فَلَمْ يَلْتَمِمْ!
ما هذا الجرح الراحف، النازف، الذي أصاب إبائي وشموخي وفاته الآسي، أي الطيب، فلم
يندمل!

إِسْرَائِيلَ تَعْلُو رَايَةً فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ
رفعت إسرائيل رايتها في أرض مهد عيسى، وفي ظلال الحرم القدسي.. وبعد هذه القصيدة بتسعة
عشر عاماً ستحتل إسرائيل بيت لحم والقدس ولن تبقى رايتها على مقربة منهما فقط

كَيْفَ أَعْضَيْتِ عَلَى الذَّلِّ، وَلَمْ تَنْقُضِي عَنْكَ غُبَارَ الثُّهَمِ؟
يا أمتي كيف سكّ على الذل، ولم تنفضي عنك تهمة الجبن والاستخذاء؟

أَوَمَا كُنْتَ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمٍ؟
فِيمَ أَقْدَمْتَ، وَأَحْجَمْتَ؟ وَلَمْ تَنْتَقِمِي
إِسْمَعِي نَوْحَ الْحَزَانِي وَاطْرَبِي
وَانْظُرِي دَمْعَ الْيَنَامَى وَابْشِمِي
وَدْعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا تَتَفَانِي فِي خُسَيْسِ الْمَغْنَمِ
اتركي الزعماء يفنون كل طاقاتهم لئيل المغانم الخسيسة النافهة

رُبَّ «وَامُعْتَصِمَاهُ» انْطَلَقْتُ مِلَّةَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيُثَمِ..
ثمة صرخة «وامعتصماه» انطلقت من أفواه البنات اليتامى مستغنية..

لَا مَسَتْ أَسْمَاعُهُمْ لَكُنْهَا لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ الْمَعْتَصِمِ
هذه الصرخة لامست أسماع الزعماء، ولكنها لم تلامس فيهم نخوة كنخوة الخليفة المعتصم الذي
لبي نداء تلك المرأة العربية التي صرخت «وامعتصماه» وحارب الروم

أَمَتِي كَمْ صَنَمٍ مَجْدِيهِ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ

لا يُبْلَامُ الذُّئْبُ فِي عُدَوَانِهِ إِنَّ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ
فَاحْسِي الشُّكُوى، فَلَوْلَاكَ لَمَّا كَانَ فِي الْحَكَمِ عَبِيدُ الدُّرْهَمِ

٢ حيلة الذليل

رَبِّ طَوَّقْتَ مَغَانِيَّ نَا جَمَالاً وَجَلالاً

مغانينا: ربوعنا، بلادنا

وَنَثَرْتَ الْخَيْرَ فِيهِنَّ- يَمِيناً وَشِمَالاً
وَتَجَلَّيْتَ عَلَيْهِنَّ- صَلِيباً وَهَلالاً
رَبِّ هَذِي جَنَّةُ الدُّنَى يَا، عَبِيراً وَظِلالاً
كَيْفَ نَمْشِي فِي رُبَاهَا الـ خُضْرٍ، نِيْهاً وَاخْتِبالاً..
وَجِرَاحُ الذِّلِّ نُخْفِيهِ هَا عَنِ الْعِزِّ اخْتِبَالاً؟
رُدَّهَا قَفْرَاءَ، إِنَّ شَيْئاً تَ، وَمَوْجُهَا رِمَالاً
يا رب اجعل أرضنا قفراء، جذباء، ولتموج فيها رمال الصحراء..

نَحْنُ نَهْوَاهَا عَلَى الْجَدِّ بِ إِذَا أَعْطَتْ رِجَالاً
نحب الأرض مجدبة إن كانت تلد رجالاً شامخين

٣ الثري النفطي

بِدَوِيِّ، أَوْزَقَ الصَّخْرُ لَهُ وَجَرَى بِالسَّلْسَبِيلِ الْبَلَقُ
سمع الشاعر عن ثري نفطي أنفق في ليلة ستين ألف دولار على عشيقة، فهذا الرجل الثري خرج له
من الصخر نفط كأنه بستان مورق، وتفجر البلقع، الأرض المجدبة، ينبع سلسيل.. لكن من
نفط. القصيدة مؤرخة بعام ١٩٥٤، قبل أن تكون للشاعر علاقة حسنة بمنطقة الخليج

فَإِذَا النَّخْوَةُ وَالْكِبَرُ عَلَى تَرَفِ الْأَيَّامِ جُرْحُ مُوجِعٍ
فتحولت النخوة والكبرياء إلى جرح بوجود هذا الترف

هَانَتْ الْخَيْلُ عَلَى فُرْسَانِهَا وَأَنْطَوَتْ تِلْكَ السِّیُوفُ الْقُطْعُ
وترك العرب خيلهم وانتهى زمن السيوف القاطعة

وَالْخِيَامُ الشُّمُّ مَالَتْ، وَهَوَتْ وَعَوَتْ فِيهَا الرِّیَاحُ الْأَرْبَعُ
الرياح عند قدمائنا: الصبا والقبول والديبور والنكباء.. وقيل غير ذلك

والبُطولاتُ، على غُرَبَتِهَا في مَغَانِينَا، جِياعٌ خُشَعٌ
هكذا تُقَتَّحُمُ القدسُ على غاصِبِيهَا، هكذا تُسْتَرَجَعُ!
يهزأ: أهكذا نسترجع القدس؟

٤ على أرائكهم

في تأبين الأخطل الصغير، وتوفي عام ١٩٦٨ :

كتائبٌ بالنضالِ الحقِّ مُؤمَّنةٌ إذا الطَّواغيتُ مِن إيمانِها سَخِروا
الجنود في كتابهم يؤمنون بالنضال الحقيقي، في حين أن الزعماء المستبدين يسخرون من هذا
الإيمان

إن خُوطِبوا كَذَبوا أو طُوبِلوا غَضِبوا أو حُورِبوا هَرَبوا أو صُوجِبوا غَدَروا
خافُوا على العارِ، أنْ يُمَحَى، فكانَ لَهُمُ على الرِّباطِ، لِدعمِ العارِ، مُؤْتَمَرُ
هذا عن مؤتمر القمة العربي في الرباط، وجاء بعد النكسة وفشل الزعماء العرب في التوصل إلى
أي قرار فيه

على أرائِكِهِمْ، سَبَحانَ خالِقِهِمْ عاشُوا وما شَعَرُوا، ماثُوا وما قُبِرُوا
عَفُواً، بِشَارَةٍ، بعضُ البوحِ ضُمَّتْ به فَسَالَ فوقَ فَمِي، حَرَّانَ، يَسْتَعِرُّ
بشارة الخوري الذي قُلت القصيدة في تأبينه

خَنَقْتُ بِالدَّمَعةِ الحَرَساءِ أَكثَرَهُ، وَأَقْتَلُ الدَّمَعَ ما لا يَلْمَحُ البَصْرُ
خنقت أكثر بؤحي بدمعة خرساء، دمعة داخلية لم تظهر للعيان، وأكثر الدمع إيذاء ما لا يظهر

٥ تجاهلت السؤال

ركب الشاعر الطائرة في أميركا الجنوبية، وجلست بجانبه حسناء إسبانية جذورها
عربية، ١٩٤٩ :

قُلْتُ: يا حسناء، مَن أنتِ؟ وَمِن أَيِّ دَوْحٍ أَفْرَعَ الغُصْنُ وطالاً؟
دوح: شجرة وارفة الظل كبيرة

وَأجابَتْ: أنا مِن أُنْدَلُسٍ جنة الدنيا سهولاً وجبالاً
وجُدودي، أَلْمَحُ الدهرَ على ذَكَرِهِمْ يَطوي جَناحِيهِ جَلالاً
بُورِكَتْ صحراؤُهُم كَم زَخَرَتْ بِالمُروءاتِ رِياحاً ورمالاً

هؤلاء الصيْدُ قومي، فانتسبَ إن تجدَ أكرمَ من قومي رجالا
الصيد: الأسايد

أظرقَ القلبُ، وغامتَ أعيني برؤاها، وتجاهلتُ السؤال

٦ معبد وعرايا

زار معبدًا فيه تماثيل عارية تمثل الرجال والنساء في أوضاع جد «طبيعية»، ١٩٥٧:
مَن مِنكُمَا وَهَبَ الأمانَ لأخيه، أنتَ أم الزمانُ؟
أيها المعبد الهندي المهيب بسكونه وطماننته، هل أنت أعطيت الأمان للزمان أم هو أعطاك الأمان؟

كَمْ دُمَيَّةٌ ذَلَّ الرُّخا مُ على انتفاضتها وهان
كان التماثيل انتفضت وخرجت من الرخام فأذلته وقهرته

طَلَبْتُ فَأَعْطَى، واشترأبـ ت فأنحنى، وقستَ فلان
طلبت التماثيل من الرخام أن ينصاع لأمرها حتى تتكون وقست عليه فلان لأمرها فتشكلت

وتكادُ تنقُلُ ظِلُّها وتسيرُ مُطْلَقَةَ العِنانِ
لشدة شبهها بالشخوص الحية فإن التماثيل تكاد تتحرك

هذانِ يضُّوا صَبُوءَ مجنونةٍ، يتعانقان
هذا تمثال لشخصين أنضاهما العشق المجنون، أي أنعبهما، وهما متعانقان

وتلوحُ إحداهُنَّ ذا هِلَّةَ مُرَوَّعَةِ الجِنانِ
وهذه امرأة مرتبكة خائفة

وكأنَّها شَعَرَتْ بِنَهْـ مذيها أَرادَا يَشْرُدانِ
فلها على طوقيهما كَفَّانِ لا تَتَزَحَّزحانِ
ومُراهِقِ مُسْتَسْلِمِ لِقِيادِ غَانِيَةِ عَوانِ
وهذا تمثال شاب مع بائعة هوى عوان، نَصَفَ غير شابة

رَدَّ الرَبِيعُ لَهَا، فَرَّقـ ت طُلُوعَ وَرَهَتْ لِيانِ
قد استردت بعض فتنة شبابها فكانت طلعتها بهية وجسمها ليئًا فهي مزهوة مفتخرة

أهُوتَ عَلَيْهِ فَأَكْتَـ بِالْيَاسَمِينِ الحَيزُرانِ
يبدو أن المراهق خيزراني القوام نحيل، والعاشقة سمينة كشجرة ياسمين وارفة

وَتَمَهَّلْتُ، لَا وَهَجُهَا فَاِنْ، وَلَا الْيَنْبُوعُ فَاِنْ
وَجِيَالُهَا ثِنْتَانِ مِنْ أَتْرَابِهَا مَنْسِيَّتَانِ
زُمَّتْ شِفَاهُهُمَا عَلَى مَعْسُولِ مَا تَتَسَاقِيَانِ
وَسَهَتْ جُفُونُهُمَا عَلَى أَظْيَافِ مَا تَتَشْهَيَانِ
يبدو أن المرأتين متعانتان عشقاً

وَنَدِي كُفَّاهِ تَضَوَّ- عَ فِي مَجَامِرِهِ الدُّخَانِ
وهذا تمثال لمجلس كهان وقد فاح دخان عطري من مجامره

وَصُنُوجُهُ وَكُؤُوسُهُ طَافَتْ بِهَا زُمَرُ الْقِيَانِ
والقيان، أي الجواري، يطفن ساقيات بالكؤوس، مصونات بالصاجات في أكفهن

بِرُقُصْنَ فِي إِغْرَائِهِنَّ- وَكُلُّ قَدٍّ، أَفْمُوانِ
وَعَوِيَّةٍ ظَمَأَى تَفَنُّ- نَ فِي رِضَاهَا ظَامِئَانِ

وهذه امرأة غاوية ومعها رجلان ظامئان للعشق، وتمائيل الهند مشهورة بما تصور من أوضاع العشق

هَامَا بِمَا اقْتَسَمَا فَكُلُّ- عِنْدَ مَوْرِدِهِ اسْتَكَا
وكل رجل من هذين قانع بالموضع الذي أخذه من المرأة

هَذَا مَطَاوِيهَا اسْتَطَا بَ، وَذَا نَوَافِرِهَا اسْتَلَانَ

أحدهما أعجبه ما ضر من جسمها، والآخر منشغل بما كان من جسمها نافرأ، أعوذ بالله، لشعرك يا أبا ريشة أفصح من تلك التماثيل

وَصَبِيَّةٍ مَمَشُوقَةٍ هِيَ وَالْغَوَايَةُ تَوَآمَانِ
يَهْفُو الْقَمِيصُ لِمَسِّ خَصْبِ رِيْهَا، وَتَأْبَى الْحَلَمَتَانِ
يريد قميص الصبية الممشوقة أن يمس خصرها ولكن صدرها البارز يبعده عن بقية جسمها

«كَاجِرَاوُ»! هَلْ مِنْ حُرْمَةٍ لَكَ عِنْدَ رَائِيهَا تُصَانُ
يا معبد كاجراو، لم ترك شيئاً من الحرمات مصوناً مستوراً

كَمْ زَائِرٍ أَذْمَى قُؤَا ذَكَ مَا أَسَرَّ وَمَا أَبَانَ
كم من زائر أحنك أيها المعبد بمشاعره التي أبداها وتلك التي أسرها في نفسه

أَخْفَى الرِّضَى وَتَظَاهَرَتْ بِالسُّخْطِ، عَيْنَاهُ اللَّتَانِ.

في ضمير الزائر رضى وانشراح لهذه التماثيل الإباحية، ولكنه يتظاهر بالاشمئزاز، والسخط باد في عينيه اللتين..

تَحَرَّيَانِ وَتَنَهَلَا نِ وَتُكْسِرَانِ وَتَحْلُمَانِ

.. تحديقان وتمتعان وتحلمان ..

مَزَّقْتَ أَقْنَعَةَ الْحَيَا قَ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ دِهَانِ

وَجَلَوْتُهَا فِي غُرْبِهَا فَتَرْفَعَتْ بَعْدَ امْتِنِهَا

جلوت حقيقة الشهوات البشرية أيها المعبد فأصبحت آيات فن بعد أن كانت ممتنة مردولة

لَا تَسْأَلَنَّ فُلْنَ أَجِيـ بَ، وَظَنَّ بِي مَا أَنْتَ ظَانِ

أنا مثلُ غيـري لا يُـرى لِي مِنْ كُـوى سِـجْنِي كِيَانِ

لن أفصح عن مشاعري، فأنا مثل غيـري لا تبدو حقيقي من نوافذ سجنِي الضيقة .. سجن التقاليد والمحرمات

أَنَا مُطْمَئِنٌّ بِالْقِنَا عِ، وَرَافِلُ الطَّبْلِـسَانِ

وأنا مطمئن بهذا الوضع، وبما أستر به مشاعري من طبلسان، ثوب، ومن قناع

«كَأَجْرَاوُ»! لَوْلَا الْمَجْزُ وَالـ حِجْرْمَانُ مَا كَانَ الْجَبَانُ

نحن نجبن عن اقرار المنوع، والسبب الحرمان والعجز

٧ كبرياء بلبل

(تعليقاً على قول الجاحظ: «البلبل لا ينسِلُ في قفص») ١٩٤٤:

لَوْ يَعْلَمُ الصَّبَادُ مَا صَيَّدُهُ لَمْ يَجْعَلِ الْبُلْبُلَ فِي صَيْدِهِ

أَلْفَيْتُهُ يَنْشُرُ أَلْحَانَهُ كَأَنَّمَا يَنْشُرُ مِنْ كَبْدِهِ

رأيت البلبل في القفص يغرد بحزن، كأنما ينثر كبده نثراً

أَسْقَمَهُ الْعَيْشُ عَلَى وَفَرِهِ لَمَّا رَأَى لَيْسَ مِنْ كَدِّهِ

أمرضه أن يعيش على طعام يقدم له في القفص ولم يتعب في تحصيله

فَعَافَ دُنْيَاهُ وَلَمْ يَتَّخِذْ عُشًّا، وَلَمْ يَحْمِلْ سِوَى زُهِدِهِ

كَأَنَّهُ مِنْ طُولِ مَا مَضَّهْ مِنْ عَبَثِ الدَّهْرِ وَمِنْ كَيْدِهِ

مضه : آذاه

أَبَى عَلَيْهِ الْكِبَرُ أَنْ يُورِثَ الْـ أَفْرَاحَ ذُلِّ الْقَيْدِ مِنْ بَعْدِهِ

لكبريائه لم ينجب أفراحاً حتى لا يرثوا القيد ويكونوا محبوسين مثله في القفص

أَصْبَحَ السَّفْحُ مَلْعَباً لِلنُّسُورِ فَاغْضَبِي يَا ذُرَى الْجِبَالِ وَثُورِي
بعد أن كانت النسر تحلق فوق القمم أصبح ملعبها، ساحتها، السفح، فلتغضب الذرى، القمم،
لهذا الوضع

إِنَّ لِلْجُرْحِ صَبِيحَةً فَاْبْعَثِيهَا فِي سَمَاعِ الدُّثْنِ فَحَبِيحَ سَعِيرِ
إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ يُكْحَلْ جَفْنُ النَّدْ- جَمِ نَبْهًا بِرَيْثِهِ الْمَنْثُورِ
هَجَرَ الْوَكْرَ ذَاهِلاً وَعَلَى عِب- نَبْهِ شَيْءٍ مِنَ الْوَدَاعِ الْأَخِيرِ
هجر وكره في القمة لأنه لم يعد يستطيع الوصول إلى القمة، وكان ذاهلاً وعلى عينيه «شيء» أي
دمع بسبب الوداع الأخير للقمة

تَارِكاً خَلْفَهُ مَوَاكِبَ سُحْبٍ تَتَهَاوَى مِنْ أَفْقِهَا الْمَسْحُورِ
هبط النسر العجوز تاركاً في الأعالي الغيوم تهوي في أفق السماء... لكن فوقه
هَبَطَ السَّفْحُ طَائِياً مِنْ جَنَاحَيْهِ هِ عَلَى كُلِّ مَطْمَحٍ مَقْبُورِ
فَتَبَارَتْ عَصَائِبُ الطَّيْرِ مَا بِي- نَ شَرُودٍ مِنَ الْأَذَى وَنَفُورِ
جماعات الطيور هربت من أذى النسر الكاسر، وهي طيور ضعيفة تفر وتفرق اتقاء أذى النسر
لَا تَطِيرِي جَوَابَةَ السَّفْحِ فَالْنُّسُ رُ إِذَا مَا خَبِرْتَهُ لَمْ تَطِيرِي
لا تطيري أيتها الطيور الضعيفة التي تجوب السفح ولا تقوى على القمم، ولا تهربي، فلو عرفت
أَنَّ النسر فقد قوته لما طرت بعيداً عنه

نَسَلَ الْوَهْنُ مِخْلَبِيهِ، وَأَذَمَتْ مَنَكَبِيهِ عَوَاصِفُ الْمَقْدُورِ
النسر الآن ضعيف وقد نسل الضعف مخليه نسلأ واستلأها استللاً، وسال دم من كفيه بسبب
القدر الغلاب

وَالْوَقَارُ الَّذِي يَشِيْعُ عَلَيْهِ فَضْلَةُ الْإِرْثِ مِنْ سَحْبِ الدُّهُورِ
وما عليه من وقار هو مجرد إرث من زمن سابق سحيق بعيد

وَقَفَ النَّسْرُ جَانِعاً يَتَلَوَّى فَوْقَ شِلْوٍ عَلَى الرَّمَالِ نَشِيرِ
وقف النسر جانعاً يتلوى ألاماً فوق شلو، عضو من الأعضاء والجمع أشلاء، وقد نُثر على الرمل

وَعِجَافُ الْبُغَاثِ تَدْفَعُهُ بِأَل- مِخْلَبِ الْعَضِّ وَالْجَنَاحِ الْقَصِيرِ
لكن البغاث، الطيور الضعيفة، العجفاء النحيلة اجترأت على النسر وصارت تدفعه بعيداً بمخالبها
الطرية وأجنحتها القصيرة

فَسَرَتْ فِيهِ رَعِشَةً مِنْ جُنُونِ الْكَبِيرِ وَاهْتَزَّ هِزَّةَ الْمَقْرُورِ

سرت في جسم النسر رعشة كبرياء واهتز كما يهتز المقرور، المصاب بالقر أي البرد

وَمَضَى سَاحِباً عَلَى الْأَفْقِ الْأَعْفَى بَرٍّ أَنْقَاضَ هَيْكَلٍ مَنْخُورٍ

وسحب نفسه على الأفق المغبر وطار.. كأن جسمه هيكلاً متهاوياً منخوراً، غير صلد

وَإِذَا مَا أَتَى الْغَيَاهِبَ وَاجْتَا زَمَدَى الظَّنِّ مِنْ ضَمِيرِ الْأَثِيرِ..

وعندما وصل إلى الغياهب، المكان المظلم بعيداً، وطار إلى أبعد مما تصل إليه الظنون في جوف الأثير، أي السماء..

جَلَجَلَتْ مِنْهُ رَعَقَةٌ نَشَتْ الْآفاقُ حَرَى مِنْ وَهْجِهَا الْمُسْتَطِيرِ

صرخ بزعيق اهتزت له الآفاق لما به من غضب مستطير

وَهَوَى جُئَةً عَلَى الذَّرْوَةِ الشَّمْسِ - سَاءَ فِي حِضْنٍ وَكُرِهِ الْمَهْجُورِ

وبطيرانه العالي هذا الذي أجبر نفسه عليه رغم ضعفه، وصل هذه المرة إلى الذروة، القمة، التي كان ضعفه قد حرمه منها.. ثم سقط جئاً على القمة عند وكره القديم الذي هجره طويلاً بسبب ضعفه

لَمْلِمِي يَا ذُرَى الْجِبَالِ بَقَايَا النَّدَى - سَسِرْ، وَازْمِي بِهَا صُدُورَ الْعُصُورِ

أيها التسرُّ هل أعودُ كما عُدْتُ، أم السَّفْحُ قد أَمَاتَ شُعُورِي؟

الشاعر يشبه نفسه بالنسر الضعيف، فهل يغضب غصبة أخيرة فيعود إلى قمته ولو كلفه ذلك حياته، أم أن تَعُودَهُ البقاء على السفح، في مرتبة نازلة عن مستواه، قد أَمَاتَ شعوره؟

٩ تَغَيَّرْتُ

١٩٥٨

وَأَتَيْتُ مِرَاتِي وَعِظْرِي فِي يَدِي فَبَصُرْتُ مَا لَا كُنْتُ فِيهَا أَبْصُرُ

فَحَفَضْتُ طَرْفِي، ذَاهِلاً مَتَوَجِّعاً وَنَفَرْتُ مِنْهَا عَاتِباً أَسْتَنْكَرُ

خَانَتْ عُهُودَ مَوَدَّتِي، فَتَغَيَّرْتُ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهَا تَتَغَيَّرُ

النكته: أن المرأة هي التي تغيرت، لا أنه فوجئ بأنه هو تغير وشاخ

١٠ القصيدة.. وكسب العيش

١٩٦٢

هِيَ وَالْدُنْيَا وَمَا بَيْنَهُمَا غُصَصِي الْحَرَى وَأَهْوَائِي الْعَنِيدَةُ

هي القصيدة التي أريد أن أبلغ بها ذروة المجد.. والدنيا التي أسعى في مناكبها متقلداً الوظائف والمناصب.. وبينهما أحس بغصص، وآلام، وأحس بضغظ من ميولي الأدبية العنيدة

رَحْلَةً لِلشَّوْقِ، لَمْ أَبْلُغْ بِهَا مَا أَرْتَنِي مِنْ فَرَادِيسَ بَعِيدَةٍ

لم أستطع بلوغ الفردوس البعيد، المرتبة العليا، في رحلتي هذه

طَالَ دَرْبِي، وَانْتَهَى زَادِي لَهُ وَمَضَى عُمْرِي عَلَى ظَهْرِ قَصِيدَةٍ

طال بي درب الشعر والإبداع، ولم أكن تزودت للدرب بما يكفيني.. وعمرى انقضى وأنا أركب
شيطان الشعر آملاً أن يوصلني إلى الخلود. كل شاعر يتوق إلى أن يكون متنبئ العصر!

١١ عُودِي

١٩٦٥

قَالَتْ مَلِئْتُكَ، إِذْهَبْ لَسْتُ نَادِمَةً عَلَى فِرَاقِكَ، إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ لَنَا

سَقِينُكَ الْمُرَّ مِنْ كَأْسِي، شَفِيتُ بِهَا حَقْدِي عَلَيْكَ، وَمَا لِي عَنْ شَقَاكَ غِنَى

الحيبة سعيدة بأنها عذبت به، وما كان ليهدأ بالها إلا بعد أن ترى الحبيب شقياً معذباً

قَالَتْ، وَقَالَتْ، وَلَمْ أَهْمِسْ بِمَسْمَعِهَا مَا نَارَ مِنْ غُصَصِي الْحَرَّى وَمَا سَكْنَا

ظلت نفع بفحيح غضبها وهو ساكت لا يعبر عن آلامه الكبيرة، سواء ما ناز منها أم ما كبته في قلبه

تَرَكْتُ حُجْرَتَهَا، وَالذَّفَاءَ مُنْسَرِحاً وَالْعَطَرَ مَنْسَكِباً، وَالْعَمَرَ مُرْتَهَنًا

ترك غرفتها وترك ذفاء العشق، وهجر العطر، وتحرر من ارتهاق عمره في حبها

وَسِرْتُ فِي وَحْشَتِي، وَاللَّيْلُ مُلْتَحِفٌ بِالزَّمْهَرِيرِ، وَمَا فِي الْأَفْقِ وَمَضَ سَنَا

وسار في الليل تصاحبه وحشته، وكان الليل ملتقاً بالزهمير، ولم يكن في الأفق بصيص نور

وَلَمْ أَكْذُ أَجْتَلِي دَرْبِي عَلَى حَدْسٍ وَأَسْتَلِينَ عَلَيْهِ الْمَرْكَبَ الْحَشِينَا .

وما كاد يجتلي ويرى طريقه بالتمس والتخمين في هذا الظلام، ويحس بأن سيره صار آمناً فكانه
وجد المركب المضطرب قد أصبح سلساً..

حَتَّى سَمِعْتُ وَرَائِي رَجَعَ زَفَرَتَهَا حَتَّى لَمَسْتُ حِيَالِي قَدْهَا اللَّدِينَا

حتى سمع وراءه صوت تنفسها.. وحتى لمس بجانبه قدها اللين

نَسِيتُ مَا بِي، هَزَّتْنِي فُجَاءَتُهَا وَفَجَّرَتْ مِنْ حَنَانِي كُلَّ مَا كَمْنَا

نسي ما به من ألم الإهانة والصد، وهزته هذه المفاجأة، وأعادت إليه الحنان الكامن في قلبه

وَصِحْتُ يَا فِتْنَتِي، مَا تَفْعَلِينَ هُنَا؟ الْبَرْدُ يُؤْذِيكَ، عُودِي، لَنْ أَعُودَ أَنَا

وقال لها: أيتها المرأة التي فتنتني، ماذا تفعلن؟ البرد يؤذيكم فعودي إلى غرفتك. لكن، أنا.. لن أعود

١٢ وصية

١٩٦٥

إِنَّهَا حُجِّرَتِي لَقَدْ صَدَيْتِ النَّسْـيَ بَيَانُ فِيهَا، وَشَاخَ فِيهَا السُّكُوتُ
أَدْخُلِي بِالشُّمُوعِ، فَهِيَ مِنَ الظُّلَمِ سَمَةٌ وَكَرَّرَ فِي صِدْرِهَا مَنَحُوتُ
يطلب للمحبة أن تدخل غرفته بشموع تبدد الظلمة. ففرقة كأنها وكر منحوت نحتاً... ليس من
صخر... بل منحوت من صدر الظلمة

وَأُنْقَلِي الْخَطُوءَ بِاتِّشَادٍ فَقَدْ يَجْـ قَلَّ مِنْكَ الْغُبَارُ وَالْعَنَكُبُوتُ
سيرى بطيئة لئلاً «يخاف» الغبار فيثور، ويتحرك العنكبوت. و«يجفل» الغبار» جديدة وفيها شعر بديع

عِنْدَ كَاسِيِ الْمَكْسُورِ حُزْمَةٌ أَوْراً قِي، وَعُمُرٌ فِي دَقَّتِبِهَا شَتِيْتُ
ستجدين حزمة أوراق فيها قصائدي، وفيها عمري مشتتاً في طواياها

إِحْمِلِيهَا، مَاضِي شَبَابِكَ فِيهَا وَالْفَتُونُ، الَّذِي عَلَيْهِ شَقِيْتُ
هذه القصائد الغزلية فيها عصارة مشاعري إزاءك في أيام شبابك، وفيها الفتنة التي عذبتني

اقْرَأِيهَا، لَا تَحْجُبِي الْخُلْدَ عَنِّي أَنْشُرِيهَا، لَا تَتْرُكِينِي أَمُوتُ
اقرأ القصائد، فهذا سيخلدني، وأنشرها فهذا يحميني من موت اسمي بعد أن يموت جسي

١٣ بعد فوات الأوان

: ١٩٦٢

غَابَ، وَلَنْ يَرْجِعَ، يَا لَيْتَنِي أَعْطَيْتُهُ بَعْضَ أَمَانِي الْحَيَاةِ
بعد موته تمنى المرأة لو أنها كانت أعطته ما يتمنى من الوصل والرضا

يَا لَيْتَنِي أَطَبَّقْتُ أَجْفَانَهُ قَبْلَ الرَّدَى، بِالقُبْلَةِ الْمُشْتَهَاةِ
تمنى لو أنها أطبقت أجفانه قبل أن يموت بالقُبلة التي طالما حلم بها

أَشْعُرُ بِالْوَحْشَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ مِنْ أُمْنِيَاتِ
أشعر بوحشة بعد موته، مع أنني في حياته لم أكن أتمنى وصاله

كَمْ مَرَّ بِي وَالشَّوْقُ يُزْرِي بِي وَلَمْ يَجِدْ مِنِّي إِلَيْهِ التَّفَاتِ
كان يمر بي والشوق يعذبه، ولا ألتفت إليه

مالي إذا ما زارني طيفه أمسح من أجفاني الدامعات؟
والآن يزورني طيفه وأذكره فدمع عياني

ليس سواه، بين أترابه كان يرى أنني أحلى فتاة
فقط هو، من بين كل أصحابه، كان يراني أجمل فتاة

١٤ لا تنتقي كلماتك

١٩٦٦

حدّثيني عما يصحّ بجَنَبِك، وعما يشور من رَعْبَاتِك
حدّثيني، قُصِّي جناح ظنوني حدّثيني، لا تنتقي كلماتك
تكلمي ولا تجعلني ظنوني وشكوكي تطير بعيداً بأجنحة. قُصِّي أجنحة ظنوني، وقولي كل شيء
كيفما خطر ببالك «ولا تنتقي كلماتك». ما أكثر ما في هذه العبارة الأخيرة من شعر

١٥ عالم من نساء

١٩٦٤

سارت إلى المركب مشدوّهة معقودة أجفانها بالسما
مشت نحو السفينة هائمة حيرى، وعيناها في السماء

وغاب في اليم، وغابت به وغاب عني عالم من نساء
وغاب المركب في البحر، وغابت المحبوبة معه، وبغياها غاب عني عالم النساء. . فهي كانت
عالمًا من نساء. .

١٦ القيد الضروري

أترأه قال هذه القصيدة عن زوجته؟ هكذا فسرناها. ١٩٦٦

لم أزل أسحب قبدي مُتعباً وجراحي لم تزل تشتم قبدي
قيد الزواج يتعيني، وآلامي تلحن هذا القيد الذي قيدت نفسي به

أنا أقبلت عليه راضياً بعدما غيّبت في عينيك رُشدي
قد تزوجت راضياً بعد أن فقدت صوابي في عينيك

كَمْ تَغَاضَيْتُ حَيَاءً، كَلِّمًا أَوْمَأْتُ لِي مِنْ كُوى الإِشْفَاقِ أَيْدِ
كنت، كرجل متزوج، أخجل عندما تمتد إليَّ يد مشفقة على عذباتي تريد أن تأخذني إلى حب آخر
ووضع آخر

مَا تَبَقَّى غَيْرُ هَذَا الْقَيْدِ لِي فِي بَقَايَا اللَّيْلِ مِنْ هَمٍّ وَشُهْدِ
ما بقي من همومي سوى هذا القيد

إِنَّهُ عُمَرِي قَلَنْ أَرْمِي بِهِ لَا أَطِيقُ السَّيْرَ فِي الْوَحْشَةِ وَحْدِي
قيد الزواج هو عمري، ولن أنخلص منه.. فهو يؤنس وحشتي ولا أطيع السير بدونه

١٧ انتقي لي حكاية

بعد عودته من بابل وبنوى قال هذه القصيدة، ونرى أنه يقصد عودته من لقاء مع
المحوبة، أو هكذا شاء خيالنا، ١٩٥٣ :

عَذْتُ مِنْ عَالَمٍ، تَأَلَّقَ فِي عَيْنِ نَيْنٍ فَيَاضَتَيْنِ بِالْأَسْرَارِ
عاد من لقاء من المحبوبة.. عاد من عالم عيناها المليئين بالأسرار

فِيهِمَا يَغْرِقُ الْخَيَالُ، وَتَنْهَا رُ الْأَمَانِي، وَتَسْتَحِمُّ الدَّرَارِي
في عيناها لا يبقى مجال لخيال فهما أبعد من كل خيال، وتنهار كل الأمنيات أمام أمنية الوصل
معها، وفي عيناها لو تعلمون.. تستحم النجوم. نعثاً للذكور.. يجدون امرأة فاتنة، فائقة
الجمال، وقوية، ومنبعة.. ولا يستريح بالهم إلا أن يطفثوا بريق عيناها.. تبأ لهم.. ولها!

كَثُرَتْ فِيهِمَا حِكَايَاتُ نَعْمَا نِي، وَعَزَّتْ، وَحَارَ فِيهَا اخْتِيَارِي
في عيناها حكايات كثيرة عن النعمة التي أنا فيها بسبب لقائي بهذه الفاتنة، وعزيزة هذه النعماء
وممتنعة.. فأنا معذب بهاتين العينين.. وقد احترت أي حكاية من الحكايات الوهمية هذه أختار

مَا تُرَانِي، يَا بَدْعَةَ الْحُسْنِ، أَرْوِي لِصِحَابِي، وَكُلُّهُمْ فِي انْتِظَارِي؟
ايتها الفاتنة الجمال! ماذا سأقول لأصحابي عن هذه العلاقة المبتورة.. كلهم ينتظرونني لأروي
لهم..

إِنْتَقِي لِي حِكَايَةً، رَبِّمَا شَكَّ - صِحَابِي فِي الصَّدْقِ مِنْ أَخْبَارِي
قولي لي حكاية عن علاقتنا الصعبة هذه كي أرويها للأصحاب، فقد يشكون في حكاية أبتدعها
بنفسي. كل تفسيري للقصيدة تفسير بحسب ما تخيلت.. أقرأها واشعر بها وحدك.. هذه قصيدة
لا تفسر

١٨ نلعب معاً

١٩٥٠

أَحْبَبْتَنِي، أَحْبَبْتَ أَنْ تَلْعَبِي وَتَسْحَبِي الذَّيْلَ عَلَى الْكَوْكَبِ
أَحْبَبْتِي لِهَوَا، وَافْتَخَاراً لَكِي تَفْتَخِرِي بِذَلِكَ وَكَأَنَّكَ تَسِيرِينَ فِي السَّمَاءِ وَتَسْحَبِينَ ذِيكَ عَلَى
الْكَوَاكِبِ

وَتَسْمَعِي نَجْوَاكِ مُخْضَلَّةً عَلَى شِفَاهِ الزَّمَنِ الْأَشْيَبِ
أَحْبَبْتِي لَكِي تَسْمَعِي هَمْسَاتَنَا نَدِيَّةً مُخْضَلَّةً عَلَى شِفَتِي الزَّمَنِ الْعَتِيقِ .. تَرِيدِينَ أَنْ يُقَالَ دَائِماً ..
كَانَتْ حَبِيبَةً فَلَان .. حَسَناً ..

أُمْنِيَّةً، أَدْرَكْتَهَا فَاغْرَفِي مَا شِئْتَ مِنْ نَعْمَائِهَا وَاشْرَبِي
لَقَدْ أَدْرَكْتَ أَمْنِيَّتَكَ، فَاغْرَفِي مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ مَا شِئْتَ .. فَأَنَا أَيْضاً مُسْتَمْتِعٌ

١٩ أظهر من الخجل

١٩٤٦

الْفَيْئُهَا سَاهِمَةً شَارِدَةً تَأْمُلًا
نَادَيْئُهَا، فَالْتَفَتَتْ نَهْدًا، وَشَعْرًا مُرْسَلًا
فَمَا انْتُنْتُ حَائِرَةً وَلَا رَتْنْتُ تَدْلُلًا

فقط التفتت .. ليس بحيرة؛ ولا هي رنت، أي نظرت، بدلال وغنج

وَلَا دَرْتُ وَجَنَّتُهَا مِنْ خَجَلٍ تَبَدَّلًا
كَأَنَّهَا فِي طَهْرِهَا أَظْهَرُ مِنْ أَنْ تَخْجَلَا

هذه صغيرة يا أبا ريشة. وفيروز تقول لك: «حلوة والخضر بيلوي .. ما بتعرف أنها حلوي// لا تفوقها ع حالا .. بلكي شغلت لها بالاً»، وبالفصحى: «حلوة وجسمها بدأ يأخذ شكله، ولا تعرف أنها حلوة/ لا تجعلها تعي ذلك، فسوف تشغل لها بالها»

٢٠ سر السراب

١٩٤٦

لَا تَحْسَبْنِي سَالِيَاً، إِنَّ تَلْمَحِي فِي نَاطِرِي، هَذَا الدُّهْوَلُ الْمُبْهَمَا
سَالِيَاً: نَاسِيَاً، وَمَهْمَلَاً الْحَبَّ

إِنْ تَهْنِكِي سِرَّ السَّرَابِ وَجَذْبِي حُلْمَ الرَّمَالِ الْهَاجِعَاتِ عَلَى الظَّمَا
الهاجعات: النائمات. هذا شعر لا يشرح.. بل يقرأ بخشوع

٢١ شرف الوثبة

أَلْقَيْتَ فِي حَفْلَةٍ، ١٩٤٧، ابتهاجاً بعيد جلاء الفرنسيين:

يَا عَرُوسَ الْمَجْدِ، تِيهِي وَاشْحَبِي فِي مَغَانِينَا ذُبُولَ الشُّهُبِ
يا ربة المجد تبختری واسحبي ذبول شهب السماء في أراضينا

لَنْ تَرَى حَفْنَةً رَمَلٍ فَوْقَهَا لَمْ تُعْطَرْ بِدِمَا حُرٍّ أَبِي
لن تري فوق مغانينا حفة رمل إلا وقد عطرتها دماء شهيد حر

دَرَجَ الْبَغْيِ عَلَيْهَا حِقْبَةً وَهَوَى دُونَ بُلُوعِ الْأَرَبِ
مشى الظلم فوق أراضينا زمناً، ولم يحقق هدفه

لَا يَمُوتُ الْحَقُّ، مَهْمَا لَطَمْتَ عَارِضِيهِ قَبْضَةُ الْمُغْتَصِبِ
عارضيه: خديه

مِنْ هُنَا شَقَّ الْهُدَى أَكْمَامَهُ وَتَهَادَى مَوْكِباً فِي مَوْكِبِ
من بلادنا شق هدى الإسلام أكمامه، كما يشق الزهر أكمامه، وأخذ الإسلام ينتشر بعد أن وصل
الشام.. فمن الشام بدأ فتح الاندلس غرباً وكان الوصول إلى حدود الصين شرقاً

وَأَتَى الدُّنْيَا فَرَقَّتْ طَرِباً وَانْتَشَتْ مِنْ عَبْقِهِ الْمُنْسَكِبِ
وطار الإسلام شرقاً وغرباً وشعرت الدنيا بنشوة من عبيره وتسامحه

وَتَغَنَّتْ بِالْمُرُوءَاتِ الَّتِي عَرَفَتْهَا فِي قَتَاهَا الْعَرَبِي
وتغنت الدنيا بشهامة النبي العربي

أَضِيدُ، ضَاقَتْ بِهِ صَحْرَاؤُهُ فَأَعَدَّتْهُ لِأُنْقِي أَرْحَبِ
النبي أصيد، سيد ماجد، أعدته صحراؤه لبلوغ أفق أوسع

هَبْ لِلْفَتْحِ، فَأَذْمَى تَحْتَهُ حَافِرُ الْمُهَرِّ جَبِينِ الْكَوْكِبِ
حوافر خيل المسلمين وصلت إلى أبعد مكان، فكانها داست جبين الكوكب فتزف دماً

سَكِرَتْ أَجْيَالُنَا فِي زَهْوِهَا وَغَفَّتْ عَنْ كَبِدِ دَهْرِ قُلُبِ
أجيالنا اللاحقة سكرت في زهو، وتكبر، للانتصار.. وأصابها الغرور غافلة عن مكائد الدهر المتقلب

وَصَحَرْنَا، فَلِذَا أَعْنَقْنَا مُثَقَّلَاتٍ بِقُبُودِ الْأَجْنَبِيِّ

ثم إذا نحن نرى الأجانب يطوقون أعناقنا بقيود الانتداب والاحتلال

نَحْنُ مِنْ ضَعْفِ بَنَيْنَا قُوَّةَ لَمْ تَلِنْ لِلْمَارِجِ الْمُتَلَهِّبِ
من ضعفنا في القديم صنعنا قوة لا تلين للمارج، اللهب، فهي أقوى من الحديد الذي يلين للنار

كَمْ لَنَا مِنْ مَيْسَلُونٍ نَفَضَتْ عَنْ جَنَاحَيْهَا غُبَارَ التَّعَبِ

خضنا معركة ميسلون وأشباهها، فنفضنا بذلك غبار الإنهاك والتراخي

كَمْ نَبَتْ أَسْيَافُنَا فِي مَلْعَبٍ وَكَبَتْ أَفْرَاسُنَا فِي مَلْعَبٍ

كثيراً ما خابت سيوفنا في ملعب، أي ساحة قتال، وكثيراً ما عثرت خيولنا فلم نحقق الانتصار

مِنْ نِضَالٍ عَائِرٍ مُضْطَخِبٍ لِنِضَالٍ عَائِرٍ مُضْطَخِبٍ

سرنا من نضال فاشل لنضال فاشل

شَرَفَ الْوُثْبَةِ أَنْ تَرْضَى الْعُلَا غَلَبَ الْوَائِبِ أَمْ لَمْ يَغْلِبِ

الشرف في الوثبة النضالية أن يكون فيها رضاً للمعالي والمجد بغض النظر عن الانتصار

فَالْتَفَتْ مِنْ كُوءِ الْفِرْدَوْسِ يَا قَبِصَلِ الْعَلْبَاءِ وَانْظُرْ وَاعْجَبِ

فيا فيصل الأول - وتوفي عام ١٩٣٣ قبل استقلال سورية بثلاث عشرة سنة، وفي زمنه وقعت ميسلون - التفت من نافذة الجنة التي حللتها، وانظر كيف تحقق الاستقلال

أَتَرَى كَيْفَ اشْتَفَى الثَّأْرَ مِنْ أَلِ فَاتِحِ الْمُسْتَرْقِ الْمُسْتَلَبِ

ضَلَّتِ الْأُمَّةُ إِنْ أَرَحَتْ عَلَى جُرْحِ مَاضِيهَا كَثِيفَ الْحُجُبِ

أَيْنَ فِي الْقُدْسِ ضُلُوعُ غَضَّةُ لَمْ تَلَامِسْهَا ذُنَابَى عَقَرَبٍ؟

ليس في القدس ضلوع إلا وقد لسعتها ذنابي، أي حمة أي إبرة - العقرب الصهيوني

وَقَفَ التَّارِيخُ فِي مَحْرَابِهَا وَفَقَّةَ الْمُرْتَجِفِ الْمُضْطَرِبِ

التاريخ ينتظر حدوث شيء في فلسطين.. والتاريخ قلق. معه حق، فهذا قيل قبل النكبة بقليل..

يَا رَوَابِي الْقُدْسِ، يَا مَجْلَى السَّنَا يَا رُؤَى عَيْسَى عَلَى جَفْنِ النَّبِيِّ

تلال القدس هي مجلى السنا، مكان تجلي الضوء المتمثل في الرسائل السماوية، وهي رؤى عيسى ورسالاته التي تجلت أيضاً في جفن محمد فهي رؤى محمد أيضاً

دُونَ عَلَيَاكَ فِي الرَّحْبِ الْمَدَى صَهْلَةُ الْحَيْلِ وَوَهْجُ الْقُنْضِبِ

دون مكانتك العلوية يا قدس، دونها أي يحميها ويقف دونها، في التاريخ الممتد ثمة خيول تصهل وقضب، أي سيوف، تتوهج. ما كان أرخص الكلام في ذلك الزمن! وما أكثر جعجعات عمر أبو ريشة وشموخياته، وعروبياته

٢٢ اعتذار أنيق للراحل

في تأبين الزعيم من الكتلة الوطنية سعد الله الجابري، ١٩٤٧ :

هَيْكَلُ الْخُلْدِ، جِئْتُ أَسْكُبُ نَجْوَا لَكَ رُؤَى فِي مَحَاجِرِ الْآبَادِ
يا قبر سعد الله الجابري، يا هَيْكَلُ الْخُلُودِ، أَتَيْتُ أَسْكُبُ مَنَاجَاتِي إِيَّاكَ، لَكِي تَصْبِحَ رُؤْيَا وَدَلِيلًا
فِي مَحَاجِرِ، عَيُونَ، الْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى الْأَبَدِ الْأَبِيدِ

فِي مَحَارِبِكَ الْوَضِيعَةِ تَغْفُو كِبَرِيَاءُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
فِي مَحَارِبِكَ، أَي وَسْطِكَ، أَيُّهَا الضَّرِيحُ كِبَرِيَاءُ أَسْلَافِنَا، فَالْجَابِرِيُّ يُمَثِّلُ مَجْدَ الْآبَاءِ

قَدْ تَسَاوَى لَدَيْكَ حَالِبُ شَاةٍ فِي مَجَالِ الْفِدَا وَسَيِّدُ نَادٍ
كَنتَ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ رَاعِي شِيَاهِ وَسَيِّدٍ مِنَ السَّادَةِ فِي مَجَالِ الْوَطَنِيَّةِ وَالنِّضَالِ

أَيُّ قَبْرِ وَقَفْتُ أَرْزُو إِلَيْهِ وَالْأَسَى مَالِكُ عَلِيٍّ قِيَادِي؟
الْأَسَى، الْحُزْنُ، يَمْلِكُ زِمَامِي وَلَا سَيْطَرَةَ لِي عَلَيْهِ

مَا تَبَقَّى مِنْ أَمْسِهِ غَيْرُ طَيِّفٍ رَائِحٍ فِي رُؤَى الْحَيَاةِ وَعَدَا
بَقِيَ مِنْ تَارِيخِ سَعْدِ اللَّهِ مَجْرَدُ طَيِّفٍ يَرُوحُ وَيُجِيءُ أَمَامَ عَيُونِ النَّاسِ

وَعَدَا تَهْدَأُ الشُّجُونُ، وَيَخْبُؤُ لَاعِجُ الشُّوقِ فِي الضُّلُوعِ الصَّوَادِي
غَدَا يَخْفُفُ الْحُزْنُ، وَيَنْطَفِئُ لَاعِجُ، لَهِيْبُ، الشُّوقِ فِي الضُّلُوعِ الصَّوَادِي، الْعَطْشَى

وَتَمُرُّ الْأَجْيَالُ سَائِلَةً: مَنْ كَانَ سَعْدٌ، وَمَا لَهُ مِنْ أَيَادٍ؟
وَسَتَاتِي أَجْيَالٌ تَسْأَلُ: مَنْ كَانَ سَعْدٌ، وَمَا كَانَتْ أَيَادِيهِ، أَيُ فَضَائِلُهُ؟

مَنْ تُرَاهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ، وَبَيْنَ الْـ فَسَاتِحِينَ الْغُزَاةِ وَالْقَوَادِ؟
وَهَلْ كَانَ مُلْكًا أَمْ مِنَ الْفَاتِحِينَ أَمْ الْقَادَةَ؟ كَدَتْ تَهْجُوهُ يَا أَبَا رِيْشَةَ

أَيُّهَا السَّائِلُونَ، كَمْ زُيِّفَ الدُّرُّـ وَأَمْسَى قَلَانِدُ الْأَجْيَادِ
يَا مَنْ تَسْأَلُونَ هَذَا السُّؤَالَ! كَثِيرًا مَا رَأَيْنَا اللَّوْلُوَ الزَّانِفَ وَقَدْ أَمْسَى قَلَانِدُ الْأَجْيَادِ، أَيُ عَقُودًا فِي
الْأَعْنَاقِ

كَمْ قُبُورٍ تَنْفَسَ الطَّيِّبُ مِنْهَا مَا حَذَا بِأَسْمِهَا عَلَى الدَّهْرِ حَادٍ
مَا أَكْثَرَ الْقُبُورِ الَّتِي حَوَتْ عِظَامَ النُّفُوسِ حَتَّى لَتَصْعَدَ مِنْهَا رَائِحَةُ الطَّيِّبِ، وَلَكِنْ لَا أَحَدٌ يَذْكُرُ أَصْحَابَهَا

رُبَّ نَاوٍ وَرَاءَهَا، كَانَ فِي قَا فَلَمَّا الْحَقُّ، خَيْرَ سَاعٍ وَقَادٍ
وَرَبُّ نَاوٍ، رَاقِدٌ، فِي هَذِهِ الْقُبُورِ كَانَ خَيْرُ فَادٍ لَزِمْلَاتِهِ بِنَفْسِهِ ضَمَنَ قَافِلَةَ النِّضَالِ وَالْحَقِّ

حَمَلَ الْجُرْحَ صَامِتاً مُطْمَئِئِناً وَأَتَى رَبَّهُ عَلَى مِيعَادٍ

هذا الراقد حمل جرحه بصمت، ومات مطمئناً. وسعد الله الجابري مات ميتة عادية على فراشه
١٩٤٧

وَدَمُ الْمُؤْمِنِينَ مَا ضَاعَ عِنْدَ اللَّهِ - إِنْ ضَاعَ عِنْدَ الْعِبَادِ

قَارَعَ الْبَغْيَ وَهُوَ أَغْرَزَ إِلَّا مِنْ سِلَاحَيْنِ، نَخْوَةٌ وَاعْتِدَادٍ

سلاحه كان الشهامة والاعتداد بالنفس وبالوطن

سَعْدُ، يَا سَعْدُ، إِنَّهُ لِنِدَاءٍ مِنْ حَنِينٍ، فَهَلْ عَرَفْتَ الْمُنَادِي

أَذْهَلْتَنِي عَنْكَ انْتِفَاضَةُ رُوحِي فِي سَمَاءِ عُلُويَّةِ الْأُمْدَادِ

أذهلني فابتعدت عنك في سنوات النضال انتفاضة الروح الشبابية في سماء الروح.. وكان الشاعر من مجموعة «الشباب الوطني» التي رفضت المعاهدة التي عقدها مع المحتل الفرنسي «الكتلة الوطنية»، ١٩٣٦، والجابري من أبرز زعمائها

فَتَرَنَحْتُ أَحْسَبُ الشَّحْبُ تَهْوِي نَحْتَ مَهْدِي وَالشَّجَمُ فَوْقَ وِسَادِي

كنت شاباً متحمساً أترنح افتخاراً فكان الغيوم تنهاوى تحت سريري، وكان النجم فوق وسادتي

أَنَا يَا سَعْدُ، مَا طَوَيْتُ عَلَى اللُّؤْ مِ جَنَاحِي، وَلَا جَرَحْتُ اعْتِقَادِي

شَهِدَ اللَّهُ، مَا انْتَقَدْتُكَ إِلَّا طَمَعاً أَنْ أَرَاكَ فَوْقَ انْتِقَادِي

وَكَفَى الْمِرَّةَ رِفْعَةً أَنْ يُعَادِيَ فِي مِيَادِينِ مَجْدِهِ، وَيُعَادِي

مِلْءُ سَمْعِ الْجِهَادِ صَيْحَةً ثَارَ تَنْقُضُ الْجَمْرَ مِنْ خِلَالِ الرَّمَادِ

في الوطن الآن صيحة ثار

عَمَزْتُ نَخْوَةَ الْبِلَادِ، فَهَبْتُ تَسْلَطِي حَوَاضِراً وَبَوَادِ

هذه الصيحة نخست البلاد في خاضعتها وأثارت نخوتها، فهبت البلاد مشتعلة مدناً وبوادي

وَتَنَادَتْ حُمَاتُهَا لِرَوَابِي الْ- قَدْسِ مَحْمُولَةً عَلَى الْأَحْقَادِ

ونادى حماة الديار بعضهم بعضاً للذهاب للقدس يحدوهم الغضب والحق على الظلم. كان هذا سنة ١٩٤٧، وجاء فلسطين من سورية جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي ولم يصنع شيئاً.. أو على الأقل هذه كانت النتيجة.. حماسة و«حق» على رأي شاعرنا.. ولا تخطيط ولا تنظيم

أَيُّ فِلَسْطِينُ! مَا الْعُرُوبَةُ لَوْلَا قَبَسٌ مِنْ سَنَا النَّبُوءَةِ هَادٍ

٢٣ فلتكن إنساناً

في ألفية المعري ١٩٤٤ :

عَالَمُ الوَهْمِ نحنُ صُفْنَا رُؤَاةُ وَأَرَدْنَاهُ أَنْ يَكُونَ فَكَانَا

نحن نصوغ عالماً من الفكر، وهو وهم، أو أننا نخترع الدين ونريده أن يكون حقيقة فيكون؟
المعنى في بطن الشاعر، والشاعر في بطن قبره

لَسْتَ تَسْطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَهًا فَإِنْ اسْطَغْتِ، فَلْتَكُنْ إِنْسَانًا

لا يستطيع المرء أن يكون إلهاً كما كان يسر نيتشة وجماعة اليجينية في أوروبا، وخاصة إنجلترا التي أسس فيها غولتون هذا المذهب على أبواب القرن العشرين، وأبو ريشة قضى بضع سنين في إنجلترا في الربع الثاني من القرن العشرين

مَا الْعِزَاءُ الَّذِي تَحَزَّتْ لَهُ الْعُمَرُ مَرَّ، وَقَدَّمْتَهُ لَهُ قُرْبَانًا؟

ما الشيء الذي عزاك وصبرك حتى ذبحت عمرك بزهك وصومك وقدمت هذا العمر قرباناً لهذا الشيء؟

أَتَصَبَّأَكَ مَسُودً مِنْ وَرَاءِ الْـ غَيْبِ تَغَشَّى نَعِيمَهُ جَذْلَانَا؟

هل تصباك، وأغراك، مورد، كما نبع الماء، في الغيب.. وكنت موقناً أنك ستأتي جذلان فرحاً؟ وأبو ريشة متحير في شأن أبي العلاء الذي أسرف في الشك والتشكيك في الآخرة. ولأن أبا ريشة ذو خلفية صوفية ودينية متينة فهو غير متحمس حماساً شعراء معاصرين كثر لفكر أبي العلاء المتشكك.. هو فقط متحير بإزاء زاهد المعرة

٢٤ القلم والمبراة

قال الشاعر، عام ١٩٤٥، وقد تراجع الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت عن موائيق بشأن الحقوق والحريات:

أَتَرْقُصُ الطَيْرُ فِي أَشْرَاكِ صَائِدِهَا وَيَحْرُسُ الذَنْبُ فِي أَغْطَانِهَا الْعَنَمَا؟

هل ترقص الطيور في شبكة الصياد؟ وهل يحرس الذنب الغنم في أغطانها ويحميها؟

وَمَا الْمَوَائِقُ إِنْ فَاءَ الْقَوِيُّ بِهَا وَنَصَبَ الْخَتْلُ فِي أَقْدَاسِهَا حَكَمًا؟

ما قيمة الموائق التي يقدمها القوي جاعلاً الغدر حكماً يسيطر على هيبتها ويغيرها كيفما شاء؟

مَا كَانَ أَغْنَاهُ عَنْ تَزْوِيرِ عَايَتِهِ مَنْ يَحْمِلُ السِّيفَ لَا يَبْرِي بِهِ قَلَمًا

لماذا يُتعب القوي نفسه في تزويق غاياته؟ غاياته واضحة: حامل السيف لا ينوي أن يبري به القلم

٢٥ سيد الأنبياء

١٩٤١

قد أتى طُودُهُ الْمُوشَّحَ بِالنُّو ر، وَأَغْفَى فِي ظِلِّ غَارٍ حِرَاءٍ
طوده: جله

وَإِذَا هَاتِفٌ يَصِيحُ بِهِ اقْرَأْ قَيْدَوِي الْوُجُودُ بِالْأَضْدَاءِ
وَإِذَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ شِفَاهُ تَغَنَّى بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ

٢٦ شموخ

قال وقد خرج من سجن الفرنسيين، ١٩٤٥:

عَمَزَتْهُ عَرَائِسُ الْعَيْشِ إِغْرَاءً، فَلَمْ تَسْتَبِخْ حِمَى عُقُوفَانِهِ
غمزت، أي لكزت بمرفقها، عرائس العيش، مغريات الحياة، هذا الشاعر ولكنها لم تستطع
استباحة شموخه

شَاعِرٌ لَوْ شَكَ الْحَيَاةَ لَكَاتَتْ سَرَواتُ الْمُلُوكِ مِنْ نُذْمَانِهِ
لو كان غرض الشاعر أن يشكو من شظف العيش وضيق الرزق لتمكن من بلوغ أمانيه ولأصبح
السراة، السادة، من الملوك من أصدقائه

عَادَ لِلدَّوْحِ عِنْدَلَيْبُكَ يَا شَعْدَ رُ، وَمَاتَ النَّعِيبُ فِي غَرْبَانِهِ
قد خرجت من السجن، فها قد عاد عندليب الشعر للإنشاد، ومات نعيب غربان الدوح، أي
الشجرة الوارفة

أَيُّ فَلَسْطِينُ! يَا ابْنَسَامَةَ عَيْسَى لِجِرَاحِ الْأَذَى عَلَى جُثْمَانِهِ
قبل خمس سنوات من هذه القصيدة كان أبو ريشة قد ترشح للانتخابات ولكن أحد
كبار المشايخ حض الناس على عدم التصويت له لأنه كان قال بيتاً يشبه هذا البيت،
وَضَلَبَ فِيهِ الْمَسِيحَ، كَانَ قَالَ: (كصيرير المسمار في كف عيسى/ ليس تنسى صده
أذن الليالي)، واضطر الشاعر لسحب ترشحه. وها هو يجعل للمسيح جثماناً...
الشعراء مهما بلغ بهم التدين إسلامياً تظل تستهويهم صورة المسيح المخلص الذي
افتدى البشرية بنفسه

يَا تَثْنِي الْبُرَاقِ فِي لَيْلَةِ الْإِلَامِ رَاءِ، وَالْوُحْيِ مُمَسِّكٍ بِعِنَانِهِ
فلسطين شهدت البراق يتثنى والوحي، جبريل، يمسك بزمامه بينما البراق يصعد من القدس إلى
السما بالرسول

لَمْ يَلُخْ قَبْلُ فِي كِنَانَةٍ مَحْزُورٍ مَ سِنَانٍ كَمِثْلِ هَذَا السَّنَانِ
لَمْ يَظْهَرْ فِي جَعْبَةِ قَبِيلَةٍ مَخْزُومٍ سَنَانٌ رَمَحَ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ

صَدَقَ الْعَهْدُ، فَالْفُتُوحُ تَوَالَى وَصَدَى خَالِدٍ بِكُلِّ مَكَانٍ
لَمْ تُزْعِزْ مِنْ عَزْمِهِ إِمْرَةٌ الْفَا رَوْقٍ، بَلْ فَجَّرَتْهُ فَيُضَ تَفَانٍ
لَمْ يَضَعِفْ هِمَّتُهُ أَمْرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بَعَزَلَهُ عَنِ الْجَيْشِ، بَلْ أَزْدَادُ تَفَانِيًّا

وَإِذَا رَاضَتْ الْعَقِيدَةُ قَلْبًا فَمِنْ الصَّغْبِ أَنْ يَكُونَ أَنَانِي
يَا مُسَجَّى فِي قُبَّةِ الْخُلْدِ يَا خَا لِدُ، هَلْ مِنْ تَلَقُّتِ لِبَيَانِي؟
لَا رَعَانِي الصُّبَا إِذَا عَصَفَ الْبَغْدُ حِي، وَالْفَى فَمِي ضَرِيحَ لِسَانِي
لَا تَمْتَعَتْ بِشَابِي ذَا عَرِيدِ الظُّلَمِ فُوجِدَ لِسَانِي قَابَعًا فِي فَمِي سَاكِتًا وَكَأَنَّ فِي قَبْرِ لِهَذَا اللِّسَانِ
أَنَا مِنْ أُمَّةٍ أَفَاقَتْ عَلَى الْعِزِّ - وَأَغْفَتْ مَغْمُوسَةً فِي الْهَوَانِ
عَرْشُهَا الرِّثُّ مِنْ حِرَابِ الْمُغِيرِ مَنَ وَأَعْلَامُهَا مِنَ الْأَكْفَانِ
عَرْشُ أُمِّي الْآنَ رِثٌ مَهْتَرٌ لِأَنَّهُ مَبْنِي عَلَى اتِّفَاقَاتٍ مَعَ الْمُسْتَعْمِرِينَ، وَرَايَاتِنَا أَكْفَانُ ضَحَايَاهُمْ

لَا تَقُلْ ذَلَّتِ الرَّجُولَةُ يَا خَا لِدُ، وَاسْتَسَلَمَتْ إِلَى الْأَحْزَانِ
قُمْ تَلَقُّتِ تَرَّ الْجَنُودُ، كَمَا كَا نُوا مَنَارَ الْإِبَاءِ وَالْعُنْفُوانِ
مَا تَخَلَّوْا عَنِ الْجِهَادِ، وَلَكِنْ قَادَهُمْ، كُلُّ خَائِنٍ وَجَبَانٍ

٢٨ العبقريّة والأعداء

في حفل تكريم الشاعر أحمد الصافي النجفي، ١٩٣٣:

مُنْتَهَى الْفَخْرِ أَنْ تُعَادَى، فَلَوْلَا الـ عَبَقَرِيَّاتُ لَمْ تَكُ الْأَعْدَاءُ
أَرْسِلِ الشُّعْرَ مِثْلَمَا تَطْلُبُ النَّفْ سٌ، وَحَلِّقْ مَا شَاءَتِ الْعَلِيَاءُ

٢٩ شفاعة العشرين

أَفْدِي الْحِسَانَ وَأَيُّ صَبٍّ - لَا يَكُونُ فِدَاءً هُنَّ

صب: عاشق

المُسْبِلَاتُ شُعُورُهُنَّ- السُّودَ فَوْقَ نُحُورِهِنَّ
 مَا سِرْنَ إِلَّا وَالْفُؤَا دُ سَرَى وَصَفَّقَ إِثْرَهُنَّ
 بَارِيسُ لَنْ أُنْسَى مَهَا كَ، وَلَا الْكَوَاعِبَ مِنْ فِينَهُ
 مهاك نساؤك المشبهات المها، أي بقر الوحش. فيته: فيثاً

حَيْثُ الْهَوَى فَرَضَ عَلَيَّ- وَقُبْلَةُ الْوَجَنَاتِ سُنَّةُ
 أَغْوَيْنَنِي بَعْدَ الْمَتَا بَ عَنْ الْهَوَى فَتَبِعْتُهِنَّ
 فِي الصُّبْحِ أَبْرَمْتُ الْعُهو دَ، وَفِي الْمَسَاءِ نَقَضْتُهِنَّ
 هَـذِي ذُنُوبِي إِنَّمَا الـ عِشْرُونَ تَشْفَعُ لِي بِهِنَّ
 كونه في نحو العشرين من عمره يشفع له هذا اللهو. وكان مر بباريس وفيثا وهو عائد من إنجلترا
 بعد انتهاء دراسته

عمر أبو ريشة فهرس القوفي

٨	وُثُوري	٢٨	الأعداء
٣	البَلَقُعُ	١٥	بِالسَّماءِ
١٩	تَأْمُلًا	٢٥	جِراءِ
٢	وجِلالا	٢١	الشُّهُبِ
٥	وطالا	١٨	الْكُوكِبِ
١	لِلقَلَمِ	١٢	السُّكُوثِ
٢٤	الغَنَمَا	١٣	الحياة
٢٠	المُبَهَمَا	١٤	رَغَبَاتِكَ
٢٣	فَكَانَا	٢٢	الآبَادِ
١١	لَنَا	١٦	قَيْدِي
٢٧	السَّنَانِ	١٠	العَيْنِدَةُ
٦	الزَّمَانِ	٧	صَنِيدِهِ
٢٦	عُنُقُورَانِهِ	٩	أُبْصِرُ
٢٩	فِدَاءَهُنَّه	٤	سَخَرُوا
		١٧	بِالْأَسْرَارِ

إبراهيم ناجي

(١٨٩٨ - ١٩٥٣)

لَمَّا كَانَتْ مَادَتْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مَقْصُورَةً عَلَى الشَّعْرِ الْعُمُودِيِّ فَنَحْنُ وَاقِعُونَ تَحْتَ اتِّهَامٍ جَاهِزٍ بِأَنَّا تَقْلِيدِيُونَ رَافِضُونَ كُلَّ مَا جَاءَ بَعْدَ الشَّعْرِ الْعُمُودِيِّ مِنْ أَشْكَالٍ. وَفِي سِيَاقِ دِفَاعِنَا عَنْ أَنْفُسِنَا سَتَتَحَدَّثُ عَنْ «الإِرْهَاقِ اللَّغْوِيِّ»، وَهَذَا مُصْطَلَحٌ سَكَّكَهُ لَتَوِي، وَسَتَتَحَدَّثُ عَنِ الرُّومَنْسِيَّةِ، وَعَنِ الرَّمْزِ، وَعَنِ التَّعْبِيرِ بِجَرَسِ اللَّفْظَةِ، وَالتَّعْبِيرِ بِمَعْنَاهَا، وَعَنِ التَّعْبِيرِ بِجَرَسِهَا وَبِمَعْنَاهَا مَعاً. وَإِنَّمَا أَحْشَرُ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ هُنَا كَيْ أَدْكُرَ نَفْسِي بِهَا.

أَفْهَمُ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ: «كَانَتْ رُوحِي كَسَطْحِ الْبَحِيرَةِ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَ فِيهِ سَرَبُ النُّوَارِسِ تَنْقِيرًا»، كَانَتْ كُوجُهُ الْوَرَقَةِ قَبْلَ أَنْ تَغْزُوهَا غَرِيَابُ الْكَلِمَاتِ. . . هَذَا تَعْبِيرٌ عَنِ هَدُوءِ الرُّوحِ قَبْلَ حُلُولِ الْقَلْقِ جَاءَ فِي تَشْبِيهِينِ مُتَعَاقِبِينَ. حَسَنًا، كَلَامُ مَفْهُومٍ مِنْ مَبْتَدِئٍ، نَصَفَقَ لَهُ قَلِيلًا. لَكِنِّي، لَا أَفْهَمُ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: «تَأْجِجُ الْمَلْحُ مَبْنِعًا مِنْ بِنْفَسِجِ قَلْبِ الْبَحِيرَةِ الْعَذْبَةِ كَيْ يَشْجِي رُوحِي الْحَافِيَّةَ إِلَّا مِنْ سُورِ قَلْبٍ يَحَاوِلُ أَنْ يَنْبُضَ». فَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ يَتَأْجِجُ الْمَلْحُ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصُورَ لِنَفْسِي هَذِهِ الرُّوحَ «الْحَافِيَّةَ» الَّتِي تَنْتَعِلُ «سُورَ قَلْبٍ»، وَمَا هُوَ بِاللَّهِ عَلَيْكَ سُورُ الْقَلْبِ؟

(حَاشِيَّةٌ صَغِيرَةٌ: وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَحْسُ فِي أَعْمَاقِكَ بِأَنَّنِي أَسْتَمْتَعُ وَأَنَا أَصَوِّغُ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي لَا مَعْنَى لَهَا. لَيْتَكَ تَمْنَحْنِي سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً كَيْ أُمَارِسَ هَذِهِ الْهَوَايَةَ! هَيَا؟ لَا، كَفَى).

ثُمَّ فَارَقَ بَيْنَ عِبَارَةِ ذَاتِ مَعْنَى، وَعِبَارَةِ فَارِغَةٍ فِيهَا أَلْفَاظُ ذَاتِ قَعْقَعَةٍ. وَالعِبَارَةُ ذَاتُ الْمَعْنَى قَدْ تَكُونُ أَدْبًا وَقَدْ لَا تَكُونُ، فَأَمَّا سُورُ الْقَلْبِ فَهُوَ لَيْسَ كَلَامًا مُفِيدًا أَصْلًا.

قد تشتبك المجازات في تشكيل يحس المرء بجماله قبل أن يتمكن من النفاذ إلى كل معانيه، وأجمل من هذا أن تتعاقب التشبيهات والمجازات في سلسلة تدخل القلب والعقل معاً دون أن يضطر المرء إلى بذل جهد.

جاء ناس إلى عالم الأدب الوجداني (أقصد بذلك الشعر والخاطرة) يعرضون علينا صناديق مقلدة قائلين: اشتروها قبل أن تفتحوها. فإذا ما فتحناها ورأيناها فارغة قالوا: ألم تكن صناديق جميلة؟ ألم تتمتعوا بأحاسيس الترقب والقلق والفرح وأنتم تعالجون أفعالها؟

ههنا ستراني تقليدياً بحق. لا أريد الفن التجريدي، ولا الأدب الرمزي (الذي لا يرمز إلا إلى نفسه).

جاءت بعد شوقي جماعة رومسية اتخذت من شوقي ومن مطران أبوين غير شرعيين. اجتمع تحت عباءة شوقي، قبيل موته، شعراء اتخذوا لنفسهم اسم «جماعة أبوللو». وكانوا رومسيين.

ما أشد ما تشبه مسيرة الشعر العربي الفصيح في القرن العشرين النمط المعروف في دنيا الأدب والموسيقى والرسم (كلاسيك ثم رومنس). الكلاسيك: رصانة وعناية بالشكل وانضباط في العواطف وفي الأداة، والأداة تكون لغة عند الشعراء وقوالب نغمية عند الموسيقيين، وشكلاً ولوناً عند الرسامين. والرومنس: تخفُّف من الرصانة، وتحرر في الشكل، وتعبير حر عن العواطف، وتغيير على الأداة.

ترى هذا النمط «الخالد» وكأنه من طبائع الأشياء: الأب صارم منضبط وابنه متحرر متفلت. ثم يصبح الابن أباً فينضبط ويأتي الحفيد متحرراً ويتكرر النمط. ولا يندر أن ينعكس النمط مع بقاءه على نمطيته: فيكون الأب متحرراً متفلتاً، ثم إذا ابْنُه يقلد جده في الانضباط.

في القرن العشرين كان القدماء - شوقي وحافظ والرصافي والجواهري - كلاسيكيين، ثم تبعهم شعراء المهجر وشعراء أبوللو فكانوا رومسيين. وهذا حين أننا نناول الظاهرة التي دعوتها «الإرهاق اللغوي».

اسهوهلت اللغة على ألسنة الرومنسيين، ليس فقط لأنهم أرادوها سهلة، بل لأن طبع اللغة التغير. وجاء شاعرنا إبراهيم ناجي في هذا المفترق الذي يلتقي عنده الطريق القادم من الأزهر بالطريق المتجه نحو نزار قباني. فعند ناجي

من اللغة القديمة ألفاظ وتراكيب منثورة في شعره، وهو يصيب ويخطئ في وضع الألفاظ والأساليب القديمة في مواضعها، ولا أشك لحظة في أنه كان يدرك، كلما انحرف انحرافاً، أنه قد انحرف، ولكن المعنى يسوقه. ونال على تلك «الأخطاء» لسعات نقدية جعلته يكتب بعد صدور أول دواوينه، ويفكر في ترك الشعر.

عند هذا المفترق اللغوي بين العربية الصحيحة الفصيحة القديمة وبين عربية نزار قباني التي هي عربية صحيحة فصيحة جديدة، وقع الشعر في «الإرهاق اللغوي». وقع في هذه الحفرة كثيرون من شعراء المهجر، ولعل أبرز الناجين منهم الشاعر القروي. ربما لأنه اشغل بالتدريس بضع سنين في مستقبل حياته، ولأنه لم يعرف لغة غير العربية ولم يشغل ذهنه بعلوم وفنون سوى الشعر ولغة العرب.

ورغم أننا سعيينا، فيما اخترناه من شعر ناجي، إلى انتقاء العيون فلن تعدم خطأ هنا وانحرافاً هناك في اللغة. وكان في الزمرة الأبوللية من هو أقوم من ناجي لغة، ولم نجعله من شعراء كتابنا، فمقياسنا يجلب عن اللغة.

شعر ناجي - برغم ما ذكرنا في الفقرات الثلاث السابقة - شعر بريء من حذلقه الرمزيين. يكون أحياناً حشرجة مخنوق يريد أن يعبر عن معنى فتقصّر أداته اللغوية فيخاطب بيديه ورجليه، فيقول له السامع: وصلت الفكرة. ويكون أحياناً جدولاً عذباً. وما أكثر ما يكون. فأما الرمزيون فترى الحذلق من حذالقتهم يريدك أن تؤلف بالنيابة عنه القصيدة. يعطيك مفردات لكل منها «جَرس» واصنع يا قارئ من هذه «الأجراس» سيمفونيتك. يقول لك: «طاف طير النشوة مخترقاً قلب ظلمة البنفسج، ففاح ليمون الشفة بحزن مغلف بفرحة الفراق». فتفضل وحس، إن كنت تُحس، بما في هذه الكلمات من رنين. فأما نزار قباني فينسج لك بساطاً من التشبيهات والمجازات في كلمات سهلة، ويتعانق اللفظ والمعنى في شعره عناق حبيبين. فإن سألت، ملتمساً مني أن أستطرد: فلماذا لا نراك أدخلت نزاراً حظيرتك؟ فالجواب أن نزاراً توهج في شعر التفعيلة، فهو خارج من صفة هذا الكتاب الذي أراد أن يؤبن الشعر العمودي.

ولد في حي شبرا بالقاهرة وكان ثاني سبعة من أبناء العائلة. وكان في بيت أهله كتب، وكان أبوه يشجعه على القراءة ويشتري له الدواوين. قرأ المتنبي والشريف الرضي وشوقي وحافظاً، وسمع أباه يروي لأمه قصة «أوليفر تويست» لديكنز. واشترى له أبوه قصة ديكنز الأخرى «ديفيد كويرفيلد» فحفرت في نفسه عميقاً. وأثارته قسوة معلم رياضيات سوري، في المدرسة التوفيقية الثانوية، ولكنه تبين خلف هذه القسوة اهتماماً به، وحثه هذا الاهتمام على أن يدرس ويتفوق، وأن يتخذ طريق الدراسة العلمية، ولتفوقه أدخل كلية الطب، وتخرج من القصر العيني وهو في نحو الرابعة والعشرين من عمره طبيباً باطنياً. كان يقرأ الإنجليزية، وتعلم الفرنسية.

اكتشف بعد تخرجه أنه مصاب بالسكري فاضطرب لذلك، ثم دهسته سيارة فكسرت ساقه، فعولج في لندن ثلاثة أشهر. تزوج سامية، وهي ابنة مسؤول كبير في القاهرة. وأنجب ثلاث بنات: أميرة وضوحية ومحاسن. هذا لتعرف أنه كان شخصاً عادياً.

كانت له عيادته الخاصة في حي شبرا، ولكنه ظل يشتغل في الوظائف الحكومية. عاش شبابه في زمن كان فيه شوقي وحافظ ومطران يملأون الدنيا شعراً. ولم يستطع أن، ولا سعى إلى أن، يقلد أحداً منهم. فكان نفسه. وكان رجل أسرة في بيته، لا يصنع شيئاً في يوم الجمعة إلا أن يجلس في كرسية الهزاز وحوله زوجته وبناته. وكان هائماً بجمال الجيلات في العيادة، وفي كل مكان. فأما «عَفْتُ» ملهمته الأولى ففتاة في الحي أحبها حب مراهقين ومضت في سبيلها. وأما الممثلات فقد قال القصائد في زينب صدقي وسامية جمال وزوزو ماضي وزوزو حمدي الحكيم، وأعجب بأمنية رزق. وبعد موته بإحدى عشرة سنة غنت له أم كلثوم الأطلال التي لفقها لها - قيل صالح جودت - من قصيدتين لناجي، وأبدلت الكلمات الأولى (يا فؤادي «رحم الله» الهوى) فجعلت (يا فؤادي «أين أيام» الهوى) وبهذه الكلمات سجلت أم كلثوم الأسطوانة التي سمعتها في صباي. ثم كان أحمد رامي استقل الصيغة الجديدة فجعلها (يا فؤادي «لا تسلم» أين الهوى) وهذا ما درج في الحفلات. وكسبت أطلال الحفلات من الصيغة الجديدة هذه «اللا تسلم» فهي أحسن للغناء، وكسبت أن السنباطي مد «يدي» فجعلها «يدياً» في مقطع «أعطني حريتي»، وكان المقطع في التسجيل مقيد القافية على الأصل. وخسرت أطلال الحفلات إطلالة

قصيرة وجميلة لعود السنباطي في بداية المقدمة، فانفرد محمد عبده صالح على قانونه بالوصول.

وبعد أغنية «الأطلال» بشهرتها المدوية زعمت عدة ممثلات أنهن ملهمات الشاعر. وصارت مسألة الملهمة الحقيقية علكة في حلوق الصحف والتلافيز. ولولا الأطلال لما عرف الكثيرون إبراهيم ناجي.

لم يكن إبراهيم ناجي الوداع الباكي ولا الهائم الشاكي، كان يعشق المرأة، ويستلهم من عطور اللائي يمررن بعيادته من جميلات الشاشة والمسرح الشعر؛ أوليس الجائع الذي يرى ويشم لذيق الأطعمة أقدر على وصفها ممن ملأ بطنه منها؟ وأقدر على وصفها، أيضاً، ممن لم يرها أصلاً؟

كان ناجي أيضاً أسد مجالس. كان سريع البديهة مجلجل الضحكة، يملك حافظة قوية تعينه في تزيين كلامه بالأشعار. كان يحضر مجالس كبار الأباطين، وكانت له في العقد الأخير من حياته رابطة للأدباء هو رئيسها، وكان يحاضر في الطب وفي شكسبير. وقد كتب كتباً ومقالات في الأدب والاجتماع. فهذا جانب من شخصيته مختلف عما يبوح به معظم شعره.

أحيل ناجي إلى المعاش من وظيفته الحكومية في أعقاب ثورة الضباط الأحرار، ومات بعد أشهر في عيادته بشبرا بالقاهرة عام ١٩٥٣.

١ نظوف حولك

مَتَى يَرْقُ السُّخْطُ يَا قَاسِي وَيَلْتَقِي الْمَنَسِيُّ وَالنَّاسِي
وَأَنْتَ مِثْلُ النَّجْمِ فِي الْمُتَنَّى وَفِي السَّنَا الْخَاطِفِ كَالْمَاسِ
مِنْ حَيْثُ الْمُتَنَّى، أَيْ الْبَعْدِ، فَأَنْتَ كَالنَّجْمِ، وَمِنْ حَيْثُ السَّنَا، أَيْ الْبَرِيقِ، فَأَنْتَ كَالْمَاسِ
يَرْنُو لَهُ النَّاسُ وَيَبْغُوْنَهُ وَمَا يُبَالِي النَّجْمُ بِالنَّاسِ
وَأَنْتَ كَأَسُّ الْحُسْنِ، لَكِنَّا مِثْلُ حُبَابٍ حَامٍ بِالْكَاسِ
حَبَاب: فِقَاقِع

٢ اسألني القبله

تُسَائِلُنِي عَيْنَاكَ عَنْ سَالِفِ الْهَوَى بِقَلْبِي، وَتَسْتَقْصِي قَدِيمَ دُيُونِ
عَيْنَاكَ تَبْحَثَانِ فِي عَيْنِي عَمَّا بَقِيَ مِنَ الْحُبِّ الْقَدِيمِ بِقَلْبِي، وَتَتَحَصَّنَانِ هَذِهِ الدُّيُونِ الْقَدِيمَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَيَّ تَسْدِيدُهَا الْآنَ، فَقَدْ كُنْتُ نَلْتُ مِنْكَ الْكَثِيرَ

إِذَا كُنْتَ فِي شَكِّ سَلِي الْقُبْلَةَ الَّتِي أَذَاعَتْ مِنَ الْأَسْرَارِ كُلَّ دَفِينٍ
مُنَاجَاةَ أَشْوَاقٍ، وَتَجْدِيدَ مَوَاقٍ وَتَبْدِيدَ أَوْهَامٍ، وَفَضَّ ظُنُونٍ
القُبْلَةَ الَّتِي تَبَادَلْنَاهَا الْآنَ - قَبْلَ التَّحْصِصِ بِالْعَيُونِ - تَشْهَدُ بِتَجْدِيدِ الْمَوْتِ، أَيْ الْعَهْدِ وَالْجَمْعِ
مَوَاقٍ، وَتَبْدِيدِ الْأَوْهَامِ وَتَفْضِ وَتَنْهِي الظُّنُونِ

وَشَكْوَى جَوَى قَاسٍ وَسُقْمٍ مُبْرِجٍ وَتَسْهِيدَ أَجْفَانٍ، وَصَبَرَ سِنِينَ
وَالْقُبْلَةَ تَحْمِلُ مِنَ الْمَعَانِي قِسْوَةَ الْبَعْدِ عَنْكَ، وَسَهْرَ عَيْنِي وَصَبْرِي كُلَّ هَذِهِ السِّنِينَ

٣ تأديب المغرورين

وَفِي سَبِيلِ الزَّادِ وَالْمَأْكَلِ نَمَلًا صَدَرَ الْأَرْضِ إِغْوَالًا
إِغْوَالًا: بَكَاءٌ وَعَوِيلًا

كَمْ يَسْخَرُ النَّجْمُ بِنَا مِنْ عَلٍ وَكَمْ يَرَانَا اللَّهُ أَطْفَالًا

* * *

يَا رَبِّ غُفْرَانِكَ إِنَّا صَغَارُ نَدَبُ فِي الدُّنْيَا دَبِيبَ الْغُرُورِ
نَسَحَبُ فِي الْأَرْضِ دُيُولَ الصَّغَارِ وَالشَّيْبُ تَأْدِيبُ لَنَا وَالْقُبُورُ

الصفار: الحقارة

٤ إحساس النهاية

كَانَ عَلَى فَرَّاشِ الْمَرَضِ وَشَعَرَ أَنَّهُ «يَنْتَهِي» فَقَالَ:

وَاضْيَاعَ الْحُزَنِ وَالْدَّمِ حِ عَلَى الْعُمْرِ الْمُضَاعِ
وَهْتَفَ الْقَلْبِ بِالشُّكِّ حَى عَلَى غَيْرِ انْتِفَاعِ
طَالَ بِي سُهْدِي وَإِعْيَا نِي، وَقَدْ حَانَ اضْطِجَاعِي
وَإِذَا الرَّاحَةُ حَانَتْ بَعْدَ لَأْيٍ وَنِزَاعِ

بعد لأي: بعد إبطاء، نزاع: احتضار

فَصُدُورُ الْغَيْدِ سَيًّا نِ وَأَنْيَابُ السُّبَاعِ

٥ صدر الظلام

قد صارَ حُبُّ الحَيَاةِ مِنَّا يُقْنَعُ بِالجِيفَةِ السَّبَاعِ
التعلق بالحياة يجعل الضواري والأسود تقنع بالميته. . حب الحياة يقنع المرء بالتزول عن مرتبه
إلى دركة مردولة

وَعَلَّمَ السَّمْحَ أَنْ يَضِنَّا وَتَبَّتْ الْجُبْنَ فِي الطَّبَاعِ
حب الحياة يجعل السخي ضيناً بخيلاً، ويجعل المرء جباناً

* * *

كَأَنَّ صَدْرَ الظَّلَامِ ضَاقٌ مِنْ كَثْرَةِ الْبَثِّ كُلِّ حِينٍ
البت: الشكوى

يَا وَيْحَهُ كَيْفَ قَدْ أَطَاقَ شَكَايَ الْبَرَايَا عَلَى السَّنِينِ؟
كيف تحمّل صدر الليل شكوى البرايا، أي البشر، طول الدهر؟

٦ يوم من العشق الأفلاطوني

هَلْ مِنْكَ يَوْمٌ رِضاً ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ أَعْيَا خِيَالِي وَأَضْنَانِي تَوَقُّعُهُ
تعال، واذن بيوم لا نحسّ به أجسادنا في صفاء لا نُضَيِّعُهُ
إِنِّي أَحْسُكَ تَجَرِّي فِي صَمِيمِ دَمِي أَنْتَ الْحَيَاةُ، وَأَنْتَ الْكَوْنُ أَجْمَعُ
هيهات يخلدُ حُسْنٌ لَا يُؤْلَهُهُ شَعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى وَيَرْفَعُهُ
«يرفعه» هذه ضعيفة بعد «يؤلهه»

٧ الحمام الباكي

مَا بِالرِّيَاضِ؟ كَابَةٌ فِي أَرْضِهَا وَسَحَابَةٌ تَغْشَى أَدِيمَ سَمَاهَا
أديم سماها: وجه سمائها

جَمَدَتْ حَمَائِمُ أُنَيْكَهَا وَأَنَا الَّذِي شَاكَيْتُهَا فَاغْرُورَقَتْ عَيْنَاهَا
جمدت الحمام في الأيك، أي البستان، وأنا كنت أشاكي الحمام، أتبادل معها الشكوى، فتلعب
الدموع في عيونها

٨ العاشق الحالتي

عَبَرْتُ بِي نَشْوَةَ مِنْ فَرَحٍ فَرَقَضْنَا، أَنَا وَالْقَلْبُ، سُكَارَى
وَعَرَانَا طَائِفٌ مِنْ خَبَلٍ فاندَقَعْنَا فِي الْأَمَانِي نَتَبَارَى
عرانا، داخلنا واعترانا، خبل وجنون أطاف بنا، وأخذنا أنا وقلبي نتبارى في الأمنيات المنسجلة

* * *

رُبَّ قَوْلٍ كُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُهُ لَكَ إِذْ أَلْقَاكَ يَا أَبَى أَنْ يُطِيْعَا
وحبيسٍ مِنْ عِتَابٍ فِي فَمِي قَدْ عَصَانِي، فَتَفَجَّرْتُ دُمُوعَا

٩ أحمد شوقي

أَبْنِ الْأَمِينُ عَلَى الْإِمَا رة، والحريصُ عَلَى اللَّوَاءِ
قَبَسُ أَضَاءِ الْعَالَمِي مَنْ كَمَا تُضِيءُ لَهُمْ ذُكَاةُ
ذكاء: الشمس

ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ الْغُيُوبِ بِ مَخْلَفًا ظَلَمَ الْمَسَاءِ
فَكَأَنَّمَا هَبَّةُ السَّمَاءِ إِ قَدْ اسْتَرَدَّتْهَا السَّمَاءُ

١٠ لم يسهر سوانا

كَمْ تَجَرَّعْنَا هَوَانَا وَلَقِينَا فِي هَوَانَا
تجرعنا الهوان، أي الذل، ولقينا المر في الهوى

وَإِذَا حَلَّ الْهَوَى هَيَّ هَاتِ تَدْرِي كَيْفَ كَانَا
يَا حَبِيبِي هَذَا اللَّيْلِ لَمْ وَلَمْ يَسْهَرْ سِوَانَا
لَا الدُّجَى ضَمَدَ جُرْحِي نَا، وَلَا الصُّبْحُ شَفَانَا
لَا الْهَوَى رَقَّ عَلَى الشَّا كِي وَلَا قَاسِيَهُ لَانَا
لا عطف الحب على الشاكي، المريض عشقاً، ولا قسوة الحب لانت

١١ وجدتها

أَدْرَكْتُ عِنْدَكَ يَوْمِي الْمَوْعُودَا وَلَقِيتُ فِيكَ مِثَالِي الْمُنْشُودَا
وَأَفْرَحْتِي بِكَ! فَرَحَةَ الطِّفْلِ الَّذِي يَلْهُو وَيَخْلُقُ كُلَّ يَوْمٍ عِبْدَا

وَأَفْرَحْتَنِي بِكَ! فَرَحَةَ الطَّيْرِ الَّذِي مَلَأَ الرُّوَابِي المُضْغِيَّاتِ نَشِيدًا

١٢ في الواقع أيها السادة..

أَبَكْتُ عَيُونُكُمْ الضَّعِيفَ يَصِيرُ فِي نَابِ الْقَوِيِّ فَرِيَسَةً اسْتِعْبَادٍ؟
فَتَبَيَّنُوا إِذْنِ الْحَقِيقَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ الطَّبِيعَةَ هَكَذَا مِنْ عَادٍ
عاد: أخت ثمود

الْجَوُّ مِلْكُ النَّسْرِ يَغْشَاهُ عَلَى مَا يَشْتَهِي، وَالْغَابُ لِلْأَسَادِ
يغشاه: يأتيه

١٣ تأبين شوقي

أَلْقَيْتَ عام ١٩٣٣، فِي ذِكْرِي عام عَلَى وفاته:

عَامٌ مَضَى وَكَأَنَّ أَمْسَ نَعِيَّهِ يَا مَا أَقَلَّ الْعَامَ فِي الْأَعْمَارِ
هِيَ هَاتِ أَنْسَى قَبْلَ بَيْنِكَ سَاعَةً جَمَعْتَ صِحَابَكَ فِي غُرُوبِ نَهَارٍ
بينك: فراقك

وَالشَّمْسُ فِي سَقَمِ الْغُرُوبِ، وَأَنْتَ فِي لَوْنِ الشُّحُوبِ مُعْضَفَرٌ بِبَهَارِ
الشمس كانت محمرة مصفرة في الغروب كالمريض، وأنت شاحب كأن على وجهك العصفور،
البهار الأصفر

مَنْحَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ شُعَاعًا غَارِبًا كَسَنَّاكَ طَوَافًا عَلَى السُّمَارِ
سناك: ضوءك

تَشْكُو لِي الضَّعْفَ الْمُلِمَّ لَعَلَّ فِي طِبِّي مُقِيلًا مِنْ وَشِيكِ عِثَارِ
تشكو لي الضعف الذي ألم بك لعل في معرفتي الطبية ما يقيل عثرتك الوشيكة

وَوَجَمْتُ! أَلَمَحَ فِي الْغُيُوبِ نِهَائَةً وَأَرَى بِعَيْنِي غَايَةَ الْمِضْمَارِ
لمحت في الغيب، فيما سيحدث لاحقاً، أن النهاية قريبة، وأن غاية المِضْمَارِ، نهاية الشوط، وشيكة
وأرى النَّبُوْعَ، وَقَدْ تَهَاوَى نَجْمُهُ وَالْعَبَقْرِيَّةَ وَهَيَّ فِي الْإِذْبَارِ
الإذبار: التراجع والتكوص

أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ جِمَامِكَ عَاصِمًا ذَاكَ الْجَبِينُ مُكَلَّلًا بِالْغَارِ؟
ألم يكن لك من مجدك ومن جبينك المكلل بأوراق الغار ما يعصمك ويحييك من الموت؟

وَلَيْتَ فِي إِثْرِ الذِّينِ رَثِيَّتَهُمْ وَأَقَمْتَ فِيهِمْ مَاتَمَ الْأَشْعَارِ
وَالدهرُ يَقْذِفُ بِالمَنايا دُفْقاً فَمَضَيْتَ فِي مُتَدَفِّقِ التِّيَّارِ

١٤ ويل لمن لم يجدها.. ويل لمن وجدها

هِيَ قِصَّةُ الدُّنْيَا، وَكَمْ مِنْ آدَمَ مِنَّا لَهُ دَمْعٌ عَلَى حَوَائِ
كُلِّ بِهِ قَيْسٍ؛ إِذَا جَنَّ الدُّجَى نَزَعَ الْإِبَاءَ وَبَاحَ بِالْبُرْحَاءِ
فِي ضَمِيرِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَوْجَدُ عَاشِقُ كَقَيْسٍ، فَإِذَا جَنَّ الدُّجَى، أَيْ غَطَى اللَّيْلُ الدُّنْيَا، نَزَعَ الْإِنْسَانُ
قَنَاعَهُ وَتَرَكَ شَمُوحَهُ وَبَاحَ بِبِرْحَائِهِ وَعَذَابَاتِ قَلْبِهِ

فَإِذَا تَدَارَكَهُ النَّهَارُ طَوَى الْمَدَا مَعَ فِي الْفُؤَادِ، وَظَنَّ فِي السَّعْدَاءِ
فَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ أَخْفَى الْإِنْسَانُ الدَّمُوعَ فِي قَلْبِهِ، فَظَنَّهُ النَّاسُ مِنَ السَّعْدَاءِ

كُلُّ لَهُ لَبْلَى، وَمَنْ لَمْ يَلْقَهَا فَحِبَائِهِ عَبَتْ وَمَحْضُ مَبَاءِ

١٥ مخلوقون للحب

كَأَنَّ قُلُوبَنَا خُلِقَتْ لِأَمْرِ فَمُذْ أَبْصَرْنَا مَنْ نَهَوَى نَسِينَا
الْقُلُوبُ نَسِينَ مَا خُلِقْنَ لَهُ لَدُنْ رُؤْيَا الْمُحِبِّ

شُغِلْنَا عَنِ الْحَيَاةِ وَنَمَنَّ عَنْهَا وَبِشْنِ بِمَنْ نُحِبُّ مُوَكَّلِينَا
فَإِنْ مُلِئَتْ عُروُقٌ مِنْ دِمَاءِ فَإِنَّا قَدْ مَلَأْنَاهَا حَنِينَا

١٦ الأطلال

هي الأغنية المشهورة، شرح الديوان القصيدة بالعبارة: «التقيا وتحابا، ثم انتهت القصة
بأن صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح»:

يَا فُؤَادِي رَجِمَ اللَّهَ الْهَوَى كَانَ صَرْحاً مِنْ خِيَالٍ فَهَوَى
إِسْقِنِي وَاشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ وَارَوْ عَنِّي طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
اسقني يا قلبي واشرب أنت على أطلال ذلك الحب، وارثو من شراك بالنيابة عني، فأنا كثيراً ما
ارتويت من دمعي

كَيْفَ ذَاكَ الْحَبُّ أَمْسَى خَبِراً وَحَدِيثاً مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَى
الجوى: الفراق

* * *

لَسْتُ أَنْسَاكَ وَقَدْ أَغْرَيْتَنِي بِفَمِ عَذْبِ الْمُنَادَاةِ رَقِيقُ
وَبِدِّ تَمَنَّدُ نَحْوِي كَبِيدُ مِنْ خِلَالِ الْمَوْجِ مُدَّتْ لِغَرِيقُ
أَوْ يَا قَبْلَةَ أَقْدَامِي إِذَا شَكَّتِ الْأَقْدَامُ أَشْوَاكَ الطَّرِيقُ
وَبَرِيقاً يَظْمَأُ السَّارِي لَهُ أَيْنَ فِي عَيْنِكَ ذَيْلُكَ الْبَرِيقُ؟
يا من كنت بريقاً يحتاجه الساري، السائر ليلاً، أين ذاك البريق في عينك الآن؟

* * *

أَبْنُ مِنْ عَيْنِي حَبِيبٌ سَاحِرٌ فِيهِ نُبْلٌ وَجَلَالٌ وَحَيَاءُ؟
لم أعد أرى ذلك الحبيب الساحر.. بعد مرور السنين

وَائِثُّ الْخُطْوَةِ يَمْشِي مَلِكاً ظَالِمُ الْحُسْنِ شَهِيَّ الْكِبَرِيَاءِ
الحبيب يمشي بثقة كأنه ملك من الملوك، وهو يظلمني بجماله، وأشتهى كبريائه.. تغنيها أم كلثوم
ملكاً، أي ملاكاً.. ولا نرى للملاك أن يمشي على الأرض. غتها عام ١٩٦٤، وكان الحكم
الجمهوري في مصر يريد للناس أن ينسوا أن في اللغة العربية كلمة ملك

عَبِيقُ السَّخْرِ كَأَنْفَاسِ الرَّبِّي سَاهِمُ الطَّرْفِ كَأَحْلَامِ الْمَسَاءِ

* * *

أَيْنَ مِنِّْي مَجْلِسٌ أَنْتَ بِهِ فِتْنَةٌ تَمَّتْ سَنَاءٌ وَسَنَاءُ
يتذكر مجلساً ضمه مع الحبيب، وكان الحبيب فتنة تمت سناء، علوّاً، وسناء، ضياء

وَأَنَا حُبٌّ وَقَلْبٌ وَدَمٌ وَفَرَاشٌ حَائِرٌ مِنْكَ دَنَا
كان في ذلك المجلس يدنو من حبيبه بخيرة وحذر كما تدنو الفراشة من النار. ألسنت تدنو هكذا
من فتاة متألفة يضح المجلس بجمالها؟ وأنت أيتها المرأة! أرى عينيك يترافق فيهما بريق
الإعجاب، وتميلين مبتعدة أو مقترية بحذر عن شاب وسيم واثق يشع فتنة

وَمِنْ الشُّوقِ رَسُولٌ بَيْنَنَا وَنَدِيمٌ قَدَّمَ الْكَأْسَ لَنَا
فَسَقَانَا فَانْتَفَضْنَا لِحِظَةً لِغُبَارِ آدَمِي مَسَّنَا
كأنهما انتفضا، ورفضاً أن يشوه تلك الفتنة ذلك الغبار الآدمي من الشهوة والشبق

* * *

يَا حَبِيباً زُرْتُ يَوْمَ أَيْكَهُ طَائِرَ الشُّوقِ أَغْنِيَّ أَلْمِي
أليك: بستان

لَكَ إِنْطَاءُ الْمُدِلِّ الْمُنْعِمِ وَتَجَنِّي الْقَادِرِ الْمُحْتَكَمِ
 يبطئ المحبوب في القدوم لقلبا محبوبه بدلال المنعم المتفضل ، وهو يتجنى عليه معتزاً بقدرته
 وتحكمه في العلاقة ..

وَحَنِينِي لَكَ يَكْوِي أَضْلُعِي وَالنَّوَانِي جَمَرَاتُ فِي دَمِي
 وَأَنَا مُرْتَقِبٌ فِي مَوْضِعِي مُرْهِفُ السَّمْعِ لَوَقْعِ الْقَدَمِ
 والعاشق الولهان واقف مرهفاً سمعه لوقع أقدام الحبيب منتظراً قدومه

أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي أَطْلِقْ بَدَنِي إِنَّنِي أَعْطَيْتُ مَا اسْتَبَقَيْتُ شَيْ
 أَوْ مِنْ قَبْلِكَ أَدْمَى مِعَصَمِي لِمَ أَبْقَيْهِ؟ وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
 مَا احْتِفَاطِي بِعُهُودٍ لَمْ تَصْنُهَا وَإِلَى مَ الْأَسْرُ وَالْدُنْيَا لَدَيَّ
 هَا أَنَا جَفْتُ دُمُوعِي فَاغْفُ عَنْهَا إِنَّهَا قَبْلَكَ لَمْ تُبْدَلْ لِحَيِّ

هَاكَ مَا قَدْ صَبَّتِ الرِّيبُ حُحْ بِأَذْنِ الشَّاعِرِ
 وَهِيَ تُغْرِى الْقَلْبَ إِغْرَا ءَ النَّصِيحِ الْفَاجِرِ
 الريح تغري الشاعر بالسوان وهجر الحبيب ذي الدلال

أَيُّهَا الشَّاعِرُ تَغْفُو تَذْكُرُ الْعَهْدَ وَتَضْحُو
 تقول الريح للشاعر: إنك تنام وتضحو على ذكر الحبيب
 وَإِذَا مَا التَّامَ جُرْحُ جَدَّ بِالنَّذْكَارِ جُرْحُ
 وإذا ما التام، أي التام وشفى، جرح جلبت لك الذكرى جرحاً غيره .. ما هذا؟
 فَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَنْسَى وَتَعَلَّمْ كَيْفَ تَمُحُو

هَاكَ فَاَنْظُرْ عَدَدَ الرَّمَمِ لِي قُلُوباً وَنِسَاءً
 الريح توسوس للشاعر: ما أكثر النساء! رُحْ ابحث عن غيرها
 فَتَحَيَّرَ مَا تَشَاءُ ذَهَبَ الْعُمَرُ هَبَاءً
 ضلَّ في الأرض الذي ينـ شُدُّ أَبْنَاءِ السَّمَاءِ
 واهم من يبحث في الأرض عن مخلوقة كأنها من حوريات الجنة .. هذا غير موجود

أَيُّ رُوحَانِيَّةٍ تُغْفَرُ صَرُّ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ
فلا روحانية في أي مخلوق خلقه الله من طين وماء

* * *

أَيُّهَا الرِّيحُ أَجَلٌ، لَكِنَّمَا هِيَ حُبِّي وَتَعْلَاتِي وَيَأْسِي
تعلاتي: ما يصبرني في هذه الدنيا

هِيَ فِي الْغَيْبِ لِقَلْبِي خُلِقَتْ أَشْرَقَتْ لِي قَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسِي
وعلى موعدها أَطْبَقْتُ عَيْنِي وَعَلَى تَذْكَارِهَا وَسَدْتُ رَأْسِي

* * *

يَا حَبِيبِي كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ مَا بِأَيْدِينَا خُلِقْنَا نَعْسَاءُ
رُبَّمَا تَجَمَعْنَا أَقْدَارُنَا ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَمَا عَزَّ اللَّقَاءُ
فَإِذَا أَنْكَرَ خِلٌّ خِلَّهُ وَتَلَاقَيْنَا لِقَاءِ الْغُرْبَاءِ

الخل: الحبيب

وَمَضَى كُلُّ إِلَى غَايَتِهِ لَا تَقُلْ شَيْئاً! وَقُلْ لِي الْحَظُّ شَاءَ
في الأغنية (لا تقل شئاً فإن الحظ شاء) وهذا تحسين جيد على الأصل. في الأغنية مقاطع من
قصيدة أخرى وضعناها تحت هذه

١٧ سبقنا ظلنا

لِمَ يَا هَاجِرُ أَصْبَحْتَ رَحِيماً وَالْحَنَانُ الْجَمُّ وَالرَّقَّةُ فِيمَا؟
لِمَ تَسْقِينِي مِنْ شَهْدِ رُضَاباً وَتُلَاقِينِي عَطُوفاً وَكَرِيماً؟
لماذا تسقيني ريقك الشبيه بالعمل

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مُرّاً فِي فَمِي بَعْدَمَا أَصْبَحْتُ بِالدُّنْيَا عَلِيماً
أَوْ مَنْ يَأْخُذُ عُمَرِي كُلَّهُ وَيُعِيدُ الطِّفْلَ وَالْجَهْلَ الْقَدِيمَا

* * *

هَلْ رَأَى الْحُبُّ سُكَارَى مِثْلُنَا؟ كَمْ بَنَيْنَا مِنْ خِيَالٍ حَوْلَنَا
وَمَشِينَا فِي طَرِيقِ مُقَمِّرٍ نَسِبُ الْفُرْحَةَ فِيهِ قَبْلُنَا

نشب: تقفز

وَتَطَلَّعْنَا إِلَى أَنْجُمِهِ فَتَهَاوَيْنَ وَأَصْبَحْنَ لَنَا

نظرنَا إلى النجوم التي ظهرت لنا في الطريق المقمر فترلن وأصبحن يُلْكَا لَنَا

وَضَحِكُنَا ضِحْكَ طِفْلَيْنِ مَعَا وَعَدُونَا فَسَبَقْنَا ظِلَّنَا

* * *

وَانْتَبَهْنَا بَعْدَمَا زَالَ الرَّحِيقُ وَأَفْقُنَا، لَيْتَ أَنَّا لَا نُفِيقُ

الرحيق: الخمر.. بعدما أفاقا من خمرة الحب قالَا: ليتنا لا نفيق

يَقْظَةُ طَاحَتْ بِأَحْلَامِ الْكَرَى وَتَوَلَّى اللَّيْلُ، وَاللَّيْلُ صَدِيقُ

الكرى: النوم، تولى: ذهب

وَإِذَا النُّورُ نَذِيرٌ طَالِعٌ وَإِذَا الْفَجْرُ مُطِلٌ كَالْحَرِيقِ

النور كان نذيراً، يندر بشرّ، والفجر المحمر رأياه كالحريق.. فبعد نشوة الحب يأتي القلق والخوف من مقبل الأيام

وَإِذَا الدُّنْيَا كَمَا نَعْرِفُهَا وَإِذَا الْأَحْبَابُ كُلُّ فِي طَرِيقِ

١٨ مفعول عكسي

كَانَتْ لَنَا كَأْسٌ وَكَانَتْ قِصَّةٌ هَذَا الْخُبَابُ أَعَادَهَا وَرَوَاهَا

الخباب: الفقايع

مَا زِلْتُ تَسْقِينِي لِتُنْسِيَنِي الْهُوَى حَتَّى نَسِيتُ، فَمَا ذَكَرْتُ سِوَاهَا

١٩ كبرياء

وَحَبِيبٌ كَانَ دُنْيَا أَمَلِي حُبُّهُ الْمِحْرَابُ، وَالْكَعْبَةُ بَيْتُهُ

كان الحبيب كل ما عندي من أمل في الدنيا، وكان حبه محراب صلواتي، وكان بيته كعبي التي أطوف بها

مَنْ مَشَى يَوْمًا عَلَى الْوَرْدِ لَهُ فَطَرِيقِي كَانَ شَوْكَاً وَمَشَيْتُهُ

مَنْ سَقَى يَوْمًا بِمَاءٍ ظَامِئاً فَأَنَا مِنْ قَدَحِ الْعُمَرِ سَقَيْتُهُ

خَفَقَ الْقَلْبُ لَهُ مَخْتَلِجاً خَفَقَةَ الْمِصْبَاحِ إِذْ يَنْضُبُ رَيْتُهُ

مختلجاً: مرتجفاً، ينضب: يجف

قد سَلَانِي فَتَنَنْگَرْتُ لَهُ وَطَوَى صَفْحَةً حُبِّي، فَطَوَيْتُهُ
 سَلَانِي: نَسِينِي. من تقاليد العشق في الشعر العربي أن يظل الرجل يتذلل للمحوبة حتى النهاية..
 لا يجيز ذلك التقليد الراسخ للشاعر أن يدخل كبرياءه في القصيدة.. لكن، هناك استثناءات، قال
 القديم لفاطمة: (كذلك أجتوي من يجتويني)

٢٠ رسائلها

عَادَتْ إِلَيَّ الذُّكْرِيَا تُبَحِّشُهَا وَزِحَامِهَا
 فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءَ أَرَّ- قَنِي عَصِيبُ ظَلَامِهَا
 هَذَاتُ رَسَائِلُ حُبِّهَا كَالطِّفْلِ فِي أَحْلَامِهَا
 فَحَلَفْتُ لَا رَقَدْتُ وَلَا ذَاقْتُ شَهِيٍّ مَنَامِهَا
 أَشَعَلْتُ فِيهَا النَّارَ تَرُ عَى فِي عَزِيزِ حُطَامِهَا
 تَفَنَّا لِقِصَّةِ حُبِّنَا مِنْ بَدِئِهَا لِخِتَامِهَا

٢١ أحتاج إليك

مِلْءُ ضُلُوعِي لَطَى، وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِهَذَا اللَّهَبِ أَبْتَرِدُ
 يَا تَارِكِي حَيْثُ كَانَ مَجْلِسُنَا وَحَيْثُ غَنَّاكَ قَلْبِي الْغَرْدُ
 أَرْنُو إِلَى النَّاسِ فِي جُمُوعِهِمْ أَشَقْنَهُمُ الْحَادِثَاتُ أَمْ سَعِدُوا
 تَفَرَّقُوا أَمْ بِهَا قَدْ احْتَشَدُوا وَغَوَّرُوا هَابِطِينَ أَمْ صَعِدُوا
 غوروا: هبطوا وادبأ

إِنِّي غَرِيبٌ، تَعَالَ يَا سَكْنِي فَلَيْسَ لِي فِي زِحَامِهِمْ أَحَدُ

٢٢ نمشي معاً

نَمْشِي وَقَدْ طَالَ الطَّرِيقُ بِنَا وَنَوْدُ لَوْ نَمْشِي إِلَى الْأَبَدِ
 وَنَوْدُ لَوْ خَلَّتِ الْحَيَاءُ لَنَا كَطَّرِيقِنَا، وَغَدَتْ بِلا أَحَدِ

نود لو كانت حياتنا خالية من الناس كطريقنا هذا

٢٣ أين المقرّ؟

إِلْتَقَيْنَا كَمَا التَّقَى بَعْدَ تَطَوَا فِي عَلَى الْقَفْرِ فِي السَّرَى أَنْضَاءُ

التقينا، نحن البشر، كما التقى بعد طول السير في القفر، الصحراء، أنضاء، متعبون مهزولون من سير الليل

قَطَعُوا شَوْطَهُمْ عَلَى الدَّمِ وَالشَّوْ لِكَ وَرَاحُوا عَلَى اللَّهَيْبِ وَجَاءُوا
 مَا بَقَائِي؟ وَأَجْمَلُ الْعَمْرِ وَلَّى وانتظاري حتى يَحِينُ الشَّئَاءُ؟
 ما الفائدة من حياتي وقد ذهب أجمل العمر، ولماذا أنتظر شتاء العمر وأرذله؟

مَرَّ يَوْمِي كَأَمْسِيهِ: مَسْرَحاً تُغَدِّ رَضُ فِيهِ الْحَيَاءُ وَالْأَحْيَاءُ
 آدَمَ كَالْقَدِيمِ، قَلْباً وَتَفْكِي رَأَى، وَلَكِنْ تُبَدِّلُ الْأَزْيَاءُ
 أنا آدَمَ، كآدم القديم أبي البشر، ولم يتغير سوى الأزياء

لَمْ يَحُلْ طَبْعُهُ، وَلَا ذَاتَ يَوْمٍ لَيْسَتْ غَيْرَ نَفْسِهَا حَوَاءُ
 لم يحل، لم يتغير طبع الرجل، ولا طبع المرأة
 وَالتُّنْضَارُ الْمَعْبُودُ قُدُسٌ وَقُرْبَا نَ؟ وَرَبِّ، وَالشَّهْوَةُ الْجَوْفَاءُ
 النضار: الذهب

وَالْحُطَامُ الْفَانِي عَلَيْهِ اقْتِتَالٌ وَالْأَمَانِي بَرِيْقُهَا إِغْرَاءُ
 وَسَفِينٌ تُمْرُ إِثْرَ سَفِينٍ وَالرِّيَّاحُ اللَّذَاتُ وَالْأَهْوَاءُ
 الناس كسفينة تتلوها سفينة، والرياح التي تحرك السفن، أي الدوافع التي تحرك الناس، هي لذاتهم وأهواءهم

وَالْغُيُوبُ الْمُحَجَّجَاتُ رِحَابٌ تَعَبَتْ فِي رُمُوزِهَا الْحُكْمَاءُ
 والغيوب المحجوبة عنا رحاب، رجة واسعة، وقد تعب الحكماء في فك رموزها

٢٤ لِيْلَاك

لَا الْقَوْمُ رَاحُوا بِأَخْبَارٍ وَلَا جَاءُوا وَلَا لِقَلْبِكَ عَنْ لَيْلَاكَ أَنْبَاءُ
 يَا لَيْلُ مَنْ عَلَّمَ الْأَطْيَارَ قِصَّتَنَا وَكَيْفَ تُدْرِي الصَّبَا أَنَّا أَحِبَّاءُ
 علَّم: أخبر، الصبا: ربح الصبا

٢٥ الاعتصار

يَا سَجِينَ الْحَيَاةِ أَيْنَ الْفِرَارُ أَوْصَدَ اللَّيْلُ بَابَهُ وَالنَّهَارُ
 فَلِمَنْ لَفْتَةٌ، وَفِيمَ ارْتِقَابٌ؟ لَيْسَ بَعْدَ الَّذِي انتَظَرْتَ انْتِظَارُ
 وَالتَّعَلَّاتُ مِنْ هَوًى وَشَبَابٍ قِصَّةٌ مُسَدَّلٌ عَلَيْهَا السُّتَارُ
 التعلات، التصبيرات التي يتلهى بها الإنسان، كالحب والشباب هي مسألة وقتية سرعان ما تزول ويسدل عليها الستار

ما الذي يبتغي العليلُ المُسجى؟ قد تولى العَوَادُ والشَّمَارُ
بعد أن ذهب العواد، زاثرو المريض، والسمار، الساهرون للمسامرة، ماذا بقي للمريض الممدد
المسجى؟

يا ديارَ الحبيبِ هل كان حُلماً مُلتقىً دونَ موعِدٍ يا ديارُ؟
يخاطب دار الحبيب، ويتذكر ذلك اللقاء المفاجئ الذي كان كالحلم.. يتذكر عشقاً قديماً
يا عزيزَ الجنى عليك سلامٌ كيف جادت بِقربِكَ الأقدارُ؟
أيها المحبوب الذي كان مثل فاكهة صعبة الجنى، كيف حدث وكان القدر سخياً وسمح بلقاءنا؟
بوركَ الكَرَمُ والقُطوفُ، وأوقا تْ كأنَّ العناقَ فيها اغتِصارُ
بورك كَرَم العنب ذاك، وبوركت قطفه، وبعيداً عن التشبيهات: بورك العناق بيننا الذي كان حاراً
كان أحدهنا يعصر الآخر.. ربما - وبعودة للتشبيه - مثلما يعتصر الناس قطف العنب لصنع الخمر

٢٦ ثقب في ظلمة الليل

قد بَلَوْتُ الويلَ ليلاً، لا بَلَوْنَا وأنا أبدأُ يومي بِالمَساءِ
جربت العذاب في ليل، لا جعلك الله تجربه.. وأنا أبدأ يومي بالمساء لأنني ساهر طول الليل
وَعَرَفْتُ الضيقَ، ضيقَ القلبِ، حتى لم أجِدْ في الكونِ ثقباً من رَجاءٍ

٢٧ كلام لا ينتهي

يا شَطَرَ نَفْسي وَغَرامِي الوَحِيدُ ما شئتَ يا لَيْلَايَ لا ما أريدُ
يا شطر نفسي، يا نصف نفسي، الأمر أمرك

يا مَنْ رَأَتْ حُزْني العَميقَ البعيدُ ذَاوَيْتَ لي جُرحِي بِجُرحِ جَدِيدٍ

* * *

هَيَّا، أَجَلْ هَيَّا. إلى أيننا؟ لِحَيْثُ نَحْكِي حُلْمَ رُوحِينَا
لِحَيْثُ نَرُوي سِرَّ قَلْبِينَا فَإِنْ فَرَعْنَا مِنْ حَدِيثِ نُعِيدُ

٢٨ رثاء الشاعر الهمشري

لا تَجْزَعُوا لِلشاعرِ المُلْهِمِ ما مات، لَكِنْ صارَ في الأنْجُمِ
ما كان إلَّا زائِراً عابِراً لَأَيِّ سِرٍّ جاء، لم نَعْلَمِ

في رثاء الدكتور عبد الواحد الوكيل وزير الصحة:

لا صَحْوَ مِنْ سِنَةِ الْمَنُونِ وَإِنَّمَا سَهَرَ الْخُلُودُ عَلَيْكَ حَيْثُ تَنَامُ
 لن تصحو من سنة، نوم، الموت.. غير أن الخلود ساهر عليك ضامن لك بقاء الذكر
 أَنْتَ الطَّبِيبُ، وَقَدْ بَلَوْتُ حَيَاتَهُ وَمَجَالُهَا الْأَوْجَاعُ وَالْأَسْقَامُ
 أنت طبيب، وأنا جربت حياة الطبيب، ومجالها مجال أوجاع وأمراض
 أَيُّ الْأَسَاةِ هُوَ الْمُدِيلُ بِنَفْسِهِ؟ سُبْحَانَ مَنْ تُحْنِي لَدَيْهِ الْهَامُ
 أي الأساة، أي الأطباء، يعتز بنفسه؟ سبحان الله الذي يحيي الجميع رؤوسهم لمشيتته

٣٠ خلود الشعراء

وَأُولُو الشُّعْرِ الْمَصَابِيحُ الَّتِي حَطَّمْنَهُنَّ رِيَاخُ الصَّحَرَاءِ
 أهل الشعر مصابيح تنظم برياح الصحراء، يموت الشعراء.. ولكن..
 خُلِدَتْ أَنْوَارُهُمْ رَغَمَ الْبِلَى وَبِهَا الْمُدْلِجُ فِي اللَّيْلِ اسْتِضَاءُ
 يموتون وتبقى أنوارهم رغم البلى، أي تحلل الأجساد، ويستضيء المدلج، السائر ليلاً، بهذه
 الأنوار

سَوْفَ يَفْنَى الْقَوْلُ إِلَّا قَوْلَهُمْ وَيَمُوتُ النَّاسُ إِلَّا الشُّعْرَاءُ

٣١ عمر النجم

في تكريم الدكتور علي إبراهيم؟

إِلَيْكَ أَزُفُ فِي الْيَوْمِ الْجَلِيلِ تَحِيَّاتِ الزَّمِيلِ إِلَى الزَّمِيلِ
 تُبَايِعُ مِنْكَ فَنَّا عَبَقَرِيًّا وَعَقْلًا فِي الْعَقُولِ بِلا مَثِيلِ
 وَلَوْ أَنَّ الْأَلَى أَنْقَذَتْ جَاءُوا يُؤَدُّونَ الْقَدِيمَ مِنَ الْجَمِيلِ..
 الألى: الذين، الجميل: المعروف

وَلَوْ أَنَّ الْأَلَى عَلَّمَتْ جَاءُوا يُؤَدُّونَ الْقَلِيلَ مِنَ الْقَلِيلِ..
 ولو منحوك عمرهم جميعاً وما هو بالكثير ولا الجزيل..
 لو منحك كل هؤلاء أعمارهم، وما هذا بالكثير بالقياس إلى معروفك..

٣٢ الرجل الكامل

قال في الوزير عبد الحميد عبد الحق:

أنت فوق التَّكريم فوق الثَّنَاءِ جَلَّ ما قد أَسَدَيْتَ عن إِطْرَاءِ
أَسَدَيْتَ: قَدَّمْتَ من معروف، إِطْرَاء: مدح

لَمْ نُكْرِمَكَ لِلوِزَارَةِ وَالْمَنْدِ صَبَّ والمجدِ والسَّنا والرَّوَاءِ
السنا: النور، الرواء: الطلعة البهية

نَحْنُ قَوْمٌ نَهِيْمُ بِالرَّجُلِ الْكَامِلِ
مَا جَمَالَ الرَّبِيعُ فِي الرَّوْضِ إِنْ لَمْ
يَشْدُ طَيْرٌ فِي الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ
مَا جَمَالَ السَّمَاءُ وَالْبَدْرُ إِنْ لَمْ
يَشْدُ سَارٍ فِي اللَّيْلِ الْقَمَرَاءِ
واضْبَاعَ الثُّبُوعِ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ
تَتَحَدَّثُ مَنَابِرُ الْخُطْبَاءِ
واضْبَاعَ الثُّبُوعِ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ
يَكُ تَخْلِيْدُهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ

٣٣ الأوجه الصِّفراء

أَجَلْ! إِنْ ذَا يَوْمٌ لِمَنْ يَفْتَنْدِي مِصْرًا
مِصْرُ هِيَ الْمَحْرَابُ الَّذِي تَقْدَمُ إِلَيْهِ صَلَوَاتُ الْوَلَاءِ
فَمِصْرُ هِيَ الْمَحْرَابُ وَالْجُنَّةُ الْكُبْرَى

نَبْتُ بِهَا رُوحَ الْحَيَاةِ قَوِيَّةً
وَنَقُتْلُ فِيهَا الضَّنْكَ وَالذَّلَّ وَالْفَقْرَ
نبت بمصر روح الحياة، ونقتل الضنك، الشقاء

سَلَاماً شَبَابَ النِّيلِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
تَعَالَوْا لِنَمْحُو الْجَهْلَ وَالْعِلَلَ الَّتِي
أَحَاطَتْ بِنَا كَالسَّيْلِ تَغْمُرُنَا عَمْرًا
تَعَالَوْا نُشِيدْ مَلَجَا، رَبِّ مَلَجًا
يَضُمُّ حُطَامَ الْبُؤْسِ وَالْأَوْجَهَ الصِّفْرَا
يدعو لتشييد ملجأ للآيتام الذين اصغرت وجوههم من سوء التغذية

٣٤ عِينَانِ

طَوَى السَّنِينَ وَشَقَّ الْغَيْبَ وَالظُّلْمَا
بَرَقَ تَأَلَّقَ فِي عَيْنَيْكَ وَابْتَسَمَا

يا ساري البرق من نجمين يومض لي ماذا تُخبئ لي الأقدار خلفهما؟
أيها البرق الذي سرى ليلاً من عيني المحبوب اللتين تشبهان نجمين، ماذا يخبي لي القدر خلف
هاتين العينين؟

أجئت بي عتبات الخلد؟ أم شركاً نصبت لي من خداع الوهم، أم حلماً؟
حملتني لسماء قد سرّيت لها بالروح والفكر، لم أنقل لها قدماً
شفّت سديماً ورقّت في غلائلها فكذت أبصر فيها اللوح والقلم
هذه السماء شف سديمها، نجومها المتجمعة، ورقّت غلائلها، شفوفها، حتى إنني أكاد أبصر
اللوح المحفوظ والقلم الذي يسجل أعمال العباد.. كان سيسجد الفرزدق لهذا البيت لو سمعه!

يا للغديرين في عينيك إذ لمعا بالشوق يومض خلف الماء مضطرباً
وللنقبضين في كأسين قد جُمعا فالراويان هما، والظايمان هما
عيناك كأنهما كأسان اجتمع فيهما نقيضان، فهما يرويان المحبوب بالحب، وهما ظامتان يطلبان المزيد
بأي قوس وسهم صائب ويد هواك يا أيها الطاعني الجميل رمى

٣٥ عز اللقاء

قدّر أراد شقاءنا لا أنت شئت ولا أنا
عزّ التلاقي، والحظوظ طُ السؤد حالت بيننا
قد كذت أكفر بالهوى لو لم أكن بك مؤمناً

٣٦ المدينة الظالمة

ضحكت لعيني المصابيح التي تعلو رؤوس الليل كالتيجان
تلك أنوار المدينة تلمع من بعيد للناث في صحرائه فيخالها تضحك له
ورأيت أنوار المدينة بعدما طال المسير وكلت القدمان
فإذا المدينة كالضباب تبخرت وتكشفت لي عن كدوب أمني
كدوب أمني: أمني كاذبة

٣٧ اعتذار غريب

قال يهجو الشاعر عبد الحميد الديب وقد سخر منه في مجلس:
رجلاً أرى بالله أم حشرة سبحان من يعبيده حشرة

أَرَأَيْتَ قَرْدًا فِي الْحَدِيقَةِ قَدْ فَلْتُهُ أَنْشَاهُ عَلَى شَجَرَةٍ؟
يَا عَبْقَرِيًّا فِي شِنَاعَتِهِ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ وَهِيَ مُغْتَذِرَةٌ

٣٨ أي سر فيك

أَنْتَ فَجْرٌ مِنْ جَمَالٍ وَصَبَا كُلُّ فَجْرِ طَالِعٍ ذَكَرَنِيهِ
ذَكَرَنِيهِ: ذَكَرَنِي إِيَّاهُ

كَيْفَ جَانَبْتُكَ أَبْغِي سَلْوَةً ثُمَّ نَاجَيْتُكَ فِي كُلِّ شَبِيهِ
تَجَنَّبْتُكَ حَتَّى أَنْسَاكَ، ثُمَّ صَرْتُ أَنَا جِيكَ كُلَّمَا رَأَيْتُ مِنْ يَشْبُهِكَ، لَشِدَّةِ شَوْفِي إِلَيْكَ
أَيُّهَا السَّاكِنُ عَيْنِي وَدَمِي أَيْنَ فِي الدُّنْيَا مَكَانٌ لَسْتُ فِيهِ؟

* * *

يَا لِبَالِي الْعُمْرِ مَا سِرُّ اللَّيَالِي الْبَطِيشَاتِ الْمُمِلَّاتِ الطَّوَالِ؟
مُسْرِعَاتِ مُبْطِئَاتٍ وَلَهَا خِفَّةُ الْمَوْتِ وَأَنْقَالُ الْجِبَالِ
الليالي تمر بسرعة، لكنني أشعر أنها بطيئة.. فيها خفة الموت، وثقل الجبال

عَجَبًا لِلْعُمْرِ يَمْضِي مُسْرِعًا لِلْمَنَايَا بِسُلْخَفَةِ الْمَلَالِ
العمر يمضي بنا مسرعاً نحو الموت.. لكنه لشدة الملل يبدو بطيئاً كالسلحفاة.. لم أستطع شرح
سلحفاة الملل، أي الملل، التي تمضي بسرعة

* * *

طَالَمَا مَوَّهْتُ بِالضُّحُكِ فَمَا غَيَّرَ التَّمَوُّيُهُ رَأْيَا لَكَ فَيًّا
أخفي حقيقة مشاعري بضحكات مصطنعة، ولكنك لا تنخدع بها

كُلَّمَا تَنْظُرُ فِي عَيْنِي تَرَى سِرِّيَ الْغَافِي وَمَعْنَايَ الْخَفِيَّا
وَتَرَى فِي عُمُقِ رُوحِي زَهْرَةً قَدْ سَقَاها الْحُزْنُ دَمْعًا أَبَدِيًّا

* * *

أَيُّ سِرِّ فِيكَ إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي كُلُّ مَا فِيكَ مِنَ الْأَسْرَارِ يُغْرِي
خَطَرٌ يَنْسَابُ مِنْ مُقْتَرَّرٍ تُغْرِ فِتْنَةٌ تَعَصِفُ مِنْ لَفْتَةٍ نَحْرِ
ثمة خطر ينساب من مفتر ثغر، أي ثغر مفتر متفرج عن ابتسامة، وفتنة تعصف بي من لفظة جيدك

قَدَّرَ يُنْسَجُ مِنْ خُضْلَةٍ شَعْرِ زَوْرُقٌ يَسْبَحُ فِي مَوْجَةِ عِطْرِ

فِي حُبَابٍ غَامِضٍ التَّيَّارِ يَجْرِي وَاصِلًا مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَعُمْرِي

العباب: اصطخاب البحر

* * *

هَا أَنَا عُدْتُ إِلَى حَبِطِ التَّقِينَا فِي مَكَانٍ رَفَرْتُ فِيهِ السَّعَادَةُ
وَبِهِ قَدْ رَفَرْتُ الصَّمْتُ عَلَيْنَا إِنَّ فِي صَمْتِ الْمُحِبِّينَ عِبَادَةَ

٣٩ أَبْقِهَا

كَلَّمَا خَلَى حَبِيبِي يَدَهُ لَحْظَةً قُلْتُ: وَحُبِّي! أَبْقِهَا
أَبْقِهَا أَوْ مِنْ إِذَا لَامَسْتُهَا أَنَّ حُبِّي لَيْسَ حُلْمًا وَانْتَهَى

٤٠ شَرَفِ الْأَلَمِ

مَنْ يَكُنْ عَضَّ بَنَانًا نَادِمًا فَأَنَا قَطَعْتُ إِبْهَامَ النَّدَمِ
عض الإصبع: كناية عن الندم

وَإِذَا انْحَطَّ زَمَانٌ لَمْ تَجِدْ عَالِيًا ذَا رِفْعَةٍ إِلَّا الْأَلَمَ

٤١ الكهل والصبية

تَعَجَّجَتْ زَا زَا، وَقَدْ حُقِّ لَهَا أَنْ تَفْجَبَا
لَمَّا رَأَتْ فِي شُحْوِ بَ الشَّمْسِ مَالَتْ مَغْرِبَا
وَهِيَ الَّتِي زَانَتْ مَشِيءَ بِي بِأَكَالِيلِ الصُّبَا

زازا، وهي ممثلة كانت تحب الشاعر في كهولته، زينت مشيه بصباها. لن نعرف زازا على وجه التحقيق فقد عرف شاعرنا (زينب صدقي وزوزو ماضي وزوزو حمدي الحكيم، وأعجب بأمية رزق)... وكل واحدة منهن عندها زاءٌ ترشحها للقب زازا

لَوْلَاكِ مَا قُلْتُ لِشَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مَرَحَبَا
عَلِمْتُ يَأْسِي وَجُنُو نِي وَجْهَلْتُ السَّبَبَا
يَا كَوَكَبًا مَهْمَا أَكُنْ مِنْ بُرْجِهِ مُقَرَّبَا
فَإِنَّهُ يَظَلُّ فِي السَّبَبَا مَتِ الْبَعِيدِ كَوَكَبَا

السمت: في الفلك هي النقطة العليا، ومنها كلمة زينيث الأجنبية، وعكسها نظير السم، وهي تدير بالأجنبية

٤٢ لا فائدة

وَأَعْلَمُ أَنَّ حُبِّي لَيْسَ يُشْفَى وَبُعْدِي لَيْسَ يُجْدِيَنِي وَفُرْجِي
وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِلْحُبِّ حَالًا هَتَفْتُ بِهِ: كَمَا يُرْضِيكَ سِرُّ بِي

٤٣ موقف

قَدْ هَدَّنِي جَزَعِي عَلَيْكَ وَأَدَّعِي أَنِّي عِدَاةَ الْبَيْنِ غَيْرُ جَزُوعِ
وَأُرِيدُ أَشْبِعُ نَاطِرِي فَأَنْشَنِي كَيْ أَسْتَبِينَكَ مِنْ خِلَالِ دُمُوعِي
ناظري: عيني

إبراهيم ناجي فهرس القوافي

٢٥	والنَّهَارُ	٢٤	أَنْبَاءُ
١٣	الْأَعْمَارِ	٢٣	أَنْضَاءُ
٣٧	حَشْرَهُ	٣٢	إِطْرَاءُ
١	وَالنَّاسِي	٢٦	بِالْمَسَاءِ
٤	المُضَاعِ	١٤	حَوَاءِ
٤٣	جَزُوعِ	٣٠	الصَّحْرَاءِ
٥	السَّبَاعِ	٩	اللُّوَاءِ
٦	تَوَقُّعُهُ	٤١	تَعَجُّبًا
٣٩	أَبْقَاهَا	٤٢	وَقُرْبِي
٣	إِغْوَالًا	١٩	بَيْتُهُ
٣١	الزَّمِيلِ	١١	المنشودا
١٧	فيما	٢١	أَبْتَرِدُ
٣٤	وابتسما	١٢	استعبادِ
٢٩	تَنَامُ	٢٢	الْأَبَدِ
٢٨	الْأَنْجُمِ	٢٧	أُرِيدُ
٤٠	التَّذَمُّ	٣٣	الكبرى
٢٠	وزحامها	٨	سُكَارَى

٧	سَمَاهَا	٣٥	أَنَا
١٨	وَرَوَاهَا	١٥	نَسِينَا
١٦	فَهْوَى الْأَطْلَالِ	١٠	هَوَانَا
٣٨	دَكَرْنِيهِ	٢	دُيُونِ
		٣٦	كَالتَّيْجَانِ

أبو القاسم الشابي

(١٩٠٩ - ١٩٣٤)

لعلك سمعت للشابي بيتاً واحداً من قصيدة واحدة؟ إن كنت تعرف «إذا الشعب يوماً» ولا تعرف شيئاً آخر من شعر أبي القاسم الشابي، فأنت مدعو إلى مأدبة عامرة، في فردوس بهيج من فراديس الروح والقلق والشعر الوجداني والسياسي.

هل امتعشت؟ المَعذرة، فأنت سمعت أيضاً من كتاب المدرسة قصيدة رعوية من قصائد الغاب والبستان. فهل سمعت أبا القاسم الشابي وهو يشتم الشعب في قصيدتين كبيرتين؟ ستسمع بعد قليل.

لا نقول عن حياة الشابي إلا القليل. . . بقدر سنوات عمره الخمس والعشرين. كان فيه نزق وغضب وإباء ورومنسية، واجتمع لديه ما اكتسبه من جامع الزيتونة ومن والده من لغة فصيحة، وما اكتسب به من ثوب الرومنسية الذي طبع شعر عصره. فقد كان أبو القاسم يقرأ شعر الأبوليين في مصر، وكان ينشر عندهم ويراسلهم. وبلغ من تقدير رئيسهم، الشاعر المصري أحمد زكي أبي شادي، للشابي أن طلب منه كتابة مقدمة لديوانه الينبوع؛ وفعل أبو القاسم، ومرّر في مقدمته الضافية، التي جعلها تتكلم عن الشعر عامة، نقداً لأبي شادي بأن شعره قليل الأناقة. فأما في رسائله الخاصة فكان يصرح بما في شعر أبي شادي من برود، وقلة اكتمال.

شكا الشابي تضخم القلب، وأنهكته العلة في أواخر سنه، لكنه قال ما يريد أن يقوله.

وقد أثبتنا تواريخ القصائد افتخاراً بهذا النابغة الذي امتلك كل هذا الشموخ والرفقة والفصاحة في يفاعته. كان، في يومياته التي وجدت طريقها إلى

النشر، صبيّاً كالصبيان وشاباً كالشبان: يتخلف عنه زميله فيحنق، ويذهب وحده للتنزه، ويشكو قصور فهم الناس، وقلة معرفتهم، وتعصبهم لآرائهم. ونجده في رسائله للناقد الحلوي يتمنى لو أنه عرف لغة أجنبية. ونحن - بالطبع - سعداء بأنه لم يعرف سوى العربية، حتى لا يتلوث شعره بتقليد شعر غريب عن وجدانه، وحتى لا يتعالم، وحتى لا يفقد براءته.

لكن الشابي كان مثقفاً. كان يقرأ كثيراً، ويتشهى المعرفة. يشارك في الندوات الأدبية، ويشغل نفسه بالمنشورات الأدبية، وبالأفكار الكثيرة في هذا العالم. سعى إلى معرفة فكر الفلاسفة الأوروبيين، وسمع عن آينشتاين وفاق إلى أن يعرف أكثر. لكن ثقافته الأولى كانت اللغة العربية وأدبها.

ولد الشابي والاحتلال الفرنسي جاثم على تونس منذ ثمان وعشرين سنة، وسيموت ثم ستنقضي إحدى وعشرون سنة قبل أن تستقل تونس. رأى الشابي أن المشكلة ليست أساساً في الاحتلال.. بل في الشعب الذي لا يرفض الاحتلال بما يكفي، ولا يبذل جهداً لكي ينال الجدارة بالاستقلال. استنهض شاعرنا شعبه، وقرّعه، وأشبعه لوماً. ولكن قلبه المتضخم بالمرض وبعلة الرومنسية شاء لشعره أن يكون غناء. وفاز الشابي بالحسنين.

قيمة الشابي ليست أنه مات عن خمس وعشرين سنة.

هو شاعر كبير.

١ تونس الجميلة

٢ جوان/يونيو ١٩٢٥

لا أبالي، وإن أريقتم دماي، فدماء العشاق دوماً مُباحة
إنّ ذا عصرٌ ظلمة، غير أني من وراء الظلام شِمتُ صَباحة
ذا: هذا، شمت: رأيت بعين الحُلس

ضَيّع الدهرُ مجدّ شعبي، ولكن سَتَرْدُ الحياة يوماً وشاحه

٢ شعري

١٣ جوان/يونيو ١٩٢٥

لا أنظّمُ الشعرَ أرجو به رضاء الأمير

بِمِذْحَةٍ أَوْ رِثَاءٍ تُهْدَى لِرَبِّ السَّرِيرِ
حَسْبِي إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَنْ يَرْتَضِيَهُ ضَمِيرِي

٣ إلى الطاغية

١٨ فيفري/فبراير ١٩٢٧

لَكَ الْوَيْلُ يَا صِرْحَ الْمَظَالِمِ مِنْ غِدٍ إِذَا نَهَضَ الْمُسْتَضْعَفُونَ وَصَمَّوْا
أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الْبِلَادِ دَفِينَةٌ تُجْمَعُ فِي أَعْمَاقِهَا مَا تُجْمَعُ
تجمجم: تهمهم

٤ الدموع

٢٠ جوان/يونيو ١٩٢٧

مُلِئَ الدَّهْرُ بِالْخِذَاعِ فَكَمْ قَدْ ضَلَّلَ النَّاسَ مِنْ إِمَامٍ وَقَسٍّ
كَلَّمَا أَسْأَلُ الْحَيَاةَ عَنِ الْحَقِّ - تَكُفُّ الْحَيَاةَ عَنْ كُلِّ هَمٍّ
لَمْ أَجِدْ فِي الْحَيَاةِ لِحْنًا بَدِيعاً يَسْتَبِينِي، سَوَى سَكِينَةِ نَفْسِي
يستيني: يسي خيالي ويسحني

نَاوَلْتَنِي الْحَيَاةُ كَأْساً دِهَاقاً بِالْأَمَانِيِّ، فَمَا تَنَاوَلْتُ كَأْسِي
كأس دهاق: مملوءة

وَسَقَتْنِي مِنَ التَّعَاسَةِ أَكْوَا بَأْ تَجَرَّعْتُهَا فَيَا شَدَّ تَغْسِي
إِنَّ فِي رَوْضَةِ الْحَيَاةِ لِأَشْوَا كَأْ، بِهَا مُزَقَّتْ زَنَايُ نَفْسِي

٥ أيها الليل

٢٤ جوان/يونيو ١٩٢٧

أَيُّهَا اللَّيْلُ يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْهُو لِي، أَيَا هَيْكَلِ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ
يَهْجَعُ الْكَوْنُ فِي طُمَأْنِينَةِ الْعُصْ فَوْرَ طِفْلاً بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ
يهجع: يرقد، الغريب: الأسود

٦ المجد

عُرَّة أوت/ أغسطس ١٩٢٧

يَوُدُّ الْفَتَى لَوْ خَاضَ عَاصِفَةَ الرَّدَى وَصَدَّ الْخَمِيسَ الْمَجْرَ وَالْأَسَدَ الْوَرْدَا
الخميس المجر: الجيش الكبير، الأسد الورد: ذو اللون الوردى، والورد من أسماء الأسد
لِيُذْرِكَ أَمْجَادَ الْحُرُوبِ، وَلَوْ دَرَى حَقِيقَتَهَا مَا رَامَ مِنْ بَيْنِهَا مَجْدَا

٧ المساء الحزين

٢٠ جانفي/ يناير ١٩٢٨

تَعُوذُ ادِّكَارَاتُ ذَاكَ الْهُوَى وَلَكِنَّ سِحْرَ الْهُوَى لَا يَعُوذُ
ادكارات: ذكريات

تَجَلَّدُ، وَلَا تَسْتَكِينُ لِلْبَالِيِ فَمَا فَازَ إِلَّا الصَّبُّورُ الْجَلِيدُ
وَلَا تَأْسَ مِنْ حَادِثَاتِ الدُّهُورِ فَخَلَفَ الدِّيَابِجِيرُ فَجْرًا جَدِيدًا
الديابجير: الظلمات

وَلَوْلَا غَيُومُ الشَّتَاءِ الْغِضَابُ لَمَا نَضَّدَ الرَّوْضُ تِلْكَ الْوُرُودُ
نَضَّد: نَتَقَ

وَلَوْلَا ظِلَامُ الْحَيَاةِ الْعَبُوسُ لَمَا نَسَجَ الصَّبْحُ تِلْكَ الْبُرُودُ
البرود: الأثواب

٨ بقايا الخريف

٢٧ فيفري/ فبراير ١٩٢٨

وَقَفْتُ وَحَوْلِي غَدِيرٌ مَوَاتٌ تِمَادَتْ بِهِ عَفَوَاتُ الْكَهُوفِ
موات: مقفّر، قاحل

قَضَّتْ فِي حَفَافِيهِ تِلْكَ الزُّهُورُ فَكَفَّنَهَا بِالصَّقِيعِ الْخَرِيفِ
في حفافيه: على جانبيه

سَوَى زَهْرَةٍ شَقِيتَ بِالْحَيَاةِ وَمَلَبَّيْهَا بِالْمَقَامِ الْمُخِيفِ
ملبئها: مجثمها، جلوسها

وَتُرْهِبُهَا غَادِيَّاتُ الْعَمَامِ وَتَوَلِّمُهَا كُلُّ رِيحٍ عَصُوفَ

تخيفها الغيوم الغادية، المارة مساءً، وتولمها الريح إذ تعصف

وَتَرْنُو لَهَا حَوْلَهَا مِنْ زَهْوٍ وَمَا تَمَّ إِلَّا السَّحِيقُ الْجَفِيفُ

تنظر هذه الزهرة للزهو حولها، وليس ثم، أي ليس هناك، إلا ما هو مسحوق وجاف من الزهور

فَتَبْكِي بِكَاءِ الْغَرِيبِ الْوَحِيدِ بِشَجْوٍ كَظِيمٍ وَنُوحٍ ضَعِيفِ

كظيم: مكتوم

فَمَا تَمَّ إِلَّا الصَّخُورُ الْقَوَاسِي وَإِلَّا الصَّدَى الْمُسْتَطَارُ الْهَثُوفُ

القواسي: القاسية، المستطار: العالي الذاهب بعيداً

فَجَادَتْ بِرُوحٍ شَقِيٍّ شَجِيٍّ لَقَدْ عَذَّبَتْهُ اللَّيَالِي صُنُوفَ

أذاقت الليالي روح الزهرة الوحيدة صنوف العذاب فخرج الروح.. وماتت الزهرة

ذَكَرْتُ بِمَضْجَعِهَا الْمَطْمَئِنُّ وَمَرَقْدِهَا فِي السَّفِيرِ الْجَفِيفِ..

السفير: أوراق الشجر الساقطة، الجفيف: الجاف

مِصَارَعُ آمَالِي الْغَايِرَاتِ وَخَيْبَتَهَا فِي الصَّرَاعِ الْعَنِيفِ

وَقَلْتُ: هُوَ الْكَوْنُ مَهْدُ الْجَمَالِ وَلَكِنْ، لِكُلِّ جَمَالٍ خَرِيفُ

وَأَطْرَقْتُ أَضْغِي لَهْمِسِ الْأَسَى وَقَدْ عَشِيَ النَّفْسَ هَمٌّ كَثِيفُ

وَعَاظَتْ ثَمَالَةً نُورَ النَّهَارِ وَأَزْحَى ظِلَامُ الْوُجُودِ السُّجُوفِ

غاضت: جفت، ثمالة: بقية، السجوف: السور

٩ يا رفيقي

١٦ جويلية/يوليو ١٩٢٨

قَدْ تَفَكَّرْتُ فِي الْوُجُودِ فَأَعْيَا نِي وَأَدْبَرْتُ آيَساً لِظَلَامِي

أدبرت: رجعت، آيساً: يائساً

أَنْشُدُ الرَّاحَةَ الْبَعِيدَةَ لَكِنْ خَابَ ظَنِّي وَأَخْطَأْتُ أَحْلَامِي

فَمَعِيَ فِي جَوَانِحِي، أَبَدَ الدَّهْرِ فِرٌّ، فَوَادٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ ظَامِ

ظام: ظامئ عطشان

١٠ قلت للشعر

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

أَنْتَ يَا شِعْرُ فَلَذَّةٌ مِنْ فُؤَادِي تَتَعَنَّى، وَقِطْعَةٌ مِنْ وُجُودِي
فلذة: قطعة

فِيكَ مَا فِي جَوَانِحِي مِنْ حَنِينٍ أَبْدِي إِلَى صَمِيمِ الْوُجُودِ
أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٌ عَنْ حَيَاتِي
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ نَغَمٍ حُلْدٍ
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَسَكٍ يُذْ
حسك: شك، غصيص الورود: الورود الغضة الطرية

فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ حَبٌّ بَنُو الْأَرَضِ ضِ قَصِيدِي، أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصِيدِي
فَسَوَاءٌ عَلَى الطَّيْرِ إِذَا عَنَّ - سَتَ هُتَافُ السَّوْمِ وَالْمُسْتَعْبِدِ
السَّوْمِ: الملول، المستعيد: من يطلب إعادة اللحن إعجاباً به

وَسَوَاءٌ عَلَى الْوُجُودِ: أَفْنِي الْغَيْدِ - رَانَ فَاحَتْ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وَجِيدِ
الغيران: الوديان الغائرة المنخفضة

١١ يا ابن أُمي

٢٠ فيفري/فبراير ١٩٢٩

خُلِقْتَ طَلِيقاً كَطَيْفِ النِّسِيمِ وَحُرّاً كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءِ
تُغَرِّدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ انْدَفَعَتْ وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحْيِ الْإِلَهِ
كَذَا صَاغَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ الْوُجُودِ وَأَلْقَيْتَكَ فِي الْكَوْنِ هَذِي الْحَيَاةِ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذُلِّ الْقَيْدِ وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَّلُوكَ الْجَبَاةِ
وَتُطَيِّقُ أَجْفَانَكَ النِّيَّاتِ عَنِ الْفَجْرِ، وَالْفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاءِ
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الْحَيَاةُ
في سبيل الحياة: في طريقها

وَلَا تَخْشَ مِمَّا وَرَاءَ التَّلَاعِ فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِي صِبَاةِ
التَّلَاعِ: التلال، ثم: هناك

إلى النور! فالنور عذبٌ جميلٌ إلى النور! فالنور ظلُّ الإله

١٢ إلى الله

٢٩ أكتوبر ١٩٢٩

يا إله الوجود! هذي جراح هذه مهجة الشقاء تناجي
في فؤادي تشكو إليك الدواهي لك، فهل أنت سامعٌ، يا إلهي
يا رياح الوجود سيري بعنفٍ وتغنّي بصوتك الأواه
وانفحني من روحك الفخم ما يُبدِ ليخ صوتي أذنان هذا الإله
فهو يصغي إلى القوي، ولا يصدغي لصوت بين العواصف وأه
واه: ضعيف

فالوجود الشقي غيرٌ جدير بالأغاني، وبالجمال الزاهي
خبروني هل للورى من إله راحم، مثل زعمهم؟ أواه
أواه: أتوجع

إنني لم أجده في هاتيه الدن يا، فهل خلف أفقها من إله
ما الذي قد أتيت يا قلبي البا كي، وماذا قد قلتي يا شفاهي؟
يا إلهي قد أنطق الهَم قلبي بالذي كان. فاعترف يا إلهي

١٣ النبي المجهول

٢١ جانفي/يناير ١٩٣٠

أيها الشعب ليتني كنت خطاً باً فأهوي على الجذوع بفأسي
ليتني كنت كالسيول إذا ساء لت تهذ القبور رمساً برمسي
رمس: قبر

ليت لي قوة العواصف يا شع بي فألقي إليك نورة نفسي
أنت روح غيبة تكره النور ر وتقضي الدهور في ليل ملس
ملس: ظلام

في صباح الحياة صمخت أكوا بي، وأترعتها بخمرة نفسي
أترعتها: ملأتها

ثُمَّ نَضَّدْتُ مِنْ أَزَاهِيرِ قَلْبِي بَاقَةً لَمْ يَمَسَّهَا أَيُّ إِنْسِي
ثُمَّ قَدَّمْتُهَا إِلَيْكَ فَمَرَّقَ تَ وَرُودِي، وَدُسَّتْهَا أَيُّ دَوْسِ
ثُمَّ أَلْبَسْتَنِي مِنَ الْحَزَنِ ثَوْباً وَبِشَوْكَ الْجِبَالِ تَوَجَّتْ رَأْسِي

ما زال يخاطب الشعب

إِنَّنِي ذَاهِبٌ إِلَى الْغَابِ بِأَشْعَرِ جَبِي لِأَقْضِي الْحَيَاةَ وَخُدِي بِبِأَسِ
سَوْفَ أَتَلُو عَلَى الطُّيُورِ أُنَاشِيدَ لَدِي وَأَقْضِي لَهَا بِأَشْوَاقِ نَفْسِي
فَهِيَ تَذَرِي مَعْنَى الْحَيَاةِ وَتَدْرِي أَنَّ مَجْدَ النُّفُوسِ بِقُطْعَةِ حُسِّ
ثُمَّ تَحْتَ الصَّنُوبَرِ النَّاضِرِ الْحُلْدَ مَوْ تَحْطُ السَّيُولُ حُفْرَةَ رَفْسِي
وَتَظَلُّ الطُّيُورُ تَلْعُو عَلَى قَبْرِ رِي، وَيَشْدُو النَّسِيمُ فَوْقِي بِهَمْسِ
أَنْتَ فِي الْكَوْنِ قُوَّةٌ كَبَلَتْهَا ظُلُمَاتُ الْعَصُورِ مِنْ أَمْسِ أَمْسِ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ مِنْ كَانَ مِثْلِي فِي حَسَاسِيَّتِي وَرِقَّةِ نَفْسِي

١٤ شجون

٢٨ أكتوبر ١٩٣٠

عَجَباً لِي أَوْدُ أَنْ أَفْهَمَ الْكَوْنَ نَ، وَنَفْسِي لَمْ تَسْتَطِعْ فَهَمَ نَفْسِي
لَمْ أُنْذِرْ مِنْ حَقَائِقِ الْكَوْنِ إِلَّا أَنَّنِي فِي الْوُجُودِ مُرْتَادُ رَأْسِي

رسم: قبر

١٥ أحلام شاعر

٤ أبريل ١٩٣١

لَيْتَ لِي أَنْ أَعِيشَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِهَا سَعِيداً بِوَحْدَتِي وَانْفِرَادِي
أَصْرِفُ الْعَمَرَ فِي الْجِبَالِ وَفِي الْغَا بَاتٍ بَيْنَ الصَّنُوبَرِ الْمَيَّادِ

المياد: المتمايل

وَأُعْنِي مَعَ الْبَلَابِلِ فِي الْغَا بِ وَأُصْغِي إِلَى خَرِيرِ الْوَادِي
عَيْشَةً لِلْجَمَالِ وَالْفَنِّ أَبْغِي هَا بَعِيداً عَنْ أُمَّتِي وَبِلَادِي
لَا أَعْنِي نَفْسِي بِأَحْزَانِ شَعْبِي فَهَوْ حَيٌّ يَعِيشُ عَيْشَ الْجَمَادِ

١٦ صلوات في هيكَل الحب

١٣ أكتوبر ١٩٣١

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطُّفُولَةِ كَالأَخْـ لَامٍ، كَاللَّحْنِ كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ، كَاللَّيْلَةِ الْقَمْدِ رَاءٍ، كَالوَرْدِ كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ
كُلُّ شَيْءٍ مُوقَّعٌ فَيْكِ، حَتَّى لَفْتَةُ الْجِيدِ وَاهْتِزَازُ النُّهُودِ
مَوْقِعٌ: يَتَحَرَّكُ عَلَى إِيقَاعِ مُوسِيقِي

١٧ أَرَاكِ

٢٤ أكتوبر ١٩٣١

أَرَاكِ فَتَحَلُّوْ لَدَيَّ الْحَيَاةُ وَيَمْلَأُ نَفْسِي صَبَاحُ الْأَمَلِ
وَتَنَمُّوْ بِصَدْرِي وَرُودُ عَذَابٍ وَتَحْنُوْ عَلَى قَلْبِي الْمُشْتَغِلِ

١٨ حديث المقبرة

الشاعر يلقي نشيده أمام المقبرة في الليل، ٣ أبريل ١٩٣٢ :

أَتَفَنَّى ابْتِسَامَاتُ تِلْكَ الْجُفُونِ وَيَخْبُو تَوْهَجُ تِلْكَ الْخُدُودِ
وَيَنْهَهُ ذَاكَ الْقَوَامُ الرَّشِيقُ وَيَنْحَلُّ صَدْرٌ بَدِيعٌ وَجِيدُ
أُتْظَوِي سَمَاوَاتُ هَذَا الْوُجُودِ وَيَذْهَبُ هَذَا الْفَضَاءُ الْبَعِيدُ
وَتَهْلِكُ تِلْكَ النُّجُومُ الْقُدَامَى وَيَهْرَمُ هَذَا الزَّمَانُ الْعَهِيدُ
العهد: القديم الذي بعد عهده

أَيَسْطُو عَلَى الْكُلِّ لَيْلُ الْفَنَاءِ لِيَلْهُوَ بِهَا الْمَوْتُ خَلْفَ الْوُجُودِ
كَبِيرٌ عَلَى النَّفْسِ هَذَا الْعَفَاءُ وَصَعَبٌ عَلَى الْقَلْبِ هَذَا الْهُمُودُ
العفاء: التلاشي والزوال، الهمود: الخمود والخراب

تَأْمَلْ فَلِنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ نِظَامٌ دَقِيقٌ بَدِيعٌ فَرِيدُ
فَمَا حَبَّبَ الْعَيْشَ إِلَّا الْفَنَاءُ وَلَا زَاتَهُ غَيْرُ خَوْفِ اللَّحُودِ
مَا أَحْبَبْنَا الْحَيَاةَ إِلَّا لِأَنَّهَا فَانِيَةٌ وَيَزِينُهَا فِي عَيُونِنَا خَوْفُنَا مِنَ اللَّحُودِ، أَيِ الْقُبُورِ

وَلَكِنْ إِذَا مَا لَبَسْنَا الْخُلُودَ وَنَلْنَا كَمَالَ الثُّفُوسِ الْبَعِيدِ

فهل لا نَمَلُ دَوَامَ البَقَاءِ وهل لا نَوَدُّ كَمَالاً جَدِيداً؟

عبر عن هذه الفكرة بدوي الجبل في أبيات كثيرة (قصيدته النونية، رقم ٢٠، في هذا الكتاب)، والفكرة موجودة في أذهاننا جميعاً، ولكن الشابي أبدع في الشطر الثاني من هذا البيت وبسط الفكرة بسلاسة

وإن جَمَالَ الكَمَالِ الطُّمُوحُ وما دَامَ فِكْراً يُرى من بَعِيدٍ
فَمَا سِحْرُهُ إنْ غَدَا وإِقْعَا يُحَسُّ، وَأَصْبَحَ شَيْئاً شَهِيداً؟
عندما يكتمل الكمال بالخلود يفقد سحره ويصبح مشهوداً حاضراً

١٩ في ظل وادي الموت

٥ أبريل ١٩٣٢

نحن نمشي وحوْلُنَا هَاتِيهِ الأكـ وانْ تمشي، لكنْ لَأَيَّةِ غَايَةٍ؟
نحنْ نشدُوْ معَ العَصَافِيرِ للشـ سِ وهذا الربيعُ ينفُخُ نايَه
* * *

وتَغَشَّى الضَّبَابُ نفسي فصاحتْ في مَلَالٍ مُرّاً إلى أينَ أمشي
قلتُ سيرِي معَ الحَيَاةِ، فقالتْ: ما جَنَيْنَا تُرَى من السيرِ أُمسٍ؟
* * *

قد رَقَضْنَا معَ الحَيَاةِ طويلاً وشَدَوْنَا معَ الشَّبَابِ سَنِينَا
وعَدَوْنَا مَعَ اللَّيَالِي حُفَاةً في شِعَابِ الحَيَاةِ حَتَّى دَمِينَا
شعاب: طرق

وأَكَلْنَا التَّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا وشَرَبْنَا الدَّمُوعَ حَتَّى رَوِينَا
ونَشَرْنَا الأحْلَامَ والحُبَّ والآ لَامَ واليأسَ والأسى حيثُ شِينَا
شينا: شئنا
* * *

ثم ماذا؟ هذا أنا صِرْتُ في الدنـ يا بعيداً عن لهوها وغناها
غناها: غناها

في ظلامِ الفناءِ أَدْفِنُ أَيَّـا مي ولا أَسْتَطِيعُ حَتَّى بُكَاهَا
* * *

وَزُهُورُ الْحَيَاةِ تَهْوِي بِصَمْتٍ مُحْزَنٍ مُضْجِرٍ عَلَى قَدَمَيَّا
جَفَّ سِحْرُ الْحَيَاةِ بِأَقْلَبِي الْبَا كَيَّ فَهَيَّا نُجَرَّبُ الْمَوْتَ هَيَّا

هذا البيت يختم القصيدة في قفلة تبث الرهبة في النفس، فبعد كل ما قالته القصيدة عن الملل وانحسار اللهو، جاء بصيص أمل... هو الموت. فإذا جف سحر الحياة فلعل في الموت جديداً

٢٠ أيتها الحالمة بين العواصف

١١ فيفري/فبراير ١٩٣٣

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْغَا بٍ، وَلَكِنْ مَا بَيْنَ شَوْكِ وَدُودِ
أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رُوحٌ جَمِيلٌ صَاعَةُ اللَّهْ مِنْ عَبِيرِ الْوُرُودِ
وَبُنُو الْأَرْضِ كَالْقُرُودِ وَمَا أَضْ بَعَّ عَطَرَ الْوُرُودِ بَيْنَ الْقُرُودِ
أَنْتِ مِنْ رِيَشَةِ الْإِلَهِ فَلَا تُلْ مَقِي بِقَنَّ السَّمَاءِ لِجَهْلِ الْعَبِيدِ
أَنْتِ لَمْ تُخْلَقِي لِيقْرَبِكَ النَّا سٌ وَلَكِنْ لَتُعْبَدِي مِنْ بَعِيدِ

هكذا ينظر الرجل إلى الفاتنة المسكينة التي تنسج حول نفسها، من الأشعة المنبثقة من عيون الرجال، شرنقة تخنق إنسانيتها وتحيلها إلى تمثال

٢١ للتاريخ

١٦ فيفري/فبراير ١٩٣٣

الْبُؤْسُ لَا بَيْنَ الشَّعْبِ يَأْكُلُ قَلْبَهُ وَالْمَجْدُ وَالْإِثْرَاءُ لِلْأَغْرَابِ
وَالشَّعْبُ مَعْصُوبُ الْجَفْوَنِ مَقْسَمٌ كَالشَّأِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْقَصَابِ
وَالْحَقُّ مَقْطُوعُ اللِّسَانِ مُكَبَّلٌ وَالظُّلْمُ يَمْرَحُ مُذْهَبُ الْجِلْبَابِ

مذهب الجلباب: يلبس جبة مزركشة بخيوط ذهبية

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ فِي دَوْلَةِ الْأَنْصَابِ وَالْأَلْقَابِ

الأنصاب: التماثيل المنصوبة

٢٢ الرواية الغريبة

١٧ مارس ١٩٣٣

ضَحَكْنَا عَلَى الْمَاضِي الْبَعِيدِ فِي غَدٍ سَتَجْعَلُنَا الْأَيَّامُ أَضْحُوكَةً الْآتِي
وَتَلْكَ هِيَ الدُّنْيَا رِوَايَةً سَاحِرٍ عَظِيمٍ غَرِيبِ الْفَنِّ مَبْدَعِ آيَاتِ

٢٣ إرادة الحياة

١٦ سبتمبر ١٩٣٣

إذا الشعب يوماً أرادَ الحياةَ فلا بدَّ أن يستجيبَ القدرُ
ولا بدَّ للَّيلِ أن ينجلي ولا بدَّ للقيدِ أن ينكسرَ
ومن لم يعانِقْهُ شوقُ الحياةِ تبخَّرَ في جوِّها واندثرَ
فويلٌ لمن لم تشقُّه الحيا ة مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المنتَصِرِ
تشقه: تستير شوقه وتنفذه من العدم الذي يريد أن يتصر لنفسه من الحياة التي وجدت نقيضاً له

كذلك قالت لِي الكائناتُ وحدَّثني رُوحُها المستَترُ
ودمدمتَ الريحُ بينَ الفِجاجِ وفوقَ الجبالِ وتحتَ الشَّجرِ:
لقد دمدمت الريح، وغمغت وأصدرت صوتاً، بين الفجاج، طرق الجبل، وفوق الجبال وتحت الشجر:

إذا ما طمِحتُ إلى غايةٍ رَكِبْتُ المُنَى ونَسِيتُ الحَذَرُ
قالت الريح: عندما أطمح إلى هدف فأنا أسمى لتحقيق آمياتي وأجازف ولا أتركها تظل مجرد آميات

ولم أَتَجَنَّبْ وُجُورَ الشُّعَابِ ولا كَبَّةَ اللَّهَبِ المُسْتَعِرِ
والريح لا تتجنب المسالك الجبلية الوعرة، ولا كَبَّةَ اللهب (أي الجحيم الذي يُكَبُّ فيه الناس على وجوههم) المشتعل.. الريح لا يهتمها ما الذي تهب عليه، فهي تهب هبوباً ولا تحذر شيئاً

ومَن لا يحبُّ صعودَ الجبالِ يَعِشُ أبَدَ الدهرِ بينَ الحُفَرِ
فعَجَّتْ بقلبي دماءُ الشبابِ وضَجَّتْ بِصدري رِياحُ أُخَرِ
عندما سمعت كلام الريح ازدحمت دماء الشباب وعزيمته بقلبي، وتحركت في صدري رياح آخر سوى الريح التي في الخارج

وأظَرَقْتُ أَصْغِي لِقَضْفِ الرُّعُودِ وعزفِ الريحِ ووقعِ المطرِ
وقالت لِي الأرضُ لَمَّا سَأَلْتُ: أَيَا أُمْ هَلْ تَكْرَهِيْنَ البَشَرَ؟
أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الْخَطَرِ
الأرض تُجيب

وَأَلْعَنُ مَنْ لَا يُمَاشِي الزَّمَانَ وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشِ الْحَجَرِ
هُوَ الْكُونُ حَتَّى يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَحْتَقِرُ الْمَيِّتَ مَهْمَا كَبُرَ

فَلَا الْأَفْقُ يَحْضُنُ مَيِّتَ الطَّيُورِ وَلَا النَّحْلُ يَلِثُ مَيِّتَ الزَّهْرِ

الطائر الميت لا يحتضنه الأفق بل هو يسقط، والزهرة الميتة لا تلتصقها، أي تقبلها، النحلة

ولولا أمومة قلبي الرؤوم لما ضممت الميت تلك الحفر

وتقول الأرض: لولا شعور الأمومة في قلبي الرؤوم، الحنون، فأنا بالطبع أم البشر ومن ترابي خلقوا... لولا هذا الشعور لما ضممت الأموات في بطني

وفي ليلة من ليالي الخريف فثقل بالأسى والضجر

سكنت بها من ضياء النجوم وغنيت للحزن حتى سكر

سألت الدجى: هل تعيد الحياة لما أذبلته ربيع العمر؟

فلم تتكلم شفاه الظلام ولم تترنم عذاري السحر

وقال لي الغاب في رقة محبة مثل خفي الوتر

يجيء الشتاء شتاء الضباب شتاء الثلوج شتاء المطر

فينطفئ السحر سحر الغصون وسحر الزهور وسحر الثمر

وسحر السماء الشجي الوديع وسحر المروج الشهي العطر

وتهوي الغصون وأوراقها وأزهار عهد حبيب نضر

وتلهو بها الريح في كل وادٍ ويدفنها السيل أنى عبر

ويفنى الجميع كحلُم بديع تآلق في مهجة وأنذر

كل الغصون والأوراق تنفي في الشتاء مثلما يفنى الحلم بعد الصحو..

وتبقى البذور التي حُمِلَتْ ذخيرة عمر جميل غبر

وذكرى فصول ورؤيا حياة وأشباح دنيا تلاشت زمر

البذور تحمل في جوفها رؤيا الحياة التي تلاشت، كي تعيدها ثانية

معانقة، وهي تحت الضباب وتحت الثلوج وتحت المدر

لطييف الحياة الذي لا يُمل وقلب الربيع الشدي الحضر

تعانق البذور وهي تحت المدر، الطين، وفي جو الشتاء القاسي.. تعانق طيف الحياة وقلب الربيع المرتقب

وحالمة بأغاني الطيور وعطر الزهور وطعم الثمر

وتبقى البذور حالمة بأغاني الطيور التي ستأتي لتقف على أشجار ستنمو من هذه البذور

وَيَمْشِي الزَّمَانُ فَتَنْمُو صُرُوفٌ وَتَذْوِي صُرُوفٌ وَتَحْيَا أُخَرُ

يمشي الزمان فتنشأ صرُوف، أحداث، وتذبل أحداث

وَتُضْبِحُ أَحْلَامُهَا يَفْقَظَةً مُوشَّحَةً بَغْمُوضِ السَّحَرِ

وتتحول أحلام البذور إلى يقظة.. فهي تبدأ بإطلاق أوائل النبت

تُسَائِلُ أَيْنَ ضَبَابُ الصَّبَاحِ وَسَحَرُ الْمَسَاءِ وَضَوْءُ الْقَمَرِ

وأَسْرَابُ ذَاكَ الْفَرَاشِ الْأَنِيْقِ وَنَحْلُ يُعْنِي وَغَيْمٌ يَمُرُّ

وَأَيْنَ الْأَشْعَةُ وَالْكَائِنَاتُ، وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِي أَنْتَظِرُ

ظَمْتُ إِلَى النُّورِ فَوْقَ الْغُصُونِ ظَمْتُ إِلَى الظِّلِّ تَحْتَ الشَّجَرِ

ظَمْتُ إِلَى النَّبْعِ بَيْنَ الْمَرْوِجِ يُعْنِي وَيَرْقُصُ فَوْقَ الزَّهَرِ

ظَمْتُ إِلَى الْكَوْنِ، أَيْنَ الْوُجُودُ وَأَنْتَى أَرَى الْعَالَمَ الْمُنْتَظَرُ؟

هُوَ الْكَوْنُ خَلَفَ سُبَاتِ الْوُجُودِ وَفِي أَفْقِ الْيَقَظَاتِ الْكُبَرِ

خلف سبات الوجود ونومه في الشتاء يوجد كون سيزهر ويستيقظ

وَمَا هُوَ إِلَّا كَخَفَقِ الْجَنَاحِ حِثَّى نَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَرَ

وتنمو البذور بقوة شوقها إلى الربيع والحياة، وتنتصر على سباتها الشتوي

فَصَدَّعَتِ الْأَرْضَ مِنْ فَوْقِهَا وَأَبْصَرَتِ الْكَوْنَ عَذَبَ الصُّورِ

تصدع، أي تشق، النباتات الأرض منطلقاً من بذورها، فتبصر صور الكون الجميلة

وَجَاءَ الرَّبِيعُ بِأَنْغَامِهِ وَأَحْلَامِهِ وَصِبَاةِ الْعَطْرِ

وَقَبَّلَهَا قُبْلَةً فِي الشُّفَاهِ تُعِيدُ الشَّبَابَ الَّذِي قَدْ غَبَرَ

الربيع يقبل النبات قبلة تعيد الشباب الذي غبر ومضى في الشتاء

وَقَالَ لَهَا قَدْ مُنِحَتِ الْحَيَاةُ وَخُلِّدَتْ فِي نَسْلِكَ الْمُدَّخَرِ

وَبَارَكَكَ النُّورُ فَاسْتَقْبَلِي شَبَابَ الْحَيَاةِ وَخُضْبَ الْعُمُرِ

وَمَنْ تَعْبُدُ النُّورَ أَحْلَامُهُ يَبَارِكُهُ النُّورُ أَنْتَى ظَهَرِ

من يحلم بالنور فسوف يباركه النور ويشرق عليه

إِلَيْكَ الْفَضَاءُ إِلَيْكَ الضِّيَاءُ إِلَيْكَ الثَّرَى الْحَالِمَ الْمَزْدَهَرَ

أيُّهَا الْبَنَاتُ الَّتِي خَرَجْتَ مِنَ الْبُذُورِ! إِلَيْكَ، أي خذي، الفضاء والضياء إلخ..

إِلَيْكَ الْجَمَالَ الَّذِي لَا يَبِيدُ إِلَيْكَ الْوُجُودَ الرَّحِيبَ النَّصِيرُ
فَمِيدِي كَمَا شَتَّتِ فَوْقَ الْحَقُولِ بِحُلُوِّ الثَّمَارِ وَعَظْضِ الزَّهَرِ
مِيدِي: تمايلي بما صرت تحملين من أزهار وثمار

وَنَاجِي النِّسِيمِ وَنَاجِي الْغَيُومِ وَنَاجِي النُّجُومِ وَنَاجِي الْقَمَرِ
وَنَاجِي الْحَيَاةِ وَأَشْوَاقِهَا وَفِتْنَةَ هَذَا الْوُجُودِ الْأَعْرَ
وَشَفَّ الدُّجَى عَنْ جَمَالٍ عَمِيقٍ يُشِيبُ الْخَيَالَ وَيُذَكِّي الْفِكَرِ
وَمُدَّ عَلَى الْكَوْنِ سِحْرٌ غَرِيبٌ يُصَرِّفُهُ سَاحِرٌ مَقْتَدِرِ
وَضَاءَتْ شَمُوعُ النُّجُومِ الْوُضَاءِ وَضَاعَ الْبَحُورُ بِخُورِ الزَّهَرِ
ضَاع: تَضَوَّعَ وَفَاحَ

وَرَفَرَفَ رُوحٌ غَرِيبُ الْجَمَالِ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَرِ
وَرَنَ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمَقْدِّ سُنَّ فِي هَيْكَلٍ حَالِمٍ قَدْ سَحَرَ
وَأَعْلَنَ فِي الْكَوْنِ أَنَّ الطُّمُوحَ لَهَيْبِ الْحَيَاةِ وَرُوحِ الطَّفَرِ
الطموح هو الحياة المتقدة النشطة وهو العزيمة التي تريد الانتصار

إِذَا ظَمِحَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ فَلَا بَدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ
هذه القصيدة اشتهرت بأول أبياتها، وظلمها أول أبياتها لقوته وجماله الأخاذ. هي صورة كاملة كبيرة جميلة بدأت بداية بديعة ورسمت لوحة معنوية للعزيمة المكنونة في صورة مادية للبدور التي تختزن الحياة في جوفها. القصيدة متماسكة فيما ترسمه من صور وما تعرضه من أفكار، وكلماتها عذبة الوقع على الأذن حتى لو لم يتابع السامع أفكارها، على أن فهم ما وراء الكلمات من معانٍ دقيقة يعزز النشوة

٢٤ تحت الغصون

٢١ سبتمبر ١٩٣٣

هَهُنَا فِي خَمَائِلِ الْعَابِ تَحْتَ الرَّ- اِنْ وَالسُّنْدِيَانِ وَالزَّيْتُونِ
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَبْهَى مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَيِّمُونِ
قَدْ تَغْنَيْتِ مِنْذُ حِينٍ بِصَوْتِ نَاعِمٍ حَالِمٍ شَجِيٍّ حَنُونِ
فَلِمَنْ كُنْتَ تُنْشِدِينَ؟ فَقَالَتْ: لِلضِّيَاءِ الْبَنَفْسَاجِيِّ الْحَزِينِ
فَتَنَهَدْتُ ثُمَّ قُلْتُ: وَقَلْبِي، مَنْ يَغْنِيهِ، مَنْ يُبِيدُ شُجُونِي؟

قالت: الحبُّ، ثم غنَّت لِقلبي قُبلاً عبقريةَ التَّلحينِ

يرسم صورة مفرقة في الرومنسية لفنّاء لقيها تحت شجرة وقبّلها

قُبلاً علّمتْ فؤادي الأغاني وأنارتْ له ظلامَ السنينِ

وأفقتنا فقلتُ كالحالمِ المسحورِ: قولي تكلمي خبّرني

أي دنيا مسحورة أي رؤيا طالعني في ضوئ هذي العيونِ

زمرّ من ملائِكَ المَلأِ الأعلى يُعنّونَ في حنّ حنونِ

وصبايا رواقصُ يتراشقنَ نَ بزهرِ التفاحِ والياسمينِ

في فضاءٍ موزّدٍ حالمٍ سا وأطافتْ به عذاري الفنونِ

وجحيمٍ توجّ تحتَ فرايدِ سنّ كأحلامِ شاعرٍ مجنونِ

عاش لحظات مسحورة مع محبوبته، ثم اعترت فؤاده فكرة: أن ما يصنعونه محرّم... وهنا تخيل تحت هذا الفردوس جحيماً توجّ، أي تناجح وتشتعل، كأنها خيالات شاعر مجنون

أي إثمٍ مقدّسٍ قد لبسنا بُردّه في مسائنا الميمونِ

فبدا طيفٌ نسمةٍ ساحرٌ عذّبْ على ثغرها قرويّ الفتونِ

وأجابتْ، وكلّها فتنةٌ تُغوي وتُغري بالحبّ بل بالجنونِ:

أبدأ أنتَ حالمٌ فاسألِ الليلَ، فعندَ الظلامِ علمُ اليقينِ

قالت له: لا جناح عليك! أنت فقط تحلم

وسكّتنا، وغرّد الحبّ في الغا بٍ، فأصغى حتى حفيّف الغُصونِ

وبنى الليلُ والربيعُ حوالينا من السّحرِ والرّؤى والسكونِ

معبداً للجمالِ والحبِّ شِعْريّـاً أ مَشِيداً على فِجاجِ السنينِ

فجاج: طرق

تَحته يَزخَرُ الزمانُ ويجري صامتاً في مَسيلِهِ المحزُونِ

وتَمُرُّ الأيامُ والحزنُ والموثُ بعيداً عن ظِلِّهِ المأمُونِ

ونجومُ السماءِ فيه شُموغٌ أوقدتها للحبِّ رُوحُ القُرونِ

إن نارَ الحياةِ والكُوثرُ المُنشودَ في ثَغْرِكَ الشَّهيِّ الحزينِ

فَهُوَ كأسٌ سِحرِيَّةٌ لِرَحيقِ الـ حُلْدِ قد صاعَها إلَهُ الفنونِ

نار الحياة كأس لرحيق، أي خمر، الخلود وقد صاغ هذه الكأس إله الفنون

قَبْلِيْنِي وَأُسْكِرِي ثَغْرِي الصَّا دِي وَقَلْبِي وَفَتَنْتِي وَجَنُونِي
أَهْ مَا أَحَذَبَ الْفَرَامَ وَأَحْلَى رَنَّةَ اللَّثْمِ فِي خُشُوعِ السُّكُونِ
رنة اللثم: صوت القبلات

وَتَوَارَى الْوُجُودُ عَنَّا بِمَا فِيهِ وَغَبْنَا فِي عَالَمٍ مَفْتُونٍ
وَنَسِينَا الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ وَالْكَوْ نَ وَمَا فِيهِ مِنْ مُنَى وَمُنُونٍ

٢٥ هجاء الشعب

١٥ أكتوبر ١٩٣٣

أَيْنَ يَا شَعْبُ قَلْبُكَ الْخَافِقُ الْحَسَّـ سَ، أَيْنَ الطَّمُوحُ وَالْأَحْلَامُ؟
أَيْنَ يَا شَعْبُ رَوْحُكَ الشَّاعِرُ الْفَنـ أَيْنَ الْخِيَالُ وَالْإِلَهَامُ؟
إِن يَمَّ الْحَيَاةَ يَذْوِي حَوَالِيـ كَ، فَأَيْنَ الْمَغَامِرُ الْمِقْدَامُ؟
أَيْنَ عَزْمُ الْحَيَاةِ؟ لَا شَيْءَ إِلَّا الـ مَوْتُ وَالصَّمْتُ وَالْأَسَى وَالظَّلَامُ
عُمُرٌ مَيِّتٌ وَقَلْبٌ خَوَاءَ وَدَمٌ لَا تُثْبِتُهُ إِلَّا لَامُ
خواء: مفرغ

وَحَيَاةٌ تَنَامُ فِي ظِلْمَةِ الْوَا دِي، وَتَنُمُو مِنْ فَوْقِهَا الْأَوْهَامُ
* * *
قَدْ مَشَتْ حَوْلَكَ الْفُصُولُ وَغَنَّتْ كَ، فَلَمْ تَبْتَهِجْ وَلَمْ تَتَرَنَّمْ
بخطاب الشعب

وَدَوَتْ فَوْقَكَ الْعَوَاصِفُ وَالْأَنْدَ هَاءَ حَتَّى أَوْشَكْتَ أَنْ تَتَحَطَّمْ
الأنواء: الأمطار

وَأُطَافَتْ بِكَ الْوُحُوشُ وَنَاشَتْ كَ، فَلَمْ تَضْطَرِّبْ وَلَمْ تَتَأَلَّمْ
ناشتك: تناولتك بالمخالب

يَا إِلَهِي أَمَا تُحِسُّ أَمَا تُشَبِّ ذُو أَمَا تَشْتَكِي أَمَا تَتَكَلَّمُ؟
أَنْتَ لَا مَبِيتٌ فَبِئَلَى وَلَا حَيٌّـ فِيمَشِي، بَلْ كَائِنٌ لَيْسَ يَفْهَمُ
أَبَدًا بَرْمُقُ الْقَرَاغِ بِطَرْفِ جَامِدٍ، لَا يَرَى الْعَوَالِمَ، مُظْلِمُ
* * *

أَوِ بَلْ أَنْتَ فِي الشُّعُوبِ عَجُوزٌ فِيلَسُوفٌ مَحَطَّمٌ فِي إِهَابِهِ

في إهابة: في جلده

مَاتَ شَوْقُ الشَّبَابِ فِي قَلْبِهِ الدَّاءُ وَيِ وَعِزُّمُ الْحَيَاةِ فِي أَعْصَابِهِ

الذائبي: الذابل

فَمَضَى يَنْشُدُ السَّلَامَ بَعِيداً فِي قُبُورِ الزَّمَانِ خَلَفَ هَضَابِهِ

وَهُنَاكَ اضْطَفَى الْبَقَاءَ مَعَ الْأَمِّ وَاتٍ فِي قَبْرِ أُمِّسِهِ غَيْرَ آبِهِ

غير آبه: غير مهتم

وَارْتَضَى الْقَبْرَ مَسْكناً تَتَلَاشَى فِيهِ أَيَّامُ عُمْرِهِ الْمُتَشَابِهِ

وَتَنَاسَى الْحَيَاةَ وَالزَّمْنَ الدَّاءُ وَيِ، وَمَا كَانَ مِنْ قَدِيمِ رِغَابِهِ

فَالزَّمَ الْقَبْرَ فَهُوَ بَيْتٌ شَبِهُ بِكَ فِي صَمْتِ قَلْبِهِ وَخَرَابِهِ

وَاعْبُدِ الْأَمْسَ وَادْكُرْ صُورَ الْمَا ضِي فُذْنِيَا الْعَجُوزِ ذُكْرَى شَبَابِهِ

ادكر: تذكر

* * *

وَإِذَا مَرَّتِ الْحَيَاةُ حَوَالِيْ لَكَ جَمِيلاً كَالزَّهْرِ غَضّاً صَبَاها

إذا مرت الحياة بقربك وصباها جميل وغض، طري، كالزهر..

تَتَغَنَّى الْحَيَاةُ بِالشَّوْقِ وَالْعَزْ مَ فَيُخَيِّ قَلْبَ الْجَمَادِ غِنَاها

غناها: غناؤها

وَالرَّبِيعُ الْجَمِيلُ يَرْقُصُ فَوْقَ الْ وَرْدِ وَالْعُشْبِ مُنْشِداً تَبَاها

تباهاً: مختلاً فخراً

فَاخْذَرِ السَّخَرَ أَيُّهَا النَّاسُكَ الْقِدْ يَسُ إِنَّ الْحَيَاةَ يُغْوِي بَهَاها

يسخر من الشعب، ويسميه الناسك والقديس لأنه يعيش في الماضي

وَالرَّبِيعُ الْفَنَّانُ شَاعَرُهَا الْمَفْ تَوْنُ يُغْرِي بِحُبِّهَا وَهَوَاها

وَتَمَلُّ الْجَمَالَ فِي رِمَمِ الْمَو تَى بَعِيداً عَنْ سِحْرِهَا وَصَدَاها

تمل الجمال، تأمله بتمعن، في بقايا الموتى بعيداً عن سحر الحياة وصداها، أي صوتها

وتغزّل بِسِخْرِ أَيامِكَ الْأَوَّلَى وَخَلَّ الْحَيَاةَ تَخُطُّ خُطَاهَا
وابقْ بين الأموات أيها الشعب العجوز وتغزل بالماضي واترك الحياة تسير سيرها بدونك... يسخر
من الشعب المستكين المتعلق بالأوهام وبالماضي

* * *

وَإِذَا هَبَّتِ الطَّيُورُ مَعَ الْفَجْرِ رِثْنِي بَيْنَ الْمَرْجِ الْجَمِيلَةِ
وَأَفَاقَ الْوُجُودِ لِلْعَمَلِ الْمَجْدِ لِدِي وَلِلْسَعْيِ وَالْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ
وَمَشَى النَّاسُ فِي الشَّعَابِ وَفِي الْغَايَةِ، وَفَوْقَ الْمَسَالِكِ الْمَجْهُولَةِ
يَنْشُدُونَ الْجَمَالَ وَالنُّورَ وَالْأَفْنَ رَاحَ وَالْمَجْدَ وَالْحَيَاةَ النَّبِيلَةَ
فَاغْضُضِ الطَّرْفَ فِي الظَّلَامِ وَحَاذِرْ فَتْنَةَ النُّورِ فَهِيَ رُؤْيَا مَهُولَةٌ
وَصَبَّاحُ الْحَيَاةِ لَا يُوقِظُ الْمَوْتَ نَى وَلَا يَرْحَمُ الْجَفُونَ الْكَالِيلَةَ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يُسَايِرُ الزَّمْنَ الْمَا شَيْ بَعَزَمَ حَتَّى الثَّرَابِ وَدُودُهُ
كُلُّ شَيْءٍ إِلَّاكَ حَيَّ عَطُوفٌ يُؤْنِسُ الْكَوْنَ شَوْقُهُ وَنَشِيدُهُ
فَلِمَاذَا تَعِيشُ فِي الْكَوْنِ يَا صَا ح؟ وَمَا فَيْكَ مِنْ جَنَى يَسْتَفِيدُهُ
جنى: ثمار. لماذا تعيش أيها الشعب؟ وليس فيك ثمار يستفيدها الكون

لَسْتَ يَا شَيْخُ لِلْحَيَاةِ بِأَهْلٍ أَنْتَ دَاءٌ يُبِيدُهَا وَتُبِيدُهُ

* * *

أَنْتَ دُنْيَا يُظِلُّهَا أَفَقُ الْمَا ضِيٍّ وَلَيْلُ الْكَآبَةِ الْأَبَدِيِّ
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ وَالْكَوْنُ إِلَّا أَمْسَهَا الْغَابِرُ الْقَدِيمُ الْقَصِيُّ
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيُّ فِي الْأَرْضِ شَعْبٌ يَوْمُهُ مَبِيتٌ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ

٢٦ الناس

٨ ديسمبر ١٩٣٣

مَا قَدَّسَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى وَجَمَّلَهُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ حُلُمٌ
وَلَوْ مَشَى فِيهِمْ حَيًّا لَحَطَمَهُ قَوْمٌ، وَقَالُوا بِخُبْرٍ إِنَّهُ صَنَمٌ

٢٧ متاعب العظمة

١١ ديسمبر ١٩٣٣

إِذَا صَغُرَتْ نَفْسُ الْفَتَى كَانَ شَوْقُهُ صَغِيرًا فَلَمْ يَتَعَبْ وَلَمْ يَتَجَشَّمِ
وَمَنْ كَانَ جَبَّارَ الْمَطَامِعِ لَمْ يَزَلْ يُلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا ضَرَاوَةً قَشَعَمِ
قشعم: نسر

٢٨ نشيد الجبار

أو هكذا غنى بروميثيوس، ١٥ ديسمبر ١٩٣٣

سَاعِبِشْ رَغَمَ الدَّاءِ وَالْأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ الْقِمَّةِ الشَّمَاءِ
أَرْنُو إِلَى الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ هَازِنًا بِالسُّحْبِ وَالْأَمْطَارِ وَالْأَنْوَاءِ
وَأَسِيرُ فِي دُنْيَا الْمُشَاعِرِ حَالِمًا غَرْدًا، وَتِلْكَ سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ
النُّورُ فِي قَلْبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي فَعَلَامٌ أَخْشَى السَّيْرِ فِي الظُّلُمَاءِ
وَأَقُولُ لِلْجَمْعِ الَّذِينَ تَجَشَّمُوا هَذْمِي وَوَدُّوا لَوْ يَخْرُ بِنَائِي
بخر: يسقط

وَعَدُوا يَشْبُونُ اللَّهُيبَ بِكُلِّ مَا وَجَدُوا لِيَسْهُوُوا فَوْقَهُ أَشْلَائِي
يَشْبُون: يشعلون، أشلائي: أطرافي
وَمَضَوْا يَمْدُونُ الْخَوَانَ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، وَبَرَتْشَفُوا عَلَيْهِ دِمَائِي:
الخوان: المائدة

إِنَّ الْمَعَاوِلَ لَا تَهْدُ مَنَاكِبِي وَالنَّارَ لَا تَأْتِي عَلَى أَعْضَائِي
وَإِذَا تَمَرَّدَتِ الْعَوَاصِفُ وَانْتَشَى بِالْهُولِ قَلْبُ الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
القبة الزرقاء: السماء

وَرَأَيْتُمُونِي طَائِرًا مُتَرَنِّمًا فَوْقَ الزَّوَابِعِ فِي الْفَضَاءِ النَّائِي
فَارْمُوا عَلَى ظِلِّي الْحِجَارَةَ وَاخْتَفُوا خَوْفَ الرِّيحِ الْهُوجِ وَالْأَنْوَاءِ
وَهَنَّاكَ فِي أَمْنِ الْبَيْوتِ تَطَارَحُوا غَثَّ الْحَدِيثِ وَمَيَّتَ الْآرَاءِ
وَتَرَنَّمُوا مَا شِئْتُمْ بِشَتَائِمِي وَتَجَاهَرُوا مَا شِئْتُمْ بِعَدَائِي

٢٩ الاعتراف

١٧ فيفري/ فبراير ١٩٣٤

ما كنتُ أَحْسَبُ بعدَ موتِكَ يا أبي وَمَشَاعِرِي عَمِيَاءُ بِالْأَحْزَانِ
أَنْتِي سَاطِئَةً لِلْحَيَاةِ وَأَحْتَسِي مِنْ نَهْرِهَا الْمَتَوِّجِ النَّشْوَانِ
حَتَّى تَحَرَّكَتِ السُّنُونُ وَأَقْبَلْتَ فَتَنُ الْحَيَاةِ بِسِحْرِهَا الْفَتَّانِ
فَإِذَا أَنَا مَا زِلْتُ طِفْلاً مَوْلِعاً بِتَعَقُّبِ الْأَضْوَاءِ وَالْأَلْوَانِ
وَإِذَا التَّشَاوُمُ بِالْحَيَاةِ وَرَفْضُهَا ضَرَبُ مِنَ الْبُهْتَانِ وَالْهَذْيَانِ
هذا من أجمل الرثاء.. ما كان يظن عند موت والده الحبيب أنه سيجب الحياة، ولكنه بعد حين
نسي.. لأنه متفائل

٣٠ شكوى ضائعة

٥ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

يا لَيْلُ مَا تَصْنَعُ النَّفْسُ الَّتِي سَكَنْتُ هَذَا الْوُجُودَ وَمِنْ أَعْدَائِهَا الْقَدْرُ؟
تَنْهَدُ اللَّيْلُ حَتَّى قُلْتُ قَدْ نُثِرْتُ تِلْكَ النُّجُومُ، وَمَاتَ الْجَنُّ وَالْبَشَرُ
وَعَادَ لِلصَّمْتِ يُضْغِي فِي كَأَبِيهِ كَالْفِيلَسُوفِ إِلَى الدُّنْيَا، وَيُفْتَكِرُ
وَقَهْقَهَ الْقَدْرُ الْجَبَّارُ سُخْرِيَةً بِالْكَائِنَاتِ. تَضَاحَكَ أُيُّهَا الْقَدْرُ
تَمْسِي إِلَى الْعَدَمِ الْمَحْتَوِمِ بَاكِئَةً طَوَائِفُ الْخَلْقِ وَالْأَشْكَالُ وَالصُّورُ
وَأَنْتَ فَوْقَ الْأَسَى وَالْمَوْتِ مَبْتَسِمٌ تَرْنُو إِلَى الْكَوْنِ يُبْنَى ثُمَّ يَنْدِيرُ

٣١ الحساس

١٠ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

الشاعرُ الموهوبُ يُهْرَقُ فَنَّهُ هَذِرًا عَلَى الْأَقْدَامِ وَالْأَعْتَابِ
وَالْعَالِمُ التَّخْرِيرُ يَنْفِقُ عُمْرَهُ فِي فَهْمِ الْفَاطِ وَدَرْسِ كِتَابِ
التحرير: العلامة

يَحْيَا عَلَى رِمَمِ الْقَدِيمِ الْمُجْتَوَى كَالدُّودِ فِي حُمَمِ الرَّمَادِ الْخَابِي
المجتوى: المهجور المكروه، حمم الرماد الخابي: سواد الرماد المنطفئ

والشعبُ بينهما قطيعٌ ضائعٌ دُنِيَاءُ دُنِيَا مَأْكُلٍ وَشَرَابٍ

الوَيْلُ لِلْحَسَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ ماذا يُلاقِي من أَسَى وَعَذَابِ

٣٢ فلسفة الثعبان المقدس

٢٠ أوت/ أغسطس ١٩٣٤

كان الربيعُ الحيُّ روحاً حالماً غَضَّ الشَّبَابُ معْطَرِ الجِلْبَابِ
والشاعرُ الشَّخْرُورُ يرقُصُ مُنْتَبِداً للشمسِ فوقَ الوَرْدِ والأعشابِ
الشحور: المفرد

شِعْرَ السَّعَادَةِ وَالسَّلَامِ، وَنَفْسُهُ سَكْرَى بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخَلَابِ
ورآه ثعبانُ الجبالِ فَعَمَّهُ ما فيه من مَرَحٍ وَفَيْضِ شَبَابِ
وانقَضَ مُضْطَغِناً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَوْطُ الْقَضَاءِ وَلَغْنَةُ الْأَرْيَابِ
مضطغناً: حاملاً الضَّنْ أي الحقد

بَغَتْ الشَّقِيئُ فَصَاحَ مِنْ هَوْلِ الْقَضَا مَتَلَفَتَا لِلصَّائِلِ الْمُنتَابِ:
الصائل: الهاجم، الذي يصول، المتتاب: المقتحم

لا شَيْءَ إِلَّا أَنَّنِي مُتَغَزِّلٌ بالكائناتِ مُغَرَّدٌ فِي غَابِي
وَسَعَادَةُ الضُّعَفَاءِ جُزْمٌ مَا لَهُ عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدِّ عِقَابِ
لَا عَدْلٌ إِلَّا إِنْ تَعَادَلَتِ الْقُوى وَتَصَادَمَ الْإِرْهَابُ بِالْإِرْهَابِ
فَتَبَسَّمَ الثَّعْبَانُ بِسَمَةِ هَازِيٍّ وَأَجَابَ فِي سَمْتٍ وَفَرَطٍ كِذَابِ
في سمت: في وقار

إِنِّي إِلَهُ طَالَمَا عَبَدَ الْوَرَى ظَلَمْتُ وَخَافُوا لَعْنَتِي وَعِقَابِي
وَسَعَادَةُ النَّفْسِ التَّقِيَّةِ أَنَّهَا يَوْمًا تَكُونُ ضَحِيَّةَ الْأَرْيَابِ
أَقْلًا يَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّتِي فَتَحِلَّ فِي لَحْمِي وَفِي أَعْصَابِي
وَتَكُونَ عَزْماً فِي دَمِي وَتَوْهْجاً فِي نَاطِرِي، وَحِدَّةً فِي نَابِي
يريد الثعبان أن يفترس الشاعر ليكسب من لحمه قوة وعزماً. وكذا الزعيم المتسلط الذي يرسل الآلاف إلى الحرب فالموت، فهو يزعم لهم أن دعاءهم سيشد عزم الأمة وتقويها

وتذوبُ فِي رُوحِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي وَتَصِيرُ بَعْضَ أُلُوهَتِي وَشَبَابِي
إِنِّي أَرَدْتُ لَكَ الْخُلُودَ مُؤَلَّهاً فِي رُوحِي الْبَاقِي عَلَى الْأَحْقَابِ

فَأَجَابَهُ الشُّخْرُورُ فِي غُصَصِ الرَّدَى وَالْمَوْتُ يَخْنُقُهُ إِلَيْكَ جَوَابِي:
 لَا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعِيفِ، وَلَا صَدَى وَالرَّأْيُ رَأْيُ الْقَاهِرِ الْعَلَّابِ
 فَا فَعَلَ مَشِيئَتَكَ الَّتِي قَدْ شِئْتَهَا وَارْحَمْ جَلَالَكَ مِنْ سَمَاعِ خِطَابِي
 وَكَذَاكَ تَتَّخِذُ الْمَظَالِمَ مَنَظِقًا عَذْبًا لِتُخْفِي سَوَاءَ الْآرَابِ

سواء الآراب: عورة الأهداف الشنيعة. وقف تشرشل - مثلاً - في البرلمان البريطاني،
 بعد أن ابتلع هتلر نصف أوروبا، وقال في خطبته المشهورة إن بريطانيا ستحارب في
 كل مكان إلخ إلخ. . و«إمبراطوريتنا وراء البحار، مسلحة ومحروسة بالأسطول
 البريطاني، ستواصل الكفاح» قالها وكان «إمبراطوريتهم» يجب أن تعاني ويموت
 أبناؤها من أجلهم

أبو القاسم الشاذلي فهرس القوفى

٢٣	القَدَرُ	٢٨	السَّمَاءُ
١٣	بِفَاسِي	٣٢	الجِلْبَابِ
١٤	نَفْسِي	٥	الرَّهِيْبِ
٤	وَقَسُّ	٢١	لِلْأَغْرَابِ
٨	الكهوف	٣١	والأعتابِ
١٧	الْأَمَلُ	٢٢	الْآتِي
٢٦	حُلْمُ	١	مَبَاحَةُ
٢٥	والأحلامُ	٦	الْوَرْدَا
٣	وَصَمَّمُوا	١٦	الجَدِيدِ
٩	لِظَلَامِي	١٥	وَانْفِرَادِي
٢٧	يَتَجَسَّمُ	١٠	وُجُودِي
٢٩	بِالْأَحْزَانِ	٢٠	وَدُودِ
٢٤	وَالرَّيْتُونِ	١٨	الْخُدُودِ
١٢	الدَّوَاهِي	٧	يَعُودُ
١١	سَمَاهُ	٣٠	الْقَدْرُ
١٩	غَايَةُ	٢	الْأَمِيرِ

فهد العسكر

(١٩١٥ - ١٩٥١)

خلق الله فهد العسكر إنساناً، وجلاه عبد الله الأنصاري شاعراً، وجَلّوته لك شاعراً كبيراً.

لولا صديقه هذا، عبد الله الأنصاري، الذي جمع أشعاره في طبعة أولى، ثم ثانية مزيدة، ثم ثالثة مزيدة، ثم رابعة مزيدة، ثم خامسة مزيدة.. ففي كل طبعة قصائد تضاف مما يكتشفه الصديق في أوراقٍ عند أصدقاء الشاعر وفي طوايا الجرائد، لانطوى فهد العسكر.

وجئتُ إلى هذا الشاعر الكويتي فأمطت عن أشعاره ركام الحشو.

اقرأ كتاب الأنصاري، الذي يحتوي على ديوان فهد العسكر، تجدك غائصاً في البحر تملأ كيسك بالمحارات، وينالك الإعياء وأنت تفتحها، ثم لا تخرج لك اللؤلؤة إلا بعد كثير من حبس الأنفاس، وقراع القواقع. وقرأ الصفحات المقبلة تجد اللؤلؤ.

تراني معجباً بعملِي، وهو أهون عمل! بل أنا فخورٌ به.

لم أسعد بتنخيلي شاعراً من الشعراء مثلما سعدت وأنا أنخل لك فهد العسكر. كان يطيل، ويحشو، ويسمح للوزن أن يجره إلى حيث لا يجد قافية، فيضع في نهاية البيت لَبنة تبدو ناتئة في بناء القصيدة.

روحه بارزة في كل شعره، غير أن روح كل شويعر ونويثر قد تبرز فيما يقولان. تبقى الصنعة وتبقى وثبات الخيال. فأما الصنعة فقد توفرت القدرة عليها لفهد العسكر، فهو صاحب وزن محكم ولغة طيبة، على ضيقٍ في معجمه، غير أنه لم يمتلك راحة البال ليصفي شعره، ولم يمتلك من العمر ما

يوصله إلى مرحلة التحكيك، ولا هو امتلك الثقافة العريضة. وأما وثبات الخيال فهي ما كنت ألهث وراءه وأنا أنتخب من شعر الرجل. ويضاف إلى محاسن شعر فهد العسكر أنه عبّر عن حرمان شديد، وعن تمزق بين مجتمع شبه بدائي وبين أفكار واردة تعاني من غربة في هذا المجتمع، وعبّر عن بوهيمية غير مألوفة في ذلك المكان والزمان. هذا شاعر خمريات في بلد لا تزال الخمر فيه ممنوعة بالقانون حتى يومنا هذا.

شيّع فهد العسكر إلى قبره خمسة غرباء لا نعرف منهم إلا إمام المسجد. فقد كان شاعرنا خلع نفسه من الأسرة قبل أن تخلعه أو بعد أن خلعه، وعاش عزباً فقيراً في غرفة في سوق واقف بالكويت. وفقد بصره في أخريات سنيه. ولم يشهد العسكر كويت النفط إلا قليلاً، إذ مات عام ١٩٥١، بعد خمس سنوات فقط من إقلاع أول ناقلة تحمل نפט الكويت.

عاش فهد على خمر النخل تأتيه من العراق. وعاش على شوق للتماس الجسدي مع «حواء»، فإن لم يتيسر، ولم يتيسر، فلا بأس بغلام، ولم يتيسر. وغلف أحلامه الجنسية بما استطاع التقاطه من ألفاظ حركة أبوللو الرومنسية.

ازدحمت حياته القصيرة، ٣٦ عاماً - بين ١٩١٥ و ١٩٥١ -، بضروب الحرمان، غير أنه أتيح له أصدقاء، ممن استنشق رياح الفكر اليساري أو الليبرالي، فحفظوا لنا ما وصلنا من شعره. وكان ينشر بعض أشعاره التي فيها قدر من التحرر والتمرد في جريدة «البحرين» في أوائل الأربعينات.

كان صديقه عبد الله الأنصاري في مصر وقت وفاته، فلم نعرف عن مرضه وموته سوى أن أياً من أهله أو صحبه لم يشيعه.

وقد رأيت في شعر فهد العسكر تخميسات. وهي ثلاثة أشطر بينها الشاعر فوق بيت لشاعر مشهور. خمّس فهد أبياتاً من قصيدة للمنتبي، ونقلناها. كما خمّس أبياتاً من عدة قصائد لشوقي. والتخميس تمرين كان يقوم به الشاعر الناشئ. وكان يحدث أن يقوم به الشاعر الفحل في الزمن غير الفحل. ولم أجرب التخميس قط. فلما عزمت على اقتباس شيء منه لشاعرنا، قلت: فلأجربه بنفسه حتى أحس به. فخمست أبياتاً للمعري:

رَحَمُوا ظَهْرَهَا وَسَارُوا حَيَارَى وَتَوَارَى فِي بَطْنِهَا مَن تَوَارَى
وَقَضَى اللَّهُ لِلْوَرَى اسْتِمْرَارَا «رَبِّ لَخِدٍ قَدْ صَارَ لَخِداً مِرَارَا»

«ضاحِكٌ مِنْ تَزَاخُمِ الْأَضْدَادِ»

يَعْتَرِينَا فِي الْحَيِّينَ بَعْدَ الْحَيِّينَ نَازِلًا بِالْكَعَابِ وَالْحَيِزُبُونِ
فِي حَشَا الْأَرْضِ كَمَ حَشَا مِنْ خَدَيْنِ «وَدَفِينِ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ»

«فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ»

تَعَبَ السَّوْطُ مِنْ ظُهُورِ الرَّفَاقِ ثُمَّ أَوْدَى اخْتِرَائُهُمْ بِالْبَوَاقِي
مَا شَبِهَهُ الشَّامِيُّ إِلَّا الْعِرَاقِي «وَشَبِيهُ صَوْتُ النَّعِيِّ إِذَا قِي»
«سَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ»

الآن إلى ما اخترناه من شعر فهد العسكر. فإن شئت أن تسمع قصيدة -
قصة، تعصف بما كان يصنعه الرصافي من هذا اللون عصفاً، فأسرع في قلب
الصفحات لتصل إلى قصيدة طويلة نقلنا منها طويلاً، فوق الثلاثين بيتاً، فهي من
أرق الشعر وأحلاه، وسميناها «عروس البحر».

١ لغة القوة

يَا بَنِي الْعُرْبِ إِنَّمَا الضَّعْفُ عَارٌّ إِي وَرَبِّي، سَلُّوا الشُّعُوبَ الْقَوِيَّةَ
كَمْ ضَعِيفٌ بَكَى وَنَادَى فَرَاخَتْ لِبُكَاهِ تُقَهِّقُهُ الْمِدْفَعِيَّةَ
لُغَةُ النَّارِ وَالْحَدِيدِ هِيَ الْفُصْ حَى، وَحَظَّ الضَّعِيفُ مِنْهَا الْمَنِيَّةَ
هَا هِيَ الْحَرْبُ أَشْعَلُوهَا فَرَحُهَا لَكَ إِلَهِي بِالْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةَ
يَا بَنِي الْفَاتِحِينَ حَتَّى مَ نَبْقَى فِي رُكُودٍ؟ أَبْنِ النُّفُوسُ الْأَبِيَّةَ
العرب هم أبناء الفاتحين في الزمن القديم

٢ آمنيات

في الترحيب ببعثة تعليمية من فلسطين، ١٩٣٦:

بِاللَّهِ يَا رُسُلَ الثَّقَافَةِ خَبِّرُوا نَا، كَيْفَ حَالُ الْأُخْتِ يَا إِخْوَانِي
أَعْنِي فَلَسْطِينًا، وَكَيْفَ أَمِينُهَا وَجُنُودُهُ وَبَقِيَّةُ السُّكَّانِ
أَمِينُهَا: الحاج أمين الحسيني مفتي القدس والزعيم السياسي

مَا وَعَدُ بَلْفُورِ سِوَى أُمْنِيَّةٍ وَنِدَاؤُهُ صَرْبٍ مِنَ الْهَذْيَانِ
وَقَوْلِكَ يَا فَهْدَ أُمْنِيَّةٍ. أعلّق على بيتك هذا في أبريل ٢٠١٧، وبعد أشهر ستحل الذكرى المئوية
لوعد بلفور، ورئيسة وزراء بريطانيا تيريزا ماي تصرح قبل أيام فقط بأن بلدها فخور بهذا الوعد

يَا نَشْرُءَ هَلْ مِنْ نَهْضَةٍ نُحْيِي بِهَا الْـ حَجْدَ الْأَثِيلَ كَنَهْضَةِ الْجَبَابِ

الْأَثِيلُ: القديم الثابت، الجبابان: اليابان

يَا نَشْرُءَ وَأَسْفَا عَلَى دِينَ عَدَا أَحْبُولَةً لِلْأَصْفَرِ الرَّنَّانِ

أحبولة: شَرَكٌ للصيد، الأصفر الرنان: الذهب

كَيْفَ النَّهْوضُ بِأَمَّةٍ بِلَهَاءَ، لَا تَنْفَكُ عَاكِفَةً عَلَى الْأَوْثَانِ
بِالَّذِينَ قَدْ نَالَ الْجُدُودُ مِنْهُمْ وَغَدُوا، وَرَبِّي، بِهَجَةِ الْأَزْمَانِ
فَتَحُوا الْفُتُوحَ وَمَهَّدُوا طُرُقَ الْعُلَا وَاسْتَسْلَمَ الْقَاصِي لَهُمُ وَالِدَانِي

٣ كُفِّي الْمَلَام

كُفِّي الْمَلَامَ وَعَلِّلِيْنِي وَتَنَاهَيْتْ كَيْدِي الشُّجُو
وَطَنِي! وَمَا أَقْسَى الْحَبَا وَطَنِي! وَأَذْتُ بِكَ الشُّبَا
وَطَنِي! وَمَا سَاءَتْ بِقَيِّ رَقَّضُوا عَلَى نُوحِي وَإِعْدِ
فَالشُّكُّ أَوْدَى بِالْبَقِيْنِ نْ، فَمَنْ مُجْبِرِي مِنْ شُجُونِي؟
ةٍ بِهٍ عَلَى الْحُرِّ الْأَمِينِ بَ وَكُلَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينِي
رِ بَنِيكَ يَا وَطَنِي ظُنُونِي وَالِي وَأَظَرَبَهُمْ أَنِينِي

الإعوال: البكاء والعويل

وَتَحَامَلُوا ظُلْمًا وَعُدْ فَعَرَفْتُهُمْ وَتَبَذْتُهُمْ
وَتَطَاوَلُ الْمُتَعَصِّبُو يَا قَوْمُ كُفُّوا؛ دِينُكُمْ
لَيْلَى تَعَالَى زُودِيْنِي وَدَعِي الْعِينَابَ إِذَا التَّقْبِ
هَيْمَانَ كَالْمَجْنُونِ أَخَذَ حَفَّتْ بِي الْأَشْبَاحُ صَا
لَيْلَى إِذَا حُمَّ الرَّحِيْبِ وَاَنَا عَلَيَّ وَأَرْهَقُونِي
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُونِي نْ، وَمَا كَفَرْتُ، وَكَفَرُونِي
لَكُمْ، وَلِي يَا قَوْمُ دِينِي قَبْلَ الْمَمَاتِ وَودَّعِينِي
نَا، أَوْ فَنِي رَفْتِي وَلِينِ بَطُ فِي الظَّلَامِ فَأَخْرِجِينِي
رِخَةً، بِرَبِّكَ أَنْقِذِينِي لُ وَغَمَّ قَبْسُكَ بِالْأَنِينِ

حم: اقترَب

وَلَفَظْتُ رُوحِي فَاطْبَعِي قُبِّلَ الْوَدَاعُ عَلَى جَبِينِي
وَإِذَا دُفِنْتُ قَبِّلْ لِي بِالنَّمْعِ قَبْرِي وَادْكُرْ لِي

٤ الصاهر المذيب

صَهَرْتُ فِي قَدَحِ الصَّهْبَاءِ أَحْزَانِي وَصُغْتُ فِي دَوْبِهَا شِعْرِي وَالْحَانِي
وَبْتُ فِي غَلَسِ الظُّلَمَاءِ أَرْسِلْهَا مِنْ غَوْرِ رُوحِي وَمِنْ أَعْمَاقِ وَجْدَانِي
الغلس: ظلام آخر الليل، والغسق ظلام أوله

يَا سَاقِي الْخَمْرِ لَا شَلَّتْ يَدَاكَ أَذِرْ بِنْتَ النَّخِيلِ فَإِنَّ الصَّخَوَ أَضْنَانِي
شَلَّتْ: أصيبت بالشلل، بنت النخيل: خمر التمر

٥ اترك العود

هَاتِ يَا سَاقِي، هَاتِ بِنْتَ النَّخِيلِ فَعَسَاهَا تَشْفِي عَسَاهَا عَلِيلِي
بنت النخيل: خمر التمر، وهو عَرَقٌ كَانَ يُجْلَبُ مِنَ الْعِرَاقِ

هَاتِهَا عَلَّنِي أَذُوبُ أَتْرَا حِي فِيهَا، وَدَعْ هُرَاءَ الْعَدُولِ
وَأَتْرُكُ الْعُودَ، وَاسْقِنِيهَا عَلَى نَوْ حِ فُوَادِي خِذْنِ الضَّنَى وَعَوِيلِي
أترك عزف العود واسقني الخمر على صوت نواح فُوَادِي خِذْنِ الْأَلَمِ، أَي رَفِيقِهِ

جَاءَ تَحْرِيمُهَا، وَلَيْسَ عَلَيْنَا بَلْ عَلَى كُلِّ سَافِلٍ وَجْهُوْلٍ
فِيَصْدِرِ الْمَكْرُوبِ نَارٌ تَلْطَئِي أَوْقَدَتْهَا الْأَشْجَانُ عِنْدَ الرِّحِيلِ
لَمْ تَطُبْ لِي دُنْيَا الشَّقَاءِ فَوَالْهِ فِي شَوْقِي لِلْعَالَمِ الْمَجْهُولِ
أَيُّهَذَا الْخَلْبِجُ شَرَّدَتْ أَحْلَا مِي، فَدَعْ لِي عَوَاطِفِي وَمُيُولِي
إِنَّ لِي فِيكَ، وَالْمَحَبَّةَ قَيْدُ، أَغْبِيدُ إِذَا خَلَقْتَ وَخُلِقْتُ نَبِيلِ
وَجَبِينِ زَاهٍ وَقَدْ رَشِيقِ وَعَيُونِ نَشْوَى وَخَدَّ أَسِيلِ
عيونه نشوى، سكرانة ذابلة، وخده أسيل، أي طويل

وَمُحَيًّا كَالْبَدْرِ شَعَّ سَنَاهُ أَوْ كَسَمْسِ الرَّبِيعِ عِنْدَ الْأَقُولِ
سناء: ضوءه

وَطِبَاعِ أَرْقٍ مِنْ بَسْمَةِ الْفَجْجِ مِرِّ وَرُوحِ أَنْقَى مِنَ السَّلْسَبِيلِ

وَانْطَوَتْ شِقَّةُ النَّوَى وَالتَّقِينَا بَعْدَ لَايٍ وَبَعْدَ قَالٍ وَقِيلِ

بعد لأي: بعد إبطاء

فَسَفَحْتُ الدَّمُوعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ فِي شِبْهِ حَيْرَةٍ مَذْهُولِ

سفحت: سفكت

يَنْكُتُ الرَّمْلَ مُطْرِقاً وَأَنَا أَشُدُّ كُؤُ إِلَيْهِ آلَامَ دَائِي الْوَيْبِلِ

ينكت: نقول بالعامية ينكش، والجالس أرضاً على الرمل في موقف حرج من شأنه أن ينكت الرمل
بعود أو ياصبع

أَوْ مَا أَعْطَشَ الْفَوَادَ إِلَى دَمِّ عَةِ عَطْفٍ مِنْ جَفْنِهِ الْمَكْحُولِ

يَا لِمَرَأَى الدَّمُوعِ وَهِيَ بَنَاتُ الشَّدِّ عَرٍ فِي مُقْلَةٍ الْحَيِّ الْحَجُولِ

فَحَرَجْنَا مِنْ صَمْتِنَا وَاعْتَنَقْنَا وَأَخَذْنَا بِالضَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

وَشَرَبْنَا بِنْتَ النَّخِيلِ وَمَا أَعْدُ لَذَبَهَا فِي ظِلِّ الْوِصَالِ الظَّلِيلِ

فَسَكِرْنَا فَرُحْتُ أَنْشُدَ شِعْراً وَهُوَ يُضْغِي لِشِعْرِي الْمَغْسُولِ

المغسول: الحلو كأنه مخلوط بالحل

لَيْلَةٌ ذَكَرِيَاثُهَا مِلءٌ ذَهْنِي وَهِيَ فِي ظُلْمَةِ الْأَسَى قَنْدِيلِي

لَيْلَةٌ لَا كَلِيلَةَ الْقَدْرِ بَلْ خَيْدُ رٌ وَخَيْرٌ، وَاللَّهُ، مِنْ أَلْفِ جِيلِ

رُبَّ صَمْتٍ يَا صَاحِ أَوْقَعِ بَلْ أَبْ لَعُ فِي سِحْرِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ

التنزيل: القرآن

وَدُمُوعُ الْعُشَّاقِ فَيُضُّ مِنَ الْخُلْدِ بِدِ وَشِعْرٌ يُزْرِي بِشِعْرِ الْفُحُولِ

وُخُفُوقُ الْقُلُوبِ ضَرْبٌ مِنَ النَّسْدِ بِيحٍ عِنْدَ الْلِقَاءِ وَالتَّهْلِيلِ

النسيح: قوله «سبحان الله»، التهليل: قوله «لا إله إلا الله»، والاستغفار.. نستغفر الله من هذا
التجديف

٦ أَشْعِلْنِي

بِكَ بِالشَّوْقِ بِالضَّنَى يَا جَارَةَ أَسْعِفْنِي بِالْكَأْسِ وَالسَّيْجَارَةِ

بك: أي أستجد بك

أَخْرِجْنِي مِنَ الظَّلَامِ إِلَى النُّورِ، وَفَرَضُ أَنْ يُسَعِفَ الْجَارُ جَارَةَ

يا عروس الأحلام بالله هاتي وخذي. ولتفص هذي البكارة
أشعلي يلك وأترعي هذه من خمرة الرافدين هاتيك نارة
أشعلي السجارة، واملاي الكأس من خمرة العراق

ودعيني ما بين سيجارتي والـ كأس أبكي الصبا وأخذ نارة
خففي العتب، أوصدي الباب، قومي واظمئني، فالشيخ غادر داره
لست أخشى عليك من أمك الشو فكم رحت بهذي الزيارة
يا ابنة الشيخ يا منى النفس يا ريد حانة الحي! أوقد الشوق نارة
إنقعي غلتي فبين ضلوعي خافق شقه الصدى لا حجارة
انقعي غلتي: اروي عطشي، خافق: قلب، الصدى: العطش

ذاب قلبي أو كاد يا ربة الحسـ ن، خذيه واستطلمي أسراوه

٧ اذكريني

أذكريني كلما الصيف أتى يحمل البشري لأرباب العرام
قال أحمد رامي، وغتها أم كلثوم في لحن السباطي عام ١٩٣٩: «اذكريني كلما الفجر بدا».
وشطر رامي أخذه الرحبان كما هو وغته فيروز

فالتفت كل فتاة وفتى فإذا الدنيا سلام وابتسام

* * *

أذكريني كلما جاء الخريف نائراً ما نظمت كف الربيع
الخريف يثر أوراق الشجر التي أنبتا الربيع فكانه نظمها بيده، وثمة تورية لا تخفى بين النثر
والنظم

ماجياً كل أنيتي ولطيف ماسخاً كل جميل وبديع

* * *

أنا إن مت أفيكم يا شباب شاعر يرثي شباب العسكر؟
بائس مثلي عضته الذئاب فعدا من هم في سقر

هل فيكم بائس مثلي عضته ذئاب هذه الحياة فاصح من الهم في جحيم؟

٨ يعترف بوجوده

قَبْلَ فِدَيْتِكَ بِسَمِي دَغٍ جِيْدِي وَإِلَى اللَّقَاءِ صَبَاحَ يَوْمِ الْعِيْدِ
فَتَاتِهِ تَخَاطَبُهُ

لَا تَقْتَرِبْ مِنْ دَارِنَا هُمْ أَقْسَمُوا أَنْ يَقْطَعُوا، إِنْ جِئْتَ، حَبْلَ وَرِيْدِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَثَارَ شُكُوكَهُمْ حَوْلِي، قِيَامِي بِالْذُّجَى وَقُعودِي؟
تقول الفتاة: هل ثارت شكوك أهلي حولي لكثرة ما أصحو في الليل قلقاً؟

وَتَأْفُفِي وَتَلْهُفِي وَتَبْرُمِي بِهِمْ، وَهَذَا دَيْدُنُ الْمَفْزُودِ
ديدن المفزود: عادة المصاب في قلبه

أَكْثِرَةَ الشُّكُوى! حَنَانِيكَ، أَهْدَأِي وَتَرْقُقِي بِالشَّاعِرِ الْمَنْكُودِ
يرد عليها.. يا كثيرة الشكوى! حنانيك، أي رويدك، واهدأي، وارققي بالشاعر المعذب
الصُّبْحُ لَمْ يُسْفِرْ، وَأَهْلِكَ نَوْمٌ قُومِي مَعِي نَحْسُو الْمُدَامَ وَعُودِي
نحسو: نشرب

فَتَرَدَّدَتْ وَتَمَلَّمَتْ وَتَنَهَّدَتْ وَبَكَتْ، وَطَوَّقَ سَاعِدَاهَا جِيْدِي
قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الشُّوَيْطِي، قَلْتُ: لَا فَهُنَاكَ كُلُّ مُفْنَدٍ وَحَسُودِ
المفند: اللائم الذي يخطئ صاحبه

وَهُنَا الْأَمَانُ، وَهَهُنَا مَا شَتَّ مِنْ بِنْتِ النَّخِيلِ أَوْ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ
بنت النخيل: عرق التمر، ابنة العنقود: خمر العنب

مَا إِنْ أَقُولُ لَهَا خُذِي مَعْبُودَتِي إِلَّا وَقَالَتْ: هَاتِ يَا مَعْبُودِي
هَاتِ اسْقِنِيهَا لَا تُعَكِّرْ صَفْوَهَا دَعْهَا بِلَا مَزْجٍ وَلَا تَبْرِيْدِ
فَلَكُمْ أَثَارَتْ غَافِي الْإِحْسَاسِ بِي وَكَمْ اعْتَرَفْتُ أَمَامَهَا بِوُجُودِي

٩ إلى الكنيسة

قَالَتْ وَقَدْ مَسَحَتْ دُمُوعِي: لَا تَنْخُ وَمَعِي اغْتَبِقْ يَا عَنْدَلِيبُ وَغَرَّدِ
اغتبِق: اشرب الخمر مساءً، والعَبُوقُ شراب المساء وضده الصُّبُوح

قَدْ قِيلَ لِي بِالْأَمْسِ إِنَّكَ شَاعِرٌ فَاشْرَبْ عَلَى نَخْبِي. فَلَمْ أَتَرَدَّدِ

ما كان أَرْحَمَ صَوْنَهَا وَأَرْقَهُ حِينَ انْتَشَتْ، وَشَدَّتْ، وَقَالَتْ: أَنْشِدِ
انتشت: سكرت

فَسَرِنْتُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً إِلَى سَبْعٍ. فَقَالَتْ: خُذْ، وَزِدْ، وَبِيْ افْتَدِ
فَلِحُسْنِ حَظِّيْ أَنَّنِيْ لَمْ أَنْصَرِفْ حَتَّى ظَفِرْتُ بِقُبْلَةٍ وَبِمَوْعِدِ
كل هذا الشراب على قيلة!

يَا صَاحِبِيْ قَدْ كَانَ مَا شَاءَ الْهَوَى فإِلَى الْكَنِيسَةِ سِرْ بِنَا لَا الْمَسْجِدِ
إِنْ قَبِلَ جُنَّ فَإِنَّ عُدْرِيْ وَاضِحٌ أَوْ قَبِلَ تَاهَ ففِي بَدْيِهَا مَقُودِي
أَوْ قَبِلَ ضَلَّ فَلَسْتُ قَبْلَ زِيَارَتِي وَتَدْلُهُي بِالزَّاهِدِ الْمُتَعَبِّدِ
إِنْ قَلَمْتُ إِنِّي ضَلَلْتُ بِالذَّهَابِ إِلَى كَنِيسَتِهَا وَتَدْلَهَتْ وَتَوَلَّهَتْ بِجَبْهَاءِ، فَأَنَا مِنْ قَبْلِ هَذَا لَمْ أَكُنْ مُتَعَبِّدًا

بِاللَّهِ هَلْ تُطَوِّى السَّمَاءَ إِذَا هَفَا وَصَبَا لِمُشْرِكَةٍ فَوَادُ مُوَحِّدٍ؟
هفا: مال، صبا: أحب.. وهي مشربة بمعنى «صبأ» أي ارتدَّ عن الدين.. ولا نظنه قصد إلى هذا المعنى

فَالْيَوْمَ قَادَتْ مَنْ تُحِبُّ لِدِينِهَا وَعَدَا يَمُودُ بِهَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ

١٠ الظبي المتحكم

ظَبِيٌّ تَحَكَّمَ بِي وَلَا تَلُمِ الْعَزَالَ إِذَا تَحَكَّكُمُ
قَسَمًا بِرِدْفَيْهِ، وَكُمُ مِنْ مُدْنَفٍ بِالرَّدْفِ أَفْسَمُ
مدنف: مريض عشقاً

أَشْكُو الْقَوَامَ لِخَضْرِهِ مُتَظَلِّمًا، وَالْخَضْرُ أَظْلَمُ
اللَّهَ فِيَّ، فَإِنَّ كَأْسِي مِلْؤُهَا بِهَوَاكَ عَلَقَمُ
الله: أي اتقي الله

كَتَمْتُ حُبَّكَ مُرْغَمًا وَالْحَيُّ يُقْتَلُ حِينَ يَكْتُمُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الشَّكَاةِ، وَكُلُّ مَنْ فِي الْحَيِّ لَوَمٌ

١١. المتيمم

قال عام ١٩٣٨:

وَتَقُولُ لِي وَالكَأْسُ خَضَبَ كَفِّهَا إِنِّي لَأَهْوَى الضَّمَّ وَالتَّقْبِيلَا
الكأس صبغت كفَّها بلون الخمر

فَتَخَالْنَا فَوْقَ الرَّمَالِ، وَنَحْنُ فِي سُكْرِ الْغَرَامِ، بُثْنَةً وَجَمِيلًا
قَدَمْتُ قُرْبَانًا لِمَذْبَحِ حُبِّهَا رُوحِي، مَتَى كَانَ الْمُحِبُّ بِخِيَلَا
حَوَاءَ! وَالْهَفَى عَلَيْكَ، فَمَا سَلَا قَلْبِي؛ وَلَا أَرْضَى سِوَاكَ بَدِيلًا
سلا: نسي حبيبه

١٢ بيع الفتاة

رَجُوكِ وَأَسْفَاهُ فِي سِجْنِ التَّقَالِيدِ الْقَدِيمَةِ
لَا دَرَ دَرَكٌ مِـــــــنْ أَبٍ قَطُّ وَوَالِدَةٍ لَسِيمَةٍ
يَا قَاتِلَ اللَّهِ التَّعَصُّبَ - بَ، كَمْ تَمَحَّضَ عَنْ جَرِيمَةٍ
* * *

قَدْ أَدْخِلْتُ لَيْلًا عَلِيًّا هِ، فَكَانَ لَيْلًا سَرْمَدًا
زوجوها ممن لا تحب فكان ليلها معه أبدًا

شَلَّتْ يَدَاهُ فَكَمْ بِهَا عَائِثٌ، أَلَا شَلَّتْ يَدَا
شَلَّتْ: أَصَابَهَا الشَّلَلُ، يَدْعُو عَلَيْهِ؛ فَكَمْ قَدْ عَائِثَ هَذِهِ الْيَدِ فَسَادًا بِمِشَاعِرِ هَذِهِ الْفَتَاةِ
وَحَسَا عَلَى صَرَخَاتِهَا دَمَهَا الرِّكْبِيُّ وَعَرَبِدَا
* * *

عَدَّتِ الْعِذَارَى كَالْعَقَا يُدِ وَالْمَبَادِي وَالضَّمَائِرُ
سَلَعًا تُبَاعُ وَتُشْتَرَى عَلَنًا بِأَسْوَاقِ الْحَوَاضِرِ
الحواضر: المدن

وَالرَّابِحُونَ بِهَا لَهُمْ مِنَّا التَّهَانِي وَالْبَشَائِرُ

١٣ موشح الخمر والغرام

طَرَقْتَنِي فَجَرَ يَوْمِ الْمَوْلِدِ وَأَبُوهَا عَاكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ
فَالْتَقَى الثَّغْرَانِ رَغَمَ الْحُسَدِ وَكِلَانَا مُتَعَبُ الْقَلْبِ صَدِي
الصدي: العطشان

* * *

ثُمَّ قَالَتْ وَرَدَّاذُ الْمَطَرِ حَبَسَ الطَّيْرَ، وَلَمَّا يَطِيرِ
هَاتِ بِنْتَ النَّخْلِ يَا ابْنَ الْعَسْكَرِ لَا يُطَاقُ الصَّخْرُ فِي ذَا الْبَلَدِ
بنت النخل : خمر التمر

* * *

هَاتِهَا بَيْضَاءَ مِنْ خَمْرِ الْعِرَاقِ كَمْ بِهَا حَلَقَ بِالنُّدْمَانِ سَاقِ
وَلُنَعَاقِرْهَا مَعَا قَبْلَ الْفِرَاقِ ثُمَّ قَامَتْ، وَنَضَتْ مَا تَرْتَدِي
نضت ثوبها : خلعت

* * *

وَقَضَضْنَا خَثَمَهَا وَالسَّعْدُ بِاسْمٍ وَسَكَبْنَاهَا عَلَى هَمْسِ النَّسَائِمِ
وَأَذْرَنَاهَا وَأَنْفُ الشَّيْخِ رَاغِمٍ وَشَرِبْنَاهَا، وَلَمْ نَقْتَصِدِ
* * *

وَتَرَشَّفْنَا حُمَيَّا الْقُبَلِ وَتَرَكْنَا النَّوْمَ لِلْغُرِّ الْحَلِيِّ
وَتَحَدَّثْنَا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ وَأَزَحْنَا السُّتْرَ عَنْ دُنْيَا الْغَدِ

١٤ هاتِ العود

اعْرِزْ عَلَى الْعُودِ يَا مَعْبُودِي الثَّانِي وَعَنْ «يَا حُبُّ أَنْتَ الْهَادِمُ الْبَانِي»
يَا سَاجِي اللَّحْظِ وَالْأَحْلَامُ شَارِدَةٌ أَسْرِعْ بِرَبِّكَ وَأَمْلَأْ كَأْسِي الثَّانِي
ساجي اللحظ : هادئ النظرات

اعْرِزْ عَلَى الْعُودِ وَلُنُسْكِرْ، وَلَا حَرْجٌ وَلُنُحْيَ مَيِّتَ الْأَمَانِي بِإِبْنَةِ الْحَانِ
هُنَا الْهَوَى وَأَغَانِيهِ الْعَذَابُ؛ هُنَا عَرَائِسُ الْوَحْيِ أَلْقَاهَا وَتَلْقَانِي

١٥ خلقت لأشقى

يَا حَبِيبِي تَمَرَّكَزَ الشَّجَنُ الصَّا رُحْ بِالْقَلْبِ عَنُوءَ وَاسْتَبَاحَا
استباح الحزن الشديد قلبي بالقوة. «تمركز» كلمة يأبأها الشعر. . يا أخي غابت عنك «تحكم»
و«تسلط» . . لا تنفع «تمركز» فهي في مركز دائرة السماجة، وهي من كلام العاملين في دائرة المساحة
إِنَّنِي هَهُنَا عَلَى شَاطِئِ الرَّمْلِ لِي أَشَاكِي النَّوَى مَسَاءَ صَبَاحَا
أشأكي النوى : أتبادل الشكوى مع الفراق

فأنا شاعرٌ خُلِقْتُ لِأَشْقَى لا لِأَلْقَى سَعَادَةً وفَلاحاً
الفلاح: الفوز بالنعيم بطريق التقوى

١٦ رقصة القلب

ارْقُصِي فالقلبُ ما بـيـ حن الحنايا قد رَقِصْ
الحنايا: أضلاع الصدر، أليست منحنية!

ودَعِينَا نَنْتَهِزْ، يا رَبِّةَ الحُسْنِ، الفَرْصِ

* * *

أنا قَيْسٌ في هواها وَهِيَ في حُبِّي ليلي
عاشِقَانِ امْتَزَجَا والـ تَقَيَا سِرّاً لِكَيْلَا..
لكيلا.. أي لكيلا يكشفوا أمرنا ونَقْتَضِح

١٧ بلبل في الشتاء يتذكر الصيف

حَيْرَانٌ ما أَنْفَكَ مَذْهُولاً كَمَتَّهَمَ لم يَجْنِ ذَنْباً، ولم يَنْجَحْ مُحَامِيهِ
الصورة أعجبت زكريا الأنصاري كثيراً ورأى جديده. صورة منهم بريء مدهول لأن محاميه لم
ينجح في بيان براءته..

تُطِلُّ مِنْ كُوَّةِ المَاضِي عليه، وقد أَشْجَاهُ حَاضِرُهُ، أَطْيَافُ مَاضِيهِ
كوة: نافذة.. فأطياف الماضي تطل على البلبل، وقد أحزنه حاضره. وشعراء الرومنسية من جماعة
أبوللو، الذين تأثر بهم الشاعر، يكتبون من كلمة «كوة» و«كوى».. وهي عندهم دائماً كوة الماضي

يَرْنُو إِلَيْهَا كما يَرْنُو المَريضُ، وما أَبْلَ بعدُ، إلى عَيْنِي مُدَاوِيهِ
ينظر إلى صور الماضي نظر المريض الذي لم يشف بعد إلى عيني طبيه

وإنْ غَفَا رَاحَتِ الأحلامُ عَابِثَةً بِهِ، فَتُذْنِيهِ أحياناً وتُقْصِيهِ
فَيَسْكُبُ اللَّحْنَ أَنَاتٍ يَعْصُ بِهَا وَيَنْحِ الشَّتَاءُ فما أَقْسَى لَيَالِيهِ

١٨ شقاء الشاعر

إِنْ تَسَلَّنِي فأنا ابْنُ الرَّـ يَبِ مُذْ كُنْتُ صَبِيّاً
مالك بن الريب شاعر أموي رثى نفسه وهو يجود بأنفاسه الأخيرة في قصيدة حزينة، تجدها في
كتابنا «أول الشعر»

أَوْ مَا أَشَقَّى الَّذِي يُو هَبْ حِسًّا شَاعِرِيًّا
الشَّجَى وَالْأَرْقُ امْتَصَّ - أَلَا السَّنَا مِنْ مُقْلَتِيَا

السنا: الضوء

١٩ على الشاطئ

إِنَّ لِي عِنْدَكَ لَحْنًا هَاتِيهِ يَا مَوْجُ هَاتِيهِ
مِنْ لُحُونٍ هَتَفَ الصَّيْ فُ بِهَا فِي أُمْسِيَاتِهِ
فَهِيَ لِلْقَلْبِ، وَكَمْ رَتَّنَ - لَهَا فِي صَلَوَاتِهِ
أَنَا فِي مَعْبَدِهِ قَدْ صُغْتُهَا مِنْ عَبْرَاتِهِ

* * *

كُنْ ضَنِينَا ابْنُهَا اللَّيْلِ لُ بِسِرِّ قَدْ أَذَاعَهُ
نَائِيَّةٌ يَبْحَثُ فِي جُنْدِ حِكِّكَ عَنْ كَنْزِ أَضَاعَهُ
هُوَ كَالْمَلَّاحِ حِينَ أَلَا تَهَمُّ الْيَمُّ مَنَاعَهُ
وَأَتَبَرَى لِلرَّيْحِ وَالْمَو جِ، فَلَمْ تُغْنِ الشَّجَاعَةُ

٢٠ بَيْعَة

يحيى أمير الكويت «عبد الله السالم الصباح» عند توليه الحكم، عام ١٩٥٠:

جَاءَ الرَّبِيعُ وَأَنْتَ رَاقِدٌ قُمْ وَاشْدُدْ، يَا رَبَّ الْقَصَائِدِ
مَا لِلْبَلَابِلِ حِينَ يَبُ تَسِمُ الصَّبَاحُ وَلِلْمَرَاقِدِ
البلابل ما لها وللنوم في المراقد عندما يطلع الصباح

قُمْ حَيِّهِ فِيهَا وَصُغْ بِبَهَائِهِ أَسْنَى الْفَرَايِدِ
أيها الراقد قم، وحيّ الصباح بالقصائد وصغ من بهاء الصباح عقوداً من أسنى، أغلى، الفرائد،
أي اللآلئ

غَرَاءَ يُغْضِي النَّيِّرَا نِ لِضَوْئِهَا قَبْلَ الْفَرَاقِدِ
هذه القصائد غراء، جميلة، يغضئ النيران، أي الشمس والقمر، الطرف لتوجهها، وكذا تغضئ
الفراقد بصورها، والفراقد نجوم معينة في السماء

وَالشُّعْرُ مَا اضْطَرَمَّ الشُّعْوُ رُ بِهِ، وَإِلَّا قَهْوٌ بَارِدٌ

اضطرم: توقد

وَالشُّعْرُ فِي الْأَشْرَافِ حَيٍّ خَالِدٌ وَالْمَالُ نَافِدٌ

نافد: منته

وَلَا لِيُ الْوِجْدَانِ ظُلْمٌ لَمْ أَنْ تُصَاغَ لِغَيْرِ نَاقِدٍ

ظلم أن تصوغ العقود الشعرية من لآلئ الوجدان لتهدبها لمن ليس بناقد. والناقذ هو الصيرفي الذي يتقد الدراهم الزيوف ويعزلها. . والناقذ الأدبي في المعنى القديم هو من يعرف قيمة الشعر

سِرَّ أَيْهَا الْفَذُّ الْهُمَا مُمْ فَأَنْتَ فِينَا الْيَوْمَ وَاحِدٌ

الفذ: الفرد الأوحده، الهمام: الشخص ذو الهممة، والهمام كلمة تطلق منذ الجاهلية على الزعيم. .
والنعمان كان «همام» النابغة

وَلَأَنْتَ أَعْرَفُ يَا ابْنَ سَا لِمَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْأَسَاوِدِ

الأساود: الأفاعي

وَلَأَنْتَ أَخْبَرُ مِنْ سِوَاكَ بِمَنْ عَلَا بَعْضَ الْمَقَاعِدِ

وكان أهل المقاعد في مجلس النواب الكويتي - وما زالوا - يعرفون كيف يحافظون على كلمة الناس مقابل رأي الحاكم وسلطته

مَا كَانَ أَغْنَى الْمُقْلَةَ الْحَوْرَاءُ عَنْ تِلْكَ الْمَرَاوِدِ

العين الحوراء الجميلة في غنى عن المراود، حدائد المكاحل. . والحكم الأميري يستغني عن مجلس النواب. . في رأي الشاعر

كُلُّ يَطِيرُ وَلِلْبُرَا ةِ سَمَاؤُهَا وَكَذَا الْهَدَاهِدُ

البراة، الصقور، لهم سماءهم، والهداهد، جمع هدهد، له سماءه المنخفضة. . فليعرف كل قيمته

مَوْلَايَ لَا أَشْكُو الزَّمَا نَ وَكَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ حَاقِدٌ

كَلَّا وَلَمْ آسَفْ عَلَى بَصْرِي، وَلَسْتُ بِكُمْ بِفَاقِدٌ

بوجودكم فكأنني لم أفقد بصري

لِي فَيْكُمْ عَيْنٌ بِهِ، وَيَكُمُ الْوُدُّ مِنَ الْحَوَاسِدِ

لي فيكم عين به، أي بدل منه أي بدل من بصري المفقود، وبكم ألجأ من الحاسدين

هَآكَ الْيَمِينُ عَلَى الْمَحَبِّ - عَةِ وَالْوَلَا، وَاللَّهُ شَاهِدُ
يُيَايَعُهُ عَلَى الْوَلَاءِ. فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ نَرَى فَهْدَ الْعُسْكَرِ، وَقَدْ نَضَجَ، شَاعِرًا سِيَاسِيًّا مِنَ الطَّرَازِ
الْعَبَّاسِيِّ الرَّفِيعِ.. فِيهِ مَا فِي شِعْرِ ذَلِكَ الْعَصْرِ مِنْ تَفَاقٍ وَمِنْ صَنْعَةٍ

٢١ الشامخة

لَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي النَّخِيلُ بِمَا لَهَا مِنْ رَائِعِ الْآيَاتِ وَالْأَسْرَارِ..
الآيَاتِ: دَلَائِلُ الْكِرَامَةِ وَالشَّرَفِ..

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي بِطَيِّبِ نِتَاجِهَا لَمْ تَعْمَلْ شَامِخَةً عَلَى الْأَشْجَارِ..
لَوْلَا أَنَّ شَجَرَ النَّخِيلِ يَعْرِفُ قِيَمَتَهُ وَطَيِّبَ مَا يَتَجَهَّ لَمَا عَلَا وَشَمَخَ عَلَى الْأَشْجَارِ جَمِيعًا

أَوَلَمْ تَرَوْا لِلْكَرْمِ كَيْفَ حَنَّا لَهَا وَجَثَا مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ
أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ انْحَنَتْ كُرُومُ الْعِنَبِ وَجَثَتْ عَلَى الْأَرْضِ إِكْبَارًا لِلنَّخِيلِ..

يَسْخُو مُعَاقِرُهَا فَتَلْقَى عِنْدَهُ سَبَّانِ قَذْرُ الْفَلَسِ وَالذِّينَارِ
الَّذِي يَعَاقِرُ خَمْرَ التَّمْرِ يَصْبَحُ سَخِيًّا وَيَصْبَحُ الْفَلَسُ عِنْدَهُ كَالذِّينَارِ لَشِدَّةِ جُودِهِ

٢٢ تنفيذ الحكم

قَالَ فَهْدُ الْعُسْكَرِ عِنْدَمَا عَلِمَ بِانْتِحَارِ صَدِيقِهِ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدُونِ:

يَا أَخَا الرُّوحِ كَيْفَ أَصْدَرْتَ الْأَقْدَامَ حُكْمًا عَلَيْكَ بِالْإِعْدَامِ
كَيْفَ نَفَّذْتَهُ بِنَفْسِكَ يَا هَذَا، بِلَا رَهْبَةٍ وَلَا إِحْجَامٍ؟
يَا صَدِيقِي الشَّهِيدَ نَمَّ نَاعِمَ الْبَا لِي وَدَعْنَا نَعِيشُ كَالْأَنْعَامِ
نَمْ، فَيَوْمِي الْأَخِيرُ لَيْسَ بِنَاءٍ فَمَتَى يَا تُرَى يُصِيبُ الرَّامِي؟
يَوْمِي الْأَخِيرُ لَيْسَ نَائِيًا بَعِيدًا، فَمَتَى يَصِيبُنِي عِزْرَائِيلُ الَّذِي يَرْمِي النَّاسَ بِسَهَامِ الْمَوْتِ؟

٢٣ عروس البحر

هَذِهِ قَصِيدَةٌ - قِصَّةٌ مِنْ نَمَطِ قِصَائِدِ خَلِيلِ مَطْرَانَ وَالرَّصَافِيِّ الْقِصَصِيَّةِ:

غَادَةً حَطَّ مَ الْفُؤَادَ بُكَاهَا لَيْتَ شِعْرِي مَا بَالُهَا، مَا دَهَاهَا
قَدْ حَبَاهَا اللَّهُ الْجَمَالَ، وَلَكِنْ لَمْ يَصُنَّهُ، يَا لَيْتَهُ مَا حَبَاهَا
وَقَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الشَّاطِئِ الرَّمِّ لِي لَيْلًا تَبُّتُهُ شَكْوَاهَا

فَحَثَّتْ الْخُطَى إِلَيْهَا بِجُنْحِ اللَّـهِ - سِيلِ وَالنَّاسُ نُسُومٌ لِأَرَاهَا
فَإِذَا بِي أَمَامَ عَذْرَاءَ تَحْكِي الـ - وَزَسْ، مِنْ قَرِطٍ حُزْنِهَا، وَجَنَّتَاهَا
تحكي: تشبه، الورس: نبات أصفر يصغون به

فَشَكَّتْ ظُلَمَ أُمِّهَا وَأَبِيهَا - قَاتَلَ اللَّـهُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا
أَرْغَمَاهَا عَلَى الزَّوْاجِ بِشَيْخٍ - ذِي ثَرَاءٍ؛ مِنْ أَجْلِ ذَا أَرْغَمَاهَا
أي لثرائه أرغماها على الزواج منه

أَمِنْ الْعَذْلِ أَنْ تُزَفَّ «ثُرَيَّا» - لِعَجُوزٍ، فَأَيْنَ أَيْنَ فَتَاهَا؟
ثريا: اسمها

هَلْ رَأَيْتُمْ وَرَقَاءَ هَامَتْ بِنَسْرِ - وَسَمِعْتُمْ بِوَكْرِهِ نَجَواها؟
الورقاء: الحمامة

أَوْ رَأَيْتُمْ غَزَالَةً عَشِيقَتْ، يَا - قَوْمُ، ذُنْبًا وَطَوَّقَتْهُ يَدَاهَا؟
هَيَّا الشَّيْخُ، يَا إِلَهِي، نَعْمًا - مِنْ حَنَابَا ضُلُوعِهِ لَصِبَاهَا
يحتضنها بين ضلوعه فكان ضلوعه نعشها

ثُمَّ رَاحَ الْعَجُوزُ يَنْسُجُ أَكْفًا - نَ «ثُرَيَّا» مِنْ لِحْيَةِ أَرْخَاهَا
وَمِنْ اخْضَانِهِ أَعَدَّ لَهَا قَبْ - رَأً، وَهَذَا مَا اخْتَارَهُ أَبُواها
رَبُّ رُحْمَاكَ بِالْفَتَاةِ وَرَفَقًا - فَكَفَاهَا مَا حَمَلَهَا كَفَاهَا
خَسِرَتْ «خَالِدًا» رَفِيقَ صِبَاهَا - وَعَلَى نَبَذِ خَالِدٍ أَكْثَرَهَاها
عَاهَدَتْهُ عَلَى الزَّوْاجِ فَلَمْ تَهْ - مَوْ سِوَاهُ، وَمَا أَحَبَّ سِوَاهَا
هِيَ بِالْأَمْسِ دُمِيَّةٌ تَبْعَتْ الْإِي - حَمَانَ فِي الْقَلْبِ جَلَّ مَنْ سَوَاهَا
دمية: أي جميلة كاللعبة

وَهِيَ الْيَوْمَ هَيْكَلٌ مِنْ عِظَامٍ - قَاتَلَ اللَّـهُ أُمَّهَا وَأَبَاهَا
طَلَعَ الْفَجْرُ وَافْتَرَقْنَا وَلَمْ أَدَّ - رِ، أَنْتَ طِيعُ حَمَلَهَا قَدَمَاهَا
أَرْغَمْتَنِي عَلَى التَّخَلُّفِ عَنْهَا - إِلَيَّ وَرَبِّي، وَخَلَفْتَنِي وَرَاهَا
تَخَطَّى الصُّخُورَ حَتَّى إِذَا مَا - خَارَ عِزْمُ الْفَتَاةِ أَلْقَتْ عَصَاهَا
خار عزمها، أصابها الإنهاك، فألقت عصاها، أي كفت عن السير

ثُمَّ صَاحَتْ: لَبَّيْكَ، وَالْبَحْرُ سَاجٍ لَيْتَ شِعْرِي مَنِ الَّذِي نَادَاهَا
سَاجٍ: هادئ

رَفَعَتْ وَجْهَهَا وَنَادَتْ: إِلَهِي قَدْ دَعَيْتَكَ الْعِذْرَاءُ فاقْبَلْ دُعَاهَا
رَأَتْ الْعَيْشَ فِي جِوَارِكِ أَمْنًا فَاجْعَلِ الْخُلْدَ يَا إِلَهِي قِرَاهَا
قِرَاهَا.. الْقِرَى طَعَامُ الضَّيْفِ.. تَرِيدُ أَنْ يَكْرِمَهَا اللَّهُ بِالْجَنَّةِ

أَرْسَلْتُ نَظْرَةً إِلَى الْبَحْرِ لَمْ يَعْـ رَفِ سَوَى الْبَحْرِ، وَيَحَهُ، مَغْزَاهَا
أَعْقَبَتْهَا بِصَرَخَةٍ رَدَّدَ الْأَفـ قُ، وَقَدْ خَبِمَ السُّكُونُ، صَدَاهَا
نَكَثَتْ شَمَرَهَا فَرَّاحَ نَسِيمِ الـ فَجَرٍ يَلْهُو بِهِ، وَيَلْثُمُ فَاها
حَمَلْنَاهُ إِلَى رَفِيقِ صَبَاها قُبَلًا لَوْ سَمِعْتَ مُوسِقَاهَا
حَمَلَتْ النسيم بالقبيلات ليوصلها على رفيق صباها خالد

حَجَبَتْ وَجْهَهَا بِكِلْتَا يَدَيْهَا لَا عَنِ الْمَوْجِ حِينَما وَاها..
بَلْ عَنِ الشَّمْسِ، أُخْتِها، إِذْ أَطْلَتْ لَوْ رَأَتْ وَجْهَهَا هَوَتْ مِنْ سَمَاهَا
حجبت وجهها قبل أن تفتز.. لتفادي ضوء الشمس.. ولو رأت الشمس وجهها الجميل لسقطت
من سمانها

فَنَحَ الْبَحْرُ، وَالشُّوَيْطِيُّ بِإِكْ، لَشُرِّيًّا أَحْضَانُهُ فَاخْتَوَاهَا
أَغْفُ يَا رَبِّ عَنْ تُرِّيًّا فَهَذَا مَا جَنَوُهُ لَا مَا جَنَنُهُ يداها
قَتَلُوها: أَبٌ وَأُمٌّ وَزَوْجٌ أَوْ لَوْ مَاتَ هَؤُلَاءِ فِداها
كَمْ قَتَاةٍ يَا رَبِّ أَسْعَدَهَا الْحُسـ نْ! وَهَذِي جَمَالَها أَشْقَاهَا

٢٤ وحيد

يَا قَتَاتِي حَمَلْنِي فَوْقَ مَا أَسـ طِيعُ، رُحْمَاكِ إِنَّنِي لَا أُطِيقُ
لَا حَبِيبٌ أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَرْتِي لَشَكَاتِي، وَلَا صَدِيقٌ صَدُوقُ
لَا، وَلَا وَالِدٌ يَرِقُّ وَلَا أُمـ فَتَحْنُو، وَلَا شَقِيقٌ شَفُوقُ

٢٥ وصية

يَا رِفَاقَ الصَّبَا دَعُونِي، فَلَا يُجـ لِي قَتِيلًا لَوْمِي، كَفَانِي مَا بِي
لَا يجدي قتيلًا: لَا يَنْفَعُ أَدْنَى نَفْعٍ

إَحْفِرُوا لِي قَبْرًا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ رِ، لَعَلَّ الْأَمْوَاجَ تَبْكِي شَبَابِي
وَاذْفُنُونِي بَيْنَ الصُّخُورِ عَسَى يَهْدِي لَدَا رُوعِي وَتَوَرَّتِي وَاضْطَرَابِي
بِأَصْحُورِ الشَّاطِئِ بِرَبِّكَ إِنْ مَرَّ- عَلَى مَرَقَدِي هُنَا أَحْبَابِي
خَبَّرِيهِمْ عَمَّا لَقِيتُ مِنَ الْهَمِّ- وَشَتَّى الْأَلَامِ وَالْأَوْصَابِ

الأوصاب: الأوجاع

سَاءَ هُمْ أَنْ أَعِيشَ صَبًّا أَنْاعِي هُمْ بِأَشْعَارِي الرِّقَاقِ الْعِذَابِ
صَبًّا: عاشقاً

وَأَنَا شَاعِرٌ خُلِقْتُ لِأَشْدُو لَا لِأَتْلُو الْقُرْآنَ فِي الْمِحْرَابِ

٢٦ كَأَنَّا طِفْلَانِ

كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ بِضَاحِكٍ كَأَسَهُ طَرَبًا، وَكَأْسِي، وَيَحَهُ، أَبْكَانِي
وَشَرِبْتُمْ وَطَرِبْتُمْ مَا كَانَ أَسَ عَدَّكُمْ بِأَكْؤُسِكُمْ وَمَا أَشْقَانِي
وَأَنَا فَدَيْتُكَ شَاعِرٌ حَسْبِي مِنَ الدُّ- نِيَا وَمَا فِيهَا فَتَى بِرَعَانِي
أَسْقِيهِ أَوْنَةً، وَيَسْقِينِي وَإِنْ نَاعَبْتُهُ بِقَصَائِدِي نَاغَانِي
وَيَبْتُلْنِي شَكْوَاهُ حِينَ أَبْتُهُ شَكْوَايَ وَالْكَأْسَانِ تَسْتَمِيعَانِ
الْعَبْدُ عَيْدِي يَوْمَ أَقْطِفُ مِنْ خُدُو دِكَ يَا مُنَايَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
الْعَبْدُ يَوْمَ نَنَامُ مِلءَ جُفُونِنَا مُتَعَانِقَيْنِ كَأَنَّا طِفْلَانِ

٢٧ شَوْقٌ إِلَى حَوَاءَ

حَوَاءَ أَوَاهُ مِنْ دَاءٍ تَأَصَّلَ فِي قَلْبِي فَقَرَّ الدَّوَاءُ، وَاسْتَفْحَلَ الدَّاءُ
وَمِنْ لَوَاعِجِ شَوْقِي قَطَعْتَ كَيْدِي حَتَّى رَأَى لِي أَعْدَاءَ أَلْدَاءُ

لواعج: هموم

هَذِي هِيَ الْكَأْسُ فِي كَفِّي سَأَشْرِبُهَا فَهِيَ الدَّوَاءُ وَقَدْ كَلَّ الْأَطِبَّاءُ
كَلَّ: عجز

فَلَسْتُ أَوَّلَ مُشْتَاكِ تَجَرَّعَهَا وَمُعْجَرَمٍ أَوْدَعَتْهُ الْقَبْرِ حَسَنَاءُ

٢٨ تخميس على أبي الطيب

يا لِلتَّعَاسَةِ لا الأوتارُ تُطْرِبُنِي بِشَدْوِها، لا، ولا الأنعامُ تُؤْنِسُنِي
فيا نَدَامَى أَمِنْكُمْ مَنْ يُخَبِّرُنِي «أَصْحَرَّةُ أنا ما لي لا تُحَرِّكُنِي»
«هَذي المُدَامُ ولا هَذي الأَغارِيدُ»
بِالْأَمْسِ كَانَتْ قُطُوفُ الوَصلِ دَانِيَةً واليَوْمَ أَضَحَّتْ لِتَغْسِ الحِطُّ قاصِيَةً
وضاعَ عُمُرِي وما حَقَّقْتُ أَمْنِيَةً «إِذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ الخَمْرِ صافِيَةً»
«وَجَدْتُها وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ»

فهد العسكر فهرس القوافي

٢٢	بالإغدام	٢٧	الدَّاءُ
٧	الغَرَامُ	٢٥	ما بي
١٠	تَحَكَّمْ	١٩	هَاتِهْ
١٢	الْقَدِيمَةُ	١٥	وَأَسْتَبَاحَا
٢٦	أَبْكَانِي	٨	العِيدِ
٢	إِخْوَانِي	١٣	المَسْجِدِ
١٤	الْبَانِي	٩	وَعَرْدِ
٣	بِالْيَقِينِ	٢٠	الْقَصَائِدُ
٨	تُوْنِسْنِي	٢١	وَالْأَسْرَارِ
٤	وَالْحَانِي	٦	وَالسَّيْجَارَةُ
٢٣	دَهَاها	١٦	رَقَصْ
١٨	صَبِيًّا	٢٤	أُطِيقُ
١	الْقَوِيَّةُ	١١	وَالْتَّقْيِيلَا
١٧	مُحَامِيهِ	٥	غَلِيلِي

عبد الله البردوني

(١٩٢٩ - ١٩٩٩)

لا علاقة لي بحبيب الزحلاوي

هاجم حبيب الزحلاوي قصيدة رمزية لبشر فارس، ونشر بياناً في مجلة الرسالة بمصر، وفي مجلة الأديب بالشام قال فيه إنه سيدفع خمسة جنيهات مصرية، أو مئة ليرة سورية، لمن يستطيع تفسير القصيدة. وانبرى الأدباء يكتبون المقالات في تفسير القصيدة: فسرّها «صلاح الأسير» و«زكي ظليمات» و«عبد الله العلايلي» تفاسير عجيبة في اختلافها.

قرأت القصيدة، ولم أفهم منها شيئاً. هاك بضعة أبيات: (لو كنت ناصعة الجبين/ هيّات تنفضني الزيارة// ما روعةً اللفظ المبين؟/ السحر من وحي العبارة// ظلّ على وهج الحنين/ رسمته معجزة الإشارة// خطّ تساقط كالحزين/ أرخى على العزم انكساره)

كان حبيب الزحلاوي صعلوك أدب. شن حملة هوجاء، في أكثر من كتاب نشره، على كبار الأدباء في زمنه. وأنا أتهيب ذلك. ولا ألسع الرمزية والرمزيين إلا لسعات خفيفة. لا أريد أن أحشر في زمرة التقليديين.. هذا هو خوفي الحقيقي. فأما أن يشتمني الرمزيون فلست أعبا بذلك.

لقد هجم الرمزيون على الشعر العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وأخافوا الناس، فكتب الناس شعراً رمزياً. فرض الرمزيون أنفسهم على الساحة الأدبية، وعلى المجلات الأدبية والملاحق الأدبية، فتبعهم الناس. لكن، لعل هناك أسباباً أخرى للاكتساح الرمزي لاحقاً، ربما نكسة عام ٦٧؟

تراني قاعداً مع أحد هؤلاء الرمزيين قعدة التلميذ المهذب، أسمع وأهمهم، ولا أعترض على شيء. لست صعلوكاً، ولا أنا «تقليدي».

وفي هذا السّفر الخامس والأخير من «الزبدة» لم يكن بد من الارتطام بالرمزية.

لا علاقة لي بحبيب الزحلاوي الذي كان يهاجم الناس «بالهراوة لا بالقلم»، كما قال أحد ناقيديه. لكنني، وقد ارتطمت بي الرمزية، لا أملك إلا أن أقول إنها ظاهرة خارجة عما ألف الشعر العربي العمودي المرحوم في حياته الطويلة.

عبد الله البردوني

عند خط المنتصف من حياته الشعرية انعطف البردوني انعطافة حادة باتجاه القصيدة الرمزية. فما كان لنا بد من اقتطاف شيء من هذا، لأننا نأخذ الشاعر كله ونحاول تمثيله للقارئ. على أنني لم أقتبس من مجموع أشعار البردوني (١٧٥٠ صفحة) إلا الأبيات التي فهمتها: كنت أدرس قصائده الرمزية درساً فانتقي من الأبيات ما يمت إلى الشعر «المفهوم».

وقد صنع صنيع الانتقاء هذا شاعر شاب قصدي - وأنا بهذا مفتخر - في عصبه أدبية. فقد حل بي الصديق الموريتاني أحمد فال بصحبة مواطنه اللغوي الأديب إبراهيم الدويري والشاعر اليمني سلطان الكامل. وأسمعنا الكامل من شعره ما أمتع وأدهش، و«انتقى» من شعر ابن بلده عبد الله البردوني ما جعلني أعود إلى ذاكرتي المهشمة مفتشاً فيها عن أثر البردوني في نفسي.

قد كنت أُلِّمت بالبردوني إلمامة سريعة في سنوات خوالي كان الشباب فيها يدخلون في «دين» اليسار أفواجاً. وكان البردوني معدوداً في اليساريين، فكان موضوع حديث. لسعتني رمزية الرجل المغلقة، فلم أمعن في قراءته.

وجاءني زائري اليمني وأنا أصب أسمنت السقف على هذا الكتاب. فقلت في نفسي: لا بد من صنعا.

قرأت الطبعة اليمنية لشعر البردوني.. كل صفحاتها التي اقتربت من الألفين. وانتقيت.

لا، لن ترى ألغازاً فيما سيأتي، فقد اجتهدت في تنحية كل ما لم أفهم. رأيته أعالج شعر البردوني مثلما عالجت قبل أربعين سنة كيلو من العدس البلدي.

كنا طلاباً، وعزمنا على طبخة مجردة، وهي عدس وأرز. حضر الأرز وغاب العدس. فأتينا دكان أبي أكرم فاشترينا كيلو عدس بلدي، هذا بعد أن شنف أبو أكرم أذاننا بموشح عن مفاتن وفضائل وفوائد العدس البلدي ذي الحبة الصغيرة المكورة. ومضينا به إلى «الكومونة»، وهكذا كنا نسمي دارنا في ذلك الزمن اليساري. لم تكن ندرى ونحن نحمل كيس العدس أنه يرافقنا إلى البيت مئات من المخلوقات الغريبة. وقعدنا لتفكية العدس. . وأخذت هذه المخلوقات تخرج من مكانها في حبات العدس وتتجول. فكان لا بد من فحص كل عدسة على حدة. وطبخنا، وأكلنا. الشباب الجائعون يأكلون الزلط.

وأبيات البردوني مختلفة بعض الاختلاف عن حبات عدسنا. فهي مصابة بأكثر من السوس. فيها تساهل في اللغة وفي الوزن، وفيها حشد من أسماء المدن والأشخاص حاشد، وفيها إيماءات كثيرة إلى التاريخ وإلى الأشعار القديمة، وفيها إيماءات إلى يوميات الحياة المحلية. وفيها تلك الرمزية التي كأن شاعرنا تذرع بها كي يفلت من ضيق النسيج الشعري مثلما يتذرع المجرم بالجنون كي يفلت من الإعدام.

فلماذا نصطحب البردوني؟ الأننا نريد لليمن تمثيلاً في هذه المجموعة. كلاً. ما كنا لنصنع ذلك ويسلم لنا صفاء القلب. قد صخبنا البردوني لنسمع أبياته المعجبة الجميلة. وكنا قلنا مراراً «الشاعر بجيده لا برديته». فماذا لو كان اقتناص جيده يحيل مختاراتنا منه إلى اجتزأت لا تشي بما اجتُرئت منه. لا بأس. فنحن في كل مختاراتنا الشعرية نؤم مقصدين: القصيدة والبيت. وهذا بحاجة إلى بعض تفسير.

نختار القصيدة لشاعر جعل قصيدته لوحة فنية متكاملة بديعة، فإن نبا منها بيت أو بيتان أسقطنا القليل كي تزداد القصيدة بهاء، فنحن نعرف أن شاعرنا قد عز عليه تشذيب قصيدته، فنحن نشذبه لها. لكنها تبقى قصيدة. ونختار أيضاً البيت الفرد أو البيتين؛ نأتي إلى القصيدة فنراها باهتة، أو قُل عادية، ثم نلمح بين ركامها بيتاً يطل برأسه. ننعم النظر، فيزيدنا البيت جمالاً كلما زدناه تحديقاً. فنقول له: تعال. ثم قد يتضرع هذا البيت إلينا فيقول: أخي، أخي! فننظر فنجد له أخاً يصلح أن يكون معه، فنأخذه. لعل البيت إنما أراد أن يزداد تألقاً إذ يجلس بجانب أخ له أقل منه جمالاً. لن نقرأ ضمير بيت الشعر. ولكن هدفنا نحن من إلحاق أخيه به أن نتلذذ بالقافية تطرق السمع مرتين؛ وإنك لتنوء

بكيس تحمله بيدك، فإذا حملت كيساً آخر بيدك الأخرى توازنت، ومشيت في الطريق مثل البطة تميل ذات اليمين وذات الشمال.

ننزع من صدر القصيدة ضلعاً ونعرضه وحده، ولا تهمنا نظرية وحدة القصيدة. فما صحَّ في شعر ورودزورث لا يصح في شعر أحمد شوقي، ولو كره العقاد.

ونحن العرب، نستهلك الشعر بطريقتين: نسمعه مهموساً ونحن في حالة استرخاء، فتلاعب بعواطفنا قصيدة إلياس فرحات البائية وهو يصف حياته الشاقة في البرازيل وصفاً بديعاً، أو نسمعه ينشد إنشاداً ونحن متهيأون متهيجون، فتثير فينا الحماسة قصيدة عمر أبو ريشة الميمية وهو ينعى على العرب الجبن والتهاون. هذه طريقة. والطريقة الثانية التي نستهلك بها الشعر: المحاضرة. نحن نحاضر بالأبيات القليلة. وهذا ما صنعه صاحبي الشاعر سلطان الكامل بشعر ابن بلده البردوني. كان يلقي في تلك الجلسة ما يحضره من أبيات لامعات. يلقي بيتاً من قصيدة وبيتين من قصيدة أخرى. وقد درج العربي على ترقيش كلامه بأبيات ينتقيها. ولئن كنت في كتابتي أكره إيراد الشعر وسط أسطر النثر، لأنني أراه يقطع السياق، فإنني أمتنع كثيراً بالأبيات التي يرصع بها المتكلم كلامه إن كان رزق سلامة الذوق وسعة الحافظة.

فهذا ما اخترته لك من شعر عبد الله البردوني. كلفني وقتاً وجهداً، وخلصته من آفات كثيرات، لا بد أنه بقيت منها بقية. هو شاعر تحضر أبياته المجالس فتزينها. وهو شاعر تحتشد في نفسه المشاعر فتخرج صرخات ملوثة بالآفات التي حدثناك عنها. ولا أجد لشعر البردوني شبيهاً أحسن من صوت مؤذنين لي معهما قصة يومية، بل تتكرر خمس مرات في كل يوم.

قرب بيتي، بضاحية السد في الدوحة، مسجدان. مؤذن أحدهما له صوت جميل، يسحرك. وهو يحمل في يده ساعة. ومؤذن المسجد الآخر له صوت كصفارة إنذار تالفة. وهو لا يحمل في يده ساعة. ولأن المؤذن الأول يحمل ساعة فهو الذي يبدأ برفع الأذان. أسارع فأسكِّت الأغنية، وأفتح النافذة، وأصغي. وما إن ينهي التكبيرة الأولى حتى يفطن المؤذن الثاني - الذي لا يحمل ساعة - إلى أن وقت الصلاة حان، فيرفع عقيرته، ويغطي على صوت المؤذن الأول. وأظل مصغيّاً، وأقترب من النافذة، أريد أن ألتقط فيما بين الحين والحين صوت المؤذن الأول قبل أن يغتاله الثاني. وفي المحصلة فلأنني

لا أسمع من المؤذن ذي الصوت الساحر سوى ثوان معدودة، لكنها تفرحني جداً. لم يصل بي الأمر إلى أن أسجل على شريط أذان المؤذنين، ثم أقطع الثواني القليلة التي ينفرد فيها الصوت الجميل وأصنع منها تسجيلاً قصيراً ينفرد فيه صاحبي وأسمعه وحده.

لكنني فعلت هذا بالبردوني.

البردوني شاعر. وهو مختلف. و«المختلف» متضمنة في «الشاعر»، فليس شاعراً من لا يكون مختلفاً. ولئن قال لنا مخفر الشرطة إن بصمة كل شخص مختلفة عن بصمة الآخر، فإننا في استقراء النفوس نرى البشر متشابهين. . . عدا واحداً في الألف يملك الفريدة، وأما الـ ٩٩٩ فهم ينظرون إلى ذلك المتفرد نظرة إعجاب أو تعجب. وقد يكون هذا الواحد من بين الألف مجنوناً أو عالماً أو كاتباً أو شاعراً. والبردوني كان واحداً من الألف، ولم يكن مجنوناً ولا عالماً. قالوا كان كاتباً، ولم أقرأ له من النشر إلا ما جاء في مقدمات قصائده المتأخرة. فأما أنه كان شاعراً، فقد كان. وقد تثقف بالمطالعة، وعرف الشعر العربي القديم وحوادث التاريخ العربي واليميني على وجه الخصوص، وتغلغل في روح القرية اليمنية المختبئة بين الجبال. . . نحن لا نراها على الخريطة بسبب الجبال، ولا نراها حاضرة في حياتنا العربية لأن الجبال صدتنا عنها. وصدع البردوني رؤوسنا بتفاصيل حياة القرية اليمنية وبأسماء الناس والأماكن. وعرف البردوني سارتر وغيفارا من مطالعته، وسمع إذاعة لندن وكان يتابع ما يجري في العالم، فأما ما يجري في بلده فكان منغمساً فيه. وعندما كان في الأربعين من عمره أخذ يرتاد المهرجانات الثقافية في بلاد العرب الأخرى، وأخذ يحثك بالمتقنين، وشاهد الأزياء الثقافية فتزيا بها، فصدع رؤوسنا مرة أخرى برمزيتة.

تسمع في شعر البردوني كلمة الجدران تتردد كاللازمة في كل قصيدة، هذه جدران العمى وجدران الجبال اليمنية التي منعت اليمن أن يتصل بالآخر وأن يتصل بعضه ببعضه، وإن لم تمنع الجدري والسل.

حياة البردوني

ولد في البردُون على ثلاثين كيلومتراً شمال دَمار باليمن الشمالي. وأصابه الجدري فيما بين الخامسة والسادسة من عمره فكف بصره، وبدأ يتعلم في البردون مع نهاية سنته السابعة. تعلم ستين، ثم انتقل إلى قرية «المحلة» لترعاه

أخته من أمه، المتزوجة هناك «ظبية»، وتعلم هناك بضعة أشهر. ثم انتقل إلى دمار حيث تعلم في مدرستين: ابتدائية وعلمية. وكانت مدة إقامته في دمار عشر سنين.

قال الشعر في نحو الثالثة عشرة، وهجا الناس فأوجعوه. كان متمرداً تمرّد أولاد القرى، وتمرد الفقراء من أولاد القرى، فكانت فيه صعلكة نجا منها طه حسين مثلاً، رغم أنه لم يكن أقل تمرّداً.

وغمس البردوني لسانه في السياسة فأيد «الثورة الدستورية»، ١٩٤٨، التي قتل في أحداثها الإمام يحيى. وسرعان ما سقطت الثورة وأمسك الإمام أحمد بن يحيى بزمام الأمر، فكان أن سجن البردوني تسعة أشهر، انتهى بعدها حراً في صنعاء «بأعجوبة تاريخية»، كما قال، ولعل هذه الأعجوبة إنما كانت - كما روى غيره - أن قصيدة له وصلت يد الإمام أحمد فقرأها فأمر بنقل الشاعر إلى صنعاء سجيناً ثم طليقاً. وفي صنعاء «تبت» الشاب ذا العشرين دار العلوم، وكان مبرزاً، ونال شهادة «الغاية». وأصبح أستاذاً في الدار نفسها.

ظل شاعراً. قال في الإمام أحمد أشعاراً فيها بعض تمرده وفيها قدر من التقية السياسية، وكان الإمام أحمد صاحب شعر. ولكن البردوني كان جمهورياً في أعماقه. فتنفس بعد وفاة الإمام أحمد، ١٩٦٢. وظل يتنفس هواء قليل الأكسجين بضع سنين بينما كان الإمام البدر بن أحمد يخوض حرباً أهلية يدعمه فيها الإنجليز والسعودية مع الجمهوريين المدعومين مصرياً.

تحسنت أوضاع البردوني المعيشية بعد أن جاوز الثلاثين، فعمل في وظائف الحكومة. ولكنه لم يسكت عن الجمهوريين وما طبع حكوماتهم من فساد. ونال شاعرنا حصانة من شهرته، فقد راح يشارك في المهرجانات العربية، وانتشر شعره وذكره عربياً بعض انتشار. وظل مثقفو اليمن يرددون أبياته القديمة الرنانة، وما تيسر من أبيات رنانة «مفهومة» تخللت قصائده في مرحلته السريالية المتأخرة.

الذي وصف شعره المتأخر بالسريالية صديقه الشاعر عبد العزيز المقالح الذي رأى شاعرنا ينتقل من الكلاسيكية إلى الرومنتيكية إلى الكلاسيكية الجديدة إلى السريالية. ولا تحاول أن تعترض على درجات المقالح ولا على مصطلحاته، فهو سيوبخك لأنك «تقيل استيراد علب الصلصة والفاصوليا وترفض قبول مصطلحات نقدية يستعملها كل الناس في العالم». لا نعترض.

لا، بل نوافق المقالـح على مصطلـح آخـر وسم به البردونى وهو أن شعره يصل إلى «اللامعقول» فى رمزيتـه .

توفى عبد الله البردونى فى سنة ١٩٩٩ .

سترانى فى الصفحات المقبلة قد سوّدت عشرات الأبيات، كأننى أهيب بك أن أضغ إلى هذه الروائع . وإنها لروائع . لا تأبه أيها القارئ بكل ما أسمعـتك من نقد فى الفقرات الماضية . . الشاعر فى ديوانه غير الشاعر فى ديوانى . . بعد أن غربلته لك .

١ يا أمي اليمن

يا أُمِّي اليَمَنَ الحَضْرَا وفَاتِنَتِي مِنْكَ الْفُتُونُ، وَمِنِّي الْعِشْقُ وَالسَّهَرُ
ها أَنْتِ فى كُلِّ ذَرَاتِي وَمِلءَ دَمِي شَعْرٌ تُعْنِقُهُ الذُّكْرَى وَتَعْتَصِرُ
تـعـنـقـهـ: تـجـعـله عـنـاقـيد

وَأَنْتِ فى حِضْنِ هَذَا الشَّعْرِ فَاتِنَةٌ تُطِلُّ مِنْهُ، وَحِينَما فِيهِ تَسْتَتِرُ

٢ لا حظَّ لي فى جهنم

لَيْتَ شِعْرِي ما لِي إِذا رُمْتُ شَيْئاً حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْفَقْرُ وَالْيُثْمُ
لَمْ أَجِدْ ما أُرِيدُ حَتَّى الْخَطَايَا، أَحْرَامٌ عَلَيَّ حَتَّى جَهَنَّمَ

٣ كُلُّ ومشكلته

الْعَمْرُ مُشْكِلَةٌ وَنَحْنُ نَزِيدُها بِالحَلِّ إِشْكَالاً إِلَى إِشْكَالِ
لا حُرَّ فى الدُّنْيَا؛ فَذُو السُّلْطَانِ فى دُنْيَاهُ عَبْدُ المَجْدِ والأَشْغَالِ
والكَادِحُ المَحْرُومُ عَبْدُ حَنِينِهِ فِيها، وَرَبُّ المَالِ عَبْدُ المَالِ

حنينه : ربما يقصد شوقه إلى تحسن الحال

والْفَارِغُ المِكْسَالُ عَبْدٌ فَرَاغِهِ . وَالسَّفَرُ عَبْدُ الحِلِّ والتَّرحالِ

السفر: المسافرين

واللصُّ عَبْدُ اللَّيْلِ، والدَّجَالُ فى دُنْيَاهُ عَبْدٌ نِفَاقِهِ الدَّجَالِ

الدجال عبد نفاقه الذى هو دجال مثله

لَا حُرَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا حُرِّيَّةٌ إِنَّ التَّحَرُّرَ خُذَعَةُ الْأَقْوَالِ
النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَبِيدُ حَيَاتِهِمْ أَبَدًا عَبِيدُ الْمَوْتِ وَالْأَجَالِ

٤ العقد المِمرَّاح

كَيْفَ أَنْسَاهُ هَلْ تَنَاسِيهِ يُجَدِّي وَهُوَ وَالذِّكْرِيَّاتُ وَالشُّوقُ عِنْدِي
الفتاة تناجي نفسها

وَهُوَ أَذْنَى مِنْ الْأَمَانِي إِلَى الْقَلْبِ بَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ أَلْفُ بُغْدٍ
وَأَشْنِهَاءُ الْعِنَاقِ يَحْلُمُ فِي جِبِ لَدِي بِأَنْفَاسِهِ فَيَمْرَحُ عِقْدِي
التوق للعناق يحلم في عفتي بأنفاس الحبيب فيتحرك عقدي بمرح

عِنْدَمَا يَهْبِطُ الظَّلَامُ أَرَاهُ مَاثِلًا فِي نَصُورَاتِي وَسُهْدِي
أَهْ إِنْنِي إِخَالَ زَنْدِيهِ فِي قَدِّ ي تَشُدُّانِي فَبَخْنَالُ قَدِّي
ثُمَّ أَصْغِي إِلَى الْفِرَاشِ فَلَا أَسْ مَعُ إِلَّا حَدِيثَ نَهْدٍ لِنَهْدٍ

٥ فرعنوه فتفرعن

لَا تَلُمُ قَادَتَنَا إِنْ ظَلَمُوا وَلَمْ الشَّعْبَ الَّذِي أَعْطَى الزُّمَامَا
كَيْفَ يَرَعَى الْعَنَمَ الذُّئْبُ الَّذِي يَنْهَشُ اللَّحْمَ، وَيَمْتَصُّ الْعِظَامَا
قَدْ يَعِفُ الظَّالِمُ الْجَلَّادُ لَوْ لَمْ تُقْلِدُهُ ضَحَايَاهُ الْحُسَامَا
نَأْكُلُ الْجُوعَ وَنَسْتَسْقِي الظَّمَا وَنُنَادِي يَحْفَظُ اللَّهُ الْإِمَامَا
ناكل الجوع؟ إذن فالإغراق في الرمزية قديم عند البردوني، في زمن الإمامة

٦ بهجة الصباح

وَتَرَأَى الصَّبَاحَ يَحْتَضِنُ السُّحْرَ رَ كَمَا تَحْضُنُ الْكُؤُوسُ الْعُقَارَا
العُقَار: الخمر؛ العقار: المبنى؛ العُقَار: الدواء

وَبَنَاتُ الشَّدَى تُحَيِّي شُرُوقًا شَاعِرِيًّا يُعَنْقِدُ الْأَفْكَارَا
بنات الشدى: بنات العطر أي الأزهار، وهي تحيي الشروق الشعري الذي يعتقد الأفكار وينضجها
وَالصَّبَا تُرْعِشُ الزُّهُورَ فَتُومِي كَالْمَنَادِيلِ فِي أَكْفِ الْعَذَارَى

٧ الجريح

لَا تَسْلُ عَنْ أُنَيْنِهِ وَسُهَادِهِ إِنَّ فِي جُرْحِهِ جِرَاحَ بِلَادِهِ
 إِنَّ فِي جُرْحِهِ جِرَاحَاتِ شَعْبٍ رَاكِدِ الْجِسِّ حَيْثُ كَجَمَادِهِ
 لَا تَلُمُهُ إِذَا شَكَا، إِنَّ شَكْوَا هُ وَأَنَائُهُ دُخَانُ اتَّقَادِهِ
 كُلَّمَا قَالَ أَوْ صَعَّدَ الْأَنفَ فَاسَ شَاهَدَتْ قِطْعَةً مِنْ فُؤَادِهِ

٨ احتضار طفل

يرثي ولداً لعبد العزيز المقالح:

كَيْفَ انْتَهَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْتَدِيَ هَلْ تَنْطَفِي الرُّوحَ وَلَمْ تُوقِدِ
 حَبَا مِنْ الْمَهْدِ إِلَى لَحْدِهِ لَمْ يَشُقَّ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَسْعِدِ
 يَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ يُعَانِي الرَّدَى وَيَرْفَعُ الْكَفَّ كَمَنْ يَجْتَدِي
 يجتدي: يتوسل

يَهْوَى أَبَوْهُ لَوْ يَذُودُ الرَّدَى عَنْهُ، وَتَهْوَى الْأُمُّ لَوْ تَفْتَدِي
 يَا مَنْ شَهِدَتْ الطِّفْلَ فِي مَوْتِهِ أَلَمْ تَمُتْ مِنْ رَوْعَةِ الْمَشْهَدِ؟

٩ المتحجر

لَفِظَ الرُّوحَ فَاطْمَأَنَّتْ ضُلُوعُهُ وَانْظَفَا شَوْقُهُ، وَنَامَ وَلُوعُهُ
 أَوْمَأَتْ كَفُّهُ إِلَى خِنْجَرِ الْمَوْتِ، وَأَوْمَأَ إِلَى الْحَيَاةِ نَزُوعُهُ
 مد كفه إلى الخنجر ولكن نزوعه، ميله، أشار إلى الحياة. . هو متردد أبتحر أم يكمل حياته
 لَيْسَ يَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحْلَى سَعِيهِ نَحْوَ حَتِفِهِ أَمْ رُجُوعُهُ؟
 وَتَرَاخَتْ عَلَى الْفِرَاشِ يَدَاهُ ثُمَّ أَغْفَى وَفِي يَدَيْهِ نَجِيعُهُ
 نجيعه: دمه

حِينَ لَمْ يَسْتَطِيعَ بُلُوعُ مَنَاهُ مَاتَ، وَالْمَوْتُ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُهُ
 إِنَّمَا الْقَبْرُ مَضْجَعٌ يَسْتَوِي الْعَا لَمْ فِيهِ رَفِيعُهُ وَوَضِيعُهُ
 يَا لِظُلَمِ الْحَيَاةِ مَا أَغْدَلَ الْقَبْرَ رَ، تَسَاوَى فِيهِ الْوُجُودُ جَمِيعُهُ
 وَانْتَحَارَ الْمَضْيِجُ أَخْصَرُ لِلضُّيُ سَمٍ وَأَجْدَى مِنْ أَنْ يَطُولَ خُضُوعُهُ

مَزَّقَ الْعُمَرَ حِينَ ضَيَّعَهُ الْعُمُ - رُ، وَحُمُقَ حِفْظَ الْفَتَى مِنْ يُضْيِعُهُ

١٠ ذكرى أبي نواس

ينتقد حملة في عهد الإمام ضد باعة الخمر وشاربيها:

نَحْنُ نُبَدِي عِيُونَنا حِينَ نَرْمِي بِالْخَطَايا فُلَانَةً وَفُلَانا
نَحْنُ لَوْ لَمْ نَكُنْ أَصُولَ الْخَطَايا مَا رَأَيْنَا ظِلَالَهَا فِي سِوَانَا
كَمْ سَأَلْنَا التَّفْتِيشَ عَنْ جِيفَةِ الْإِثْمِ - سَمِ، وَسِرْنَا وَالْإِثْمُ يَخْدُو خُطَانَا
نَطْلُبُ الْكُشْفَ عَنْ آثَامِ الْبَشَرِ، وَكُلْنَا آثَامَ

وَهَتَكُنَا مَخَابِيئَ الْإِثْمِ فِي الْحَيِّ - وَعُذْنَا نَفْتِشُ الْأَكْفَانَا
لَا تَنَمَّ يَا أَبَا نُوَاسٍ، أَمَا كُنْتَ أَثِيمًا فِي لَهْوِهِ يَتَفَانِي؟
يتفانى: يفني نفسه

وَهَتَكُنَا عَنْكَ السُّتَارَ كَأَنَّ لَمْ يَخْطِرِ الْإِثْمُ بَيْنَنَا عُرْيَانَا
إِنْ تُمْتُ هَيْكَلًا فَقَدْ عِشْتُ أَفْكَا رَأَى، وَأَوْرَقْتُ فِي الشَّفَاهِ بَيَانَا
أَيِّنْ مِنْكَ الرَّدَى؟ وَأَقْوَى مِنَ الْأَحْ - يَاءِ مَيْتٍ يُسَهِّدُ الْأَذْهَانَا
لَوْ وَجَدْتَ الرَّحِيقَ مَا ذُبْتَ شَجْوًا وَتَحَرَّقْتُ فِي الْمُنَى أَشْجَانَا
لو وجدت الرحيق، أي الخمر، لما ذبت حزناً وتمنيها

شَاعِرُ الْحُبِّ حِينَ يَهْجُرُهُ الْمَحْدُ - بَوْبُ يَفْتَنُ فِي الْحَنِينِ افْتِنَانَا
ففاقد الخمر يعشقها، مثل فاقد الحبيب الذي يتفنن في وصف غرامه

بِدَعَةِ الدُّلِّ أَنْ تَحِنَّ وَتَبْكِي وَتُغْنِي الرَّشِيدَ وَالْخَيْرُزَانَا
من التفتن في الدل أن تغني للرشيده . وللخيرزان أمه أيضاً . . ولم يكن أبو نواس يشد
الخيزران شعره . . ولكنها وقعت في طريق القافية . . و«بدعة الدل» عبارة قالها قبل حين (عام
١٩٥٠) بدوي الجبل، وانظر القصيدة رقم ٦ في باب «بدوي الجبل» من هذا الكتاب

مَلِكٌ يَرْضَعُ الدُّنَانَ كَمَا يَهْ - وَنْتَ الَّذِي تُغْنِي الدُّنَانَا
وَالْأَمِينَ النَّدِيمَ يَمْنَعُكَ الْخَمَ - رَ وَوَحْسُو، وَتَنْحَنِي ظَمَانَا

الأمين: ابن هارون الرشيد وخلفه . وكان الرشيد والأمين بعده قد منعوا أبا نواس شرب الخمر في
المجالس . وقال في ذلك القصائد، وذكرنا منها جانباً في باب عقدناه لأبي نواس في كتابنا «تجدد
الشعر» من هذه السلسلة

وَهُوَ فِي الْقَصْرِ يَحْتَسِي عَرَقَ الشَّعْبِ ب، وَيُرْوِي الْقِيَانَ وَالْغِلْمَانَا
يَدْعِي عِصْمَةَ الْمَلَائِكَةِ الطُّهْرِ ر، وَيَأْتِي مَا يُخْجِلُ الشَّيْطَانَا
الطاهر: الطاهرون

١١ زيارة ذات غرض

وَقَالَتْ: مَنْ الْآتِي؟ فَأَرْعَدَ قَلْبُهُ وَأُخْجِلَ عَيْنِيهِ الْغَرَامُ الْمُفَاجِئُ
قَرَعَ بَابَ الْحَبِيَّةِ، وَجَاءَهُ صَوْتُهَا فَارْتَجَفَ لَهَا سِلَاقِي مِنْ غَرَامٍ مُفَاجِئٍ.. وَمَا نَرَاهُ إِلَّا زَبُونٌ مَبْنِيٌّ

وَرَفَّتْ لَهُ مِنْ كُلِّ مَرَأَى صَبَابَةٌ وَضَجَّ حَنِينٌ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ظَامِيٌّ
وَقَالَ: فَتَى تَاهَتْ سَفِينَةُ عُمْرِهِ وَغَابَتْ وَرَاءَ الْيَأْسِ عَنْهُ الْمَرَافِيُّ
وَلَقَّهُمَا ظِلُّ السَّكِينَةِ، وَالْهَوَى يُعَانِدُ أَحْيَانًا وَحِينًا يُمَالِي
الغرام يعانده حيناً وحيناً يماله، أي يوافقه

فَحَدَقَ يَسْتَقْصِي مَفَاتِنَ جِسْمِهَا كَمَا يَتَقَصَّى أَحْرُفَ السَّطْرِ قَارِيٌّ
وَضَمَّتْهُمَا فِي زَحْمَةِ الْحَبِّ نَشْوَةٌ وَهَوَمٌ فِي حِضْنِ الْخَطِيبَةِ خَاطِيٌّ
فَتَاةٌ يَمُوجُ الْحُسْنُ فِيهَا، وَتَرْتَمِي عَلَيْهَا الصَّبَابَاتُ الْجِيَاعُ الظَّوَامِيُّ
جَمَالٌ وَإِغْرَاءٌ وَرُوحٌ نَدِيَّةٌ وَجِسْمٌ بِأَحْضَانِ الْغَوَايَةِ دَافِيٌّ

١٢ إنارة النجوم

فِي سَبِيلِ الْفَجْرِ مَا لَاقَيْتُ، فِي رِحْلَةِ السَّيِّهِ وَمَا سَوْفَ أَلَاقِي
سَوْفَ يَفْنَى كُلُّ قَبْدٍ وَقَوَى كُلُّ سَفَّاحٍ، وَعِظْرُ الْجُرْحِ بَاقِي
سَوْفَ تَهْدِي نَارُ جُرْحِي إِخْوَتِي وَأُعِيرُ الْأَنْجَمَ الْوَسْنَى اخْتِرَاقِي
الأنجم الوسنى: الناعسة التي خَفَّتْ ضَوْؤُهَا

١٣ عبد الناصر

كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢:

يَا لُصُوصَ الْعُرُوشِ عِيبُوا جَمَالَا وَاخْجَلُّوا أَنْكُمْ قَصْرْتُمْ وَطَالَا
جمال، هو عبد الناصر، ولصوص العروش الملوك الذين كانوا يناصرون عبد الناصر العداء في تلك الحقبة. وكان يعاديه الملك فيصل بن عبد العزيز الذي أخذ الملك عنوة

لَا تَضِيقُوا فَإِنَّ لِلشَّرَفِ الْعَا لِي رِجَالاً وَلِلدَّنَايَا رِجَالَا
 وقال بدوي الجبل قبل البردوني: خلق الله للعظام والمجد رجلاً وللصغار رجلاً
 لَا تَضِيقُوا إِنَّ الْعُرُوبَةَ تَدْرِي مَنْ جَمَالٌ وَتَعْرِفُ السَّلَا
 السلال: عبد الله السلال رئيس الجمهورية اليمنية بعد الإطاحة بحكم الإمام

١٤ رؤوس وعمائم

كانون الثاني/يناير ١٩٦٣، بعد أربعة أشهر من الثورة اليمنية، وألقاها في الإذاعة:
 كَيْفَ كُنَّا نَدْعُوهُ مَوْلَى مُطَاعاً وَهُوَ لِلْإِنْجِلِيزِ أَطْوَعُ خَادِمٌ
 يتحدث عن الإمام أحمد، وخلع عام ١٩٦٢

هَدَّنَا الضَّعْفُ فَادْعَى قُوَّةَ الْجِنِّ - وَبِأَسْرِ الرَّدَى وَفَتْكَ الضَّرَاغِمِ
 وَيُوَلِّي عَلَى الْوِزَارَاتِ وَالْحُكْمِ - سَمِ رِجَالاً كَالْعَانِسَاتِ النَّوَاقِمِ
 العانسات الناقمات ذوات النكد

وَلُصُوصاً، كَأَنَّهُمْ قَوْمٌ يَأْجُو جَ، صِغَارَ النَّهْيِ كِبَارَ الْعَمَائِمِ
 وفي القرآن: «قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ»، النهى: العقول
 يَحْكُمُونَ الْجُمُوعَ وَالْعَدْلُ يَبْكِي وَالْمَاسِي تُدْمِي سُقُوفَ الْمَحَاكِمِ
 فَاَنْطَلِقْ حَيْثُ شِئْتَ يَا فَجْرُ إِنَّا قَدْ فَرَشْنَا لَكَ الدُّرُوبَ جَمَاجِمِ

١٥ الوحل الآدمي

كُنْتُ أَمَشِي فَتَفَرِّشُونَ طَرِيقِي نَظَرَاتٍ مُسْتَجِدِّيَاتٍ كَسِيرَةً
 هكذا العشاق للفنّانة وهي في نضارتها

تَتَنَاجُونَ بَيْنَكُمْ: أَتَرَاهَا بِنْتُ كِسْرَى أَمْ شَهْرَزَادَ الصَّغِيرَةِ
 لَيْتَنِي مُسْطَهَا فَأَشْتَمَ مِنْهَا شَعْرَهَا، أَوْ أَكُونَ فِيهِ صَفِيرَةٍ
 كذا يقول العاشق

هَكَذَا كُنْتُمْ أَمَامِي وَخَلْفِي غَزْلاً مُغْرِيّاً، وَكُنْتُ غَرِيرَةً
 غريرة: جاهلة غشيمة

وَلِأَنِّي أَنْشَى وَأُمِّي عَجُورٌ مَاتَ عَنْهَا أَبِي، سَقَطْتُ أَجِيرَةً

لَسْتُ أَدرِي كَيْفَ انْتَهَى؟ مات يوماً وَرَمَى عِبْنَهُ عَلَيْنَا وَنِيرَهُ

نيره: حملة الثقل، والنير الخشبة توضع على رقبة الثور ليجر سكة المحراث

فَتَبَنَّى الصَّيَّاعُ طِفْلاً كَسِيحاً وَأَنَا، وَالْأَسَى وَأَمَّا فَقِيرَهُ

فَسَهَرْنَا نَشْقَى وَنَسْتَرْجِعُ الْأَمَّ سَ وَنَبْكِي أَبِي، وَنَرْوِيهِ سِيرَهُ

وَمَلَأْنَم يَدِي وَأَشَعَلْتُمُونِي شَمْعَةً فِي دُجَى الْخَطَايَا الضَّرِيرَهُ

أعطيتموني المال، وأحرقتموني في ظلام الخطيئة العمياء

وَلَهَوْنَا حِيناً، وَأَشْتَى رَبِيعِي فَتَعَرَّيْتُ أَرْتَدِي زَمَهْرِيرَهُ

ثم ذهب شبابي وصار ربيعي شتاء.. فما ارتديت على عربي سوى البرد القارس

وَزَعَمْتُمْ بِأَنَّنِي كُنْتُ وَخْلاً أَدَمِيّاً، أَمَا شَرِبْتُمْ عَصِيرَهُ؟

حَقَّرُونِي يَا دُودُ، لَوْ لَمْ تَكُونُوا حُقَرَاءَ مَا كُنْتُ يَوْماً حَقِيرَهُ

صَدَّقُونِي إِنْ قُلْتُ فِي دُورِكُمْ مِثْ لِي، فَلَسْتُ الْأُولَى وَلَسْتُ الْآخِرَهُ

١٦ الوضع صعب

سَوْفَ أَبْكِي وَلَنْ يُغَيِّرَ دَمْعِي أَيَّ شَيْءٍ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِي وَوَضْعِي

١٧ شقيقة زوجته

صَحِجَكْتُ لَهُ يَوْمَ الْخَمِي سِ وَضَحَكْتُ الْأُنْثَى عِلَامَةً

وَأَحَسَّهَا لَمَحَحَتْ هَوَا هُ بِعَيْنِ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

أَيَّامَ وَغَكَّةِ أُخْنِيهَا جَاءَتْ وَطَوَّلَتِ الْإِقَامَةَ

وَدَنْتُ كَأَجْنَى كَرَمَةٍ تَلْهُو بِنَهْدِيهَا أَمَامَهُ

دنت منه أخت زوجته، كدالية عنب نضجت عناقيدها واقترب جناها وقطافها، وكانت - والعياذ بالله - تلهو بذيئك اللذين ليس له مثلها

وَأَرَادَ، فَاسْتَحْيَا، عَلِي شَفَتَيْهِ مَشْرُوعُ ابْتِسَامَةٍ

١٨ شمس صنعاء

نموز/ يوليو ١٩٧٠:

صَنْعَاءُ يَا أُخْتَ الْقُبُورِ ثُورِي، فَإِنَّكَ لَمْ تَثُورِي

حَاوَلْتُ أَنْ تَتَقَيَّئِي فِي لَيْلَةٍ عَفَرَ الْعُصُورِ
فَتَسَاقَطَتْ شُرُفَاتُكَ النَّـ غَسَى كَأَغْشَاشِ الطَّيُورِ
تَتَنَهَّيْدِينَ بِلاَ أَسَى أَوْ تَضْحَكِينَ بِلاَ سُرُورِ
مَا زَالَ يَخْذُلُكَ الزَّمَا نَ فَتَبْزُغِينَ لِكَيِّ تَغُورِ
ظل الزمان يتأخر عن نجدتك فأنت كشمس تشرق وسرعان ما تغور، أي تغرب وتسقط وراء الأفق
يَا شَمْسَ صَنَعَاءِ الْكُـ لَ أَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَدُورِ؟

١٩ رثابة

شباط/فبراير ١٩٧٣ :

مِثْلَمَا تَعَصِرُ نَهْدَيْهَا السَّحَابَةُ تُمَطِّرُ الْجُدْرَانُ صَمْتًا وَكِبَابَةً
يَسْقُطُ الظِّلُّ عَلَى الظِّلِّ كَمَا تَرْتَمِي فَوْقَ السَّمَاءِ الدُّبَابَةُ
تَسْغُلُ الْأَشْجَارُ تَحْسُو ظِلَّهَا تَجْمُدُ السَّاعَاتُ مِنْ بَرْدِ الرِّثَابَةِ

٢٠ بعيد ووحيد

: ١٩٧١

لَمَّا وَجِذْتُ الْقُرْبَ مِنْ لِكَ أَمَرٍّ مِنْ سَهَرِ الْفِرَاقِ
مِنْ غَيْرِ تَوَدِّيعِ ذَهَبِ تْ كَمَا أَتَيْتُ بِلاَ اتِّفَاقِ
كَانَ اللَّقَاءُ بِلاَ وُجُو هِ وَالْفِرَاقُ بِلاَ مَاقِ
لَكِنْ لِمَاذَا تَسْأَلِي نَ بِمَنْ أَهْيَمُ وَمَنْ أَلَا قِي
فَلْتَسْتَرِيحِي، إِنَّنِي وَحْدِي، وَأَخْزَانِي رِفَاقِي

٢١ سَأْنَسَاكِ

لَمْ أَكُنْ شَهْرِيَارَ لَكِنْ تَمَادَتْ عِشْرَةٌ صَوَّرْتُكَ لِي شَهْرَ زَادَا
كَانَ حُبِّي لَكَ اغْتِيَادًا وَإِلْفًا وَسَأْنَسَاكِ إِلْفَةً وَاغْتِيَادَا

٢٢ يَا أَسْمَنْتُ !

: ١٩٧٢

هَذِي الْعِمَارَاتُ الْعَوَالِي ضَيَّعْنَ تَجْوَالِي .. مَجَالِي

هذه البنايات العالية جعلتني أضل طريقي وأفقد مجال الحركة الذي تعودت عليه

أَذْنُو وَلَا يَعْرِفَنِّي، أَبْكِي وَلَا يَسْأَلَن: مَا لِي؟
كَأَنْتَ لِعَمِّي هَهُنَا دَارٌ تُحِيطُ بِهَا الدَّوَالِي
الدوالي: شجيرات العنب

فَعَدَّتْ عَمَارَةَ تَاجِرٍ هِنْدِي أَبْوُهُ بُرْتُغَالِي
مِنْ أَيْنَ يَا أَسْمَنْتُ أَمَّ شَيْ ضَاعَتْ الدُّنْيَا حِيَالِي
أُمِّي! أَتَلْقَيْنَ الْغُزَاةَ بِوَجْهِهِ مُضَيَّافٍ مِثَالِي؟
يدعو اليمن إلى عدم التعاون مع القوى المعادية

لَمْ لَا تُعَادِيَنَّ الْعِدَى؟ مَنْ لَا يُعَادِي لَا يُوَالِي

٢٣ بتنا معاً

قصيدة قديمة (١٩٤٧) نشرها بعد موت من قيلت فيه:

أَغْلَقْتُ بَابَ الْبَيْتِ وَالدَّرْسِ فِي وَجْهِي، سَأَلَقَى الدَّرْسَ وَالْمَوْضِعَا
طرده المعلم من المدرسة ومن بيت الطلبة لعلاقة غرامية، ويتحداه الشاعر بأنه سيجد مكاناً ودروساً
يَا (لُظْفُ) مَهْمَا لُمْتَنِي لَمْ أَدْعُ هَذَا السُّلُوكَ الشَّائِنَ الْمُمْتَعَا
يصف سلوكه بالشائن... لكن الممتع... ولا يريد التخلي عنه

وَلْتَمْنَعِ التَّعْلِيمَ عَنِّي كَمَا تَهْوَى، فَخَيْرٌ مِنْكَ لَنْ يَمْنَعَا
أَبْصَرْتَنِي مِنْ بَيْتِيهَا خَارِجاً كَالْكَلْبِ، أَمْشِي وَاجِفاً مُسْرِعَا
واجف: مضطرب

فَلَا غَتْرِفُ، لَا نَاوِيَا تَوْبَةً: إِنِّي وَمَنْ سَمَّيْتَ بِتَنَا مَعَا
أعترف، وأنا لا أنوي التوبة: لقد بت معها

٢٤ تعريف اليمني

تموز/ يوليو ١٩٧٠:

مُوَاطِنٌ بِلَا وَطَنَ لِأَنَّهُ مِنَ الْيَمَنِ
تُبَاعُ أَرْضُ شَعْبِهِ وَتُشْتَرَى بِلَا ثَمَنِ

٢٥ صنعاء والعاشقان

: ١٩٧١

ماذا أَحَدْتُ عَنْ صَنْعَاءَ يَا أَبْنِي، مَلِيحَةً عَاشِقَهَا السُّلَّ وَالْجَرَبُ
مَاتَتْ بِصُنْدُوقٍ «وَضَّاحٍ» بِلا سَبَبٍ وَلَمْ يَمُتْ فِي حَشَاها الْعَشْقُ وَالطَّرَبُ

يشير إلى قصة الشاعر «وضاح اليمن» الذي كان يُشدد أُمّ البنين زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك
شعره في خيمة لها، وداهم الخليفة الخيمة فاخْتِباً وضاح في صندوق ثياب، فأمر الخليفة
بالصندوق فدفن دون أي يفتح، وكان ذلك آخر العهد بوضاح اليمن

٢٦ بصراحة

هل تَغْفِرِينَ لَوْ أَتَيْتَنِي أَبْدِي الذي قد كُنْتُ أَخْفِي؟
مَا كَانَ جَبَّاراً هَؤُلاَءِ، وَإِنَّمَا قَوَّاهُ ضَعْفِي

٢٧ أسود هنا نِعَاجُ هُناكَ

تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٣ :

عُرَاةُ الْيَوْمِ كَالطَّاعِوِ نِ يَخْفَى وَهُوَ يَسْتَشْرِى
فَظِيغٌ جَهْلٌ مَا يَجْرِي وَأَنْظَعُ مِنْهُ أَنْ تَدْرِي

* * *

يَمَانِيُونَ فِي الْمَنْقَى وَمَنْفِيُونَ فِي الْيَمَنِ
وَمِنْ مُسْتَعْمِرٍ غَايَ إِلَى مُسْتَعْمِرٍ وَطَنِي

* * *

أَمِيرَ النَّفْطِ! نَحْنُ يَدَا، نَحْنُ أَحَدُ أَنْبَايْكَ
وَمَسْؤُولُونَ فِي صَنْعَا وَفَرَاثُونَ فِي بَايْكَ

٢٨ قلبي دواتي

يَا رِفَاقِي إِنْ أَخَزَنْتَ أَغْنِيَاتِي فَالْمَاسِي حَيَاتُكُمْ وَحَيَاتِي
إِنْ هَمَّتْ أَحْرُفِي دَمَاءٌ فَلِأَنِّي يَمْنِي الْمِدَادُ، قَلْبِي دَوَاتِي

همت: نزلت كالدمع، المدار: الحبر، الدواة: المِحبرة

٢٩ المتلفت

أيلول/سبتمبر ١٩٧٤ :

عَرَفْتُهُ يَمَنِياً فِي تَلَفُّتِهِ خَوْفٌ، وَعَيْنَاهُ تَارِيخٌ مِنَ الرَّمْدِ

مِنْ خُضْرَةِ الْقَاتِ فِي عَيْنَيْهِ أَسِئَلَةٌ صُفْرُ تَبْرُوحٍ كَعُودٍ نِصْفٍ مُتَّقِدٍ

هذه «النصف متقد» مأخوذة من بشارة الخوري في قصيدة المسلول، انظر القطعة ٥ في الباب الأول من هذا الكتاب

رَأَيْتُ فِيكَ بِلَادِي كُلَّهَا اجْتَمَعَتْ كَيْفَ التَّقَى التَّسْعَةُ الْمَلِيونُ فِي جَسَدِ

فَوْجٍ يَمُوتُ وَنَنْسَاهُ بِأَرْبَعَةٍ فَلَمْ يَعْذُ أَحَدٌ يَبْكِي عَلَى أَحَدٍ

بأربعة: بعد أربعة أيام

وَفَوْقَ ذَلِكَ أَلْقَى أَلْفَ مُرْتَزِقٍ فِي الْيَوْمِ يَسْأَلُنِي: مَا لَوْنُ مُعْتَقَدِي؟

يقتل الناس أفواجا ثم يأتي المتفعون بالحروب الداخلية ويريدون التحقق من الهوية الطائفية لك فرد

٣٠ يأس

كانون الثاني/يناير ١٩٧٤ :

نَتَشَهَّى غَدًا... يَزِيدُ ابْتِعَادًا نُرْجِعُ الْأَمْسَ! لَا يُطِيقُ ارْتِجَاعًا

نَمْتَطِي مَوْجَةً إِلَى غَيْرِ مَرْسَى إِنَّ وَجَدْنَا رِيحًا فَقَدْنَا الشَّرَاعَا

٣١ عودة المحتل

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٦ :

جَاءَنَا الْمُحْتَلُّ فِي غَيْرِ اسْمِهِ لَبِسَتْ وَجْهَ النَّبِيِّ الْقَرَصَنَةُ

أَيَّ نَفْعٍ يَجْتَنِي الشَّعْبُ إِذَا مَاتَ فِرْعَوْنُ لَتَبَقَى الْفِرْعَنَةُ

٣٢ زمان بلا نوعية

تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٧ :

طَلَبْتُ فَطُورَ اثْنَيْنِ، قَالُوا بِأَنْنِي وَحِيدٌ، فَقُلْتُ: اثْنَيْنِ، إِنَّ مَعِيَ صَنْعَا

ما أراه إلا كان جائعاً لم يتعش في ليلته

أَكَلْتُ وَإِيَّاهَا رَغِيفاً وَنَشْرَةً هُنَا أَكَلْتُنَا هَذِهِ النَّشْرَةُ الْأَفْعَى
زَمَانٌ بِلا نَوْعِيَّةٍ سَاقٍ وَبِلَهُ مَتَاخِيمٌ يَقْتَاتُونَ أَفِيدَةَ الْجَوْعَى
متاخيم: مصابون بالتخمة

٣٣ دمار

: ١٩٧٨

أَقْبَلْتُ كُلُّهَا الدَّكَاكِينَ وَلَهَى كَبَغَايَا هَرَبِينَ مِنْ نَسْفٍ مَلْهَى

خرج الناس من الدكاكين هاربين مولهين، خائفين، كمومسات هربن بعد نسف الملهى

لَمْ يَعُدْ مَنْ يَجِيءُ. جَاءَتْ سُقُوفٌ فَوْقَ أُخْرَى، وَاهٍ أَتَى فَوْقَ أَوْهَى

ثم لم يعد أحد يجيء فالبنائيات تهدمت ووقعت السقوف فوق السقوف، فهي واهية ضعيفة وقعت فوق ما هو أوهى منها

كَانَ يَسْتَفْسِرُ الْغَبَارُ الشَّظَايَا: الْمَرَايَا أَوْ الْجِرَاحَاتُ أَزْهَى؟

أَقْبَلْتُ كُلُّهَا الْعِمَارَاتُ عَجَلَى نَمْتَطِي مَحْبِزاً، وَتَجْتَرُّ مَقْهَى

هجوناً رمزية البردوني في المقدمة! ألا مرحباً برمزية تصور حال الدمار بلغة بهذه الكثافة والجمال

٣٤ بلغ السيل الزبى

: ١٩٧٧

حَدِّي سِگِّينَا حِدِّي عُنُقِي أَعْلَى مَا أَهْدِي

أَرْجُوكِ اخْتِزِّي، عُمْرِي أَضْحَى شَيْئاً لَا يُجْدِي

يَغْلُو مَشْنُوقاً؛ يَهْوِي كَرَمَادِ النَّعْشِ الْهِنْدِي

رماد النعش الهندي: الرماد المتخلف عن حرق الهندود الميت ونعشه

٣٥ نشور وانتقام

أيلول/سبتمبر ١٩٧٨ :

لِأَنِّي دَخَلْتُ السَّجْنَ شَهْراً وَلِيلَةً خَرَجْتُ وَلَكِنْ أَصْبَحَ السَّجْنُ دَاخِلِي

لَقَدْ كُنْتُ مَحْمُولاً عَلَى نَارٍ قَعْرِهِ فَكَيْفَ تَحَمَّلْتُ الَّذِي كَانَ حَامِلِي

النار في قعر جهنم أشد استعاراً

أَتَذَرِينَ! أَنَسَانِي التَّمَرُّغُ هَهُنَا جَبِينِي، وَأَنْسَتَنِي الْمَنَافِي شَمَائِلِي
إِلَى شَهْوَةِ الْأَعْرَاسِ أَسْرَجْتُ مَذَنِّي وَمِنْ قَطْعِ شِرْيَانِي بَدَأْتُ تَوَاصُلِي
وضعت السرج فوق قبري فجعلته حصاناً أمضي به نحو شهوة العرس والمستقبل الأفضل، ومن
الألم المميت بدأت أتواصل مع الحياة

أَمَا كُنْتُ مَيِّتًا! إِنَّمَا كُنْتُ أَغْتَلِي وَأَغْلُو عَلَى قَتْلِي لِأَجْتِثَّ قَاتِلِي
تمردت على الموت كي أقتل قاتلي

٣٦ الأمر الواقع

مَنْ ذَا يُسَمِّي نَفْسَهُ سَبْدًا؟ هَذِي الْعَصَا، لَا غَيْرَهَا، السَّيِّدَةُ
النَّاسُ غَيْرُ النَّاسِ، قُلْ أَصْبَحُوا أَذْهَى مِنَ الصَّبَا وَالْمِضِيدَةِ
النَّاسُ فِي هَذِي الرُّبَى كَالرُّبَى نَوَارِثُوا الْإِخْصَابَ وَالْجَلْمَةَ

٣٧ ليل القمع

اللَّيْلُ أَبْرَدُ مَا يَكُونُ وَاللَّيْلُ أَشْهَدُ مَا يَكُونُ
وَكَأَنَّ كُلَّ دَقِيقَةٍ تَبْدُو مَلَائِينَ الْقُرُونِ
وَكَأَنَّ فَوْقَ مَنَاكِبِ اللَّـهِ حَفَظَاتِ جُذُرَانَ الشُّجُونِ

المناكب: الأكتاف

وَهَنَّاكَ تَرْتَجِفُ الْكُؤَى وَهَنَّا يَجُولُ الْمُخْبِرُونَ
الكؤى: النوافذ

وَاللَّيْلُ يَبْتَدِيعُ الثَّهَى وَيَلِ الْغَرِيبَاتِ الْفُنُونُ
وَالصَّوْتُ يَحْتَرِفُ الْخِيَا نَةً وَالشُّكُوتُ كَمَنْ يَحُونُ
حَتَّى الْجُذُورُ مُدَانَةٌ بِذُنُوبِ إِنْجَابِ الْغُصُونِ
وَاللَّيْلُ مُسْتَلْقٍ كَمَا خُورٍ يُنْقَرُّ عَنْ زُبُونِ
الْأَرْضِ نَفْسُ الْأَرْضِ لَمْ كِنَ الْجَحِيمِ الْآخَرُونَ
السَّجْنُ لِيضِقُ السَّجْنَ لِيضِقُ قُ الْمَكْرُفُونَ الْمَكْرُفُونَ

للنظام سجنونه، وله آله الإعلامية الكاذبة

لَا تَكْتَرِثُ بِقَعِّ الَّذِي لَا يَدْعِي الْمُسْتَظْلِعُونَ

مِنْ أَيِّ نَبْعٍ أَنْتَ؟ مِنْ يَأْ وَمِنْ مِيَمٍ وَنُونٍ
أحرف يمن

لِلْقَلْبِ يَا دَيْجُورَ قَلْبٍ بٌ مِنْ أَسَاطِيرِ الْفُتُونِ
الديجور: الظلمة

لَنْ يَعْدَمَ الْأَرْقُ النُّجُو مَ وَلَنْ يَنَامَ الْعَاشِقُونَ

٣٨ البقاء للأذبح

أَلَا اقْتُلْ كُلَّ مَنْ تَلَقَى إِذَا اسْتَبَقَيْتَ لَنْ تَبْقَى
لِأَنَّ الْقَتْلَ بَعْدَ الْقَتْلِ لِي طِبُّ الْأُمَّةِ الْحَمَقَى
طب: علاج

٣٩ الصعلوك

عن المتنبي ١٩٨٠:

مَنْ تَلَطَّيْ لُمُوعِهِ كَادَ يَغْمَى كَادَ مِنْ شُهْرَةٍ اسْمِهِ لَا يُسَمَّى
من تلطي وتوقد لمعانه كاد المتنبي يخفى عن العيون.. كالسيارة التي تشع مصابيحها في وجهك
فلا تتبينها.. كيف عرف البردوني هذا وهو ضرير؟ من شهرة المتنبي يستشهد الناس بشعره دون
تسمية الشاعر

إِنَّهُ أَخْطَرُ الصَّعَالِيكِ طُرّاً إِنَّهُ يَعْشَقُ الْخُطُورَاتِ جَمّاً
تحليل طبيب لشخصية المتنبي فهو شامخ أبي في رأي معظم الناس، وهو صعلوك يعشق الخطر عند
البردوني

٤٠ قزمية

هَذِي الْفِجَاجُ كَأَنْثَى مَا لَهَا رَحِمٌ هَذَا الزَّحَامُ رِجَالٌ مَا بِهِ رَجُلٌ
هذه الطرق الواسعة تشبه أنثى لكنها لا تلد، وهذا الزحام من الرجال ليس فيه رجل حقيقي. البلد
عقيم

غَاصَتْ وَجُوهُ الرُّوَابِي تَحْتَ أَرْجُلِهَا فِي جِلْدِ كُلِّ حَصَاةٍ يَنْطَوِي جَبَلٌ
ظلم الدولة بعساكرها ومخابراتها يقزم البشر تقزماً، ها هي الروابي تفقد وجوها فكانها تضع
وجوها تحت أرجلها، وكل حصاة هي عبارة عن جبل تقزم حتى صار حصاة في رابية

وكانَ يَهْمِسُ مِنْ خَلْفِ الْهَدِيرِ فَمَّ لَا يُورِقُ النَّاسُ حَتَّى تَذُبُلَ الدُّوَلُ
من وراء هدير الدولة وصخبها ثمة فم يقول: الناس لا يصبحون ناساً ذوي إرادة حرة إلا مع ذبول
الدولة. يتمثل البردوني الفكر اليساري في بعض تجلياته المتطرفة، وكان مثقفو العرب في هذه
الحقبة يقرأون عن برودون ويعجبون بفلسفته «الفوضوية»

٤١ ميت في قبرين

: ١٩٨٣

مُتُّ يَوْمًا بِأَصْدِيقِي، وَأَنَا كُلَّ يَوْمٍ وَالرَّذَى شُرْبِي وَزَادِي
أَنْتَ فِي قَبْرِ وَحِيدٍ هَادِي أَنَا فِي قَبْرَيْنِ: جِلْدِي وَبِلَادِي

٤٢ الحصى أخباراً

: ١٩٨٥

مَاذَا يُسِرُّ لِسْفَحِ الرَّبْوَةِ الْحَجَرُ كَأَنَّ كُلَّ حَصَاةٍ هَهُنَا خَبَرُ
يسر: يهمس. الناس في هذا المجتمع كالحصى في الربوة، وكل حصاة تهمس همساً كأن عندها
خبراً، بل كأنها هي خبر

لِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَكْلٌ وَتَمَتَّمَةٌ لَكِنْ يُوحِذُهُنَّ الْعَجْزُ وَالضُّعْفُ
كل حصاة لها شكل معين، وتمتمة معينة في همسها.. لكن القاسم المشترك بينها: العجز
والضعف. المجتمعات العربية يفسرها أحياناً الشعر بأحسن مما تفسرها الكتب الضخام

٤٣ هذا العدم

صَبَاحٌ وَيَزْحَفُ بَدْءُ الْمَسَاءِ مَسَاءٌ وَتَعْدُو جِبَالُ الْأَسَى
تعدو: تركض

فَلَا اللَّيْلُ يَعْرِفُ شَوْقَ النُّجُومِ وَلَا الْيَوْمُ يَدْرِي مَتَى أَشْمَسَا
تَنَامُ الصَّبِيحَاتُ عِنْدَ الْبُزُؤِغِ وَتَنْسَى الْعَشِيَّاتُ أَنْ تَنْعَسَا
وصف غائم لشعوب تنام في النهار، وتفتح عيونها ليلاً

عَبَارٌ يُؤَلِّي، غُبَارٌ يَلِي دُخَانٌ جَرَى، وَدُخَانٌ رَسَا
وَأَشْرِبَةٌ تَحْتَسِي مَنْ حَسَا وَأَرْغَفَةٌ تَأْكُلُ الْآكِلِينَ
وَجِئْتُ قَذَائِفُهُمْ كُلَّ غَرْسٍ مِنَ الْجَذْرِ وَاحْتَلَّتِ الْمَغْرَسَا

وَتِلْكَ الْكُرَاتُ الَّتِي يَمْشُطُونَ لِمَاذَا يُسَمُّونَهَا أَرْؤْسًا؟
فَلِلرَّيْحِ أَنْ تَرْتَدِّي أَوْجَهَا وَلِلرَّمْلِ أَنْ يُحْسِنَ الْمَلَبَسَا
وَيَجْتَرَّ كُثْبَانَهُ خَلْفَهُ وَيَأْسِمُ الْحَصَى بِرَأْسِ الْمَجْلِسَا
لو كان البردوني مبصرًا لقلنا إنه تأثر في هذا الشعر بلوحات سلفادور دالي

٤٤ الرصيف

: ١٩٨٣

يَمْضِي لَفِيفٌ وَيَلِيهِ لَفِيفٌ وَأَنْتَ ثَاوٍ هَهُنَا يَا رَصِيفُ
تَسْتَقْرِئُ الْأَقْدَامَ، هَلْ أَنْتَ مِنْ قِرَاءَةِ الْأَوْجَاعِ مُضْنَى أَسِيفُ
كَيْفَ تَرَى الْأَحْزَانَ مِنْ تَحْتِهَا؟ كَمَا يَرَى بِالسَّمْعِ قَلْبُ الْكَفِيفِ؟

٤٥ التلميذ ابن أبيه

: ١٩٨٥

مَصْرُوفُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِيرُ أَبَوُهُ إِمَّا سَارِقٌ أَوْ أَمِيرُ
أَوْ عِنْدَهُ أُمٌّ كَمُرْجَانَةٍ فِي بَيْتِهَا كُلُّ مَسَاءٍ وَزِيرُ
مرجانة: الجارية الفضيحة ذات الحيلة التي ساعدت «علي بابا» ضد الحرامية وتزوجها

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَكْتَسِي حُلَّةً أُخْرَى، فَيَبْدُو دُمِيَّةً مِنْ حَرِيرِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا اسْمُهُ؟ عَلُّهُ سَمِيرَةٌ، لَكِنْ يُنَادَى سَمِيرُ
تَحْدِيقُهُ مِثْلُ طَحِينِ الْحَصَى وَخَطْوُهُ يَحْكِي عَجِينَ الشَّعِيرِ
نظرات التلميذ بلهاء لا معنى لها كأنها دقيق مصنوع من طعن الحصى، ويخطو بدلال كأنه يسير على عجين... هذا ما فهمت من البيت

يُبَالِغُ الْأُسْتَاذُ رَشْوَانُ فِي تَذْلِيلِهِ، يَرَعَاهُ كَابِنِ الْمُدِيرِ
يَجْتَازُ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، وَمَا عَانَى طَرِيقًا أَوْ أَرَادَ الْمَسِيرِ
هَذَا الَّذِي مِنْ صَفَّنَا، كَمْ تَرَى لَهُ بِصْنَعًا أَوْ سِوَاهَا نَظِيرُ؟
مَنْ قَالَ إِنَّي أَبْتَغِي رِفْعَةً كَهَذِهِ؟ هَذَا طُمُوحُ الْحَقِيرِ

٤٦ أمنية

: ١٩٨٧

مَتَى نَعْرِفُ الْأَمْطَارُ أَغَطَّشَ بُقْعَةً وَتَسْعَى إِلَى مَنْ يَشْتَهِيهَا الْمَوَائِدُ
تَجَدَّدُ كَقَلْبِ النَّهْرِ يَا سَيِّدَ الْأَسَى سَتَرْتَاذُ عَهْدًا غَيْرَ مَا أَنْتَ عَاهِدُ
أَيُّهَا الْمَوَاطِنُ الْحَزِينِ جَدِّدْ هِمَّتَكَ مِثْلَمَا يَجْدِدُ النَّهْرُ مَاءَهُ بِجَرَيَانِهِ . . فسوف يأت عهدي أفضل

٤٧ جهاز المخابرات

لَا تَخَافِي مِنْهُمْ، وَلَكِنْ أَفِيقِي صَارَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُدْعَى صَدِيقِي
حَبِّدِي بَعْضَ مَا يَرَوْنَ، تَغَابِي فَالْتَّعَابِي يُرْضِي الْعَبَاءَ الْحَقِيقِي
خَنَقُوا خَطَّ هَاتِفِي مِنْ حَشَاءُ وَتَقَصَّصُوا زَفِيرَهُ وَشَلْهِيقِي
مَنْ أَوْاخِي؟ لَوْ ذُبْتُ لَطَفًا لَقَالُوا إِنَّ سُمِّيَ مُحِبًّا فِي رَحِيقِي
لَوْ تَحَوَّلْتُ فَرَحَةً نَعْلَبُونِي لَوْ تَضَفَّدَعْتُ خَبَرُوا عَنْ نَفِيقِي
لَوْ رَأَوْنِي أُنْسِي جِمَارًا لَنَادَوْا خُبَرَاءُ يُتَرَجِّمُونَ نَهْيِي
رَغَمَ أَنْفِ الذِّي رَمَاهُمْ حِيَالِي مَا تَنْوَنِي، وَلَنْ يَسُدُّوا طَرِيقِي

٤٨ عيون الشعر

: ١٩٨٨

الصَّمْتُ أَخْوَنُ شَيْءٍ فِي الْفِتْرِ الْمُدْلِهِمَّةِ
هِنَالِكَ الشُّغْرُ أَهْدَى إِلَى صَمِيمِ الْمُلِمْةِ
مَا دَامَ فِي الْقَلْبِ هَمٌّ فَلِلْقَوَافِي مُهِمَّةُ

٤٩ الزعماء

: ١٩٨٧

يَا دَوِي التَّيْجَانِ يَا أَهْلَ الرُّئَاسَةِ الْمَلَائِكَةُ لَكُمْ تَفَنَّى حِمَاسَةٍ
وَجُمُوعُ الشَّعْبِ لَاقَتْ فِيكُمْ قَادَةَ النُّصْرِ وَأَبْطَالَ السِّيَاسَةِ
كَانَ هَذَا مَا رَوَى إِعْلَامُكُمْ هَلْ تَرَى هَذَا الْجَمَاهِيرَ الْمُدَاسَةِ؟
هل الجماهير التي تدوسونها، أيها الملوك والرؤساء، تراكم فعلاً قادة النصر مثلما تقول أبواقكم الإعلامية؟

جَرَّبُوا فِي الشَّعْبِ شَفِيَّتَكُمْ وَاخْرُجُوا يَوْمًا بِلاَ أَقْوَى حِرَاسَةٍ
أَنْ تُصَافُوا مَنْ يُعَادِي شَعْبَكُمْ مِثْلُ رَاجِي الظُّهْرِ مِنْ عَيْنِ النَّجَاسَةِ
كَيْفَ تَحْمِيكُمْ غُزَاةَ أَنْتُمْ عِنْدَهُمْ أَهْوَنُ مِنْ كَيْسِ الْكُنَاسَةِ؟

٥٠ أطفال الحجارة

: ١٩٨٨

قُلْتُمْ سَتَسْحَقُونَهُمْ كَيْفَ أَبَوْا أَنْ يُسْحَقُوا

قالت إسرائيل إنها ستحق الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، انتفاضة الحجارة

كُلُّ مُخَيِّمٍ عَلَى مَوْجِ اللَّهْيَبِ زَوْزُقُ
الْعُرْلُ الْعَائُونَ مِنْ أَغْتَى الْغُزَاةَ أَخَذَقُ
لَقَدْ تَعَمَّلَقَ الْحَصَى لِأَنَّهُمْ تَعَمَّلَقُوا
أَحْجَارُهُمْ غَيْرُ التِّي إِذَا ارْتَمَتْ تُظْفِقُ طِقُ

أحجار أطفال فلسطين ليست كأحجار الدامة تطفق مجرد طفقة ..

أَمَّا تَرَوْنَهَا عَلَى أَكْفِهِمْ تُحْمَلِقُ
تَكُرُّ مِنْ بَنَائِهِمْ كَمَا يَكُرُّ الْفَيْلِقُ

يكر: هجم

أَهْدَى مِنَ الْقَطَا إِلَى أَهْدَافِهَا وَأَسْبَقُ

القطا طائر معروف بالاهتداء إلى مواضع الماء، والاهتداء إلى عشه مهما بعد عنه

الضُّقَّةُ الْآنَ عَدَتْ تَلْهُو بِمَنْ تَفَوَّقُوا
لِأَنَّهَا فَاقَتْ بِلاَ دَعْوَى، وَهُمْ تَشَدَّقُوا
يَا مَنْ سَرَفْتُمْ مَوْطِنَا لَقَدْ أَبَى أَنْ تَسْرِفُوا

٥١ عزرائيل .. لحظة لطفاً!

: ١٩٩١

سَاعَةً يَا رَدَى أُتِمَّ الْقَصِيدَةُ هَاكَ قَاتَا وَجَرَّةً وَجَرِيدَةً

خذ يا موت بعض القات وجرة ماء أو شراب وجريدة، واقعد وتسل بها حتى أتم قصيدي

كُلُّ غُضَنِ لَهُ مَذَاقٌ جَدِيدٌ كَالْمَلِيحَاتِ كُلِّ أُخْرَى جَدِيدَةٌ
أَنْتِ تُسَمَّى مَنِيَّةً أَوْ حِمَاماً؟ قِيلَ أَنْتِ الْحَدِيدُ تُدْعَى حَدِيدَةً
المنية مؤنث والحمام مذكر.. وكلتا الكلمتين تعني الموت.. ويسخر الشاعر من تعدد أسماء
الموت فأنتي الحديد حديدة، وكلاهما حديد، لا فرق

يَا صَدِيقِي فِي الْقَلْبِ تَسْعُونَ قَلْباً وَقَوَافِي الْوَدَاعِ، تَذْرِي! عَنِيدَةً
يحبس الشاعر والمبدع والزعيم الملهم أنه لا يمكن أن يموت إلا بعد أن يؤدي رسالته
كاملة.. شعور خادع.. شوبرت مات وترك سيمفونيته الثامنة ناقصة، وموتسارت مات.
وترك «القداس» ناقصاً، ومالر ترك سيمفونيته العاشرة ناقصة. وهتلر كان يخطط لجعل
شواطئ أوكرانيا على البحر الأسود منتجعات يرتادها الألمان، بعد أن يطرد
الأوكرانيين إلى مناطق بعيدة ليس فيها خبز كي يموتوا جوعاً.. وانتهت الحرب
العالمية بخسران ألمانيا مساحات واسعة من أرضها، ومما خسرتة بروسيا الشرقية
التي هي من تليد الأرض الألمانية - وفيها ولد وعاش كل عمره الفيلسوف عمانوئيل
كانط - فقد طرد منها الروس الألمان طرداً، وسموها كالينين غراد، وما زالت روسية

عبد الله البردوني فهرس القوافي

١٥	كَسِيرَةٌ	١١	المُفاجِئُ
٤٣	الْأَسَى	٢٥	وَالْجَرْبُ
٤٩	حَمَاسَةٌ	١٩	وَكَاَبَةٌ
٣٠	ارْتِجَاعَا	٢٨	وَحَيَاتِي
٣٢	صَنَعَا	٢١	شَهْرَزَادَا
٢٣	وَالْمَوْضِعَا	٤٦	الْمَوَائِدُ
١٦	وَوَضْعِي	٢٩	الرَّمَدُ
٩	وُلُوعُهُ	٣٤	أُهْدِي
٢٦	أُخْفِي	٨	تُوقِدُ
٤٤	رَصِيفُ	٤	عِنْدِي
٣٨	تَبَقَى	٤١	وَزَادِي
٥٠	يُسْحَقُوا	٣٦	السَّيِّدَةُ
١٢	أَلَا قِي	٧	بِلَادِهِ
٢٠	الْفِرَاقِ	٥١	وَجَرِيدَةُ
٤٧	صَدِيقِي	٦	الْعُقَارَا
١٣	وَطَالَا	٤٢	خَبْرُ
٤٠	رَجُلُ	١	وَالسَّهْرُ
٣	إِشْكَالِ	١٨	تَثُورِي
٣٥	دَاخِلِي	٢٧	يَسْتَشِيرِي
٢٢	مَجَالِي	٤٥	أَمِيرُ

١٠	وَقُلَانَا	٥	الزَّمَامَا
٢٤	الْيَمَنُ	٣٩	يُسَمَّى
٣٧	يَكُونُ	١٤	خَادِمُ
٣١	الْقَرْصَنَةُ	٢	وَالْيَتَمُ
٣٣	مَلْهَى	٤٨	الْمُدْلِهِمَةُ
		١٧	عَلَامَةُ

فهرس القوافي العام

القافية، فرقم القطعة، فالباب الذي تنتمي إليه

أبواب الكتاب: ١ بشاره الخوري، ٢ الشاعر القروي، ٣ إيلبا أبو ماضي، ٤ إلباس فرحات، ٥ عرار، ٦ إبراهيم طوقان، ٧ أبو سلمى، ٨ بدوي الجبل، ٩ عمر أبو ريشة، ١٠ إبراهيم ناجي، ١١ أبو القاسم الشابي، ١٢ فهد العسكر، ١٣ عبد الله البردوني

إيلبا ٣٢ ناجي	البضاء ٥٩ إيلبا
أعدائي ٢٢ إيلبا	عباء ٥٠ القروي
الآباء ٢٦ إيلبا	لواء ٦١ فرحات
الأحشاء ٧٦ إيلبا	أرجاء ١ عرار
السماء ١٢٧ القروي	الأعداء ٢٨ أبو ريشة
السماء ٢٨ الشابي	الأدباء ٩٣ القروي
بإستهزاء ١٠٤ فرحات	الداء ٢٧ العسكر
بالمساء ٢٦ ناجي	الفضاء ١ القروي
بدمائي ١٠٥ إيلبا	أنباء ٢٤ ناجي
بسَخاء ١٩ فرحات	أنضاء ٢٣ ناجي
حواء ١٤ ناجي	بقاؤها ١٦ طوقان
لألاء ٣٠ إيلبا	بهاء ٢٥ طوقان
لِفناء ٢٥ القروي	والأسماء ٥٨ إيلبا
غناء ١٠٦ إيلبا	إباء ١٠٧ إيلبا

ذَنَابُ ٦٤ القروي	الصَّخْرَاءُ ٣٠ ناجي
مُحَبَّبُ ٢١ إيليا	الكِبْرِيَاءُ ٥ بدوي الجبل
وَأَغْلَبُ ٤٨ طوقان	اللَّوَاءُ ٩ ناجي
وَالْجَرَبُ ٢٥ البردوني	المُفَاجِئُ ١١ البردوني
وَالْغَضَبُ ١٤١ القروي	بِالسَّمَاءِ ١٥ أبو ريشة
يَكْتَبُ ٣٥ فرحات	جِرَاءُ ٢٥ أبو ريشة
أَبْوَابُ ٧٢ فرحات	أَبْوَابُ ٣٣ فرحات
الْأَحْبَابُ ٦٠ إيليا	الْحِسَابُ ١٧ القروي
الْثَّرَابُ ٣٢ بشارة الخوري	الْقُلْبُ ٢ عرار
الْجِلْبَابُ ٣٢ الشابي	الْقُلُوبُ ٥٨ فرحات
الرَّهِيْبُ ٥ الشابي	بَابُ ١٤٥ القروي
الرَّوَابِي ١٢ أبو سلمى	تَابَا ٢٨ بشارة الخوري
الشُّهُبُ ٢١ أبو ريشة	تَعَجَّبَا ٤١ ناجي
الْعَرَبُ ٧٧ فرحات	ذِيَا ٢ طوقان
الْعُقَابُ ٦١ إيليا	سَرَابَا ١٧ أبو سلمى
الْقُلُوبُ ٣١ بشارة الخوري	سَلَبَا ١٢ القروي
الْكُوكَبُ ١٨ أبو ريشة	غَضِبَا ٢٦ بشارة الخوري
الْمُتَصَابِي ٤٩ فرحات	مُهِدَّبَا ١٤٣ القروي
الْمَكَاسِبُ ١٤٤ القروي	وَالْأَحْبَابُ ١٦ أبو سلمى
آيِبُ ٢٢ طوقان	وَالْمُخْرَابَا ٣١ إيليا
تَعَبُ ٥٨ القروي	أَصَابُوا ٨٧ فرحات
دَائِي ٩١ القروي	اغْتَرَابُ ١١ القروي
ذَنَبُ ١١ أبو سلمى	الْكُتُبُ ٧٧ إيليا
ذَنَبُ ٤٥ القروي	بَابُ ٢ بدوي الجبل
رَبِّي ١٣٩ القروي	تَكْذِبُ ١٩ إيليا

غِيَاةُ ٤٠ فرحات	شَبَابِي ٣ عرار
مُتَنَقِّبَةٌ ٣٥ طوقان	صَحَابِي ١٠٨ إيليا
وَكَاةُ ١٩ البردوني	عَذَابِ ٢١ بدوي الجبل
وَمَخَالِيَةٌ ١٣٠ القروي	غَيْرُ أَبِي ١٨ إيليا
مَاسَاتَا ٢٥ بشارة الخوري	كُثِيبِ ١ بدوي الجبل
أَتَيْتُ (الطلاسَم) ٦٢ إيليا	لِلْأَغْرَابِ ٢١ الشابي
السُّكُوتُ ١٢ أبو ريشة	مَا بِي ٢٥ العسكر
الْمِثْيَاتُ ٢١ القروي	نَسَبِ ٢٨ بدوي الجبل
جُنَّاهُ ١٤٧ القروي	وَالْأَحْبَابِ ٧٨ إيليا
مَيْتُ ١٤٦ القروي	وَالْأَعْتَابِ ٣١ الشابي
وَالْمَمَاتُ ٢٨ أبو سلمى	وَبِمِخْلَبِي ١٧ إيليا
الْآتِي ٢٢ الشابي	وَتَأْنِيبِ ٣٢ طوقان
الْكَفَالَاتِ ١٣ طوقان	وَقُرْبِي ٤٢ ناجي
الْمِلْمَةُ ٨ إيليا	أَنْتَعَجَبُ ١٠ القروي
بِالْمُعْصِرَاتِ ٤٣ طوقان	أَشْرَبُ ٤ عرار
فَتَاةُ ٣٠ بشارة الخوري	أَغْلَبُ ٩٩ القروي
نَسَوَاتِي ٥ عرار	الْخِضَابُ ٧٩ إيليا
وَحْيَاتِي ٢٨ البردوني	تُرَاقِبُ ٦٩ القروي
الْحَيَاةُ ١٣ أبو ريشة	طَيْبُ ٣٣ طوقان
الرُّفَاتُ ٨٠ إيليا	كَتَبُ ٤٩ القروي
أَبْرَمَتُهُ ٧٠ القروي	لَرَيْبِ ٤٢ فرحات
بِحَيَاتِهِ ١٨ فرحات	يَتَأَدَّبُ ٢٥ فرحات
بَيْتُهُ ١٩ ناجي	بِنَايِهِ ٤١ بشارة الخوري
رَاحَتِهِ ٦ طوقان	صَبَّهَا ٧٦ القروي
رَعْبَاتِكَ ١٤ أبو ريشة	صَحْبُهُ ١ القروي ٤٢

مباحة ١ الشابي	رُفَاتِهِ ٥٦ القروي
أبدا ٤٤ القروي	كَلِمَاتِهَا ٣٦ فرحات
استبدًا ٨ أبو سلمى	نَعَمَاتِهِ ٨٣ إيليا
الرَّشْدَا ١٠٠ القروي	هَاتِهِ ١٩ العسكر
السُّهَادَا ٣٣ إيليا	لَيْثًا ٨٤ فرحات
الصَّدا ٦٠ فرحات	الرَّجَا ١٤٩ القروي
العِدَى ٨٥ القروي	عَوَجُ ٧٣ فرحات
المنشودا ١١ ناجي	أَفَاجِي ١٦ إيليا
الوَرْدَا ٦ الشابي	المَفَاجِي ٣٢ إيليا
الوَيْدَا ١٣٤ القروي	تُعَرَّجِي ٣١ أبو سلمى
أَمْ نَفِدَا؟ ١٥ إيليا	نَاسِج ٥ القروي
جِلَادَا ٢ القروي	هَوَج ١٤٨ القروي
حدًا ٩ بدوي الجبل	أَبْرَاجِهِ ١١٥ القروي
حَدِيدَا ٣٦ إيليا	صَفِيحَا ٢٧ إيليا
سُهِدَا ٨٩ فرحات	طِلَاحَا ٤ بدوي الجبل
شَهْرَزَادَا ٢١ البردوني	فَصَحَا ٣٨ بشارة الخوري
عَادَا ١٨ طوقان	وَاسْتَبَاحَا ١٥ العسكر
عَبُودَا ٣٥ عرار	الصَّبَاحُ ٥٩ القروي
فَرَدَا ٣٤ طوقان	سَاحُوا ٢٣ القروي
لَهَا فِدَى ٣٥ إيليا	يَضْحُو ٦ عرار
والجَلَدَا ١٢ بدوي الجبل	أَفْرَاح ١٩ أبو سلمى
يَدَا ٦١ القروي	أَلْوَاحِي ٣٦ بشارة الخوري
أَبْتَرُدُ ٢١ ناجي	بِجْنَاحِي ١٥٠ القروي
أَجِدُ ١٩ بدوي الجبل	جَنْحَا ٧٥ القروي
الْحِدَادُ ٨ عرار	الْفَسِيخُ ١١٦ فرحات

اللَّدودُ ٢٠ أبو سلمى	الفادي ٢١ بشارة الخوري
المَوَائِدُ ٤٦ البردوني	الكَيِّدُ ٥ بشارة الخوري
التُّهُودُ ٤٧ فرحات	المسجد ١٣ العسكر
الولدُ ١٥١ القروي	المعابدُ ١٥٣ القروي
تُخَلِّدُ ٧٠ فرحات	المعبودُ ١٨٥ القروي
تَعْقِيْدُ ٥٥ فرحات	المنكودُ ٣٩ القروي
عَبُودُ ٧ عرار	أُهْدِي ٣٤ البردوني
عَدِيْدُ ٣ القروي	بالأفْرَادِ ٨٤ إيليا
فَسَيَنْفُذُ ٢٧ طوقان	بِلادي ٤ أبو سلمى
مَعْقُودُ ١٥٢ القروي	بِمَسْجِدِ ٩٤ فرحات
يَعُودُ ١١ بدوي الجبل	تُوقَدُ ٨ البردوني
دَارُ جِدُّ ٤٢ القروي	ثمودُ ٦٨ القروي
اسْتِعْبَادُ ١٢ ناجي	خَدِّي ٢٥ بدوي الجبل
الآبَادُ ٢٢ أبو ريشة	زَادُ ٢١ فرحات
الْأَبْدُ ٢٢ ناجي	عِنْدِي ٤ البردوني
الْأُذْرَدُ ٥٤ فرحات	قَيْدِي ١٦ أبو ريشة
الأعادي؟ ٨٧ القروي	لَمْ يُفِدِ ٨١ فرحات
الجَدِيدُ ١٦ الشابي	مُسْتَزِيدُ ١٦ القروي
الجلادُ ٨٢ القروي	مُنْتَقِدُ ٥٢ القروي
الخُلُودُ ٧ أبو سلمى	وانفِرادي ١٥ الشابي
الرَّمْدُ ٢٩ البردوني	وُجُودي ١٠ الشابي
الرَّرْدُ ٢٩ أبو سلمى	ودُودُ ٢٠ الشابي
السَّوَادُ ١٥ طوقان	وَرَادِي ٤١ البردوني
العييدُ ٢ أبو سلمى	وَعَرْدُ ٩ العسكر
العيدُ ٨ العسكر	ويَعْتَندي ٣ أبو سلمى

الكبرى ٣٣ ناجي	١٣المهود ٣١ طوقان
المستعارة ١٧ بشارة الخوري	أريد ٢٧ ناجي
النار ٣٧ القروي	البلد ١٠ أبو سلمى
الورى ١١٢ إيليا	الخدود ١٨ الشابي
حرًا ٨٨ فرحات	القصاصد ٢٠ العسكر
سحرًا ١٠٥ القروي	سعيد ١٥٤ القروي
سفرًا ٦٠ القروي	فتورّد ٢ بشارة الخوري
سكاري ٨ ناجي	يا الكمذ ٣٨ القروي
سكيرا ١١ عرار	يعوذ ٧ الشابي
عنترا ١٥٨ القروي	وعرّند ٣٧ إيليا
نكرا ١٥ فرحات	السيدة ٣٦ البردوني
والعاصرا ٦٥ إيليا	العنيدة ١٠ أبو ريشة
أبصر ٩ أبو ريشة	بلاد ٧ البردوني
أثر ١٨ بدوي الجبل	جند ١٣٣ القروي
أزهار ١١٢ القروي	خامدة ٨ فرحات
أطير ٩ القروي	صدك ١٢ بشارة الخوري
أكبر ٨٣ القروي	صبيد ٧ أبو ريشة
الخبز ١٠ بشارة الخوري	عيد ٣٧ بشارة الخوري
الخطر ٢٩ فرحات	فائدة ١٥٥ القروي
الطيور؟ ٦٣ إيليا	وجريدة ٥١ البردوني
العار ٥ أبو سلمى	القنفذ ١٠٠ فرحات
القدر ٣٠ الشابي	أخرى ٤٠ بشارة الخوري
القصار ١٨ القروي	أرى؟ ١١١ إيليا
القمر ١٨ أبو سلمى	السمر ١٠ عرار
الكثير ٢٥ أبو سلمى	العقارا ٦ البردوني

الكواسيرُ ٢٠ فرحات	الدُّهورِ ٣٩ إيليا
أنصارُ ٦٤ إيليا	السَّتارِ ٢٧ أبو سلمى
تَحْتَارُ ١٨٧ القروي	العِدَارِ ١٣ القروي
تَسْتَعِيرُ ١٤ بدوي الجبل	القبورِ ٩١ فرحات
تَعُثُّ ٦ القروي	المُفَكِّرِ ١١٠ فرحات
تَفْكِيرُ ٣٨ إيليا	الناصرِ ١٤ أبو سلمى
تَفْجَرُ ٩٧ القروي	بِالْأَسْرارِ ١٧ أبو ريشة
جَمِيرُ ١٠٢ فرحات	بِتَأْخِيرِ ٨٠ فرحات
خَبَرُ ٤٢ البردوني	تَثُورِ ١٨ البردوني
سَخِرُوا ٤ أبو ريشة	جاري ١٢ عرار
قَدَرُ ٨١ إيليا	حُبُورِ ٥٣ القروي
مُتَجَبِّرُ ٢٠ القروي	شُعَارِ ١٥٩ القروي
مُنَكَّرُ ٩ عرار	شِعْرِي ١٢٩ القروي
والأَمْرُ ١٧ بدوي الجبل	ظهري ٣١ فرحات
والسَّهْرُ ١ البردوني	عارِ ١١٤ القروي
والقَمَرُ ١١٠ إيليا	لَمْ يَجُرِ ٧٥ فرحات
والنَّهَارُ ٢٥ ناجي	مِضِرِ ٨٥ إيليا
وَمِنْقَرُ ١٦ بشارة الخوري	مُغْرِ ٦٦ فرحات
يُحْتَضَرُ ١٠٩ إيليا	نَضِرِ ٨٥ إيليا
يَسْتِيرُ ٧٦ فرحات	نورِ ٩٣ فرحات
إِكْبَارِي ١٥٦ القروي	هتَلِرِ ٦٤ فرحات
الأعمارِ ١٣ ناجي	والأَسْرارِ ٢١ العسكر
الأميرِ ٢ الشابي	والجَهْرِ ١١٤ فرحات
الحَاضِرِ ١٤ إيليا	وُثُورِ ٨ أبو ريشة
الحمارِ ٦٥ فرحات	وَحُبُورِ ٤ القروي

وَصَرِ ٧١ فرحات	كِيسَا ١٦١ القروي
يَسْتَشْرِي ٢٧ البردوني	رُؤُوسُ ٧ طوقان
أَسْفَرُ ٤٢ طوقان	فَكَتْسُوا ٤٠ القروي
الْخَنَاصِرُ ١٢٠ القروي	مَفَالِسُ ٣٦ عرار
الدَّرَزُ؟ ١ فرحات	مَلْبَسُ ٥٦ فرحات
الْقَدَزُ ٢٣ الشابي	بِفَاسِي ١٣ الشابي
أَمِيرُ ٤٥ البردوني	حَوَاسِي ٩٤ القروي
بِالنَّفِيرِ ١٣ فرحات	فَارِسِ ١٢٣ القروي
رُومَرُ ٤١ إيليا	قَاسِ ١٠٩ فرحات
مَقَرَّ ٧ القروي	قَدِيسِ ٤٠ طوقان
وَنَثَّازُ ١٣٦ القروي	لِلنَّاسِ ٨٦ إيليا
أَخْبَارَهَا ٦٩ فرحات	مُقْتَرَسِ ٤٢ إيليا
الْمَسْرَةُ ٦٦ إيليا	نَفْسِي ١٤ الشابي
تَفْسِيرُهُ ٨٢ إيليا	وَالنَّاسِي ١ ناجي
تَكْرَهُ ١٥٧ القروي	وَجُلَّاسِي ١٣ عرار
جَبْرَهُ ٤٠ إيليا	وُسُوَاسِ ٨٧ إيليا
حَسْرَةُ ٣٧ ناجي	وَقَسَّ ٤ الشابي
كَسِيرَةُ ١٥ البردوني	دَوَارِسُ ١٠٧ القروي
لِنَشْرِهِ ١٤ القروي	التَّعَاسَةُ ١٠١ القروي
مَقَادِيرِهِ ١٩ بشارة الخوري	حَمَاسَةُ ٤٩ البردوني
نَاضِرَةُ ٢٨ القروي	خَمْسِيهِ ٣٣ القروي
وَالسَّيْجَارَةُ ٦ العسكر	رَئِيسُهَا ٣٣ بشارة الخوري
وَالطَّهَارَةُ ٢ فرحات	شَمْسِيَهُ ١٦٢ القروي
الْأَسَى ٢٢ فرحات	مَلْمَسَهُ ١٦٠ القروي
الْأَسَى ٤٣ البردوني	تَشْوِيشَا ٨٣ فرحات

والحواشي ٩٠ فرحات
النواصي ٢٠ طوقان
رَقَصُ ١٦ العسكر
فَيْرَضَى ٢٢ القروي
والمَرَضَا ٢٣ فرحات
شُرُوطُ ١٢٢ القروي
ارْتِجَاعَا ٣٠ البردوني
رَبِيعَا ٣٤ القروي
صَنَعَا ٣٢ البردوني
مُتَرَعَا ١١١ فرحات
مُشْرَعَا ٤٣ القروي
والمَوْضِعَا ٢٣ البردوني
وَلَوْعَا ٩٢ فرحات
أَرْزُيعُ ١٤ عرار
البَلْفَعُ ٣ أبو ريشة
الجَزْعُ ٥٧ فرحات
الربيعُ ٢٣ طوقان
باغُوا ٤ طوقان
تَطِيعُ ٢١ أبو سلمى
وَيَمْتَنِعُ ٥٤ القروي
الشارعُ ١٥ عرار
الطبايعُ ١٨٨ القروي
المُرْضِعُ ١٠٦ فرحات
المُضَاعُ ٤ ناجي
تُرَاعِي ٣٥ القروي

جَزُوعُ ٤٣ ناجي
مَظْمَعِي ٦٧ إيليا
وَوَضْعِي ١٦ البردوني
السَّبَاغُ ٥ ناجي
الوسيعُ ١١٥ فرحات
تُمَانِيعُ ١٣٢ القروي
تَوَقُّعُهُ ٦ ناجي
طَبَعُهُ ١١٠ القروي
وُلُوعُهُ ٩ البردوني
مُضْطَفِّي ٢٦ القروي
نَحِيفَا ٥٠ طوقان
والإِسْرَافُ ٦٥ القروي
أُخْفِي ٢٦ البردوني
أُغْرِفُ ١٠٦ القروي
الشَّافِي ٦٢ فرحات
كِتَافُ ٩٥ فرحات
الكهوفُ ٨ الشابي
رَصِيفُ ٤٤ البردوني
صَدَفُ ٨٨ إيليا
البَرَّاقَا ٢٣ بشارة الخوري
الخُفُوقَا ٧ بدوي الجبل
العُنُقَا ٩ بشارة الخوري
اللَّقَا ٢٠ إيليا
تَبَقَى ٣٨ البردوني
فَارِقَا ١٠٨ القروي

يَلْقَى ١٠٣ القروي	وَيَسْتَلْقَى ٥٥ القروي
يُوقَى ١٦ بدوي الجبل	المُعْتَق ٢٤ أبو سلمى
أَخْلَقُ ١١٢ فرحات	وَرَقَ ١٦ عرار
أُطِيقُ ٢٤ العسكر	أُبْقِهَا ٣٩ ناجي
الْأَلْيَقُ ٣٠ طوقان	أُسْرَاكَ ١٧ عرار
طَلِيقُ ٧ فرحات	شَفَاكَ ٣٤ بشارة الخوري
عَبَقُ ٤١ القروي	نَحَاكِي ٨٠ القروي
فِرْقُ ١٣ إيليا	يُمْنَاكَ ١٠٢ القروي
يُسَحِّقُوا ٥٠ البردوني	الْكُنْيَاكُ ١٨ عرار
الْأَرْزَاقُ ٧ بشارة الخوري	النُّسَاكُ ٤٣ فرحات
أَلَاقي ١٢ البردوني	تَاجِيكَ ٢٤ بشارة الخوري
الْأَلْقَى ٣٠ أبو سلمى	عَرَفُوكَ ١٦٧ القروي
الخَفَاقُ ٢٤ القروي	فَيَّالِكَ ١٥ القروي
الصُّنْدُوقُ ٨٩ إيليا	أَبْرُكُ ١٩ عرار
الفِرَاقُ ٢٠ البردوني	لَكَ ٣ فرحات
المَمَاقِ ٨٤ القروي	أَضْلَا ٩٢ إيليا
تُخْلَقِي ٥ فرحات	إِغْوَالَا ٣ ناجي
تَفْرُقُ ١٤٠ القروي	الْأَمْلَا ٢٨ طوقان
حُقُوقِي ١٦٥ القروي	التَّبْجِيلَا ٥١ طوقان
صَدِيقِي ٤٧ البردوني	بَذَلَا ٧٩ فرحات
ضَبِيقُ ١٦٣ القروي	تَأْمُلَا ١٩ أبو ريشة
طَرِيقُ ١٠٨ فرحات	شَمُولَا ٢٣ بدوي الجبل
فَاتَّقِ ١٦٦ القروي	عَادِلَا ١٧٠ القروي
لَتَفْرُقِ ١١٣ إيليا	عَلِيلَا؟ ٤٦ إيليا
مُسْتَيِّ ١٦٤ القروي	فُضُولَا ٦٩ إيليا

الرجال ٢٦ طوقان	مَتَهَلَّلَا ٧٠ إيليا
الرَّمْسِ لِي ٩٨ القروي	مَقِيلَا ١٢ إيليا
الرَّمِيلِ ٣١ ناجي	هَلَا ٢٢ أبو سلمى
السَّيْلِ ١٢ فرحات	والتَّقْبِيلَا ١١ العسكر
العَمَلِ ١١٧ القروي	وجلالا ٢ أبو ريشة
الكَرْمِلِ ٢٩ طوقان	ودالا ٤٥ إيليا
المستقبل ٦ أبو سلمى	وسُهولا ٩٦ فرحات
باللَّي ٨٦ فرحات	وطالا ١٣ البردوني
دَاخِلِي ٣٥ البردوني	الْمَتَهَلَّلُ ١١٤ إيليا
زُلَالِ ٩١ إيليا	النَّيْلُ ٨٥ فرحات
عَلِي ٥ العسكر	تَسْأَلُ ١٦٩ القروي
فاجْهَلِ ٤٤ إيليا	تُعَوُّ ٦٨ إيليا
قِيلِ ٤٥ فرحات	جميلُ ٤٣ إيليا
كَاهِلِي ٢٧ القروي	رَجُلُ ٤٠ البردوني
لِلْقَلَمِ ١ أبو ريشة	سَبِيلُ ٢٤ إيليا
مَجَالِي ٢٢ البردوني	طويلُ ٢٣ أبو سلمى
وَأَفْعَالِ ١٦٨ القروي	فاصِلُ ٩٧ فرحات
وَتَنْقَلِي ١٠٤ القروي	والأَمَلُ ٣٩ بشارة الخوري
يَزَلِ ٣٨ فرحات	والرُّسْلُ ٢٣ إيليا
الْأَمَلُ ١٧ الشابي	والظُّلُولُ ١٥ بدوي الجبل
قَتْلُ ١١ بشارة الخوري	والمُئَلُّ ١٥ أبو سلمى
لَمْ أَزَلِ ١٦ فرحات	وطالا ٥ أبو ريشة
اِخْتِمَالَهُ ١١١ القروي	إِشْكَالِ ٣ البردوني
الْحَزْدَلَةُ ١١٦ إيليا	الْأَمَالِ ١ أبو سلمى
بِالسَّائَةِ ١٧ طوقان	الدُّوَلِ ٨ بشارة الخوري

تَنَامُ ٢٩ ناجي	جَمَالِهَا ١١٥ إيليا
حُلُمُ ٢٦ الشابي	حَامِلُهُ ٧٧ القروي
خَتَامُ ٢ إيليا	الأَوَامَا ٦ فرحات
دَمُ ١٤ طوقان	الرَّامَا ٥ البردوني
رَقِيمُ ١٣ بدوي الجبل	السَّما ٩٤ إيليا
عَلَمُ ٧٢ القروي	العَنَمَا ٢٤ أبو ريشة
عَنْكُمُ ١١٧ إيليا	المُبْهَمَا ٢٠ أبو ريشة
فِيهِمْ ١١ إيليا	انْتِقَامَا ٢٥ إيليا
لِزَامُ ١٤ بشارة الخوري	جَمَى ١٨٦ القروي
مُجَسِّمُ ٧٣ القروي	عَلَقَمَا ٩٥ إيليا
نَتَنَعَّمُ ٧٨ القروي	عُلَامَا ١٧١ القروي
والأَحْلَامُ ٢٥ الشابي	فيما ١٧ ناجي
والأَنْجُمُ ٧١ إيليا	كَالْعَمَى ١١٨ القروي
وصَمَّمُوا ٣ الشابي	مُرْتَسِمَا ١٢٤ القروي
يَتَحَكَّمُ ٩٩ فرحات	مُهْتَمًا ٥٠ فرحات
يَتَعَمَّمَا ٣٩ فرحات	نَمَا ٥١ فرحات
يَسْتَفْقَهُمُ ١١٨ إيليا	وابْتَسَمَا ٣٤ ناجي
الأَصْنَامُ ٩٨ فرحات	وابْتَسَمَا: ٣٧ فرحات
الأَعْلَامُ ٦٧ القروي	وسَلَمَا ١ بشارة الخوري
الْأَنْجُمُ ٢٨ ناجي	يُسَمَّى ٣٩ البردوني
السَّامُ ١٠ إيليا	أَفْهَمُ ٢٤ طوقان
الشَامُ ١٢١ القروي	المُسْتَهَامُ ٩٠ القروي
القَلَمُ ٢٩ إيليا	النَّوَاعِمُ ٤٤ فرحات
الكَلَامُ ٥٠ إيليا	الْهَمُ ١١٣ القروي
الْمَتَفَادِمُ ٩ إيليا	أَنْجُمُ ٤٧ إيليا

جُزْمَةُ ١٢٥ القروي	المظالم ٢٤ فرحات
جَمَاهُهَا ٩٦ القروي	إِمَامِي ٩٣ إيليا
دَمُهُ ١٧ فرحات	بالإغدام ٢٢ العسكر
صِيَامُهُ ١٠ طوقان	جِحْمِ ٨٢ فرحات
علامة ١٧ البردوني	سُمُومِ ٢٠ عرار
وحسامها ٣٤ فرحات	شَيْمِي ٤٩ إيليا
ودَوَامِهَا ٧١ القروي	فَمِي ٥٧ القروي
وزحايها ٢٠ ناجي	لِظَلَامِي ٩ الشابي
يَرْحَمُكَ ٦ بشارة الخوري	هَمِّي ٢٢ بشارة الخوري
إِحْسَانًا ٤ بشارة الخوري	وَتَحْتَمِي ٤٨ فرحات
إِحْسَانًا ٨ بدوي الجبل	يَتَجَشَّمِ ٢٧ الشابي
إِخْوَانًا ٢٩ القروي	الْأُمَمِ ٨٦ القروي
أَقْوَانًا ١٧٣ القروي	الْعَرَامِ ٧ العسكر
أَكْفَانًا ٤٨ القروي	الْفِطَامِ ٥٢ فرحات
الْآنَا ٧ إيليا	النَّدَمِ ٤٠ ناجي
الْحُزْنًا ١٧٤ القروي	بِالْدَمِ ٣١ القروي
السَّيْنَا ٧٢ إيليا	تَحَكَّمِ ١٠ العسكر
الْظُّنُونَا ٣٥ بشارة الخوري	خَادِمِ ١٤ البردوني
العالمينا ١٢٣ إيليا	فَاقْتَحَمِ ١٢ طوقان
الْمُرْسَلِينَا ٦٢ القروي	كَلَامِ ٢١ عرار
الْمُعْنَى ٤١ طوقان	مَنْظَمِ ٩ أبو سلمى
أَنَا ٣٥ ناجي	وَالْيَنْتَمِ ٢ البردوني
أَنَا؟ ١٢٢ إيليا	الْقَدِيمَةُ ١٢ العسكر
إِيمَانًا ٢٤ عرار	الْمُدْلِيهِمَةُ ٤٨ البردوني
تَعْبِيرِينَا ١٢٨ القروي	بُرُسُومِهَا ١١٩ إيليا

يُعْلَنُ ٣٢ أبو سلمى	سَيْنَتَا ٦ إيليا
أُبْكَانِي ٢٦ العسكر	عَرَفَانَا ٢٩ بشارة الخوري
أَجْفَانِي ١٠٧ فرحات	عَطَايَانَا ٢٥ عرار
إِخْوَانِي ٢ العسكر	فَكَانَا ٢٣ أبو ريشة
أَشْجَانِي ٨٩ القروي	فِينَا ٢٦ فرحات
أُغْنِي ٤٦ فرحات	فِينَا ٦٣ القروي
أَفْسَانِي ٧٩ القروي	لَبَانَا ١٨٠ القروي
الإِعْلَانِ ١١ فرحات	لَبَلُونَا ٣ بدوي الجبل
الْبَانِي ١٤ العسكر	لَحْنَا ٩٧ إيليا
الْبُرْهَانِ ٣٠ فرحات	لَلْفَنَّا ٩٦ إيليا
التَّبِينِ ١٢١ إيليا	لَنَا ١١ أبو ريشة
التَّجْنِي ٣٠ القروي	مُذْعِنَا ٤٧ طوقان
التَّمْنِي ١٣ أبو سلمى	نِسْوَانَا ١٠٣ فرحات
الثَّقَلَانِ ٣٤ إيليا	نَسِينَا ١٥ ناجي
الْجَنَانِ ١٨١ القروي	هَوَانَا ١٠ ناجي
السَّنَانِ ٢٧ أبو ريشة	والْحَانَا ٢٣ عرار
الشَّارِبِينَ ٨ القروي	وَفُلَانَا ١٠ البردوني
الشَّيَاطِينِ ٢٨ عرار	وَهُنَا ٥٩ فرحات
الْكَرْثُونِي ٣٤ عرار	أَلْحَانُ ٥ طوقان
اللُّجَيْنِ ١٨ بشارة الخوري	الصَّوْلُجَانُ ١٠ بدوي الجبل
الْمَبِينِ ٤٨ إيليا	بُرْهَانُ ٦٦ القروي
الْمِيدَانِ ٢٦ أبو سلمى	عَيْنُ ٢٢ عرار
بِإِخْوَانِي ٣٠ عرار	نِيسَانُ ٦ بدوي الجبل
بِالْأَحْزَانِ ٢٩ الشابي	وَرُهْبَانُ ٢٨ إيليا
بِالْإِيمَانِ ١٠١ فرحات	وَمُجَنَّنُ ٩٢ القروي

وَأَلْحَانِي ٤ الْعَسْكَر	بِالْيَقِينِ ٣ الْعَسْكَر
وَالرَّيْتُونِ ٢٤ الشَّابِي	بِإِيمَانِي ٢٩ عَرَار
وَالْعَيْنِ ٣٢ عَرَار	بِجِلْبَائِي ١٧٨ الْقُرُوي
وَالْوَلْدَانِ ٣٢ الْقُرُوي	تُوْنُسِي ٨ الْعَسْكَر
وَأِيمَانِي ٧٤ فَرَحَات	ثَانِ ٣٦ الْقُرُوي
وَحُلَّانِي ٦٨ فَرَحَات	جَفُونِي ٣٧ طَوْقَان
وَرَيْحَانِ ٢٠ بَدُوي الْجَبَل	حُزْنِي ١٣٧ الْقُرُوي
وَطَنِي ١١٩ الْقُرُوي	حِينَ ٩ طَوْقَان
يَخْتَصِمَانِ ١٢٠ إِيْلِيَا	دَرْوِينِ ١٤ فَرَحَات
يَرْثِينِي ١٣٨ الْقُرُوي	دُيُونِ ٢ نَاجِي
يَرْنِي ١١٦ الْقُرُوي	رَمَانِي ٢٧ عَرَار
يَنْشِي ١ طَوْقَان	سَفِينِ ٥١ إِيْلِيَا
الْجَائِعُونَ ٧٣ إِيْلِيَا	شَقْنِي ٣٦ طَوْقَان
الزَّمَانُ ٦ أَبُو رِيْشَة	ضَيِّي ١٠٩ الْقُرُوي
الْبِمْنُ ٢٤ الْبِرْدُونِي	ظُنُونِ ٢٦ عَرَار
بِالدُّوْنِ ١٧٢ الْقُرُوي	عَدْنَانِ ٨٨ الْقُرُوي
كَالْظُّنُونِ ٢٤ بَدُوي الْجَبَل	عَيْنِي ٢٧ فَرَحَات
وَالْحَزْنُ ٣ طَوْقَان	فُلَانِ ١٧٧ الْقُرُوي
يَكُونُ ٣٧ الْبِرْدُونِي	كَالتَّيْجَانِ ٣٦ نَاجِي
الْقَرَصَنَةُ ٣١ الْبِرْدُونِي	كَفَّانِي ٤ فَرَحَات
بِهْدَنَةُ ٨ طَوْقَان	لَبْنَانِ ١٣٥ الْقُرُوي
جَنَاهَا ٢٨ فَرَحَات	لِرُهْبَانِ ٧٨ فَرَحَات
حَنِئُهَا ١٧٥ الْقُرُوي	لِلْعُدْرَانِ ١٠٤ إِيْلِيَا
رَبْعَانِي ٣١ عَرَار	مَعَانِي ١٠٥ فَرَحَات
زَمَانُهُ ١٥ بَشَارَةُ الْخُورِي	مِنِّي؟ ٧٤ الْقُرُوي

فَأَتَاهُ ٩٨ إيليا	سَجَّعَهُنَّهٗ ٤٦ طوقان
فَيَلْقَاهُ ١١٣ فرحات	طَعْنِهِ ١٧٩ القروي
الدَّوَاهِي ١٢ الشابي	عُقُوفَانِهِ ٢٦ أبو ريشة
بِدَيْهِ ٤٧ القروي	عَيْنَاهَا ٢٠ بشارة الخوري
سَمَاهُ ١١ الشابي	فَتَنَاهُ ٢٧ بدوي الجبل
أَهْوَى ٨١ القروي	فِدَاءَهُنَّهٗ ٢٩ أبو ريشة
فَهْوَى الأطلال ١٦ ناجي	قَانُونُهَا ١٧٦ القروي
دَوِي ٥١ القروي	كَدْخَانِهَا ١٠ فرحات
السُّمُورُ ١٨٢ القروي	وَامْتَدَّخَانُهُ ٥٢ إيليا
كُوءُهُ ٤١ فرحات	وَزَيْنُهُ ١٣١ القروي
الْحَيَّ ٤٦ القروي	أَسَاهَا ٢٢ بدوي الجبل
خَلِيًّا ٣٢ فرحات	أَعْبَاهَا ٧٥ إيليا
زَرِيًّا ١٠١ إيليا	الله ١١ طوقان
صَيًّا ١٨ العسكر	دَهَاها ٢٣ العسكر
عَلِيًّا ١٣ بشارة الخوري	سَمَاهَا ٧ ناجي
عَيْنِيًّا ٢٦ بدوي الجبل	شَذَاهَا ٤٩ طوقان
كَأَوِيًّا ٥٣ فرحات	طَوَّاهَا ٥٣ إيليا
لَاهِيَا ٣ إيليا	لِفَحْوَاهَا ٣٩ طوقان
لِيَا؟ ٤ إيليا	مَرَّاهَا ٤٤ طوقان
وَرَايَا ١٢٦ القروي	مَسَعَاهَا ٦٧ فرحات
يَدَيَّا ١٨٣ القروي	مَلَّهَى ٣٣ البردوني
بُنْ بَيَّ ٥٧ إيليا	وَتِيهَا ١٩ طوقان
وَلِلشَّقِيَّ ١٨٤ القروي	وَرَوَّاهَا ١٨ ناجي
الْأَيَّةُ ١٩ القروي	الْإِلَهُ ٧٤ إيليا
الْآيَةُ ٥٦ إيليا	الْوُجُوهُ ٣ بشارة الخوري

الشَّادِيَةُ ١٠٣ إيليا
العَافِيَةُ ٥٢ طوقان
القَضِيَّةُ ٢١ طوقان
القَضِيَّةُ ٣٣ عرار
القَوِيَّةُ ١ العسكر
الْمَاضِيَّةُ ١٢٤ إيليا
بَاقِيَةُ ١٠٢ إيليا
بِأَهْلِهَا ٥٥ إيليا
تُعْطِيهَا ٩٩ إيليا
حُبِّيهِ ٩٥ القروي
حُمَيَّاها ٩ فرحات
حَنَائِيها ٣٨ طوقان

دَكَّرَنِي ٣٨ ناجي
صَوَاحِيهَا ٦٣ فرحات
عَايَةُ ١٩ الشابي
فِيهِ ١ إيليا
فِيهَا ١٠٠ إيليا
فِيهَا ٢٧ بشارة الخوري
لَدَيْكَ ٩٠ إيليا
لِذَوِيهِ ٥٤ إيليا
مَآفِيهَا ٥ إيليا
مُحَامِيهِ ١٧ العسكر
نَاسِيَّةُ ٤٥ طوقان

إني أتَنفَسُ «فوق» الماء، أتَنفَسُ الصعداء، فبعد ثلاث عشرة سنة ها إني أخطُ الصفحة الأخيرة، صفحة الغلاف الخلفي، من آخر أجزاء هذه السلسلة (الزبدة). وسبق آخر الشعر هذا أول الشعر وتجده وتألقه وإحياؤه. فهل أغتنم الفرصة فأغيّر اسم هذا الكتاب الأخير حتى لا يكون رقعة نعيٍ للشعر العمودي؟ الاسم حلو، وأبقيه لأنه حلو، فأما أن الشعر العمودي قد مات فمسألة سيظل فيها نظر.

ضمت سلسلة (الزبدة) خلاصة الشعر العربي على مدى ألف وخمسة سنة. والحلقة الأخيرة من السلسلة، وهي التي بين يديك، تضم آخر العمالة، بعضهم مشهور شهرة مدوية وبعضهم غير مشهور:

إيليا والقروي وفرحات من المهجر، والأخطل الصغير من بيروت، وعرار من الأردن، وطوقان وأبو سلمى من فلسطين، وعمر أبو ريشة من حلب، وبدوي الجبل من الجبل، وفهد العسكر من الكويت، وناجي من مصر، والشابي من تونس، والبردوني من اليمن.

خلاصة شعرهم هنا، وخلاصة حياتهم. ونذكر ما سرقه فلان عن فلان، ونشرح الشعر ونلقي الضوء على المناسبة التي قيل فيها. ولا نبالغ في ذلك، فهذا ليس كتاب تاريخ، لكننا لا ندع الطرفة نفوتنا، ونحتفل بالبيت الجميل وندعو القارئ إلى تذوقه.. إلحاح قد يراه قارئ سمجاً، يقول: اتركني أتذوق بنفسي. وقد يراه قارئ ممتعاً، يقول: نعم، أريد أن يشركني الكاتب في قراءة الشعر وتذوقه.

- الكتاب مرفق بتسجيلات صوتية لمعظم قصائده بصوت المؤلف.

- مهندس الصوت: محمد ماضي، والتسجيل في استوديو معهد الجزيرة للإعلام.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com



3 14 5 1 2 3 7 11 8 9 6 5 4 1